

# الإنسان البناس

و

سيرة المبعوث رحمة

ليبنى الإنسان

السيرة المصرية

د. سعيد أبو الأسعد



إِنِّي أَنَا لَأَسِيرٌ

فِي سَيْرِ الْمَلِكِ الْمُبْعُوثِ

لِلْبَيْتِ الْأَسِيرِ

(السَّيْرَةُ الْمِصْرِيَّةُ)

د. سَيِّدُ الْبَوَالِغِ الْإِسْبَاطِي



بطاقة فهرسة أثناء النشر  
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية  
إدارة الشؤون الفنية

أبو الأسعد ، سعيد  
إيناس الإنسان في سيرة المبعوث رحمةً لبني الإنسان :  
( السيرة المصرية )  
/ سعيد أبو الأسعد . - ط ٠١ -  
القاهرة : شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩  
٤٨٦ ص ، ٢٥ سم  
تدمك : ٩٧٧٥٨٤٢٢٠٤  
١ - السيرة النبوية  
أ - العنوان

٢٣٩

الكتاب : إيناس الإنسان في سيرة المبعوث رحمةً لبني الإنسان  
المؤلف : د . سعيد أبو الأسعد  
رقم الإيداع : ٢٠٠٩ / ٢٥٤٦  
تاريخ النشر : ٢٠٠٩  
التقديم الدولي : 4-20-5842-977  
حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل  
كاملاً أو أي قسم من أقسامه بأى شكل من أشكال النشر إلا بإذن  
كتابي من الناشر  
الناشر : شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع  
الإدارة : ٩٢ ش التحرير - ميدان الدقي - برج ساريدار - القاهرة  
ت : ٣٣٣٨٨١١٩  
المطابع : ١٠٥ ش دابر الناحية - الدقي - القاهرة ت : ٢٣٣٨٤١١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR  
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY  
GENERAL DEPARTMENT  
For Research, Writing & Translation

الأهرام  
مجمع للبحوث الإسلامية  
الإدارة العامة  
للبحوث والتأليف والترجمة

السيد الدكتور... سعيد أبو الأسفاد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد

سيرة المبعوث رحمة ليقف الإنسان القليل : سيما في مطلع ٤٨٥ صفر  
يقيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع المعتقدات الإسلامية ولا يتفق  
من طبعه على تفكيركم الفاضل .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكسابة الآيات القرآنية والأحاديث  
النبوية الشريفة . كما زيادة الاهتمام بعقيدة التوحيد والوحدانية  
والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام  
إدارة البحوث والتأليف والترجمة

٥٠٠٨

تحريفاً / /  
الموافق ١٤٣٧ / ٧ / ٤ هـ

محمد



الأمين المساعد للثقافة

عبد الأمين العام

١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ  
عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه :

( مَنْ كَانَ مُسْتَنًا فَلَيْسَتْ بِمُقَدَّمَاتٍ ، فَإِنَّ الْحَيَّ  
لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ ، أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم  
كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ أَبْرَهَا قُلُوبًا ، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا ،  
وَأَقْلَهَا تَكْلُفًا .. اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ  
دِينِهِ ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ ، وَاتَّبِعُوهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ ،  
وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَسَيَرِهِمْ ،  
فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ )

وَقَالَ الْإِمَامُ الرَّهْزِيُّ :

( فَعِلْمُ السَّيْرِ عِلْمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ )

## اسْتِفْتِاح

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ ذَوِي الْحِطِّ الْعَظِيمِ عَلَى تَدْوِينِ كُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِالنَّبِيِّ الرَّحِيمِ  
ذِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ ﷺ مِنْ أُمُورٍ شَرْعِيَّةٍ أَوْ شُؤُونٍ عَادِيَّةٍ بِطَرِيقَةٍ اسْتِعْيَابِيَّةٍ .  
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَّانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَعْظَمِ عُظَمَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ ،  
مُنْقِذِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَالَّذِي خَتَمَ اللَّهُ بِهِ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيَّةَ .. وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ تَسْمُو  
بِذِكْرِهِمْ حَيَاةَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمِيَّةَ .. وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ  
اخْتَارَهُمْ سُبْحَانَهُ لِرِفْقَتِهِ فَكَتَبَ لَهُمْ بِذَلِكَ السَّعَادَةَ الْأَزَلِيَّةَ ... أَمَّا بَعْدُ :

فَمِنَ الْوَاجِبِ الْمُتَحْتَمِّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ الْمُسَارَعَةَ فِي التَّعَرُّفِ عَلَى  
سِيرَةِ هَذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ مِنْ عَادَاتٍ ، وَعِبَادَاتٍ ، وَمُعَامَلَاتٍ ، وَالتِّي هِيَ  
مِفْتَاحُ الْأَسْوَةِ بِحَضْرَتِهِ ﷺ وَالتِّي يَحْرِيصُ عَلَيْهَا الْمُوَحِّدُونَ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي  
رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾  
وَأَكَّدَ عَلَى تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ مَوْلَانَا عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ أَمْرًا لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ .

وَإِذَا كَانَ الْحَقُّ جَلَّ فِي عُلَاهُ أُوجِبَ مَحَبَّةَ النَّبِيِّ ﷺ فَوْقَ مَحَبَّةِ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ ،  
وَالْأَزْوَاجِ وَالْعَشِيرَةِ ، وَالتَّجَارَةِ وَالْأَمْوَالِ ، وَأَوْعَدَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ تَحْقِيقِ ذَلِكَ  
بِالْعِقَابِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ  
وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا  
وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ  
فَتَرْتَضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَسْبَابَ الْمَحَبَّةِ تَرْجِعُ إِلَى أَنْوَاعِ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ وَالنُّوَالِ ، كَمَا قَرَّرَهُ  
الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرُهُ .

وَلِذَلِكَ كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يَتَعَرَّفَ إِلَى جَمَالِ هَذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ

وَمَحَاسِنِهِ الْخُلُقِيَّةِ ، وَكَمَالَاتِهِ النَّفْسِيَّةِ وَالرُّوْحِيَّةِ ، وَالْقَلْبِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ  
وَذَلِكَ لِإِنَّا لِمَقَامِ مَحَبَّتِهِ الصَّادِقَةِ ، لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ هِيَ سَبَبُ الْمَحَبَّةِ ، فَكَلَّمَا  
ازْدَادَتِ الْمَعْرِفَةُ بِمَحَاسِنِ الْمَحْبُوبِ زَادَتِ الْمَحَبَّةُ لَهُ ؛ وَذَلِكَ يَتَحَقَّقُ مِنْ خِلَالِ  
مَعْرِفَةِ سِيرَتِهِ ﷺ الَّتِي تُذَكِّرُ الْعَاقِلَ ، وَتُبِّهُ الْغَافِلَ ، وَتُعَلِّمُ الْجَاهِلَ .  
وَمِنْ هُنَا .. فَإِنَّ أَطْلَاعَ الْإِنْسَانِ عَلَى أَوْصَافِهِ ﷺ الْعَظِيمَةِ ، وَشَمَائِلِهِ الْكَرِيمَةِ ،  
لِيُعْطِيَ صُورَةَ عِلْمِيَّةً تَنْطَبِعُ فِي الْقَلْبِ ، وَتَرْتَسِمُ فِي الْمُخَيَّلَةِ ، كَأَنَّهُ قَدْ رَأَى  
مَحْبُوبَهُ ﷺ .

وَمِنْ هُنَا .. كَانَ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ عَلَيْنَا ، وَلَا سِيَّامَا فِي هَذَا الْعَصْرِ أَنْ نُوجِّهَ  
عِنَايَتَنَا إِلَى دِرَاسَةِ سِيرَةِ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ،  
وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ ، وَنَبْدُلَ طَاقَتَنَا فِي مَعْرِفَةِ جَوَانِبِهَا الْمُشْرِقَةِ ، وَمَوَاطِنِهَا  
الْمُتَعَدِّدَةِ الْمُشْتَمَلَةِ عَلَى جَمِيعِ مَنَاحِي الْحَيَاةِ حَتَّى نَتَمَكَّنَ مِنْ فَهْمِ أَحْكَامِ دِينِنَا ؛  
وَمَعْرِفَةِ مَا يُصْلِحُ أَمْرَنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا ، بِإِعْتِبَارِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ هُوَ الْمَثَلُ  
الْأَعْلَى فِي الْخُلُقِ الْفَاضِلِ ، وَالْكَمَالِ الْوَاقِعِ ، وَالْأَسْوَةُ الْحَسَنَةُ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ ؛ فَلَا نَكُونُ مُغَالِبِينَ إِذَا قُلْنَا إِنَّ دِرَاسَةَ سِيرَتِهِ ﷺ مِنْ أَوْجِبِ  
الْوَاجِبَاتِ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ يَرْجُو سَلَامَةَ دِينِهِ ، وَالْخَيْرَ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ .

وَلَمْ لَا ؛ وَهُوَ ﷺ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ الَّذِي يَسَعُ الْخَلْقَ أَجْمَعِينَ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا  
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ : أَرْسَلَهُ اللَّهُ خَاتَمًا لِلنَّبِيِّاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَإِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ  
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَهُوَ مِثَالُهُمْ ، وَدِينُهُ يُخَاطَبُ النَّاسَ أَجْمَعِينَ .

لِهَذَا عُنِيَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ بِجَمْعِ كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَأَبْصَرُوهُ وَوَقَفُوا عَلَيْهِ مِنْ  
أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَخْبَارِهِ وَتَقْرِيرَاتِهِ ﷺ ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي ذَلِكَ ظَهِيرًا ،  
إِذْ بَلَغَ حِرْصُهُمْ فِي التَّحَرِّيِ وَالتَّقْصِيِ أَنْ يَتَقَاسَمُوا الْعَمَلَ وَالْحُضُورَ إِلَى مَجْلِسِهِ  
ﷺ ، فَكَانَ الْأَخُ وَأَخُوهُ يَتَبَادَلَانِ الْعَمَلَ ؛ أَحَدُهُمَا يَذْهَبُ إِلَى الْعَمَلِ وَالثَّانِي  
يَجْلِسُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِعُ الذِّكْرَ ، وَيَتَلَقَّى الْعِلْمَ بِسَمْعِهِ وَيَبْصُرُهُ وَقَلْبَهُ .



فِيَلْتَقِيَانِ ، فَيُخْبِرُ صَاحِبَهُ بِمَا رَأَى وَبِمَا سَمِعَ .

وَتَلْقَى التَّابِعُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَا وَعَتَهُ قُلُوبُهُمْ فَاسْتَعَانُوا بِهِ فِي فَهْمِ  
أَحْكَامِ دِينِهِمْ وَشُؤُونِ دُنْيَاهُمْ ، ثُمَّ نَقَلُوهُ إِلَيْنَا مُسْنَدًا مُوثِقًا ، مُرْتَبًا مُهَدَّبًا فِي  
تَصَانِيفٍ كَثِيرَةٍ لَا تَكَادُ تُحْصَى .

وَقَدْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى ضَرُورَةٍ فَصَلِّ الْعُلُومِ عَنْ بَعْضِ حَتَّى يَسْهُلَ عَلَى كُلِّ مُؤَلِّفٍ أَنْ  
يَجْمَعَ مَا تَحَصَّلَ عَلَيْهِ مِنَ الْعُلُومِ فِي سِفْرِ مُسْتَقِلٍّ تَحْتَ عُنْوَانِ جَامِعٍ لِمَسَائِلِهِ ،  
وَلِيَسْهُلَ بِالتَّالِي عَلَى كُلِّ طَالِبٍ أَنْ يَجِدَ بُغْيَتَهُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ فِي مَظَانِّهَا ،  
فَانْفَصَلَ عِلْمُ التَّفْسِيرِ عَنِ عِلْمِ الْحَدِيثِ ، وَانْفَصَلَ عِلْمُ الْحَدِيثِ عَنِ عِلْمِ الْفِقْهِ  
انْفِصَالًا اصْطِلَاحِيًّا ، وَلَيْسَ انْفِصَالًا حَقِيقِيًّا ؛ لِأَنَّهَا جَمِيعًا تَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ  
وَاحِدَةٍ ، وَتَصُبُّ فِي وَعَاءٍ وَاحِدٍ .

وَبِجَانِبِ هَذِهِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ نَشَأَ عِلْمُ السِّيَرِ  
وَالْمَغَازِي ؛ وَهُوَ عِلْمٌ يُعْنَى بِدِرَاسَةِ أَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ  
وَأَتْبَاعِهِمْ ، وَمَا وَقَعَ لَهُمْ وَمَا وَقَعَ مِنْهُمْ ، وَمَا تَحَلَّوْا بِهِ مِنَ النُّعُوتِ الْجَمِيلَةِ ،  
وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، وَيُبْرِزُ آثَارَهُمُ الْمُشْرِفَةَ فِي مَجَالِ الدَّعْوَةِ وَالْإِرْشَادِ ،  
وَالْإِصْلَاحِ وَالْجِهَادِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آفَاقِ الْحَيَاةِ .

وَحَيْثُ إِنَّ الْحَقَّ جَلَّ فِي عِلَاةٍ .. اخْتَصَّ طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا وَارْتَضَاهُ ، وَوَعَدَ بَنِي  
الْإِنْسَانِ كَافَّةً إِذَا مَا التَزَمُوهُ السَّعَادَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْآخِرَوِيَّةَ ؛ أَلَا وَهُوَ اتِّبَاعُ سُنَّةِ نَبِيِّهِ  
السَّنِيَّةِ .. وَمَعْرِفَةُ سِيرَتِهِ الْمَرْضِيَّةِ .

لِذَا صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي سِيرَتِهِ ﷺ وَفِي عَادَاتِهِ وَعِبَادَاتِهِ  
الْمُخْتَصَرَ وَالْمَطْوَلَ ، وَالْفَوْا فِيهَا الْمُجْمَلَ وَالْمُفَصَّلَ .. فَانْتَقَيْتُ مِنْ مَجْمُوعِ مَا  
صَنَّفُوهُ ، وَاصْطَفَيْتُ مِنْ مَحْضُولِ مَا أَلْفُوهُ ، نُبْذَةً كَافِيَةً شَافِيَةً ، لَخَصَّتْهَا مِمَّا  
صَحَّ مِنَ الْأَخْبَارِ ، وَاشْتَهَرَ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالْآثَارِ ، مِمَّا أَكْثَرُهُ فِي  
( الصَّحِيحَيْنِ ) أَوْ فِي أَحَدِهِمَا ، أَوْ فِي غَيْرِهِمَا مِنَ الْأَصُولِ الْمُعْتَمَدَةِ كَالسُّنَنِ

الأربعة ( لأبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ) ، وكموطاً الإمام مالك ، ومُسند الإمام أحمد ، وسُنن ودلائل النبوة للبيهقي ، وكسيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وعيون الأثر لابن سيّد الناس وشفاء القاضي عياض ، وسيرة الحلبي ، ومواهب القسطلاني ، وإحياء الغزالي والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني .. رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

ولم أهمل الكتابات الحديثة في السيرة النبوية ، فتوقفت عند كثير منها .  
وبدلت طاقتي في ضبط الكلمات حتى تكون السيرة أداة من أدوات تقويم اللسان ، واستقامة البيان ؛ رجاء أن ينتفع بذلك إنسان آخر الزمان .  
فظهر بحمد الله تعالى كتاباً عظيماً الوقع ، جمّ الفوائد ، كثير النفع ، صغير الحجم ، كثير العلم ، مُستملاً على ما يزيد في الإيمان من الكلم الطيب العذب ويحيي القلب إحياء المطر الصيب للبلد الجدب :

( أومن كان ميتاً فأحييناهُ وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس )  
فأسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم أن يجعله سبباً لمحبتة ومحبة رسوله خير هاد .. وأن ينفعني والمسلمين به ويحققنا بقوله تعالى ( فبشر عباد ) .

وَسِعِدَ اللهُ سَعَاداً

المدينة المنورة

الإثنين ٢٢ جمادى الثانية ١٤٢٩ هـ  
المبارك ١٧ يونيو (حزيران) ٢٠٠٨ م

حَالَةُ الْإِنْسَانِ .. الْمُتَقَدِّمَةُ عَلَى ظُهُورِ نَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ ﷺ

قَدْ افْتَضَتْ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ . وَسُنَّتُهُ فِي الْأَكْوَانِ . أَنَّ صَلَاحَ بَيَّةِ الْإِنْسَانِ ، سَوَاءً مَا يُقَلُّهُ مِنْ مَكَانٍ أَوْ مَا يَحُدُّهُ مِنْ زَمَانٍ مَرهُونٌ بِإِذْعَانِ الْإِنْسَانِ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الدِّيَّانِ .

إِنَّ أَصْلَ أُصُولِ الدِّينِ الْإِبْرَاهِيمِيَّ كَانَ هُوَ التَّوْحِيدَ الْخَالِصَ . وَلَكِنَّ هَذَا الْأَصْلَ قَدْ تَلَوَّتْ بِالشَّرْكِ بِسَبَبِ مُرُورِ الزَّمَنِ وَامْتِدَادِهِ . وَشُيُوعِ الْجَهْلِ وَاسْتِحْكَامِهِ . حَيْثُ عُبِدَتِ الْأَصْنَامُ فِي بَيْتِ اللَّهِ نَفْسِهِ .

وَيُذَكَّرُ أَنَّ عَمْرُو بْنَ لُحَيٍّ ( رَيْسَ خُزَاعَةَ ) هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ هَذِهِ السُّنَّةَ السَّيِّئَةَ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ ؛ وَذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِ . فَلَمَّا قَدِمَ ( مَابَ ) وَهِيَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ وَبِهَا يَوْمِيذُ الْعَمَالِيقِ وَهُمْ مِنْ وَلَدِ عَمَلِاقِ .. رَأَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ فَقَالَ لَهُمْ : مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي أَرَاكُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا لَهُ هَذِهِ أَصْنَامٌ نَعْبُدُهَا ؛ نَسْتَمْطِرُهَا فَتُمْطِرُنَا ، وَنَسْتَنْصِرُهَا فَتَنْصِرُنَا ، فَقَالَ لَهُمْ : أَفَلَا تُعْطُونِنِي مِنْهَا صَنْمًا . فَأَسِيرَ بِهِ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ فَيَعْبُدُوهُ ؟ فَأَعْطَوْهُ صَنْمًا يُقَالُ لَهُ : هُبَلٌ .. فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ فَنَصَبَهُ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ .<sup>(١)</sup>

وَيُذَكَّرُ أَيْضًا أَنَّ أَوَّلَ مَا كَانَتْ عِبَادَةُ الْجِجَارَةِ فِي بَنِي إِسْمَاعِيلَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَظْمَنُ مِنْ مَكَّةَ ظَاعِنٌ ( مُسَافِرٌ ) مِنْهُمْ - حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ وَالتَّمَسُوا الضُّحْحَةَ فِي الْبِلَادِ - إِلَّا حَمَلَ مَعَهُ حَجْرًا مِنْ جِجَارَةِ الْحَرَمِ تَعْظِيمًا لِلْحَرَمِ . فَحَيْثُمَا نَزَلُوا وَضَعُوهُ ، فَطَافُوا بِهِ كَطَوَافِهِمْ بِالْكَعْبَةِ . حَتَّى وَصَلَ بِهِمُ الْحَالُ إِلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ مَا اسْتَحْسَنُوا مِنَ الْجِجَارَةِ وَأَعْجَبَهُمْ ، وَاسْتَبَدَّلُوا بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ( عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ) دِينًا غَيْرَهُ ؛ فَعَبَدُوا الْأَوْثَانَ وَصَارُوا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّمُ قَبْلَهُمْ مِنَ الضَّلَالَاتِ .

وَوَضَّاعًا فِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ بَقَايَا مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَمَسَّكُونَ بِهَا ؛ مِنْ تَعْظِيمِ الْبَيْتِ وَالطَّوَافِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى عَرَفَةَ وَالْمُزْدَلِفَةَ ، وَهَدْيِ الْبُذْنِ ،

(١) سيرة ابن هشام . كتاب الأصنام لـ ( ابن الكلبي ) .

وَالْإِهْلَالِ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ، مَعَ إِدْخَالِهِمْ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ؛ فَكَانَتْ كِنَانَةً وَقُرَيْشٌ إِذَا أَهَلُّوا قَالُوا : ( لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ ، تَمَلَّكَهُ وَمَا مَلَكَ ) ، فَيُوحِّدُونَهُ بِالتَّلْبِيَةِ ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ مَعَهُ أَصْنَامَهُمْ .. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (١) ، أَيُّ مَا يُوحِّدُونَنِي لِمَعْرِفَةِ حَقِّي إِلَّا جَمَلُوا مَعِيَ شَرِيكًا مِنْ خَلْقِي .

وَكَانَتْ التَّلْبِيَةُ مِنْ عَهْدِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ( لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ) ، حَتَّى كَانَ عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ : فَبَيْنَمَا هُوَ يُلَبِّي تَمَثَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ يُلَبِّي مَعَهُ .. فَقَالَ عَمْرُو : لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : تَمَلَّكَهُ وَمَا مَلَكَ ، فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهَذَا ، فَقَالَهَا عَمْرُو ، فَدَانَتْ بِهَا الْعَرَبُ (٢) .

وَمِنْ أَسْمَاءِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي اتَّخَذَهَا الْعَرَبُ إِلَهَةً يَعْكُفُونَ عَلَيْهَا ، وَيَلْتَجِئُونَ إِلَيْهَا ، وَيُطُوفُونَ حَوْلَهَا وَيَسْجُدُونَ لَهَا ، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهَا بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْقَرَابِينِ ، وَيَذْبَحُونَ وَيَنْحَرُونَ لَهَا بِأَسْمَائِهَا : اللَّاتُ .. الْعُزَّى .. مَنَاة .. هُبَلٌ .. وَدٌّ .. سُوَاعٌ .. يَغُوثٌ .. يَعُوقٌ .. نَسْرٌ .. عُمَيَانِسٌ .. سَعْدٌ .. إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ .

وَلَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ ، وَجَدَ حَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثِمِائَةً وَسِتِّينَ صَنَمًا فَجَعَلَ يَطْعُمُهَا حَتَّى تَسَاقَطَتْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ مِنَ الْمَسْجِدِ وَحُرِّقَتْ . وَهَكَذَا صَارَ الشِّرْكَ وَعِبَادَةُ الْأَوْثَانِ أَكْبَرَ مَظْهَرِ يَدِينُ بِهِ إِنْسَانُ الْجَاهِلِيَّةِ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْإِمَامِ الْبُوصَيْرِيِّ الَّذِي وَصَفَ حَالَةَ الْأَدْيَانِ قَبْلَ بَعْثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلًا :

قَبْلَهُ عَمَّتِ الْبَرَايَا جَهَالَاتٌ \* وَضَلَّ الْمَرْؤُسُ وَالرُّؤْسَاءُ  
لَا حَرَامٌ وَلَا حَلَالٌ وَلَا دِينٌ \* صَحِيحٌ وَلَا هُدًى وَاهْتِدَاءُ  
كَانَ فِي النَّاسِ مِلَّتَانِ وَكُلٌّ \* مِنْهُمَا مِثْلُ أُخْتِهَا عَوْجَاءُ  
أَهْلُ أَصْنَامِهِمْ وَأَهْلُ كِتَابٍ \* شَيْخُهُمْ فِي دُرُوسِهِ الْغَوَاءُ  
بَدَلُوهُ وَحَرَّفُوهُ وَزَادُوا \* فِيهِ مَا شَاءَ مِنْ ضَلَالٍ وَشَاءُوا

فَهُمْ يَخْبِطُونَ فِيهِ وَهَلْ \* تُبْصِرُ رُشْدًا بِخَبْطِهَا الْعَشْوَاءُ ؟  
 بَيْنَمَا الْكُفْرُ هَكَذَا أَحْرَقَ الْخُلُقَ \* لَظَاهُ وَاشْتَدَّتِ الظُّلْمَاءُ  
 وَاشْتَكَّتْ كَعْبَةُ الْإِلَهِ أَدَاهُمْ \* وَاشْتَكَّتْ مِنْ شُرِكِهِمْ إِبِلِيَاءُ (١)  
 أَطْلَعَ اللَّهُ شَمْسَ أَحْمَدٍ فِي الْأَرْضِ \* فَعَمَّتْ أَقْطَارَهَا الْأَضْوَاءُ

هَكَذَا كَانَ الْحَالُ السَّائِدُ فِي وَجْدَانِ الْإِنْسَانِ الْعَرَبِيِّ ، اللَّهُمَّ إِلَّا بَعْضَ الْحَالَاتِ  
 النَّادِرَةِ الَّتِي مازَالَ فِي أَصْحَابِهَا بَقِيَّةٌ مِنْ تَعَقُّلٍ وَتَدَبُّرٍ .

فَقَدْ تَبَيَّنَتْ بِرَوَايَاتٍ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ كَانَ فِي الْعَرَبِ ( وَخَاصَّةً مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ) أَشْخَاصٌ  
 أَنْكَرُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَكَانُوا يَبْحَثُونَ عَنِ الْمِلَّةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ ، وَهَذَا لِأَنَّهُ قَدْ  
 اقْتَرَبَ وَقْتُ ظُهُورِ مُجَدِّدِ الْمِلَّةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ .

فَفِي ذَاتِ مَرَّةٍ ( قَبْلَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِفِتْرَةٍ وَجِيزَةٍ ) : كَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ،  
 وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعَشٍ ، وَعُثْمَانُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ تَفِيلٍ فِي احْتِفَالِ  
 سَنَوِيٍّ لِأَحَدِ الْأَصْنَامِ ، وَفَجَاءَ هَذَا الْإِعْتِقَادُ فِي قُلُوبِهِمْ : مَا هَذَا الْجَهْلُ ؟  
 نَنَحْنِي أَمَامَ حَجَرٍ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضُرَّ بِأَحَدٍ وَلَا أَنْ يَنْفَعُ  
 آخَرَ !! .. وَكَانُوا أَرَبْتَهُمْ مِنْ قَبِيلَةِ قُرَيْشٍ ؛ فَكَانَ وَرَقَةُ بْنُ عَمِّ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ  
 ﷺ ، وَكَانَ زَيْدُ عَمِّ عُمَرَ ﷺ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعَشٍ ابْنُ أُخْتِ حَمْزَةَ ﷺ ،  
 وَعُثْمَانُ حَفِيدَ عَبْدِ الْعَزَى .

ذَهَبَ زَيْدٌ إِلَى الشَّامِ لِلْبَحْثِ عَنِ الدِّينِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ ، وَهُنَاكَ التَّمَى بِقَسَاوِسَةِ  
 الْمَسِيحِيِّينَ وَحَاخَامَاتِ الْيَهُودِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ ضَالَّتَهُ عِنْدَ أَيِّ أَحَدٍ ، لِذَا اِكْتَفَى  
 بِهَذَا الْإِعْتِقَادِ الْإِجْمَالِيِّ وَهُوَ : ( أُوْمِنُ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ ) .

وَرَدَّتْ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ( بَابُ قَبْلِ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ ) رِوَايَةٌ عَنِ السَّيِّدَةِ أَسْمَاءَ  
 بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ﷺ : ( رَأَيْتُ زَيْدًا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَقُولُ لِلنَّاسِ مُتَكَبِّئًا  
 عَلَى الْكَعْبَةِ : يَا أَهْلَ قُرَيْشٍ ! لَا يُوجَدُ أَيُّ شَخْصٍ مِنْ بَيْنِكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ  
 غَيْرِي ) .

كَانَ الْعَرَبُ يَدْفُنُونَ الْبَنَاتِ أَحْيَاءً ، وَكَانَ زَيْدٌ هُوَ أَوَّلُ شَخْصٍ خَالَفَ هَذِهِ الْعَادَةَ ، وَحِينَ كَانَ يُقَدِّمُ أَيُّ أَحَدٍ عَلَى مِثْلِ هَذَا كَانَ زَيْدٌ يَذْهَبُ إِلَيْهِ وَيَطْلُبُ هَذِهِ الْفِتَاةَ وَيَقُومُ هُوَ بِتَرْبِيَّتِهَا .

وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَدْ شَاهَدَ زَيْدًا قَبْلَ الْبِعْثَةِ وَصَحَبَهُ . وَأَنَّ وَرَقَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَعُثْمَانَ قَدْ تَرَكُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَاعْتَنَقُوا الْمَسِيحِيَّةَ .

وَقَرِيبٌ مِنْ هَذِهِ الْفِتْرَةِ خَالَفَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ( وَالَّذِي كَانَ رَئِيسًا لِلطَّائِفِ وَشَاعِرًا مَشْهُورًا ) عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ ؛ كَتَبَ الْحَافِظُ ابْنَ حَجَرَ بِسَنَدِ ( زُبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ ) فِي كِتَابِ الْإِصَابَةِ : أَنَّ أُمِيَّةَ كَانَ قَدْ قَرَأَ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَاعْتَنَقَ الدِّينَ الْإِبْرَاهِيمِي .

هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَالْمَجُوسِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ مَوْجُودَةً بَيْنَ الْعَرَبِ مِنْ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ ؛ وَقَدْ كَتَبَ الْعَلَامَةُ ( ابْنُ قُتَيْبَةَ ) فِي الْمَعَارِفِ : أَنَّ قَبَائِلَ رَيْبَعَةَ وَعَسَانَ كَانَتْ نَصْرَانِيَّةً ؛ وَيُوجَدُ أَثَرٌ لِهَذَا الدِّينِ فِي قِضَاعَةَ .

وَكَانَتْ النَّصْرَانِيَّةُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى قَدَرٍ كَبِيرٍ مِنَ التَّوَّاجِدِ ، حَتَّى وَجَدَ أَنَاسٌ فِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ نَفْسَهَا كَ ( وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ) يَسْتَطِيعُ قِرَاءَةَ الْإِنْجِيلِ بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ وَكَانَ هُنَاكَ أَنَاسٌ قَدْ ذَهَبُوا إِلَى الشَّامِ وَدَرَسُوا بِهَا .

وَكَانَتْ قَبَائِلُ حَمِيرَ ، وَبَنِي كِنَانَةَ ، وَبَنِي حَرِثِ بْنِ كَعْبٍ ، وَكِنْدَةَ يَهُودِيَّةً ، وَكَانَ لِلْيَهُودِ الْفَلْبَةَ السَّاحِقَةَ فِي يَثْرِبَ ( الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ ) ، وَكَانَتْ بِهَا حَلَقَاتُ دَرَسٍ مُخْتَلِفَةٌ لِتَدْرِيسِ التَّوْرَةِ ، وَكَانَ كُلُّ سُكَّانِ قَلْعَةِ خَيْبَرَ يَهُودًا ، وَكَانَ ( سَمُوِيلُ بْنُ عَادٍ ) الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ وَالْمُعَاصِرُ لِأَمْرِيءِ الْقَيْسِ ، وَالَّذِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِوَفَائِهِ إِلَى الْيَوْمِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ يَهُودِيًّا .

وَكَانَتْ قَدْ رَاجَتْ رِوَايَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ بِقَدَرٍ كَبِيرٍ ، لِدَرَجَةِ أَنَّهُ حِينَ كَانَ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَيُذَكَّرُ فِيهِ وَقَائِعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

يُسِيءُ الْمُشْرِكُونَ الظَّنَّ ، وَيَقُولُونَ يَعْلَمُكَ أَحَدُ الْيَهُودِ أَوْ النَّصَارَى ، وَقَدْ أَبْطَلَ  
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا الِاعْتِقَادَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ  
إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ  
عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (١) .

كَانَتْ قَبِيلَةُ تَمِيمٍ وَالَّذِي كَانَ رَئِيسَهَا زُرَّارَةُ التَّمِيمِيُّ مَجُوسِيَّةً ، وَكَانَ الْأَقْرَعُ بْنُ  
حَابِسٍ مَجُوسِيًّا أَيْضاً (٢) .

وهنا يلجُ سؤالٌ : هل أصلحت هذه الأديان شيئاً في العرب ؟

والجوابُ يتَّضحُ باستِقْرَاءِ الواقعِ الإنساني والاجتماعي السائدِ آنذاك : فمن  
النَّاحِيَةِ العقائديَّةِ حَدَّتِ النَّصْرَانِيَّةُ مِنْ كَثْرَةِ الْإِلَهَةِ وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ عَدُّهَا عَنْ  
ثَلَاثَةِ .

وكانت تُقدِّمُ قَرَابِينَ بَشَرِيَّةً لِلْأَصْنَامِ ، كَمَا يَرِثُ الْابْنُ زَوْجَةَ أَبِيهِ ، كَمَا كَانَ يَجُوزُ  
زَوَاجُ الْأَخْتَيْنِ الشَّقِيقَتَيْنِ مَعاً ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ حَدٍّ لِتَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ ، وَكَانَ  
لِعَبِّ الْقَمَارِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالزَّنا رَاجِعاً بَيْنَ النَّاسِ ، وَوَصَلَ عَدَمُ الْحَيَاءِ إِلَى حَدِّ  
كَبِيرٍ جَعَلَ الشَّاعِرَ الْمَشْهُورَ امْرَأَ الْقَيْسِ ( وَالَّذِي كَانَ أَمِيرًا أَيْضاً ) يُوضِّحُ فِي  
قَصِيدَتِهِ فِصَّةً إِثْمَهُ بِمُتَمِّعَةٍ مَعَ ابْنَةِ عَمَّتِهِ ، وَكَانَتْ تُعَلِّقُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ عَلَى الْكَعْبَةِ .  
كَانَ مِنَ الْجَائِزِ اسْتِبَاحَةَ حَرْقِ النَّاسِ أَحْيَاءً فِي الْحُرُوبِ ، وَشَقُّ بَطُونِ النِّسَاءِ ،  
وَرَفْعُ الْأَطْفَالِ الْأَبْرِيَاءِ عَلَى أَسِنَّةِ السُّيُوفِ .

وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْوَضْعُ يَسُودُ عِنْدَ الْعَرَبِ وَحَدَهُمْ ؛ بَلْ كَانَ هَذَا الظُّلَامُ يُسَدُّ  
سِتَارَهُ عَلَى الدُّنْيَا بِأَسْرِهِا .. أَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ حَاجَةٌ إِلَى شَمْسٍ مُشْرِقَةٍ فِي هَذَا  
الظُّلَامِ الشَّامِلِ ، وَهَذِهِ الظُّلْمَةُ وَالسَّوَادُ الْحَالِكُ الْعَالَمِي ؟ إِنَّ أَسَّ الْفَسَادِ يَكْمُنُ  
فِي الْعَقِيدَةِ ، وَالتِّي بِفَسَادِهَا فَسَدَ حَالُ الْإِنْسَانِ اجْتِمَاعِيًّا وَاِقْتِصَادِيًّا وَخُلُقِيًّا .

فَفِي الْجَانِبِ الْاجْتِمَاعِيِّ : انْتَشَرَتْ حَالَاتُ الْاِخْتِلَاطِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ ، وَالتِّي

(٢) معارف ابن قتيبة .

(١) سورة النحل ( الآية ١٠٣ ) .

لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُعْبِرَ عَنْهَا إِلَّا بِالِدَّعَارَةِ وَالْمُجُونِ وَالسَّفَاحِ وَالْفَاحِشَةِ .

أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها : ( أَنَّ النِّكَاحَ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْعَاءَ : فَكَانَ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ ، يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلَيْتَهُ فَيُصَدِّقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا .. وَنِكَاحُ آخَرَ : كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهَّرَتْ مِنْ طَمَئِئِهَا أَرْسَلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجَهَا وَلَا يَمَسُّهَا أَبَدًا حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ . فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِنْ أَحَبَّ ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الْوَلَدِ ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ يُسَمَّى نِكَاحَ الْاسْتِبْضَاعِ .

وَنِكَاحُ آخَرَ : يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ دُونَ الْعَشْرَةِ ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا ، فَإِذَا حَمَلَتْ : وَوَضَعَتْ وَمَرَّتْ لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا ، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا ، فَتَقُولُ لَهُمْ : قَدْ عَرَفْتُمْ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَدَدْتُ ، وَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلَانُ ، فَتُسَمَّى مَنْ أَحَبَّتْ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا ، . وَنِكَاحُ رَابِعٌ : يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا ، وَهُنَّ الْبَغَايَا ، كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ ، تَكُنُّ عِلْمًا لِمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ ، فَإِذَا حَمَلَتْ فَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جَمَعُوا لَهَا ، وَدَعَا لَهُمُ الْقَافَّةُ ( الَّذِينَ يَقْتَتُونَ الْأَثَرَ وَيَعْرِفُونَ شَبَهَ الْوَلَدِ بِالْوَالِدِ بِالسَّمَاتِ الْخَفِيَّةِ ) ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرُونَ وَدَعَى ابْنَهُ ، لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ .

(١)  
فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا هَدَمَ نِكَاحَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ) .  
وَكَانَتْ عِنْدَهُمْ اجْتِمَاعَاتٌ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ تَعْقِدُهَا شِفَارُ السُّيُوفِ ، وَأَسِنَّةُ الرَّمَاحِ ، فَكَانَ الْمُتَغَلَّبُ فِي حُرُوبِ الْقَبَائِلِ يَسْبِي نِسَاءَ الْمُقَهَّورِ فَيَسْتَحِلُّهَا .  
وَيَلْحَقُ الْأَوْلَادَ الَّذِينَ تَكُونُ هَذِهِ أُمَّهُمُ الْعَارُ مَدَّةَ حَيَاتِهِمْ .  
وَكَانَ مِنَ الْمَعْرُوفِ فِي أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُعَدُّونَ الزَّوْجَاتِ مِنْ غَيْرِ حَدٍّ

(١) أَبُو دَاوُدَ ( كِتَابُ النِّكَاحِ ) : بَابُ وَجْهِ النِّكَاحِ الَّتِي كَانَ يَنْكَحُ بِهَا أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ .



مَعْرُوفٍ يَنْتَهِي إِلَيْهِ ، وَكَانُوا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ ، وَكَانُوا يَتَزَوَّجُونَ بِزَوْجَاتِ  
آبَائِهِمْ إِذَا طَلَّقُوها أَوْ مَاتُوا عَنْهَا ، وَكَانَ الطَّلَاقُ بَيْنَ الرَّجَالِ لَا حَدَّ لَهُ ، وَهَذَا  
الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي سَبَبِ نَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ .

وَكَانَتْ فَاحِشَةُ الزَّنا سَائِدَةً فِي جَمِيعِ الْأَوْسَاطِ ، لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَخُصَّ مِنْهَا وَسَطاً  
دُونَ وَسَطٍ أَوْ صِنْفاً دُونَ صِنْفٍ ، إِلَّا أَفْرَاداً مِنَ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِمَّنْ كَانَ تَعَاظُمُ  
نُفُوسِهِمْ يَأْبَى الْوُقُوعَ فِي هَذِهِ الرَّذِيلَةِ ، وَكَانَتْ الْحَرَاثِرُ أَحْسَنَ حَالاً مِنَ الْإِمَاءِ  
وَالطَّامَةِ الْكُبْرَى هِيَ الْإِمَاءُ ، وَيَبْدُو أَنَّ الْأَعْلِيَّةَ السَّاحِقَةَ مِنَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ  
تَكُنْ تُحْسِبُ بَعَارٍ فِي الْإِنْتِسَابِ إِلَى هَذِهِ الْفَاحِشَةِ ؛ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَمْرِو بْنِ  
شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَاناً ابْنِي ،  
عَاهَرْتُ بِأُمِّهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( لَا دَعْوَةَ فِي الْإِسْلَامِ ، ذَهَبَ  
أَمْرُ الْجَاهِلِيَّةِ ، الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْمَآهِرِ الْحَجَرُ ) .

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَبْدُ الْبَنَاتِ خَشِيَةَ الْعَارِ وَالْإِنْفَاقِ ، وَيَقْتُلُ الْأَوْلَادَ خَشِيَةَ الْفَقْرِ  
وَالْإِمْلَاقِ ، وَلَكِنْ لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَعُدَّ هَذَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُنتَشِرَةِ السَّائِدَةِ ، فَقَدْ  
كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ احْتِيَاجاً إِلَى الْبَنِينَ لِيَتَّقُوا بِهِمُ الْعَدُوَّ .

أَمَّا مُعَامَلَةُ الرَّجُلِ مَعَ أَخِيهِ وَأَبْنَاءِ عَمِّهِ وَعَشِيرَتِهِ فَقَدْ كَانَتْ مُوَطَّئَةً قَوِيَّةً ، فَقَدْ  
كَانُوا يَحْيُونَ لِلْعَصَبِيَّةِ الْقَبِيلِيَّةِ ، وَيَمُوتُونَ لَهَا ، وَكَانَتْ رُوحُ الْاجْتِمَاعِ سَائِدَةً بَيْنَ  
الْقَبِيلَةِ الْوَاحِدَةِ تَزِيدُهَا الْعَصَبِيَّةُ ، وَكَانَ أَسَاسُ النِّظَامِ الْاجْتِمَاعِيِّ هُوَ الْعَصَبِيَّةُ  
الْجَنْسِيَّةُ وَالرَّجْمُ ، وَكَانُوا يَسِيرُونَ عَلَى الْمَثَلِ السَّائِرِ : ( انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ  
مَظْلُوماً ) عَلَى الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ ، مِنْ غَيْرِ التَّمْدِيلِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ مِنْ أَنَّ  
نَصْرَ الظَّالِمِ كَفُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ ، إِلَّا أَنَّ التَّنَافُسَ فِي الشَّرَفِ وَالسُّؤْدَدِ كَثِيراً مَا كَانَ  
يُفْضِي إِلَى الْحُرُوبِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي كَانَ يَجْمَعُهَا أَبٌ وَاحِدٌ ، كَمَا نَرَى ذَلِكَ بَيْنَ  
الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، وَعَبْسِ وَذُبْيَانَ ، وَبَكْرِ وَقَلْبِ وَغَيْرِهَا .

أَمَّا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْمُخْتَلِفَةِ فَقَدْ كَانَتْ مُفَكِّكَةً الْأَوْصَالِ تَمَاماً ، وَكَانَتْ

فَوَاهِمٌ مُتَفَانِيَةٌ فِي الْحُرُوبِ إِلَّا أَنَّ الرَّهْبَةَ وَالْوَجَلَ مِنْ بَعْضِ التَّقَالِيدِ وَالْعَادَاتِ  
الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَ الدِّينِ وَالْخُرَافَةِ رُبَّمَا كَانَ يُخَفِّفُ مِنْ حَدِيثِهَا وَصِرَامَتِهَا وَفِي بَعْضِ  
الْحَالَاتِ كَانَتِ الْمُوَالَاةُ وَالْحَلْفُ وَالتَّبَعِيَّةُ إِلَى اجْتِمَاعِ الْقَبَائِلِ الْمُتَغَايِرَةِ ، وَكَانَتِ  
الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ رَحْمَةً وَعَوْنًا لَهُمْ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَحُصُولِ مَعَايِشِهِمْ .

وَقُصَارَى الْكَلَامِ أَنَّ الْحَالَةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ كَانَتْ فِي الْحَضِيضِ مِنَ الضَّعْفِ وَالْعِمَايَةِ  
فَالْجَهْلُ ضَارِبٌ أَطْنَابَهُ ، وَالْخُرَافَاتُ لَهَا جَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ وَالنَّاسُ يَعِيشُونَ كَالْأَنْعَامِ ،  
وَالْمَرْأَةُ تَبَاعُ وَتُشْتَرَى وَتُعَامَلُ كَالْجِمَادَاتِ أحياناً ، وَالْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْأُمَّةِ وَاهِيَةٌ  
مَبْتُوتَةٌ .

وَفِي الْجَانِبِ الْاِقْتِصَادِيِّ :

أَمَّا الْحَالَةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ فَتَبِعَتِ الْحَالَةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ إِذَا نَظَرْنَا فِي  
طُرُقِ مَعَايِشِ الْعَرَبِ : فَالتَّجَارَةُ كَانَتْ أَكْبَرَ وَسَبِيلَةَ لِلْحُصُولِ عَلَى حَوَائِجِ الْحَيَاةِ  
وَالْجَوْلَةُ التَّجَارِيَّةُ لَا تَتَيَسَّرُ إِلَّا إِذَا سَادَ الْأَمْنُ وَالسَّلَامُ ، وَكَانَ ذَلِكَ مَقْشُوداً فِي  
جَزِيرَةِ الْعَرَبِ إِلَّا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ : وَهَذِهِ هِيَ الشُّهُورُ الَّتِي كَانَتْ تُعَقَدُ فِيهَا  
أَسْوَاقُ الْعَرَبِ الشَّهِيرَةُ مِنْ عُكَاظِ وَذِي الْمَجَازِ وَمَجَنَّةَ وَغَيْرِهَا .

وَأَمَّا الصَّنَاعَاتُ فَكَانُوا أَبْعَدَ الْأَمَمِ عَنْهَا ، وَمُعْظَمُ الصَّنَاعَاتِ الَّتِي كَانَتْ تُوجَدُ  
فِي الْعَرَبِ مِنَ الْحِيَاكَةِ وَالدَّبَاغَةِ وَغَيْرِهَا كَانَتْ فِي أَهْلِ الْيَمَنِ وَالْحِيْرَةِ  
وَمَشَارِفِ الشَّامِ ، نَعَمْ .. كَانَتْ فِي دَاخِلِ الْجَزِيرَةِ الزَّرَاعَةُ ، وَالْحَرْثُ ، وَاقْتِنَاةُ  
الْأَنْعَامِ ، وَكَانَتِ نِسَاءُ الْعَرَبِ كَافَّةً يَشْتَغِلْنَ بِالغَزْلِ ، وَلَكِنَّ الْأَمْتِعَةَ عُرْضَةً لِلْحُرُوبِ  
وَكَانَ الْفَقْرُ وَالْجُوعُ وَالْعُرْيُ عَامًّا فِي الْمُجْتَمَعِ .

وَفِي الْجَانِبِ الْأَخْلَاقِيِّ :

لَا تُنْكِرُ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ فِيهِمْ دَنِيَا وَرَدَائِلُ وَأُمُورٌ يُنْكِرُهَا الْعَقْلُ السَّلِيمُ  
وَيَأْبَاهَا الْوَجْدَانُ ، وَلَكِنَّ كَانَتْ فِيهِمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الْمَحْمُودَةِ مَا يُفْضِي  
بِالْإِنْسَانِ إِلَى الدَّهْشَةِ وَالْعَجَبِ ، فَمِنْ تِلْكَ الْأَخْلَاقِ :

(١) الكَرَمُ : وكانوا يَتَبَارُونَ فِي ذَلِكَ وَيَفْتَخِرُونَ بِهِ ، وَقَدْ اسْتَفْتَدُوا فِيهِ نِصْفَ أَشْعَارِهِمْ ، بَيْنَ مُمْتَدِحٍ بِهِ وَمُثْنٍ عَلَى غَيْرِهِ : كَانَ الرَّجُلُ يَأْتِيهِ الضَّيْفُ فِي شِدَّةِ البَرْدِ والجُوعِ ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ المَالِ إِلَّا نَاقَتُهُ الَّتِي هِيَ حَيَاتُهُ وَحَيَاةُ أُسْرَتِهِ ، فَتَأْخُذُهُ هِزَّةُ الكَرَمِ ، فَيَقُومُ إِلَيْهَا ، وَيَذْبَحُهَا لِضَيْفِهِ ، وَمِنْ آثَارِ كَرَمِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَمَّلُونَ الدِّيَاتِ الهَائِلَةَ وَالحَمَالَاتِ المُدْهِشَةَ ، يَكْفُونَ بِذَلِكَ سَفْكَ الدَّمَاءِ وَضِياعِ الإِنْسَانِ ، وَيَمْتَدِحُونَ بِهَا مُفْتَخِرِينَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّادَاتِ .  
وكانَ مِنْ نَتَائِجِ كَرَمِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَمَدَّحُونَ بِشُرْبِ الخُمُورِ ، لِأَنَّهَا مَفْخَرَةٌ فِي ذَاتِهَا ، بَلْ لِأَنَّهَا مِنْ سُبُلِ الكَرَمِ ، وَمِمَّا يُسَهِّلُ السَّرْفَ عَلَى النَّفْسِ ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ كَانُوا يُسَمُّونَ شَجَرَ العِنَبِ بِالكَرَمِ ، وَخَمْرَهُ بِبَيْتِ الكَرَمِ .  
وَمِنْ نَتَائِجِ كَرَمِهِمْ اسْتِغْثَالُهُمْ بِالمَيْسِرِ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ سَبِيلٌ مِنْ سُبُلِ الكَرَمِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُطْعَمُونَ المَسَاكِينَ مَا رِيحُوهُ ، أَوْ مَا كَانَ يَفْضَلُ عَنْ سِهامِ الرِّابِحِينَ ، وَفِي ذَلِكَ نَرَى القُرْآنَ لَا يُنْكِرُ نَفْعَ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ ، وَإِنَّمَا يَقُولُ :  
﴿ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ (١)

(٢) وَمِنْ تِلْكَ الأَخْلَاقِ الوَفَاءُ بِالعَهْدِ ، فَقَدْ كَانَ العَهْدُ عِنْدَهُمْ دِينًا يَتَمَسَّكُونَ بِهِ وَيَسْتَهِينُونَ فِي سَبِيلِهِ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ ، وَتَخْرِيبَ دِيَارِهِمْ .

(٣) وَمِنْهَا عِزَّةُ النَّفْسِ وَإِبَاءٌ عَنْ قَبُولِ الخَسْفِ وَالضَّيْمِ ، وَكَانَ مِنْ نَتَائِجِ هَذَا فَرَطُ الشَّجَاعَةِ ، وَشِدَّةُ الغَيْرَةِ ، وَسُرْعَةُ الانْفِعالِ ، فَكَانُوا لَا يَسْمَعُونَ كَلِمَةً يَشْمُونُ مِنْهَا رَائِحَةَ الذُّلِّ وَالهَوَانِ إِلَّا قَامُوا إِلَى السَّيْفِ وَالسِّنَانِ ، وَأَثَارُوا الحُرُوبَ العَوَانَ ، وَكَانُوا لَا يَبْأَلُونَ بِالتَّضْحِيَةِ بِأَنْفُسِهِمْ فِي هَذَا السَّبِيلِ .

(٤) وَمِنْهَا المُضِيَّةُ فِي العَزَائِمِ ، فَإِذَا عَزَمُوا عَلَى شَيْءٍ يَرَوْنَ فِيهِ المَجْدَ ، وَالاِفْتِخَارَ لَا يَصْرِفُهُمْ عَنْهُ صَارِفٌ ، بَلْ كَانُوا يُخَاطِرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِهِ .

(٥) وَمِنْهَا الحِلْمُ ، وَالأَنَاءُ ، وَالتَّوَدُّدُ ، كَانُوا يَتَمَدَّحُونَ بِهَا إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ فِيهِمْ

عَزِيزَةَ الْوَجُودِ ، لِفِرْطِ شَجَاعَتِهِمْ ، وَسُرْعَةِ إِقْدَامِهِمْ عَلَى الْقِتَالِ .

(٦) وَمِنْهَا السَّذَاجَةُ الْبَدَوِيَّةُ ، وَعَدَمُ التَّلَوُّثِ بِمَلَوِّثَاتِ الْحَضَارَةِ وَمَكَائِدِهَا ، وَكَانَ مِنْ نَتَائِجِهِ الصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ ، وَالنُّفُورُ عَنِ الْخِدَاعِ وَالغَدْرِ .

(٧) وَمِنْهَا الذِّكَاؤُ ، وَالْفِطْنَةُ ، وَالْأَلْمَعِيَّةُ ، وَطُفُفُ الْمَشَاعِرِ ، وَإِرْهَافُ الْحِسِّ ، وَحُسْنُ الْاسْتِعْدَادِ ، وَالتَّهَيُّؤُ لِقَبُولِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالتَّوَجُّهِ الرَّشِيدِ ، وَلِذَلِكَ لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ صَارُوا عُلَمَاءَ حُكَمَاءَ فُقَهَاءَ ، وَزَالَتْ عَنْهُمْ الْأُمِّيَّةُ ، وَصَارَ الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ مِنْ أَحْصَ خَصَائِصِهِمْ .

نَرَى أَنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ التَّمِينَةَ ( مَعَ مَا كَانَ لِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ مِنَ الْمَوْقِعِ الْجُغْرَافِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَالَمِ ) كَانَ سَبَبًا فِي اخْتِيَارِهِمْ لِحَمَلِ عِبَاءِ الرِّسَالَةِ الْعَامَّةِ ، وَقِيَادَةِ الْأُمَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا يُفْضِي إِلَى الشَّرِّ ، وَيَجْلِبُ الْحَوَادِثَ الْمُؤَلِّمَةَ ، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ فِي نَفْسِهَا أَخْلَاقًا تَمِينَةً ، تَدِرُّ الْمَنَافِعَ الْعَامَّةَ لِلْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ بَعْدَ شَيْءٍ مِنَ الْإِصْلَاحِ ، وَهَذَا الَّذِي فَعَلَهُ الْإِسْلَامُ .

وَلَعَلَّ أَعْلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ وَأَعْظَمَهَا نَفْعًا بَعْدَ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ هُوَ عِزَّةُ النَّفْسِ وَالْمُضِيُّ فِي الْعَزَائِمِ ، إِذْ لَا يُمَكِّنُ قَمْعُ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ ، وَإِقَامَةُ نِظَامِ الْعَدْلِ وَالْخَيْرِ إِلَّا بِهَذِهِ الْقُوَّةِ الْقَاهِرَةِ ، وَبِهَذَا الْعِزْمِ الصِّمِيمِ (١) .



ذَكَرُ مَنْ حَازَ سَبْقَ الْفَضْلِ .. وَبَشَّرَ بِالنَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ فَصَلِّ

وَقَدْ بَشَّرَ بِهِ ﷺ جَمِيعُ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عُمُومًا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ

وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ - وَلَتَنْصُرُنَّهُ (١) .

رَوَى عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ فِي مَعْنَاهَا : عَنِ الْإِمَامِ ( عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ

قَالَ : ( الرَّسُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَّا أَخَذَ لَهُ عَلَيْهِ

الْمِيثَاقَ لَتَنْ بَعَثَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلِيَنْصُرُنَّهُ (٢) ؛ إِعْلَامًا لَهُمْ بِعُلُوِّ قَدْرِهِ

مَعَ عِلْمِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ آخِرُهُمْ بَعَثًا .

وَذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ -

كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿ (٣) ؛ أَنَّ آدَمَ تَوَسَّلَ بِمُحَمَّدٍ -

عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إِلَى رَبِّهِ فِي غُضْرَانِ ذَنْبِهِ ، فَغَفَرَ لَهُ (٤) .

وَبَشَّرَ بِهِ سَيِّدُنَا ( عِيسَى ) عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى

ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ

مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (٥) . وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ

بِسَنَدِهِ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ( عَائِشَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : قَالَتُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكْتُوبٌ فِي

الْإِنْجِيلِ : ( لَا فَظًا وَلَا غَلِيظًا ، وَلَا صَخَابًا فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا

وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ ) .

وَأَمَّا ذِكْرُهُ ﷺ فِي الزَّبُورِ : فَعِنْدَ الْبِيهَقِيِّ بِسَنَدِهِ عَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ : أَوْحَى اللَّهُ

فِي الزَّبُورِ إِلَى دَاوُودَ : ( يَا دَاوُودَ .. إِنَّهُ سَيَأْتِي مِنْ بَعْدِكَ نَبِيٌّ يُسَمَّى أَحْمَدَ

وَمُحَمَّدًا ، صَادِقًا ، لَا أَغْضَبُ عَلَيْهِ أَبَدًا ، وَلَا يُغْضِبُنِي أَبَدًا ، وَهَدَّ غَفْرَتُ لَهُ قَبْلَ

أَنْ يَعْصِيَنِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ) (٦) .

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ مِنْ غَيْرِ النَّبِيِّينَ جَدُّهُ كَعَبُ بْنُ لُؤَيٍّ :

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( مِنْ آيَةِ ٨١ ) . (٢) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ . (٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( آيَةُ ٢٧ ) .

(٤) تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ . (٥) سُورَةُ الصَّفِّ ( مِنْ آيَةِ ٦ ) . (٦) دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلْبِيهَقِيِّ .

قَالَ عُلَمَاءُ السَّيْرِ: كَانَ كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ مُتَمَسِّكاً بِدِينِ (إِبْرَاهِيمَ) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ ، مُصَدِّقاً بِبِعْتَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَهُوَ الَّذِي سَمِيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ جُمُعَةً ، وَكَانَتْ  
تُسَمِّيهِ الْعَرَبُ : الْعَرُوبَةَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يُجْمَعُ النَّاسُ فِي يَوْمِهَا بَعْدَ الزَّوَالِ ، يَخْطُبُهُمْ  
وَيَعْظُمُهُمْ ، وَيُبَشِّرُهُمْ بِبِعْتَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيهِمْ ، وَيَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، الدَّارُ وَاللَّهِ  
أَمَامَكُمْ ، وَالظَّنُّ خِلَافُ ظَنِّكُمْ ، فَزَيَّنُوا حَرَمَكُمْ وَعَظْمُوهُ ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلَا  
تُفَارِقُوهُ ، فَسَيَأْتِي لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، وَسَيَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ ، ثُمَّ يَنْشُدُ :  
نَهَارٌ وَلَيْلٌ وَاخْتِلَافٌ حَوَادِثٍ \* سِوَاءَ عَلَيْنَا حُلُوهَا وَمَرِيرُهَا  
عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ \* فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَدُوقاً خَيْرُهَا  
وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ ﷺ : تَبَعٌ ( أَسْعَدُ الْكَامِلُ ) الْمَلِكُ الْحِمِيرِيُّ :

قَالَ أَهْلُ السَّيْرِ : كَانَ تَبَعٌ ( أَسْعَدُ الْكَامِلُ ) أَرَادَ أَهْلَ ( الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ ) بِسُوءِ  
مَكِيدَةٍ كَادَهُ بِهَا بَعْضُ أَعْدَائِهِ لِيُهْلِكَهُ ، فَأَخْبَرَهُ الْأَخْبَارُ أَنَّهَا دَارُ هِجْرَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ  
الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَانصَرَفَ عَنْهُمْ ، ثُمَّ قرَأَ التَّوْرَةَ وَتَعَرَّفَ فِيهَا صِفَةَ  
مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَصَدَّقَ بِمَبْعُتِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ :<sup>(١)</sup>

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدٍ أَنَّهُ \* رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بَارِي النَّسَمِ  
فَلَوْ مَدَّ عُمُرِي إِلَى عُمُرِهِ \* لَكُنْتُ وَزِيْرًا لَهُ وَابْنًا عَمًّا

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ ﷺ جَدُّهُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ :

قَالَ عُلَمَاءُ السَّيْرِ : إِنَّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كَانَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى عَجَائِبٍ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ  
فَرَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ خَرَجَتْ مِنْ ظَهْرِهِ ، لَهَا طَرَفٌ فِي السَّمَاءِ  
وَطَرَفٌ فِي الْأَرْضِ ، وَطَرَفٌ بِالْمَشْرِقِ وَطَرَفٌ بِالْمَغْرِبِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُتَعَجِّبٌ مِنْ  
الْأَمْرِ الْمَغْرِبِ<sup>(٢)</sup> ، إِذْ بِهَا قَدْ عَادَتْ كَأَنَّهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ مُورِقَةٌ ، وَعَلَى كُلِّ وَرْقَةٍ  
مِنْهَا نُورٌ مُشْرِقٌ ، وَقَدْ تَعَلَّقَ بِهَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ ، فَأَوَّلَتْ لَهُ بِمَوْلُودٍ يَخْرُجُ  
مِنْ صُلْبِهِ يَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ فِي كُلِّ صَنِيعٍ ، وَيُنْقَادُ لَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ انْقِيَادَ

(٢) الغَبْرُ الْمُغْرَبُ : الَّذِي جَاءَ غَرِيبًا حَادِثًا طَرِيفًا .

(١) الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ، ١- ( ابْنُ كَثِيرٍ ) .

مُطِيع .

وَذَكَرُوا أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ رَأَاهُ مَرَّةً حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ فِي أَحَدٍ مِنْخَرِيكَ لَمَلَكًا ، وَفِي الْأَخْرِ نُبُوءَةٌ (١)

وَمِنَ الْمُبَشِّرَاتِ بِهِ ﷺ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ : أَنَّ الشَّيَاطِينَ مُنِعَتْ قُبَيْلَ مَوْلِدِهِ مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ .

وَمَا ظَهَرَ لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ مِنْ ارْتِجَاسِ إِيوَانِ كِسْرَى ، وَسُقُوطِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ شُرْفَةً مِنْ شُرَفَاتِهِ ، وَخُمُودِ نَارِ فَارِسِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا ، وَمَا خَمَدَتْ مِنْذُ أَلْفِ عَامٍ .

وَرُؤْيَا الْمُؤَبِّدَانِ : رَأَى إِبِلًا صَعَابًا تَقُودُ خَيْلًا عِرَابًا (٥) ، قَدْ قَطَعَتْ ( دِجْلَةَ ) وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهَا ، فَخَافَ ( كِسْرَى ) أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِفَسَادِ دَوْلَتِهِ وَخَرَابِهَا .

فَأَرْسَلَ عَبْدَ الْمَسِيحِ إِلَى خَالِهِ سَطِيحِ الْكَاهِنِ ب ( الشَّامِ ) فَوَجَدَهُ قَدْ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِ سَطِيحٌ ، قَالَ : عَبْدُ الْمَسِيحِ ، عَلَى جَمَلٍ مُشِيحٍ ( أَي : ضَامِرٍ ) ، أَرْسَلَكَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ ، لِيَسْأَلَ عَنِ ارْتِجَاسِ الْإِيوَانِ ، وَخُمُودِ النَّيْرَانِ ، وَرُؤْيَا الْمُؤَبِّدَانِ ؟ يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ : إِذَا كَثُرَتِ التَّلَاوَةُ ، وَظَهَرَ صَاحِبُ الْهَرَاوَةِ ، وَفَاضَ وَاوِي سَمَاوَةَ ، فَلَيْسَتْ ( الشَّامُ ) لِسَطِيحٍ شَامًا ، وَلَا مُقَامًا ( الْعِرَاقِ ) لِكِسْرَى وَقَوْمِهِ مُقَامًا ، يَمْلِكُ مِنْهُمْ مُلُوكٌ وَمَلَكَاتٌ ، عَلَى عَدَدِ السَّاقِطِ مِنَ الشُّرَفَاتِ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ .

ثُمَّ قَضَى سَطِيحٌ مَكَانَهُ ، بَعْدَ مَا أَبَانَ مِنْ أَمْرِ ظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَبَانَهُ (٦) .

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ مَا ذَكَرَهُ عُلَمَاءُ السَّيْرِ : أَنَّهُ كَانَ حَوْلَ ( مَكَّةَ ) رَاهِبٌ يُقَالُ لَهُ :

عَيْصَا ، وَكَانَ قَدْ أَحْرَزَ عِلْمًا كَثِيرًا ، وَأَنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ ( مَكَّةَ ) كُلَّ مَوْسِمٍ ، فَيَقُومُ مُبَشِّرًا بِظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ : ( يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّهُ سَيُظْهِرُ فِيكُمْ نَبِيًّا تَدِينُ لَهُ الْعَجَمُ وَالْعَرَبُ ، وَهَذَا وَهَذَا وَهَذَا وَهَذَا قَدْ اقْتَرَبَ ) .

(١) دَلَائِلُ النَّبُوءَةِ ، ج ( الْبَيْهَقِيُّ ) .  
(٢) ارْتِجَاسٌ : اضْطِرَابٌ وَتَحَرُّكٌ حَرَكَتُهُ سَمِعَ لَهَا صَوْتٌ .  
(٣) الْمُؤَبِّدَانِ : عَالِمُ الْفَرْسِ وَهُوَ لِلْمَجُوسِ كَهَاضِي فَضَاةِ الْمُسْلِمِينَ .  
(٤) صَعَابًا : شَدِيدَةً .  
(٥) عِرَابًا ، خَيْلٌ عَرَبِيَّةٌ .  
(٦) دَلَائِلُ النَّبُوءَةِ .

فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ طَائِفًا  
 بِ ( الكَعْبَةِ ) ، فَرَأَى إِسَافًا وَنَائِلَةً ( وَهُمَا صَنَمَانِ عَظِيمَانِ ) <sup>(١)</sup> قَدْ سَقَطَا ، فَأَذْهَلَهُ  
 ذَلِكَ الشَّأْنُ ، وَجَعَلَ يَمَسْحُ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ : أَنَايْمُ أَنَا أَمْ يَقْظَانُ ؟ فَلَمَّا أُخْبِرَ  
 بِالْمَوْلُودِ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِهِ ، لِمَا كَانَ قَدْ رَأَى مِنَ الدَّلَائِلِ مِنْ قَبْلِهِ ، فَخَرَجَ  
 مِنَ الْغَدِ ، فَوَقَّفَ تَحْتَ صَوْمَعَةٍ ( عَيْصَا ) وَنَادَاهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ عَيْصَا أَكْرَمَهُ وَفَدَاهُ <sup>(٢)</sup> ،  
 وَقَالَ لَهُ : ( كُنْ أَبَاهُ ، كُنْ أَبَاهُ ، قَدْ طَلَعَ نَجْمُهُ الْبَارِحَةَ ، وَظَهَرَ سَنَاهُ ، وَقَدْ كُنْتُ  
 أُجِبُّ أَنْ يَكُونَ مِنْكُمْ ، وَقَدْ كَانَ ، وَعَلَامَةٌ ذَلِكَ أَنَّهُ يَشْتَكِي مِنْ بَطْنِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ،  
 ثُمَّ يُعَافَى مِنْ كُلِّ الْأَسْقَامِ ، فَاحْفَظْهُ مِنَ الْيَهُودِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاؤُهُ ، وَقَدْ تَحَقَّقْتُ  
 عِنْدَهُمْ صِفَاتُهُ ) <sup>(٣)</sup>

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ ﷺ بَعْدَ مَوْلِدِهِ : سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ ، الْمَلِكُ الْحِمِيرِيُّ :

وَذَلِكَ أَنَّ ( عَبْدَ الْمُطَّلِبِ ) وَقَدْ عَلَيْهِ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى  
 ( صَنْعَاءَ ) يُهَنِّئُهُ بِظَفَرِهِ بِ ( الْحَبَشَةِ ) لَمَّا أَزَالَهُمُ اللَّهُ مِنَ ( الْيَمَنِ ) ، فَأَكْرَمَهُ  
 وَأَجْلَسَهُ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ ، وَأَعْطَاهُ عَطَايَا جَزِيلَةً ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ يَجِدُ فِي الْكُتُبِ  
 الْقَدِيمَةِ أَنَّ هَذَا أَوَانُ وُجُودِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْعَرَبِيِّ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ ، وَأَنَّ صِفَتَهُ  
 كَذَا وَكَذَا ، فَأَخْبَرَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَنَّ عِنْدَهُ غُلَامًا بِتِلْكَ الصِّفَةِ ، فَأَوْصَاهُ بِهِ ،  
 وَحَدَّرَهُ مِنْ كَيْدِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى .. وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ مَاتَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ( جَدُّ  
 الْمُصْطَفَى ﷺ ) .

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ ﷺ بَعِيرًا الرَّاهِبَ :

وَذَلِكَ أَنَّ عَمَّهُ ( أَبَا طَالِبٍ ) خَرَجَ بِهِ إِلَى ( الشَّامِ ) فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ  
 وِلَادَتِهِ ﷺ ، فَلَمَّا بَلَّغُوا ( بُصْرَى ) مِنْ أَرْضِ ( الشَّامِ ) رَأَاهُ الرَّاهِبُ الْمَذْكُورُ  
 مَعَهُمْ ، فَعَرَفَهُ بِصِفَاتِهِ الْمَذْكُورَةِ عِنْدَهُ فِي الْإِنْجِيلِ ، فَأَمَرَ أَبَا طَالِبٍ أَنْ يَرُدَّهُ ،  
 وَنَاشَدَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْ كَيْدِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَرَجَعَ بِهِ ، وَزَوَّدَهُ

(١) إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ : صَنَمَانِ كَانَا لِقُرَيْشٍ . وَضَعَهُمَا عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ عَلَى الصِّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَكَانَ يُذْبَحُ عَلَيْهِمَا تَجَاهَ الْكَعْبَةِ .

(٢) مُخْتَصَرٌ تَارِيخٍ وَمَشْقُوقٌ .

(٣) أَيُّ قَالَ لَهُ : جِئْتُكَ هَذَا .



الرَّاهِبُ شَيْئاً مِنَ الْكَبِّ وَالزَّبِيبِ .

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي ( جَامِعِهِ ) أَنَّ نَفْرًا مِنَ النَّصَارَى أَتَوْا بِجِيرِ الرَّاهِبِ بَعْدَ رُجُوعِ أَبِي طَالِبٍ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا : إِنَّا خَرَجْنَا فِي طَلَبِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، وَإِنَّا وَجَدْنَا فِي كُتُبِنَا أَنَّهُ يَمُرُّ بِطَرِيقِكَ هَذِهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ ، وَإِنَّا نُرِيدُ قَتْلَهُ ، فَذَكَرَهُمُ اللَّهُ ، وَقَالَ : ( أَرَأَيْتُمْ أَمْرًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ أَيَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّهُ ؟ قَالُوا : لَا ، وَأَنْصَرِفُوا عَنْهُ ) .

ثُمَّ بَشَّرَ بِهِ ﷺ : نَسْطُورُ الرَّاهِبِ ؛

وَذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ خَرَجَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ مِنْ مَوْلِدِهِ مَعَ مَيْسِرَةَ غَلَامٍ ( خَدِيجَةَ ) ﷺ ، فِي تِجَارَةٍ لَهَا ، فَلَمَّا نَزَلَ الرَّكْبُ بِقُرْبِ صَوْمَعَةِ الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ ، نَزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا ، وَكَانَ لَا يَنْزِلُ لِأَحَدٍ ، وَطَافَ فِيهِمْ حَتَّى رَأَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَعَرَفَ فِيهِ عِلَامَاتِ النَّبُوَّةِ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَضَيَّفَهُمْ لِأَجَلِهِ ، وَعَرَفَهُمْ أَنَّهُ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَقَالَ لَهُ : أَحْذَرِ عَلَى نَفْسِكَ مِنْ كَيْدِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَأَوْصِي مَيْسِرَةَ بِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّهُ فِينَا ؟ قَالَ : إِنَّكُمْ لَمَّا أَقْبَلْتُمْ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا وَسَجَدَ إِلَى جِهَتِكُمْ ، وَكَانَ مَيْسِرَةُ يَقُولُ : ( كَانَ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ ظَلَلْتُهُ غَمَامَةٌ ، تَسِيرُ مَعَهُ أَيُّمَا سَارَ ) ، فَلَمَّا رَجَعَا مِنْ ( الشَّامِ ) أَخْبَرَ مَيْسِرَةَ خَدِيجَةَ بِمَا رَأَتْ مِنْ كَرَامَتِهِ ﷺ ، وَصِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ ﷺ ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّاهِبُ ، وَمَا رَأَتْ مِنْ تَضَلُّيلِ الْغَمَامَةِ لَهُ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَرَغِبَتْ خَدِيجَةُ فِي نِكَاحِهِ فَخَطَبَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا ، وَكَانَ كُلُّ مَنْ مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهَا حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ فَتَزَوَّجَ بِهَا ﷺ ( ٢ ) .

ثُمَّ بَشَّرَ بِهِ ﷺ : قُشُّ بْنُ سَاعِدَةَ ؛

وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قِصَّتَهُ : أَنَّهُ كَانَ يَقُومُ بِسُوقِ عُكَازٍ خَطِيبًا ، فَقَامَ مَرَّةً وَالنَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَاضِرَانِ ، فَقَالَ : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لِلَّهِ دِينَاً هُوَ خَيْرٌ مِنْ

( ٢ ) سيرة ابن هشام .

( ١ ) الصَّوْمَعَةُ : بَيْتٌ لِلنَّصَارَى ، كَالصَّوْمَعِ : لِذِقَّةٍ فِي رَأْسِهَا .

دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ لِلَّهِ نَبِيًّا قَدْ حَانَ حِينُهُ وَأَظْلَكُمْ أَوَانُهُ ، فَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِهِ فَهَدَاهُ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ وَعَصَاهُ ، فَبَادِرُوا إِلَيْهِ .

فَعَمَّا قَلِيلٍ ، وَقَدْ ظَهَرَ النُّورُ ، وَبَطَلَ الزُّورُ ، وَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِالْحُبُورِ ، صَاحِبَ النَّجِيبِ الْأَحْمَرِ<sup>(١)</sup> ، وَالتَّاجِ وَالْمِغْفَرِ<sup>(٢)</sup> ، وَالْوَجْهِ الْأَزْهَرِ ، وَالْحِجَابِ الْأَنْوَرِ ، وَالطَّرْفِ الْأَخْوَرِ ، وَصَاحِبِ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَذَلِكُمْ الْمَبْعُوثُ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ أَهْلَ الْمَدْرِ وَالْوَبْرِ<sup>(٣)</sup> .

ثُمَّ بَشَّرَ بِهِ ﷺ قَبْلَ مَبْعَثِهِ : زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ :

وَكَانَ خَرَجَ يَلْتَمِسُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ( كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ) فَأَخْبَرَهُ آخِرُ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُ خُرُوجِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ بِ ( مَكَّةَ ) ، فَرَجَعَ وَاجْتَمَعَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِرَارًا ، وَكَانَ يَقُولُ : ( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْبُدُكَ وَحَدَكَ ، وَأَدِينُ لَكَ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ ، وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَعْبُدُكَ ؟ ) ، وَلَهُ أَشْعَارٌ فِي التَّوْحِيدِ ، وَمَاتَ شَهِيدًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .<sup>(٤)</sup>

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ : ( إِنَّهُ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ )<sup>(٥)</sup> .

وَمِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ ﷺ قَبْلَ مَبْعَثِهِ : سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَكَانَ يَتَنَقَّلُ مِنْ حَبْرٍ إِلَى حَبْرٍ ، حَتَّى قَالَ لَهُ آخِرُهُمْ عِنْدَ مَوْتِهِ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ عَلَى دِينِ الْحَقِّ ، وَلَكِنْ قَدْ آنَ خُرُوجُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ بِ ( مَكَّةَ ) ، وَعَرَفَهُ بِصِفَاتِهِ ، فَخَرَجَ مَعَ رَكْبٍ إِلَيْهَا ، فَأَخَذَهُ قِطَاعَ الطَّرِيقِ ، فَبَاعُوهُ إِلَى يَهُودِ ( الْمَدِينَةِ ) ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ هَاجَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ ، فَعَرَفَ الصِّفَاتِ الَّتِي فِيهِ فَأَمَنَ ﷺ بِهِ ، وَصَدَّقَهُ .<sup>(٦)</sup>

وَمِمَّنْ عَرَفَهُ بِصِفَاتِهِ : وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدٍ ( ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : وَكَانَ وَرَقَةُ قَدْ تَنَصَّرَ وَقَرَأَ الْإِنْجِيلَ ، فَلَمَّا نَزَلَ جِبْرِيلُ

( ١ ) النَّجِيبُ : مُفْرَدُ النَّجَائِبِ : وَهِيَ خِيَارُ الْإِبِلِ . ( ٢ ) الْمِغْفَرُ : الْعَوْدَةُ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الرَّأْسِ لِتَجَى الصَّرْبَاتِ .

( ٣ ) عُمَيْلُ الْأَثَرِ . د ( ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ ) . ( ٤ ) دَلَائِلُ النَّبُوَّةِ .

( ٥ ) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي ( دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ ) عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . ( ٦ ) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ، الْمُسْتَدْرَكُ ، د ( الْعَاكِمِ ) .

السَّيِّدَةَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْوَحْيِ ، ذَهَبَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِلَى وَرَقَةَ  
فَتَحَقَّقَ أَنَّهُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ ( عِيسَى ) السَّيِّدَةَ ، فَأَمَّنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ ،  
وَأَخْبَرَهُ أَنَّ قَوْمَهُ سَيُخْرِجُونَهُ مِنْ ( مَكَّةَ ) ، وَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ حَاضِرًا يَوْمَئِذٍ  
لِيَنْصُرَهُ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ..



## عامُ الفيل .. مُواكبٌ لميلادِ مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ ﷺ

وَأَمَّا أَصْحَابُ الْفِيلِ : فَإِنَّ الْحَبْشَةَ لَمَّا مَلَكَتْ ( الْيَمَنَ ) وَعَلَيْهِمْ أَبْرَهُهُ الْأَشْرَمُ ، الَّذِي بَنَى ( الْقُلَيْسَ ) بِصَنْعَاءَ ، وَهِيَ كَنْيْسَةٌ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا فِي زَمَانِهَا بِمَكَانٍ مِنَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ : إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَنْيْسَةً لَمْ يُبْنَ مِثْلُهَا لِمَلِكٍ كَانَ قَبْلَكَ ، وَلَسْتُ بِمُنْتَهَى حَتَّى أَصْرِفَ إِلَيْهَا حُجَّاجَ الْكَعْبَةِ .

فَلَمَّا سَمِعَتِ الْعَرَبُ بِذَلِكَ قَامَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَدَخَلُوهَا لَيْلاً وَلَطَّخُوهَا بِالْعِدْرَةِ ( الْغَائِطِ ) وَهَرَبُوا ، فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ أْبْرَهُهُ عَزَمَ عَلَى هَدْمِ الْكَعْبَةِ ، فَتَجَهَّزَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ مُصْطَحِباً مَعَهُ الْفِيلَ ( فِيلَ النَّجَاشِيِّ ) بِضَخَامَتِهِ وَهَيْئَتِهِ الَّتِي لَمْ يَأْلُفْهَا الْعَرَبُ مِنْ قَبْلُ فَكَانَ مَصْدَرٌ فَرَزَعٍ وَرُعْبٍ ، فَلَمَّا شَارَفَ ( مَكَّةَ ) أَغَارَ عَلَى سَرْحِهَا ، فَاسْتَأَقَ أَمْوَالَ قُرَيْشٍ ، وَنَزَلَ بِـ ( عَرَفَةَ ) ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ( وَكَانَ أَوْسَمَ النَّاسِ وَأَجْمَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ ) فَلَمَّا رَأَاهُ أْبْرَهُهُ أَجَلَّهُ وَأَعْظَمَهُ وَأَكْرَمَهُ عَنْ أَنْ يُجْلِسَهُ تَحْتَهُ ، وَكِرِهَ أَنْ تَرَاهُ الْحَبْشَةُ يَجْلِسُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ فَتَنَزَلَ أْبْرَهُهُ عَنْ سَرِيرِهِ فَجَلَسَ عَلَى بَسَاطِهِ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَيْهِ إِلَى جَنْبِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : قُلْ لَهُ مَا حَاجْتُكَ ؟ ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ التَّرْجُمَانُ ، فَقَالَ لَهُ : حَاجَّتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ الْمَلِكُ مَا تَتَى بِعَيْرٍ أَصَابَهَا لِي ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ ، قَالَ أْبْرَهُهُ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُ : قَدْ كُنْتُ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ ثُمَّ قَدْ زَهَدْتُ فِيكَ حِينَ كَلَّمْتَنِي ، أَتَكَلَّمُنِي فِي مَا تَتَى بِعَيْرٍ أَصَابَتْهَا لَكَ ، وَتَتْرُكُ بَيْنَنَا هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ قَدْ جِئْتُ لِهَدْمِهِ ، لَا تُكَلِّمُنِي فِيهِ ..

قال له عبدُ المُطَّلِبِ : أنا ربُّ إبلي ، والبيتُ له ربُّ يَحْمِيهِ .

ثُمَّ انْصَرَفَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى قُرَيْشٍ وَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ ، وَالتَّحَرُّزِ فِي شَعَفِ الْجِبَالِ وَالشُّعَابِ تَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ ، ثُمَّ قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَأَخَذَ بِحَلْقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ وَقَامَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَدْعُونَ اللَّهَ ،

( ٢ ) شَعَفُ الْجِبَالِ : رُؤُوسُهَا .

( ٣ ) التَّحَرُّزُ : التَّمَنُّعُ .

( ٤ ) السَّرْحُ : الْمَاشِيَةُ مِنَ الْفَنَمِ وَالْإِبِلِ .

( ٥ ) مَعَرَّةُ الْجَيْشِ : شِدَّتُهُ

( ٦ ) الشُّعَابُ : الْمَوَاضِعُ الْغَفِيَّةُ بَيْنَ الْجِبَالِ .

وَيَسْتَنْصِرُونَهُ عَلَىٰ أْبْرَهَةَ وَجُنْدِهِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ آخِذٌ بِحَلْمَةِ بَابِ  
الْكَعْبَةِ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْمَرَّةَ يَمْنَعُ \* رَحْلُهُ فَا مَنَعَ جِلَالَكَ (١)  
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ \* وَمِحَالُهُمْ أَبَدًا مِحَالَكَ (٢)  
وَانْصُرْ عَلَىٰ آلِ الصَّلِيبِ \* وَعَابِدِيهِ الْيَوْمَ آلَكَ

ثُمَّ سَارَ أْبْرَهَةُ إِلَى (مَكَّةَ) ، فَلَمَّا كَانُوا بِ (مُحَسَّرٍ) ، وَهُوَ وَادٍ بَيْنَ (مُزْدَلِفَةَ  
وَمِنَى) .. نَكَصَ الْفَيْلُ عَلَىٰ عَقْبِيهِ ، فَرَدَّوهُ فَأَبَى ، فَأَدْخَلُوا الْحَدِيدَ فِي أَنْفِهِ  
حَتَّى خَرَمُوهُ ، فَلَمْ يُسَاعِدْهُمْ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى (مَكَّةَ) ، وَكَانُوا إِذَا وَجَّهُوهُ إِلَى  
الْيَمَنِ قَامَ يُهْرَوُلُ ، وَإِذَا وَجَّهُوهُ إِلَى الشَّامِ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَإِذَا وَجَّهُوهُ إِلَى  
الْمَشْرِقِ فَعَلَ ذَلِكَ .

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ، يَحْمِلُ كُلُّ طَيْرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ  
صِفَارٍ ، حَجَرَيْنِ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، وَحَجْرًا فِي مَنْقَارِهِ ، إِذَا وَقَعَتِ الْحِجَارَةُ عَلَى رَأْسِ  
أَحَدِهِمْ خَرَجَتْ مِنْ دُبُرِهِ ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا .

وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ مُذَكِّرًا لَهُ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى قَوْمِهِ ، لِأَنَّهُ  
كَانَ يَوْمئِذٍ حَمَلًا (٣) ، وَوُلِدَ بَعْدَ الْفَيْلِ بِخَمْسِينَ لَيْلَةً :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾  
أَي : إِبْطَالٍ ، ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ أَي : عُصْبًا عُصْبًا ، ﴿ تَرْمِيهِمْ  
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ، وَهُوَ أَيْضًا سَجِّينٌ ، ﴿ جَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾  
أَي : كَزَّرَعٍ أَكَلَتْهُ الْبَهَائِمُ .



(٢) المِحَالُ : القُوَّةُ وَالشَّدَّةُ .

(١) الجِلَالُ : مَتَاعُ الْبَيْتِ .

(٣) أَي عِنْدَمَا كَانَ حَمَلًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ السَّيِّدَةِ آمِنًا .

## فَضْلُ مَكَّةَ حَمَاهَا اللَّهُ .. حَيْثُ مَوْلِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

إِنَّ الْبَاحِثَ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ يَسْتَوْفِقُهُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَكْرَمَ هَذَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ بِأَصْنَافِ الْكَرَامَةِ ، وَوَفَّرَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَقْسَامَهُ ، وَاخْتَارَ لَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَيْرَهُ ، وَأَعْلَى عَلَى جَمِيعِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مَنَارَهُ ، فَجَعَلَهُ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأُمَّتَهُ خَيْرَ الْأُمَمِ ، وَلَفَّتَهُ خَيْرَ اللُّغَاتِ ، وَكَتَابَهُ خَيْرَ الْكُتُبِ ، وَقَبِيلَتَهُ خَيْرَ الْقَبَائِلِ ، وَبِلَادَهُ أَفْضَلَ بِلَادِ اللَّهِ وَأَكْرَمَهَا عَلَيْهِ وَعَلَى عِبَادِهِ .

أَمَّا ( مَكَّةُ ) الْبَلَدُ الْحَرَامُ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي فَضْلِهَا : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ● فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (١) .

وَمِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ فِيهِ : ( الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ ) ، وَ ( الْحَطِيمُ ) (٢) ، وَانْفِجَارُ مَاءِ زَمْزَمَ بِعَقِبِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّ شُرْبَهُ شِفَاءٌ لِلْأَسْقَامِ ، وَغِذَاءٌ لِلْأَجْسَامِ ، بِحَيْثُ يُغْنِي عَنِ الْمَاءِ وَالطَّعَامِ .

وَمِنْ فَضْلِهَا : مَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : أَنَّ الصَّلَاةَ الْوَاحِدَةَ فِيهَا ( بَلٌّ فِي سَائِرِ الْحَرَمِ ) بِمِثْلِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهَا سِوَى الْمَدِينَةِ .

أَخْرَجَ ( ابْنُ مَاجَهَ ) فِي سُنَنِهِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ( صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِثَّةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ ) .  
إِشَارَةٌ وَبِشَارَةٌ : حَسَبَ الْعُلَمَاءِ ذَلِكَ فَبَلَّغَتْ صَلَوَاتُ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ب ( مَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ ) فِي مُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَهِيَ خَمْسَ عَشْرَةَ صَلَاةً ، بِأَلْفِ أَلْفِ صَلَاةٍ ، وَخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهَا ، وَذَلِكَ كَصَلَوَاتِ نَحْوِ أَلْفِ سَنَةٍ ، فَمَنْ أَقَامَ ب ( مَكَّةَ ) ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَهِيَ أَقَلُّ مَا يُقِيمُهُ الْحَاجُّ ، يَمْبُدُ اللَّهُ ، فَكَأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( الْآيَةُ ٩٦ - ٩٧ ) .

(٢) الْحَطِيمُ : هُوَ جَبْرُ الْكَنْبَةِ : سُمِّيَ الْحَطِيمُ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْبَيْتَ رُبِعَ وَتُرِكَ مَخْطُومًا .. وَمَكَانُهُ بَيْنَ الْقَوْسِ الدَّائِرِيِّ وَجِدَارِ الْكَنْبَةِ مِنْ جِهَةِ الْمِيزَابِ .

غَيْرِهَا أَلْفَ سَنَةٍ ، وَكَأَنَّهُ عُمَرُ عُمَرَ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى .  
 وَهَذِهِ إِحْدَى الْمَنَافِعِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَفَعٍ لَّهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فَمَا ظَنُّكَ  
 بِالْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ وَالْمَبِيتِ بِالْمُرْدَلَفَةِ وَمِنَى وَالطَّوَافِ وَالنَّظَرِ إِلَى الْكَعْبَةِ وَالسَّعْيِ  
 بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرَّوَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو  
 الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ ( مَكَّة ) :

( وَاللَّهُ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ  
 مِنْكَ مَا خَرَجْتُ ) <sup>(٣)</sup> .

وَكَانَتْ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَرِمُ ( الْحَرَمَ ) بِحَيْثُ يَمْشِي الْقَاتِلُ فِيهِ مَعَ وَلِيِّ  
 الْمَقْتُولِ ، وَيَقِفُ السَّبْعُ عَنِ الظُّبْيِ وَنَحْوِهِ مِنَ الصَّيْدِ إِذَا دَخَلَ ( الْحَرَمَ ) ، وَذَلِكَ  
 بِدُعَاءِ سَيِّدِنَا ( إِبْرَاهِيمَ ) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، إِذْ قَالَ :

﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ <sup>(٤)</sup>

وَمِنْ فَضْلِهَا : أَنَّهَا مَوْلِدُ الْحَبِيبِ الْمُجْتَبَى وَالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَسْقَطُ  
 رَأْسِهِ ، وَمَنْشُؤُهُ ، وَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ سَنَةً قَبْلَ هِجْرَتِهِ .

وَمِنْ فَضْلِهَا : تَحْرِيمُهَا الْمُشَارَإِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا  
 ءَامِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا  
 ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَمُهُ اللَّهُ يَوْمَ  
 خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا يُعْضَدُ  
 شَوْكُهُ ، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ .... ) <sup>(٧)</sup> .



( ٢ ) سُورَةُ الْعَدِيدِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢١ ) .

( ١ ) سُورَةُ الْحَجِّ ( مِنْ الْآيَةِ ٢٨ ) .

( ٤ ) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٢٦ ) .

( ٣ ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

( ٦ ) سُورَةُ الْقَصَصِ ( مِنْ الْآيَةِ ٥٧ ) .

( ٥ ) سُورَةُ الْمُنَكَّبُوتِ ( مِنْ الْآيَةِ ٦٧ ) .

( ٧ ) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، عَنْ ( ابْنِ عَبَّاسٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ : لَا يُقَطَّعُ ، لَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ : يُرْعَجُ مِنْ مَكَانِهِ أَوْ يُسَادُ .

## النَّسَبُ الشَّرِيفُ .. وَالْقَدْرُ الْعَلِيُّ الْمُنِيفُ

السَّيِّدُ السَّنْدُ لِمَنْ آمَنَ بِهِ ، وَلِقَدْرِهِ مَجْدٌ وَعَظْمٌ ؛ هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ زَوْجِهِ ( أَمَنَةُ بِنْتُ وَهْبِ الزُّهْرِيَّةِ الْقُرَشِيَّةِ ) <sup>(١)</sup> ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ( وَاسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ ) مِنْ زَوْجِهِ ( فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو الْمَخْزُومِيَّةِ الْقُرَشِيَّةِ ) <sup>(٢)</sup> . وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ شَيْخًا مُعَظَّمًا فِي قُرَيْشٍ يَصْدُرُونَ عَنْ رَأْيِهِ فِي مُشْكَلاتِهِمْ وَيُقَدِّمُونَهُ فِي مُهِمَّاتِهِمْ . ابْنِ هَاشِمٍ مِنْ زَوْجِهِ ( سَلْمَى بِنْتُ عَمْرٍو النَّجَّارِيَّةِ الْخَزْرَجِيَّةِ ) <sup>(٣)</sup> ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ مِنْ زَوْجِهِ ( عَاتِكَةُ بِنْتُ مُرَّةَ السَّلَمِيَّةِ ) <sup>(٤)</sup> ابْنِ قُصَيٍّ مِنْ زَوْجِهِ ( حُبَى بِنْتُ حُلَيْلِ الْخُزَاعِيَّةِ ) <sup>(٥)</sup> .

وَكَانَ إِلَى قُصَيٍّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ : حِجَابَةُ الْبَيْتِ ، وَسِقَايَةُ الْحَاجِّ ، وَإِطْعَامُهُ الْمُسَمَّى بِالرَّفَادَةِ ، وَالنَّدْوَةُ وَهِيَ الشُّورَى : لَا يَتِمُّ أَمْرٌ إِلَّا فِي بَيْتِهِ ، وَاللَّوَاءُ : لَا تَعْقُدُ رَايَةَ الْحَرْبِ إِلَّا بِيَدِهِ .

وَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ جَعَلَهَا فِي يَدِ أَحَدِ أَوْلَادِهِ : عَبْدِ الدَّارِ ، لَكِنْ : بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ أَجْمَعُوا رَأْيَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يَتْرُكُوا بَنِي عَمِّهِمْ عَبْدِ الدَّارِ يَسْتَأْثِرُونَ بِهَذِهِ الْمَفَاخِرِ ، وَكَادَ يُفْضِي الْأَمْرَ إِلَى الْقِتَالِ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَ الْأَمْرَ عُقْلَاءُ الضَّرِيقَيْنِ ، فَأَعْطَوْا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ السَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ فَدَامَتَا فِيهِمْ إِلَى أَنْ انْتَهَتَا لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ثُمَّ لِبَنِيهِ مِنْ بَعْدِهِ .

أَمَّا الْحِجَابَةُ فَبَقِيَتْ بِيَدِ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَأَقْرَبَهَا لَهُمُ الشَّرْعُ فَهِيَ فِيهِمْ إِلَى الْآنَ ( حَيْثُ مِفْتَاحُ الْكَعْبَةِ يَتَوَارَثُونَ شَرَفَ حَمَلِهِ وَجِيَازَتِهِ ) وَهُمْ بَنُو شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ .

وَأَمَّا اللَّوَاءُ فَدَامَ فِيهِمْ حَتَّى أَبْطَلَهُ الْإِسْلَامُ وَجَعَلَهُ حَقًّا لِلْخَلِيفَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ يَضَعُهُ فِيمَنْ يَرَاهُ صَالِحًا لَهُ وَكَذَلِكَ النَّدْوَةُ .

( ١ ) مِنْ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ مِنْ قُرَيْشٍ . ( ٢ ) مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ بْنِ يَمْلَةَ بْنِ مُرَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ .

( ٣ ) مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مِنَ الْخَزْرَجِ . وَالْخَزْرَجُ إِحْدَى الْقَبِيلَتَيْنِ كَانَتَا تَجِيمَانِ بِالْمَدِينَةِ وَهُمَا الْأَوْسُ وَالْمُزَجِجُ وَهُمَا أَخْوَانٌ وَسَمَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِلَاهُمَا أَنْصَارًا . ( ٤ ) مِنْ بَنِي سَلِيمٍ بْنِ مَنصُورٍ إِحْدَى قَبَائِلِ قَيْسِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ .

( ٥ ) مِنْ بَنِي خُزَاعَةَ بْنِ عَمْرٍو إِحْدَى قَبَائِلِ قَهْمَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُضَرِّ وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا يَتَوَلَّوْنَ الْبَيْتَ قَبْلَ قُرَيْشٍ .



وَقُصِيُّ ابْنِ كِلَابٍ مِنْ زَوْجِهِ ( فَاطِمَةَ بِنْتِ سَعْدٍ ، وَهِيَ يَمَانِيَّةٌ مِنْ أَزْدِ شُنُوءَةَ ) ،  
 ابْنِ مُرَّةَ مِنْ زَوْجِهِ ( هِنْدُ بِنْتُ سَرِيرٍ مِنْ بَنِي فَهْرٍ بِنِ مَالِكٍ ) ، ابْنِ كَعْبٍ مِنْ  
 زَوْجِهِ ( وَحَشِيَّةُ بِنْتُ شَيْبَانَ مِنْ بَنِي فَهْرٍ أَيْضاً ) ابْنِ لُؤَيٍّ مِنْ زَوْجِهِ ( مَاوِيَةَ بِنْتُ  
 كَعْبٍ مِنْ قُضَاعَةَ ) ابْنِ غَالِبٍ مِنْ زَوْجِهِ ( سَلْمَى بِنْتُ عَمْرٍو الْخَزَاعِي ) ،  
 ابْنِ فَهْرٍ مِنْ زَوْجِهِ ( لَيْلَى بِنْتُ سَعْدٍ مِنْ هُدَيْلٍ ) .

وَفَهْرٌ : هُوَ قُرَيْشٌ ( وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْبُطُونُ الْقُرَشِيَّةُ ) وَكَانَتْ قُرَيْشٌ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ  
 قَبِيلَةً : بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ابْنِ قُصَيٍّ ، وَبَنُو عَبْدِ الدَّارِ بِنِ قُصَيٍّ ، وَبَنُو أَسَدٍ بِنِ  
 عَبْدِ الْعُزَّى بِنِ قُصَيٍّ ، وَبَنُو زُهْرَةَ بِنِ كِلَابٍ ، وَبَنُو مَخْزُومٍ بِنِ يَظْطَلَةَ بِنِ مُرَّةَ ،  
 وَبَنُو تَيْمٍ بِنِ مُرَّةَ ، وَبَنُو عَدِيِّ بِنِ كَعْبٍ ، وَبَنُو سَهْمٍ بِنِ عَمْرٍو بِنِ هُصَيْصٍ بِنِ كَعْبٍ  
 وَبَنُو عَامِرٍ بِنِ لُؤَيٍّ ، وَبَنُو تَيْمٍ بِنِ غَالِبٍ ، وَبَنُو الْحَارِثِ بِنِ فَهْرٍ ، وَبَنُو مُحَارِبٍ بِنِ  
 فَهْرٍ ، وَالْمُقِيمُونَ مِنْهُمْ بِمَكَّةَ يُسَمَّوْنَ ( قُرَيْشُ الْبِطَاحِ ) ، وَالَّذِينَ بِضَوَاحِيهَا  
 ( قُرَيْشُ الطَّوَاهِرِ ) .

وَفَهْرُ ابْنِ مَالِكٍ مِنْ زَوْجِهِ ( جُنْدَلَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ مِنْ جُرْهُمٍ ) ، ابْنِ النَّضْرِ مِنْ  
 زَوْجِهِ ( عَاتِكَةَ بِنْتُ عَدَوَانَ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ ) ، ابْنِ كِنَانَةَ مِنْ زَوْجِهِ ( بَرَّةَ بِنْتُ  
 مَرْبٍ بِنِ أُدٍّ ) ، ابْنِ حَزِيمَةَ مِنْ زَوْجِهِ ( عُوَانَةَ بِنْتُ سَعْدٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ ) ،  
 ابْنِ مُدْرِكَةَ مِنْ زَوْجِهِ ( سَلْمَى بِنْتُ أَسْلَمٍ مِنْ قُضَاعَةَ ) ، ابْنِ إِيَّاسَ مِنْ زَوْجِهِ  
 ( خِنْدَفٍ ، الْمَضْرُوبِ بِهَا الْمَثَلُ فِي الشَّرَفِ وَالْمَنْعَةِ ) ، ابْنِ مُضَرَ مِنْ زَوْجِهِ  
 ( الرَّبَابِ بِنْتُ حَيْدَةَ بِنِ مَعَدٍّ ) ، ابْنِ نِزَارٍ مِنْ زَوْجِهِ ( سَوْدَةَ بِنْتُ عَكٍّ ) ،  
 ابْنِ مَعَدٍّ مِنْ زَوْجِهِ ( مُعَانَةَ بِنْتُ جَوْشَمٍ مِنْ جُرْهُمٍ ) ، ابْنِ عَدْنَانَ .

وَعَدْنَانُ يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى الذَّبِيحِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَبِي الْعَرَبِ  
 الْمُسْتَعْرَبَةِ .

وَخَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام هُوَ الْجَدُّ الثَّامِنُ لِعَدْنَانَ .<sup>(١)</sup>

وللهِ دَرُّ الزَّيْنِ العِرَاقِي فِي قَوْلِهِ :

حَفِظَ الإِلَهَ كِرَامَةَ لِمُحَمَّدٍ \* أَبَاءَهُ الأَمْجَادَ صَوْنًا لِاسْمِهِ

تَرَكَوا السِّفَاحَ فَلَمْ يُصِبهُمْ عَارُهُ \* مِنْ آدَمَ وَإِلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ

نَسَبٌ شَرِيفٌ كَمَا تَرَى : آباءٌ طَاهِرُونَ وَأُمَّهَاتٌ طَاهِرَاتٌ ، لَمْ يَزَلْ ﷺ يَنْتَقِلُ مِنْ أَصْلَابِ أَوْلِيكَ إِلَى أَرْحَامِ هَؤُلَاءِ حَتَّى اخْتَارَهُ اللهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا مِنْ أَوْسَطِ العَرَبِ نَسَبًا ، فَهُوَ مِنْ صَمِيمِ قُرَيْشِ النَّبِيِّ لَهَا القَدَمُ الأُولَى فِي الشَّرَفِ وَعُلُوِّ المَكَانَةِ بَيْنَ العَرَبِ ، وَلا تَجِدُ فِي سِلْسِلَةِ آبَائِهِ إِلا كِرَامًا لَيْسَ فِيهِمْ مُسْتَرْدَلٌ بَلْ كُلُّهُمْ سَادَةٌ قَادَةٌ ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ آبَائِهِ مِنْ أَرْفَعِ قَبَائِلِهِنَّ شَأْنًا ، وَلا شَكَّ أَنَّ شَرَفَ النِّسَبِ وَطَهَارَةَ المَوَالِدِ مِنْ شُرُوطِ النُّبُوَّةِ ، وَكُلُّ اجْتِمَاعٍ بَيْنَ آبَائِهِ وَأُمَّهَاتِهِ كَانَ شَرْعِيًّا بِحَسَبِ الأُصُولِ العَرَبِيَّةِ ، وَلَمْ يَنْلُ نَسَبُهُ شَيْءٌ مِنْ سِفَاحِ الجَاهِلِيَّةِ ، بَلْ طَهَّرَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ وَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ .

جاءَ فِي الحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ : ( خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي ) (٢)

( ما وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحِ الجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ ، وَما وَلَدَنِي إِلا نِكَاحَ كِنِاحِ الإِسْلامِ ) (٢)



(١) السِّفَاحُ : الرِّثاءُ . وَسُمِّيَ سِفَاحًا لِأَنَّ الأَنْسابَ تَضِيعُ فِيهِ كالماءِ المَسْفُوحِ .

(٢) أَخْرَجَهُ عبدُ الرِّزَّاقِ وابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفَيْهِما . وَالمُطَبَّراني فِي مُعْجَمِهِ وَالبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ المُطَبَّراني فِي مُعْجَمِهِ الكَبيرِ وَالبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ .

إِشْرَاقَاتُ مَوْلِيدِهِ وَرِضَاعَتِهِ وَنَشَأَتِهِ إِلَى أَوَانِ بَعْثِهِ ﷺ

مُقَدِّمَةٌ مِهْمَةٌ حَوْلَ زَوْاجِ وَالِدِي الْمُصْطَفَى عَبْدِ اللَّهِ وَآمِنَةٌ :

أَلَّتِ الرَّفَادَةُ وَالسَّقَايَةُ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ( جَدُّ النَّبِيِّ ﷺ ) ، وَكَانَتْ بَطْرُ زَمْرَمَ  
هَدَّ أَحْفَى مَعَالِمَهَا ( جُرْهُم ) فَلَا يَعْلَمُ مَكَانَهَا أَحَدٌ ، وَفِي قِصَّةِ إِظْهَارِهَا يَقُولُ  
عَبْدُ الْمُطَّلِبِ : بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ إِذْ أَتَانِي آتٌ ، فَقَالَ لِي : أَحْفَرُ طَيِّبَةٌ (١) ،  
قَالَ ، قُلْتُ : وَمَا طَيِّبَةٌ ؟

ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي ، فَتِمْتُ فِي مَضْجَعِي ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ .. جَاءَنِي ، فَقَالَ : أَحْفَرُ بَرَّةٌ  
قَالَ ، قُلْتُ : وَمَا بَرَّةٌ ؟ (٢)

ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ جَاءَنِي ، فَقَالَ :

أَحْفَرِ الْمَضْنُونَةَ ، قَالَ ، قُلْتُ : وَمَا الْمَضْنُونَةُ ؟ (٣)

قَالَ : ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ جَاءَنِي ، فَقَالَ :

أَحْفَرُ زَمْرَمَ ، قَالَ ، قُلْتُ : وَمَا زَمْرَمُ ؟

قَالَ : لَا تَتَزَفُ أَبَدًا وَلَا تَذِمُّ ، تَسْقِي الْحَجِيجَ الْأَعْظَمَ ، مِثْلَ نِعَامِ جَافِلٍ لَمْ يُقَسَمْ  
يَنْذِرُ فِيهَا نَازِرٌ لِمُنْعَمٍ ، تَكُونُ مِيرَاثًا وَعِقْدًا مُحْكَمًا ، لَيْسَتْ كَبَعْضِ مَا قَدْ تَعْلَمُ ،  
وَهِيَ بَيْنَ الْفَرْتِ وَالِدَمِّ (٤) عِنْدَ نَقْرَةِ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ عِنْدَ قَرْيَةِ النَّمْلِ . (٥)

فَلَمَّا دُلَّ عَلَى مَوْضِعِهَا ذَهَبَ وَمَعَهُ ابْنُهُ ( الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ) وَلَمْ يَكُنْ  
عِنْدَهُ أَوْلَادٌ غَيْرُهُ وَفَتَهَا ، وَاسْتَدَلَّ بِالْعَلَامَاتِ بَيْنَ مَكَانِ الدَّبْحِ وَقَرْيَةِ النَّمْلِ حَتَّى  
جَاءَ غُرَابٌ أَعْصَمُ فَتَنَقَّرَ فَحَفَرَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِهَذَا الْمَكَانِ ، فَمَنَعَتْهُ قُرَيْشٌ ،

وَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَا نَتْرُكُكَ تَحْفَرُ بَيْنَ وَتَيْنَا ( إِسَافُ وَنَائِلَةٌ ) الَّذِينَ تَنَحَّرَ عِنْدَهُمَا  
فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لِابْنِهِ الْحَارِثِ : ادْفَعْ عَنِّي حَتَّى أَحْفَرَ ، فَلَمَّا تَكَاثَرَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ

(١) لِأَنَّهَا لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ . (٢) بَرَّةٌ : لِأَنَّهَا فَاضَتْ لِلأَبْرَارِ ، وَغَاضَتْ عَنِ السَّجَّارِ .

(٣) الْمَضْنُونَةُ : لِأَنَّ اللَّهَ سَنَّ بِهَا عَلَى غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَا يَتَضَلَّ مِنْهَا مُنَافِقٌ .

(٤) لَا تَتَزَفُ : أَي لَا يَمْزُجُ مَاوَمَا ، وَلَا يَلْحَقُ قَمْرَهَا . (٥) لَا تَذِمُّ : لَا يَبْغِ مَاؤَمَا .

(٦) أَمَّا الْفَرْتُ وَالِدَمُّ : فَإِنَّ مَاءَهَا طَعَامٌ مُطْعَمٌ ، وَشِفَاءٌ سَمْعٌ ، وَهِيَ لِمَا شَرِبَتْ لَهُ .

(٧) الْأَعْصَمُ مِنَ الْغُرَابِ : الَّذِي فِي جَنَاحَيْهِ نِيَاضٌ .

وَلَقِيَ مِنْهُمْ مَا لَقِيَ ، نَذَرَ لَيْثُنَ وَوَلِدَ لَهُ عَشْرَةٌ نَفَرٍ ، ثُمَّ بَلَفُوا مَعَهُ حَتَّى يَمْنَعُوهُ ،  
لِيَنْحَرَنَّ أَحَدَهُمْ لِلَّهِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ .

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا عَرَفَتْ قُرَيْشُ تَصْمِيمَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى الْحَفْرِ تَرَكُوهُ يَحْفُرُ ، فَلَمْ  
يَحْفُرْ إِلَّا يَسِيراً حَتَّى بَدَأَ لَهُ الطُّيُ ( حِجَارَةٌ حَوْلَ الْبَيْتِ ) فَكَبَّرَ وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ  
صَدَقَ ، فَلَمَّا تَمَادَى بِهِ الْحَفْرُ وَجَدَ فِيهَا غَزَالَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ( وَهُمَا الْغَزَالَانِ  
الَّذَانِ دَفَنْتَ جُرْهُمَ فِيهَا حِينَ خَرَجْتَ مِنْ مَكَّةَ ) ، وَوَجَدَ فِيهَا أَسْيَافاً وَأَدْرَاعاً ،  
وَنَازَعَتْهُ قُرَيْشُ فِي ذَلِكَ ، وَانْتَهَى الْأَمْرُ فِي النَّهَايَةِ ( بَعْدَ ضَرْبِ الْقِدَاحِ عَلَى مَا  
ارْتَضَتْهُ قُرَيْشُ ) : بِأَنْ خَرَجَ الْغَزَالَانِ نَصِيباً لِلْكَعْبَةِ ، وَالْأَسْيَافُ وَالْأَدْرَاعُ نَصِيباً  
لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَلَكِنَّهُ تَنَازَلَ عَنْ نَصِيبِهِ لِلْكَعْبَةِ ، حَيْثُ ضَرَبَ الْأَسْيَافَ بَاباً لِلْكَعْبَةِ  
وَضَرَبَ فِي الْبَابِ الْغَزَالَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، ثُمَّ إِنَّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَقَامَ سِقَايَةَ زَمْزَمَ  
لِلْحُجَّاجِ .

ثُمَّ تَمُرُّ الْأَيَّامُ وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَجَاءَهُ ، وَكَمَلَ بَنُوهُ عَشْرَةٌ وَهُمْ :  
الْحَارِثُ وَالزُّبَيْرُ وَأَبُو طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ وَحَمْزَةُ وَأَبُو لَهَبٍ وَالْفَيْدَاقُ وَالْمُقَوِّمُ وَضِرَارُ  
وَالْعَبَّاسُ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى سِتِّ مِنَ الْبَنَاتِ وَهُنَّ : أُمُّ حَكِيمٍ وَبَرَّةٌ وَعَاتِكَةُ وَصَفِيَّةُ  
وَأَرْوَى وَأُمَيْمَةَ .

وَكَانَ ( عَبْدُ اللَّهِ ) أَحَبَّ أَبْنَاءِ ( عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ) إِلَيْهِ ، وَهُوَ الذَّبِيحُ : وَذَلِكَ أَنَّ  
( عَبْدَ الْمُطَّلِبِ ) لَمَّا صَارَ أَبْنَاؤُهُ مِنَ الذُّكُورِ عَشْرَةً وَأَصْبَحُوا يَمْنَعُونَهُ ، جَمَعَهُمْ  
وَأَخْبَرَهُمْ بِنَذْرِهِ ، فَأَطَاعُوهُ فَلَمَّا أَقْرَعَ بَيْنَهُمْ وَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى ( عَبْدِ اللَّهِ ) ،  
فَلَمَّا هَمَّ بِتَنْفِيذِ نَذْرِهِ بِذَبْحِ ابْنِهِ ، مَنَعَتْهُ قُرَيْشُ وَقَالُوا : وَاللَّهِ لَا تَذْبَحْهُ أَبَداً حَتَّى  
تُعَذَّرَ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ : كَيْفَ أَصْنَعُ فِي نَذْرِي ؟ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ  
يَذْهَبَ إِلَى خَيْبَرَ فَإِنَّ بِهَا عَرَّافَةً لَهَا تَابِعٌ ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا جَاءَهَا  
وَقَصَّ عَلَيْهَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ نَذْرَهُ بِذَبْحِ ابْنِهِ ، أَمَهَلَتْهُمْ حَتَّى تَسْأَلَ تَابِعَهَا ، فَلَمَّا كَانَ  
الْيَوْمَ التَّالِي ، قَالَتْ : جَاءَنِي الْخَبْرُ ، وَسَأَلْتِ : كَمْ الدِّيَّةُ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : عَشْرَةٌ

مِنَ الْإِبِلِ ، قَالَتْ : ارْجِعُوا إِلَى بِلَادِكُمْ ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبِكُمْ وَقَرَّبُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ  
ثُمَّ اضْرَبُوا عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ بِالْقِدَاحِ ، فَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى صَاحِبِكُمْ فَزِيدُوا مِنَ الْإِبِلِ  
حَتَّى يَرْضَى رِبُّكُمْ وَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى الْإِبِلِ فَانْحَرَوْهَا عَنْهُ ، فَلَمَّا رَجَعُوا مَكَّةَ قَدَّمَ  
( عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ) عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى ( عَبْدِ اللَّهِ ) ، فَزَادُوا عَشْرًا  
ثُمَّ ضَرَبُوا فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى ( عَبْدِ اللَّهِ ) ، فَلَمْ يَزَالُوا يَزِيدُونَ حَتَّى بَلَغَتْ الْإِبِلُ  
مِائَةً ثُمَّ ضَرَبُوا الْقِدَاحَ عَلَى الْإِبِلِ ، وَلَمْ يَرْضَ ( عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ) بِذَلِكَ حَتَّى  
أَضْرَبَ عَلَيْهَا بِالْقِدَاحِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَيَقَعُ الْقِدَاحُ فِيهَا عَلَى الْإِبِلِ ، فَتُحْرَجَتْ  
وَأَصْبَحَتِ الدِّيَةُ مِنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي قُرَيْشٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَقْرَبَهَا بَعْدَ ذَلِكَ  
الْإِسْلَامُ .

وَهَكَذَا وَفَى عَبْدُ الْمُطَّلِبِ نَذْرَهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ وَشَارَكَهُ الْفَرَحَةَ سَادَاتُ مَكَّةَ .

وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ انْصَرَفَ ( عَبْدُ اللَّهِ ) قَاصِدًا بَيْتَهُ ، وَفِي الطَّرِيقِ مَرَّ عَلَى امْرَأَةٍ  
كَاهِنَةٍ مُتَهَوِّدَةٍ قَدْ قَرَأَتِ الْكُتُبَ ، فَقَالَتْ لَهُ حِينَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَجْهَهُ وَكَانَ أَحْسَنَ  
رَجُلٍ فِي قُرَيْشٍ : لَكَ مِثْلُ الْإِبِلِ الَّتِي نُحْرَجَتْ عَنْكَ وَقَعَّ عَلَى الْآنَ لِمَا رَأَتْ فِي  
وَجْهِهِ مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ وَرَجَتْ أَنْ تَحْمِلَ بِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ ، فَأَجَابَهَا بِقَوْلِهِ :

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ \* وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَاسْتَيْبِنَهُ

فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبَيَّنَهُ \* يَحْمِي الْكَرِيمَ عَرْضُهُ وَدِينَهُ

ثُمَّ خَرَجَ بِهِ أَبُوهُ ( عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ) حَتَّى أَتَى بِهِ وَهَبَ بِنَ عَبْدِ مَنَافٍ بِنِ زُهْرَةَ وَهُوَ  
يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ بَنِي زُهْرَةَ نَسَبًا وَشَرَفًا ، فَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ ( أَمَنَةَ ) وَهِيَ يَوْمَئِذٍ أَفْضَلُ  
امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَسَبًا وَمَوْضِعًا ، وَبَنَى بِهَا ( عَبْدُ اللَّهِ ) بِشَيْبِ أَبِي طَالِبٍ فَحَمَلَتْ  
بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا فَهَمَّرَ بِالْمَرَأَةِ الَّتِي عَرَضَتْ فَأَعْرَضَتْ عَنْهُ  
وَلَمْ يَجِدْ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا الْوَجْهَ الَّذِي رَأَى بِالْأَمْسِ ، فَتَعَجَّبَ مُسْتَسْرِأً ١٥ .

فَقَالَتْ : فَارْقَكَ التُّورُ الَّذِي كَانَ مَعَكَ بِالْأَمْسِ ، فَلَيْسَ لِي بِكَ الْيَوْمَ حَاجَةٌ إِنَّمَا

أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ النُّورُ فِيَّ ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَهُ حَيْثُ شَاءَ .

وَلَمْ يَلْبَثْ ( عَبْدُ اللَّهِ ) أَنْ تُوَفِّيَ بَعْدَ الْحَمْلِ بِشَهْرَيْنِ وَدُفِنَ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ أَحْوَالِ أَبِيهِ ( بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ) ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ ذَهَبَ بِتِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ فَأَدْرَكَتُهُ مَنِيَّتُهُ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ رَاجِعٌ .

وَلَمَّا بَلَغَ نَعْيُهُ إِلَى مَكَّةَ رَثَتْهُ ( أَمِنَةُ ) بِأَرْوَعِ الْمَرَاثِي ، قَالَتْ :

عفا جانبُ البطحاءِ من ابنِ هاشمٍ \* وجاورَ لعداً خارجاً في النماغمِ  
دَعَتْهُ الْمَنَايَا دَعْوَةً فَأَجَابَهَا \* وما تَرَكْتُ فِي النَّاسِ مِثْلَ ابْنِ هَاشِمٍ  
عَشِيَّةً رَاحُوا يَحْمِلُونَ سَرِيرَهُ \* تَعَاوَرَهُ أَصْحَابُهُ فِي التَّرَاخُمِ  
فَإِنْ تَكُ غَالَتُهُ الْمَنَايَا وَرَبَّيْهَا \* فَقَدْ كَانَ مِعْطَاءً كَثِيرَ التَّرَاخُمِ (١)

وَجَمِيعُ مَا خَلْفَهُ ( عَبْدُ اللَّهِ ) خَمْسَةُ أَجْمَالٍ ، وَقِطْعَةٌ عَنَمٍ ، وَجَارِيَةٌ حَبَشِيَّةٌ اسْمُهَا بَرَكَةٌ وَكُنِيَّتُهَا أُمُّ أَيْمَنَ ، وَهِيَ حَاضِنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

الْحَمْلُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا صَاحَبَهُ لِأَمِنَةَ وَأَهْلِ مَكَّةَ :

كَانَتْ قُرَيْشٌ فِي جَدْبٍ شَدِيدٍ وَضِيقٍ عَظِيمٍ ، فَلَمَّا ظَهَرَ حَمْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اخْضَرَّتِ الْأَرْضُ وَحَمَلَتِ الْأَشْجَارُ وَأَتَاهُمُ الرَّفْدُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَسُمِّيَتْ تِلْكَ السَّنَةُ الَّتِي حَمَلَ فِيهَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَنَةَ الْفَتْحِ وَالْإِبْتِهَاجِ .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ اسْحَاقَ أَنَّ السَّيِّدَةَ ( أَمِنَةَ ) كَانَتْ تُحَدِّثُ أَنَّهَا أُتِيَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ ﷺ فَقِيلَ لَهَا : إِنَّكَ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَقَالَتْ : مَا شَعَرْتُ بِأَنِّي حَمَلْتُ بِهِ وَلَا وَجَدْتُ لَهُ ثِقْلاً وَلَا وَحْماً كَمَا تَجِدُ النِّسَاءُ إِلَّا أَنِّي أَنْكَرْتُ رَفَعَ حَيْضَتِي ، وَأَتَانِي آتٍ وَأَنَا بَيْنَ النَّائِمَةِ وَالْبِقْطَانَةِ فَقَالَ : هَلْ شَعَرْتِ بِأَنَّكَ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ أَمَهَلَنِي حَتَّى إِذَا دَنَتْ وَلادَتِي أَنَانِي ، فَقَالَ قَوْلِي :

أَعِينَهُ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ .. ثُمَّ سَمَّيْتُهُ مُحَمَّدًا .

(١) طلبتُك ابنِ سعدٍ . والنماغمُ : الأغميةُ . وتعاوَرَهُ : تداوَلَهُ .

## مَوْلِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

إِذَا كَانَ أَرْبَابُ السَّيْرِ يَذْكُرُونَ أَنَّهُ فِي لَيْلَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ سَقَطَتْ أَرْبَعُ عَشْرَ شُرْفَةً مِنْ إِيوانِ كِسْرَى ، وَخَمَدَتِ النَّارُ الَّتِي يَعْبُدُهَا الْمَجُوسُ وَغَاضَتْ بِحَيْرَةَ سَاوَةَ ، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ أَنَّهُ لَمْ يَسْقُطْ إِيوانُ كِسْرَى فَقَطْ ؛ بَلْ سَقَطَتْ قُصُورُ شَأْنِ وَجَاهِ الْعَجَمِ ، وَشَوْكَةُ الرُّومِ وَعَظْمَةُ الصِّينِ ، وَلَمْ تَخْمُدْ نَارُ فَارِسٍ فَقَطْ ؛ بَلْ خَمَدَ جَعِيمُ الشَّرِّ وَنَارُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ ، وَبَدَأَ التُّرَابُ يَطِيرُ فِي الْمَعَابِدِ وَالتَّصَقَّتِ الْمَعَابِدُ بِالتُّرَابِ ، وَتَشَتَّتَتْ وَتَنَازَرَتْ الْمَجُوسِيَّةُ ، وَوَقَعَتْ أَوْرَاقُ خَرِيفِ النَّصْرَانِيَّةِ وَاحِدَةٌ تَلُو الْأُخْرَى .

وظَهَرَتْ قُوَّةُ التَّوْحِيدِ ، وَأَتَى الرَّبِيعُ فِي حِدَائِقِ السَّعَادَةِ ؛ وَانْتَشَرَتْ أَشَعَّةُ شَمْسِ الْهِدَايَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَتَلَأَلَّتِ الْقِدَاسَةُ وَالطَّهَارَةُ فِي مِرَاةِ الْأَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ .  
أَيُّ يَتِيمِ عَبْدِ اللَّهِ ( فَلَدَّةُ كَبِدِ أَمِنَةَ ، سَيِّدِ الْحَرَمِ ، وَسَيِّدِ الْعَرَبِ ، وَسَيِّدِ الْعَالَمِ ، وَسَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ ، وَخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ؛ فَهُوَ أَحْمَدُ وَمُحَمَّدٌ وَحَامِدٌ وَمَحْمُودٌ ، مُرْسَلٌ لِلْبَشَرِ كُلِّهِمْ ، وَلَكِنَّهُ فَاقَ الْفَصَاحَةَ فَصَاحَةً وَبِلَاغَةَ مِنْ أَيْفِ آدَمَ حَتَّى مِيمِ الْمَسِيحِ ، فَقَدْ شَرَفَ عَالَمَ الدُّنْيَا بِمِيلَادِهِ .

- وَمُحَيًّا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيًّا \* أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَاءُ
- لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدِّينِ \* سُرُورَ بِيَوْمِهِ وَازْدِهَاءُ
- مَوْلِدٌ كَانَ مِنْهُ فِي طَالِعِ الْكُفْرِ \* وَبِالْ عَالِيهِمْ وَوَبَاءُ
- يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ابْنَةٌ وَهَبِ \* مِنْ فَخَارِ مَالِمٍ تَلَّهُ النِّسَاءُ
- وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلِ مِمَّا \* حَمَلَتْ قَبْلُ مَرِيَمُ الْعَذْرَاءُ
- وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْهَوَاتِفِ أَنْ قَدْ \* وُلِدَ الْمُصْطَفَى وَحَقَّ الْهِنَاءُ

تَارِيخُ الْمِيلَادِ وَمَكَانُ وِلَادَتِهِ : وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ بِبَلَا خِلَافٍ ، وَقَالَ الْأَكْثَرُونَ : لَيْلَةَ الثَّانِي عَشَرَ مِنْهُ ، وَأَثْبَتَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْفَلَاحِ

( ١ ) غَاضَتْ : غَازَ مَاوَمَا وَذَهَبَ ، وَهِيَ بُحَيْرَةٌ كَبِيرَةٌ بَيْنَ هَمْدَانَ وَنَهْمَ مِنْ إِيرَانَ ، وَهِيَ جَنَّتْ ، وَمَكَانُهَا فِي إِيرَانَ مَعْرُوفٌ .

النَّابِهَيْنِ : <sup>(١)</sup> أَنَّ ذَلِكَ كَانَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ تَاسِعِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ الْمُوَافِقِ لِيَوْمِ  
 الْعِشْرِينَ مِنْ أَبْرِيلِ سَنَةِ ٥٧١ مِنَ الْمِيلَادِ ( وَمِنْ الشُّهُورِ الشَّمْسِيَّةِ نَيْسَانَ ) ،  
 وَهُوَ يُوَافِقُ السَّنَةَ الْأُولَى مِنْ حَادِثَةِ الْفِيلِ .

وَكَانَتْ وِلادَتُهُ ﷺ فِي دَارِ أَبِي طَالِبٍ بِشَعْبِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي  
 يَجْتَمِعُ فِيهِ أَهْلُ ( مَكَّة ) لَيْلَةَ الْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ ، لِلذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ وَالتَّبَرُّكِ بِمَسْقَطِ  
 رَأْسِهِ ﷺ .

وَعَلَى هَذَا دَأْبُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَأَصْحَابِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ ، وَذَوُو الْحِظِّ الْعَظِيمِ عَلَى  
 تَذْكَرِ ذِكْرَى مِيلادِهِ وَالاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ سِيرَتِهِ الْعَطْرَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَإِطْعَامِ  
 الطَّعَامِ عَلَى حُبِّهِ ﷺ فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اتَّخَذَ لِيَالِي شَهْرِ مَوْلِدِهِ الْمُبَارَكِ أَعْيَادًا .  
 وَرَأَتْ أُمُّهُ حِينَ وَضَعَتْهُ ﷺ نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ عَمُّهُ  
 الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ :

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقْتَ الْأَرْضُ \* وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأَفْقُ

فَتَحُنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّورِ \* وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

وَكَانَتْ قَابِلَتُهُ الشَّفَاءُ ( أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ) ، وَلَمَّا وُلِدَ ﷺ أَرْسَلَتْ أُمُّهُ  
 لِحَدِّهِ تَبَشُّرُهُ ، فَأَقْبَلَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ مَسْرُورًا وَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا ، وَدَخَلَ بِهِ الْكَعْبَةَ ،  
 وَدَعَا اللَّهَ وَشَكَرَ لَهُ .

وَكَانَتْ حَاضِنَتُهُ أُمُّ أَيْمَنَ ( بَرَكَةُ الْحَبَشِيَّةِ ) أَمَةٌ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ .

رَضَاعَتُهُ ﷺ : وَأَوَّلُ مَنْ أَرْضَعَتْهُ ﷺ بَعْدَ أُمِّهِ : ثُوَيْبَةُ ( مَوْلَاةُ عَمِّهِ أَبِي لَهَبٍ ) ،  
 وَأَرْضَعَتْ مَعَهُ عَمُّهُ ( حَمْرَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَأَبَا سَلَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْرُومِ ،  
 بَلْبَنِ ابْنِهَا مَسْرُوحِ .

وَفِي ( صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ) أَنَّهُ ﷺ قَالَ : ( أَرْضَعْتَنِي أَنَا وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ ) .

قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَثُوَيْبَةُ مَوْلَاةُ لِأَبِي لَهَبٍ . كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا ،

( ١ ) هُوَ مُحَمَّدُ بَاشَا الْفَلَكِيِّ : مُهَنْدِسُ رِيَاضِيٍّ مِنْ عُلَمَاءِ مِصْرَ . لَهُ آثارٌ تَدُلُّ عَلَى بَرَاهِمِهِ فِي عِلْمِ الْفَلَكِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ  
 وَالْجُغْرَافِيَا ، تُوَفِّيَ سَنَةَ ١٨٨٥ م - ١٣٠٢ هـ .



فَأَرْضَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أَرِيَهُ الْعَبَّاسُ فِي أَسْوَأِ حَالَةٍ ، فَقَالَ لَهُ :  
 مَاذَا لَقِيتَ ؟ قَالَ : لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ خَيْرًا ، غَيْرَ أَنِّي خُفِّفْتُ عَنِّي الْعَذَابُ بِعِتَابِي  
 نُؤْيِبَةَ (١)

رِضَاعَتُهُ ﷺ مِنْ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ :

وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنْ يَلْتَمِسُوا الْمَرَضِعَ لِمَوَالِدِهِمْ فِي الْبَوَادِي لِيَكُونَ أَنْجَبَ  
 لِلوَلَدِ حَيْثُ صَحَّةُ الْهَوَاءِ وَفِصَاحَةُ اللِّسَانِ ، فَجَاءَتْ نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ  
 يَطْلُبْنَ أَطْفَالَ يُرَضِعْنَهُمْ ، فَكَانَ الرَّضِيعُ الْمَحْمُودُ مِنْ نَصِيبِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ  
 بِنْتُ أَبِي دُوَيْبٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ ، ثُمَّ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ الْيَاسِ  
 بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ ، وَاسْمُ زَوْجِهَا ( الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى  
 السَّعْدِي ) وَهُوَ أَبُو الْحَبِيبِ ﷺ مِنَ الرَّضَاعِ وَالَّذِي كَانَتْ قُرَيْشٌ تَسْبُ لَهُ الرَّسُولَ  
 ﷺ حِينَمَا يُرِيدُونَ الْاسْتِهْزَاءَ بِهِ فَيَقُولُونَ : هَذَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ يُكَلِّمُ مِنَ السَّمَاءِ  
 وَأَمَّا إِخْوَتُهُ ﷺ مِنَ الرَّضَاعِ هُمْ : عَبْدُ اللَّهِ وَأَنْبَسَةُ وَحُدَافَةُ ( وَهِيَ الشَّيْمَاءُ ) ،  
 وَثَلَاثَتُهُمْ أَبْنَاءُ الْحَارِثِ مِنْ حَلِيمَةَ .

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ، قَالَتْ حَلِيمَةُ :  
 خَرَجْتُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ نَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ ، عَلَى أَتَانٍ لِي قَمْرَاءَ ، فِي سَنَةِ  
 شَهْبَاءَ ، وَمَعِيَ زَوْجِي الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ، وَمَعَنَا شَارِفُ  
 لَنَا ( أَي : نَاقَةٌ مُسِنَّةٌ ) مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ ، وَمَا نَنَامُ نَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ بُكَاءِ صَبِيئِنَا ،  
 مَا فِي ثَدْيِي مَا يُفْنِيهِ ، وَلَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغْذِيهِ ، فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي تِلْكَ ، وَلَمَّا  
 أَدْمَتُ بِالرُّكْبِ - أَي : وَلَمَّا أَزْرَتُ بِهِمْ - ضَعْفًا وَعَجْفًا ، حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ،  
 حَتَّى قَدِمْنَا ( مَكَّةَ ) ، فَوَاللَّهِ مَا مَنَّا امْرَأَةً إِلَّا عَرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَابَاهُ  
 إِذَا هِيلَ لَهَا : يَتِيمٌ ، ( وَذَلِكَ أَنَا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ ، فَكُنَّا

(٢) أَتَانٌ : جِمَارَةٌ ، قَمْرَاءُ : سُدَيْدَةُ الْبِيضِ

(٤) تَبِضُّ : تَدْرُ .

(٥) أَدْمَتُ الرُّكْبَ : أَغْيَيْتُ وَتَخَلَّفْتُ عَنْ جَمَاعَةِ الْإِبِلِ . وَلَمْ تَلْتَقِ بِهَا ، يُرِيدُ أَنَّهَا تَأَخَّرَتْ بِالرُّكْبِ ، أَي تَأَخَّرَ الرُّكْبُ بِسَبَبِهَا .

(٧) الْعَجْفُ : الْهَزَالُ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٢) سَنَةُ شَهْبَاءَ : ذَاكَ جَذْبٌ وَقَحْطٌ .

(٦) أَزْرَتُ : فَصَّرَتْ وَهَيَّأَتْ .

نَقُولُ : بَيْتِي ( وما عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ ؟ ) ، فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ مِمَّنْ قَدِمَتْ  
 مَعِيَ إِلَّا أَخَذَتْ رَضِيعاً غَيْرِي ، فَلَمَّا أَجْمَعْنَا الانْطِلَاقَ قُلْتُ لِصَاحِبِي : (١) وَاللَّهِ إِنِّي  
 لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي ، وَلَمْ أَخَذْ رَضِيعاً ، وَاللَّهِ لَأَذْهَبَنَّ إِلَى ذَلِكَ  
 الْبَيْتِمْ فَلَأَخُذْتُهُ ، قَالَ : لَا عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلِي ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكََةً ،  
 قَالَتْ : فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ .

قَالَتْ : فَلَمَّا أَخَذْتُهُ رَجَعْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي . أَقْبَلَ عَلَيْهِ  
 تَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنَ اللَّبَنِ ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوَى ، وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتَّى رَوَى ، ثُمَّ  
 نَامَا ، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفِي فَإِذَا بِهَا حَافِلٌ (٢)  
 فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ ، وَشَرِبْتُ ، حَتَّى انْتَهَيْنَا شَبَعاً وَرِيّاً ، فَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ .

قَالَتْ : يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا : اعْلَمِي يَا حَلِيمَةُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاكِ هَذَا  
 أَخَذْتَ نَسْمَةً مُبَارَكَةً ، أَلَمْ تَرَى إِلَى مَا بِتْنَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكََةِ ؟ فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ  
 يُرِينَا خَيْرًا .

قَالَتْ : ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَكِبْتُ أَتَانِي تِلْكَ ، وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا مَعِيَ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ قَطَعْتُ  
 بِالرَّكْبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حُمْرِهِمْ ، حَتَّى إِنْ صَوَّاحِبِي لَيَقْلُنَ لِي : يَا بِنْتَ  
 أَبِي دُوَيْبٍ ، وَيَحْكُ ( أَرَبِعِي عَلَيْنَا ) ( أَي : ارْفُقِي ) أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانُكَ الَّتِي كُنْتَ  
 خَرَجْتَ عَلَيْهَا ؟ فَأَقُولُ لَهُنَّ : بَلَى ، وَاللَّهِ إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ ( فَيَقْلُنَ : وَاللَّهِ إِنْ لَهَا  
 لَشَأْنًا .

قَالَتْ : ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدِ ، وَمَا أَعْلَمُ أَرْضاً مِنْ أَرْضِ اللَّهِ  
 أَجْدَبَ مِنْهَا ، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شَبَاعاً لُبّاً (٣) فَتَحَلَّبُ  
 وَتَشْرَبُ ، وَمَا يَحَلَّبُ إِنْسَانٌ غَيْرُنَا مِنْهُمْ قَطْرَةَ لَبَنٍ ، وَلَا يَجِدُهَا فِي صَرْعٍ ، حَتَّى  
 كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعَاتِهِمْ : وَيَحْكُمُ ( أَسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي  
 بِنْتِ أَبِي دُوَيْبٍ ، فَيَسْرَحُونَ ، فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيعاً هَزْلاً مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ ،

(٢) صَرْعٌ حَافِلٌ : مُنْتَظَرٌ لِبَنَاتٍ .

(١) الصَّاحِبُ : الزَّوْجُ .

(٢) أَلَيْسَتْ النَّاقَةُ : إِذَا نَزَلَ لَبَنُهَا فِي صَرْعِهَا .

وَتَرَوُحُ غَنَمِي شِبَاعاً لُبْنًا ، فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنَ اللَّهِ الزِّيَادَةَ وَالْبَرَكَهَ حَتَّى مَضَتْ  
سَنَتَاهُ ، فَفَصَلَّتُهُ عَنِ الرِّضَاعَةِ .

(١) وَكَانَ ﷺ يَشِبُّ شِبَابًا لَا يَشْبُهُ الْغُلَمَانُ ، فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتَّى كَانَ غُلَامًا جَفْرًا .  
قَالَتْ : فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ ، وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكْتَبِهِ فِينَا ، لِمَا كُنَّا  
نَتَعَرَّفُ مِنْ بَرَكَتِهِ . فَقُلْتُ لَأُمِّهِ : دَعِينَا نَرْجِعُ بِهِ ، فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْهِ وِبَاءَ ( مَكَّةَ )  
وَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى رَدَّتْهُ مَعَنَا .. انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ إِسْحَاقَ . (٢)

حَادِثَةٌ شَقَّ صَدْرَهُ ﷺ :

وَبَعْدَ عَامَيْنِ مِنْ مَرْجِعِ السَّيِّدَةِ حَلِيمَةَ بِهِ ﷺ ( أَي : فِي الْعَامِ الْخَامِسِ مِنْ مَوْلِدِهِ  
ﷺ ) أَنَاهُ مَلَكَانِ فَشَقَّ صَدْرَهُ ، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبَهُ فَشَقَّاهُ ، وَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عِلْقَةً  
سُودَاءَ ، وَقَالَا : هَذَا حُطُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ، ثُمَّ مَلَّاهُ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، ثُمَّ لِأُمَاهُ .  
فَالْتَأَمَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ خْتَمَاهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ (٣) بَيْنَ كَتِفَيْهِ كَالطَّايِعِ ، ثُمَّ  
قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : زِنَةُ بَعْشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَفَعَلَ فَوَزَنَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنَةُ بِمِئَةِ  
مِنْ أُمَّتِهِ ، فَفَعَلَ فَوَزَنَهُمْ . ثُمَّ قَالَ : زِنَةُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَفَعَلَ فَوَزَنَهُمْ ، حَتَّى قَالَ  
وَاللَّهِ لَوْ وَزَنْتُهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَوَزَنَهُمْ ، ثُمَّ قَبَّلَا رَأْسَهُ ﷺ وَمَايَنَ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَا : يَا  
حَبِيبُ لَمْ تُرَعْ ، إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ .

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ( فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَلِيَا عَنِّي ، وَكَأَنَّمَا الْأَمْرُ مُعَايِنَةٌ ) (٤) .

وَفِي ( صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ) عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : هُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ﷺ  
فَتَنَظَّرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ .

وَفِي ( صَحِيحِ مُسْلِمٍ ) : أَنَّ الْخَاتَمَ كَانَ إِلَى جِهَةِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَتَخَوَّفْتُ عَلَيْهِ حَلِيمَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَرَدَّتْهُ إِلَى أُمِّهِ فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ  
أَمِنَةٌ لَهَا : مَا أَقْدَمَكَ بِهِ يَاطِرٌ (٥) وَقَدْ كُنْتُ حَرِيصَةً عَلَيْهِ ؟ فَأَخْبَرْتُهَا ، قَالَتْ :

(٢) ابن هشام . ج ١ .

(١) اسْتَجْمَرَ الصَّبِيَّ : إِذَا هَوِيَ عَلَى الْأَكْلِ وَكَثَرَ لَعْنُهُ .

(٣) وَكَانَ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ . وَإِنَّهُ مِثْلُ زُرِّ الْعَجَلَةِ . كَمَا ذَكَرَهُ ( الْبُخَارِيُّ ) . وَالْمُرَادُ بِالْعَجَلَةِ الطَّائِرُ وَزُرُّهَا نَيْضُهَا .

(٤) الطَّيْرُ الْمُرْضِعَةُ الْعَائِنَةُ عَلَى مَنْ تُرْضِعُهُ .

(٥) أَخْرَجَهُ الْكُتُبِيُّ ، عَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ .

أَفْتَخَّوْفَتْ عَلَيْهِ ؟ وَاللَّهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَى ابْنِي هَذَا مِنْ سَبِيلٍ ، وَإِنَّ لَهُ لَشَأْنًا ،  
وَلَقَدْ رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ لِي قُصُورَ ( بُصْرَى ) مِنْ  
أَرْضِ الشَّامِ (١) .

مَزِيدُ إِظْهَارٍ لِلسَّرِّ مَعَ تَكَرُّرِ شَقِّ الصَّدْرِ :

وَقَدْ تَكَرَّرَ شَقُّ الصَّدْرِ الشَّرِيفِ غَيْرَ هَذِهِ المَرَّةِ ، فَقَدْ حَصَلَ مَرَّةً ثَانِيَةً عِنْدَ  
المَبْعَثِ عِنْدَ مَجِيءِ جَبْرِيلَ العَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ بِالوَحْيِ فِي غَارِ حِرَاءِ ، وَمَرَّةً ثَالِثَةً عِنْدَ  
الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ .

أَمَّا الأُولَى : فَقَدْ كَانَتْ لِنَزْعِ العَلَقَةِ السَّوْدَاءِ ، الَّتِي هِيَ حِطُّ الشَّيْطَانِ مِنْ كُلِّ  
إِنْسَانٍ ، وَلِذَلِكَ نَشَأَ عَلَى أَكْمَلِ الأَحْوَالِ مِنَ العِصْمَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَلَيْتَلَمَّى مَا يُوحَى إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أُمُورِ الرِّسَالَةِ بِقَلْبٍ قَوِيٍّ وَهُوَ عَلَى  
أَكْمَلِ الأَحْوَالِ وَأَتَمِّ الاستِعْدَادِ .

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ : فَكَانَتْ استِعْدَادًا لِمَا يُلْقَى إِلَيْهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنْ أَنْوَاعِ الفُيُوضَاتِ  
الرَّبَّانِيَّةِ ، وَمَا سِيرِهِ رَبُّهُ فِيهَا مِنَ الآيَاتِ البَيِّنَاتِ ، وَإِدْرَاكِ المَثَلِ الرَّائِعَةِ الَّتِي  
ضُرِبَتْ لَهُ فِي مَسْرَاهُ وَفِي مِعْرَاجِهِ ، وَكُلُّهَا تَحْتَاجُ إِلَى شَرْحِ الصَّدْرِ وَثَبَاتِ القَلْبِ  
وَقَدْ تَطَاوَلَ بَعْضُ المُسْتَشْرِقِينَ فِي التَّشْكِيكِ فِي حَادِثَةِ شَقِّ الصَّدْرِ ، وَقَدْ تَأَثَّرَ  
بِهَذَا الرَّأْيِ بَعْضُ الكَاتِبِينَ فِي السَّيْرَةِ مِنَ المُسْلِمِينَ !! وَقَدْ قَامَ الخُلُصُ مِنَ  
العُلَمَاءِ العَارِفِينَ بِالرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَدَحْضِ شُبُهَةِ المُنْكَرِينَ .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

وَمَا أَخْرَجَ الأَمْلَاقُ مِنْ صَدْرِهِ أَدَى \* وَلَكِنَّهُمْ زَادُوهُ طَهْرًا عَلَى طَهْرٍ

وَالقَاعِدَةُ عِنْدَ عِبَادِ اللّهِ المُتَّقِينَ : أَنَّ مِيزَانَ القَبُولِ لِلخَبَرِ إِنَّمَا هُوَ صِدْقُ الرِّوَايَةِ  
وَصِحَّتُهَا ، فَإِذَا ثَبَتَتْ الرِّوَايَةُ ثُبُوتًا بَيِّنًا فَلَا مَنَاصَ مِنْ قَبُولِهِ مَوْضُوعًا عَلَى  
الرَّأْسِ ، وَأَنَّ مُحَاوَلَةَ اسْتِنكَارِ ذَلِكَ بِحُجَّةٍ أَنَّ العَقْلَ وَالمَنْطِقَ لَا يَقْبَلَانِهِ ، فَإِنَّ

ذَلِكَ لَا يَأْتِي إِلَّا مِنْ ضَعْفٍ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ . ثُمَّ مِنْ ضَعْفٍ فِي الْيَقِينِ بِنُبُوءَةِ  
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ ، وَالْأَمَّا أَسْهَلُ الْيَقِينِ بِكُلِّ مَا صَحَّ نَقْلُهُ سِوَاهُ  
عُرِفَتْ الْحِكْمَةُ وَالْعِلَّةُ أَمْ لَمْ تُعْرَفْ .

وَفَاةُ السَّيِّدَةِ أَمْنَةَ : وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ مَوْلِدِهِ ﷺ رَأَتْ السَّيِّدَةُ ( أَمْنَةُ )  
وَفَاءً لِدُكْرَى زَوْجِهَا الرَّاحِلِ أَنْ تَزُورَ قَبْرَهُ بِبَثْرَبِ ( الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ) ، فَخَرَجَتْ  
مِنْ مَكَّةَ قَاطِئَةً رِحْلَةً تَبْلُغُ خَمْسَمِائَةَ كِيلُومِترًا ، وَمَعَهَا وَلَدُهَا الْيَتِيمُ مُحَمَّدٌ ﷺ  
وَخَادِمَتُهَا ( أُمُّ أَيْمَنَ ) ، فَمَكَثَتْ شَهْرًا عِنْدَ أَحْوَالِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُمْ بَنُو  
عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ مِنَ الْخَزْرَجِ .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَذَكَّرُ كَثِيرًا مِنْ فِتْرَةِ إِقَامَتِهِ فِي الْمَدِينَةِ ، فَحِينَ مَرَّ ذَاتَ مَرَّةٍ  
عَلَى مَنَازِلِ بَنِي عَدِيِّ بَعْدَ الْهَجْرَةِ ، فَأَشَارَ ﷺ أَنْ أُمَّهُ ﷺ كَانَتْ تُقِيمُ فِي  
هَذَا الْبَيْتِ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْقِنَاةَ هِيَ الَّتِي تَعَلَّمَ فِيهَا ﷺ السَّبَاحَةَ ، وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ  
يَلْعَبُ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ مَعَ طِفْلَةٍ تُدْعَى أُنَيْسَةَ ، وَرُوي عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ :

( أَحْسَنْتُ السَّبَاحَةَ فِي بَيْتِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ مِنْ يَوْمَيْدٍ )<sup>(١)</sup> .

وَبَيْنَمَا السَّيِّدَةُ ( أَمْنَةُ ) عَائِدَةٌ أَدْرَكَتْهَا مَنِيئُهَا بِ ( الْأَنْبَاءِ )<sup>(٢)</sup> وَكَانَ عُمْرُهَا فِي  
حُدُودِ الْعِشْرِينَ عَامًا تَقْرِيبًا ، فَحَضَنْتَهُ أُمُّ أَيْمَنَ ( وَهِيَ أُمُّ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ )<sup>(٣)</sup>  
وَعادَتْ بِهِ إِلَى ( مَكَّةَ ) إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

وَحينَمَا أَدْرَكَتِ السَّيِّدَةُ أَمْنَةَ الْوَفَاةَ ، قَالَتْ وَهِيَ تَنْزِعُ : ( يَا مُحَمَّدُ ، كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ  
وَكُلُّ جَدِيدٍ بَالٍ ، وَكُلُّ كَبِيرٍ يَفْنَى ، وَأَنَا مَيِّتَةٌ وَذِكْرِي بَاقٍ ، فَقَدْ تَرَكْتُ خَيْرًا  
وَوَلَدْتُ طُهْرًا )<sup>(٤)</sup> .

تَسْوِيهِ .. وَتَسْبِيهِ : قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي : إِنَّ جَمِيعَ آبَاءِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا  
مُسْلِمِينَ ، وَمِمَّا يُدَلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ : ( لَمْ يَزَلِ اللَّهُ يُنْقِلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ  
الطَّيِّبَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الظَّاهِرَةِ مُصَفًى مُهَذَّبًا ، لَا تَشَعِبُ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي

(١) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ج ١ .

(٢) الْأَنْبَاءُ : قَرْيَةٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَهِيَ لِلْمَدِينَةِ أَقْرَبُ .

(٣) شَرْحُ الْمَوَاقِبِ اللَّدُنِيَّةِ ج ١ . ( الرَّزْقَانِي ) .

(٤) الْغَضَائِصُ الْكُبْرَى ، لِلْحَافِظِ ( الشُّوَيْبِيِّ ) .

خَيْرِهِمَا (١) وَقَوْلُهُ ﷺ: ( فَأَنَا خَيْرُكُمْ نَفْسًا وَخَيْرُكُمْ أَبًا ) (٢) وَالْخَيْرِيَّةُ تَتَنَافَى  
مَعَ الشَّرْكِ .

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (٣) فَوَجِبَ أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ  
أَجْدَادِهِ مُشْرِكًا (٤)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٥) وَلَمْ يُدْرِكْ أَحَدُهُمَا  
نُزُولَ الْوَحْيِ بَلْ مَا تَقَبَّلَ ذَلِكَ .

وَأَمَّا مَنْ يَظُنُّ أَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ ( اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَزُورَ  
قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ) (٦) دَلِيلٌ عَذَابٍ لـ ( أُمِّهِ )  
عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فَقَدْ أَعْظَمَ الْكَذِبَ وَالْإِفْتِرَاءَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَالسَّيِّدَةُ ( أَمَنَةُ )  
لَا ذَنْبَ لَهَا وَلَا خَوْفَ عَلَيْهَا ، وَفِي ذَلِكَ تَطْمِينٌ مِنَ الرَّبِّ الْأَكْرَمِ لِلْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ  
ﷺ ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي أَقْسَمَ لَهُ بِالْعَطَاءِ حَتَّى يَرْضَى ، وَإِذَا كَانَ الْمَعْلُومُ مِنَ  
الَّذِينَ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الشَّهِيدَ لَا يُصَلَّى عَلَيْهِ لِأَنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ ابْتِدَاءً بِمَغْفِرَةِ جَمِيعِ  
ذَنْبِهِ ، فَيُقَاسُ عَلَى ذَلِكَ .

وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَيْامَهُ ﷺ عَلَى قَبْرِ ( أُمِّهِ ) بَعْدَ أَنْ أذِنَ لَهُ ( رَبُّهُ ) بِذَلِكَ ، دَلِيلٌ  
وَاضِحٌ عَلَى تَوْجِيدهَا ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَأْتِيهِمْ  
وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِمْ إِذْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ - وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٧)

وَلَقَدْ أَنْزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَاعَةَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ مَنْزِلَةً تَعْلُو عَلَى فَرْصِ السَّمَاءِ ، فَقَالَ  
ﷺ: ( لَوْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ وَالِدَيَّ أَوْ أَحَدَهُمَا وَأَنَا فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَهَدَّ قَرَأْتُ  
فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَنَادَتْ أُمِّي يَا مُحَمَّدُ لَأَجَبْتُهَا لِنَبِيِّكَ ) (٨)

الْحَبِيبُ فِي كَنْفِ الْجَدِّ الْحَنُونِ: رَقَّ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رِقَّةً لَمْ يَرِقْهَا

(٢) أَخْرَجَهُ النَّبْهَيْيُّ . وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ ( أَحْمَدُ ) نَحْوَهُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ .

(٤) التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ ، لِفَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ .

(٦) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٨) أَخْرَجَهُ النَّبْهَيْيُّ فِي شَمْسِ الْإِيمَانِ .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ .

(٣) سُورَةُ التَّوْبَةِ ( مِنَ الْآيَةِ ٢٨ ) .

(٥) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ( مِنَ الْآيَةِ ١٥ ) .

(٧) سُورَةُ التَّوْبَةِ ( الْآيَةُ ٨٤ ) .

عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلَادِهِ ، فَكَانَ يُحِبُّ النَّبِيَّ فِي ذَاتِهِ ، وَيُحِبُّ فِيهِ أَبَاهُ الَّذِي فَقَدَهُ  
بِالْمَوْتِ فِي رَيَعَانِ شَبَابِهِ ، وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ عَطْفَ الْجَدِّ لِخَفِيدِهِ ، وَعَطْفَ الْجَدِّ لِتَيْمٍ  
فَقَدَ أَبَاهُ وَأُمَّهُ ، فَكَانَ يُدْنِيهِ إِلَيْهِ وَيُبَالِغُ فِي تَقْرِيْبِهِ مِنْهُ حَتَّى يَأْنَسَ بِهِ دَائِمًا ؛ قَالَ  
ابْنُ هِشَامٍ : كَانَ يُوَضِعُ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِرَاشًا فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، فَكَانَ بَنُوهُ يَجْلِسُونَ  
حَوْلَ فِرَاشِهِ ذَلِكَ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْهِ ، لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيهِ إِجْلَالًا لَهُ ،  
فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي وَهُوَ غُلَامٌ جَفْرٌ حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ ، فَيَأْخُذُهُ أَعْمَامُهُ  
لِيُؤَخِّرُوهُ عَنْهُ ، فَيَقُولُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِذَا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ : دَعُوا ابْنِي هَذَا فَوَاللَّهِ إِنَّ  
لَهُ لَشَأْنًا ، ثُمَّ يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ وَيَسْرُهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ  
وَكَانَ لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا يَقُولُ : عَلَيَّ يَا بَنِي ، فَيُؤْتِي بِهِ وَيَأْكُلُ مَعَهُ ، وَعَاشَ هَكَذَا  
فِي حِضْنِ جَدِّهِ وَعَطْفِهِ ، وَلَمَّا أَحَسَّ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بَدُنُوَ أَجْلِهِ أَوْصَى ابْنَهُ أَبَا طَالِبٍ  
بِكِفَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَمْ يَلْبَثْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَنْ تُوَفَّى بَعْدَ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ مِنْ عُمرِ  
المُصْطَفَى ﷺ ، فَكَفَلَهُ شَقِيقُ أَبِيهِ أَبُو طَالِبٍ .

الحَبِيبُ فِي كِفَالَةِ الْعَمِّ الشَّفِيقِ : وَنَهَضَ أَبُو طَالِبٍ بِحَقِّ ابْنِ أَخِيهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ  
وَضَمَّهُ إِلَى وَلَدِهِ ، وَقَدَّمَهُ عَلَيْهِمْ ، وَظَلَّ فَوْقَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يُعِزُّ جَانِبَهُ ، وَيَبْسُطُ عَلَيْهِ  
حِمَايَتَهُ ، وَيُصَادِقُ وَيُخَاصِمُ مِنْ أَجْلِهِ . وَيُدَافِعُ عَنْهُ بَعْدَ مَبْعَثِهِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، كَمَا  
سَيَأْتِي ذَلِكَ فِي مَكَانِهِ ، وَمِنْ لَحْظَةِ دُخُولِ الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَيْتَ عَمِّهِ ، تَعَرَّفَ  
عَمُّهُ مِنْهُ الْيَمْنَ وَالْبَرَكَاتَةَ ، فَكَانَ إِذَا أَكَلَ هُوَ وَأَوْلَادُهُ فَأَكَلَ مَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ شَبِيعُوا ،  
وَإِذَا لَمْ يَأْكُلْ مَعَهُمْ لَمْ يَشْبِعُوا .

وَحَصَلَ لَهُ مِنَ الْحُبِّ وَالْعَطْفِ وَالْحَنَانِ مِنْ زَوْجِ أَبِي طَالِبٍ ( فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدِ )  
مَا حَصَلَ لَهُ مِنْ عَمِّهِ فَكَانَتْ تُحِبُّهُ وَتُقَرِّبُهُ وَتُنَادِيهِ بِإِبْنِي وَهُوَ ﷺ يُنَادِيهَا بِأُمِّي .  
يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ﷺ :

وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ فِي قُرَيْشٍ لَهُ مَقَامُ الطَّلَبِ بَعْدَ أَبِيهِ .

أَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ جِلْهَمَةَ بِنِ عَرْفُطَةَ ، قَالَ : قَدِمْتُ مَكَّةَ وَهُمْ فِي قَحْطٍ

فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : يَا أَبَا طَالِبٍ أَقْحَطَ الْوَادِي وَأَجْدَبَ الْعِيَالُ فَهَلُمَّ فَاسْتَسْقِ ، فَخَرَجَ أَبُو طَالِبٍ وَمَعَهُ غُلَامٌ كَأَنَّهُ شَمْسٌ تَجَلَّتْ عَنْهَا سَحَابَةٌ ، وَحَوْلَهُ أُغَيْلِمَةٌ ، فَأَخَذَهُ أَبُو طَالِبٍ فَأَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِالْكَعْبَةِ ، وَوَلَدَ الْغُلَامُ بِإِصْبُعِهِ وَمَا فِي السَّمَاءِ قَزَعَةٌ فَأَقْبَلَ السَّحَابُ مِنْ هَاهُنَا وَأَعْدَقَ وَاعْدُودَقَ وَانْفَجَرَ لَهُ الْوَادِي وَأَخْضَبَ النَّادِي وَالْبَادِي ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو طَالِبٍ :

وَأَيْضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ \* ثِمَالُ الْبَيْتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ (١)

وَلَقَدْ عَلَّمْتَنَا شَرِيعَتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ اسْتِحْبَابَ الاسْتِشْفَاعِ بِأَهْلِ الصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى وَأَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ سِوَاهُ فِي الاسْتِشْفَاءِ أَوْ فِي غَيْرِهِ كَمَا أَجْمَعَ عَلَى ذَلِكَ جُمْهُورُ الْأَيْمَةِ وَالْفُقَهَاءِ . (٢)

السَّفَرُ إِلَى الشَّامِ : وَلَمَّا بَلَغَتْ سِنُهُ ﷺ اثْنَتَى عَشْرَةَ سَنَةً أَرَادَ عَمَّهُ وَكَفِيلُهُ السَّفَرَ بِتِجَارَةِ إِلَى الشَّامِ ، فَاسْتَعْظَمَ النَّبِيُّ ﷺ فِرَاقَهُ ، فَفَرَّقَ لَهُ وَأَخَذَهُ مَعَهُ ، وَهَذِهِ هِيَ الرَّحْلَةُ الْأُولَى وَلَمْ يَمْكُثُوا فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى رِجَالِ الْقَافِلَةِ ( وَهُمْ بِقُرْبِ بُصْرَى ) (٣) بَحِيرَا الرَّاهِبِ فَتَمَحَّصَ وَجُوهَ الْقَوْمِ ، وَمَا إِنْ أَبْصَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَعَرَفَهُ بِصِفَتِهِ : فَقَالَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ : هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ هَذَا يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ .

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ : أَنَّ بَحِيرَا رَأَاهُ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فِي الرِّكْبِ حِينَ أَقْبَلُوا وَغَمَامَةٌ بَيْضَاءُ تَطْلُهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْهُ فَتَنَظَرُوا إِلَى الْغَمَامَةِ حِينَ أَظَلَّتِ الشَّجَرَةَ وَتَهَصَّرَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ ( تَجَمَّعَتْ وَمَالَتْ ) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَظَلَّتْ تَحْتَهَا ، وَأَنَّ بَحِيرَا قَامَ فَاحْتَضَنَهُ ، وَجَمَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ وَيُخْبِرُهُ الْعَبِيبُ مُحَمَّدٌ ﷺ فَيُؤْفِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَا مِنْ صِفَتِهِ ، وَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى

(١) الشَّامُ: السَّامِيُّ ، وَعِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ : يَمْنَعُهُمْ مِنَ الضَّحَاكِ ، وَالْأَرَامِلُ: الْمَسَاكِينُ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَاسْتِمَالُهُ بِالنِّسَاءِ أَكْثَرُ .

(٢) أَنْظَرُ : فَتَحَ الْبَارِي : ٢٣٩ / ٢ ، وَبَيْلُ الْأَوْطَارِ : ٧ / ٢ ، وَبَيْلُ السَّلَامِ : ١٣٤ / ٢ ، وَالْمَغْنَبِيُّ لِابْنِ قُدَامَةَ الْعَنْبَلِيِّ : ٢٦٥ / ٢ .

(٣) هِيَ مَدِينَةُ حُورَانَ فِي بِلَادِ الشَّامِ ، وَرَدَّهَا ﷺ مَرَّتَيْنِ : الْأُولَى بِرِفْقَةٍ عَمَّهُ أَبِي طَالِبٍ ، وَالثَّانِيَةَ فِي تِجَارَةِ لَيْحِيحَةَ بَيْتِ

خُوَيْلِدٍ ، وَفُتِحَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ صَلْحًا سَنَةَ ١٢ هـ .



مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الْغَلَامُ مِنْكَ ؟

قَالَ أَبُو طَالِبٍ : ابْنِي ، قَالَ بَجِيرًا : مَا هُوَ بِابْنِكَ وَمَا يَنْبَغِي بِهَذَا الْغَلَامِ أَنْ يَكُونَ  
أَبُوهُ حَيًّا .. قَالَ أَبُو طَالِبٍ : فَإِنَّهُ ابْنُ أُخِي . قَالَ فَمَا فَعَلَ أَبُوهُ ؟

قَالَ : مَاتَ وَأُمُّهُ حُبَلَى بِهِ .. قَالَ : صَدَقْتَ ، ارْجِعْ يَا بِنِ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ ، واحْذَرُ  
مِنَ الْيَهُودِ ، هَوَالِهِ لَيْتَنَ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لِيَبْلُغَنَّهُ مِنْهُمْ شَرًّا ، فَإِنَّهُ  
كَائِنٌ لِابْنِ أُخِيكَ شَأْنٌ عَظِيمٌ .

فَخَرَجَ بِهِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ سَرِيعًا حَتَّى أَقْدَمَهُ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ أَنْجَزَ تِجَارَتَهُ .

شُهُودُ النَّبِيِّ ﷺ حَرْبُ الْفِجَارِ : (١) وَلَمَّا بَلَغَتْ سِنُهُ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، كَانَتْ  
حَرْبُ الْفِجَارِ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَمَنْ مَعَهَا مِنْ كِنَانَةَ وَبَيْنَ قَيْسِ عِيلَانَ ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ  
لِوُقُوعِهَا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَتَطَاوَلَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، وَكَانَ الظُّفْرُ أَوَّلًا لِقَيْسٍ  
عَلَى قُرَيْشٍ ، حَتَّى شَهِدَهَا ﷺ يَوْمًا مَعَ قَوْمِهِ ، فَاثْقَلَتْ الدَّائِرَةُ لَهُمْ عَلَى قَيْسٍ .

وَذَلِكَ أَنَّ أَعْمَامَهُ أَخْرَجُوهُ مَعَهُمْ فِي بَعْضِ أَيَّامِهَا فَقَطَّ ، وَاقْتَصَرَ اشْتِرَاكُهُ ﷺ  
عَلَى جَمْعِ النَّبَالِ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : ( كُنْتُ أَنْبَلُ عَلَى أَعْمَامِي ) ، أَيِ يَجْمَعُ السَّهَامَ لَهُمْ .

شُهُودُ النَّبِيِّ ﷺ حِلْفُ الْفُضُولِ : (٢) وَعِنْدَ رُجُوعِ قُرَيْشٍ مِنْ حَرْبِ الْفِجَارِ تَدَاعَوْا  
لِحِلْفِ الْفُضُولِ لِنُصْرَةِ الْمَظْلُومِ ، فَشَهِدَهُمْ ﷺ ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ رَجُلًا قَدِيمَ

( مَكَّةَ ) بِمَتَاعٍ ، فَابْتَاعَهُ مِنْهُ الْعَاصُ بْنُ وَائِلِ السَّهْمِيُّ ، وَظَلَمَهُ الثَّمَنَ ، فَشَكَاهُ ،  
فَلَمْ يُنْصِفْهُ أَحَدٌ ، فَأَوْهَى عَلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ وَأَنْشَدَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : (٣)

يَا آلَ فِهْرِ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ \* بِيَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفْرِ

وَمُحْرَمٍ أَشْعَثَ لَمْ يَقْضِ عُمَرَتُهُ \* يَا لِلرَّجَالِ وَبَيْنَ الْجَجْرِ وَالْحَجْرِ

فَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ : وَاللَّهِ لَا صَبْرَ لِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ،

(١) فَجَّرَ الرَّجُلُ فَجُورًا : مَضَى فِي الْمَعَاصِي غَيْرَ مُكْرَبٍ ، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ هَذِهِ الْحَرْبُ لِأَنَّهَا وَقَعَتْ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ . وَكَانُوا  
يُظَلَمُونَهَا وَيَمْتَنِعُونَ عَنِ الْقِتَالِ فِيهَا .

(٢) الْحِلْفُ: الْعَهْدُ بَيْنَ الْقَوْمِ . وَالْفُضُولُ: الْإِتِّصَافُ بِالْفَضِيلَةِ . وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَ حِلْفُ الْفُضُولِ لِأَنَّهُمْ أَخْرَجُوا فَضُولَ أَمْوَالِهِمْ لِلْأَضْيَافِ .  
(٣) ابْنُ هِشَامٍ ، ج ١ .

فَجَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ابْنِي عَبْدِمَنَافٍ ، وَبَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ ، وَبَنِي  
 أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ، وَبَنِي تَيْمٍ بْنِ مُرَّةٍ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ التَّيْمِيَّ ، وَقَدْ  
 صَنَعَ لَهُمْ ابْنُ جُدْعَانَ طَعَاماً ، فَتَحَالَفُوا وَتَعَاقَدُوا أَلَّا يَجِدُوا بِمَكَّةَ مَظْلُوماً مِنْ  
 أَهْلِهَا أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ إِلَّا قَامُوا مَعَهُ حَتَّى تُرَدَّ إِلَيْهِ مَظْلَمَتُهُ ، ثُمَّ  
 اتَّوَا الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ فَانْتَزَعُوا سِلْعَةَ الرَّجُلِ مِنْهُ قَهْرًا .

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ( شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ مِنْ  
 حِلْفِ الْفُضُولِ مَا لَوْ دُعِيَ إِلَيْهِ الْيَوْمَ لَأَجَبْتُ ) (١)

وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَبْعُوثٌ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَهَذَا مِنْهَا ، وَقَدْ أَقَرَّ دِينَ الْإِسْلَامِ  
 كَثِيرًا مِنْهَا ، يُرْشِدُنَا إِلَى هَذَا قَوْلُهُ ﷺ : ( إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ) .

رَعِيَهُ ﷺ الْغَنَمَ : اتَّجَهَ ﷺ فِي أَوَّلِ شَبَابِهِ إِلَى رَعْيِ الْغَنَمِ ، فَقَدَّ رَعَاها فِي بَنِي  
 سَعْدٍ وَفِي مَكَّةَ لِأَهْلِهَا عَلَى قَرَارِيضَ ، وَلِحِكْمَةٍ أَرَادَهَا اللَّهُ كَانَ رَعْيُ الْغَنَمِ سُنَّةَ  
 اللَّهِ فِي النَّبِيِّينَ ، فَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ( مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى  
 الْغَنَمَ ) (٢) وَرِعَايَةُ الْغَنَمِ مِنْ بَالِغِ الْحِكْمِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اسْتَرَعَى الْغَنَمَ وَهِيَ مِنْ  
 أَضْعَفِ الْبَهَائِمِ ، سَكَنَ قَلْبُهُ الرَّأْفَةَ وَاللُّطْفَ تَعَطُّفًا ، فَإِذَا انْتَقَلَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى  
 رِعَايَةِ الْخَلْقِ ، كَانَ أَلْيَقَ لِمَا هُذَّبَ أَوَّلًا مِنَ الْحِدَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالظُّلْمِ الْغَرِيزِيِّ ،  
 فَيَكُونُ فِي أَعْدَلِ الْأَحْوَالِ .

وَحَمَى اللَّهُ حَبِيبَهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي نَشَأَتِهِ وَأَنْبَتَهُ نَبَاتًا حَسَنًا ؛ يَحْفَظُهُ وَيُحِيطُهُ  
 بِعِنَايَتِهِ ، نَشَأَهُ عَلَى الصِّدْقِ فَهُوَ صَادِقٌ وَعَلَى الْأَمَانَةِ فَهُوَ أَمِينٌ ، وَمَا هَمَّ بِشَيْءٍ  
 مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ ﷺ فِي غَنَمٍ يَرَعَاهَا هُوَ وَغُلَامٌ مِنْ  
 قُرَيْشٍ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : اكْفِنِي أَمْرَ الْغَنَمِ حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ وَأَسْمُرَ بِهَا كَمَا يَسْمُرُ  
 الشَّبَابُ ، وَكَانَ بِهَا عُرْسٌ فِيهِ لَهُوَ وَزَمْرٌ ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الدَّارِ لِيَحْضُرَ ذَلِكَ الْقَى  
 عَلَيْهِ النَّوْمُ ، فَتَامَ ﷺ حَتَّى ضَرَبَتْهُ الشَّمْسُ عِصْمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِي الْمَرَّةِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي ( السُّنَنِ الْكُبْرَى ) عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفِ الرَّزْمِيِّ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

(٢) ابْنُ هِشَامٍ .

الأخرى قال لصاحبه مثل ذلك ، وألقى عليه النوم كما حدث في المرة الأولى ، وهذا من حماية الله تعالى له .

وفي هذا يقول ﷺ : ( أدبني ربي فأحسن تأديبي ) .

رحلته ﷺ للمرة الثانية إلى الشام :

ولما بلغت سنة ﷺ خمسا وعشرين سنة سافر إلى الشام المرة الثانية ؛ وذلك أن ( خديجة بنت خويلد الأسيديّة ) <sup>(١)</sup> كانت سيّدة تاجرة ذات شرفٍ ومالٍ تستأجرُ الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيءٍ تجعله لهم ، فلما سمعت عن ( السيّد ) ﷺ من الأمانة وصدق الحديث ما لم تعرفه في غيره حتى سمّاه قومه الأمين ؛ فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً ، مع غلام لها يقال له ( ميسرة ) ، فقبل رسول الله ﷺ ذلك وخرج في مالها وخرج معه غلامها ميسرة ، فباعا وابتاعا وربحا وربحاً عظيماً ، وشاهد منه ميسرة أنواعاً من علامات النبوة ؛ منها : أنه كان إذا اشتد الحرُّ ظلّته ﷺ غمامةً ، تسيرُ بسيره ، وتقفُ بووقفه .

ومنها : أنهم مروا براهبٍ يقال له ( نسطورا ) ، فقال لميسرة : من هذا الفتى ؟ فقال : هو من ( مكة ) ، من أهل الحرم ، فقال : أشهد أنه نبيٌّ ، وأنه آخر الأنبياء .

ومنها : ما شاهده من صدقه وأمانته وخلقه العظيم .

زواجه ﷺ من السيّدة خديجة :

فلما رجعا مكة ، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبلاً هذا ، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه ﷺ ، فسرت بذلك واستبشرت أن وجدت ضالتها المنشودة ( وكان السادات والرؤساء يحرضون على زواجها ، فتأبى

(١) من بني أسد بن عبدالمزني بن قصي . وتلقى مع الرسول ﷺ في العبد الرابع .

(٢) المضاربة : نوع من الشركة في الربح ، بمالٍ من رجلٍ وعملٍ من آخر .

( عَلَيْهِمْ ) ، فَتَحَدَّثَتْ بِمَا فِي نَفْسِهَا إِلَى صَدِيقَتِهَا ( نُفَيْسَةَ ) (١) ، وَهَذِهِ ذَهَبَتْ بِدَوْرِهَا إِلَيْهِ ﷺ تَفَاتِحُهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ خَدِيجَةَ ، فَرَضَى بِذَلِكَ ، وَكَلَّمَ أَعْمَامَهُ ، فَذَهَبُوا إِلَى عَمِّ خَدِيجَةَ ( عَمْرُو بْنِ أَسَدٍ ) ، وَخَطَبُوهَا إِلَيْهِ ، وَعَلَى إِثْرِ ذَلِكَ تَمَّ الزَّوْاجُ ، وَحَضَرَ الْعَقْدَ بَنُو هَاشِمٍ وَرُؤَسَاءُ مُضَرَ ، وَكَانَتْ سِنُّهَا إِذْ ذَاكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ يَوْمَئِذٍ أَحْفَظَ نِسَاءِ قَوْمِهَا نَسَبًا وَثَرُوةً وَعَقْلاً ، وَهِيَ أَوَّلُ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا غَيْرَهَا حَتَّى تُوَفِّيَتْ ﷺ .

خُطْبَةُ أَبِي طَالِبٍ فِي حَفْلِ الزَّوْاجِ :

وَقَدْ خَطَبَ أَبُو طَالِبٍ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ فَقَالَ : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ ، وَزَرَعَ إِسْمَاعِيلَ ، وَضَضِيءَ مَعَدٍّ (٢) ، وَعُنْصُرِ مُضَرَ ، وَجَعَلَنَا حَضَنَةَ بَيْتِهِ ، وَسُوَاسَ حَرَمِهِ ، وَجَعَلَ لَنَا بَيْتًا مَحْجُوجًا وَحَرَمًا أَمِنًا ، وَجَعَلَنَا الْحُكَّامَ عَلَى النَّاسِ ، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَخِي هَذَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَا يُوزَنُ بِرَجُلٍ إِلَّا رَجَحَ بِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ فَإِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَأَمْرٌ حَائِلٌ وَعَارِيَةٌ مُسْتَرْجَعَةٌ ، وَمُحَمَّدٌ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ وَقَدْ خَطَبَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ وَبَدَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مَا آجِلُهُ وَعَاجِلُهُ مِنْ مَالِي كَذَا ، وَهُوَ وَاللَّهِ بَعْدَ هَذَا لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ وَخَطَرٌ جَلِيلٌ ) .

وَقَدْ كَانَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ ﷺ مُتَزَوِّجَةً قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ بِأَبِي هَالَةَ بْنِ زُرَّارَةَ فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدَيْنِ هُمَا هِنْدٌ ، وَهَالَةَ ( رَيْبُ الْمُصْطَفَى ﷺ ) .

ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِي هَالَةَ ، عَتِيقُ بْنُ عَائِدِ الْمَخْزُومِيِّ فَوَلَدَتْ لَهُ بِنْتًا اسْمُهَا هِنْدٌ .

وَكَلُّ أَوْلَادِهِ ﷺ مِنْهَا سِوَى إِبْرَاهِيمَ ؛ وَلَدَتْ لَهُ أَوْلَادًا : الْقَاسِمَ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى ﷺ ، ثُمَّ زَيْنَبَ وَرُقِيَّةَ ، وَأُمَّ كُلْثُومٍ وَفَاطِمَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُلقَّبُ بِالطَّيِّبِ وَالطَّاهِرِ ، وَمَاتَ بَنُوهُ كُلُّهُمْ فِي صُغُرِهِمْ ، وَأَمَّا الْبَنَاتُ فَكُلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمْنَ وَهَاجَرْنَ ، إِلَّا أَنَّهُنَّ أَدْرَكْتَهُنَّ الْوَفَاةُ فِي حَيَاتِهِ ﷺ ، سِوَى السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ ﷺ ، فَقَدْ أُخْرِتَ بَعْدَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ لَحِقَتْ بِهِ ﷺ .

(٢) الضَّيْبِيُّ : الْمُتَضَرُّ وَالْأَصْلُ .

(١) نُفَيْسَةُ بِنْتُ أُمَيَّةَ وَهِيَ أُخْتُ يَتَّى الصُّعَابِيِّ الْمَشْهُورِ .

وهي (الصَّحِيحَيْنِ) أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (خَيْرُ نِسَائِهَا مَرِيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ) <sup>(١)</sup> أَي: مَرِيَمُ خَيْرُ نِسَاءِ زَمَانِهَا ، وَخَدِيجَةُ خَيْرُ نِسَاءِ زَمَانِهَا . وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ( أَتَانِي جِبْرِيلُ ، فَقَالَ : هَذِهِ خَدِيجَةُ ، فَإِذَا أَتَتْكَ فَاقْرَأِ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، لَا نَصَبَ فِيهِ وَلَا صَغَبٍ ) <sup>(٢)</sup> .

وَزَادَ الطَّبْرَانِيُّ أَنَّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : هُوَ السَّلَامُ ، وَمِنْهُ السَّلَامُ ، وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلَامُ .

وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( لَمَّا قَالَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ : قَدْ أَبَدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا ) قَالَ : ( مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا ، آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ ) <sup>(٣)</sup> .

وَجَدِيرٌ بِالذَّكَرِ : أَنَّ السَّيِّدَةَ ( خَدِيجَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ بَقِيَتْ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً : عَشْرًا بَعْدَ الْمَبْعَثِ وَخَمْسَ عَشْرَةَ قَبْلَهُ ، وَكَانَتْ لَهُ عَوْنًا عَلَى الْحَقِّ ، وَهِيَ أَوْلَى مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ النِّسَاءِ .

وَأَمَّا قِصَّةُ زَوَاجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُدْرِكُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذَا الزَّوْجِ هُوَ عَدَمُ اهْتِمَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسْبَابِ الْمُتَمَعَةِ الْجَسَدِيَّةِ وَمُكْمَلَاتِهَا ، فَلَوْ كَانَ مُهْتَمًّا بِذَلِكَ كَبَقِيَّةِ أَقْرَانِهِ مِنَ الشُّبَّانِ لَطَمِعَ بِمَنْ هِيَ أَقْلُ مِنْهُ سِنًا أَوْ بِمَنْ لَيْسَتْ أَكْبَرَ مِنْهُ عَلَى أَقْلٍ تَقْدِيرٍ ، وَيَتَجَلَّى لَنَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا رَغِبَ فِيهَا لِشَرَفِهَا وَتُبُّلِهَا بَيْنَ جَمَاعَتِهَا وَقَوْمِهَا حَتَّى إِنَّهَا كَانَتْ تَلْقُبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْعَفِيفَةِ الطَّاهِرَةِ .

وَلَقَدْ ظَلَّ هَذَا الزَّوْجُ قَائِمًا حَتَّى تُوهِبَتِ السَّيِّدَةُ ( خَدِيجَةُ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ خَمْسَةِ وَسِتِّينَ عَامًا ، وَقَدْ نَاهَزَ ( الرَّسُولُ ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَمْسِينَ مِنَ الْعُمُرِ ، دُونَ أَنْ يُفَكَّرَ خِلَالَهَا بِالزَّوْجِ بِأَيِّ امْرَأَةٍ أَوْ فَتَاةٍ أُخْرَى ؛ وَمَا بَيْنَ الْعِشْرِينَ وَالْخَمْسِينَ مِنْ عُمُرِ الْإِنْسَانِ هُوَ الزَّمَنُ الَّذِي تَتَحَرَّكُ فِيهِ رَغْبَةُ الْاسْتِزَادَةِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْمَيْلِ إِلَى

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ الْإِمَامِ ( عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، الْقَصَبُ : اللَّوْلُؤُ الْمَجُوفُ ، النَّصَبُ : التَّبُّبُ ، الصَّغَبُ : الصَّرَاخُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي ( الْمُسْتَدْرِ ) عَنِ السَّيِّدَةِ ( عَائِشَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

تَعَدُّ الزَّوْجَاتِ لِلدَّوْفِ الشَّهَوَانِيَّةِ .

وَلَكِنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ تَجَاوَزَ هَذِهِ الْفِتْرَةَ مِنَ الْعُمُرِ دُونَ أَنْ يُفَكَّرَ كَمَا بَيَّنَّا بِأَنْ  
يُضْمَّ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ مِثْلَهَا مِنَ الْإِنَاثِ : زَوْجَةً أَوْ أُمَّةً ، وَلَوْ شَاءَ لَوَجَدَ  
الزَّوْجَةَ وَالكَثِيرَ مِنَ الْإِمَاءِ ، دُونَ أَنْ يَخْرِقَ بِذَلِكَ عُرْفًا أَوْ يَخْرُجَ عَلَى مَا لُوفٍ أَوْ  
عُرْفٍ بَيْنَ النَّاسِ ، هَذَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ ﷺ تَزَوَّجَ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ وَهِيَ أَيْمٌ  
( أَي سَبَقَ لَهَا الزَّوْاجُ ) ، وَكَانَتْ تَكْبُرُهُ بِمَا يُقَارِبُ مِثْلَ عُمُرِهِ .

وَفِي هَذَا مَا يُلْجِمُ أَفْوَاهَ أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ يَأْكُلُ الْحَقْدُ أَفْتِدَتَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَقُوَّةِ  
سُلْطَانِهِ ، مِنَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُسْتَشْرِقِينَ وَعَبِيدِهِمُ الَّذِينَ يَسِيرُونَ مِنْ وَرَائِهِمْ ،  
يَنْعَقُونَ بِمَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً .

فَقَدْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ وَاجِدُونَ فِي مَوْضِعِ زَوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مَقْتَلًا يُصَابُ مِنْهُ الْإِسْلَامُ  
وَيُمْكِنُ أَنْ يُشَوِّهَ مِنْ سُمْعَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَتَخَيَّلُوا بِخِيَالِهِمُ الْفَاسِدِ أَنْ  
بِمَقْدُورِهِمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ عِنْدَ النَّاسِ فِي صُورَةِ الشَّهْوَانِ الْفَارِقِ فِي لَذَّةِ الْجَسَدِ  
الْعَازِفِ فِي مَعِيشَتِهِ الْمَنْزِلِيَّةِ وَرِسَالَتِهِ الْعَامَّةِ عَنِ عَفَافِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُبَشِّرِينَ وَمُعْظَمَ الْمُسْتَشْرِقِينَ هُمُ الْخُصُومُ الْمُحْتَرِفُونَ لِلْإِسْلَامِ ،  
يَتَّخِذُونَ الْقَدْحَ فِي هَذَا الدِّينِ صِنَاعَةً يَتَفَرَّغُونَ لَهَا وَيَتَكَسَّبُونَ مِنْهَا .. أَمَّا  
الْأَغْرَارُ الَّذِينَ يَسِيرُونَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَأَكْثَرُهُمْ يُخَاصِمُونَ الْإِسْلَامَ عَلَى السَّمَاعِ  
وَالتَّقْلِيدِ ، وَلَا يَفْنِيهِمْ أَنْ يَفْتَحُوا أَذْهَانَهُمْ لِبَحْثِ وَلَا فَهْمِ ، إِنَّمَا هُوَ هَوَايَةُ التَّقْلِيدِ  
وَالِاتِّبَاعِ ، فَخِصَامُهُمْ لِلْإِسْلَامِ لَيْسَ إِلَّا مِنْ نَوْعِ الشَّارَةِ الَّتِي قَدْ يُعْلَقُهَا الرَّجُلُ  
عَلَى صَدْرِهِ لِمُجَرَّدِ أَنْ يُعْرَفَ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ انْتِمَاؤُهُ لِحِجَّةٍ مُعَيَّنَةٍ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ  
الشَّارَةَ لَيْسَتْ أَكْثَرَ مِنْ رَمَزٍ ، فَخُصُومَةُ هَؤُلَاءِ لِلْإِسْلَامِ لَيْسَتْ سِوَى الرَّمْزِ الَّذِي  
يُعْلَنُونَ بِهِ عَنْ هَوِيَّتِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ : أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ هَذَا التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ فِي  
شَيْءٍ ، وَأَنَّ وِلَاءَهُمْ إِنَّمَا هُوَ لِهَذَا الْفِكْرِ اللَّادِينِيِّ الَّذِي يَتَمَثَّلُ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
دُعَاةُ التَّدْمِيرِ الْفِكْرِيِّ مِنَ مُبَشِّرِينَ وَمُسْتَشْرِقِينَ ، فَهَذَا هُوَ اخْتِيَارُهُمْ ، مِنْ قَبْلِ

أَيِّ بَحْثٍ وَدُونَ مُحَاوَلَةٍ أَيِّ فَهْمٍ ! .. أَجَلٌ ، فَإِنَّ مُخَاصَمَتَهُمْ لِلإِسْلَامِ لَيْسَتْ إِلَّا مُجَرَّدَ شَارَةِ يَسْمُونَ بِهَا أَنْفُسَهُمْ بَيْنَ قَوْمِهِمْ وَبَيْنَ جِلْدَتِهِمْ ، وَلَيْسَ عَمَلًا فِكْرِيًّا لِقَصْدِ البَحْثِ أَوْ الحِجَاجِ .

أَمَّا زَوَاجُهُ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ ثُمَّ مِنْ غَيْرِهَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ لِكُلِّ مِنْهُنَّ قِصَّةً ، وَلِكُلِّ زَوَاجٍ حِكْمَةٌ وَسَبَبًا يَزِيدَانِ مِنْ إِيْمَانِ المُسْلِمِ بِعَظْمَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَرَفْعَةِ شَأْنِهِ وَكَمَالِ أَخْلَاقِهِ وَإِذْعَانِهِ لِمُرَادِ رَبِّهِ .

وَأَيًّا كَانَتِ الحِكْمَةُ وَالسَّبَبُ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُجَرَّدَ قَضَاءِ الوَطْرِ وَاسْتِجَابَةً لِلرَّغْبَةِ الجَنَسِيَّةِ ، إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ أَحْرَى بِهِ ﷺ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِلوَطْرِ وَالرَّغْبَةِ النَّفْسِيَّةِ فِي الوَقْتِ الطَّبِيعِيِّ لِهَذِهِ الرَّغْبَةِ وَنِدَائِهَا .. خُصُوصًا وَقَدْ كَانَ إِذْ ذَاكَ خَالِي الفِكْرِ لَيْسَ لَهُ مِنْ هُمُومِ الدَّعْوَةِ وَمَشَاغِلِهَا مَا يَصْرِفُهُ عَنْ حَاجَاتِهِ الفِطْرِيَّةِ وَالتَّبِيعِيَّةِ .

وَلَيْسَ نَرَى الإِطْنَابَ فِي الدِّفَاعِ عَنْ زَوَاجِهِ ﷺ عَلَى نَحْوِ مَا يَفْعَلُ كَثِيرٌ مِنَ البَاحِثِينَ ، إِذْ لَا نَعْتَقِدُ أَنَّ ثَمَّةَ مُشْكَلَةٍ تَحْتَاجُ إِلَى النِّظَرِ أَوْ البَحْثِ ، وَإِنْ أَوْهَمَ خُصُومُ الإِسْلَامِ ذَلِكَ .

وَرُبَّ حَقٍّ مِنْ حَقَائِقِ الإِسْلَامِ ، لَا يَطْمَعُ خُصُومُهُ لِإِبْطَالِهِ ، بِأَكْثَرِ مِنْ اسْتِجْرَارِ المُسْلِمِينَ إِلَى مُنَاقَشَةِ دِفَاعِيَّةٍ فِي شَأْنِهِ (١) .

بُنْيَانُ الكَعْبَةِ وَمُشَارَكَةُ النَّبِيِّ ﷺ :

وَلَمَّا بَلَغَتْ سِنُهُ ﷺ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً جَاءَ سَيْلٌ جَارِفٌ فَصَدَعَ جِدْرَانَ الكَعْبَةِ بَعْدَ تَوْهِينِهَا مِنْ حَرِيقٍ كَانَ أَصَابَهَا قَبْلُ ، فَأَرَادَتْ فُرَيْشٌ هَدْمَهَا لِيَرْفَعُوهَا وَيَسْقِفُوهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ رَضِيمَةً (٢) فَوْقَ القَامَةِ ، فَاجْتَمَعَتْ قَبَائِلُهُمْ لِذَلِكَ وَلَكِنَّهُمْ هَابُوا هَدْمَهَا لِمَكَانِهَا فِي قُلُوبِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمُ الوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ : أَتُرِيدُونَ بِهَدْمِهَا الإِصْلَاحَ أَمْ الإِسَاءَةَ ؟ قَالُوا : بَلِ الإِصْلَاحَ ، قَالَ إِنَّ اللّهَ لَا يُهْلِكُ

(١) فَتْحُ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، ج١ ( د . محمد سعيد رمضان البوطي ) ، مَعَ تَصْرِيفِ يَسِيرِ .

(٢) بِنَاءُ رَضِيمٌ : مَبْنِي بِالصُّغْرِ .

المُصلِحين ، وشرع يهدم فتبعوه وهدموا حتى وصلوا إلى أساس إسماعيل عليه السلام  
وهناك وجدوا صحافاً نقش فيها كثير من الحكم على عادة من يضعون أساس  
بناءٍ شهير ليكون تذكراً للمتأخرين بعمل المتقدمين .

ثم ابتدؤوا في البناء وأعدوا لذلك نفقة ليس فيها مهرٌ بغي ولا بيع ربياً ، وجعل  
الأشراف من قريش يحملون الحجارة على أعناقهم ، وكان صلى الله عليه وسلم ينقل معهم  
الحجارة وكانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ، ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم  
فسقط من قيام ونودي عورتك ! فكان ذلك أول ما نودي ، فقال له عمه العباس :  
يا ابن أخي اجعل إزارك على رأسك ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما أصابني ما أصابني إلا من  
التعري .

وفي الصحيحين : أنه صلى الله عليه وسلم حضرهم يوماً في بناء الكعبة فذهب هو وعمه العباس  
ينقلان الحجارة ، فقال له العباس : اجعل إزارك على عاتقك كما يفعلون ،  
ففعل ، فخر إلى الأرض مفضياً عليه ، وطمحت عيناه إلى السماء ، وقال  
( أربي إزاري ) ، فشده عليه .<sup>(١)</sup>

وكان الذي يلي البناء نجارٌ رومي اسمه ( باقوم ) ، وقد خصص لكل ركن  
جماعة من العظماء ينقلون إليه الحجارة :

فكان الرُّبُع الأوَّل الذي فيه شقُّ الباب : لبني عبدمنافٍ وزهرة .

والرُّبُع ما بين ركن الحجر الأسود والركن اليماني : لبني مخزومٍ وقبائلٍ من  
قريش انضموا إليهم .

وكان ظهر الكعبة : لبني جُمحٍ وسهم .

وكان جانب الحجر ( الحطيم ) : لبني عبدالدار ، وبني أسد ابن عبدالعزي  
وبني عدي .

وقد ضاقت بهم النفقة الصيبة ( الحلال ) عن إتمامه على قواعد إسماعيل

(١) أخرجه البخاري ، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه ، طمحت : شخمت وأرتفعت . أربي : أعطيني .



الْعَلَاءِ ، فَأَخْرَجُوا مِنْهَا الْحَجَرَ وَبَنَوْا عَلَيْهِ جِدَارًا قَصِيرًا ( شاذوران ) عِلَامَةً عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْكَعْبَةِ .

وَلَمَّا تَمَّ الْبِنَاءُ ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا ، بِحَيْثُ زِيدَ فِيهِ عَن أَصْلِهِ تِسْعُ أذْرُعٍ ، وَرُفِعَ الْبَابُ عَنِ الْأَرْضِ بِحَيْثُ لَا يُصْعَدُ إِلَيْهِ إِلَّا بِدَرَجٍ : أَرَادُوا وَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مَوْضِعَهُ ، فَاخْتَلَفَ أَشْرَافُهُمْ فِيْمَنْ يَضَعُهُ ، وَتَنَافَسُوا فِي ذَلِكَ حَتَّى كَادَتْ تَشِبُّ بَيْنَهُمْ نَارُ الْحَرْبِ ، وَدَامَ بَيْنَهُمْ هَذَا الْخِصَامُ أَرْبَعَ لَيَالٍ ، وَكَانَ أَسَنُّ رَجُلٍ فِي قُرَيْشٍ إِذْ ذَاكَ ( أَبُو أُمَيَّةَ بْنُ الْمُفَيْرَةِ الْمَخْزُومِي ) عَمُّ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَا تَخْتَلِفُوا وَحَكِّمُوا بَيْنَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ بِحُكْمِهِ ، فَقَالُوا : نَكِلُ الْأَمْرَ لِأَوَّلِ دَاخِلٍ ، فَكَانَ ﷺ هُوَ أَوَّلَ دَاخِلٍ .

فَاطْمَأَنَّ الْجَمِيعُ لَهُ ، لِمَا يَعْهَدُونَ فِيهِ مِنَ الْأَمَانَةِ وَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَقَالُوا : هَذَا الْأَمِينُ رَضِينَاهُ ، هَذَا مُحَمَّدٌ .. فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ ، بَسَطَ رِداءَهُ ، وَوَضَعَ الْحَجَرَ فِيهِ ، وَأَمَرَ أَرْبَعَةً مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ الْأَرْبَعِ ، أَنْ يَأْخُذُوا بِأَرْبَاعِ الثَّوْبِ ، فَرَفَعُوهُ إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَتَنَاولَهُ ﷺ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ ، فَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ .

وَهَكَذَا بَقِيَ الشَّرْفُ الَّذِي كَانَ كِبَارُ الْقَوْمِ يَتَنَازَعُونَ عَلَيْهِ وَكَادُوا يَقْتَتِلُونَ مِنْ أَجْلِهِ بَقِيَ مِنْ نَصِيبِهِ ﷺ فَقَدْ حَمَلَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ بِيَدَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ وَحَدَهُ دُونَ سَائِرِ الْقَوْمِ .

وَلَا يُسْتَفْرَبُ مِنْ قُرَيْشٍ تَنَافُسُهُمْ هَذَا ، لِأَنَّ الْبَيْتَ قِبْلَةَ الْعَرَبِ وَكَعْبَتُهُمُ الَّتِي يَحْجُونَ إِلَيْهَا ؛ فَكُلُّ عَمَلٍ فِيهِ عَظِيمٌ بِهِ الْفَخْرُ وَالسِّيَادَةُ ، وَهُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ وَضِعَ لِلْعِبَادَةِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۝ ﴾ (١) وَكَانَ يَلِي أَمْرَهُ بَعْدَ وَكَيْدِ إِسْمَاعِيلَ الْعَلِيِّ قَبِيلَةُ جُرْهُمَ ، فَلَمَّا بَقُوا وَظَلَمُوا مَنْ دَخَلَ مَكَّةَ ؛ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ خُرَاعَةٌ وَأَجْلَوْهُمْ عَنِ الْبَيْتِ ، وَوَلِيَّتُهُ خُرَاعَةٌ حِينًا مِنْ الدَّهْرِ ، ثُمَّ أَخَذَتْهُ مِنْهُمْ قُرَيْشٌ فِي عَهْدِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ وَبِسَبَبِهِ آمَنُوا فِي

بِلَادِهِمْ ، فَكَانَتْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ تَهَايِبُهُمْ ، وَإِذَا اجْتَمَعُوا بِهِ كَانَ حِصْنًا أَمِينًا مِنْ  
 اعْتِدَاءِ الْعَادِينَ ، وَآمَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ فِي تَنْزِيلِهِ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ :  
 ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ (١)

## بَيْنَ يَدَيِ الرَّسَالَةِ

مَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ النَّبِيَّ الْمُجْتَبَى وَالْحَبِيبَ الْمُصْطَفَى ﷺ :

أَوَّلُ مَنَحَةٍ مِنَ اللَّهِ مَا حَصَلَ مِنَ الْبَرَكَاتِ عَلَى آلِ حَلِيمَةَ الَّذِينَ كَانَ مُسْتَرْضِعًا  
 فِيهِمْ ، فَقَدْ كَانُوا قَبْلَ حُلُولِهِ بِنَادِيهِمْ مُجَدِّبِينَ ، فَلَمَّا صَارَ بَيْنَهُمْ صَارَتْ  
 غُنِيْمَاتُهُمْ تَوْبُوبٌ مِنْ مَرْعَاهَا وَإِنْ أَضْرَاعُهَا لَتَسِيلُ لَبْنًا ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْبُوصِيرِي  
 حَيْثُ يَقُولُ فِي هَمْزِيَّتِهِ :

وَإِذَا سَخَّرَ الْإِلَهَ أَنْسَاءً \* لِسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعْدَاءُ

ثُمَّ أَعْقَبَ ذَلِكَ مَا حَصَلَ مِنْ شَقِّ صَدْرِهِ وَإِخْرَاجِ حَظِّ الشَّيْطَانِ مِنْهُ ، وَلَيْسَ هَذَا  
 بِالْعَجِيبِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَمَنْ اسْتَبَعَدَ ذَلِكَ كَانَ قَلِيلَ النَّظَرِ لَا يَعْرِفُ مِنْ  
 قُدْرَةِ اللَّهِ شَيْئًا ، لِأَنَّ خَرَقَ الْعَادَاتِ لِلْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْمُسْتَحْدَثِ وَلَا  
 الْمُسْتَعْرَبِ .

وَمِنَ الْمُكْرَمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ تَسْخِيرُ الْغَمَامَةِ لَهُ ﷺ فِي سَفَرِهِ إِلَى الشَّامِ حَتَّى كَانَتْ  
 تُظَلُّهُ فِي الْيَوْمِ الصَّائِفِ لَا يَشْتَرِكُ مَعَهُ أَحَدٌ فِي الْقَافِلَةِ ؛ كَمَا رَوَى ذَلِكَ مَيْسَرَةُ  
 غَلَامُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ الَّذِي كَانَ مُشَارِكًا لَهُ فِي سَفَرِهِ ، وَهَذَا مَا حَبَّبَهُ إِلَى  
 السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ حَتَّى خَطَبَتْهُ لِنَفْسِهَا ، وَتَيَقَّنَتْ أَنَّ لَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ شَأْنًا ، وَلِذَلِكَ  
 لَمَّا جَاءَتْهُ الرَّسَالَةُ كَانَتْ أَسْرَعَ النَّاسِ إِيمَانًا بِهِ ﷺ وَلَمْ تَنْتَظِرْ آيَةَ أُخْرَى زِيَادَةً  
 عَلَى مَا عَلِمَتْهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَا سَمِعَتْهُ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ .

وَمِنْ مَنَنِ اللَّهِ عَلَيْهِ ﷺ مَا كَانَ يَسْمَعُهُ مِنَ السَّلَامِ عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْجَارِ وَالْأَشْجَارِ (٢) ،  
 وَذَلِكَ عِنْدَ مُرُورِهِ بِشَعَابِ مَكَّةَ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ بِهَا ، فَلَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا

سَمِعَ : الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَانَ يَلْتَفِتُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ  
وَخَلْفِهِ فَلَا يَرَى أَحَدًا ، وَقَدْ حَدَّثَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ (١) وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ  
صَلَّى قَالَ : ( إِنِّي لِأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ ) (٢)

وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ كَبِيرَ إِشْكَالٍ ؛ فَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ الْجَمَادَاتِ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ ، فَعَصَا  
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ انْتَقَمَتْ مَا صَنَعَ سَحْرَةَ فِرْعَوْنَ بَعْدَ أَنْ تَحَوَّلَتْ حَيَّةً تَسْعَى ثُمَّ  
رَجَعَتْ كَمَا كَانَتْ ، وَلَمَّا ضَرَبَ بِهَا الْحَجَرَ نَبَعَ مِنْهُ الْمَاءُ اثْنَتَى عَشْرَةَ عَيْنًا ، لِكُلِّ  
سِبْطٍ مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَيْنٌ ، وَكَذَلِكَ غَيَّرَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُمْ مَا  
شَاءَ مِنْ أَنْوَاعِ الْجَمَادَاتِ لِتُدَلَّ الْعُقَلَاءُ عَلَى عَظِيمِ قَدْرِهِمْ وَخَطَارَةِ شَأْنِهِمْ .  
سِيرَتُهُ فِي قَوْمِهِ قَبْلَ الْبِعْثَةِ :

كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْسَنَ قَوْمِهِ خُلُقًا ، وَأَبَدَهُمْ عَنِ الْفُحْشِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تُدَسُّ الرِّجَالُ  
حَتَّى كَانَ أَهْضَلَ قَوْمِهِ مُرْوَةً ، وَأَكْرَمَهُمْ مُخَالَطَةً وَعِشْرَةً وَخَيْرَهُمْ جَوَارًا ،  
وَأَعْظَمَهُمْ جَلْمًا ، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا ، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً فَسَمَّوهُ الْأَمِينَ ، لِمَا جَمَعَ  
اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الصَّالِحَةِ الْحَمِيدَةِ وَالْفِعَالِ السَّيِّدَةِ مِنَ الْعِلْمِ ، وَالصَّبْرِ ،  
وَالشُّكْرِ ، وَالْعَدْلِ ، وَالتَّوَاضُّعِ ، وَالْعِفَّةِ ، وَالْجُودِ ، وَالشُّجَاعَةِ ، وَالْحَيَاءِ ؛ حَتَّى  
شَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ أَلَدُّ أَعْدَائِهِ : النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ؛ حَيْثُ يَقُولُ :  
قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلَامًا حَدَثًا ، أَرْضَاكُمُ فِيكُمْ ، وَأَصْدَقَكُمُ حَدِيثًا ، وَأَعْظَمَكُمُ  
أَمَانَةً ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدُغِيهِ الشَّيْبَ وَجَاءَكُمُ بِمَا جَاءَكُمُ ، قُلْتُمْ : سَاحِرٌ !  
لَا وَاللَّهِ ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ .. قَالَ ذَلِكَ فِي مَعْرَضِ الْإِتِّفَاقِ عَلَى مَا يَقُولُونَهُ  
لِلْعَرَبِ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ الْمَوْسِمَ حَتَّى يَكُونُوا مُتَّفِقِينَ عَلَى قَوْلٍ مَقْبُولٍ يَقُولُونَهُ .  
وَلَمَّا سَأَلَ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ أَبَا سُفْيَانَ قَائِلًا : هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ  
يَقُولَ مَا قَالَ ؟ قَالَ : لَا ، فَقَالَ هِرَقْلُ : مَا كَانَ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ  
عَلَى اللَّهِ ؟ (٣)

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ( بَابُ الْفَضَائِلِ ) .

(٣) وَرَدَّ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ .

وَقَدْ حَفِظَهُ اللَّهُ فِي صِفَرِهِ مِنْ كُلِّ أَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي جَاءَ شَرُّهُ الشَّرِيفُ بِضِدِّهَا ، وَبُغِضَتْ إِلَيْهِ الْأَوْثَانُ بَغْضًا شَدِيدًا ، حَتَّى مَا كَانَ يَحْضُرُ لَهَا احْتِفَالًا أَوْ عِيدًا مِمَّا يَقُومُ بِهِ عِبَادُهَا .

وَكَانَ ﷺ لَا يَأْكُلُ مَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ ، وَحَرَّمَ شُرْبَ الْخَمْرِ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ شُيُوعِهِ فِي قَوْمِهِ شُيُوعًا عَظِيمًا ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي يُحَلِّي اللَّهُ بِهَا أَنْبِيََاءَهُ لِيَكُونُوا عَلَى تَمَامِ الْأَسْتِعْدَادِ لِتَلْقَى وَحْيِهِ ، فَهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الْأَدْنَسِ قَبْلَ النَّبُوءَةِ وَبَعْدَهَا : أَمَّا قَبْلَ النَّبُوءَةِ فَلِيَتَأَهَّلُوا لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي سَيُسْنَدُ إِلَيْهِمْ ، وَأَمَّا بَعْدَهَا فَلِيَكُونُوا قُدُوةً لِأُمَّمِهِمْ .. عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمَاتِ .

تَرَادُفُ عِلَامَاتِ النَّبُوءَةِ عَلَيْهِ ﷺ :

وَإِنَّمَا بَلَغَتْ سِنُهُ ﷺ الثَّامِنَةَ وَالثَّلَاثِينَ عَامًا : تَرَادَفَتْ عِلَامَاتُ نُبُوَّتِهِ ﷺ وَتَحَدَّثَ بِهَا الْأَخْبَارُ وَالرُّهْبَانُ قَبِيلَ الْبِعْثَةِ .. فَكَانَ الْيَهُودُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى عَرَبِ الْمَدِينَةِ بِرَسُولٍ مُنْتَظَرٍ ، فَقَدْ حَدَّثَ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ رَجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ ، قَالُوا : إِنَّمَا دَعَانَا لِلْإِسْلَامِ ( مَعَ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَنَا ) مَا كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ أَخْبَارِ يَهُودٍ .. كُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ وَأَصْحَابَ أَوْثَانٍ ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا ، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ ، فَإِذَا بَلَّغْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ قَالُوا لَنَا : قَدْ تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيِّ يَبْعَثُ الْآنَ نَقْتَلِكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ ، فَكَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ؛ فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا أَجَبْنَا حِينَ دَعَانَا إِلَى اللَّهِ وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ ، فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ فَأَمَّنَّا وَكَفَرُوا .

وَإِنَّمَا قَالَ لَهُمُ الْيَهُودُ : نَقْتَلِكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ ، لِأَنَّ مِنْ صِفَتِهِ ﷺ فِي كُتُبِهِمْ أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ يَسْتَأْصِلُ الْمُشْرِكِينَ بِالْقُوَّةِ ، وَلَمْ يَكُونُوا يَظُنُّونَ أَنَّ الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ سَيَتِمَّكَانِ مِنْ أَقْدَاتِهِمْ فَيُنْبَذُونَ الدِّينَ الْقِيَمَ فَيَحِقُّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ فِي الدُّنْيَا

(١) الشَّمَاءُ لِلْقَاضِي عِيَّاض . (٢) هِيَ حِجَارَةٌ تُنْصَبُ وَتُصَّبُ عَلَيْهَا دِمَاءُ الذَّبَائِحِ وَتُقْبَدُ .

(٣) يَسْتَفْتِحُونَ : يَسْتَمْرُونَ ( يَطْلُبُونَ الظَّنَّ وَالْعُلُوَّ وَيَتَمَتُّونَهُ ) .

وَالْآخِرَةَ وَكَانَ أُمِّيَّةً بِنُ أَبِي الصَّلْتِ الْمُتَنَصِّرِ الْعَرَبِيِّ كَثِيرًا مَا يَقُولُ : إِنِّي لَأَجِدُ  
فِي الْكُتُبِ صِفَةَ نَبِيِّ يُبْعَثُ فِي بِلَادِنَا .

خَلْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَارِ حِرَاءَ :

وَلَمَّا بَلَغَتْ سِنُهُ ﷺ التَّاسِعَةَ وَالثَّلَاثِينَ عَامًا : حُبِبَتْ إِلَيْهِ الْخَلْوَةُ ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ  
( حِرَاءَ ) أَيَّامًا بَعْدَ أَيَّامٍ يَتَزَوَّدُ لَهَا ، فَكَانَ يَأْخُذُ السَّوِيقَ وَالْمَاءَ وَيَذْهَبُ إِلَى غَارِ  
حِرَاءَ فِي جَبَلِ النُّورِ ( عَلَى بُعْدِ مِيلَيْنِ تَقْرِيبًا مِنْ مَكَّةَ ) وَهُوَ غَارٌ لَطِيفٌ طُولُهُ  
أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ ذِرَاعٍ مِنْ ذِرَاعِ الْحَدِيدِ ، فَيُقِيمُ فِيهِ شَهْرَ  
رَمَضَانَ ، يُطْعِمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ ، وَيَقْضِي وَقْتَهُ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّفَكُّرِ  
وَالتَّدْبِيرِ .. وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ يَرَى أَنْوَارًا وَيَسْمَعُ أَصْوَاتًا .

وَكَانَ اخْتِيَارُهُ ﷺ لِهَذِهِ الْعُزْلَةِ طَرْفًا مِنْ تَدْبِيرِ اللَّهِ لَهُ ، وَلِيُعِدَّهُ لِمَا يَنْتَظِرُهُ مِنَ  
الْأَمْرِ الْعَظِيمِ .. وَلَا بُدَّ لِأَيِّ رُوحٍ يُرَادُ لَهَا أَنْ تُؤَثَّرَ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ  
فَتَحْوِلَهَا وَجْهَةً أُخْرَى .. لِأَبَدٍ لِهَذِهِ الرُّوحِ مِنْ خَلْوَةٍ وَعُزْلَةٍ بَعْضُ الْوَقْتِ ، وَانْقِطَاعِ  
عَنْ شَوَاغِلِ الْأَرْضِ وَضَجَّةِ الْحَيَاةِ ، وَهُمُومِ الْحَيَاةِ وَهُمُومِ النَّاسِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي  
تَشْغُلُ الْحَيَاةَ .

وَهَكَذَا دَبَّرَ اللَّهُ لِحَبِيبِهِ ﷺ وَهُوَ يُعِدُّهُ لِحَمَلِ الْأَمَانَةِ الْكُبْرَى : وَتَغْيِيرِ وَجْهِ الْأَرْضِ  
وَتَعْدِيلِ التَّارِيخِ : دَبَّرَ هَذِهِ الْعُزْلَةَ يَنْطَلِقُ فِيهَا مَعَ رُوحِ الْوُجُودِ الطَّلِيْقَةِ ، وَيَتَدَبَّرُ مَا  
وَرَاءَ الْوُجُودِ مِنْ غَيْبٍ مَكْنُونٍ ، حَتَّى يَحِينَ مَوْعِدُ التَّعَامُلِ مَعَ هَذَا الْغَيْبِ عِنْدَمَا  
يَأْذُنُ اللَّهُ .

إِنَّ لِهَذِهِ الْخَلْوَةَ الَّتِي حُبِبَتْ إِلَى قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُبَيْلَ الْبِعْثَةِ ، دَلَالَةً عَظِيمَةً  
جِدًّا ، لَهَا أَهْمِيَّةٌ كُبْرَى فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً وَالدَّاعِينَ إِلَى اللَّهِ بِصُورَةٍ  
خَاصَّةٍ .

( ١ ) الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ مِنْ قَتِيفَ ، نَظَرَ الْكُتُبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقَرَأَهَا ، وَلبَسَ الْمَسْوُوحَ . وَتَمَدَّدَ أَوَّلًا بِذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
وَالْحَنِيْفِيَّةِ ، وَحَرَّمَ الْخَمْرَ وَتَجَنَّبَ الْأَوْثَانَ ، وَطَمَعُ فِي النَّبُوَّةِ لِأَنَّهُ قَرَأَ فِي الْكُتُبِ أَنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ فِي الْحِجَازِ فَرَجَا أَنْ يَكُونَ  
هُوَ ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ حَسَدَهُ فَلَمْ يُسَلِّمْ وَسَمِعَ النَّبِيَّ يُشْفِرُهُ فَقَالَ : كَادَ أَنْ يُسَلِّمَ . وَقَالَ ﷺ : أَمِنَ شِفْرَهُ وَكَفَرَ قَلْبَهُ .

فَهِيَ تَوْضُحٌ أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَكْمُلُ إِسْلَامُهُ مَهْمَا كَانَ مُتَحَلِّياً بِالْفَضَائِلِ قَائِماً بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ ، حَتَّى يَجْمَعَ إِلَى ذَلِكَ سَاعَاتٍ مِنَ الْعُزْلَةِ وَالخَلْوَةِ يُحَاسِبُ فِيهَا النَّفْسَ وَيُرَاقِبُ اللَّهَ تَعَالَى ، وَيُفَكِّرُ فِي مَظَاهِرِ الْكَوْنِ ، وَدَلَائِلَ ذَلِكَ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ .

هَذَا فِي حَقِّ أَيِّ مُسْلِمٍ يُرِيدُ لِنَفْسِهِ الْإِسْلَامَ الصَّحِيحَ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ نَفْسَهُ مَوْضِعَ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ وَالْمُرْشِدِ إِلَى الطَّرِيقِ الْحَقِّ .

وَحِكْمَةُ ذَلِكَ أَنَّ لِلنَّفْسِ آفَاتٍ لَا يَنْفَعُ مَعَهَا إِلَّا دَوَاءُ الْعُزْلَةِ عَنِ النَّاسِ ، وَمُحَاسَبَتُهَا بِمَعَزَلٍ عَنِ ضَجِيجِ الدُّنْيَا وَمَظَاهِرِهَا ؛ فَالِكِبْرُ وَالْمُعْجَبُ وَالْحَسَدُ وَالرِّيَاءُ وَحُبُّ الدُّنْيَا .. كُلُّ ذَلِكَ آفَاتٌ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَتَحَكَّمَ فِي النَّفْسِ وَتَتَغَلَّغَلَ إِلَى أَعْمَاقِ الْقَلْبِ ، وَتَعْمَلَ عَمَلَهَا التَّهْدِيمِيَّ فِي بَاطِنِ الْإِنْسَانِ عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا قَدْ يَتَحَلَّى بِهِ ظَاهِرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْعِبَادَاتِ الْمَبْرُورَةِ ، وَرَغْمَ مَا قَدْ يَنْشَغِلُ بِهِ مِنَ الْقِيَامِ بِشُؤُونِ الدَّعْوَةِ وَالْإِرْشَادِ وَمَوْعِظَةِ النَّاسِ .

وَلَيْسَ لِهَذِهِ الْآفَاتِ مِنْ دَوَاءٍ إِلَّا أَنْ يَخْتَلِيَ صَاحِبُهَا بَيْنَ كُلِّ فِتْرَةٍ وَأُخْرَى مَعَ نَفْسِهِ لِيَتَأَمَّلَ فِي حَقِيقَتِهَا وَمُنْشِئِهَا وَمَدَى حَاجَتِهَا إِلَى عِنَايَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحْظَاتِ الْحَيَاةِ ، ثُمَّ لِيَتَأَمَّلَ فِي النَّاسِ وَمَدَى ضَعْفِهِمْ أَمَامَ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِي عَدَمِ أَيِّ فَائِدَةٍ لِمَدْحِهِمْ أَوْ قَدْحِهِمْ ، ثُمَّ لِيَتَفَكَّرَ فِي مَظَاهِرِ عَظَمَةِ اللَّهِ وَفِي الْيَوْمِ الْآخِرِ وَفِي الْحِسَابِ وَطُولِهِ ، وَفِي عَظِيمِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَظِيمِ عِقَابِهِ .. فَعِنْدَ التَّفَكُّيرِ الطَّوِيلِ الْمُتَكَرِّرِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ تَتَسَاقَطُ تِلْكَ الْآفَاتُ اللَّاحِقَةُ بِالنَّفْسِ وَيَحْيَا الْقَلْبُ بِنُورِ الْعِرْفَانِ وَالصَّفَاءِ ، فَلَا يَبْقَى لِعَكْرِ الدُّنْيَا مِنْ سَبِيلٍ إِلَى تَكْدِيرِ مِرَاتِهِ .

وَشَيْءٌ آخَرٌ لَهُ بَالِغُ الْأَهْمِيَّةِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً وَأَرْبَابِ الدَّعْوَةِ خَاصَّةً : هُوَ تَرْبِيَةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقَلْبِ ، فَهُوَ مَنَبَعُ التَّضَحُّيَّةِ وَالْجِهَادِ وَأَسَاسُ كُلِّ دَعْوَةٍ مُتَأَجِّجَةٍ صَحِيحَةٍ .. وَمَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَأْتِي مِنْ مُجَرَّدِ الْإِيمَانِ الْعَقْلِيِّ بِهِ فَالْأُمُورُ الْعَقْلَانِيَّةُ وَحَدَهَا مَا كَانَتْ يَوْمًا مَا لَتُؤَثِّرُ فِي الْعَوَاطِفِ وَالْقُلُوبِ ، وَلَوْ كَانَ

كَذَلِكَ ، لَكَانَ الْمُسْتَشْرِفُونَ فِي مُقَدِّمَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَكَانَتْ أَقْدَتُهُمْ  
مِنْ أَشَدِّ الْأَقْدَةِ حُبًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ .. أَوْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ ضَعَى بِرُوحِهِ  
إِيمَانًا مِنْهُ بِقَاعِدَةِ رِيَاضِيَّةٍ أَوْ مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الْجَبْرِ ١٩ .

وَإِنَّمَا الْوَسِيلَةُ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى ( بَعْدَ الْإِيمَانِ بِهِ ) كَثْرَةُ التَّفَكِيرِ فِي آيَاتِهِ  
وَنِعَمِهِ ، وَالتَّأَمُّلُ فِي مَدَى جَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ ، ثُمَّ الْإِكْتَارُ مِنْ ذِكْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ؛ وَإِنَّمَا يَتِمُّ كُلُّ ذَلِكَ بِالْعَزَلَةِ وَالْحَلُوتِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ شَوَاغِلِ الدُّنْيَا  
وَضَوْضَائِهَا فِي فِتْرَاتٍ مُتَقَطَّعَةٍ مُتَكَرِّرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ .

فَإِذَا قَامَ الْمُسْلِمُ بِذَلِكَ وَتَهَيَّأَ لَهُ آدَاءُ هَذِهِ الْوَضِيفَةِ ، نَبَتَتْ لَهُ مِنْ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ  
مَحَبَّةٌ إِلَهِيَّةٌ عَارِمَةٌ ، تَجْعَلُهُ يَسْتَصْفِرُ كُلَّ عَظِيمٍ ، وَيَحْتَقِرُ كُلَّ مُغْرِبَةٍ مِنْ  
الْمُغْرِبَاتِ ، وَيَسْتَهِينُ بِكُلِّ إِيْدَاءٍ وَعَذَابٍ ، وَيَسْتَعْلِي فَوْقَ كُلِّ إِذْلَالٍ أَوْ اسْتِهْزَاءٍ ..  
فَتِلْكَ هِيَ الْعُدَّةُ الْكُبْرَى الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَسَلَّحَ بِهَا الدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ ، وَتِلْكَ هِيَ  
الْعُدَّةُ الَّتِي جَهَّزَ اللَّهُ بِهَا حَبِيبَهُ مُحَمَّدًا ﷺ لِيَقُومَ بِأَعْبَاءِ الدُّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

وَاتَّخَذَ الْوَسَائِلَ الْمُخْتَلِفَةَ لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الدَّوَائِعِ الْوُجِدَانِيَّةِ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ مِمَّا  
أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ضَرُورَتِهِ ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالتَّصَوُّفِ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ  
وَالْبَاحِثِينَ ، أَوْ بِالْإِحْسَانِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ .

وَالْإِحْتِلَاءُ الَّذِي كَانَ يُمَارِسُهُ ﷺ قَبِيلَ بَعْتِهِ كَانَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الْوَسَائِلِ  
لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الدَّوَائِعِ نَفْسِهَا .

الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ: وَفِي السَّنَةِ الْأَرْبَعِينَ قَبْلَ مَبْعَثِهِ ﷺ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ: كَانَ وَحْيُهُ  
مَنَامًا ، وَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ وَاضِحَةً مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ( أَي : مِثْلَ الصُّبْحِ  
الْمَفْلُوقِ ) وَمِنْهُ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ( ١ ) .

وَذَلِكَ لِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ مِنَ التَّدْرُجِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى  
دَرَجَةِ الْكَمَالِ ، وَمِنَ الصُّعْبِ جِدًّا عَلَى الْبَشَرِ تَلْقَى الْوَحْيَ مِنَ الْمَلَكِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : ( رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ  
النُّبُوَّةِ ) (١)

قَالَ الْعُلَمَاءُ : لِأَنَّ مُدَّةَ النُّبُوَّةِ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَنِصْفُ السَّنَةِ مِنْهَا جُزْءٌ مِنْ  
سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْإِمَامِ الْبُوصَيْرِيِّ فِي بُرْدَتِهِ :

لَا تُكْرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنْ لَهُ \* قَلْبًا مَتَى نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنْمِ  
وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ \* فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالٌ مُحْتَمِلٌ  
نَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحَى بِمُكْتَسَبٍ \* وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَمِّمٍ  
الْفَتْرَةَ بَيْنَ سَيِّدِنَا عِيسَى وَبِعْتَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

وَالْفَتْرَةُ : هِيَ الْمُدَّةُ الَّتِي لَا يُبْعَثُ فِيهَا رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي ( صَحِيحِهِ ) ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :  
( فَتْرَةٌ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سِتُّ مِئَةِ سَنَةٍ ) .

فَجَزَى اللَّهُ تَعَالَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا أَفْضَلَ مَا جَزَى بِهِ مُرْسَلًا عَمَّنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ،  
فَإِنَّهُ أَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ الْهَلَكَةِ ، وَجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، دَائِتَيْنِ بِيَدَيْهِ  
الَّذِي ارْتَضَى وَاصْطَفَى بِهِ مَلَائِكَتَهُ ، وَمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ ، فَلَمْ تُمَسِّ بِنَا  
نِعْمَةٌ ظَهَرَتْ وَلَا بَطَلَتْ نَلْنَا بِهَا حَظًّا فِي دِينٍ وَدُنْيَا ، أَوْ رُفِعَ بِهَا عَنَّا مَكْرُوهٌ فِيهِمَا  
أَوْ فِي أَحَدٍ مِنْهُمَا ، إِلَّا وَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ ﷺ سَبَبُهَا الْقَائِدُ إِلَى خَيْرِهَا ، وَالْهَادِي  
إِلَى رُسْدِهَا . (٢)



(٢) الرِّسَالَةُ لِلْإِمَامِ ( الشَّافِعِيِّ ) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .



## بَدَأُ الْوَحْيِ

وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ وَرَسُولًا إِلَى كَافَّةِ الثَّقَلَيْنِ أَجْمَعِينَ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ١٢ قَبْلَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ( وَذَلِكَ يُوَافِقُ يُولِيُو سَنَةَ ٦١٠ مِيلَادِيَّةً ) .

فَفِي ( صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ) ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ( عَائِشَةَ ) رضي الله عنها ، قَالَتْ : أَوَّلُ مَا بُدِيََ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ : الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ ( حِرَاءِ ) ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ ( وَهُوَ التَّعَبُّدُ ) اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ رضي الله عنها فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا ، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ ( حِرَاءِ ) فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ : اقْرَأْ ، قَالَ : ( مَا أَنَا بِقَارِيءٍ ) ، قَالَ : ( فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي - أَي حَبَسَ نَفْسِي - حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ - أَي : الْمَشَقَّةَ - ثُمَّ أَرْسَلَنِي ) ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقُلْتُ : ( مَا أَنَا بِقَارِيءٍ ) ، فَأَخَذَنِي وَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ) ، فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقُلْتُ : ( مَا أَنَا بِقَارِيءٍ ) ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ) ، فَقَالَ : ( اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ● خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ● اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ● الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ● عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ● ) (١) : فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرَجُّفُ بَوَادِرِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ، فَقَالَ : ( زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي ) - أَي : غَطُّونِي - ، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ - أَي : خَدِيجَةَ - : ( لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي ) ، فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ : كَلَّا وَاللَّهِ ، مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ( أَي : لَا يُهَيِّئُكَ بَلَّ يُكْرِمُكَ ) ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ (٢) ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ (٣) وَتَقْرِي الضَّيْفَ (٤) وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ

(١) سُورَةُ الْقَلْقِ ( الْآيَاتِ ١ - ٥ ) .

(٢) تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ : أَي تُصِيبُ مِنَ الْمَالِ مَا لَا يُصِيبُ غَيْرَكَ . (٤) تَقْرِي الضَّيْفَ : تُطْعِمُهُ الطَّعَامَ .

وَتَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ (١) .

وَلِتَتَّكِدَ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ مِمَّا ظَنَّتُهُ أَرَادَتْ أَنْ تَتَّبَتَّ مِمَّنْ لَهُمْ عِلْمٌ بِحَالِ الرَّسُولِ  
مِمَّنْ أَطَّلَعُوا عَلَى كُتُبِ الْأَقْدَمِينَ ، فَانْطَلَقَتْ مَعَهُ ﷺ حَتَّى أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ  
أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ( ابْنِ عَمِّ خَدِيجَةَ ) ، وَكَانَ أَمْرًا قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ،  
وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ،  
وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : يَا ابْنَ عَمِّ ، أَسْمَعُ مِنْ ابْنِ  
أَخِيكَ ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَبْرًا مَا رَأَى ،  
فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا هُوَ النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى (٢) ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا  
جَدَعًا (٣) ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( أَوْ  
مُخْرِجِي هُمْ ۙ ) ، قَالَ : نَعَمْ ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي ، وَإِنْ  
يُذْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا .

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ وَرَقَةُ أَنْ تُوَفِّيَ ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ (٤) .

### فَتْرَةُ الْوَحْيِ :

وَفَتَرَ الْوَحْيُ مُدَّةً لَمْ يَتَّفِقْ عَلَيْهَا الْمُؤَرِّخُونَ ، وَأَزْجَحَ أَقْوَالِهِمْ فِيهَا أَرْبَعُونَ يَوْمًا ،  
لَيْسَتْ شَوْقُ الرَّسُولِ ﷺ لِلْوَحْيِ ، وَقَدْ كَانَ .

فَإِنَّ الْحَالَ اشْتَدَّ بِهِ ﷺ ، فَكَانَ يُرَى عَلَى رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، حَتَّى يَظُنَّ مَنْ  
يَرَاهُ أَنَّهُ عَازِمٌ عَلَى إِقَاءِ نَفْسِهِ مِنْ ذُرْوَةِ الْجَبَلِ ، وَكُلَّمَا اشْتَدَّ الْحَالُ بِهِ ﷺ تَبَدَّى  
لَهُ الْمَلَكُ قَائِلًا : أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، فَيَأْنَسُ ﷺ وَيَطْمَئِنُّ خَاطِرُهُ ، حَتَّى أَرَادَ  
اللَّهُ أَنْ يَظْهَرَ لِلْوُجُودِ نُورَ الدِّينِ فَعَادَ الْوَحْيُ إِلَيْهِ .

(١) نَوَائِبُ الْحَقِّ : الْعَوَادُثُ الْمَحْمُودَةُ .

وَفِي ذِكْرِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ مَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ قَبِي مَصَارِعَ الشُّؤْمِ ، كَمَا  
يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ عَقْلِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ وَوَفُورِ شَفَقَتِهَا وَمَحَبَّتِهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ .

(٢) النَّامُوسُ : رَسُولُ الْغَيْبِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ : جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَخَصَّ سَيِّدَنَا مُوسَى لِأَنَّ شَرِيعَتَهُ كَانَتْ أَعَمَّ وَأَوْفَى مِنْ شَرِيعَةِ  
سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

(٣) جَدَعًا : شَابًا قَوِيًّا .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُتَمِّمٌ .

## عَوْدُ الْوَحْيِ

قال ابن شهاب ( فيما أخرجه البخاري ) : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أخبره أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي . قال : ( ثم فتر الوحي عني فترة ، فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصري قبل السماء - أي : في جهتها - فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فرعبت منه : حتى هويت إلى الأرض ، فجئت أهلي ، فقلت : دثروني دثروني - أي : غطوني - فدثروني ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿ وَيَتَابَكَ فظَهَرَ ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿ ﴾ <sup>(١)</sup> ثم تتابع الوحي ، وفي رواية : أنه لما فتر الوحي عنه صلى الله عليه وسلم ، قالت قریش : فلاه ربه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَالصُّحُفِ ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿ ﴾ <sup>(٢)</sup> إلى آخر السورة <sup>(٣)</sup> .

إيضاح مهم حول الوحي وأقسامه :

إن حديث بدء الوحي هو الأساس الذي يترتب عليه جميع حقائق الدين بعقائده وتشريعاته ، وإن فهمه واليقين به هما المدخل الذي لا بد منه إلى اليقين بسائر ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من إخبارات غيبية وأوامر تشريعية ، ذلك أن حقيقة ( الوحي ) هي الفيصل الوحيد بين الإنسان الذي يفكر من عنده ويشرع بواسطة رأيه وعقله ، والإنسان الذي يبلغ عن ربه دون أن يغير أو ينقص أو يزيد لذا وجب أن نتعرف على أقسام الوحي الذي هو مصدر الرسالة ومدد الدعوة ، قال ابن القيم وهو يذكر مراتب الوحي :

إحداها ( الرؤيا الصادقة ) : وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم .  
 الثانية ) ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه صلى الله عليه وسلم من غير أن يراه ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل

(١) سورة المدثر (الآيات ١ - ٥) . (٢) سورة الصفي . (٣) أخرجه البخاري ، عن (جندب بن سفیان) رضي الله عنه .

رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ  
تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ (١) .  
الثَّالِثَةُ ( أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُخَاطِبُهُ حَتَّى يَبْعَى عَنْهُ مَا يَقُولُ لَهُ ،  
وَفِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ كَانَ يَرَاهُ الصَّحَابَةُ أحياناً .

الرَّابِعَةُ ( أَنَّهُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ ، وَكَانَ أَشَدَّهُ عَلَيْهِ فَيَلْتَبِسُ بِهِ  
الْمَلِكُ ، حَتَّى إِنْ جَبِينَهُ ﷺ لِيَتَمَّصِدُ عِرْقًا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ ، وَحَتَّى إِنْ  
رَاحِلَتَهُ لَتَبْرُكُ بِهِ إِلَى الْأَرْضِ إِذَا كَانَ رَاكِبَهَا ؛ لَقَدْ جَاءَ الْوَحْيُ مَرَّةً كَذَلِكَ وَفَخِذَهُ  
ﷺ عَلَى فَخِذِ زَيْدِ بْنِ نَابِتٍ ﷺ ، فَثَقُلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى كَادَتْ تُرْضُهَا .

الخَامِسَةُ ( أَنَّهُ ﷺ يَرَى الْمَلِكَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا ، فَيُوحَى إِلَيْهِ مَا شَاءَ  
اللَّهُ أَنْ يُوحِيَهُ .

السَّادِسَةُ ( مَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ مِنْ فَرَضِ  
الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا .

السَّابِعَةُ ( كَلَامُ اللَّهِ لَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ بِلَا وَاسِطَةٍ مَلِكٍ كَمَا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ  
وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ هِيَ ثَابِتَةٌ لِمُوسَى قَطْعًا بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَثُبُوتُهَا لِنبينا ﷺ هُوَ فِي  
حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ (٢) .



## دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ سِرًّا

وَلَمَّا بُعِثَ ﷺ أَخْفَى أَمْرَهُ . وَجَعَلَ يَدْعُو أَهْلَ ( مَكَّةَ ) ، وَمَنْ أَتَى إِلَيْهَا سِرًّا وَذَلِكَ لِمُدَّةِ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَطَعَ عَلَيْهِ نُورُ الْإِسْلَامِ وَأَمَنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَ صَدِيقَةَ النِّسَاءِ ( خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ) زَوْجَهُ ﷺ ، فَقَامَتْ ﷺ بِأَعْبَاءِ الصَّدِيقِيَّةِ .

وَأَوَّلَ صَبِيٍّ آمَنَ ابْنُ عَمِّهِ ( عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ) كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ . وَسِنَّهُ ثَمَانِي سِنِينَ ، وَكَانَ مُقِيمًا عِنْدَهُ يُطْعِمُهُ وَيَسْقِيهِ وَيَقُومُ بِأَمْرِهِ ، لِأَنَّ هُرَيْشًا كَانُوا قَدْ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ مُقْلًا كَثِيرَ الْأَوْلَادِ ، فَقَالَ ﷺ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ ، وَالنَّاسُ فِيمَا تَرَى مِنَ الشَّدَّةِ ، فَانْطَلِقْ بِنَا لِنُخَفِّفَ مِنْ عِيَالِهِ ، تَأْخُذُ وَاحِدًا وَأَنَا وَاحِدًا ، فَانْطَلَقَا وَعَرَضَا عَلَيْهِ الْأَمْرَ ، فَآخَذَ الْعَبَّاسُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَخَذَ ﷺ عَلِيًّا ، فَكَانَ فِي كِفَالَتِهِ كَأَحَدِ أَوْلَادِهِ ، فَكَانَ تَابِعًا لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ ، وَلَمْ يَتَدَنَّسْ بِدَنَسِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنَ الْعَمَوَالِيِّ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ شَرْحِبِيلِ الْكَلْبِيِّ ، وَالَّذِي كَانَ قَدْ أُسِرَ وَرُقَّ ، فَمَلَكَتُهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ . وَوَهَبَتْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَجَاءَهُ أَبُوهُ وَعَمُّهُ لِيَذْهَبَا بِهِ إِلَى قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، فَاخْتَارَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَتَبَنَاهُ ﷺ حَسَبَ قَوَاعِدِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ لِذَلِكَ يُقَالُ : زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ فَأَبْطَلَ التَّبَنِيَّ .

وَأَجَابَتْ أَيْضًا أُمُّ أَيْمَنَ ( حَاضِنَتُهُ ) الَّتِي زَوَّجَهَا ﷺ لِعَمَلَاهُ زَيْدَ .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنَ الْعَبِيدِ بِلَالُ بْنُ رَبَاحِ الْحَبَشِيُّ .  
وَأَوَّلَ مَنْ أَجَابَهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ بَيْتِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ( وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةِ التَّيْمِيِّ الْقُرَشِيُّ )  
وَلَقَبَهُ عَتِيقٌ . وَكَانَ صَدِيقًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ النَّبُوءَةِ ، يَعْلَمُ مَا اتَّصَفَ بِهِ ﷺ

مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَلَمْ يَمَهِّدْ عَلَيْهِ كَذِبًا مُنْذُ اصْطَحَبَا ، فَأَوَّلُ مَا أَخْبَرَهُ بِرِسَالَةِ اللَّهِ أَسْرَعَ بِالتَّصَدِيقِ ، وَقَالَ : يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي أَهْلُ الصِّدْقِ أَنْتَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ .

كَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه صَدْرًا مُعَظَّمًا فِي قُرَيْشٍ عَلَى سَعَةِ مِنَ الْمَالِ وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ ، وَكَانَ مِنْ أَعَفِّ النَّاسِ ، سَخِيًّا يَبْدُلُ الْمَالَ ، مُحِبًّا فِي قَوْمِهِ ، حَسَنَ الْمُجَالَسَةِ وَكَانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ وَأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِهَا وَبِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ .

وَلِذَلِكَ كُلُّهُ كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه بِمَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ ، فَكَانَ يَسْتَشِيرُهُ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا ، وَقَالَ رضي الله عنه فِي حَقِّهِ : ( مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ كِبْوَةٌ <sup>(١)</sup> غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ مَا عَكَمَ <sup>(٢)</sup> حِينَ دَعَوْتُهُ ، وَلَا تَرَدَّدَ فِيهِ ) .

وَكَانَتْ الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ سِرًّا أَحَدَرًا مِنْ مُفَاجَأَةِ الْعَرَبِ بِأَمْرٍ شَدِيدٍ كَهَذَا فَيَضَعُ اسْتِسْلَامَهُمْ ، فَكَانَ رضي الله عنه لَا يَدْعُو إِلَّا مَنْ يَثِقُ بِهِ ، وَدَعَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه إِلَى الْإِسْلَامِ مَنْ يَثِقُ بِهِ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ ، فَأَجَابَهُ جَمْعٌ :

( مِنْهُمْ ) عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ الْأُمَوِيُّ الْقُرَشِيُّ ، وَلَمَّا عَلِمَ عَمُّهُ الْحَكَمُ بِإِسْلَامِهِ أَوْثَقَهُ كِتَافًا ، وَقَالَ : تَرَعْبُ عَنْ دِينِ آبَائِكَ إِلَى دِينِ مُسْتَحَدَثٍ ؟ وَاللَّهِ لَا أَحْلُكَ حَتَّى تَدَعَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ عُمَانُ : وَاللَّهِ لَا أَدَعُهُ وَلَا أَفَارِقُهُ ؟ فَلَمَّا رَأَى الْحَكَمُ صَلَابَتَهُ فِي الْحَقِّ تَرَكَهُ ، وَكَانَ عُمَانُ رضي الله عنه كَهَلًا <sup>(٣)</sup> يُنَاهِزُ الثَّلَاثِينَ مِنْ عُمُرِهِ .

( وَمِنْهُمْ ) الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ الْقُرَشِيِّ وَأُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ( عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ) ، وَكَانَ عَمُّ الزُّبَيْرِ يُرْسِلُ الدُّخَانَ عَلَيْهِ وَهُوَ مُقَيَّدٌ لِيَرْجِعَ إِلَى دِينِ آبَائِهِ ، فَقَوَّاهُ اللَّهُ بِالثَّبَاتِ ، وَكَانَ شَابًا لَا يَتَجَاوَزُ سِنَّ الْاِحْتِلَامِ .

(٢) مَا كَلَّبَتْ بَلَّ سَارِعَ .

(١) كِبْوَةٌ : تَوَقَّفٌ وَتَرَدُّدٌ .

(٣) وُلِدَ عُمَانُ رضي الله عنه بَعْدَ عَامِ الْفِيلِ بِسِتِّ سِنِينَ ، فَيَكُونُ سِنُهُ حِينَ بُعِثَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَهُوَ كَهَلٌ ، لِأَنَّ الْكَهْلَ مِنْ يَتَوَفَّى عُمُرُهُ عَنِ الثَّلَاثِينَ .

(وَمِنْهُمْ) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيُّ ، وَكَانَ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْدَ عَمْرٍو فَسَمَّاهُ صلى الله عليه وسلم عَبْدَ الرَّحْمَنِ .

(وَمِنْهُمْ) سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ مَالِكِ بْنِ أَهْيَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ الزُّهْرِيِّ الْقُرَشِيِّ ، وَلَمَّا عَلِمَتْ أُمُّهُ حَمْنَةُ بِنْتُ سُفْيَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بِإِسْلَامِهِ ، قَالَتْ لَهُ : يَا سَعْدُ بَلَّغْنِي أَنَّكَ قَدْ صَبَأْتَ ( فَوَاللَّهِ لَا يُظِلُّنِي سَقْفٌ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَإِنَّ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ عَلَى حَرَامٍ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ، وَبَقِيَتْ كَذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَجَاءَ سَعْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَكَاَ إِلَيْهِ أَمْرَ أُمِّهِ فَتَنَزَلَ فِي ذَلِكَ تَعْلِيمًا ، قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَتَّبِعُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) وَصَّاهُ جَلًّا فِي عُلَاةِ بَوَالِدَيْهِ وَأَمَرَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا مُؤْمِنِينَ كَانَا أَوْ كَافِرِينَ ، أَمَّا إِذَا دَعَاكَ لِلإِشْرَاقِ فَالْمَعْصِيَةُ مُتَحْتَمَةٌ : لِأَنَّ كُلَّ حَقٍّ ( وَإِنْ عَظَمَ ) سَاقِطٌ هُنَا ، فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ ﴾ : مَنْ آمَنَ مِنْكُمْ وَمَنْ أَشْرَكَ فَأَجَازِيكُمْ حَقَّ جَزَائِكُمْ .

وَفِي خِتَامِ هَذِهِ الْآيَةِ فَاثِدَتَانِ : التَّنْبِيهُ عَلَىٰ أَنَّ الْجَزَاءَ إِلَى اللَّهِ فَلَا تُحَدِّثُ نَفْسَكَ بِجَفْوَتَيْهِمَا لِإِشْرَاقِهِمَا ، وَالْحِضُّ عَلَى الثَّبَاتِ فِي الدِّينِ لِئَلَّا يَنَالَ شَرَّ جَزَاءٍ فِي الْأُخْرَى .

(وَمِنْهُمْ) طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مِرَّةِ التَّيْمِيِّ الْقُرَشِيِّ ، وَقَدْ كَانَ عَرَفَ مِنَ الرُّهْبَانِ ذِكْرَ الرَّسُولِ وَصِفَتَهُ ، فَلَمَّا دَعَاهُ أَبُو بَكْرٍ وَسَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَا نَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ ، وَرَأَى الدِّينَ مَتِينًا بَعِيدًا عَمَّا عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنَ الْمَتَالِبِ اسْتَجَابَ لِلإِسْلَامِ .

فَكَانَ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الثَّمَانِيَةِ الَّذِينَ سَبَقُوا النَّاسَ هُمُ الرِّعِيلُ الْأَوَّلُ وَطَلِيعَةُ الإِسْلَامِ

ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بـ (عُثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ) وَ (أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ) وَ (أَبِي سَلَمَةَ  
بِ عَبْدِ الْأَسَدِ) وَ (الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمُوا ﷺ .

( وَمِمَّنْ ) سَبَقُوا إِلَى الْإِسْلَامِ صُهَيْبُ الرَّومِيُّ (١) وَكَانَ مِنَ الْمَوَالِي ، وَعَمَّارُ بْنُ  
يَاسِرٍ ، وَقَدْ قَالَ ﷺ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةٌ أَعْبُدُ وَأَمْرَاتَانِ  
وَأَبُو بَكْرٍ (٢) ، وَكَذَلِكَ أَسْلَمَ أَبُوهُ يَاسِرٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةٌ .

( وَمِنْ ) السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : كَانَ يَرْعَى الْفَنَمَ لِبَعْضِ مُشْرِكِي  
قُرَيْشٍ ( وَهُمْ آلُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ) ، فَلَمَّا رَأَى الْآيَاتِ الْبَاهِرَةَ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
ﷺ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ تَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَلَزِمَ رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَانَ ﷺ كَثِيرَ  
الدُّخُولِ عَلَى الرَّسُولِ لَا يُحْجَبُ ، وَيَمْشِي أَمَامَهُ ، وَيَسْتُرُهُ إِذَا اغْتَسَلَ ، وَيُوقِظُهُ  
إِذَا نَامَ ، وَيُلْبِسُهُ نَعْلَيْهِ إِذَا قَامَ ، فَإِذَا جَلَسَ ﷺ أَخَذَ ابْنُ مَسْعُودٍ التَّعْلِينَ  
وَأَدْخَلَهُمَا فِي ذِرَاعَيْهِ .

وَهَكَذَا سَعَدَ ابْنُ مَسْعُودٍ بِخِدْمَةِ النَّعْلِ الشَّرِيفِ فَكَانَ جَدِيراً بِوَصْفِ الْحَبِيبِ  
الْأَعْظَمِ ﷺ لِسَاقِيهِ الدَّهِيْقَتَيْنِ أَنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جَبَلٍ أَحَدٍ .

( وَمِنْ ) السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ : وَكَانَ مِنْ أَعْرَابِ الْبَادِيَةِ فَصِيحاً حُلُوَ  
الْحَدِيثِ ، وَلَمَّا بَلَغَهُ مَبْعَثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ لِأَخِيهِ أُتَيْسٍ : ارْكَبْ إِلَى هَذَا  
الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ .  
فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ ، فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ  
الْأَخْلَاقِ وَيَقُولُ كَلَاماً مَا هُوَ بِالشَّعْرِ ، فَقَالَ : مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ .. فَتَزَوَّدَ  
أَبُو ذَرٍّ وَحَمَلَ قَرْبَةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَاتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ  
وَلَا يَعْرِفُهُ ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ لِمَا يَعْرِفُهُ مِنْ كِرَاهَةِ قُرَيْشٍ لِكُلِّ مَنْ يُخَاطَبُ  
رَسُولَ اللَّهِ : حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ اللَّيْلُ رَأَهُ ( عَلِيٌّ ) كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ .. فَعَرَفَ أَنَّهُ  
غَرِيبٌ ، فَأَضَافَهُ عِنْدَهُ وَلَمْ يَسْأَلْ أَحَدًا مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ ، عَلَى قَاعِدَةِ

( ١ ) هُوَ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ ، هُنَالِكَ : الرَّومِيُّ ، لِأَنَّ الرَّومَ سَبَوُهُ سَبِيحاً ، فَصَارَ أَلَكَنَ . ثُمَّ اشْتَرَاهُ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ فَبَاعَهُ بِمَكَّةَ .

( ٢ ) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي فُضَائِلِ الصَّحَابَةِ .



الضَيْفَةَ عِنْدَ الْعَرَبِ لَا يُسْأَلُ الضَّيْفُ عَنْ سَبَبِ قُدُومِهِ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثٍ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلَ قَرِيبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ الرَّسُولُ حَتَّى أَمْسَى ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ ، فَقَالَ : أَمَا أَنْ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْرِفَ مَنْزِلَهُ الَّذِي أُضِيفَ بِهِ بِالْأَمْسِ ؟ فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ مَعَهُ لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ عَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ : أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقَدَمَكَ ؟ قَالَ : إِنْ أُعْطِيتُنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرَشِدَنِي فَعَلْتُ ، فَفَعَلَ ، فَأَخْبَرَهُ ، قَالَ : فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ .. فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي ، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أَرِيقُ الْمَاءِ فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي .. فَفَعَلَ فَانْطَلَقَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : ( ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي ) ، قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ .. فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَتَدَاى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَصَامَ الْقَوْمُ فَضْرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ ، وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : وَيَلَكُمْ أَوْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ ؟ وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارَتِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهِ ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ لِمِثْلِهَا .. فَضْرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ (١) .

كَانَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه مِنْ أَصْدِقِ النَّاسِ قَوْلًا وَأَزْهَدِهِمْ فِي الدُّنْيَا .

( وَمِنْ ) السَّابِقِينَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ الْعَدَوِيِّ الْقُرَشِيُّ ، وَزَوْجُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ ( أُخْتُ عُمَرَ ) ، وَأُمُّ الْفَضْلِ ( لُبَابَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةُ زَوْجُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ) ، وَعَبِيدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأَبُو سَلَمَةَ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيِّ الْقُرَشِيُّ ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ) ، وَزَوْجُهُ أُمُّ سَلَمَةَ ، وَقُدَامَةُ بْنُ مَطْعُونٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَطْعُونٍ .

( وَمِنْ ) السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي مَنْهَجِ الْأَنْصَارِ .

الْأُمُويُّ الْقُرَشِيُّ ، كَانَ أَبُوهُ سَيِّدُ قُرَيْشٍ إِذَا اعْتَمَّ (١) لَمْ يَعْتَمَّ قُرَيْشِيٌّ إِجْلَالاً لَهُ ،  
 وَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ قَدْ رَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ سَيَقُوعُ فِي هَاوِيَةٍ ، فَأَدْرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ  
 وَخَلَّصَهُ مِنْهَا ، فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ : إِيَّاكَ تَدْعُو يَا مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : أَدْعُوكَ إِلَى عِبَادَةِ  
 اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنْ تَخْلَعَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ حَجَرٍ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ  
 وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، وَالْإِحْسَانَ إِلَى وَالِدَيْكَ . وَالْأَلَّ تَقْتُلُ وَلَدَكَ خَشْيَةَ الْفَقْرِ . وَالْأَلَّ  
 تَقْرَبَ الْفَاحِشَةَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، وَالْأَلَّ تَقْتُلُ نَفْسًا حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا إِلَّا بِالْحَقِّ  
 وَالْأَلَّ تَقْرَبَ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالنَّيِّ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَنْ تُوفِيَ الْكَيْلَ  
 وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، وَأَنْ تَعْدِلَ فِي قَوْلِكَ وَلَوْ حَكَمْتَ عَلَى ذَوِي قُرْبَاكَ ، وَأَنْ تُوفِيَ  
 لِمَنْ عَاهَدْتَ .. فَأَسْلَمَ ﷺ ، وَأَسْلَمَ بَعْدَهُ أَخُوهُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ .

وَهَكَذَا دَخَلَ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَافُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَكُنْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَيْفٌ  
 يَضْرِبُ بِهِ أَعْنَاقَهُمْ حَتَّى يُطِيعُوهُ صَاغِرِينَ ، وَلَيْسَ مَعَهُ مَا يُرْغَبُ فِيهِ حَتَّى يَتْرَكَ  
 هَؤُلَاءِ الْعِظَامُ آبَاءَهُمْ وَذَوِي الثَّرْوَةِ مِنْهُمْ وَيَتَّبِعُوا الرَّسُولَ لِيَأْكُلُوا مِنْ فَضْلِ مَالِهِ ،  
 بَلْ كَانَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ وَاسِعَ الثَّرْوَةِ أَكْثَرَ مِنْهُ ﷺ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانَ وَخَالِدِ بْنِ  
 سَعِيدٍ وَغَيْرِهِمْ ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ مِنَ الْمَوَالِي اخْتَارُوا الْأَذَى وَالْجُوعَ وَالْمَشَقَّاتِ مَعَ  
 اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ؛ بَحِيثٌ لَوْ اتَّبَعُوا سَادَتَهُمْ لَكَانُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَهْدَاءَ بِالْأَلَّ وَأَنْعَمَ  
 عَيْشَةً ، اللَّهُمَّ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ هِدَايَةِ اللَّهِ وَسُطُوعِ أَنْوَارِ الدِّينِ عَلَيْهِمْ . حَتَّى  
 أَدْرَكُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَمَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْهُدَى .

نَعَمْ .. أَسْلَمَ هَؤُلَاءِ سِرًّا ، وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَجْتَمِعُ بِهِمْ وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الدِّينِ  
 مُتَخَفِيًّا ، لِأَنَّ الدَّعْوَةَ كَانَتْ لَا تَزَالُ فَرْدِيَّةً وَسِرِّيَّةً ، وَلِهَذَا أَشَارَ ﷺ بِقَوْلِهِ : ( إِنْ  
 هَذَا الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ ) (٢)

ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ وَحَمِيَ نَزْوُلُهُ بَعْدَ نَزْوُلِ أَوَائِلِ سُورَةِ الْمَدَّثَرِّ ؛ وَكَانَتْ الْآيَاتُ وَقَطَعَ  
 السُّورِ الَّتِي تَنْزَلُ فِي هَذَا الزَّمَانِ آيَاتٍ قَصِيرَةً ، ذَاتَ فَوَاصِلٍ رَائِعَةٍ مَنِيَعَةٍ ،

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١) لَيْسَ الْإِمَامَةَ .

وَإِيقَاعَاتٍ هَادِئَةٍ خَلَابَةٍ تَتَنَاسَقُ مَعَ ذَلِكَ الْجَوِّ الْهَامِسِ الرَّهِيْقِ ، تَشْتَمِلُ عَلَى تَحْسِينِ تَرْكِيَةِ النُّفُوسِ ، وَتَقْبِيحِ تَلْوِيْثِهَا بِرِغَائِمِ الدُّنْيَا ، تَصِفُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ كَأَنَّهُمَا رُؤَى عَيْنٍ ، تَسِيرُ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي جَوْ آخَرَ غَيْرِ الَّذِي فِيهِ الْمُجْتَمَعُ الْإِنْسَانِيُّ آنَذَاكَ .

الصَّلَاةُ : كَانَ فِي أَوَائِلِ مَا نَزَلَ الْأَمْرُ بِالصَّلَاةِ ، قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ : فَرَضَ اللَّهُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ الصَّلَاةَ رَكْعَتَيْنِ بِالْفَدَاةِ وَرَكْعَتَيْنِ بِالْعَشِيِّ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ <sup>(١)</sup> . وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْمَسْقَلَانِيُّ : كَانَ ﷺ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ يُصَلِّي قَطْعًا ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ ، وَلَكِنْ اخْتَلَفَ هَلْ فَرَضَ شَيْءٌ قَبْلَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَمْ لَا ؟ فَقِيلَ إِنَّ الْفَرَضَ كَانَتْ صَلَاةً قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا .

وَرَوَى الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ لَهَيْعَةَ مَوْصُولًا عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِ مَا أَوْجَى إِلَيْهِ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ ، ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَدِيجَةَ ﷺ فَأَخْبَرَهَا ثُمَّ أَمَرَهَا فَتَوَضَّأَتْ وَصَلَّى بِهَا كَمَا صَلَّى بِهِ جِبْرِيلُ ﷺ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ فَرَضِهَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقْرَهَا فِي السَّفَرِ كَذَلِكَ وَأَتَمَّهَا فِي الْحَضَرِ .

إِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ : مَا السَّرُّ فِي أَنَّ مُعْظَمَ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ كَانُوا خَلِيطًا مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعْفَاءِ وَالْأَرْقَاءِ ، فَمَا الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ ؟ وَمَا السَّرُّ فِي أَنَّ تَتَأَسَّسَ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى أَرْكَانٍ مِنْ مِثْلِ هَؤُلَاءِ النَّاسِ ؟ وَالْجَوَابُ : إِنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ هِيَ الثَّمَرَةُ الطَّبِيعِيَّةُ لِدَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي فِتْرَتِهَا الْأُولَى ، أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْمِ نُوحٍ كَيْفَ كَانُوا يُعَيِّرُونَهُ بِأَنَّ أَتْبَاعَهُ الَّذِينَ مِنْ حَوْلِهِ لَيْسُوا إِلَّا مِنْ أَرَادِلِ النَّاسِ وَدَهْمَائِهِمْ : ﴿ مَا نَرَبُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَبُّكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وَالِي فِرْعَوْنَ وَشِيعَتِهِ كَيْفَ كَانُوا يَرَوْنَ أَتْبَاعَ مُوسَىٰ أَذِلَّةً مُّسْتَضْعَفِينَ ، حَتَّىٰ قَالَ عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثَ عَنْ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ وَأَشْيَاعِهِ : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ﴾ (١)

وَالِي ثَمُودَ الَّذِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ صَالِحًا ، كَيْفَ تَوَلَّىٰ عَنْهُ الرُّعَمَاءُ الْمُسْتَكْبِرُونَ وَأَمَنَ بِهِ النَّاسُ الْمُسْتَضْعَفُونَ ، حَتَّىٰ قَالَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٣)

وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ : أَنَّ حَقِيقَةَ هَذَا الدِّينِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ عَامَّةَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ ، إِنَّمَا هِيَ الْخُرُوجُ عَنْ سُلْطَانِ النَّاسِ وَحُكْمِهِمْ إِلَىٰ سُلْطَانِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ وَحَدُّهُ ، وَهِيَ حَقِيقَةُ تَخْدِشُ أَوَّلَ مَا تَخْدِشُ الْوَهِيَّةَ الْمُتَالِهِينَ وَحَاكِمِيَّةَ الْمُتَحَكِّمِينَ وَسَطْوَةَ الْمُتَزَعِّمِينَ ، وَتُنَاسِبُ أَوَّلَ مَا تُنَاسِبُ حَالَةَ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْمُسْتَذَلِّينَ وَالْمُسْتَعْبِدِينَ ، فَيَكُونُ رَدُّ الْفِعْلِ أَمَامَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ لِلَّهِ وَحَدُّهُ هُوَ الْمُكَابَرَةُ وَالْعِنَادُ مِنْ أَوْلِيَّكَ الْمُتَالِهِينَ وَالْمُتَحَكِّمِينَ ، وَالْإِذْعَانُ وَالِاسْتِجَابَةُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ .

وَلنَضْرِبَ مِثَالًا وَاقْعِيًّا يُجَلِّي هَذِهِ الْحَقِيقَةَ بِوُضُوحٍ وَذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي دَارَ بَيْنَ ( رُسْتُم ) قَائِدِ الْجَيْشِ الْفَارِسِيِّ فِي مَوْقَعَةِ الْقَادِسِيَّةِ ، وَ ( رَبِيعِ بْنِ عَامِرٍ ) الْجَنْدِيِّ الْبَسِيطِ فِي جَيْشِ ( سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ) رضي الله عنه ، فَقَدْ قَالَ لَهُ رُسْتُمُ : مَا الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَىٰ حَرْبِنَا وَالْوُلُوعِ بِدِيَارِنَا ؟ فَقَالَ رَبِيعٌ : جِئْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدُّهُ ... ثُمَّ نَظَرَ إِلَىٰ صُفُوفِ النَّاسِ الرَّاكِعِينَ عَنْ يَمِينِ رُسْتُمِ وَشِمَالِهِ ، فَقَالَ مُتَعَجِّبًا : لَقَدْ كَانَتْ تَبْلُغُنَا عَنْكُمْ الْأَحْلَامُ .. وَلَكِنِّي لَا أَرَىٰ قَوْمًا أَسْفَهَ مِنْكُمْ ، إِنَّا مَعَشَرُ الْمُسْلِمِينَ لَا يَسْتَعْبِدُ بَعْضُنَا بَعْضًا ،

وَلَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْكُمْ تَتَوَاسُونَ كَمَا تَتَوَاسَى ، وَكَانَ أَحْسَنَ مِنْ الَّذِي صَنَعْتُمْ أَنْ  
تُخْبِرُونِي أَنَّ بَعْضَكُمْ أَرْبَابٌ لِبَعْضٍ .

فَالْتَقَتِ الدَّهْمَاءُ الْمُسْتَضْعَفُونَ إِلَى بَعْضِهِمْ يَتَهَامِسُونَ : صَدَقَ وَاللَّهِ الْعَرَبِيُّ .

أَمَّا الْقَادَةُ وَالرُّؤَسَاءُ فَقَدْ وَجَدُوا فِي كَلَامِ رَبِيعٍ هَذَا مَا يُشْبِهُ الصَّاعِقَةَ أَصَابَتْ  
كَيَانَهُمْ فَحَطَّمَتْهُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَقَدْ رَمَى بِكَلَامٍ لَا تَزَالُ عِبِيدُنَا تَنْزِعُ  
إِلَيْهِ (١) .

إِسْتِدْرَاكٌ بَيِّنٌ خَيْرِيَّةٌ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى لِسَانِ الْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :  
( وَلَا يُدْرِكُ الْفَضْلَ إِلَّا ذُوهُ ) :

رُويَ عَنِ الْإِمَامِ ( عَلِيٍّ ) كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ خَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ : ( أُنشِدُكُمْ  
اللَّهَ أَوْ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ خَيْرٌ أَمْ أَبُو بَكْرٍ ؟ ) فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ :  
( وَاللَّهِ لَسَاعَةً مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ : ذَاكَ  
رَجُلٌ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ، وَهَذَا رَجُلٌ أَعْلَنَ إِيمَانَهُ ) (٢) .



(٢) (البداية والنهاية ، ج ١ ( ابن كثير ) .

(١) (إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، ج ١ ( محمد الحضري ) .

## الْجَهْرُ بِالذَّعْوَةِ

مَضَتْ مُدَّةُ الثَّلَاثِ سَنَوَاتٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يُظْهِرُ الذَّعْوَةَ فِي مَجَامِعِ قُرَيْشٍ الْعُمُومِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُنِ الْمُسْلِمُونَ يَتَمَكَّنُونَ مِنْ إِظْهَارِ عِبَادَتِهِمْ حَذَرًا مِنْ تَعَصُّبِ قُرَيْشٍ ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ أَرَادَ الْعِبَادَةَ ذَهَبَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ يُصَلِّي مُسْتَخْفِيًا .

وَلَمَّا دَخَلَ فِي الدِّينِ مَا يَرْبُو عَلَى الثَّلَاثِينَ وَكَانَ مِنَ اللَّازِمِ اجْتِمَاعُ الرَّسُولِ بِهِمْ لِيُرْشِدَهُمْ وَيُعَلِّمَهُمْ : اخْتَارَ لِذَلِكَ دَارَ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ <sup>(١)</sup> وَمَكَتَ ﷺ يَدْعُو سِرًّا حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وَهُمْ بَنُو هَاشِمٍ ، وَبَنُو الْمُطَّلِبِ ، وَبَنُو نَوْفَلٍ ، وَبَنُو عَبْدِ شَمْسٍ أَوْلَادِ عَبْدِ مَنَافٍ ، فَدَعَاهُمْ ﷺ فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا ، فَقَالَ لَهُمْ ﷺ : ( إِنْ الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَاللَّهُ لَوْ كَذَبَتْ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبْتُمْ ، وَلَوْ غَرَّرْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا غَرَّرْتُكُمْ ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَاللَّهُ لَتَمُوتَنَّ كَمَا تَنَامُونَ ، وَلَتُبْعَثَنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ ، وَلَتُحَاسِبَنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَلَتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا وَبِالسُّوءِ سُوءًا ، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا أَوْ نَارٌ أَبَدًا ) <sup>(٣)</sup>

فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ كَلَامًا لَيْنًا غَيْرَ عَمَّهِ أَبِي لَهَبٍ الَّذِي كَانَ خَصْمًا لِدُودًا : فَإِنَّهُ قَالَ : خُذُوا عَلَى يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ فَإِنْ أَسْلَمْتُمُوهُ حِينَئِذٍ ذَلَلْتُمْ ، وَإِنْ مَنَعْتُمُوهُ قُتِلْتُمْ ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : وَاللَّهِ لَنَمْنَعَنَّهُ مَا بَقِينَا ، ثُمَّ انصَرَفَ الْجَمِيعُ عَلَى جَبَلِ الصَّفَا :

وَمَا لَيْتَ ﷺ حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فَامْتَثَلَ ﷺ أَمْرَ رَبِّهِ وَاتَّقَى بِوَعْدِهِ وَنَصْرِهِ : فَصَعَدَ عَلَى جَبَلِ الصَّفَا ، فَجَعَلَ يُنَادِي : يَا بَنِي فَهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ ، يَا بَنِي لُؤَيٍّ .. لِبُطُونِ قُرَيْشٍ .

(١) وَيُكْنَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ . وَاسْمُ أَبِيهِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ أَسَدٍ . كَانَ الْأَرْقَمُ مِنْ أَوْلَادِ مَنْ أَسْلَمَ وَمَاجِرَ . وَفِي دَارِهِ كَانَ الرَّسُولُ

ﷺ يَدْعُو النَّاسَ خَفِيَةً إِلَى الْإِسْلَامِ ، حَتَّى تَكَامَلُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا مُسْلِمًا .

(٢) سُورَةُ الشُّعْرَاءِ ( الْآيَةُ ٢١٤ ) . (٣) السِّيْرَةُ الْعَلِيَّةُ . (٤) سُورَةُ الْحَجَرِ ( الْآيَةُ ٩٤ ) .

فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ الْخَبَرَ ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ <sup>(١)</sup>  
 بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَقُرَيْشٍ ، فَقَالَ ﷺ : ( أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي  
 تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي ؟ ) ، قَالُوا : نَعَمْ مَا جَرَيْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا ،  
 قَالَ : ( فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ) ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبًّا لَكَ أَلْهَذَا  
 جَمَعْتَنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَأْنِهِ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ • مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ  
 مَالُهُ وَمَا كَسَبَ • سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ • وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ  
 • فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وَالْقَصْدُ مِنْ حَمَلِ الْحَطَبِ <sup>(٣)</sup> : الْمَشَىٰ بِالنَّمِيمَةِ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ  
 الْأَكَاذِيبَ فِي نَوَادِي النِّسَاءِ .

وَلَمَّا جَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالِدَّعْوَةِ سَخِرَتْ مِنْهُ قُرَيْشٌ وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِ فِي  
 مَجَالِسِهِمْ ، فَكَانَ إِذَا مَرَّ عَلَيْهِمْ يَقُولُونَ : هَذَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ يُكَلِّمُ مِنَ السَّمَاءِ !  
 وَهَذَا غُلَامٌ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يُكَلِّمُ مِنَ السَّمَاءِ ... لَا يَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا عَابَ  
 آلَهُتَهُمْ وَسَفَهَ عُقُولَهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : وَاللَّهِ يَا قَوْمُ لَقَدْ خَالَفْتُمْ دِينَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ  
 ثَارَتْ فِي رُؤُسِهِمْ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ غَيْرَةً عَلَى تِلْكَ الْآلِهَةِ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا آبَاؤُهُمْ ،  
 فَذَهَبُوا إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدِ بَنِي هَاشِمٍ الَّذِي أَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ حِمَايَتَهُ مِنْ  
 أَيْدِي أَعْدَائِهِ ، فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ أَوْ يَكْفَهُ عَمَّا يَقُولُ ، فَرَدَّهُمْ رَدًّا  
 جَمِيلًا فَانصَرَفُوا عَنْهُ ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَا يُرِيدُهُ لَا يَصُدُّهُ عَنْ مُرَادِهِ  
 شَيْءٌ ، فَتَزَايَدَ الْأَمْرُ وَأَضْمَرَتْ قُرَيْشٌ الْحِقْدَ وَالْعَدَاوَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَحَثَّ  
 بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى ذَلِكَ .

ثُمَّ مَشَوْا إِلَى أَبِي طَالِبٍ مَرَّةً أُخْرَى ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّ لَكَ سِنًا وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً مِنَّا

(١) اسْمُهُ عَبْدُ الْمُزَيُّ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو لَهَبٍ كُنِيَ بِهَا قَدِيمًا لِإِشْرَاقِ وَجْهِهِ . وَكَتَبَهُ بِهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِأَنَّ  
 مَصِيرَهُ إِلَيْهَا . (٢) سُورَةُ الْمَسَدِ .

(٣) امْرَأَةٌ أَبِي لَهَبٍ اسْمُهَا أُمُّ جَبِيلَ بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ . كَانَتْ تُشَارِكُ زَوْجَهَا أُذْيَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَوْلًا بِالنَّمِيمَةِ وَالشَّتِيمَةِ ،  
 وَفِعْلًا بِأَنَّ تَلَوْنَ الْأَوْسَاحَ وَالشُّوْكَ عَلَى بَابِ دَارِهِ . وَكَانَتْ جَارَ مَنُوهُ لَهُ ﷺ . وَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّتْ زَوْجَهَا هَذَا الْعَارَ وَهَذَا  
 الرَّجِيمَ كُلَّمَا قُرِئَتْ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَإِنَّا قَدْ طَلَبْنَا مِنْكَ أَنْ تَتَّهَى ابْنَ أَخِيكَ فَلَمْ تَتَّهَهُ عَنَّا ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا وَتَسْفِيهِ عُقُولِنَا وَعَيْبِ آلِهَتِنَا ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا احْتَجُّوا بِالْقَلْبِيدِ فِي اسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى عَدَمِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ ذَمَّهُمْ لِعَدَمِ اسْتِعْمَالِ عُقُولِهِمْ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أُولَئِكَ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١)

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا ءِآبَاءُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٢) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٣) ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي بَيَانِ حُجَّتِهِم الدَّاحِضَةَ :

﴿ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءِآبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءِآثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (٤)

وَلَمَّا شَبَّهَهُمْ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّعَصُّبِ وَالْعِنَادِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ أُولَئِكَ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءِآبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٥)

فَلَمَّا تَمَسَّكُوا بِحُجَّةِ الْقَلْبِيدِ لِآبَائِهِمْ جَرَّ ذَلِكَ إِلَى وَصْفِ آبَائِهِمْ بِعَدَمِ الْعَقْلِ وَعَدَمِ الْهِدَايَةِ ، فَهَاجَ ذَلِكَ أَضْفَانَهُمْ ، وَقَالُوا لِأَبِي طَالِبٍ : إِمَّا أَنْ تَكْفَهُ أَوْ تُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ ، ثُمَّ انصَرَفُوا .

فَكَلَّمَ أَبُو طَالِبٍ النَّبِيَّ وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالُوا ، فَظَنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ عَمَّهُ قَدْ بَدَأَ لَهُ تَرْكُهُ وَالْمَعْجَزُ عَنْ نُصْرَتِهِ فَقَالَ : ( يَا عَمُّ ! وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي ، عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ مَا فَعَلْتُ ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ )

ثُمَّ اسْتَعْبَرَ ﷺ بِأَكْبِيَاءٍ ، فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ أَخِي ، قُلْ مَا أَحْبَبْتَ ، فَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمُكَ

(٢) سُورَةُ الْمَائِدَةِ (الآيَةُ ١٠٤) .

(٤) سُورَةُ الزُّخْرُفِ (الآيَةُ ٢٢) .

(٦) اسْتَعْبَرَ : جَرَّتْ دَمْعَتُهُ .

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ (الآيَةُ ١٧٠) .

(٣) سُورَةُ لُقْمَانَ (الآيَةُ ٢١) .

(٥) سُورَةُ الزُّخْرُفِ (مِنَ الْآيَةِ ٢٤) .



لِسَيِّءِ أَدْبَابٍ (١)

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو طَالِبٍ : (٢)

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ \* حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا  
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ \* وَأَبْشِرْ وَهَرَّ بِذَلِكَ مِنْكَ عُيُونَا (٣)  
وَدَعَوْتِي وَعَرَفْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي \* وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ تَمَّ أَمِينَا  
وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ \* مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا  
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارُ مَسِيئَةٍ \* لَوَجَدْتِي سَمْحًا بِذَلِكَ مُبِينَا

فَعِنْدَ ذَلِكَ نَابَذَتْهُ قُرَيْشٌ وَتَزَامَرُوا لِلْحَرْبِ : وَوَثِبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ يُعَذِّبُونَهُ :

وَمَنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فَكَانَ أَوَّلَ خَطِيبٍ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَثَارَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ فَضْرَبُوا فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ ضَرْبًا شَدِيدًا ، وَوُطِيءَ أَبُو بَكْرٍ وَضُرِبَ ضَرْبًا شَدِيدًا وَدَنَا مِنْهُ الْفَاسِقُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِتَفْلِينٍ وَيُحَرِّفُهُمَا لِيُوجِّهَهُ حَتَّى صَارَ لَا يُعْرِفُ وَجْهَهُ مِنْ أَنْفِهِ ، وَجَاءَ قَوْمُهُ بَنُو تَيْمٍ مُسْرِعِينَ فَأَتَعَدُوا الْمُشْرِكِينَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ، وَحَمَلَتْ بَنُو تَيْمٍ أَبَا بَكْرٍ فِي ثَوْبٍ حَتَّى أَدْخَلُوهُ نَزْلًا وَلَا يَشْكُونَ فِي مَوْتِهِ ، ثُمَّ رَجَعَتْ بَنُو تَيْمٍ فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ ، وَقَالُوا : وَاللَّهِ لَئِنْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ لَنَقْتُلَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ .

فَرَجَعُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَجَعَلَ أَبُوهُ أَبُو قُحَافَةَ وَبَنُو تَيْمٍ يُكَلِّمُونَ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَجَابَ فَتَكَلَّمَ آخِرَ النَّهَارِ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَمَسُوا مِنْهُ بِالسِّنِّهِمْ وَعَزَلُوهُ ثُمَّ قَامُوا ، وَقَالُوا لِأُمِّهِ أُمِّ الْخَيْرِ : انْظُرِي أَنْ تُطْعِمِيهِ شَيْئًا أَوْ تَسْقِيهِ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا خَلَتْ بِهِ جَعَلَ يَقُولُ : مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا لِي عِلْمٌ بِصَاحِبِكَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي (دَلَالِ الْتَّبْوَةِ) .

(٢) دَلَالِ الْتَّبْوَةِ .

(٣) اصْدَعْ بِأَمْرِكَ : بَهْتُهُ وَاجْهَرُ بِهِ . أَمْرَكَ : مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ مِنْ نَفْوَةِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى عِبَادَتِهِ وَخَدْعِهِ سُبْحَانَهُ .. غَضَاضَةٌ : مَنَفَصَةٌ أَوْ عَيْبٌ ، قَرَّتْ عَيْنُ فُلَانٍ : سُرَّ وَرَضِيَ .

فَقَالَ : اذْهَبِي إِلَى أُمِّ جَمِيلٍ بِنْتِ الْخَطَّابِ فَاسْأَلِيهَا عَنْهُ .  
فَخَرَجَتْ حَتَّى جَاءَتْ أُمَّ جَمِيلٍ فَقَالَتْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَسْأَلُكَ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ  
فَقَالَتْ : مَا أَعْرِفُ أَبَا بَكْرٍ وَلَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتِ تُحِبِّينَ أَنْ أَذْهَبَ  
مَعَكَ إِلَى ابْنِكَ .

قَالَتْ : نَعَمْ .. فَمَضَتْ مَعَهَا حَتَّى وَجَدَتْ أَبَا بَكْرٍ صَرِيحاً ، فَدَنَتْ أُمَّ جَمِيلٍ وَأَعْلَنْتْ  
بِالصِّيَاحِ . وَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنْ قَوْمًا نَالُوا هَذَا بِكَ لِأَهْلِ فِسْقٍ وَكُفْرٍ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ  
يَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ .

قَالَ : فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

قَالَتْ : هَذِهِ أُمُّكَ تَسْمَعُ .

قَالَ : فَلَا شَيْءَ عَلَيْكَ مِنْهَا ، قَالَتْ : سَالِمٌ صَالِحٌ .

قَالَ : أَيْنَ هُوَ ؟ ، قَالَتْ : فِي دَارِ ابْنِ الْأَرْقَمِ .

قَالَ : فَإِنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَذُوقَ طَعَاماً وَلَا أَشْرَبَ شَرَاباً حَتَّى آتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،  
فَأَمَهَلْتَاهُ حَتَّى إِذَا هَدَّاتِ الرَّجُلُ وَسَكَنَ النَّاسُ ، خَرَجْنَا يَتَكِيءُ عَلَيْهِمَا حَتَّى  
أَدْخَلْتَاهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ : فَأَكَبَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ ، وَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَرَقَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ رِقَّةً شَدِيدَةً .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا أُمَّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ بِي بَأْسٌ إِلَّا مَا نَالَ الْفَاسِقُ مِنْ  
وَجْهِي ، وَهَذِهِ أُمِّي بَارَةٌ بِوَلَدِهَا وَأَنْتَ مُبَارَكٌ : فَادْعُهَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَادْعُ اللَّهَ  
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَسْتَنْقِذَهَا بِكَ مِنَ النَّارِ .. فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَعَاها إِلَى  
الْإِسْلَامِ فَاسْلَمَتْ .

حَسَدُ أَبِي طَالِبٍ مُؤَيَّدِيهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ : وَأَخَذَ أَبُو طَالِبٍ يَحْسُدُ بُطُونَ بَنِي  
عَبْدِ مَنَافٍ ، وَهُمْ أَرْبَعَةٌ : بَنُو هَاشِمٍ ، وَبَنُو الْمُطَّلِبِ ، وَبَنُو عَبْدِ شَمْسٍ وَبَنُو نَوْفَلٍ

فَأَجَابَهُ بَنُو هَاشِمٍ ، وَبَنُو الْمُطَلِّبِ ، وَخَذَلَهُ : بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ ، وَبَنُو نَوْفَلٍ ، وَأَسْلَخَ  
 أَيْضاً مِنْ بَنِي هَاشِمٍ : أَبُو لَهَبٍ .

وَفِي بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَبَنِي نَوْفَلٍ وَحَمِيَّتِهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَمَدَحِهِ لَهُ ، يَقُولُ أَبُو  
 طَالِبٍ فِي قَصِيدَتِهِ الطَّوِيلَةِ :<sup>(١)</sup>

- |  |   |
|--|---|
| جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا   | * عُقُوبَةَ شَرِّ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ                         |
| كَذَّبْتُمْ وَيَبِيتُ اللَّهُ نُبْرَى مُحَمَّدًا | * وَلَمَّا نَطَاعِنَ دُونَهُ وَنُضَاضِلِ <sup>(٢)</sup>         |
| وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصْرَعَ حَوْلَهُ            | * وَنُدْهَلَ عَنَّا أُنْبَانِنَا وَالْحَلَائِلِ <sup>(٣)</sup>  |
| وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ      | * نُهْوَضَ الرُّوَايَا نَحْتُ ذَاتَ الصَّلَاصِلِ <sup>(٤)</sup> |
| بِكَمِّي فَتَى مِثْلِ الشَّهَابِ سَمِيدِعِ       | * أَخِي ثَمَّةَ حَامِي الْحَقِيقَةَ بَاسِلِ <sup>(٥)</sup>      |
| وَمَا تَرَكُ قَوْمٌ ، لَا أَبَالَكَ سَيِّدًا     | * يَحُوطُ الدَّمَارَ غَيْرَ ذَرْبِ مُوَائِلِ <sup>(٦)</sup>     |
| وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ     | * ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ <sup>(٧)</sup>     |
| يَلُودُ بِهِ الْهَلَّافُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ        | * فَهَمَّ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ <sup>(٨)</sup>      |
| لَعَمْرِي لَقَدْ كَلَّفْتُ وَجْدًا بِمُحَمَّدٍ   | * وَإِخْوَتِهِ دَابَّ الْمُحِبِّ الْمُوَاصِلِ <sup>(٩)</sup>    |
| حَدَيْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتَهُ         | * وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَا وَالْكَلاكِيلِ <sup>(١٠)</sup>  |
| فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمِّلٍ     | * إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضِلِ ١٩              |
| حَلِيمٍ رَشِيدٍ عَادِلٍ غَيْرُ طَائِشٍ           | * يُوَالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلٍ                      |
| لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مُكَذَّبَ     | * لَدَيْنَا وَلَا يُعْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ                 |
| فَأَصْبَحَ فِينَا مُحَمَّدٌ فِي أَرْوَمَةِ       | * تَقَاصِرُ عَنْهَا سُورَةُ الْمُتَطَاوِلِ <sup>(١١)</sup>      |

(١) صِبْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ . (٢) نُبْرَى مُحَمَّدًا : تَقْلِيْبُهُ وَتَسْلِيْبُهُ .. نُنَاضِلُ : نَتَسَابَقُ فِي الرِّبَايَةِ بِالسَّهَامِ .  
 (٣) الْحَلَائِلُ : الْأَزْوَاجَاتُ . (٤) الرُّوَايَا: الإِبِلُ الَّتِي تَعْمَلُ الْمَاءَ وَالْأَصْقِيَةَ ، الصَّلَاصِلُ: الْمَزَادَاتُ لَهَا صَلَاصَةً بِالْمَاءِ .  
 (٥) السَّمِيدِعُ: السَّيِّدُ ، الْبَاسِلُ: الشُّجَاعُ . (٦) الدَّمَارُ: مَا يُلْزِمُكَ جَمَابَهُ ، الذَّرْبُ: سَلِيْطَةُ اللِّسَانِ الْمُوَائِلِ الَّتِي يَكِلُ أُمُورَهُ إِلَى غَيْرِهِ .  
 (٧) ثِمَالُ الْيَتَامَى: قَامَ بِأُمَّرِهِمْ وَرَبَّاهُمْ . (٨) الْهَلَّافُ : الشُّخَّاحُ الْهَرَمِيُّ الْمُسِينُ .  
 (٩) وَجْدًا : مَحَبَّةً .  
 (١٠) حَدَيْتُ : عَطَفْتُ وَمَنْعْتُ ، الْكَلاكِيلُ : الْجَمَاعَاتُ ، ذُرَا الشَّيْءِ: أَعَالِيهِ ، وَالْمَقْصُودُ دَافِعٌ عَنِ الرُّسُولِ ﷺ بَيْنَ الْقَوْمِ وَأَشْرَافِهِمْ ، وَعِنْدَ عَامَّةِ النَّاسِ .  
 (١١) الْأَرْوَمَةُ : الْأَصْلُ وَالنَّسَبُ ، وَالسُّورَةُ : الْمَنْزِلَةُ .

مَا لَقِيَهُ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ .. مِنْ صُنُوفِ الْإِيذَاءِ وَالِاسْتِهْزَاءِ

وَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَثِيرَ الْأَذَى وَعَظِيمَ الشَّدَّةِ خُصُوصاً إِذَا ذَهَبَ إِلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِهِمْ أَدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةٌ سُمُوا لِكَثْرَةِ أَذَاهُمْ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ :

( فَأَوْلَهُمْ ) وَأَشَدُّهُمْ أَبُو جَهْلٍ <sup>(١)</sup> ( عَمْرُو بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ) ، قَالَ يَوْمًا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَتَى مَا تَرُونَ مِنْ عَيْبٍ دِينِكُمْ وَشَتَمِ آلِهِكُمْ وَتَسْفِيهِهِ أَحْلَامِكُمْ وَسَبِّ آبَائِكُمْ ، إِنِّي أَعَاهِدُ اللَّهَ لِأَجْلِسَنَّ لَهُ غَدًا بِحَجْرٍ لَا أُطِيقُ حَمْلَهُ ، فَإِذَا سَجَدَ فِي صَلَاتِهِ رَضَخْتُ بِهِ رَأْسَهُ فَأَسْلِمُونِي عِنْدَ ذَلِكَ أَوْ أَمْنَعُونِي ، فَلْيَصْنَعْ بِي بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِمَنَافٍ مَا بَدَأَ لَهُمْ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخَذَ حَجْرًا كَمَا وَصَفَ ، ثُمَّ جَلَسَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُهُ ، وَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا كَانَ يَغْدُو إِلَى صَلَاتِهِ وَقُرَيْشٌ فِي أُنْدِيَّتِهِمْ يَنْتَظِرُونَ مَا أَبُو جَهْلٍ فَاعِلٌ ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ احْتَمَلَ أَبُو جَهْلٍ الْحَجَرَ وَأَقْبَلَ نَحْوَهُ ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُ رَجَعَ مُنْهَرِمًا مُنْتَقِعًا لَوْنَهُ مِنَ الْفَرْعِ وَرَمَى حَجْرَهُ مِنْ يَدِهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا مَالِكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ قَالَ : قُمْتُ إِلَيْهِ لِأَفْعَلَ مَا قُلْتُ لَكُمْ ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ عَرَضَ لِي فَحَلُّ مِنَ الْإِبِلِ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ؛ هَمَّ بِي أَنْ يَأْكُلَنِي ( فَلَمَّا ذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : ذَاكَ جَبْرِيلُ وَلَوْ دَنَا لَأَخَذَهُ .

وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ كَثِيرًا مَا يَنْهَى الرَّسُولَ عَنِ صَلَاتِهِ عِنْدَ الْبَيْتِ ، فَقَالَ لَهُ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ رَأَاهُ يُصَلِّي : أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا ؟ فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ الْقَوْلَ وَهَدَّدَهُ ، فَقَالَ : أَتَهْدِدُنِي وَأَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْوَادِي نَادِيًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَهْدِيدًا لَهُ فِي آخِرِ سُورَةِ أَقْرَأَ :

﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ● نَاصِيَةٍ كَنُذِيبٍ خَاطِئَةٍ ● فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. ● سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ ● كَلَّا لَا تَطِيعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ● ﴾ <sup>(٢)</sup>

(١) كُنِيَّتُهُ فِي قَوْمِهِ : أَبُو الْحَكَمِ وَكَتَبَهُ الْمُسْلِمُونَ أَبَا جَهْلٍ لِمُعَارَضَتِهِ الدَّعْوَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَحَدَّثَ قَتْلَ مُشْرِكًا يَوْمَ بَدْرٍ اشْتَرَكَ فِي قِتْلِهِ مَعَادُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَوْحِ وَمَعُوذُ بْنُ عَفْرَاءَ وَأَجْهَرُ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ . (٢) سُورَةُ الْمَلَقِ الْآيَاتِ ١٥ - ١٩ .

وَمِنْ أَدِيَّتِهِ لِلرَّسُولِ مَا حَكَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِيمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، قَالَ : كُنَّا  
 مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَلَا رَجُلٌ يَقُومُ إِلَى  
 فَرْتِ جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَلْقِيهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ سَاجِدٌ ؟ فَقَامَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ  
 بِنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ وَجَاءَ بِذَلِكَ الْفَرْتِ فَأَلْقَاهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ  
 وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِالْمَسْجِدِ عَلَى إِنْقَائِهِ عَنْهُ  
 لِضَعْفِهِمْ عَنِ مُقَاوَمَةِ عَدُوِّهِمْ ، وَلَمْ يَزَلْ ﷺ سَاجِدًا حَتَّى جَاءَتْ ابْنَتُهُ (فَاطِمَةُ)  
 فَأَخَذَتْ الْقَدْرَ وَرَمَتْهُ ، فَلَمَّا قَامَ ﷺ دَعَا عَلَى مَنْ صَنَعَ هَذَا الصَّنْعَ الْقَبِيحَ ،  
 فَقَالَ : اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ وَسَمَى أَقْوَامًا ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : فَرَأَيْتَهُمْ  
 قَتَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ .

وَمِمَّا حَصَلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَبِي جَهْلٍ أَنَّ هَذَا ابْتِاعَ أَجْمَالًا مِنْ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ  
 الْإِرَاشِيُّ ، فَهَطَلَهُ بِأَثْمَانِهَا ، فَجَاءَ الرَّجُلُ مَجْمَعَ قُرَيْشٍ يُرِيدُ مِنْهُمْ مُسَاعَدَةً عَلَى  
 أَخْذِ مَالِهِ ، فَدَلَّوهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ لِيُنْصِفَهُ مِنْ أَبِي جَهْلٍ : اسْتَهْزَأَ لِمَا يَعْلَمُونَهُ  
 مِنْ أَعْمَالِ ذَلِكَ الشَّقِيِّ بِالرَّسُولِ ، فَتَوَجَّهَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ وَطَلَبَ مِنْهُ الْمُسَاعَدَةَ عَلَى  
 أَبِي جَهْلٍ ، فَخَرَجَ مَعَهُ ﷺ حَتَّى ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ :  
 مُحَمَّدٌ ، فَخَرَجَ مُنْتَقِمًا لَوْنُهُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ : أَعْطِ هَذَا حَقَّهُ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ :  
 لَا تَبْرَحْ حَتَّى تَأْخُذَهُ ، فَلَمْ يَبْرَحِ الرَّجُلُ حَتَّى أَخَذَ دَيْنَهُ .. فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : وَيْلَكَ يَا  
 أَبَا الْحَكَمِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ وَيْحَكُمْ .. وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلَى  
 بَابِي حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَهُ فَهَمِلْتُ مِنْهُ رُعبًا ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَيْهِ ، وَإِنَّ فَوْقَ رَأْسِي  
 فَحْلًا مِنَ الْإِبِلِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، لَوْ أَيْتُتْ أَوْ تَأَخَّرْتُ لِأَكْلَتِي .

(وَمِنْ جَمَاعَةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ) أَبُو لَهَبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ، كَانَ أَشَدَّ  
 عَلَيْهِ مِنَ الْأَبَاعِدِ ، فَكَانَ يَرْمِي الْقَدْرَ عَلَى بَابِهِ لِأَنَّهُ كَانَ جَارًا لَهُ ، فَكَانَ الرَّسُولُ  
 يَطْرَحُهُ ، وَيَقُولُ : يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَيُّ جَوَارٍ هَذَا !! وَكَانَتْ تُشَارِكُهُ فِي قَبِيحِ

عَمَلِهِ زَوْجُهُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَكَانَتْ كَثِيرًا مَا تَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ  
وَتَكَلِّمُ فِيهِ بِالنَّمَائِمِ وَخُصُوصًا بَعْدَ أَنْ نَزَلَ فِيهَا وَفِي زَوْجِهَا سُورَةُ أَبِي لَهَبٍ .

فَلَمَّا سَمِعَتْ مَا نَزَلَ فِيهَا وَفِي زَوْجِهَا مِنَ الْقُرْآنِ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ  
فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَفِي يَدَيْهَا مِقْدَارُ مِلءِ الْكَفِّ مِنَ الْحِجَارَةِ  
فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا أَخَذَ اللَّهُ بِصَرِّهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَرَى إِلَّا أَبَا بَكْرٍ ،  
فَقَالَتْ : يَا أَبَا بَكْرٍ أَيَّنَ صَاحِبِكَ ؟ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي .. وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ  
لَضَرَبْتُ بِهِذَا فَاهُ ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَشَاعِرَةٌ ، ثُمَّ قَالَتْ : مُدَمَّمًا أَيْنَا وَدِينَهُ قَلِينَا  
وَأَمْرُهُ عَصِينَا .

ثُمَّ انْصَرَفَتْ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا تَرَاهَا رَأَتْكَ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتِي  
لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ بِصَرِّهَا عَنِّي .

وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ قَدْ زَوَّجَ وَلَدِيهِ عُتْبَةَ وَعُتَيْبَةَ بِنْتَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُقَيْبَةَ وَأُمَّ كُتُومٍ  
قَبْلَ الْبِعْتَةِ ، فَلَمَّا كَانَتِ الْبِعْتَةُ أَمْرَهُمَا بِتَطْلِيْقِهِمَا بِعُنْفٍ وَشِدَّةٍ حَتَّى طَلَّقَاهُمَا .

وَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ الْإِبْنُ الثَّانِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ اسْتَبْشَرَ أَبُو لَهَبٍ وَذَهَبَ إِلَى  
الْمُشْرِكِينَ يُبَشِّرُهُمْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا صَارَ أَبْتَرًا .

( وَمِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، كَانَ الْجَارَ الثَّانِي لِرَسُولِ اللَّهِ ، وَكَانَ

يَعْمَلُ مَعَهُ كَأَبِي لَهَبٍ ، صَنَعَ مَرَّةً وَوَلِيمَةً وَدَعَا لَهَا كِبْرَاءَ قُرَيْشٍ وَفِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ،

فَقَالَ ﷺ : وَاللَّهِ لَا أَكُلُ طَعَامَكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، فَتَشْهَدَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبِي بَنَ

خَلْفِ الْجَمْحِيِّ وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ ، فَقَالَ : مَا شَيْءٌ بَلَغَنِي عَنْكَ ؟ قَالَ : لَا شَيْءٌ ..

دَخَلَ مَنْزِلِي رَجُلٌ شَرِيفٌ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ طَعَامِي حَتَّى أَشْهَدَ لَهُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ

يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِي وَلَمْ يَطْعَمْ ، فَشَهِدْتُ لَهُ .. قَالَ أَبِي : وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِنْ

لَقِيتَ مُحَمَّدًا فَلَمْ تَطَأْ عُنُقَهُ وَتَبْرُقْ فِي وَجْهِهِ وَتَلْطَمَ عَيْنَهُ ، فَلَمَّا رَأَى عُقْبَةُ

( ١ ) أَمْرُهُ الْمُسْلِمُونَ فِي بَدْرٍ . وَأَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِهِ . فَفُتِنَ جَزَاءً مَا اقْتَرَفَتْ يَدَاهُ مِنْ أَذْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَقِيلَ مَعَهُ  
لِنَفْسِ السَّبَبِ النَّضْرُ بْنُ الْعَارِثِ .

رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۝ يَتَوَلَّى لِيَتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا حَلِيلًا ۝ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۝ ﴾ (١)

وَمِنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَهُ ذَلِكَ الشَّقِيُّ بِرَسُولِ اللَّهِ فِيهِمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي جِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ فَخَنَقَهُ خَنَقًا شَدِيدًا ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَالَ : ﴿ اتَّقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۝ ﴾ (٢)

وَمِنْ جَمَاعَةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلِ السَّهْمِيِّ ( وَالِدُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ) ، كَانَ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ، وَكَانَ يَقُولُ : غَرَّ مُحَمَّدٌ أَصْحَابَهُ أَنْ يَحْيُوا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَاللَّهُ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ، فَقَالَ اللَّهُ رَدًّا عَلَيْهِ فِي دَعْوَاهُ فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ ﴾ (٣) ، وَكَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ لِحَبَابِ بْنِ الْأَرْتِّ أَحَدِ رِجَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَقَاضَاهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ الْعَاصُ : أَلَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَى دِينِهِ أَنْ فِي الْجَنَّةِ مَا يَبْتَغِي أَهْلُهَا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ ثِيَابٍ أَوْ خَدَمٍ ؟ قَالَ حَبَابُ : بَلَى ، قَالَ فَأَنْظِرْنِي إِلَى هَذَا الْيَوْمِ فَسَأُوْتِي مَالًا وَوَلَدًا وَأَقْضِيكَ دَيْنَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ : ﴿ أفرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۝ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۝ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝ ﴾ (٤)

(٢) سُورَةُ غَافِرٍ ( مِنْ الْآيَةِ ٢٨ ) .

(٤) سُورَةُ مَرْيَمَ ( الْآيَاتُ ٧٧ - ٨٠ ) .

(١) سُورَةُ الْفُرْقَانِ ( الْآيَاتُ ٢٧ - ٢٩ ) .

(٣) سُورَةُ الْجَاثِيَةِ ( الْآيَةُ ٢٤ ) .

وَمِنْ جَمَاعَةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَعْقُوثَ ، كَانَ إِذَا رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ مُقْبِلِينَ ، يَقُولُ : قَدْ جَاءَكُمْ مُلُوكُ الْأَرْضِ ، اسْتِهْزَاءً بِهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُتَقَشِّفِينَ : ثِيَابُهُمْ رَثَّةٌ ، وَعَيْشُهُمْ حَسِينٌ .. وَكَانَ يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ سُخْرِيَّةً : أَمَا كُلتَ الْيَوْمَ مِنْ السَّمَاءِ ؟

( وَمِنْهُمْ ) الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ الْأَسَدِيِّ ، كَانَ هُوَ وَشَيْعَتُهُ إِذَا مَرَّ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ يَتَغَامَرُونَ ، وَفِيهِمْ نَزَلَ فِي سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَصْحَكُونَ ● وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ● وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ ● وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ● ﴾ (١)

وَمِنْهُمْ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةَ ( عَمُّ أَبِي جَهْلٍ ) : كَانَ مِنْ عُظَمَاءِ قُرَيْشٍ وَفِي سَمْعَةٍ مِنَ الْعَيْشِ ، سَمِعَ الْقُرْآنَ مَرَّةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِقَوْمِهِ بَنِي مَخْرُومٍ : وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ أَيْضًا كَلَامًا مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ وَإِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةَ ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةَ ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُنْفِقٌ ، وَإِنَّهُ يَعْلُو وَمَا يُعْلَى ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : صَبَأَ الْوَلِيدُ ، وَاللَّهُ لَتَصْبَانَنَّ قُرَيْشٌ كُلُّهَا ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَنَا أَكْفِيكُمْوهُ ، فَتَوَجَّهَ وَقَعَدَ إِلَيْهِ حَزِينًا وَكَلَّمَهُ بِمَا أَحْمَاهُ (٢) ، فَقَامَ فَأَتَاهُمْ فَقَالَ : تَزْعُمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ فَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ يَهُوسُ ، وَتَقُولُونَ إِنَّهُ كَاهِنٌ فَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ يَتَكَهَّنُ ؟ وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ شَاعِرٌ فَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ يَتَعَاطَى شِعْرًا قَطُّ ؟ وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَذَّابٌ فَهَلْ جَرَّبْتُمْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْكَذِبِ ؟ فَقَالُوا فِي كُلِّ ذَلِكَ : اللَّهُمَّ لَا ، ثُمَّ قَالُوا : فَمَا هُوَ ؟ فَفَكَرَ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ : مَا هُوَ إِلَّا سَاحِرٌ ، أَمَا رَأَيْتُمُوهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمَوَالِيهِ ، فَارْتَجَّ النَّادِي فَرِحًا .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ ، مُخَاطِبًا لِرَسُولِهِ : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ

(٢) أَحْمَاهُ : أَلَاغَ غَضَبُهُ .

(١) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ ( الْآيَاتُ ٢٩ - ٣٢ ) .

(٣) يَهُوسُ : يُحَدِّثُ نَفْسَهُ ، وَالْهَوَاسُ : مَلَكٌ مِنَ الْجِنِّ .



خَلَقْتُ وَحِيدًا ● وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ● وَبَيْنَ شُهُودًا ●  
 وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ● ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ● كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَبِيدًا ●  
 سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ● إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ● فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ● ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ●  
 ثُمَّ نَبَّأَهُ ● ثُمَّ عَبَسَ وَسَكَرَ ● ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ● فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ  
 يُؤْتَرُ ● إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ● سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ● (١)

وَأَنْزَلَ فِيهِ أَيْضًا فِي سُورَةِ الْقَلَمِ: (٢) (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ) كَثِيرُ الْحَلْفِ، وَكَفَى  
 بِهَذَا زَاجِرًا لِمَنْ اعْتَادَ الْحَلْفَ، (مُهَيِّنٍ) حَقِيرٍ، وَأَرَادَ بِهِ الْكَذَّابَ لِأَنَّهُ حَقِيرٌ  
 فِي نَفْسِهِ، (هَمَّازٍ) عَيَابٍ طَعَانٍ (مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ) يَنْقُلُ الْأَحَادِيثَ لِلإِفْسَادِ  
 بَيْنَ النَّاسِ (مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتْلٍ) غَلِيظٍ جَافٍ (بَعْدَ ذَلِكَ رَيْمٍ)  
 دَخِيلٍ (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَيْنَ) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ، أَيْشُنَا قَالَكِ أَسْطِيرُ  
 الْأَوَّلِينَ ● سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ● كِنَايَةٌ عَنِ الإِذْلَالِ وَالتَّحْقِيرِ،  
 لِأَنَّ الْوَجْهَ أَكْرَمَ عُضْوٍ وَالْأَنْفَ أَشْرَفُ مَا فِيهِ، وَلِذَلِكَ اسْتَقُوا مِنْهُ كُلَّ مَا يَدُلُّ عَلَى  
 الْعِظَمَةِ كَالْأَنْفَةِ وَهِيَ الْحَمِيَّةُ؛ فَالْوَسْمُ عَلَى أَشْرَفِ عُضْوٍ دَلِيلُ الإِذْلَالِ وَالإِهَانَةِ.

(وَمِنْ) الْمُسْتَهْزِئِينَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ الْعَبْدَرِيُّ، كَانَ إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 مَجْلِسًا لِلنَّاسِ يُحَدِّثُهُمْ وَيَذَكِّرُهُمْ مَا أَصَابَ مِنْ قَبْلَهُمْ، قَالَ النَّضْرُ: هَلُمُّوا  
 يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ فَإِنِّي أَحْسَنُ مِنْهُ حَدِيثًا، ثُمَّ يُحَدِّثُ عَنْ مُلُوكِ فَارِسٍ، وَكَانَ  
 يَعْلَمُ أَحَادِيثَهُمْ، وَيَقُولُ: مَا أَحَادِيثُ مُحَمَّدٍ إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَفِيهِ نَزَلَ فِي  
 سُورَةِ لُقْمَانَ: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ  
 بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ● وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ  
 أَيْشُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَانَ فِي أُذُنَيْهِ وَقَرَأَ فَبَشَّرَهُ بِعَذَابِ  
 أَلِيمٍ ● (٣)

(٢) سُورَةُ الْقَلَمِ (الآيَاتِ ١٠ - ١٦) .

(١) سُورَةُ الْمُذْتَرِ (الآيَاتِ ١١ - ٢٦) .

(٣) سُورَةُ لُقْمَانَ (الآيَاتِ ٦ ، ٧) .

وَمِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ عُتَيْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ ؛ أَتَى يَوْمًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : أَنَا  
 أَكْفَرُ بِ( النَّجْمِ إِذَا هَوَى ) ، وَ( بِالَّذِي دَنَا فَتَدَلَّى ) ، ثُمَّ تَسَلَّطَ عَلَيْهِ بِالْأَذَى ،  
 وَشَقَّ قَمِيصَهُ وَتَفَلَّ فِي وَجْهِهِ ، إِلَّا أَنَّ الْبُرَاقَ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ ، وَحِينَئِذٍ دَعَا عَلَيْهِ  
 النَّبِيُّ ﷺ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ ، وَقَدْ اسْتَجِيبَ دَعَاؤُهُ ﷺ  
 فَقَدْ خَرَجَ عُتَيْبَةُ مَرَّةً فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَزَلُوا فِي مَكَانٍ مِنَ الشَّامِ يُقَالُ لَهُ  
 الزَّرْقَاءَ فَطَافَ بِهِمُ الْأَسَدُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَجَعَلَ عُتَيْبَةُ يَقُولُ : يَا وَيْلَ أَخِي ، هُوَ  
 وَاللَّهِ أَكَلِي كَمَا دَعَا مُحَمَّدٌ عَلَيَّ ، فَتَلَّنِي وَهُوَ بِمَكَّةَ وَأَنَا بِالشَّامِ ، فَفَدَا عَلَيْهِ الْأَسَدُ  
 مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ وَأَخَذَ بِرَأْسِهِ وَنَهَشَهُ (١) .



(١) مِنْ ( الاسْتِهْجَاءِ ، وَالْإِسَابَةِ ، وَدَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ، وَالرُّوْضِ الْأَنْفِ ) .

## مَا لِقِيَهُ أَصْحَابُ الْحَبِيبِ .. مِنْ صُنُوفِ الْإِيذَاءِ وَالتَّعْذِيبِ

وَمَا أُودِيَ الرَّسُولُ ﷺ أُودِيَ أَصْحَابُهُ ﷺ لِاتِّبَاعِهِمْ لَهُ ، خُصُوصاً مَنْ لَيْسَ لَهُ عَشِيرَةٌ تَحْمِيهِ وَتَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّهِ عَنْهُ ، وَكُلُّ هَذَا الْأَذَى كَانَ حُلُوقاً فِي أَعْيُنِهِمْ مَا دَامَ فِي رِضَا اللَّهِ ، فَلَمْ يُفْتَنُوا عَنْ دِينِهِمْ ، بَلْ ثَبَّتَهُمُ اللَّهُ حَتَّى آتَمَّ أَمْرَهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَصَارُوا مُلُوكَ الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ فِيهَا ، كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَجَمَعْنَاهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ وَقَدْ حَقَّقَ مَا أَرَادَ .

وَلِتَذَكِّرَ الْأُمَّةَ بِرَفْعَةِ قَدْرِهِمْ وَحَتْمِيَّةِ تَوْفِيرِهِمْ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ( لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً، مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ )<sup>(١)</sup> وَمِنَ الَّذِينَ أُودُوا فِي اللَّهِ: بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ: كَانَ مَمْلُوكاً لِأُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، فَكَانَ يَجْمَلُ فِي عُنُقِهِ حَبْلاً وَيَدْفَعُهُ إِلَى الصَّبْيَانِ يَلْعَبُونَ بِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ ، أَحَدٌ .. لَمْ يَشْفَلُهُ مَا هُوَ فِيهِ عَنْ تَوْجِيدِ اللَّهِ ، وَكَانَ أُمِّيَّةُ يَخْرُجُ بِهِ فِي الرَّمْضَاءِ ( وَهِيَ الرَّمْلُ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةُ لَوْ وُضِعَتْ عَلَيْهِ قِطْعَةٌ لَحْمٍ لَنَضِجَتْ ) ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُوضَعُ عَلَى صَدْرِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، فَيَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ .

مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَوْماً ، فَقَالَ: يَا أُمِّيَّةُ أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمَسْكِينِ حَتَّى مَتَى تُعَذِّبُهُ ؟ قَالَ: أَنْتَ الَّذِي أَفْسَدْتَهُ عَلَيَّ ، فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَى ، فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ وَأَعْتَقَهُ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ( أَبِي بَكْرٍ ) وَفِي ( أُمِّيَّةَ ) فِي سُورَةِ اللَّيْلِ: ﴿ فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْظَى ● لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ● وَمَا

(٢) سُورَةُ اللَّيْلِ ( الْآيَاتُ ١٤ - ٢١ ) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ ( أَبِي سَمِيرَةَ الْغُدْرِيِّ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ● إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ● وَلَسَوْفَ يَرْضَى ●

وقَد نَبَّهَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ عَلَى أَنَّ بَدَلَ أَبِي بَكْرٍ مَالَهُ فِي شِرَاءِ بِلَالٍ وَعِنْتَهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ ، وَكَفَى بِهَذَا شَرَفًا وَفَضْلًا لِلصِّدِّيقِ رضي الله عنه .

وَلَا يَخْفَى دَلَالَةُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْأَتْقَى هُوَ الْأَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى :  
(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (١)

وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ : أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا ، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا بِلَالًا (٢) .  
وَكَانَ أَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه غَيْرَ بِلَالٍ جَمَاعَةً مِنَ الْأَرْقَاءِ أَسْلَمُوا فَعَدَّ بَهُمْ مَوَالِيَهُمْ :  
( مِنْهُمْ ) حَمَامَةُ أُمُّ بِلَالٍ ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ : كَانَ يُعَذِّبُ حَتَّى لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ  
وَأَبُو فُكَيْهَةَ : كَانَ عَبْدًا لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ .

(وَمِنْهُمْ) امْرَأَةٌ تُسَمَّى زَيْنَبَةَ (٣) عُدِّبَتْ فِي اللهِ حَتَّى عَمِيَتْ ، فَلَمْ يَزِدْهَا ذَلِكَ إِلَّا  
إِيمَانًا ، وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ يَقُولُ : أَلَا تَمَجَّبُونَ لِهَؤُلَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ وَلَوْ كَانَ مَا أَتَى بِهِ  
مُحَمَّدٌ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ، أَفَتَسْبِقُنَا زَيْنَبَةَ إِلَى رُشْدٍ . فَأَنْزَلَ اللهُ فِي سُورَةِ  
الْأَحْقَافِ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا  
إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَا سَبِقُوا لَهَذَا إِفْكٍ قَدِيمٍ ● (٤) .

( وَمِمَّنْ ) أَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بَعْدَ شِرَائِهِ أُمَّ عُبَيْسٍ : كَانَتْ أُمَّةً لِبَنِي زُهْرَةَ ، وَكَانَ  
يُعَذِّبُهَا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبِيدٍ يَفُوتُ .

( وَمِمَّنْ ) عُدِّبَ فِي اللهِ : عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَأَخُوهُ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ : كَانُوا يُعَذِّبُونَ بِالنَّارِ  
وَيُؤْخَذُونَ فِيَقَلْبُونَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، فَيَمُرُّ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه فَيَقُولُ :

(١) سُورَةُ الْعُجْرَاتِ ( مِنَ الْآيَةِ ١٢ ) .  
(٢) زَيْنَبَةُ الرَّؤْمِيَّةُ : مِنَ السَّابِقَاتِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَمِمَّنْ عُدِّبُوا فِي اللهِ عَلَى يَدِ أَبِي جَهْلٍ ، وَكَانَتْ مِنَ السَّبْمَةِ الَّذِينَ  
اشْتَرَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لِيُنَوِّدَهُمْ مِنَ التَّعْذِيبِ .  
(٣) سُورَةُ الْأَحْقَافِ ( الْآيَةُ ١١ ) .

( صَبْرًا آلِ يَاسِرٍ ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ ) (١)

وَمَاتَتْ سُمَيَّةُ أُمَّ عَمَّارٍ حَيْثُ طَعَنَهَا أَبُو جَهْلٍ بِحَرْبِيَةٍ فِي قُبُلِهَا ، فَكَانَتْ أَوَّلَ شَهِيدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ اسْتَشْهِدَ زَوْجُهَا يَاسِرٌ وَابْنَتُهُ بَعْدَهَا أَيْضًا .

وَأَمَّا عَمَّارٌ فَقَدْ ثَقُلَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ حَيْثُ جَعَلَ أَبُو جَهْلٍ لَهُ دُرُوعًا مِنَ الْحَدِيدِ فِي الْيَوْمِ الصَّائِفِ وَيُلْبِسُهَا إِيَّاهُ ، فَحَالَفَهُمْ عَلَى سَبِّ مُحَمَّدٍ وَالْقَوْلِ بِخَيْرٍ فِي اللَّائِثِ وَالْعُزَى فَتَرَكُوهُ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : كَفَرَ عَمَّارٌ ، فَقَالَ ﷺ : ( عَمَّارٌ مَلِيءٌ إِيمَانًا مِنْ فَرَقِهِ إِلَى هَدْيِهِ ) ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَأْنِهِ اسْتِثْنَاءً فِي حُكْمِ الْمُرْتَدِّ : فَقَالَ جَلٌّ ذِكْرُهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢)

وَمِمَّنْ أُوذِيَ فِي اللَّهِ : خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ : سُبِيَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاشْتَرَتْهُ أُمُّ أَمَّارٍ ، وَكَانَ حَدَادًا ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَأْتِيهِ قَبْلَ الرَّسَالَةِ ، فَلَمَّا شَرَفَهُ اللَّهُ بِهَا أَسْلَمَ خَبَّابٌ ، فَكَانَتْ مَوْلَاتُهُ تُعَذِّبُهُ بِالنَّارِ ، فَتَأْتِي بِالْحَدِيدَةِ الْمُحَمَّاةِ فَتَجْمَعُهَا عَلَى ظَهْرِهِ لِيَكْفُرَ فَلَا يَزِيدُهُ ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا ، وَجَاءَ خَبَّابٌ مَرَّةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا ؟ فَقَعَدَ ﷺ وَهُوَ مُحَمَّرٌ وَجْهَهُ ، فَقَالَ ﷺ : ( لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَيْمَشُطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ ، فَيَسْقُ بِالثَّنِينِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَلَيَتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ ) (٣)

قَالَ ذَلِكَ ﷺ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي لَا يَتَّصِرُ فِيهَا أَعْقَلُ الْعُقَلَاءِ وَأَنْبَلُ النَّبِلَاءِ قُوَّةً مُنْتَظَرَةً أَوْ سَعَادَةً مُسْتَقْبَلَةً لِلَّهِ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ وَحَى يُوحَى إِلَيْهِ .

(٢) سُورَةُ النَّحْلِ ( الْآيَةُ ١٠٦ ) .

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي ( الْمُسْتَدْرَكِ ) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنِ ( الْخَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

إِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ : قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحْسَنِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الدَّالَّةِ

عَلَى النَّاسِي مَعَ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ الْم ● أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ● وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ● ﴾ (١) ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ● ﴾ (٢) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ● ﴾ (٣) .  
فَاعْلَمَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ مَبْنَى الدِّينِ عَلَى الصَّبْرِ ، وَأَنَّ مَنْ تَجَرَّدَ لِإِظْهَارِ دِينِ اللَّهِ اسْتَقْبَلَتْهُ الْمِحْنُ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَعِرْضِهِ وَأَهْلِهِ .

وَإِنَّمَا أَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ أَوَّلًا لِتَتَوَطَّنَ نَفُوسُهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ هَذِهِ سُنَّةُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ، ثُمَّ كَانَتْ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ ، تَعَبُوا قَلِيلًا ثُمَّ اسْتَرَاخُوا طَوِيلًا ، وَبَدَّلُوا حَقِيرًا فَتَالُوا خَطِيرًا : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ● ﴾ (٤) .

وَبِالْجُمْلَةِ فَلَمْ يَخُلْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَذِيَّةٍ لِحِقَّتِهِ :

فَهَذَا عُثْمَانُ رضي الله عنه : حِينَ أَسْلَمَ كَانَ كَبِيرَ السِّنِّ وَصَاحِبَ الْجَاهِ وَالْعِزَّةِ ، فَلَمْ يُؤْذِهِ الْآخَرُونَ ؛ بَلْ رَبَطَهُ عُمُهُ بِنَفْسِهِ بِحَبْلِ وَضَرَبَهُ .

وَهَذَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ فَتَى قُرَيْشِ الْمُدَلَّلِ ؛ مَنْعَتْ عَنْهُ أُمُّهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَأَخْرَجَتْهُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى صَارَ مَنْ يَرَاهُ لَا يَعْرِفُهُ مِنْ تَغْيِيرِ مَلَامِحِهِ وَفُقْدَانِ رَوْنِقِهِ وَنِضَارَتِهِ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( الْآيَةُ ٢١٤ ) .

(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( الْآيَةُ ١٥٧ ) .

(١) سُورَةُ التَّكْوِيْنِ ( الْآيَاتِ ١ - ٢ ) .

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( الْآيَةُ ١٨٦ ) .

وَهَذَا صُهِيبُ الرَّومِيِّ يُضْرَبُ حَتَّى يَفْقِدَ وَعْيَهُ وَلَا يَدْرِي مَا يَقُولُ .

وَلَكِنَّ هَذَا الظُّلْمَ الكَبِيرَ وَهَذَا التَّعْذِيبَ القَاسِيَّ ، وَهَذِهِ الضَّرَاوَةَ وَالوَحْشِيَّةَ لَمْ تُزَلِّزْ أَى مُسْلِمٍ عَنِ الطَّرِيقِ الحَقِّ ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُسَلِّمُوا لِغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ يَرْجُونَ حُصُولَهُ فَيَسْهُلُ إِرْجَاعُهُمْ ، وَلَكِنَّ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِإِدْرَاكِ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ فَرَأَوْا كُلَّ شَيْءٍ دُونَهُ سَهْلًا .

العِظَةُ وَالاعْتِبَارُ وَالتَّأْسِي بِالسَّابِقِينَ الأَخْيَارِ :

أَوَّلُ مَا قَدْ يَخْطُرُ فِي بَالِ المُتَأَمِّلِ ، حِينَمَا يَرَى قِصَّةَ مَا لَقِيَهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مِنْ صُنُوفِ الإِيذَاءِ وَالتَّعْذِيبِ عَلَى أَيِّدِي المُشْرِكِينَ ، أَنْ يَتَسَاءَلَ : فِيمَ هَذَا العَذَابِ الَّذِي لَقِيَهِ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ وَهُمْ عَلَى الحَقِّ ؟ وَلِمَاذَا لَمْ يَعْصِمُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَهُمْ جُنُودُهُ وَفِيهِمْ رَسُولُهُ يَدْعُونَ إِلَى دِينِهِ وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِهِ ؟

وَالجَوَابُ : أَنَّ أَوَّلَ صِفَةِ لِلإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ مُكَلَّفٌ ؛ أَي أَنَّهُ مُطَالَبٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِحَمَلِ مَا فِيهِ كَلْفَةٌ وَمَسْئَلَةٌ .. وَأَمْرُ الدَّعْوَةِ إِلَى الإِسْلَامِ وَالجِهَادِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ مِنْ أَمَمٍ مُتَمَلِّقَاتِ التَّكْلِيفِ ، وَالتَّكْلِيفُ مِنْ أَمَمٍ مُسْتَلْزَمَاتِ العُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى ، إِذْ لَا مَعْنَى لِلعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى إِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ تَكْلِيفٍ .. وَعُبُودِيَّةُ الإِنْسَانِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ضَرُورَةٌ مِنْ ضَرُورَاتِ أُلُوهِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ فَلَا مَعْنَى لِلإِيمَانِ بِهَا إِنْ لَمْ نُدْرِكْ عُبُودِيَّتَنَا لَهُ .

إِذَنْ .. فَهَقْدِ اسْتَلْزَمَتِ العُبُودِيَّةُ التَّكْلِيفَ ، وَاسْتَلْزَمَ التَّكْلِيفُ تَحْمَلَ المَشَاقِّ وَمُجَاهَدَةَ النَّفْسِ وَالأَهْوَاءِ .

وَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ وَاجِبُ عِبَادِ اللهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا تَحْقِيقَ أَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ :

أَوَّلُهُمَا : التَّمَسُّكُ بِالإِسْلَامِ وَإِقَامَةُ المُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ الصَّحِيحِ .

ثَانِيَهُمَا : سُلُوكُ السَّبِيلِ الشَّاقَّةِ إِلَيْهِ وَافْتِحَاكُمُ المَخَاطِرِ وَبَدَلُ المَهْجِ وَالمَالِ مِنْ

أَجَلٍ تَحْقِيقِ ذَلِكَ .

أَي: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّفَنَا بِالْإِيمَانِ بِالْغَايَةِ ، وَكَلَّفَنَا إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ بِسُلُوكِ  
الْوَسِيلَةِ الشَّاقَّةِ الطَّوِيلَةِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ مَهْمَا بَلَغَتِ الْمَسْأَلَةُ فِي خُطُورَتِهَا  
وَصُعُوبَتِهَا .

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَ السَّبِيلَ إِلَى إِقَامَةِ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِهِ ، سَهْلًا  
مُعَبَّدًا . وَلَكِنَّ السَّيْرَ فِي هَذِهِ السَّبِيلِ لَا يَدُلُّ حِينَئِذٍ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عُبُودِيَةِ السَّالِكِ  
لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَى أَنَّهُ قَدْ بَاعَ حَيَاتَهُ وَمَالَهُ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ أَعْلَنَ الْإِيمَانَ بِهِ ،  
وَعَلَى أَنْ جَمِيعَ أَهْوَائِهِ تَابِعَةٌ وَمُنْقَادَةٌ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ ، وَلَا مُمْكِنَ حِينَئِذٍ  
أَنْ يَلْتَقِيَ عَلَى هَذِهِ الْجَادَّةِ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ وَالصَّادِقُ وَالْكَاذِبُ ، فَلَا يَتَمَحَّصُ  
الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَنِ الْآخَرِ .

وَإِذَنْ : فَإِنَّ مَا يُلَاقِيهِ الدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ إِقَامَةِ  
الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ سُنَّةً إِلَهِيَّةً فِي الْكُونِ مُنْذُ فَجَّرَ التَّارِيخَ تَقْتَضِيهَا حُكْمَ ثَلَاثٍ :  
أَوَّلًا : صِفَةَ الْعُبُودِيَّةِ الْمُلَازِمَةِ لِلْإِنْسَانِ ، لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَصَدَقَ اللَّهُ إِذْ يَقُولُ :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١)

ثَانِيًا : صِفَةَ التَّكْلِيفِ الْمُتَفَرِّعَةِ عَنْ صِفَةِ الْعُبُودِيَّةِ ، فَمَا مِنْ إِنْسَانٍ ( رَجُلٍ أَوْ  
امْرَأَةٍ ) يَبْلُغُ أَحَدَهُمَا ، عَاقِلًا ، سِنَّ الرُّشْدِ ، إِلَّا وَهُوَ مُكَلَّفٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ بِتَحْقِيقِ شَرْعَةِ الْإِسْلَامِ فِي نَفْسِهِ وَتَحْقِيقِ النُّظَامِ الْإِسْلَامِيِّ فِي مُجْتَمَعِهِ ،  
عَلَى أَنْ يَتَحَمَّلَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الشَّدَّةِ وَالْأَذَى ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ مَعْنَى  
التَّكْلِيفِ .

ثَالِثًا : إِظْهَارُ صِدْقِ الصَّادِقِينَ وَكُذْبِ الْكَاذِبِينَ ؛ فَلَوْ تَرِكَ النَّاسُ لِدَعْوَى الْإِسْلَامِ  
وَمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ فَقَطْ ، لَأَسْتَوَى الصَّادِقُ وَالْكَاذِبُ ، وَلَكِنَّ الْفِتْنَةَ  
وَالْإِبْتِلَاءَ ، هُمَا الْمِيزَانُ الَّذِي يُعَيِّرُ الصَّادِقَ عَنِ الْكَاذِبِ ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْقَائِلُ فِي



مُحَكَّمِ كِتَابِهِ: ﴿الْم﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ (١)

وَالْقَائِلُ: ﴿أَمْرٌ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿٢﴾ (٢)

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ ، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا حَتَّى مَعَ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أُوْذِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأُوذِيَ مِنْ قَبْلِهِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أُوْذِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى مَاتَ مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ تَحْتَ الْعَذَابِ ، وَعَمِيَ مَنْ عَمِيَ ، رَغَمَ عَظِيمٍ فَضْلِهِمْ وَجَلِيلٍ قَدْرِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَإِذَا أَدْرَكْنَا طَبِيعَةَ الْعَذَابِ الَّذِي يَلْقَاهُ الْمُسْلِمُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي حَقِيقَتِهِ عَقَابَاتٍ أَوْ سُودَاتٍ تَصُدُّ السَّالِكَ أَوْ الْمُجَاهِدَ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ ، كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُ بَعْضُ النَّاسِ .. بَلْ هُوَ سُلُوكٌ فِي الطَّرِيقِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي خَطَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْغَايَةِ الَّتِي أَمَرَهُ بِالسَّيْرِ إِلَيْهَا .. أَيَّ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَقْرُبُونَ مِنَ الْغَايَةِ الَّتِي كَلَّفَهُمُ اللَّهُ بِالْوُضُوءِ إِلَيْهَا ، بِمِقْدَارِ مَا يَجِدُونَهُ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْعَذَابِ ، وَبِمِقْدَارِ مَا يَتَسَاقَطُ مِنْهُمْ مِنَ الشُّهَدَاءِ .

وَلِذَا ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَوَهَّمَ الْيَأْسَ ، إِذَا مَا عَانَى شَيْئًا مِنَ الْمَشَقَّةِ أَوْ الْمِحْنَةِ . بَلِ الْعَكْسُ هُوَ الْأَمْرُ الْمُنْسَجِمُ مَعَ هَذَا الدِّينِ : أَيُّ إِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْتَبَشِرُوا بِالنَّصْرِ كُلَّمَا رَأَوْا أَنَّهُمْ يَتَحَمَّلُونَ مَزِيدًا مِنَ الضَّرِّ وَالنَّكَبَاتِ إِلَى تَحْقِيقِ أَمْرِ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ .

## إِسْلَامُ حَمَزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

وَكَانَ بَعْضُ إِيْدَاءِ الْمُشْرِكِينَ هَذَا سَبِيًّا لِإِسْلَامِ حَمَزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ( عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ) ، فَقَدْ أَدْرَكَتُهُ الْحَمِيَّةُ عِنْدَمَا عَيَّرْتُهُ بَعْضُ الْجَوَارِي بِإِيْدَاءِ أَبِي جَهْلٍ لِابْنِ أَخِيهِ ، فَتَوَجَّهَ إِلَى ذَلِكَ الشَّقِيِّ وَغَاضَبَهُ وَسَبَّهُ ، وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسُبُّ مُحَمَّدًا وَأَنَا عَلَى دِينِهِ ؟ ثُمَّ نَزَعَ قَوْسَهُ فَضْرَبَ أَبَا جَهْلٍ ضَرْبَةً شَجَّهَ مِنْهَا شَجَّةً مُنْكَرَةً وَقَامَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ إِلَى حَمَزَةَ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ مِنْهُ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ .. فَإِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا ؛ ثُمَّ أَنْارَ اللَّهُ بِصِيرَةِ حَمَزَةَ ﷺ بِنُورِ الْيَقِينِ حَتَّى صَارَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ إِسْلَامًا وَأَشَدَّهُمْ غَيْرَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَقْوَاهُمْ شَكِيمَةً عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ ، حَتَّى سُمِّيَ أَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدَ رَسُولِهِ .

اضْطِرَارُ قُرَيْشٍ لِلْمُتَاوَرَاتِ وَالْمُفَاوِضَاتِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

وَلَمَّا رَأَى كُفَارَ قُرَيْشٍ أَنَّ ذَلِكَ الْأَذَى لَمْ يُجِدِهِمْ نَفْعًا ، بَلْ كَلَّمَا زَادُوا الْمُسْلِمِينَ أَذَى اِزْدَادَ يَقِينُهُمْ ، اجْتَمَعُوا لِلشُّورَى فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ( وَكَانَ سَيِّدًا مُطَاعًا فِي قَوْمِهِ ) : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلَا أَقُومُ لِمُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمُهُ وَأَعْرِضُ عَلَيْهِ أُمُورًا عَلَيْهِ يَقْبَلُ بَعْضُهَا فَتُعْطِيهِ إِيَّاهُ وَيُكْفِّ عَنَّا ؟ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْوَلِيدِ فَقُمْ إِلَيْهِ فَكَلِّمُهُ ، فَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدِ عَلِمْتَ ، مِنْ خِيَارِنَا حَسَبًا وَنَسَبًا ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرَفَقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ ، وَسَفَّهْتَ أَحْلَامَهُمْ ، وَعَبَيْتَ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ ، وَكَفَّرْتَ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضُهَا ، فَقَالَ ﷺ : ( قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ ) ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرْنَا مَالًا ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكًا مَلَكَانَا عَلَيْنَا ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ شَرَفًا

سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَبِّيًّا <sup>(١)</sup> مِنْ  
الْجِنِّ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ وَبَدَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِتَكَ  
مِنْهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوِيَ ، فَقَالَ ﷺ : لَقَدْ فَرَعْتَ يَا  
أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ ﷺ : فَاسْمَعْ مِنِّي ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَ سُورَةِ  
فُصِّلَتْ : ﴿ حَمِّمْ • تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ فَرَأَانَا  
عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ •  
وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ  
حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَمَلُونا • قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ  
إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ • وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ • الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ  
الرِّكَوَةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ • إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ • قُلْ أَبَيْتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ  
وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَأْنَادًا • ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ • وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَدَرَكَ  
فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ • ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ  
وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ •  
فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءِ  
الْدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا • ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ • فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ  
أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ • إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ  
أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً  
فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ • <sup>(٢)</sup>

فَأَمْسَكَ عُتْبَةَ بِفِيهِ وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكْفَ عَنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَجَعَ عُتْبَةُ سَأَلُوهُ ،  
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالسَّعْرِ وَلَا بِالْكَهَانَةِ

(١) الرَّبِّيُّ : التَّابِعُ مِنَ الْجِنِّ يُعْرَضُ لِلْإِنْسَانِ وَيُظَلِّمُهُ عَلَى مَا يَزْعُمُ مِنَ الْغَيْبِ .

(٢) سُورَةُ فُصِّلَتْ ( الْآيَاتُ ١ - ١٤ ) .

وَلَا بِالسَّحْرِ .. يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَطِيعُونِي فَاجْمَعُوا لِي ، خَلُّوا بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتَرِلُوهُ ، فَوَ اللَّهُ لَيَكُونَنَّ لِكَلَامِهِ الَّذِي سَمِعْتُمْ نَبَأًا ، فَإِنْ تُصِبَهُ الْعَرَبُ (١) فَقَدْ كُفَيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ ، وَإِنْ يَظْهَرَ عَلَى الْعَرَبِ فِعْزُهُ عِزُّكُمْ ، فَقَالُوا : لَقَدْ سَحَرَكَ مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ : هَذَا رَأْيِي .

ثُمَّ عَرَضُوا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُشَارِكَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ وَيُشَارِكُوهُ فِي عِبَادَتِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْكُفْرُ وَالشِّرْكُ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ● وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ● وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ ● وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ● لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ● ﴾ (٢) ، فَلَا تَتَوَهَّمُوا أَنِّي أُجِيبُكُمْ لِطَلْبِكُمْ مِنَ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ ، فَأَيْسُوا مِنْهُ ، وَطَلَبُوا أَنْ يَنْزَعَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يَغِيظُهُمْ مِنْ ذَمِّ الْأَوْثَانِ وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ : فَيَأْتِي بِقُرْآنٍ غَيْرِهِ أَوْ يُبَدِّلُهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَوَابًا لَهُمْ فِي سُورَةِ يُنُوسَ : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ (٣)

وَقَدْ حَصَلَ لَهُ ﷺ مَعَ كَثَارِ قُرَيْشٍ نَادِرَةٌ تَكُونُ لِمَنْ اسْتَهَانَ بِالضَّعِيفِ كَمُصْبِحِ سَيْتَضِيءٍ بِهِ ، وَهُوَ أَنَّهُ بَيْنَمَا الرَّسُولُ ﷺ مَعَ كِبَرَاءِ قُرَيْشٍ وَأَشْرَافِهِمْ يَتَأَلَّفُهُمْ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الدِّينِ : إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ أَعْمَى وَهُوَ مِمَّنْ أَسْلَمُوا قَدِيمًا ، وَالنَّبِيُّ مُسْتَفِئِلٌ بِالْقَوْمِ ، وَلَقَدْ لَقِيَ ﷺ مِنْهُمْ مُؤَانَسَةً حَتَّى طَمَعَ فِي إِسْلَامِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ ، وَأَكْثَرَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّسُولِ وَكَرِهَ قَطْعَهُ لِكَلَامِهِ وَخَافَ ﷺ أَنْ يَكُونَ النِّفَاتَهُ لِذَلِكَ الْمَسْكِينِ يُنْفِرُ عَنْهُ قَلْبٌ أَوْلَيْكَ الْأَشْرَافِ فَاعْرَضَ عَنْهُ ، فَعَاتَبَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ أَوَّلَ سُورَةِ عَبَسَ :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ● أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ● وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ● أَوْ يَذَّكَّرُ

(٢) سُورَةُ الْكَافِرُونَ .

(١) تُصِبُهُ الْعَرَبُ : تَنَالُ مِنْهُ وَتَقْتُلُهُ .

(٣) سُورَةُ يُنُوسَ ( مِنْ الْآيَةِ ١٥ ) .

فَتَنَفَعَهُ الذِّكْرَى ● أَمَا مِنْ أَسْتَعْنَى ● فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ● وَمَا عَلَيْكَ  
 أَلَّا يَزَّكَّى ● وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ● وَهُوَ يَخْشَى ● فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١)  
 فَكَانَ ﷺ بَعْدَهَا إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، يَقُولُ لَهُ : ( مَرْحَبًا بِمَنْ  
 عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي ) .

وَكَأَنَّمَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُصْبِحَ إِعْرَاضُ النَّبِيِّ عَنْهُ إِقْبَالًا عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَغْدُوَ عُبُوسُ  
 النَّبِيِّ فِي وَجْهِهِ بِشَاشَةٍ لَهُ وَارْتِيحًا لِلِقَائِهِ . وَإِذَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ مُؤَدِّنٌ  
 لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِذَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ ، لَمْ  
 يَسْتَخْلِفْهُ النَّبِيُّ ﷺ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، وَإِنَّمَا اسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهَا فِي غَزَوَاتِهِ ثَلَاثَ  
 عَشْرَةَ مَرَّةً ، وَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ إِلَى حِجَّةِ الْوُدَاعِ فَلَا يَسْتَخْلِفُ عَلَى الْمَدِينَةِ  
 إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ .

وَكَانَ حَقًّا قَوْلُ الْمُصْطَفَى ﷺ : ( أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي ) .

وَلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ أَنَّ هَذِهِ الْمَطَالِبَ الَّتِي يَعْرِضُونَهَا لَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ أَرَادُوا أَنْ  
 يَدْخُلُوا فِي بَابِ آخَرَ ، وَهُوَ تَعْجِيزُ الرَّسُولِ بِطَلْبِ الْآيَاتِ ، فَاجْتَمَعُوا وَقَالُوا : يَا  
 مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَرِنَا آيَةً نَطْلُبُهَا مِنْكَ وَهِيَ أَنْ تَشُقَّ لَنَا الْقَمَرَ فِرْقَتَيْنِ ،  
 فَأَعْطَاهُ اللَّهُ هَذِهِ الْمُعْجِزَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ فِرْقَتَيْنِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اشْهَدُوا .  
 وَهَذِهِ الْقِصَّةُ رَوَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَهُوَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأُولِينَ ، رُوِيَ عَنْهُ مِنْ  
 طُرُقٍ كَثِيرَةٍ ، وَرَوَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي  
 قَوْلِهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْقَمَرِ : ﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ ﴾ (٢) ،  
 فَحِينَئِذَا رَأَى الْمُعَانِدُونَ هَذِهِ الْآيَةَ الْكُبْرَى قَالَ بَعْضُهُمْ : لَقَدْ سَحَرَكُمُ ابْنُ أَبِي  
 كَبْشَةَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ (٣)  
 ثُمَّ سَأَلُوا بَعْدَ ذَلِكَ آيَاتٍ لَا يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا التَّعْنُتَ وَالْعِنَادَ ، فَمِنْهَا أَنْ قَالُوا

(٢) سُورَةُ الْقَمَرِ (الآيَةُ ١) .

(١) سُورَةُ عَمِينَ (الآيَاتُ ١ - ١٠) .

(٣) سُورَةُ الْقَمَرِ (الآيَةُ ٢) .

كَمَا فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۚ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ خَيْلٍ وَعِجْبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۚ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كَيْسَفًا أَوْ تَأْتِي بَالِ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۚ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾ (١)

وَلَمْ يُجِبْهُمُ اللَّهُ إِلَّا بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٢) لَٰنَّ اللَّهَ عَلِمَ مَا تَكْتُمُهُ جَوَانِحُهُمْ مِنَ التَّعَصُّبِ وَالْعِنَادِ ، فَلَا يُؤْمِنُونَ مَهْمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣) ، وَكَيْفَ يُرْجَى الْخَيْرُ مِمَّنْ قَالُوا كَمَا فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ :

﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بَعْدَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٤) ، وَلَمْ يَقُولُوا إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَاهْدِنَا إِلَيْهِ ، وَهَذِهِ سُنَّةٌ مِّنْ سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا رَأَوْا مِنْ طُلَّابِ الْآيَاتِ عِنَادًا وَأَنْتَهُمْ يَطْلُبُونَهَا تَعْجِيزًا لَا يَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْفَادَ هَذِهِ الْآيَاتِ كَيْلًا يَحِلَّ بِقَوْمِهِمُ الْهَلَاكُ كَمَا حَصَلَ لِعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ :

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ (٥) هَذَا وَلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ ضَعْفَهُمْ عَنْ مُقَاوَمَةِ الْمُسْلِمِينَ بِالْبُرْهَانِ تَحَوَّلُوا إِلَىٰ سِيَاسَةِ الْقُوَّةِ الَّتِي اخْتَارَهَا قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا عَجَزُوا عَنْهُ حَيْثُ قَالُوا :

﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُم﴾ (٦) أَمَّا هَؤُلَاءِ فَازْدَادُوا بِالْأَذَىٰ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ أَسْلَمَ رَجَاءَ صَدِّهِمْ عَنِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ وَلَمْ يَتْرَكُوا بَابًا إِلَّا وَلَجُوهُ .

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ( مِنْ الْآيَةِ ٩٢ ) .

(٤) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢٢ ) .

(٦) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ( مِنْ الْآيَةِ ٦٨ ) .

(١) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ( مِنْ الْآيَاتِ ٩٠ - ٩٣ ) .

(٣) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٠٩ ) .

(٥) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ( مِنْ الْآيَةِ ٥٩ ) .

وَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَمَا كَانَ يَنَالُهُمْ مِنَ  
التَّعْذِيبِ وَالْإِهَانَةِ ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَ عَنْهُمْ مَا يُصِيبُهُمْ ، فَقَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ  
تَقَرُّوْا فِي الْأَرْضِ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْمَعُكُمْ ، فَسَأَلُوا عَنِ الْوَجْهِ ، فَأَشَارَ إِلَى الْحَبْشَةِ  
فَإِنَّ بِهَا مَلَكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ وَهِيَ أَرْضٌ صِدْقٍ .

فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ فِرَارًا  
إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ ، فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ .

إِسْلَامُ النَّجَاشِيِّ ( مَلِكِ الْحَبْشَةِ ) :

وَقَدْ أَسْلَمَ النَّجَاشِيُّ ، وَصَدَّقَ بِنُبُوَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَخْفَى إِيمَانَهُ عَنِ  
قَوْمِهِ ؛ لِمَا عَلِمَهُ فِيهِمْ مِنَ الثَّبَاتِ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَالْجُمُودِ عَلَى الْعَقَائِدِ الْمُرُوثَةِ  
وَإِنْ صَادَمَتِ الْعُقُلَ وَالنُّقُلَ .

وَقَدْ رُوِيَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى  
النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى ، فَصَفَّ بِهِمْ ، وَكَبَّرَ  
أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ ) .

وَقَدْ رُوِيَ أَيْضًا أَنَّ اسْمَهُ ( أَصْحَمَةَ ) ؛ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ : ( مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، فَقُومُوا  
فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ ) .

جَوَازُ الصَّلَاةِ عَلَى الْغَائِبِ :

وَقَدْ اسْتُدِلَّ بِمَا صَحَّ مِنْ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ عَلَى النَّجَاشِيِّ عَلَى جَوَازِ  
الصَّلَاةِ عَلَى الْغَائِبِ ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ سَلَفًا وَخَلْفًا ، وَصَارَ شَرْعًا  
مُتَّبَعًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .



## الهِجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الْحَبَشَةِ

فَعِنْدَ ذَلِكَ تَجَهَّزَ نَاسٌ لِلخُرُوجِ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِرَاراً بِدِينِهِمْ كَمَا أَشَارَ ﷺ  
 وَفِي رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ مِنْ بَعَثْتِهِ ﷺ كَانَتْ أَوَّلُ هِجْرَةٍ مِنْ مَكَّةَ ، وَعِدَّةُ أَصْحَابِهَا  
 عَشْرَةُ رِجَالٍ وَخَمْسُ نِسْوَةٍ ، وَهُمْ : عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَزَوْجُهُ رُقَيْيَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ  
 ﷺ ( وَكَانُوا فِي مُقَدِّمَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَفِيهِمَا قَالَ ﷺ : إِنَّ عُثْمَانَ لِأَوَّلُ مَنْ  
 هَاجَرَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ لُوطٍ ) ، وَأَبُو سَلَمَةَ وَزَوْجُهُ أُمُّ سَلَمَةَ ، وَأَخُوهُ لَأْمَةُ أَبُو سَبْرَةَ بِنْتُ  
 أَبِي رَهْمٍ وَزَوْجُهُ أُمُّ كُلثُومٍ ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ وَزَوْجُهُ لَيْلَى ، وَأَبُو حُدَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ  
 بِنِ رَبِيعَةَ وَزَوْجُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ  
 وَمُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَسُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَجُلْهُمُ مِنْ قُرَيْشٍ  
 وَكَانَ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ، فَسَارُوا عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ تَسْلُلًا فِي ظُلْمَةِ  
 اللَّيْلِ ( حَتَّى لَا تَقْطِنُ إِلَيْهِمْ قُرَيْشٌ ) ، خَرَجُوا إِلَى الْبَحْرِ ، وَيَمَّمُوا مِينَاءَ شُعَيْبَةَ  
 وَقِيَصَتْ لَهُمُ الْأَقْدَارُ سَفِينَتَيْنِ تِجَارِيَتَيْنِ أَبْحَرْتَا بِهِمْ جِهَةَ الْحَبَشَةِ ، وَفِطْنَتْ لَهُمُ  
 قُرَيْشٌ ، فَخَرَجَتْ فِي آثَارِهِمْ ، لَكِنْ لَمَّا بَلَغَتْ إِلَى الشَّاطِئِ كَانُوا قَدْ انْطَلَقُوا  
 آمِنِينَ ، وَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْحَبَشَةِ فِي أَحْسَنِ جِوَارٍ .

إِسْلَامُ عُمَرَ :

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَسْلَمَ الشَّهْمُ الْهُمَامُ الْمُلْهُمُ لِلصَّوَابِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيُّ  
 الْقُرَيْشِيُّ بَعْدَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ كَرَاهِيَةِ الْمُسْلِمِينَ وَشِدَّةِ آذَاهُمْ ، وَقَالَتْ لَيْلَى (١)  
 ( إِحْدَى الْمُهَاجِرَاتِ لِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَعَ زَوْجِهَا ) : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ  
 أَشَدِّ النَّاسِ عَلَيْنَا فِي إِسْلَامِنَا ، فَلَمَّا رَكِبْتُ بَعِيرِي أُرِيدُ أَنْ أَتَوَجَّهَ إِلَى أَرْضِ  
 الْحَبَشَةِ إِذَا أَنَا بِهِ ، فَقَالَ لِي : إِلَى أَيِّنَا يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ ؟ فَقُلْتُ : قَدْ آذَيْتُمُونَا فِي  
 دِينِنَا نَذْهَبُ فِي أَرْضِ اللَّهِ حَيْثُ لَا نُؤْذَى ، فَقَالَ : صَحِبْكُمْ اللَّهُ ، فَلَمَّا جَاءَ

(١) لَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَنِيْمَةَ بِنْتُ حُدَيْفَةَ بْنِ غَانِمِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوَيْجٍ . أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ . أُسْلِمَتْ قَدِيمًا وَهَاجَرَتْ الْهَجْرَتَيْنِ  
 مَعَ زَوْجِهَا عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَنْزِيِّ إِلَى الْحَبَشَةِ . وَكَانَتْ أَوَّلَ ظَلَمِيَّةٍ دَخَلَتْ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ .



(١) زَوْجِي عَامِرٌ أَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ مِنْ رِقَّةِ عُمَرَ، فَقَالَ: تَرْجِينِ أَنْ يُسْلِمَ؟ وَاللَّهِ لَا يُسْلِمُ حَتَّى يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطَّابِ؟ وَذَلِكَ لِمَا كَانَ يَرَاهُ مِنْ قَسَوْتِهِ وَشِدَّتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنْ حَصَلَتْ لَهُ بَرَكَةٌ دَعَاةَ الْمُصْطَفَى ﷺ، فَإِنَّهُ قَالَ قُبِيلَ إِسْلَامِهِ اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ.

وكان إسلامه ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم التي كان المسلمون يجتمعون فيها، وقد حقق الله بإسلامه ما رجاه النبي ﷺ؛ فقد قال عبد الله بن مسعود فيما أخرجه البخاري: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر)، فإنه طلب من رسول الله ﷺ أن يعلن صلاته في المسجد ففعل؛ وقد أدرك الكفار كآبة شديدة حينما رأوا عمر أسلم.

روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سألت عمر بن الخطاب، لأي شيء سميت الفاروق؟ قال: أسلم حمزة قبلي، ثم قص عليه قصة إسلامه وقال في آخره، قلت (أي حين أسلمت): يا رسول الله! ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى! والذي نفسي بيده، إنكم على الحق إن متتم وإن حييتم، قال قلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فخرجنا في صفين؛ حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد، قال: فنظرت إلى قريش وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فسماني رسول الله ﷺ (الفاروق) يومئذ (٢).

عودة مهاجري الحبشة .. وحديث الغرانيق المفترى:

وفي رمضان من نفس السنة خرج النبي ﷺ ومعه المسلمون وعلى رأسهم حمزة وعمر إلى الحرم .. فقام فيهم ﷺ وأخذ يتلو من سورة النجم خواتيمها

(١) عامر بن ربيعة المزني، أبو عبد الله، خليف الخطاب والإمام عمر، كان أحد السابقين إلى الإسلام، هاجر وامرأته إلى الحبشة ثم إلى المدينة، شهد بدرًا وسائر المشاهد وتوفي سنة خمس وثلاثين بعد دعائه أن يحببه الله الفتنة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه بأيام.

(٢) تاريخ عمر بن الخطاب، لـ (ابن الجوزي).

وما فيها من قوارع تطير لها القلوب ثم قرأ: ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ (١)

ثُمَّ سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَجَدَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَشْهَدٍ مُهَيْبٍ .

بَلَغَ هَذَا الْخَبْرُ إِلَى مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ ، وَلَكِنْ فِي سُورَةِ تَخْتَلِفُ تَمَاماً عَنْ صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ . بَلَّغَهُمْ أَنَّ قُرَيْشاً أَسْلَمَتْ ، فَارْجَعُوا إِلَى مَكَّةَ فَلَمَّا كَانُوا دُونَ مَكَّةَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَعَرَفُوا جَلِيَّةَ الْأَمْرِ ، رَجَعَ مِنْهُمْ مَنْ رَجَعَ إِلَى الْحَبَشَةِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي مَكَّةَ مِنْ سَائِرِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا مُسْتَخْفِياً أَوْ فِي جِوَارِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ .

وَقَدْ أُولِعَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ بِحِكَايَةِ يَجْمَلُونَهَا سَبَباً فِي رُجُوعِ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ ، وَهِيَ أَنَّهُ بَلَّغَهُمْ إِسْلَامَ قَوْمِهِمْ حِينَمَا قَرَأَ عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ سُورَةَ النَّجْمِ وَتَكَلَّمَ فِيهَا كَلَاماً حَسَناً عَنْ آلِهِتِهِمْ حَيْثُ قَالَ بَعْدَ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّكْتَ وَالْعُرْيَى ● وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ● ﴾ (٢) تِلْكَ الْفَرَائِيقُ (٣) الْعُلَى وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى ، فَسَجَدُوا إِعْظَاماً لِذَلِكَ وَفَرَحاً .

وَهَذَا مِمَّا لَا تَجُوزُ رِوَايَتُهُ إِلَّا مِنْ قَلِيلِي الْإِذْرَاكِ الَّذِينَ يَنْقُلُونَ كُلَّ مَا وَجَدُوهُ غَيْرَ مُتَشَبِّهِينَ مِنْ صِحَّتِهِ ، وَهِيَ نَحْنُ أَوْلَاءِ نَسُوقِ لَكَ أَدَلَّةَ النَّقْلِ وَالْعَقْلِ عَلَى بَطْلَانِ مَا ذَكَرَ :

أَمَّا الْحَدِيثُ فَسَنَدُهُ وَمَتْنُهُ قَلِقَانٍ ، فَالْسَّنَدُ قَالَ فِيهِ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشُّفَاءِ : لَمْ يُخَرِّجْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصَّحَّةِ وَلَا رِوَاةً ثِقَةً بِسَنَدٍ سَلِيمٍ ، وَأَمَّا الْمَتْنُ فَلَيْسَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا الْمُشْرِكُونَ مَجَانِبِينَ حَتَّى يَسْمَعُوا مَدْحاً أَثْنَاءَ ذَمِّهِ وَيَجُوزُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَبَعْدَ ذِكْرِ الْأَصْنَامِ قَالَ: ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ (٤) ، فَالْكَلَامُ غَيْرُ مُنْتَظَمٍ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ قَدْ حَصَلَ لِاتِّخَاذِهِ الْكُفَّارُ عَلَيْهِ حُجَّةً يُحَاجُّونَهُ بِهَا وَقَتَ الْخِصَامِ ، وَهُمْ مَنْ نَعَرِفُهُمْ مِنَ الْعِنَادِ فِيمَا لَيْسَ فِيهِ أَدْنَى حُجَّةٍ فَكَيْفَ بِهِذِهِ ؟ وَلَيْسَ ذَلِكَ الْقِيلُ أَقَلٌّ مِنْ

(٢) سُورَةُ النَّجْمِ ( الْآيَاتَانِ ١٩ ، ٢٠ ) .

(١) سُورَةُ النَّجْمِ ( الْآيَةُ ٦٢ ) .

(٤) سُورَةُ النَّجْمِ ( مِنَ الْآيَةِ ٢٣ ) .

(٣) الْفَرَائِيقُ : جَمْعُ غُرْتُوقٍ . وَهِيَ الطُّيُورُ وَيُرَادُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ .

تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ وَهَذَا قَالُوا فِيهِ مَا قَالُوا ، حَتَّى سَمَّاهُمْ اللَّهُ سُفَهَاءً  
وَأَنْزَلَ فِيهِمْ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن  
قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ (١) وَلَكِنْ لَمْ يُسْمَعْ عَن أَيِّ وَاحِدٍ مِّن رِّجَالِهِمْ  
وَالْمُتَصَدِّقِينَ لِلْعِنَادِ مِنْهُمْ أَنَّ قَالَ مَالِكٌ ذَمَّمْتَ آلِهَتَنَا بَعْدَ أَنْ مَدَحْتَهَا ؟ وَكَانَ  
ذَلِكَ أَوْلَى لَهُمْ مِّن تَجْرِيدِ السُّيُوفِ وَبَدَلِ مُهَجِ الرِّجَالِ !!

عَلَى أَنَّ الْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ يَنْقُلُونَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ وَيَجْعَلُونَهَا سَبَبًا لِرُجُوعِ مُهَاجِرِي  
الْحَبَشَةِ يَقُولُونَ أَتَاءَ كَلَامِهِمْ : إِنَّ الْهَجْرَةَ كَانَتْ فِي شَهْرِ ( رَجَب ) وَالرُّجُوعَ فِي  
شَهْرِ ( شَوَّال ) وَنُزُولَ سُورَةِ النَّجْمِ كَانَ فِي ( رَمَضَانَ ) ، فَالْمُدَّةُ بَيْنَ نُزُولِ  
السُّورَةِ وَرُجُوعِ الْمُهَاجِرِينَ شَهْرٌ وَاحِدٌ ، وَالْمُتَأَمِّلُ أَدْنَى تَأَمَّلٍ يَرَى أَنَّ الشَّهْرَ كَانَ  
لَا يَكْفِي فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ لِلذَّهَابِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْحَبَشَةِ وَالْإِيَابِ مِنْهَا : لِأَنَّهُ لَمْ  
يَكُنْ إِذْ ذَاكَ مَرَاكِبٌ بُخَارِيَّةٌ تُسَهِّلُ السَّيْرَ فِي الْبَحْرِ ، وَلَا تَلْتَفِرَافٌ يُوَصِّلُ خَبَرَ  
إِسْلَامِ قُرَيْشٍ لِمَنْ بِالْحَبَشَةِ ؛ فَلَا غَرَابَةَ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ قُلْنَا إِنَّ هَذِهِ الْخُرَافَةَ مِنْ  
مَوْضُوعَاتِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ الَّذِينَ ابْتَلَى اللَّهُ بِهِمْ هَذَا الدِّينَ . وَلَكِنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَقَدْ  
مَنَّ عَلَيْنَا بِحِفْظِ كِتَابِنَا الْمَجِيدِ الَّذِي يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ كُلِّ مُفْتَرٍ كَذَّابٍ ، فَفِي  
سُورَةِ النَّجْمِ نَفْسِهَا : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) وَالَّذِي يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ مِنْ  
أَقْبَحِ مَا يُرْوَى ، فَكَيْفَ يَقُولُ ﷺ أَوْ يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ مِمَّا يَبُثُّ الشُّكُوكَ فِي  
الْوَحْيِ ؟ الْأَمْرُ الَّذِي يُرِيدُهُ السُّفَهَاءُ .. رَدَّ اللَّهُ كَيْدَهُمْ فِي نَجْرِهِمْ .

وَالَّذِي وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ فِي مَوْضُوعِ هَذَا السُّجُودِ مَا رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ  
النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ ﴿ وَالنَّجْمِ ﴾ ، فَسَجَدَ ، وَسَجَدَ مَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَّا رَجُلًا أَخَذَ كَفًّا مِنْ  
حَصَى وَضَعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ ، وَقَالَ : يَكْفِينِي هَذَا ، فَرَأَيْتُهُ قَتَلَ بَعْدَ كَافِرًا ، وَلَيْسَ  
فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَيُّ دَلَالَةٍ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ سَجَدُوا مَعَهُ هُمْ مُشْرِكُونَ ؛ بَلِ الَّذِي  
يُفِيدُهُ قَوْلُهُ : فَرَأَيْتُهُ قَتَلَ بَعْدَ كَافِرًا أَنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا ثُمَّ ارْتَدَّ ، وَهَذَا مَا حَصَلَ مِنْ

( ٢ ) سُورَةُ النَّجْمِ ( الْآيَةُ ٣ ) .

( ١ ) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنَ الْآيَةِ ١٤٢ ) .

( ٣ ) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ( سُجُودُ الْقُرْآنِ ) .

بَعْضِ ضِعَافِ الْقُلُوبِ الَّذِينَ لَمْ يَتَحَمَّلُوا الْأَذَى فَكَفَرُوا : مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ (١)

( هَذَا ) وَلَمَّا رَجَعَ مُهَاجِرُوا الْحَبَشَةِ إِلَى مَكَّةَ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهَا إِلَّا مَنْ وَجَدَ لَهُ مُجِيرًا ؛ فَدَخَلَ أَبُو سَلَمَةَ فِي جِوَارِ خَالِهِ أَبِي طَالِبٍ ، وَدَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ فِي جِوَارِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَقَدْ رَدَّ عُثْمَانُ جِوَارَهُ حِينَمَا رَأَى مَا صَنَعَهُ بِالْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يَرَ أَنْ يَكُونَ مُرْتاحًا وَإِخوانَهُ مُعَذِّبُونَ .

صَحِيفَةُ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَقِئْمَةُ غِوَايَةِ الْإِنْسَانِ :

وَلَمَّا ضَاقَتِ الْحَيْلُ بِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ عَرَضُوا عَلَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ الَّذِينَ مِنْهُمْ الرَّسُولُ ﷺ رِيَّةً مُضَاعَفَةً وَيُسَلِّمُونَهُ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ .

وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاضٍ فِي عَمَلِهِ عَرَفَتْ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ أَبَى خِذْلَانَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَذَهَبُوا إِلَيْهِ بِعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا طَالِبٍ إِنَّ هَذَا الْفَتَى أَشْهَرُ وَأَجْمَلُ فَتَى فِي قُرَيْشٍ فَخُذْهُ فَلكَ عَقْلُهُ وَنَصْرُهُ وَاتَّخِذْهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ ، وَأَسْلَمَ إِلَيْنَا ابْنُ أَخِيكَ هَذَا الَّذِي خَالَفَ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَفَرَّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ فَهَنَّقْتُهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَبِئْسَ مَا تُسَاوِمُونَنِي .. أَنْعُطُونَنِي ابْنَكُمْ أُغْذِيهِ لَكُمْ وَأُعْطِيكُمْ ابْنِي تَقْتُلُونَهُ ، هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا .

فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ اجْتَمَعُوا فِي خَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ مِنْ وَادِي الْمُحَصَّبِ فَتَحَالَفُوا وَاتَّمَرُوا أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا يَتَعَاقَدُونَ فِيهِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ : أَنْ لَا يَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يُنْكَحُوهُمْ ، وَلَا يُبَايِعُوهُمْ ، وَلَا يُخَالِطُوهُمْ ، وَلَا يَدْخُلُوا بُيُوتَهُمْ ، وَلَا يُكَلِّمُوهُمْ ، وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صَلْحًا أَبَدًا حَتَّى يُسَلِّمُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِلْقَتْلِ ، وَكُتِبَ فِي صَحِيفَةٍ بِخَطِّ بَغِيضِ بْنِ عَامِرٍ ( وَالَّذِي دَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ) .

(١) هُوَ عَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ وَقُتِلَ كَافِرًا يَوْمَ بَدْرٍ فَتَلَّهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، كَمَا قُتِلَ أَبُوهُ أُمَيَّةُ فِي بَدْرٍ أَيْضًا .

(٢) أَصْلُ الْخَيْفِ : هُوَمَا أَنْعَدَرَ عَنِ الْجَبَلِ وَارْتَفَعَ عَنِ الْمَسِيلِ .

فَشَلَّتْ يَدَهُ) وَعُلِقَتْ الصَّحِيفَةُ فِي جَوْفِ الكَعْبَةِ هِلَالَ المُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنْ بَعَثَتِهِ  
فَانْحَازَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلِبِ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَدَخَلُوا مَعَهُ فِي شِعْبِهِ إِلَّا  
أَبَا لَهَبٍ فَكَانَ مَعَ قُرَيْشٍ .

### هَجْرَةُ الحَبَشَةِ الثَّانِيَةَ :

وَبَعْدَ دُخُولِ الرَّسُولِ وَقَوْمِهِ الشَّعْبَ أَمَرَ ﷺ جَمِيعَ المُسْلِمِينَ أَنْ يُهَاجِرُوا لِلْحَبَشَةِ  
حَتَّى يُسَاعِدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الاغْتِرَابِ ، فَهَاجَرَ مُعْظَمُهُمْ وَكَانُوا نَحْوَ ثَلَاثَةِ  
وِثْمَانِينَ رَجُلًا وَثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً ، وَكَانَ مِنَ الرَّجَالِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ  
وَزَوْجُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَعُبَيْدُ  
اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَامْرَأَتُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ ( وَتَنَصَّرَ عُبَيْدُ اللَّهِ هُنَاكَ ثُمَّ  
تُوفِيَ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ  
وَهِيَ بِالحَبَشَةِ بِتَوْكِيلِهِ النَّجَاشِيِّ فَعَقِدَ لَهُ عَلَيْهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا سَنَةَ سَبْعٍ مِنْ  
الهِجْرَةِ ، ثُمَّ أَتَتْ إِلَى المَدِينَةِ بَعْدَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ ) .

وَتَوَجَّهَ لَهُمُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ جِهَةِ اليَمَنِ وَهُمْ الْأَشْعَرِيُّونَ ( أَبُو مُوسَى وَبَنُو عَمِّهِ )  
مَكِيدَةً قُرَيْشٍ بِمُهَاجِرِي الحَبَشَةِ :

عَزَّ عَلَى المُشْرِكِينَ أَنْ يَجِدَ المُهَاجِرُونَ مَأْمَنًا لِأَنفُسِهِمْ وَدِينِهِمْ ، فَاخْتَارُوا  
رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ دَاهِيَتَيْنِ وَهُمَا عَمْرٍو بْنُ العَاصِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ( قَبْلَ  
أَنْ يُسْلِمَا ) ، وَأَرْسَلُوا مَعَهُمَا الهَدَايَا المُسْتَطَرَفَةَ لِلنَّجَاشِيِّ ( وَاسْمُهُ أَصْحَمَةُ )  
وَبَعْدَ أَنْ سَاقَ الرَّجُلَانِ تِلْكَ الهَدَايَا إِلَى البَطَارِقَةِ ، وَزَوَّدُوهُمْ بِالحُجَجِ الَّتِي يُطْرَدُ  
بِهَا أَوْلِيَاكُ المُسْلِمُونَ ، وَبَعْدَ أَنْ اتَّفَقَتِ البَطَارِقَةُ أَنْ يُشِيرُوا عَلَى النَّجَاشِيِّ (٢)  
بِإِقْصَائِهِمْ ، حَضَرَ إِلَى النَّجَاشِيِّ ، وَقَدَّمَ لَهُ الهَدَايَا ثُمَّ كَلَّمَاهُ ، فَقَالَا لَهُ : أَيُّهَا  
المَلِكُ .. إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ إِلَى بَلَدِكَ غِلْمَانٌ سُفَهَاءٌ ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا

(١) المِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو: أَسْلَمَ قَدِيمًا وَتَزَوَّجَ ضَبَاعَةَ بِنْتَ الرَّبِيعِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ابْنَةَ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ . وَهَاجَرَ الهِجْرَتَيْنِ ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَالمَشَاهِدَ بَعْدَهَا

وَكَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ . مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ فِي خِلافةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً .

(٢) وَهُوَ لَقَبٌ يُطْلَقُ عَلَى مَلِكِ الحَبَشَةِ آنَدَاكُ .

فِي دِينِكَ ، وَجَاءُوا بِدِينٍ ابْتَدَعُوهُ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ  
أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ ، لِيَتَرَدَّهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَهُمْ أَعْلَى  
بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ ، وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ .

وَقَالَتِ الْبَطَارِقَةُ : صَدَقَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فَأَسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا ، فَلْيُرِدَاهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ  
وِبِلَادِهِمْ .

وَلَكِنَّ النَّجَاشِيَّ رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَمْحِيسِ الْقَضِيَّةِ ، وَسَمَاعِ أَطْرَافِهَا جَمِيعًا ،  
فَأَرْسَلَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَدَعَاهُمْ ، فَحَضَرُوا ، وَكَانُوا قَدْ جَمَعُوا عَلَى الصَّدَقِ كَأَنَّ  
مَا كَانَ .

فَقَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ : مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي  
دِينِي وَلَا دِينَ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَلَائِكَةِ ؟

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ( وَهُوَ الْمُتَكَلِّمُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ) :

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي  
الْفَوَاحِشَ ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ ، وَيَأْكُلُ مِنَ الْقَوِيِّ الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا  
عَلَى ذَلِكَ ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ  
فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ  
الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ ،  
وَحُسْنِ الْجَوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدَّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ  
وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لَا نُشْرِكُ بِهِ  
شَيْئًا ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ - فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ - فَصَدَّقْتَاهُ  
وَأَمْنَا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ دِينِ اللَّهِ ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ ، فَلَمْ نُشْرِكْ  
بِهِ شَيْئًا ، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، وَأَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا ، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا ،  
فَعَبَدُونَا ، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا ، لِيُرُودُونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ ، فَلَمَّا فَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا ،  
وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا ، خَرَجْنَا إِلَى بِلَادِكَ ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى سِوَاكَ ، وَرَغِبْنَا  
فِي جِوَارِكَ ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ .

فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ :

نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ .. فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿ كَهَيَعَصَى ﴾  
سُورَةِ مَرْيَمَ ، فَبَكَى وَاللَّهُ النَّجَاشِيُّ حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ ، ثُمَّ  
قَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ : إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لِيَخْرُجُ مِنْ مَشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ ،  
انْطَلَقَا ، فَلَا وَاللَّهِ لَا أَسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمَا وَلَا يُكَادُونَ ( يُخَاطِبُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ  
وَصَاحِبَهُ ) ، فَخَرَجَا ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِصَاحِبِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :  
وَاللَّهِ لَا تَيْنَهُمْ غَدًا عَنْهُمْ بِمَا أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي  
رَبِيعَةَ : لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا ، وَلَكِنْ أَصْرَ عَمْرُو عَلَيَّ  
رَأَيْهِ .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ لِلنَّجَاشِيِّ أَيُّهَا الْمَلِكُ .. إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا  
عَظِيمًا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ النَّجَاشِيُّ يَسْأَلُهُمْ عَنْ قَوْلِهِمْ فِي الْمَسِيحِ ، فَفَرَعُوا ، وَلَكِنْ  
أَجْمَعُوا عَلَى الصَّدَقِ كَائِنًا مَا كَانَ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَسَأَلَهُمْ ، قَالَ لَهُ جَعْفَرُ :  
نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ نَبِيُّنا ﷺ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا  
إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ .

فَأَخَذَ النَّجَاشِيُّ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ وَالْقِسْيِيِّينَ  
وَالرُّهْبَانَ وَاللَّهَ مَا يَزِيدُونَ عَلَيَّ الَّذِي نَقُولُ فِي عِيسَى سِوَى هَذَا .. أَشْهَدُ أَنَّهُ  
رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّهُ الَّذِي نَجَدُ فِي الْإِنْجِيلِ وَأَنَّهُ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى بْنُ  
مَرْيَمَ ، وَاللَّهِ لَوْ لَا مَا أَنَا مَا فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَحْمِلُ نَعْلَيْهِ  
ثُمَّ انْعَطَفَ عَلَيَّ بِطَارِقَتِهِ أَمْرًا لَهُمْ بِذَلِكَ ، فَأَبَوْا ، فَكَتَمَ إِيمَانَهُ عَنْهُمْ .

( وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ الصَّحَابَةَ يَوْمًا بِوَفَاةِ النَّجَاشِيِّ وَصَلَّى عَلَيْهِ صَلَاةً )

الغائب : كما ذكرنا وكما سيأتي ذكره في مناسباته .

ثُمَّ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ شُيُومٌ بِأَرْضِي ( وَالشُّيُومُ : الْأَمْنُونَ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ ) ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ، مَا أُجِبُ أَنْ لِي دَبْرًا مِنْ ذَهَبٍ وَأَنْيَ آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ ( وَالذَّبْرُ : الْجَبَلُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ ) .

ثُمَّ قَالَ لِحَاشِيَتِهِ : رُدُّوا عَلَيَّهَا هَدَايَاهُمَا ، فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا ، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرَّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي ، أَفَأَخَذُ الرَّشْوَةَ فِيهِ ۱۶ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ الَّتِي تَرَوِي هَذِهِ الْقِصَّةَ : فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَ بِهِ ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ (۱) .

ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ فِي شَعْبِ أَبِي طَالِبٍ :

وَاشْتَدَّ الْحِصَارُ ، وَقَطِعَتْ عَنْهُمْ الْمِيرَةُ وَالْمَادَّةُ ، فَلَمْ يَكُنِ الْمُشْرِكُونَ يَتْرَكُونَ طَعَامًا يَدْخُلُ مَكَّةَ وَلَا بَيْعًا إِلَّا أَسْرَعُوا فَاشْتَرَوْهُ ، حَتَّى بَلَغَ الْمُحَاصِرِينَ الْجَهْدُ وَاضْطَرُّوا إِلَى أَكْلِ الْأَوْرَاقِ وَالْجُلُودِ ، وَحَتَّى كَانَ يُسْمَعُ مِنْ وَرَاءِ الشَّعْبِ أَصْوَاتُ نِسَائِهِمْ وَصَبْيَانِهِمْ يَتَضَاغُونَ مِنَ الْجُوعِ ، وَكَانَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ إِلَّا سِرًّا ، وَكَانُوا لَا يَخْرُجُونَ مِنَ الشَّعْبِ لِاشْتِرَاءِ الْحَوَائِجِ إِلَّا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ ، وَكَانُوا يَشْتَرُونَ مِنَ الْعِيرِ الَّتِي تَرُدُّ مَكَّةَ مِنْ خَارِجِهَا ، وَلَكِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كَانُوا يَزِيدُونَ عَلَيْهِمْ فِي السَّلْعَةِ قِيمَتَهَا حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُوا الشِّرَاءَ .

وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَخَافُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَكَانَ إِذَا أَخَذَ النَّاسُ مَضَاجِعَهُمْ يَأْمُرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَإِذَا نَامَ النَّاسُ أَمَرَ أَحَدَ بَنِيهِ أَوْ إِخْوَتِهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ فَاضْطَجِعَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يَخْرُجُونَ فِي أَيَّامِ الْمَوْسِمِ ، فَيَلْقَوْنَ النَّاسَ ، وَيَدْعُونَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ .

وَهَكَذَا ظَلَّ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ فِي الشَّعْبِ مَحْصُورِينَ مُدَّةَ ثَلَاثِ سِنِينَ ،

( ١ ) سيرة ابن هشام ( مع الاختصار ) .



وَلَحِقَتْهُمْ مَسَمَّةٌ عَظِيمَةٌ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو طَالِبٍ : (١)

- أَلَا أَلْبِغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا \* لُؤْيَاً وَخُصَاً مِنْ لُؤْيِي بَنِي كَعْبِ  
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا \* نَبِيًّا كَمَوْسَى خَطًّا فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ  
وَأَنَّ الَّذِي التَّفَقُّتُمْ مِنْ كِتَابِكُمْ \* لَكُمْ كَائِنٌ نَحْسًا كَرَاغِيَةَ السَّقْبِ (٢)  
أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَى \* وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجِنْ ذَنْبًا كَذِي الذَّنْبِ  
وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقْطَعُوا \* أَوَاصِرْنَا بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ (٣)  
فَلَسْنَا وَرَبِّ الْبَيْتِ نُسَلِمُ مُحَمَّدًا \* لِعِزَاءٍ مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ وَلَا كَرْبِ (٤)  
وَلَمَّا تَبِنَ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفٌ \* وَأَيِّدُ أُتْرَتْ بِالْقُسَابِيَّةِ الشُّهْبِ (٥)  
أَلَيْسَ أَبُوْنَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزُهُ \* وَأَوْصَى بِنَيْهِ بِالطَّعَانِ وَبِالضَّرْبِ  
وَلَسْنَا نَمَلُ الْحَرْبِ حَتَّى تَمَلَّنَا \* وَلَا نَشْكِي مَا قَدْ يَنْوِبُ مِنَ النُّكْبِ  
وَلَكِنَّا أَهْلُ الْحَفَائِظِ وَالنُّهَى \* إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكِمَاةِ مِنَ الرَّعْبِ (٦)

### نَقْضُ الصَّحِيفَةِ :

فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى حَلَّ مَا عَقَدُوهُ ، وَإِبْطَالَ مَا أَكَّدُوهُ ، اجْتَمَعَ فِي أَوَاخِرِ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنْ بَعَثْتِهِ ﷺ خَمْسَةٌ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ لَيْلًا بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَتَعَاقَدُوا عَلَى نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الظَّالِمَةِ ، وَهُمْ : هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ الْعَامِرِيُّ ( وَهُوَ أَعْظَمُهُمْ فِي ذَلِكَ بَلَاءً ) ، وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيِّ النَّوْفَلِيُّ ، وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيِّ ( ابْنُ عَمَّةِ الرَّسُولِ عَاتِكَةَ ) ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامِ الْأَسَدِيِّ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْأَسَدِيِّ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَا زُهَيْرٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ فَطَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ أَنْأَكُلُ الطَّعَامَ وَنَلْبَسُ الثِّيَابَ وَبَنُو هَاشِمٍ

(١) سيرة ابن هشام .

(٢) راغية السَّقْبِ : هُوَ مِنَ الرُّغَاءِ ، وَهُوَ أَصْوَاتُ الْإِبِلِ . السَّقْبُ : وَادٌ النَّاقَةِ ؛ وَالْمَقْصُودُ هُنَا : وَادٌ نَاقَةَ صَالِحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٣) الْأَوَاصِرُ : مَا عَطَفَكَ عَلَى غَيْرِكَ مِنْ رَجِمٍ ، أَوْ قَرَابَةٍ ، أَوْ مِصَاهِرَةٍ . (٤) عَضُّ الزَّمَانِ : شِدَّتُهُ .

(٥) السَّوَالِفُ : مَا تَقَدَّمَ مِنْ عُنُقِ الْفَرَسِ ، أُتْرَتْ : قَطَعَتْ ، الْقُسَابِيَّةُ : سَيْفٌ تُنْسَبُ إِلَى قُسَاةٍ ، وَهُوَ جَبَلٌ لِبَنِي أَسْرِيحُوِي عَلَى مَعْدَنِ الْحَدِيدِ .

(٦) الْحَفَائِظُ : مَقْرَدَمَا الْحَفِيظَةُ ؛ وَهِيَ الْأَنْفَةُ ، النَّهْيُ : الْعَقُولُ ، الرَّعْبُ : الْوَعِيدُ .

والمَطْلَبِ هَلْكَى لا يَبِيعُونَ ولا يَبْتَاعُونَ ! واللّهِ لا أَقْعُدُ حَتَّى تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ  
الظَّالِمَةُ القاطِعةُ .

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : كَذَبْتَ واللّهِ لا تُشَقُّ ، فَقَالَ زَمْعَةُ لِأَبِي جَهْلٍ : أَنْتَ واللّهِ أَكْذَبُ !  
ما رَضِينَا كِتَابَتَهَا حِينَ كُتِبَتْ ، فَقَالَ أَبُو البَخْتَرِيِّ : صَدَقَ زَمْعَةُ ، وَقَالَ المُطْعِمُ  
بْنُ عَدِيٍّ : صَدَقْتُمَا وَكَذَبَ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَصَدَّقَ عَلَيَّ ما قِيلَ هِشامُ بْنُ  
عَمْرٍو .

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَذَا أَمْرٌ بِرَمِّ بَلِيلٍ ، تَشَاوَرُوا فِيهِ بِغَيْرِ هَذَا المَكَانِ .

وَأَبُو طَالِبٍ جالِسٌ فِي نَاحِيَةِ المَسْجِدِ ، إِنَّمَا جَاءَهُمُ لِأَنَّ اللّاهُ قَدْ أَطْلَعَ رَسولُهُ عَلَيَّ  
أَمْرَ الصَّحِيفَةِ ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ عَلَيْهَا الأَرْضَةَ <sup>(١)</sup> ، فَأَكَلْتُ جَمِيعَ ما فِيها مِنْ جَوْرِ وَقَطِيعَةٍ  
وظُلْمٍ إِلا ذَكَرَ اللّاهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَمَّهُ ، فَخَرَجَ إِلى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ  
ابْنَ أُخِيهِ قَدْ قَالَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كانَ كاذِباً خَلِينا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ، وَإِنْ كانَ صادِقاً  
رَجَعْتُمْ عَنْ قَطِيعَتِنَا وَظُلْمِنَا ، قالُوا : قَدْ أَنْصَفْتَ .

وَبَعْدَ أَنْ دارَ الكِلامُ بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَبِي جَهْلٍ ، قامَ المُطْعِمُ إِلى الصَّحِيفَةِ  
لِيَشُقَّها ، فَوَجَدَ الأَرْضَةَ قَدْ أَكَلَتْها إِلا ( بِاسْمِكَ اللّاهُمَّ ) وما كانَ فِيها مِنْ اسمِ  
اللّاهِ فَإِنَّها لَمْ تَأْكُلْهُ ، فَوَجَدَهُ كما ذَكَرَ النَبِيُّ ﷺ .

وَبِذَلِكَ تَمَّ نَقْضُ الصَّحِيفَةِ ، وَخَرَجَ رَسولُ اللّاهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الشَّعْبِ ، وَقَدْ  
رَأى المُشْرِكُونَ آيَةً عَظِيمَةً مِنْ آياتِ نُبُوَّتِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ كما أَخْبَرَ اللّاهُ عَنْهُمْ :

﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أَعْرَضُوا عَنْ هَذِهِ الآيَةِ  
وَازْدادُوا كُفْراً إِلى كُفْرِهِمْ .

وَفُوْدُ نَجْرانِ :

وَقَدْ وَقَدَّ عَلَيَّ الرَّسولُ ﷺ بَعْدَ الجُرُوجِ مِنَ الشَّعْبِ وَقَدْ مِنْ نَصارِي نَجْرانَ بَلْفَهُمْ  
خَبْرُهُ مِنْ مُهاجِرِي الحَبَشَةِ ، فَسارَعُوا بِالقُدومِ عَلَيْهِ حَتَّى يَرَوْا صِفاتِهِ مَعَ ما ذَكَرَ

(٢) سُورَةُ العَمَرُ ( الآيَةُ ٢ ) .

(١) الأَرْضَةُ : دُونِيَّةٌ تَأْكُلُ العَضْبَ وَتَحْوَهُ .

مِنْهَا فِي كُتُبِهِمْ ، وَكَانُوا عِشْرِينَ رَجُلًا أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ ، فَقَرَأَ ﷺ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَأَمَنُوا كُلُّهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو جَهْلٍ : مَا رَأَيْتُمْ رَكْبًا أَحْمَقَ مِنْكُمْ ، أَرْسَلَكُمْ قَوْمَكُمْ تَعْلَمُونَ خَيْرَ هَذَا الرَّجُلِ فَصَبَأْتُمْ ! فَقَالُوا : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لِأَنْجَاهِكُمْ ، لَكُمْ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَلَنَا مَا اخْتَرْنَاهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ● وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ● أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَبَدَرُوا بِالْحَسَنَةِ الْسيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ● وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغَى الْجَاهِلِينَ ● ﴾ (١) وَقَدْ كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَمَا عَجَزُوا عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَمْ يَتِمَّ كُنُوزًا مِنْ مُقَارَعَةِ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ رَمَوْهُ بِالسَّحْرِ مَرَّةً ، وَبِالْكَذِبِ أُخْرَى ، وَبِالْجُنُونِ طَوْرًا ، وَبِالْكَهَانَةِ تَارَةً ، كُلُّ ذَلِكَ شَأْنُ الْعَاجِزِ الْمُعَانِدِ الَّذِي لَا يَسْتَجِيبُ لِمَزِيدِ عِنَادِهِ أَنْ يَقُولَ : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٢)

آخِرُ وَفِدِ قَرِيشٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ :

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الشَّعْبِ ، وَجَعَلَ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ، وَقَرِيشٌ وَإِنْ كَانُوا قَدْ فَكُّوا الْحِصَارَ ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا عَامِلِينَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ مِنَ الضَّغْفِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالصِّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، أَمَّا أَبُو طَالِبٍ فَهُوَ لَمْ يَزَلْ يَحُوطُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَتْ الْأَلَامُ وَالْحَوَادِثُ الضَّخْمَةُ الْمُتَوَالِيَةً مُنْذُ سَنَوَاتٍ ( لِاسِيَّمَا حِصَارُ الشَّعْبِ ) قَدْ أَثَرَتْ بِالْوَهْنِ وَالضَّغْفِ عَلَى مَفَاصِلِهِ وَصُلْبِهِ ، فَلَمْ يَمْضِ عَلَى خُرُوجِهِ مِنَ الشَّعْبِ إِلَّا أَشْهُرٌ مَّعْدُودَاتٌ ، وَإِذَا هُوَ يُلَاحِظُهُ الْمَرَضُ وَيُلِحُّ عَلَيْهِ ؛ وَحِينَئِذٍ خَافَ الْمُشْرِكُونَ سُوءَ سَمْعَتِهِمْ فِي الْعَرَبِ إِنْ أَتَوْا بَعْدَ وَفَاتِهِ بِمُنْكَرٍ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ ، فَحَاوَلُوا مَرَّةً أُخْرَى أَنْ يُفَاوِضُوا النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيُعْطُوا بَعْضَ

(٢) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( الْآيَةُ ٢٢ ) .

(١) سُورَةُ الْقَصَصِ ( الْآيَاتُ ٥٢ - ٥٥ ) .

مَا لَمْ يَرْضُوا إِعْطَاءَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَصَامُوا بِوِفَادَةِ هِيَ آخِرُ وَفَادَتِهِمْ إِلَى أَبِي طَالِبٍ  
 قَالَ ابْنُ اسْحَاقٍ وَغَيْرُهُ <sup>(١)</sup> : لَمَّا اسْتَكَى أَبُو طَالِبٍ ، وَبَلَغَ قُرَيْشًا ثِقْلَهُ ، قَالَتْ قُرَيْشٌ  
 بَعْضُهَا لِبَعْضٍ : إِنَّ حَمْزَةَ وَعُمَرَ قَدْ أَسْلَمَا ، وَقَدْ فَسَا أَمْرُ مُحَمَّدٍ فِي قَبَائِلِ قُرَيْشٍ  
 كُلِّهَا ، فَانْطَلِقُوا بِنَا إِلَى أَبِي طَالِبٍ ، فَلْيَأْخُذْ عَلَيَّ ابْنِ أَخِيهِ ، وَلْيُعْطِهِ مِنَّا ، وَاللَّهِ  
 مَا نَأْمَنُ أَنْ يَبْتَرُونَا <sup>(٢)</sup> أَمْرَنَا ، وَفِي لَفْظٍ : فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ يَمُوتَ هَذَا الشَّيْخُ ، فَيَكُونُ  
 إِلَيْهِ شَيْءٌ فَتَعَيَّرْنَا بِهِ الْعَرَبُ ؛ يَقُولُونَ تَرَكَوهُ ؛ حَتَّى إِذَا مَاتَ عَمَّهُ تَنَاوَلُوهُ .

مَشَوْا إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَكَلَّمُوهُ ، وَهُمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِ ؛ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ  
 رَبِيعَةَ ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، فِي رِجَالٍ  
 مِنْ أَشْرَافِهِمْ ( وَهُمْ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ تَقْرِيبًا ) ، فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ إِنَّكَ مِنَّا  
 حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا نَرَى ، وَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ أَخِيكَ ،  
 فَادْعُهُ ، فَخُذْ لَهُ مِنَّا ، وَخُذْ لَنَا مِنْهُ ، لِيَكُفَّ عَنَّا وَنَكُفَّ عَنْهُ ، وَلْيَدْعُنَا وَدِينَنَا ،  
 وَنَدْعُهُ وَدِينَهُ ، فَبِعَثِّ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ ، فَجَاءَهُ ﷺ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، هَؤُلَاءِ  
 أَشْرَافُ قَوْمِكَ ، قَدِ اجْتَمَعُوا لَكَ ، لِيُعْطُوكَ ، وَلِيَأْخُذُوا مِنْكَ ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِالَّذِي  
 قَالُوا لَهُ وَعَرَضُوا عَلَيْهِ ، مِنْ عَدَمِ تَعَرُّضِ كُلِّ فَرِيقٍ لِلْآخَرِ .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 مُخَاطِبًا لِأَبِي طَالِبٍ : أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُونَهَا ، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ ،  
 وَيَمْلِكُونَ بِهَا الْعَجَمَ .. فَلَمَّا قَالَ ﷺ هَذِهِ الْمَقَالَةَ ، تَوَقَّفُوا وَتَحَيَّرُوا ، وَلَمْ يَعْرِفُوا  
 كَيْفَ يَرْفُضُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ النَّافِعَةَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ وَالْحَدِّ ؛ ثُمَّ قَالَ  
 أَبُو جَهْلٍ : مَا هِيَ ؟ وَأَبِيكَ لِنُعْطِيكَهَا وَعَشْرَ أَمْثَالِهَا ، قَالَ ﷺ : تَقُولُونَ : لَا إِلَهَ إِلَّا  
 اللَّهُ ، وَتَخْلَعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ .. فَصَفَّقُوا بِأَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ قَالُوا : أَتُرِيدُ يَا  
 مُحَمَّدُ أَنْ تَجْعَلَ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ؟ إِنَّ أَمْرَكَ لَعَجَبٌ .

ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا هَذَا الرَّجُلُ بِمُعْطِيكُمْ شَيْئًا مِمَّا تُرِيدُونَ ،  
 فَانْطَلِقُوا وَامْضُوا عَلَى دِينِ آبَائِكُمْ .. ثُمَّ تَفَرَّقُوا .

(٢) ابْتَرَأَ أَمْرَهُ : سَلَبَهُ إِيَّاهُ وَغَلَبَهُ عَلَيْهِ .

(١) سِبْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ .

وَفِي هَؤُلَاءِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿صَ وَالْقُرْآنِ إِنِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ  
 وَشِقَاقٍ ۝ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَاوَلَاتِ حَيْنٍ مَتَّصِينَ ۝ وَعَجِبُوا  
 أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ ۝ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سَجْرٌ كَذَابٌ ۝ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا  
 وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ وَالنَّاطِقِ الْأَمْلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ ۝  
 إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِمَلَّةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْتِلَقُ ۝ (١)  
 وَحُكِيَ عَنْ هِشَامِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ  
 الْوَفَاةَ جَمَعَ إِلَيْهِ وَجُوهَ قُرَيْشٍ فَأَوْصَاهُمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ .. أَنْتُمْ صَفْوَةُ  
 اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ .. إِلَيَّ أَنْ قَالَ: وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمَّدٍ خَيْرًا، فَإِنَّهُ الْأَمِينُ فِي  
 قُرَيْشٍ وَالصِّدِّيقُ فِي الْعَرَبِ، وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلِّ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ، وَقَدْ جَاءَ بِأَمْرِ  
 قَبْلَهُ الْجَنَانُ وَأَنْكَرَهُ اللِّسَانُ مَخَافَةَ الشَّنَانِ، وَإِيمُ اللَّهِ كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَىٰ صَعَالِيكَ  
 الْعَرَبِ وَأَهْلِ الْوَبْرِ وَالْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النَّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ  
 وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَعَظَمُوا أَمْرَهُ فَخَاضَ بِهِمْ غَمْرَاتِ الْمَوْتِ فَصَارَتْ رُؤْسَاءُ قُرَيْشٍ  
 وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَابًا وَدُورُهَا خَرَابًا، وَضَعْفَاؤُهَا أَرْبَابًا، وَإِذَا أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ  
 أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَحْظَاهُمْ عِنْدَهُ، قَدْ مَحَضَتْهُ الْعَرَبُ وَدَادَهَا وَأَصْفَتْ  
 لَهُ فُؤَادَهَا وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا.

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ كُونُوا لَهُ وُلاةً وَلِحِزْبِهِ حُماةً .. وَاللَّهُ لَا يَسْلُكُ أَحَدٌ سَبِيلَهُ إِلَّا رَشَدَ  
 وَلَا يَأْخُذُ بِهِدْيِهِ إِلَّا سَعِدَ، وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي مُدَّةٌ، وَلَا أَجَلِي تَأْخِيرٌ لَكَمَفْتُ عَنْهُ  
 الْهَزَاهِزَ وَلَدَفَعْتُ عَنْهُ الدَّوَاهِيَ .. ثُمَّ مَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ (٢)

## عَامُ الْحُزْنِ

وَهُوَ الْعَامُ الْعَاشِرُ مِنْ بَعْتِهِ ﷺ؛ فَمَالَيْتُ أَبُو طَالِبٍ أَنْ وَاغَتْهُ الْمَنِيَّةُ وَكَانَ ذَلِكَ  
 فِي شَهْرِ رَجَبٍ عَلَىٰ أَرْجَحِ الْأَقْوَالِ الْمَرْوِيَّةِ .. حَتَّى تُوَفِّيَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةُ

خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَكَانَتْ وَفَاتَهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ ذَلِكَ الْعَامِ ، وَلَهَا خَمْسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً ، وَرَسُولُ اللَّهِ إِذْ ذَاكَ فِي الْخَمْسِينَ مِنْ عُمُرِهِ (١) .

كَانَ أَبُو طَالِبٍ لِلنَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَضُدًا وَجِزْرًا فِي أَمْرِهِ ، وَنَاصِرًا لَهُ عَلَى قَوْمِهِ .

وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ وَزِيرَ صَدَقٍ عَلَى الْإِسْلَامِ ، يَشْكُو الرَّسُولُ إِلَيْهَا وَيَجِدُ عِنْدَهَا أُنْسَهُ وَسَلْوَاهُ .

قَالَ ابْنُ اسْحَاقَ (٢) : فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ ، حَتَّى اعْتَرَضَهُ سَفِيَةٌ مِنْ سَفَهَاءِ قُرَيْشٍ فَتَنَّرَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا ، وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْتَهُ وَالتُّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَامَتْ إِحْدَى بَنَاتِهِ فَجَعَلَتْ تَفْسِلُ عَنْهُ التُّرَابَ وَهِيَ تَبْكِي ، وَرَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لَهَا : ( لَا تَبْكِي يَا بِنِيَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعٌ أَبَاكَ ) ، وَيَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ ذَلِكَ : ( مَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ ) .

وَكَمَا اشْتَدَّتْ وَطْأَةُ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، اشْتَدَّتْ عَلَى أَصْحَابِهِ ، حَتَّى اضْطَرَّ رَفِيقُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْهِجْرَةِ عَنْ مَكَّةَ ، فَخَرَجَ حَتَّى بَلَغَ بَرَكَ الْغِمَادِ ، يُرِيدُ الْحَبَشَةَ ، فَأَرْجَعَهُ ابْنُ الدُّغْنَةِ فِي جَوَارِهِ (٣) .  
وَلَأَجْلِ تَوَالِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَلَامِ فِي هَذَا الْعَامِ سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ الْحُزَنِ ، وَبِهَذَا اللَّقْبِ صَارَ مَعْرُوفًا فِي التَّارِيخِ .

الْمِنْحَةُ فِي صِلَى الْمِحْنَةِ : تُرَى ( مَا الْحِكْمَةُ فِي أَنْ يَتَعَجَّلَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى فِي اسْتِثْلَابِ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ سَاعِدُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ وَيَتَكَوَّنَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْمَنْعَةِ ؟ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ كَانَ يَحْمِي الرَّسُولَ ( قَدَّرَ الْإِمْكَانِ ) مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ ، وَمَا الْحِكْمَةُ فِي أَنْ يَتَعَجَّلَ الْقَضَاءُ بِاسْتِثْلَابِ زَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَقَدْ كَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا أُنْسَهُ وَسَلْوَاهُ ، وَيَنْفُضُ بِمُسَاعَدَتِهَا عَنْ

(١) رَحْمَةً لِلْمَائِمِينَ . ل ( الْمَنْصُورُ نُورِي ) . . تَلْفِيحٌ فَهُومٌ أَهْلُ الْأَثَرِ ل ( ابْنُ الْجَوْزِيِّ ) .

(٢) (٣) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ، كَمَا فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ، بِرَأْسِ الْغِمَادِ ، مَوْضِعٌ عَلَى خَمْسِ لِيَالٍ مِنْ مَكَّةَ إِلَى جِهَةِ الْيَمَنِ .

كاهله كثيراً من أحاسيس الشدائد والآلام ؟

تبرز هنا ظاهرة هامة تتعلق بأساس العقيدة الإسلامية :

فلو أن أبا طالب بقى إلى جانب ابن أخيه يكلؤه ويحميه إلى أن تقوم الدولة الإسلامية في المدينة وريثما ينجو الرسول من أذى المشركين وقبضتهم لكان في ذلك ما قد يوهم أن أبا طالب كان من وراء هذه الدعوة ، وأنه هو الذي كان يدفعها إلى الأمام ويحميها بمكانته وسلطانه بين قومه ، وإن لم يظهر الإيمان بها والانضواء تحت لوائها ، ولجاء من يطيل ويطنب في بيان الحظ الحسن الذي تهيأ للرسول ﷺ أثناء قيامه في الدعوة ، بسبب حماية عمه له بينما لم يتهيأ هذا الحظ لغيره من المسلمين من حوله ، فأوذوا وهو محفوظا الجانب وتعذبوا وهو مستريح البال .

لقد قضت حكمة الله تعالى أن يفقد الرسول عمه أبا طالب وزوجته خديجا بنت خويلد ، ويفقد من حوله من كان في الظاهر حاميا له ومؤنسا ، حتى تتجلى حقيقتان هامتان :

أولاهما : أن الحماية والعناية والنصر ، إنما يأتي كل ذلك من الله عز وجل ولقد تعهد الله أن يعصم رسوله من المشركين والأعداء ، فسواء كان ثمة من يحميه من الناس أو لم يكن ، فهو معصوم من الناس وستبلغ دعوته منتهى النصر والتوفيق .

ثانيتهما : ليس معنى العصمة من الناس أن لا يرى منهم إيذاء أو عذابا أو اضطهادا ، وإنما معنى العصمة التي تعهد بها الله عز وجل بقوله :

﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ <sup>(١)</sup> العصمة من القتل ومن أي صد أو عدوان يمر شأنه إيقاف الدعوة الإسلامية ، فقد قضت حكمة الله تعالى أن يدوق الأنبياء من ذلك قدرا غير يسير ، وذلك لا ينافي العصمة التي وعد بها أنبياءه ورسله .

وَلِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ  
 الْمُشْرِكِينَ ● إِنَّا كَفَيْتَكَ الْمُسْتَهِزِّينَ ●﴾ (١) يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا  
 أَنْتَكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ● فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ  
 السَّاجِدِينَ ● وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ●﴾ (٢)

وَمِنَ الْحِكْمِ الْجَلِيلَةِ لِمَا قَضَتْ بِهِ سُنَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ أَنْ يُلَاقِيَ الرَّسُولُ ﷺ  
 مَا لَاقَى مِنَ الْمُحَنَّةِ فِي طَرِيقِ الدَّعْوَةِ ، كَيْ لَا يَسْتَسْهَلَهَا وَيَسْتَخَفَّ بِهَا عَامَّةُ  
 الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ عَصْرِ مِمَّنْ أُنِيطَتْ بِهِمْ مَسْئُولِيَةُ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .  
 أَمَّا ، وَالْحَالَةُ هَذِهِ ، فَإِنَّ مِمَّا يُخَفِّضُ وَقَعَ الْمُحَنَّةِ وَالْعَذَابِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ  
 شُعُورُهُمْ أَنَّهُمْ يَذُوقُونَ مِمَّا ذَاقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَّهُمْ يَسِيرُونَ فِي الطَّرِيقِ ذَاتَهَا  
 الَّتِي أُوْذِيَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

وَمَهْمَا أَصَابَهُمْ مِنْ أَلَمِ السُّخْرِيَّةِ بِهِمْ وَإِهَانَةِ النَّاسِ لَهُمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْتُ فِي  
 عَضْدِهِمْ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَلْقَى التُّرَابَ فِي السُّوقِ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى  
 اضْطُرَّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ لِتَقُومَ إِحْدَى بَنَاتِهِ فَتَفْسِلَ عَنْ رَأْسِهِ التُّرَابَ ، مَعَ أَنَّهُ  
 حَبِيبُ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ ، وَسَجِدُ فِي هِجْرَتِهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ وَمَآلِقَاهُ إِذْ  
 ذَاكَ مَا يَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَسْهَلُونَ كُلَّ مُحَنَّةٍ وَيَسْتَعْذِبُونَ كُلَّ عَذَابٍ فِي سَبِيلِ أَنْ  
 يَضْرِبُوا مَعَ رَسُولِهِمْ بِنَصِيبٍ مِمَّا قَاسَاهُ وَعَانَاهُ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ..  
 هَذَا شَيْءٌ .

وَالشَّيْءُ الْآخِرُ ، الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِذِهِ الْمَرْحَلَةَ مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ هُوَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ  
 يَحْسِبُونَ أَنَّ سَبَبَ تَسْمِيَةِ الرَّسُولِ لِهَذَا الْعَامِ عَامَ الْحُزْنِ إِنَّمَا هُوَ مُجَرَّدُ فَقْدِهِ  
 ﷺ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَزَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ حُوَيْلِدٍ وَرُبَّمَا اسْتَسَاغُوا إِقَامَةَ عَلَائِمِ  
 الْحُزْنِ وَالْحِدَادِ عَلَى مَوْتَاهُمْ مُدَّةً طَوِيلَةً مِنَ الزَّمَنِ مُسْتَدَلِّينَ بِهَذَا .  
 وَالْوَاقِعُ أَنَّ هَذَا خَطَأٌ فِي الْفَهْمِ وَالتَّقْدِيرِ ؛ فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى فِرَاقِ عَمِّهِ



وفراق زوجته ذلك الحزن الشديد ، ولم يُطلق على تلك السنة : عام الحزن ،  
 لمجرد أنه فقد بعض أقاربه فاستوحش لفقدِهِمْ ، بل سبب ذلك ما أعقب  
 وفاتهما من انغلاق معظم أبواب الدعوة الإسلامية في وجهه ، فقد كانت حماية  
 عمه له تفتح مجالات كثيرة للدعوة وسبباً مختلفة للتوجيه والإرشاد والتعليم ،  
 وكان يرى ﷺ في ذلك بعض النجاح في العمل الذي أمره به ربه .

أما بعد وفاة عمه : فقد سدت في وجهه تلك المجالات ، فمهما حاول وجد صدأ  
 وعدواناً ، وحيثما ذهب وجد السبل مغلقة في وجهه : فيعود بدعوته كما ذهب  
 بها ، لم يسمعها أحد ولم يؤمن بها أحد ، بل الكل ما بين مستهزئ ومعتد ،  
 ومتهكم به ، فيحزنه أن يعود وهو لم يأت من الوظيفة التي كلفه الله بها بنتيجة  
 فمن أجله سمى ذلك العام عام الحزن .

بل ، لقد كان حزنه على أن لا يؤمن الناس بالحق الذي جاء به ، شيئاً غالباً على  
 نفسه ، في أكثر الأحيان ، ومن أجل تخفيف هذا الحزن عليه كانت تنزل الآيات  
 مؤسبة له ومسيئة ، ومذكرة إياه بأنه ليس مكلفاً بأكثر من التبليغ ، فلا داعي  
 إلى أن يذهب نفسه عليهم حسرات إذا لم يستجيبوا ولم يؤمنوا ، ومن ذلك  
 قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ  
 وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَايَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ● وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ  
 فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنْتَهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ  
 وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ● وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ  
 اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِعَايَةٍ وَلَوْ  
 شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ● ﴾ (١) وقوله تعالى  
 ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ (٢)

الزواج بسودة رضي الله عنه : وفي سؤال من هذه السنة ( السنة العاشرة من بعثته ﷺ )

تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيِّدَةَ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ الْعَامِرِيَّةَ الْقُرَشِيَّةَ بَعْدَ أَنْ تُوُفِّيَ  
عَنْهَا زَوْجُهَا وَابْنُ عَمِّهَا السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرٍو ، وَقَدْ كَانَتْ آمَنَتْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ  
وَخَالَفَتْ أَقَارِبَهَا وَبَنِي عَمِّهَا ، وَهَاجَرَتْ مَعَ زَوْجِهَا إِلَى الْحَبَشَةِ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ  
خَوْفَ الْفِتْنَةِ ، وَعَقِبَ رُجُوعِهِ مِنْ هِجْرَتِهِ تُوُفِّيَ عَنْهَا ﷺ .. فَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ أَحْمَلٌ  
مِمَّا صَنَعَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِزَوْجِ رَجُلٍ آمَنَ بِهِ ، وَلَوْ تَرَكْتَ لِقَوْمِهَا مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ  
مِنَ الْغِلْظَةِ وَكَرَاهَةِ الْإِسْلَامِ لَفَتَنُوهَا .. وَكَرُمُ نَسَبِهَا فِي قَوْمِهَا يَمْنَعُهَا مِنَ التَّزْوُجِ  
بِرَجُلٍ أَقَلَّ مِنْهَا نَسَبًا وَشَرَفًا .

وَكَانَتْ ﷺ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا ﷺ بَعْدَ وَفَاةِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ﷺ ، وَبَعْدَ عِدَّةِ  
أَعْوَامٍ وَهَبَتْ نَوْبَهَا لِلْسَّيِّدَةِ عَائِشَةَ ﷺ .



## خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ

فَلَمَّا رَأَى ﷺ اسْتِهَانَةَ قُرَيْشٍ بِهِ عَزَمَ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى ثَقِيفٍ بِالطَّائِفِ ، يَرْجُو مِنْهُمْ نَصْرَتَهُ عَلَى قَوْمِهِ وَمُسَاعَدَتَهُ حَتَّى يُتَمِّمَ أَمْرَ رَبِّهِ .

وَفِي شَوَّالٍ سَنَةِ عَشْرِ مِنْ بَعَثْتِهِ ، خَرَجَ ﷺ قاصِداً الطَّائِفَ ، وَهِيَ تَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ نَحْوَ سَبْعِينَ كِيلُو مِثْرًا ، سَارَهَا مَاشِياً عَلَى قَدَمَيْهِ ذِهَاباً وَإِيَاباً ، وَمَعَهُ مَوْلَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَكَانَ كُلُّمَا مَرَّ ﷺ عَلَى قَبِيلَةٍ فِي الطَّرِيقِ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ تُجِبْ إِلَيْهِ وَاحِدَةٌ مِنْهَا .. فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الطَّائِفِ عَمِدَ إِلَى ثَلَاثَةِ إِخْوَةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ ثَقِيفٍ : وَهُمْ : عَبْدُ يَالِيلٍ وَمَسْعُودٌ وَحَبِيبُ أَبْنَاءِ عَمْرُو بْنِ عُمَيْرِ الثَّقَفِيِّ ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى نَصْرَةِ الْإِسْلَامِ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ رَدًّا قَبِيحًا وَلَمْ يَرِ مِنْهُمْ خَيْرًا ، وَجِنْدَاكَ طَلَبَ مِنْهُمْ ﷺ أَنْ يَكْتُمُوا ذَلِكَ عَنْهُ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا .

وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَهْلِ الطَّائِفِ عَشْرَةَ أَيَّامٍ ، لَا يَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ إِلَّا جَاءَ وَكَلَّمَهُ ، فَقَالُوا : أَخْرُجْ مِنْ بِلَادِنَا ، وَأَعْرُوا بِهِ سُفْهَاءَهُمْ . فَلَمَّا أَرَادَ ﷺ الْخُرُوجَ تَبِعَهُ سُفْهَاؤُهُمْ وَعَبِيدُهُمْ ، يَسُبُّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَوَقَفُوا لَهُ صَفَّيْنِ وَجَعَلُوا يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ وَبِكَلِمَاتٍ مِنَ السَّفْهِ ، وَرَجَمُوا عَرَاقِيْبَهُ حَتَّى اخْتَضَبَ نَعْلَاهُ بِالدَّمَاءِ ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَقِيهِ بِنَفْسِهِ حَتَّى شَجَّ رَأْسُهُ ﷺ .

وَلَمْ يَزَلْ بِهِ السُّفْهَاءُ كَذَلِكَ حَتَّى أَلْجَأُوهُ إِلَى بُسْتَانٍ لِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ ، عَلَى بُعْدِ أَرْبَعِ كِيلُو مِثْرَاتٍ مِنَ الطَّائِفِ ، فَلَمَّا التَّجَأَ ﷺ إِلَيْهِ رَجَعُوا عَنْهُ ، وَهُنَا اشْتَدَّ كَرْبُهُ ﷺ وَدَعَا بِدُعَاءِ الْكَرْبِ :

( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ ، رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ) .

ثُمَّ دَعَا ﷺ بِالدُّعَاءِ الْمَشْهُورِ ، فَقَالَ ﷺ :

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ ثَوْبِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضَعْفِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي ، إِلَى مَنْ تَكَلِّمُنِي ؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي (١) ، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أَمْرِي ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أَبَانِي ، وَكَيِّنْ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تَنْزِلَ بِي غَضَبَكَ ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ ، لَكَ الْعَيْبَى حَتَّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ ) .

فَلَمَّا رَأَاهُ ابْنًا رَبِيعَةَ رَقًا لَهُ وَأَرْسَلَا إِلَيْهِ بِقِطْفٍ مِنَ الْعِنَبِ مَعَ مَوْلَى لَهُمَا نَصْرَانِيٍّ اسْمُهُ عَدَّاسٌ .. فَلَمَّا ابْتَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ ، قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَقَالَ عَدَّاسٌ : هَذَا الْكَلَامُ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ ، فَقَالَ ﷺ : مِنْ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ وَمَا دِينُكَ ؟ فَقَالَ : نَصْرَانِيٌّ مِنْ نَيْنَوَى (٢) ، فَقَالَ لَهُ ﷺ : مِنْ قَرِيْبَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ؟ قَالَ : وَمَا عَلِمْتُكَ بِيُونُسَ ؟ قَالَ ﷺ : ذَاكَ أَخِي ، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ ، وَقَرَأَ لَهُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا فِيهِ قِصَّةُ يُونُسَ ، فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ يُقَبِّلُهَا .

فَقَالَ ابْنًا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِلْآخِرِ : أَمَا غُلَامُكَ فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ ، فَلَمَّا جَاءَ عَدَّاسٌ ، قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ .. مَا هَذَا ؟ قَالَ : يَا سَيِّدِي ، مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ ، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ ، قَالَا لَهُ : وَيْحَكَ يَا عَدَّاسُ ، لَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْ دِينِكَ ، فَإِنَّ دِينَكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ .

وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْبُسْتَانِ مُسْلِمًا أَمْرَهُ إِلَى رَبِّهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ قَرْنَ الثَّعَالِبِ (٤) ، نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ الْعَلِيِّ ، وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَكَ وَسَمِعَ قَوْلَهُمْ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ ، لِتَأْمُرَهُ

(١) يَتَجَهَّمُنِي : يُلْقَانِي بِالْفُلْطَةِ وَالْوَجْهَ الْكَرِيمِ . (٢) الْمُنْبَى : الْأَشْرِيضَاءُ بِالرُّجُوعِ عَنِ الذَّنْبِ .

(٣) نَيْنَوَى : بَلَدٌ عَلَى شَاطِئِهَا دِجْلَةٌ وَهِيَ آخِرُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْعِرَاقُ وَأَمَامَهَا مَدِينَةُ الْمَوْصِلِ .

(٤) قَرْنُ الثَّعَالِبِ : اسْمٌ مَوْضِعٍ قُرْبَ مَكَّةَ ، وَأَصْلُ الْقَرْنِ : كُلُّ جَبَلٍ صَنِيرٍ مُنْقَطِعٍ مِنْ جَبَلٍ كَبِيرٍ ، وَلَمَّا سُمِّيَ بِذَلِكَ بَكَثَرَةُ الثَّعَالِبِ فِيهِ .

بِمَا شِئْتُمْ ، فَقَالَ ﷺ : ( بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ) .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي ( صَحِيحَيْهِمَا ) بِسَنَدَيْهِمَا عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْ يَوْمٍ ( أُحُدٍ ) ؟ قَالَ : ( لَقَدْ لَقَيْتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقَيْتُ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقَيْتُ يَوْمَ الْعَقَبَةِ . إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِئْنِي ، وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَقِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّمَالِبِ . فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، وَإِذَا سَحَابَةٌ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَناداني وقال : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَهَدَّ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتُمْ فِيهِمْ ، فَناداني مَلَكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ . ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ : ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ بِمَا شِئْتُمْ ، إِنَّ شِئْتُمْ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ ؟ ) أَي : جَبَلِي مَكَّةَ ( أَبُو قُبَيْسٍ وَفُعَيْقِمَان ) ، فَقَالَ ﷺ : ( قُلْتُ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ) (١) .

اسْتِمَاعُ الْجِنِّ لِلْقُرْآنِ .. وَإِيمَانُهُمْ بِنَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ :

وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ ﷺ بِهَذَا التَّيْئِيدِ الْعُلُويِّ وَالْمَدَدِ السَّمَاوِيِّ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ ﷺ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ حَتَّى بَلَغَ وَادِي نَخْلَةَ ( وَهُوَ مَوْضِعٌ عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ ) ، صَرَفَ اللَّهُ إِلَيْهِ سَبْعَةَ مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ وَهُمْ مِمَّنْ يَنْتَمُونَ إِلَى مُوسَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَمِعُوا الْقُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي ، فَلَمَّا سَمِعُوهُ أَنْصَتُوا لَهُ وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ وَأَبْلَغُوهُمْ خَبَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِيهِمْ نَزَلَ فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ● قَالُوا يَا قَوْمَنَا

إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى  
 الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ● يَلْقَوْنَآ أَحْيَبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرُ  
 لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَتُحَرِّمُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ● وَمَنْ لَّا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ  
 فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ  
 مُّبِينٍ ● (١) وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ قِصَّةَ الْجَنِّ بِعِبَارَةٍ أَطْوَلَ فِي سُورَةِ سُمِّيَتْ بِاسْمِهِمْ  
 (الْجِنِّ) ، أَوْلَاهَا: ﴿ قُلْ أُوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا  
 قُرْءَانًا عَجَبًا ● يَهْدَىٰ إِلَى الرَّشْدِ فَقَامْنَا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ● (٢)

دُخُولُ النَّبِيِّ ﷺ مَكَّةَ فِي جَوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ:

وسار رسول الله ﷺ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ ( مَكَّةَ ) مَكَتَ بـ ( جِرَاء ) ، وَبَعَثَ رَجُلًا  
 مِنْ خِزَامَةِ إِلَى الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ لِيُجِيرَهُ فَاعْتَذَرَ ، وَقَالَ : ( إِنَّمَا أَنَا حَلِيفٌ  
 وَالْحَلِيفُ لَا يُجِيرُ ) ، فَبَعَثَ إِلَى سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو فَاعْتَذَرَ ، وَقَالَ ( إِنْ بَنِي عَامِرٍ  
 لَا تُجِيرُ عَلَى بَنِي كَعْبٍ ) ، فَبَعَثَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ النَّوْفَلِيِّ ، فَقَالَ الْمُطْعِمُ :  
 نَعَمْ .. ثُمَّ تَسَلَّحَ وَدَعَا بَنِيهِ وَقَوْمَهُ ، فَقَالَ : الْبُسُوا السَّلَاحَ ، وَكُونُوا عِنْدَ أَرْكَانِ  
 الْبَيْتِ ، فَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُ مُحَمَّدًا ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَنْ ادْخُلْ ، فَدَخَلَ  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَقَامَ  
 الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، فَنَادَى : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ .. إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ مُحَمَّدًا  
 فَلَا يَهْجُهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ ، وَانْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ ، وَصَلَّى  
 رَكَعَتَيْنِ ، وَانصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ وَوَلَدُهُ مُحَدِّقُونَ بِهِ بِالسَّلَاحِ حَتَّى  
 دَخَلَ بَيْتَهُ .

وقيل: إنَّ أبا جهلٍ سألَ مُطْعِمًا : أَمْجِيرٌ أَنْتَ أَمْ تَابِعٌ ؟ قَالَ : بَلْ مُجِيرٌ ، قَالَ إِذَا  
 لَا نَخْفِرُ ذِمَّتَكَ . (٣)

(٢) سُورَةُ الْجِنِّ ( الْآيَاتَانِ ٢٠ ، ٢١ ) .

(١) سُورَةُ الْأَخْفَافِ ( الْآيَاتُ ٢٩ - ٣٢ ) .

(٣) مَبِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ، لَا نَخْفِرُ ذِمَّتَكَ : لَا نَقْدِرُ بِجَوَارِكَ وَوَهْدِكَ .

وَقَدْ حَفِظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمُطْعِمِ هَذَا الصَّنِيعَ ، فَقَالَ ﷺ فِي أَسَارِي بَدْرٍ :  
( لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بِنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ ) (١) وَكَانُوا  
سَبْعِينَ أَسِيرًا .

تُوفِّيَ الْمُطْعِمُ وَهُوَ عَلَى كُفْرِهِ قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَرثَاهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَاعِرُ  
الرَّسُولِ ﷺ . (٢)

إِمْعَانُ نَظَرَ .. وَاسْتِخْلَاصُ عِبَرٍ :

وَلَقَدْ عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقِيَامَ بِالْعِبَادَاتِ بِالْوَسِيلَةِ التَّطْبِيقِيَّةِ ، فَقَالَ ﷺ :  
( صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ) ، وَقَالَ : ( خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ ) ، وَبِنَاءً عَلَى  
هَذَا الْمَبْدَأِ نَفْسِهِ قَاسَى ﷺ أَمْرَ أَنْوَاعِ الْمِحْنِ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ ، لِيَقُولَ بِلِسَانِ  
حَالِهِ لِجَمِيعِ الدُّعَاةِ مِنْ بَعْدِهِ : ( اصْبِرُوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْبِرُ ) ، وَلِيُبَيِّنَ أَنَّ  
الصَّبْرَ وَمُصَارَعَةَ الشَّدَائِدِ مِنْ أَهَمِّ مَبَادِيءِ الْإِسْلَامِ الَّتِي بُعِثَ بِهَا إِلَى النَّاسِ  
كَافَّةً .

وَرُبَّمَا يَتَوَهَّمُ مَنْ أَطَّلَعَ عَلَى ظَاهِرِ سِيرَةِ هِجْرَتِهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ ، أَنَّهُ ﷺ قَدْ  
غَلِبَ عَلَى أَمْرِهِ هُنَاكَ ، وَأَنَّ الصُّجْرَ قَدْ نَالَ مِنْهُ ، وَأَنَّهُ رُبَّمَا اسْتَعْظَمَ كُلَّ تِلْكَ  
الْمِحْنِ وَالْمَشَاقِّ الَّتِي أَصَابَتْهُ ، وَلِذَلِكَ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ الدُّعَاءِ بَعْدَ أَنْ  
اطْمَأَنَّ فِي بُسْتَانَ ابْنِي رَبِيعَةَ .

وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّهُ ﷺ قَدْ اسْتَقْبَلَ تِلْكَ الْمِحْنَ رَاضِيًا ، وَتَجَرَّعَ تِلْكَ الشَّدَائِدَ  
صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، وَإِلَّا فَقَدْ كَانَ بِوَسْعِهِ ( لَوْ شَاءَ ) أَنْ يَنْتَقِمَ مِنَ السُّفَهَاءِ الَّذِينَ  
أَذَوْهُ وَمِنَ الزُّعَمَاءِ الَّذِينَ أَغْرَوْا بِهِ أَوْلِيكَ السُّفَهَاءَ وَرَدُّوهُ ذَلِكَ الرَّدَّ الْمُنْكَرَ ،  
وَلَكِنَّهُ ﷺ مَا كَانَ لِيَشَاءَ ذَلِكَ .

وَدَلِيلُ ذَلِكَ ، مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ بِسَنَدَيْهِمَا عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَمَا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ ( جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) شَرَحَ الزُّرْقَانِيُّ عَلَى الْمَوَاقِبِ اللَّذِيَّةِ ، وَقَالَ : لَيْسَ فِيهِ حَرْجٌ ، إِذْ لَا رَيْبَ فِي أَنَّ عَمَلَ الْمُطْعِمِ هَذَا كَانَ يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ .

سَأَلَتْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ ، وَالْحَدِيثُ ..  
قَدْ مَرَّ بِنَا .

إِذَنْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَعْلَمُ أَصْحَابَهُ وَأُمَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِ بِمَا كَانَ يُلَاقِيهِ :  
الضَّبْرَ بَلَّ وَفَنَّ الصَّبْرَ أَيضاً عَلَى جَمِيعِ الشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
وَرُبَّمَا يَقُولُ قَائِلٌ : فَمَا مَعْنَى ارْتِفَاعِ صَوْتِهِ بِالشُّكْوَى إِذَنْ . وَمَا مَعْنَى دُعَائِهِ الَّذِي  
تُدَلُّ أَلْفَاظُهُ وَصِيغَتُهُ عَلَى الضَّجْرِ وَالْمَلِّ مِنْ طُولِ الْمُحَاوَلَةِ الَّتِي لَمْ تَأْتِ بِنَتِيجَةٍ  
إِلَّا الْأَذَى وَالْعَذَابُ ؟

وَالجَوَابُ : أَنَّ الشُّكْوَى إِلَى اللَّهِ تَعَبُّدٌ ، وَالضَّرَاعَةُ لَهُ وَالتَّدَلُّ عَلَى بَابِهِ تَقَرُّبٌ  
وِطَاعَةٌ .. وَلِلْمِحَنِ وَالْمَصَائِبِ حِكْمٌ : مِنْ أَمَمَّا أَنَّهَا تَسُوقُ صَاحِبَهَا إِلَى بَابِ اللَّهِ  
تَعَالَى وَتُلْبِسُهُ جِلْبَابَ الْعُبُودِيَّةِ لَهُ . فَلَيْسَ إِذَنْ بَيْنَ الصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالشُّكْوَى  
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَى تَعَارُضٍ ، بَلِ الْوَاقِعُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُنَا فِي حَيَاتِهِ  
كِلَا الْأَمْرَيْنِ : فَكَانَ بِصَبْرِهِ الشَّدِيدِ عَلَى الْمِحَنِ يُعَلِّمُنَا أَنَّ هَذِهِ هِيَ وَظِيفَةُ  
الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً وَالدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ خَاصَّةً ، وَكَانَ بِطُولِ ضِرَاعَتِهِ وَالتَّجَائِهِ إِلَى اللَّهِ  
تَعَالَى يُعَلِّمُنَا وَظِيفَةَ الْعُبُودِيَّةِ وَمُقْتَضِيَاتِهَا : عَلَى أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ مَهْمَا  
تَسَامَتَ فِيهَا لَا تَتَجَاوَزُ دَائِرَةَ بَشَرِيَّتِهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَالْإِنْسَانُ مَجْبُودٌ فِي أَصْلِ  
فِطْرَتِهِ عَلَى الْإِحْسَاسِ وَالشُّعُورِ .. الشُّعُورُ بِلَذَّةِ النَّعِيمِ وَالشُّعُورُ بِالْأَلَمِ الْعَذَابِ ،  
وَهُوَ مَجْبُودٌ عَلَى الرُّكُونِ إِلَى الْأَوَّلِ وَالْفَرْعِ مِنَ الثَّانِي .

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى وَهُوَ يُوَطَّنُ نَفْسَهُ لِتَلْقَى كُلَّ أَنْوَاعِ الضَّرِّ  
وَالْعَذَابِ فِي سَبِيلِ رَبِّهِ فَهُوَ مَعَ ذَلِكَ بَشَرٌ ، يَتَأَلَّمُ لِلضَّرِّ وَيَسْتَرْجِعُ لِلنَّعِيمِ .  
وَلَكِنَّهُ ﷺ مَعَ هَذَا يُفَضِّلُ الضَّرَّ مَهْمَا كَانَتْ أَلَمُهُ ، عَلَى النَّعِيمِ مَهْمَا كَانَتْ  
لَذَائِذُهُ . إِرْضَاءً لِرُوحِهِ رَبِّهِ وَأَدَاءً لِحَقِّ الْعُبُودِيَّةِ عَلَيْهِ : وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا هُوَ مَنَاطُ  
اسْتِحْصَالِ الثَّوَابِ وَظُهُورِ مَعْنَى التَّكْلِيفِ لِلْإِنْسَانِ .



## النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ وَالْإِسْلَامَ عَلَى الْقَبَائِلِ

وَمُنْذُ عَوْدَتِهِ مِنَ الطَّائِفِ إِلَى مَكَّةَ ( فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْبِعْثَةِ ) .  
اسْتَأْنَفَ ﷺ عَرَضَ الْإِسْلَامِ عَلَى الْقَبَائِلِ وَالْأَفْرَادِ ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ  
الْإِسْلَامَ عَلَى الْقَبَائِلِ مُنْذُ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْبِعْثَةِ .

حَتَّى إِنَّهُ لَيَقِفُ عَلَى مَنَازِلِ الْقَبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ بِ ( مَنِى ) فَيَقُولُ ﷺ : يَا بَنِي  
فُلَانِ .. إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ  
تَعْلَمُوا مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْدَادِ وَأَنْ تُؤْمِنُوا بِي وَتُصَدِّقُوا بِي وَتَمْنَعُونِي  
حَتَّى أُبَيِّنَ عَنِ اللَّهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ .

كَمَا كَانَ يَقِفُ ﷺ فِي سُوقِ ( ذِي الْمَجَازِ ) وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ .. قُولُوا  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ هُوَ ( أَبُو لَهَبٍ )  
وَفِي رِوَايَةٍ ( أَبُو جَهْلٍ ) يَقُولُ إِنَّهُ صَابِيَةٌ كَذَابٌ .

وَاجْتَهَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَرَضِ نَفْسِهِ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي مَجَامِعِهِمْ بِالْمَوْسِمِ  
بِ ( مَنِى ، وَعَرَفَاتٍ ) أَيُّهُمْ يَمْنَعُهُ وَيُؤْوِيهِ .

وَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغْبِرَةِ لِيَأْمُرَهُمْ بِمَا يَرْمُونَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فِي  
الْمَوْسِمِ ، لِتَكُونَ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَقُولُوا سَاحِرٌ أَوْ شَاعِرٌ أَوْ  
كَاهِنٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، فَقَالَ : ( وَاللَّهِ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ وَلَا سَاحِرٍ وَلَا كَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ،  
وَلَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ ، وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ ) ، قَالُوا : فَكَيْفَ  
نَقُولُ فِيهِ ؟ . فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : ( إِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ فِيهِ أَنْ تَقُولُوا سَاحِرٌ ،  
جَاءَ بِقَوْلٍ هُوَ سِحْرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ ) ، فَتَفَرَّقُوا  
عَلَى ذَلِكَ ، وَجَعَلُوا يُقُونَهُ إِلَى مَنْ قَدِمَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَوْسِمِ .

وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ يَقْفُو أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَلَّمَا أَتَى قَوْمًا وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ كَذَّبَهُ عَمَّهُ  
وَحَدَرَهُمْ مِنْهُ .

وفي الوليد بن المغيرة أنزل الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ● سَأَرِهَقُهُ صُعُودًا ● إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ● فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ● ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ● ثُمَّ نَظَرَ ● ثُمَّ عَبَسَ وَسَمَرَ ● ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ● فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ● إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ● سَأُصَلِّيهِ سَقَرَ ●﴾ (١).

من القبائل التي عرض عليها الإسلام:

(١) بنو كلب: أتى النبي ﷺ إلى بطن منهم: يقال لهم بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، حتى إنه ليقول لهم: يا بني عبد الله، إن الله قد أحسن اسم أبيكم.. فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.

(٢) بنو حنيفة (رهُط مُسَيْلِمَةَ الكَذَابِ): أتاهم في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه رداً منهم.

(٣) بنو عامر بن صعصعة: فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم (بيحرة بن فراس): والله لو أنني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال: رأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال ﷺ: (الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء)، فقال له: أفنهدف<sup>(٢)</sup> نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك.. فأبوا عليه.

ولما رجعت بنو عامر تحدّثوا إلى شيخ لهم لم يواف الموسم (لكبير سنه)، وقالوا له: جاءنا فتى من قريش من بني عبد المطلب يزعم أنه نبي، يدعونا أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا.. فوضع الشيخ يديه على رأسه، ثم قال يا بني عامر هل لها من تلافٍ؟ لذنا باها<sup>(٢)</sup> من مطلب؟ والذي نفس فلان بيده ما

(١) سورة المدثر (الآيات ١٦ - ٢٦).

(٢) نفوف: نصير هدها يرمى عليه. والهدف: العرض.

(٣) مثل يضرب لما فات، وأصله: من ذنابي الطائر إذا أفلت من جباله، فطلبت الأخذ بذناياه.

تَقَوْلَهَا إِسْمَاعِيلِيُّ قَطُّ وَإِنَّهَا لِحَقٌّ ، فَأَيُّنَ رَأَيْتُمْ كَانَ عَنْكُمْ ؟ (١)

عَرَضُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأَفْرَادِ :

وَكَمَا عَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامَ عَلَى الْقَبَائِلِ وَالْوُفُودِ ، عَرَضَ عَلَى الْأَفْرَادِ ، وَحَصَلَ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى رُدُودٍ صَالِحَةٍ ، وَأَمَنَ بِهِ عِدَّةٌ رِجَالٍ بَعْدَ هَذَا الْمَوْسِمِ بِقَلِيلٍ ، وَهَاكَ بَيَانًا بِهِمْ :

( ١ ) سُوَيْدُ بْنُ الصَّامِتِ : كَانَ شَاعِرًا لَبِيبًا مِنْ سُكَّانِ يَثْرِبَ ( الْمَدِينَةِ ) ، يُسَمِّيهِ قَوْمُهُ الْكَامِلَ ، لِحَدِيثِهِ وَشِعْرِهِ وَشَرَفِهِ وَنَسَبِهِ ، جَاءَ مَكَّةَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ : لَعَلَّ الَّذِي مَعَكَ مِثْلُ الَّذِي مَعِيَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَمَا الَّذِي مَعَكَ ، قَالَ : حِكْمَةٌ لُقْمَانَ ، قَالَ : اعْرِضْهَا عَلَيَّ ، فَعَرَضَهَا ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ حَسَنٌ ، وَالَّذِي مَعِيَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا : قُرْآنٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ ، هُوَ هُدًى وَنُورٌ ، فَتَلَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ ، وَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَسْلَمَ ، وَقَالَ : إِنَّ هَذَا لَقَوْلُ حَسَنٍ .. فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَتِلَ يَوْمَ بُعَاثَ ، وَكَانَ إِسْلَامُهُ فِي أَوَائِلِ سَنَةِ ١١ مِنْ بَعَثَتِهِ ﷺ .

( ٢ ) إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ : كَانَ غُلَامًا حَدَثًا مِنْ سُكَّانِ يَثْرِبَ ، قَدِيمٌ فِي وَفْدٍ مِنَ الْأَوْسِ ، جَاءُوا يَلْتَمِسُونَ الْجَلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى قَوْمِهِمْ مِنَ الْخَزْرَجِ وَذَلِكَ قُبَيْلٌ ( حَرْبُ بُعَاثَ ) فِي أَوَائِلِ سَنَةِ ١١ مِنَ الْبِعْثَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، إِذْ كَانَتْ نِيرَانُ الْعِدَاوَةِ مُتَقَدَّةً فِي يَثْرِبَ بَيْنَ الْقَبِيلَتَيْنِ ( وَكَانَ الْأَوْسُ أَقَلَّ عِدَدًا مِنَ الْخَزْرَجِ ) ، فَلَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَقْدَمِهِمْ ، جَاءَهُمْ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ ؟ فَقَالُوا : وَمَا ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ ، أَدْعُوهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ ، ثُمَّ

ذَكَرَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ : أَيُّ قَوْمٍ .. هَذَا  
وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ ، فَأَخَذَ أَبُو الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ ( رَجُلٌ كَانَ فِي الْوَفْدِ )  
جَفَنَةً مِنْ تُرَابِ الْبَطْحَاءِ فَرَمَى بِهَا وَجْهَ إِيَّاسٍ ، وَقَالَ دَعْنَا عَنْكَ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ  
جِئْنَا لِغَيْرِ هَذَا ، فَصَمَتَ إِيَّاسٌ وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ  
غَيْرِ أَنْ يَنْجَحُوا فِي عَقْدِ حِلْفٍ مَعَ قُرَيْشٍ .

قَالَ مَحْمُودُ بْنُ لَبِيدٍ : وَكَانَ وَقَعَةٌ بَعَاثٍ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَّاسُ  
بُنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ ، فَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ : أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا  
يَسْمَعُونَهُ يَهْلُلُ اللَّهُ تَعَالَى وَيُكَبِّرُهُ وَيَحْمَدُهُ وَيُسَبِّحُهُ حَتَّى مَاتَ ، فَمَا كَانُوا يَشْكُونَ  
أَنَّهُ مَاتَ مُسْلِمًا .. لَقَدْ كَانَ اسْتَشْعَرَ الْإِسْلَامَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ حِينَ سَمِعَ مِنْ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا سَمِعَ (١)

( ٢ ) أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ : وَكَانَ مِنْ سُكَّانِ نَوَاحِي يَثْرِبَ ، وَلَمَّا بَلَغَ إِلَى يَثْرِبَ خَبِرَ  
مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ بِسُؤِيدِ بْنِ الصَّامِتِ ، وَإِيَّاسِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَقَعَ فِي أُذُنِ أَبِي ذَرٍّ  
أَيْضًا ، وَصَارَ سَبَبًا لِإِسْلَامِهِ .

وَقِصَّةُ إِسْلَامِهِ ﷺ مَرَّتْ مَعَنَا فِيمَا سَبَقَ .

( ٤ ) الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدُّوسِيُّ ( مِنْ قَبِيلَةِ دَوْسٍ عَشِيرَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ الصَّحَابِيِّ  
الشَّهِيرِ ) ، وَكَانَ رَجُلًا شَرِيفًا شَاعِرًا لَبِيبًا رَئِيسَ قَبِيلَةِ دَوْسٍ ، وَكَانَ لِقَبِيلَتِهِ  
إِمَارَةً أَوْ شِبْهَ إِمَارَةٍ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْيَمَنِ ، قَدِمَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْحَادِي عَشَرَ  
مِنْ بَعْتِهِ ﷺ ، فَاسْتَقْبَلَهُ أَهْلُهَا قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا ، وَبَدَّلُوا لَهُ أَجَلَ تَحِيَّةٍ وَإِكْرَامٍ  
وَتَقْدِيرٍ ، وَقَالُوا لَهُ يَا طُّفَيْلُ .. إِنَّكَ قَدِيمَتَ بِلَادِنَا ، وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ  
أَظْهُرِنَا هَذَا أَعْضَلُ بِنَا ، وَقَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتْ أَمْرَنَا ، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسَّحْرِ ؛  
يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَبِيهِ ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَأَخِيهِ ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَزَوْجِهِ ، وَإِنَّا نَخْشَى

عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا ، فَلَا تَكَلِّمُهُ وَلَا تَسْمَعَنَّ مِنْهُ شَيْئاً .

يَقُولُ الطُّفَيْلُ : فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا بِي حَتَّى أَجْمَعْتُ أَنْ لَا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئاً وَلَا أُكَلِّمُهُ ،  
حَتَّى حَشَوْتُ أذُنِي جِئِنَ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفًا ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ  
مِنْ قَوْلِهِ ، قَالَ : فَغَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَقُمْتُ  
قَرِيباً مِنْهُ ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ ، فَسَمِعْتُ كَلَاماً حَسَنًا ، فَقُلْتُ  
فِي نَفْسِي : وَائْتَكَلَ أُمِّي ، وَاللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ ، مَا يَخْفَى عَلَيَّ الْحَسَنُ مِنَ  
الْقَبِيحِ ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ ؟ فَإِنْ كَانَ حَسَنًا قَبِلْتُهُ ،  
وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْتُهُ ، فَمَكَثْتُ حَتَّى انْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ ، فَاتَّبَعْتُهُ ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ  
بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ قِصَّةَ مَقْدِمِي ، وَتَخَوِيفِ النَّاسِ إِيَّايَ ، وَسَدِّ  
الْأُذُنِ بِالْكَرْسُفِ ، ثُمَّ سَمِعَ بَعْضَ كَلَامِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : اعْرِضْ عَلَيَّ أَمْرَكَ ،  
فَعَرَضَ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ ، فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ،  
وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ ، فَأَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، وَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي مُطَاعٌ فِي  
قَوْمِي ، وَرَاجِعٌ إِلَيْهِمْ ، وَدَاعِيهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً ،  
فَدَعَا ﷺ .

وَكَانَتْ آيَتُهُ أَنَّهُ لَمَّا دَنَا مِنْ قَوْمِهِ جَعَلَ اللَّهُ نُورًا فِي وَجْهِهِ مِثْلَ الْمِصْبَاحِ ، فَقَالَ :  
اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ ، أَخْشَى أَنْ يَقُولُوا : هَذِهِ مُثَلَّةٌ ، فَتَحَوَّلَ النُّورُ إِلَى سَوْطِهِ ،  
فَدَعَا أَبَاهُ وَزَوْجَتَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَا ، وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ فِي الْإِسْلَامِ . لَكِنْ  
لَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى هَاجَرَ بَعْدَ ( الْخَنْدَقِ ) وَمَعَهُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ بَيْتًا مِنْ قَوْمِهِ ،  
وَقَدْ أَبْلَى فِي الْإِسْلَامِ بِلَاءً حَسَنًا ، وَاسْتَشْهَدَ ﷺ يَوْمَ الْيَمَامَةِ (١) .

( ٥ ) ضِمَادُ الْأَزْدِيِّ : كَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَاءَةَ مِنَ الْيَمَنِ ( وَكَانَ يَرْقِي مِنَ الرِّيحِ  
الْمُسَبِّبِ لِلْجُنُونِ ) قَدِمَ مَكَّةَ فَسَمِعَ سُفَهَاةَا يَقُولُونَ : إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ ، فَقَالَ

نَوَّأَنِي أَتَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَيَّ يَدِي ، فَلَقِيَهُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ،  
 إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذَا الرِّيحِ ، فَهَلْ لَكَ ؟ .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ  
 نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ،  
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،  
 أَمَا بَعْدُ ) .

فَقَالَ : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ .. فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ،  
 فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ  
 كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ ، وَلَقَدْ بَلَغَنَ قَامُوسَ الْبَحْرِ .. هَاتِ يَدَكَ أَبِيْعُكَ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ  
 فَبَايَعَهُ (١) .

أَبْتِدَاءُ أَمْرِ الْأَنْصَارِ :

وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى كَرَامَةَ الْأَنْصَارِ ، وَإِعْزَازَ دِينِهِ بِهِمْ ، لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ سِتَّةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مَا عَرَضَ عَلَى غَيْرِهِمْ ، فَقَالُوا  
 فِيمَا بَيْنَهُمْ : وَإِنَّهُ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تُوَاعِدُنَا بِهِ الْيَهُودُ ، فَلَا يَسْبِقُونَا إِلَيْهِ (٢) .  
 وَكَانَ الْيَهُودُ يَقُولُونَ لَهُمْ : قَدْ أَظَلَّ (٣) زَمَانُ نَبِيِّ سَوْفَ نَتَّبِعُهُ وَنُقَاتِلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ  
 وَإِرَمَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا  
 جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِمْ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٤) .

وَكَانُوا قَدْ وُضِعَتْ عَلَيْهِمْ تَكَالِيفُ شَاقَّةٌ ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ مِنْ  
 قَبْلُ ، فَوَعِدُوا بِوَضْعِ التَّكَالِيفِ وَجِلِّ الطَّيِّبَاتِ عَلَى لِسَانِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَهُوَ  
 مَعْنَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي  
 يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ  
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُهُمُ الْحَبِثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ

(١) بِشِكَاةِ الْمَصَابِيحِ (أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي بَابِ عِلَامَاتِ النَّبُوَّةِ) . (٢) سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ .

(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ (مِنَ الْآيَةِ ٨٩) ، يَسْتَفْتِحُونَ : يَسْتَنْصِرُونَ .

(٣) أَظَلَّ : قَرَّبَ .

إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَلِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) (١)

وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ (٢)

إِسْلَامُ النَّفَرِ الَّذِينَ لَقِيَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَوْسِمِ :

وكان ذلك في موسم الحج من السنة الحادية عشرة من بعثته ﷺ ، فلما عرض نفسه على السنة من الأنصار وهم ( أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ، ورافع بن مالك ، وقُطبة بن عامر ، وعقبة بن عامر ، وجابر بن عبد الله بن رباب ) ﷺ ، أتوه ليلاً فأمنوا به وصدقوه ، وقالوا : إن قومنا بينهم العداوة والبغضاء ، فإن جمعنا الله بك فلا رجل أعز علينا منك .

فلما قدموا ( المدينة ) أخبروا قومهم ، وفشا فيهم الإسلام ، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ .

وكان ذلك عقب يوم ( بُعث ) (٣) وهو يوم وقعت فيه مقتله عظيمة بين الأوس والخزرج في شوال في هذه السنة .

وفي ( صحيح البخاري ) : كان يوم ( بُعث ) يوماً قدمه الله لرسوله ، فقدم رسول الله وقد افترق ملوئهم ، وهتكت سرواتهم ، وجرحوا ، فدخلوا في الإسلام (٤) زواج النبي ﷺ من عائشة الصديقة (رضي الله عنها) :

وفي شوال من السنة الحادية عشرة للبعثة ، عقد نكاح عائشة (رضي الله عنها) وهي بنت بست سنين ، وبنى بها (رضي الله عنها) وهي بنت تسع بالمدينة المنورة في شوال من السنة الأولى للهجرة .

وفي ( الصحيحين ) ، أنه ﷺ قال لعائشة : أريتك في المنام مرتين ، رأيت الملك يحملك في سرقفة من حرير ، فقال هذه زوجتك ، فأكشفت ، فإذا هي

(١) سورة الأعراف ( من الآية ١٥٧ ) .

(٢) سورة البقرة ( من الآية ٢٨٦ ) .

(٣) بُعث : موضع قرب المدينة .

(٤) أخرجه البخاري ، سرواتهم : خيازم وعظامهم .

أَنْتِ ، فَقُلْتُ : إِنْ يُكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضْهُ (١) .

## بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى :

وَلَمَّا كَانَ الْمَوْسِمُ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ ، وَافَاهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَبَايَعُوهُ عِنْدَ ( الْعَقَبَةِ ) بَيْعَةَ النِّسَاءِ : أَيِ وَفَقَ مَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ بَيْعَةَ النِّسَاءِ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ .

﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢)

وَقَدْ تَمَّتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ لِلْبَيْعَةِ ، قَبْلَ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بِسَنَةِ وَثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، وَالْإِثْنَا عَشَرَ رَجُلًا هُمْ : أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَعَوْفُ وَمُعَاذُ ابْنَا الْحَارِثِ ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ ، وَذُكْوَانُ بْنُ قَيْسٍ وَعُبادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَيزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ، وَقُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ( وَهُؤُلَاءِ مِنْ الْخَزْرَجِ ) ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ ، وَعُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ ( وَهُمَا مِنَ الْأَوْسِ ) .

رَوَى الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ( تَعَالَوْا ، بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ ، فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَاقِبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ ) ، قَالَ : فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ .



بَعَثَ مُصْعَبٌ رضي الله عنه إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَنْتَشَرَ الْإِسْلَامَ فِيهَا :

وَبَعْدَ أَنْ تَمَّتِ الْبَيْعَةُ وَأَنْتَهَى الْمَوْسِمُ بَعَثَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه مَعَ هَؤُلَاءِ الْمُبَايِعِينَ أَوْلَ سَفِيرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، لِيُعَلِّمَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا شُرَائِعَ الْإِسْلَامِ وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ وَيَقُومَ بِنَشْرِ الْإِسْلَامِ بَيْنَ الَّذِينَ لَمْ يَزَالُوا عَلَى الشَّرْكِ ، وَاخْتَارَ صلوات الله عليه لِهَذِهِ السَّفَارَةِ شَابًّا مِنْ شَبَابِ الْإِسْلَامِ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَهُوَ : مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرِ الْعَبْدَرِيِّ رضي الله عنه .

وَنَزَلَ ( مُصْعَبٌ ) عَلَى أَحَدِ الْمُبَايِعِينَ ( أَبِي أَمَامَةَ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ ) وَصَارَ يَدْعُو بِبَيْتَةِ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ لِلْإِسْلَامِ ، وَبَيْنَمَا هُوَ فِي بُسْتَانٍ مَعَ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ ، إِذْ قَالَ ( سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ) رَئِيسُ الْأَوْسِ لـ ( أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ ) ابْنِ عَمِّ سَعْدٍ :  
أَذْهَبَ إِلَى هَذَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا لِيُسَفِّهَا ضُعْفَاءَنَا فَازْجُرْهُمَا ، فَإِنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ ابْنُ خَالَتِي ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَفَيْتَكَ هَذَا .

فَقَامَ لَهُمَا أَسِيدٌ بِحَرْبَتِهِ ، فَلَمَّا رَأَهُ أَسْعَدُ ، قَالَ لِمُصْعَبٍ : هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ وَقَدْ جَاءَكَ ، فَاصْطَدِّقِ اللَّهَ فِيهِ .

فَلَمَّا وَفَّ عَلَيْهِمَا ، قَالَ : مَا جَاءَ بِكُمْ تُسَفِّهَانِ ضُعْفَاءَنَا ، اعْتَزَلَا إِنْ كَانَ لَكُمْ بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ .. فَقَالَ مُصْعَبٌ : أَوْ تَجْلِسُ فَتَسْمَعُ ؟ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كَفَفْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ ، فَحَقَّرَ عَلَيْهِ مُصْعَبٌ الْقُرْآنَ ، فَاسْتَحْسَنَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَهَدَاهُ اللَّهُ لَهُ ، فَتَشَهَّدَ وَرَجَعَ إِلَى سَعْدٍ فَسَأَلَهُ عَمَّا فَعَلَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ بِالرَّجُلَيْنِ بَأْسًا ، فَغَضِبَ سَعْدٌ وَقَامَ لَهُمَا مُتَغَيِّظًا ، فَفَعَلَ مَعَهُ مُصْعَبٌ كَسَابِقِهِ ، فَهَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَرَجَعَ لِرِجَالِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ( وَهُمْ بَطْنٌ مِنْ الْأَوْسِ ) فَقَالَ لَهُمْ : مَا تَعْدُونَنِي فِيكُمْ ؟ قَالُوا : سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا ، قَالَ : كَلَامُ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَى حَرَامٍ حَتَّى تُسَلِّمُوا ، فَمَا أَمْسَى فِيهِمْ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا وَهُوَ ( الْأَصِيرِمُ ) تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَى يَوْمِ أَحَدٍ ،

فَأَسْلَمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَقَاتَلَ وَقُتِلَ ، وَلَمْ يَسْجُدْ لِلَّهِ سَجْدَةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :  
( عَمَلٌ قَلِيلٌ وَأُجْرٌ كَثِيرٌ ) .

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ أَسْلَمَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ .

وَهَكَذَا أَسْلَمَ عَلَى يَدَيِ مُضْعَبِ السَّفْدَانِ : سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ ، وَسَعْدُ بْنُ  
عُبَادَةَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ ، فَأَسْلَمَ لِإِسْلَامِهِمَا كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِمَا .



## مُعْجَزَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

الزَّمَانُ وَالْمَكَانُ : وَقَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسَنَةِ ( عَلَى مَا رَجَّحَهُ الْقَاضِي فِي شِفَائِهِ )  
 وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي رَوَيْتِهِ إِنَّهُ كَانَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ ( أَكْرَمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ )  
 بِالتَّوَجُّهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا  
 بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ فِي صُحْبَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَلِكَ هُوَ الْإِسْرَاءُ . .

أَمَّا الْمِعْرَاجُ : فَهُوَ مَا أَعْقَبَ ذَلِكَ مِنَ الْعُرُوجِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى طَبَقَاتِ السَّمَاوَاتِ  
 الْعُلَا ثُمَّ الْوُصُولِ بِهِ إِلَى حَدِّ انْقِطَعَتْ عِنْدَهُ عُلُومُ الْخَلَائِقِ مِنْ مَلَائِكَةٍ وَإِنْدَ  
 وَجَانِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَجُمْهُورُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الرَّحْلَةَ كَانَتْ بِالْجِسْمِ وَالرُّوحِ مَعًا ، وَلِذَلِكَ فَهِ  
 مِنْ مُعْجَزَاتِهِ الْبَاهِرَةِ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهَا .

وَالْأَصْلُ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ  
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا  
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ● فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ● فَأَوْحَى إِلَى  
 عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ● مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ● أَفَتُمْتَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ●  
 وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ● عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ● عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ●  
 إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ● مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ● لَقَدْ رَأَى مِنْ  
 آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ● ﴾ (٢)

حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ : وَلَا خِلَافَ بَيْنَ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَاءِ الدِّينِ فِي  
 صِحَّةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ هُوَ نَصُّ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَرَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ  
 الصَّحَابَةِ كَمَا أَخْرَجَهُ الْحُقَافُ فِي أَصُولِ الْإِسْلَامِ الْمَشْهُورَةِ ، وَلَكِنَّ أَكْمَلَ  
 تَرْتِيبًا وَوَضْعًا مَا رَوَاهُ ( مُسْلِمٌ ) فِي ( صَحِيحِهِ ) مِنْ حَدِيثِ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ :

( أُتِيَتْ بِالْبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أبيضُ طَوِيلٌ ، فَوْقَ الحِمَارِ وَدُونَ البَعْلِ ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ - قَالَ : فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ ، فَرَبَطْتُهُ بِالحَلْقَةِ الَّتِي تَرِبُّطُ الأنبياءِ ، ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ ، فَجَاءَنِي جَبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ جَبْرِيلُ : اخْتَرْتُ الفِطْرَةَ .<sup>(١)</sup> )

ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ ، فَاسْتَفْتَحَ<sup>(٢)</sup> جَبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ ، قَالَ : جَبْرِيلُ ، فَقِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ ، قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ ، قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا .. فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ عليه السلام فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ ، قَالَ : جَبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ ، قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ ، قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا .. فَإِذَا أَنَا بِأَبْنِي الخَالَةِ : عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ( فَذَكَرَ مِثْلَ الأوَّلِ ) فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عليه السلام وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ ( أَي : نِصْفَهُ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْطَى عُسْرَهُ أَوْ دُونَهُ أَوْ فَوْقَهُ ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَكْمَلَ لَهُ الحُسْنَ ، وَيَتَعَيَّنُ أَنَّهُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ) ، قَالَ : فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ( وَذَكَرَ مِثْلَهُ ) فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ عليه السلام فَرَحَّبَ

(١) قَالَ د . محمد أبو شهبة : عَبَّرَ عَنِ اللَّبَنِ بِالفِطْرَةِ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ بَطْنِ المَوْلُودِ وَيَشُقُّ أَمْعَاءَهُ . وَهُوَ الفِداءُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَضَعُهُ غَيْرُ اللَّهِ ، وَالفِداءُ الكَامِلُ المُسْتَوْفَى لِلْمَنَاصِرِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الجِسْمُ فِي بِنَائِهِ وَنُمُوهِ . مَعَ كَوْنِهِ طَيِّبًا سَائِقًا لِلشَّارِبِينَ ، وَهَذَا تَكَرَّرَ هَذَا العَرَضُ مَرَّتَيْنِ ، مَرَّةً بَعْدَ الصَّلَاةِ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ . وَمَرَّةً فِي السَّمَاءِ كَمَا فِي الحَدِيثِ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ ( السَّبِيحَةُ النَبَوِيَّةُ فِي ضَوْءِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ) .

(٢) اسْتَفْتَحَ : طَلَبَ فَتْحَ البَابِ . وَلِلَّهِ مَلَائِكَةٌ مُوَكَّلُونَ بِكُلِّ مَا خَلَقَ ، وَلَهُ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ .

(٣) وَهَذَا عَلَى أَنَّ مَرْيَمَ وَإِشَاعَ أُمَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا أُخْتَانِ . وَقِيلَ : إِنَّ إِشَاعَ خَالَةَ مَرْيَمَ ، فَيَكُونُ فِي البَيَارَةِ سَامِعًا ؛ وَلَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ عَرَفًا فِي بَعْضِ البِلَادِ العَرَبِيَّةِ نَعْدُ خَالَةَ الأُمِّ خَالَةَ لِلانْبِ .

بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ . - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (١)

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ ( فَذَكَرَ مِثْلَهُ ) فَإِذَا أَنَا بِبِهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَحَبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ( فَذَكَرَ مِثْلَهُ ) فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَحَبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ( فَذَكَرَ مِثْلَهُ ) فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ .

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، فَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ ( أَي : تَلَوَّنَتْ بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ ) فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا .

قَالَ : فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى ، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَتَزَلْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ ؟ ، قُلْتُ : خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ وَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَّرْتُهُمْ ، قَالَ فَارْجِعْتُ إِلَى رَبِّي ، فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ، خَفَّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي ، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فَارْجِعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقُلْتُ : حَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فَقَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ مُوسَى ، حَتَّى قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا - وَفِي رِوَايَةٍ : كُتِبَتْ حَسَنَةٌ - فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ

(٢) يَعْنِي فِي الشُّكْلِ وَالْحَجْمِ .

(١) سُورَةُ مَرْيَمَ ( الْآيَةُ ٥٧ ) .

(٢) الْقِلَالُ : آيَةٌ مِنَ الْفَخَّارِ يُشْرَبُ مِنْهَا ، مُفْرَدًا : قَلَّةٌ .

وَاحِدَةً ، قَالَ : فَتَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : ارْجِعْ  
إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : ( قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي  
حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ ) (١) ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ لَيْلَتِهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى نَادِي قُرَيْشٍ ،  
فَجَاءَ إِلَيْهِ أَبُو جَهْلٍ ، فَحَدَّثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا جَرَى لَهُ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : يَا  
بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ هَلُمُّوا ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ ، فَأَخْبَرَهُمُ الرَّسُولُ الْخَبَرَ ،  
فَصَارُوا بَيْنَ مُصَفَّقٍ وَوَاضِعِ يَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ تَعْجِبًا وَإِنْكَارًا ، وَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ  
آمَنَ بِهِ مِنْ ضِعَافِ الْقُلُوبِ ، وَسَمَى رِجَالًا بِالْخَبْرِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : إِنْ  
كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ .. قَالُوا : أَتُصَدِّقُهُ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ إِنِّي لِأُصَدِّقُهُ عَلَى  
أَبَعْدِ مِنْ ذَلِكَ ، فَسُمِّيَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ صَدِيقًا .

ثُمَّ قَامَ الْمُشْرِكُونَ يَمْتَحِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلُوهُ نَعْتَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَفِيهِمْ  
رِجَالٌ رَأَوْهُ ، أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَكُنْ رَأَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَجَلَّاهُ اللَّهُ فَصَارَ يَصِفُهُ  
لَهُمْ بَابًا بَابًا وَمَوْضِعًا مَوْضِعًا ، فَقَالُوا : أَمَّا النَّعْتُ فَقَدْ أَصَابَ .. فَأَخْبَرْنَا عَنْ  
عَيْرِنَا ، وَكَانَتْ لَهُمْ عَيْرٌ قَادِمَةٌ مِنَ الشَّامِ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِعَدَدِ جَمَالِهَا وَأَحْوَالِهَا ،  
وَقَالَ ﷺ : ( تَقْدُمُ يَوْمَ كَذَا مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقٌ ) (٢) ، فَخَرَجُوا  
يَرْقُبُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ نَحْوَ النَّبِيَّةِ ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : هَذِهِ وَاللَّهِ الشَّمْسُ قَدْ أَشْرَقَتْ  
فَقَالَ آخَرُ : وَهَذِهِ وَاللَّهِ الْعَيْرُ قَدْ أَقْبَلَتْ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقٌ كَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ .. فَلَمْ  
يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا كِبْرًا وَعِنَادًا ، حَتَّى قَالُوا : هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ .

وَفِي صَبِيحَةِ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ جَاءَ جِبْرِيلُ وَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَيْفِيَةَ الصَّلَاةِ وَأَوْقَاتِهَا :  
فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ إِذَا ظَهَرَ الْفَجْرُ ، وَأَرْبَعَ رَكَعَاتٍ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ ، وَمِثْلَهَا إِذَا  
ضَوْعَفَ ظِلُّ الشَّيْءِ ، وَثَلَاثًا إِذَا غَرَبَتْ ، وَأَرْبَعًا إِذَا غَابَ الشَّفَقُ الْأَحْمَرُ .. وَكَانَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَشْرُوعِيَةِ الصَّلَاةِ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ صَبَاحًا ، وَمِثْلَهَا مَسَاءً كَمَا كَانَ يَفْعَلُ  
خَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٢) الْأَوْرَقُ : مَا كَانَ لَوْنُهُ كَلَوْنِ الرَّمَادِ .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

(٢) النَّبِيَّةُ : الطَّرِيقُ الصَّاعِدُ فِي الْجَبَلِ ، أَوْ الْفُرْجَةُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ .

## قراءة في بعض دقائق الإسراء والمعراج :

\* يلاحظ القاريء في سورة الإسراء أن الله ذكر قصة الإسراء في آية واحدة فقط ، ثم أخذ في ذكر فساد وعناد اليهود ، ثم نبههم بأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، فربما يظن القاريء أن الآيتين ليس بينهما ارتباط ، والأمر ليس كذلك ، فإن الله تعالى يشير بهذا الأسلوب إلى أن الإسراء إنما وقع إلى بيت المقدس ؛ لأن اليهود سيعزلون عن منصب قيادة الأمة الإنسانية ؛ لما ارتكبوا من الجرائم التي لم يبق معها مجال لبقائهم على هذا المنصب ، وأن الله سينقل هذا المنصب فعلاً إلى رسوله ﷺ ، ويجمع له مركزي الدعوة الإبراهيمية كليهما ، فقد أن أوان انتقال القيادة الروحية من أمة إلى أمة ؛ من أمة ملأت تاريخها بالقدر والمكر والإثم والعدوان ، إلى أمة تتدفق بالبر والخير لإسعاد الإنسان .

\* إن أوجز وأعظم ما ورد في تليل هذه الرحلة هو قوله تعالى : ﴿ لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ <sup>(١)</sup> وبعد أن حقق ذلك لحبيبه ومضطفاه ، قال الحق جل في علاه :

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ <sup>(٢)</sup>

\* في الحكمة من ركوب البراق مع قدرة الله تعالى على طي المسافة له ؛ هي إكرامه ﷺ بما جرت به العادة مع خرقها ، إذ الملوك يبعثون لمن استدعوه بمركوب .. وجزم جماعة من المحققين بأنه لم يجاوز سدرة المنتهى أحد إلا الحبيب محمد ﷺ ، ويؤيده قوله ﷺ : ﴿ إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض ﴾ <sup>(٣)</sup> .

\* في الحكمة في الإسراء به ﷺ إلى ( بيت المقدس ) ، ما ذكره كعب الأخبار أن باب السماء الذي يسمى ( مضعد الملائكة ) يقابله ( بيت المقدس ) ، كما أن ( البيت المعمور ) مقابل ( الكعبة ) .

(٢) أخرجه مسلم .

(٢) سورة النجم ( الآية ١٨ ) .

(١) سورة الإسراء ( من الآية ١ ) .

وَأَيْضاً لِيُحَوِّزَ ﷺ فَضَلَ شَدِّ الرَّحَالِ إِلَى الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ (١)  
 وَإِنَّ فِي الْاِقْتِرَانِ الزَّمَنِيِّ بَيْنَ إِسْرَائِهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْعُرُوجِ بِهِ ﷺ إِلَى  
 السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ، لَدَلَالَةٍ بَاهِرَةٌ عَلَى مَدَى مَا لِهَذَا الْبَيْتِ مِنْ مَكَانَةٍ وَقُدْسِيَّةٍ عِنْدَ  
 اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ أَيْضاً عَلَى الْعَلَاقَةِ الْوَثِيقَةِ بَيْنَ مَا بُعِثَ بِهِ كُلٌّ مِنْ  
 عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَمُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَعَلَى مَا بَيْنَ  
 الْأَنْبِيَاءِ مِنْ رَابِطَةِ الدِّينِ الْوَاحِدِ الَّذِي ابْتَعَثَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ .

وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى مَدَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوجَدَ لَدَى الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ عَصْرِ وَوَقْتٍ ، مِنْ  
 الْحِفَاظِ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَحِمَايَتِهَا مِنْ مَطَامِعِ الدُّخْلَاءِ وَأَعْدَاءِ  
 الدِّينِ ، وَكَأَنَّ الْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ تُهَيِّبُ بِمُسْلِمِي هَذَا الْعَصْرِ أَنْ لَا يَهْنُؤُوا وَلَا يَجْبِنُوا  
 وَلَا يَتَّخِذُوا أَمَامَ الْعُدْوَانِ الصُّهْيُونِيِّ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَأَنْ يُطَهَّرُوهَا  
 مِنْ رَجْسِهِمْ ، وَيُعِيدُوهَا إِلَى أَصْحَابِهَا الْمُؤْمِنِينَ .

\* فِي قَوْلِهِ ﷺ : ( بِالْحَلَقَةِ الَّتِي تَرِبْتُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ ) إِشَارَةٌ إِلَى أَنْ رُكُوبَ الْبُرَاقِ  
 لِلْإِسْرَاءِ غَيْرُ مُخْتَصِّ بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَيُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُ جِبْرِيلَ الْعَلِيِّ  
 ( فَمَا رَكِبَكَ عَبْدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ) .

\* فِي ظَاهِرِ قَوْلِ أَهْلِ كُلِّ سَمَاءٍ : ( وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ) ، إِشْكَالٌ لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِبَعْثِهِ  
 ﷺ إِلَّا بَعْدَ مُضِيِّ هَذِهِ الْمُدَّةِ ، مَعَ كَثْرَةِ تَرَدُّدِ جِبْرِيلَ فِيهَا ، وَانْتِشَارِهَا عِنْدَ أَهْلِ  
 الْأَرْضِ ، فَضْلاً عَنِ أَهْلِ السَّمَاءِ .

وَالْجَوَابُ : بِأَنَّهُ سُؤَالَ عَنِ الْبَعْثِ إِلَيْهِ لِلْعُرُوجِ الْمَتَوَقَّعِ عِنْدَهُمْ لِقَوْلِهِ : ( إِلَيْهِ ) .  
 وَإِنَّمَا لَمْ يُفْتَحْ لَهُ قَبْلَ مَجِيئِهِ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا فُتِحَ مِنْ أَجْلِهِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ  
 ( أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ ) (٢) .

\* أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ قَالَ : مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ ، إِلَّا آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ

(١) حَدِيثُ الْأَنْوَارِ وَمَطَالَعُ الْأَشْرَارِ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ . ١ . ( مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ بَحْرَقِ الْعَضْرَمِيُّ الشَّافِعِيُّ ) .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .



عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَا لَهُ : وَالابْنُ الصَّالِحُ (١)

لَقَدْ اِقْتَصَرَ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ لَقِيَهُم ﷺ فِي السَّمَاءِ عَلَى وَصْفِهِ بِصِفَةِ الصَّلَاحِ ،  
لَأَنَّ فِيهَا جِمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَالصَّالِحُ هُوَ الطَّيِّبُ فِي نَفْسِهِ ، الَّذِي يَقُومُ بِمَا عَلَيْهِ  
مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ الْعِبَادِ .

ثُمَّ إِنَّ كَلِمَةَ ( الصَّالِحِ ) فِضْفَاضَةٌ عَلَى إِطْلَاقِهَا :

فَهُوَ ﷺ صَالِحٌ لِلشَّفَاعَةِ لَدَى الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ ، وَصَالِحٌ لِأَنَّهُ يَتَوَسَّلُ بِهِ الْخَلْقُ إِلَى  
الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

\* فِي اجْتِمَاعِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْأَنْبِيَاءِ : الظَّاهِرُ أَنَّ أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ تَشَكَّلَتْ لَهُ فِي الْعَالَمِ  
الْأَعْلَى ، وَيَجُوزُ نَقْلُ أَجْسَادِهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ إِكْرَامًا لَهُمْ أَجْمَعِينَ .

وَيُؤَيِّدُ الْأَوَّلُ قَوْلَهُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ ( فَصَلَّى بِأَهْلِ السَّمَاءِ ، وَفِيهِمْ أَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاءِ )  
(٢)

وَالظَّاهِرُ أَيْضًا : أَنَّ اخْتِصَاصَ مَنْ لَقِيَهُ مِنْهُمْ فِي كُلِّ سَمَاءٍ ، وَهُمْ : آدَمُ ،  
وَعِيسَى ، وَيُوسُفُ ، وَإِدْرِيسُ ، وَهَارُونُ ، وَمُوسَى ، وَإِبْرَاهِيمُ ، بِحَسَبِ تَفَاوُثِهِمْ فِي  
الدَّرَجَاتِ : فَأَدَمُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا : لِأَنَّهُ أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ .. ثُمَّ عِيسَى فِي الثَّانِيَةِ :

لِأَنَّهُ أَقْرَبُ الْأَنْبِيَاءِ عَهْدًا بِمُحَمَّدٍ .. وَيُوسُفُ فِي الثَّلَاثَةِ : لِأَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ يَدْخُلُونَ  
الْجَنَّةَ عَلَى صُورَتِهِ .. وَإِدْرِيسُ فِي الرَّابِعَةِ : لِأَنَّهَا النُّوسَطَى وَقَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ مَكَانًا  
عَلِيًّا .. وَهَارُونُ فِي الْخَامِسَةِ : لِقُرْبِهِ مِنْ أَخِيهِ مُوسَى .. وَمُوسَى فِي السَّادِسَةِ :

لِفَضْلِهِ بِالتَّكْلِيمِ .. وَإِبْرَاهِيمُ فِي السَّابِعَةِ : لِأَنَّهُ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

وَالظَّاهِرُ مِنْ اخْتِصَاصِ مُرَاجَعَةِ سَيِّدِنَا مُوسَى لَهُ كَوْنُهُ أَشْبَهَ الرُّسُلِ بِسَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ فِي كَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ وَشَرَفِ الْكِتَابِ .. وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى طَلَاقَةِ قُدْرَةِ اللَّهِ :  
حَيْثُ انْتَفَعَ مِلْيَارَاتُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَدَارِ السَّاعَةِ بِنَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَخْفِيفِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ شِهَابٍ عَنِ ( أَنَسِ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَوْزَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي ( مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ) عَنِ ( أَبِي هُرَيْرَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْهِمْ ، وَسَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عُرْفِ الْمَحْجُوبِينَ عَنْ  
سَعَةِ فَضْلِ اللَّهِ لَيْسَ مِنَ الْأَحْيَاءِ ، وَهَذَا تَبَرُّزُ حَقِيقَةِ ثَابِتَةٍ :

أَنَّ ثَمَّةَ عَلاَقَةً مُؤَصَّلَةً بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ ، وَأَنَّ أَرْوَاحَ الصَّالِحِينَ لَهَا مِنَ التَّصَرُّفِ  
فِي بَرَاذِخِهَا عَلَى حَسَبِ دَرَجَاتِهَا عِنْدَ رَبِّهَا مَا لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا مَحْجُوبٌ وَشَقِيٌّ .

\* فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى : فِي رِوَايَةٍ : ( فَغَشِيَهَا الْوَانُ لَا أُدْرِي مَا  
هِيَ ، ثُمَّ أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ ) (١) . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ● عِنْدَهَا  
جَنَّةُ الْمَأْوَى ● إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ) (٢) .

وَفِي أُخْرَى : ( إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا  
يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا ) (٣) .

وَفِي ثَالِثَةٍ : هَذِهِ السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ ، خَلَا عَلَى  
سَبِيلِكَ ، وَهِيَ السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَى . (٤)

وَفِي رَابِعَةٍ : ( يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ  
يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَهِيَ  
شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يَقْطَعُهَا ، وَأَنَّ وَرَقَةً مِنْهَا مُظَلَّةٌ  
الْخَلْقِ ، فَغَشِيَهَا نُورُ الْخَالِقِ : وَغَشِيَتْهَا الْمَلَائِكَةُ ) (٥) .

وَفِي خَامِسَةٍ : ( ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ ) .  
وَفِي سَادِسَةٍ : مَا خُصَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ :

( أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا جَاءَ بِالْبُرَاقِ فَذَهَبَ لِيَرْكَبَ ، فَاسْتَعَصَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا  
جِبْرِيلُ : أَسْكِنِي ، فَوَاللَّهِ مَا رَكِبَكَ عَبْدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَكِبَهَا  
حَتَّى أَتَى بِهَا الْحِجَابَ الَّذِي يَلِي عَرْشَ الرَّحْمَنِ .. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ . (٢) سُورَةُ النَّجْمِ ( الْآيَاتُ ١٦ ، ١٥ ، ١٦ ) . (٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .  
(٤) الشُّفَا . (٥) أَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي ( مَجْمَعِ الرِّوَايَاتِ ) ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي ( دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .  
(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ ( أَبِي ذَرٍّ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . صَرِيْفُ الْأَقْلَامِ : هُوَ صَوْتُ مَا تَكْتُبُهُ الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْقَضِيَّةِ الَّتِي تَمَالَى وَوَحْيِهِ ،  
وَمَا يَسْخَرُونَهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ . أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ تَمَالَى أَنْ يُكْتَبَ وَيُرْفَعَ لِمَا أَرَادَهُ مِنْ أَمْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ .

مَلِكٍ مِنَ الْحِجَابِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ( مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيْلُ ؟ ) ، قَالَ : وَالَّذِي  
بِعَنَّاكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا إِنِّي لِأَقْرَبُ الْخَلْقِ مَكَانًا ، وَإِنَّ هَذَا الْمَلِكَ مَا رَأَيْتَهُ مُنْذُ خُلِقْتُ  
قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ ، فَأَذَّنَ الْمَلِكُ وَأَقَامَ ، وَأَخَذَ بِيَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدَّمَهُ فَصَلَّى بِأَهْلِ  
السَّمَاءِ ، وَفِيهِمْ أَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، ثُمَّ قَالَ مُحَمَّدٌ : ( يَا رَبِّ ، إِنَّكَ  
اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ، وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيمًا ، وَآتَيْتَ دَاوُودَ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ،  
وَأَلَّيْتَ لَهُ الْحَدِيدَ ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ مَعَهُ وَالطَّيْرَ ، وَوَهَبْتَ سُلَيْمَانَ  
مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ<sup>(١)</sup>  
وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَّاصٍ ، وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ، وَعَلَّمْتَ عِيسَى  
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَأَعَدْتَهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ  
وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِكَ ) ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا مُحَمَّدُ : قَدِ اتَّخَذْتُكَ  
خَلِيلاً وَحَبِيبًا ، فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا حَبِيبُ الرَّحْمَنِ ، وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى  
النَّاسِ كَافَّةً ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمْ الْآخِرُونَ بَعَثًا ، وَالسَّابِقُونَ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي ،  
وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا ، وَأَعْطَيْتُكَ السَّبْعَ الْمَثَانِي<sup>(٢)</sup> ، وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ  
كَتْرِ تَحْتِ عَرْشِي ، وَلَمْ أُعْطِ ذَلِكَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِي<sup>(٣)</sup> )<sup>(٤)</sup>

\* وَفِي قَوْلِهِ ﷺ : ( فَاتَيْتُ بِإِنَاءٍ مِنْ لَبْنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ )<sup>(٥)</sup> ، زَادَ فِي رِوَايَةٍ فِي  
(الصَّحِيحَيْنِ) : ( وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ )<sup>(٦)</sup> ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لِلْبَزَّازِ : ( وَإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ )<sup>(٧)</sup> .  
فَإِنَّهُ بِتَمَامِ الْأَرْبَعَةِ يُعْلَمُ أَنَّهُ ﷺ أَتَى مِنْ كُلِّ نَهْرٍ بِإِنَاءٍ مِنَ الْأَنْهَارِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ  
أَصْلِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى الْمَذْكُورَةِ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ .

ثُمَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَنْهَرُ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبْنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾

(٢) الأصفاد : القيود .

(١) رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ : لَيِّنَةً حَيْثُ قَصَدَ .

(٤) أَوْزَدَهُ الْهَيْثُمِيُّ فِي (مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) السَّبْعَ الْمَثَانِي : السَّابِعَةَ .

(٦) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ (مَالِكِ بْنِ صَفْصَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٧) أَوْزَدَهُ الْهَيْثُمِيُّ فِي (مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَنْهَرُ مِّنْ خَمْرٍ لَّدَّةٍ لِلشَّرْبِينَ وَأَنْهَرُ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى (١)

\* فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ نَهَرَ الْكُوْثَرَ : كَمَا جَاءَ فِي الْبُخَارِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ( لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ ، إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ الْمُجَوَّفِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ ، قَالَ : هَذَا الْكُوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ ، فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ ) (٢)

\* فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ لِبَعْضِ أَهْلِ النَّارِ : كَمَا فِي ( سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ) ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِّنْ نُحَاسٍ ، يَخْمِشُونَ بِهَا وُجُوْهُهُمْ وَصُدُوْرَهُمْ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُوْمَ النَّاسِ وَيَقْمُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ ) (٣)

كَمَا رَأَى ﷺ أَكَلَةَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا : لَهُمْ مَشَافِرُ كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ ، يُقَذَّفُونَ فِي أَفْوَاهِهِمْ قِطْعًا مِّنْ نَّارٍ كَالْأَفْهَارِ ، فَتَخْرُجُ مِنْ أَدْبَارِهِمْ .

وَرَأَى ﷺ أَكَلَةَ الرَّبَا : لَهُمْ بَطُونٌ كَبِيْرَةٌ ، لَا يَقْدِرُونَ لِأَجْلِهَا أَنْ يَتَحَوَّلُوا عَنْ مَكَانِهِمْ ، وَيَمْرُؤُهُمْ أَلْفِرْعَوْنُ حِينَ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ فَيَطَّأُونَهُمْ .

وَرَأَى ﷺ أَنَّ الزُّنَاةَ : بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ سَمِيْنٌ طَيِّبٌ إِلَى جَنْبِهِ لَحْمٌ غَثٌ مُنْتِنٌ ، يَأْكُلُونَ مِنَ الْغَثِّ الْمُنْتِنِ وَيَتْرَكُونَ الطَّيِّبَ السَّمِيْنَ .

وَرَأَى ﷺ النِّسَاءَ اللَّاتِي يَدْخُلْنَ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ لَيْسَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ ، رَأَهُنَّ مُعَلَّقَاتٍ بِئَدْيِهِنَّ .

وَإِنَّمَا خُصَّ ﷺ بِرُؤْيَا هَذِهِ النَّمَازِجِ ، إِعْلَامًا لِأُمَّتِهِ أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ جَوَامِعُ كُلِّ شَرٍّ ، وَذَلِكَ أَدْعَى لِأَن يَتَّصُرُوْهَا كَمَا رَأَاهَا رُؤْيَا عَيْنٍ .

\* فِي وَصِيَّةِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ : دَلَالَةٌ عَلَى عُلُوِّ شَأْنِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ تَبَعًا لِرِفْعَةِ قَدْرِ نَبِيِّهَا ﷺ : كَمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي ( جَامِعِهِ ) عَنْ ابْنِ مَسْعُوْدٍ

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ . مِسْكٌ أَذْفَرُ : طَيِّبٌ الرَّائِحَةُ .

(١) سُورَةُ مُحَمَّدٍ ( مِنْ الْآيَةِ ١٥ ) .

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ : أَقْرِيءْ أُمَّتَكَ عَنِّي السَّلَامَ - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا السَّلَامُ - ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ الْمَاءِ ، وَأَنَّهَا قِيَعَانُ ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ) (١) .

\* فِيمَا رَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ لـ ( عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ الْخَيْرَ مَعْقُودٌ وَمَقْرُونٌ نَوَالُهُ بِالْإِقْرَارِ بِقَدْرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْفَارُوقُ عُمَرُ : كَمَا رَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ( لَمَّا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ أَتَيْتُ عَلَى قَصْرِ مِنْ ذَهَبٍ مُرَبَّعٍ مُشْرِفٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ فَقَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَرَأَ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٢) عَشْرَ مَرَّاتٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَرَأَهَا عَشْرِينَ مَرَّةً بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرَيْنِ فِي الْجَنَّةِ ) ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا تَكَثَّرَ قُصُورُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ ﷺ : ( فَضَّلَ اللَّهُ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ ) (٣) .

\* فِي تَعْلِيلِ مَجِيءِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى لِلنَّبِيِّ ﷺ : كَمَا فِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ : ( فَجِيءَ بِ ( الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ) وَأَنَا أَنْظُرُ ، حَتَّى وُضِعَ عِنْدَ ( دَارِ عَقِيلِ ) ، فَتَعَمَّتُهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ) (٤) .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَهَذَا أُبْلَغُ مِنْ كَشْفِ الْحُجُبِ الَّتِي بَيْنَ ( الْحَرَمِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ ) : لِأَنَّهُ نَظِيرُ إِحْضَارِ عَرْشِ بَلْقَيْسَ لِسُلَيْمَانَ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ . وَذَلِكَ بِطَرِيقِ انْزِوَاءِ الْأَرْضِ ، بِأَنَّ تَقْبِضَ أَجْزَائِهَا حَتَّى يَصِيرَ الْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ ( بَيْتُ الْمَقْدِسِ ) بِ ( مَكَّةَ ) ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ : ( زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ ) (٥) .

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، قِيَعَانُ ، وَهُوَ الْمَكَانُ الْمُسْتَوِي الْوَاسِعُ فِي وَطَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ ، يَمْلَأُهُ مَاءُ السَّمَاءِ فَيَمْسِكُهُ وَيَسْتَوِي نَبَاتُهُ .

(٢) أَي : سُورَةُ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . (٣) كَذَلِكَ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ ( مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ ( ابْنِ عَبَّاسٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَصَفَتْهُ . (٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ ( ثَوْبَانَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ومنه ما قاله أحد العلماء لبعض أصحابه : بلغني أنك تُصلي أي فرض شئت جماعة ب ( حرم مكة ) فلي أي كيفية هذا ٩ ، فقال : بمجرد أن يخطر ذلك ببالي ، صرت تجاه ( الكعبة ) ، ثم إذا خطر ببالي العود ، صرت بمكاني ب ( حضر موت ) .

\* في تصديق أبي بكر رضي الله عنه وسبب تسميته بالصديق : وذلك عندما قيل لأبي بكر : إن محمدا يزعم أنه بلغ ( بيت المقدس ) ورجع ، فقال إنا لنصدقك في نزول الوحي في طرفه عين .. فأنزل الله عز وجل في أبي بكر : ( والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ) (٢) . فسماه الله الصديق (٣) .

\* وفيما أنزل الله سبحانه في تصديق نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وتزويجه عما نسبوه إليه في ذلك من الفئ والضلال والهوى قوله تعالى : ( والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ) وما ينطق عن أهوى ) إن هو إلا وحي يوحى (٤) ، إلى قوله تعالى : ( لقد رأى من آيات ربه الكبرى ) (٥) . فأقسم تعالى بالنجم ( وهو الثريا ) إذا هوى ( أي : سقط للغروب ) على نفي الضلال عنه صلى الله عليه وسلم والفئ المستلزم ، لإثبات الهدى والرشد ، وعلى صدقه فيما أخبر ، ونفي النطق عن الهوى ، وأن ذلك وحي إليه من الله سبحانه ، أعلمه إياه جبريل شديد القوى .

ثم لما كان ما أوحى إليه في تلك الليلة من عظيم ملكوته لا تحيط به العبارة رمز إليه بالإشارة ، فقال : ( فأوحى إلى عبده ما أوحى ) (٦) ، ثم أخبر عن تصديق فؤاده ( وهو قلبه ) بما رأى بصره من آيات ربه الكبرى ، بقوله : ( ما كذب الفؤاد ما رأى ) (٧) أي : بما رآه البصر ، وعن حسن أدبه ، وعدم

(١) هو العلامة محمد بن عمر بخرق الحضرمي الشافعي .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک . عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٣) سورة النجم ( الآيات ١ - ٤ ) .

(٤) سورة النجم ( الآية ١٨ ) .

(٥) سورة الزمر ( الآية ٢٣ ) .

(٦) سورة النجم ( الآيات ١ - ٤ ) .

(٧) سورة النجم ( الآية ١٠ ) و ( الآية ١١ ) .

النِّفَاتِ قَلْبِهِ إِلَى غَيْرِ رَبِّهِ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ فَقَدْ اشْتَمَلَتْ  
هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ عَلَى تَزْكِيَةِ لِسَانِهِ ﷺ وَبَصَرِهِ وَفُؤَادِهِ ؛ فَزَكَّى لِسَانَهُ بِقَوْلِهِ :  
﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ ، وَبَصَرَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ، وَفُؤَادَهُ  
بِقَوْلِهِ : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ .

\* فِي تَجْلِيَةِ مَعْنَى رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ :

فَقَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ <sup>(٢)</sup>  
أَنَّهُ قَالَ : ( رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ وَكَلَّمَهُ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ ) <sup>(٣)</sup> .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَلَا يَقُولُ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَّا بِتَوْقِيفٍ ، فَسَبِيلُهُ سَبِيلُ الْمَرْفُوعِ ، إِذْ  
لَيْسَ لِلرَّأْيِ فِي هَذَا مَدْخَلٌ .

وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ : ( أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ كَلَامَهُ وَرُؤْيَتَهُ بَيْنَ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ  
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ؛ فَكَلَّمَهُ مُوسَى مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ مَرَّتَيْنِ ، وَرَأَهُ  
مُحَمَّدٌ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ مَرَّتَيْنِ ) ، نَقَلَهُ الْمَاوَرِدِيُّ عَنْهُ .

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ  
إِلَّا وَحْيًا ﴾ أَي : مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ ، بَلْ مَعَ الْمَشَاهِدَةِ ، وَذَلِكَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً  
لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ .

قَالُوا : بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> أَي : كَمَا جَاءَتْهُ لِمُوسَى عليه السلام  
أَوْ ﴿ يُرْسَلْ رَسُولًا ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وَهُوَ جِبْرِيلُ ( فَيُوحِي بِإِذْنِهِ إِلَى رَسُولِهِ مَا يَشَاءُ ) ؛ كَأَكْثَرِ  
أَحْوَالِ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَكَسَائِرِ أَحْوَالِ غَيْرِهِمَا مِنَ النَّبِيِّينَ  
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَجْمَعِينَ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَشْعَرِيُّ : ( كُلُّ آيَةٍ أُوتِيَهَا نَبِيٌّ فَقَدْ  
أُوتِيَ نَبِيْنَا مِثْلَهَا ، وَخَصَّهُ اللَّهُ بِالرُّؤْيَةِ ، قَالَ : فَ مُحَمَّدٌ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ ، قَالَ

(٢) الشُّفَا . ج ( القاضى عياض ) ، وبه قال أنس وعكرمة والرَّبِيع .

(١) (٢) سُورَةُ النَّجْمِ (الآيَةُ ١٧) وَ (الآيَةُ ١٣) .

(٤) (٥) سُورَةُ الشُّورَى ( مِنْ الْآيَةِ ٥١ ) .

ابن عطاء : أَي شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ للرُّؤْيَةِ ، كَمَا شَرَحَ صَدْرَ مُوسَى لِلتَّكْلِيمِ .

قَالَ العُلَمَاءُ : وَلَا يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ إِنكَارُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها لِذَلِكَ ، لِأَنَّهَا لَمْ تَقُلْهُ إِلَّا عَن رَأْيِهَا ، وَأَمَّا احْتِجَاجُهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ ﴾ <sup>(١)</sup> فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ( مَعْنَاهُ : لَا تُحِيطُ بِهِ ) <sup>(٢)</sup> .

قَالَ العُلَمَاءُ : إِنَّ الإِسْرَاءَ وَقَعَ وَالسَّيِّدَةُ عَائِشَةُ كَانَتْ صَغِيرَةً ، وَكَذَلِكَ فَإِنَّ الإِدْرَاكَ أَحْصَى مِنَ الرُّؤْيَةِ وَالرُّؤْيَةُ أَعْمٌ ، وَبِهَذَا يَتَّضِحُ الأَمْرُ .

وَلَوْ قِيلَ بِإِطْلَاقِهَا لَزِمَ مِنْهُ امْتِنَاعُ رُؤْيَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الآخِرَةِ أَيْضاً لِلأَبْرَارِ فِي دَارِ القَرَارِ ، وَهُوَ خِلَافٌ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ .

قَالَ العُلَمَاءُ : وَالدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِهَا فِي الدُّنْيَا سُؤَالُ مُوسَى عليه السلام لَهَا ، إِذِ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَجْهَلَ نَبِيٌّ مَا يَجُوزُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ ، وَمَعْنَى :

﴿ لَنْ تَرِنِي ﴾ : لَنْ تُطِيقَ رُؤْيَتِي كَمَا لَا يُطِيقُهَا الجَبَلُ .

أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ فِي حَقِّهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ رُؤْيَتِهِ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ، وَيَقُولُ : ﴿ لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَّتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

هَذَا وَهُمْ بَشَرٌ مِنْ أَتْبَاءِ جِنْسِهِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ خَصَّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ :

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وَلِلَّهِ دَرُّ الإِمَامِ البُوصَيْرِيِّ فِي قَوْلِهِ حَوْلَ حَدِيثِ الإِسْرَاءِ :

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمُ العَافُونَ سَاحَتَهُ \* سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْتِقِ الرُّسْمِ <sup>(٥)</sup>

وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ \* وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَى لِمُفْتَنِمٍ

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ \* كَمَا سَرَى البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً \* مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرْمَ <sup>(٦)</sup>

(١) سُورَةُ الأَنْعَامِ ( مِنْ الآيَةِ ١٠٢ ) .

(٢) سُورَةُ الكَهْفِ ( مِنْ الآيَةِ ١٨ ) .

(٣) سُورَةُ البَقَرَةِ ( مِنْ الآيَةِ ٢٥٥ ) .

(٤) يَمَّمُ العَافُونَ : قَصَدَ طُلَابُ الرِّزْقِ وَالْمَطَاءِ ، الأَيْتِقُ : النِّيَاقُ ؛ جَمَعَ نَاقَةً ، الرُّسْمُ : المُعْتَمَلَةُ .

(٥) تَرْقَى : تَرْفَعُ ، قَابِ قَوْسَيْنِ : أَي مَقْدَارِ قَوْسَيْنِ فِي القُرْبِ وَهُوَ كِتَابَةٌ عَنِ شِدَّةِ القُرْبِ ، تُدْرِكُ : تَمُوتُ ، قُرْمٌ : قُطْبٌ .



- وَقَدَّمَكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا \* وَالرُّسُلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
- وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطُّبَاقَ بِهِمْ \* فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ (١)
- حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعُ شَأوًا لِمُسْتَبِقِ \* مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقَى لِمُسْتَتِمِ (٢)
- خَفَضَتْ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ \* نُودِيَتْ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعِلْمِ
- كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلِ أَيِّ مُسْتَتِرٍ \* عَنِ الْعُيُونِ وَسِرِّ أَيِّ مُكْتَتِمِ (٣)
- فَحَزَّتْ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرِكِ \* وَحَزَّتْ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ
- وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبِ \* وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيَتْ مِنْ نِعَمِ (٤)
- بُشْرَى لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنْ لَنَا \* مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمِ
- لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ \* بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ

تَذَكَّرْ وَتَدَبَّرْ :

يُولِعُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ بِالْمُبَالَغَةِ فِي تَصْوِيرِ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَنَّهَا حَيَاةٌ بَشَرِيَّةٌ عَادِيَّةٌ ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْإِطْنَابِ فِي بَيَانِ أَنَّ حَيَاتَهُ ﷺ ، لَمْ تَكُنْ مَعْقُودَةً وَرَاءَ الْخَوَارِقِ وَالْمُعْجَزَاتِ ، بَلْ كَانَ مُنْكَرًا لَهَا غَيْرَ عَابِيٍّ بِهَا وَلَا مُلْتَضِيٍّ إِلَى الْمُطَالِبِينَ بِهَا ، وَأَنَّهُ يُؤَكِّدُ دَائِمًا أَنَّ الْمُعْجَزَاتِ وَالْخَوَارِقَ لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِهِ وَلَيْسَ لَهُ إِلَيْهَا سَبِيلٌ ، وَيُكْثِرُونَ فِي هَذَا مِنَ الْاِسْتِشْهَادِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٥) ، بِحَيْثُ يُخَيَّلُ إِلَى الْقَارِيءِ أَوْ السَّمَاعِ أَنَّ سَيْرَتَهُ ﷺ كَانَتْ بَعِيدَةً كُلَّ الْبُعْدِ عَنِ الْمُعْجَزَاتِ وَالْآيَاتِ الَّتِي يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهَا فِي الْعَادَةِ أَنْبِيَاءَهُ الصَّادِقِينَ .

وَإِذَا أَمَعْنَا فِي مَنَبَعِ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، نَجِدُ أَنَّهَا فِي الْأَصْلِ فِكْرَةٌ بَعْضِ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَالْبَاحِثِينَ الْأَجَانِبِ مِنْ أَمْثَالِ غُوسْتَا فِ لُويُون ، وَأَوْجَسْتْ كُونْت ، وَهِيوم ، وَجُولد زِيهَر ، وَغَيْرِهِمْ .. وَأَسَاسُ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ عِنْدَهُمْ وَسَبَبُهَا

(٢) الْمُسْتَتِمِ : الْمُرْتَقِعِ .

(٤) أُولِيَتْ : أُعْطِيَتْ .

(١) صَاحِبِ الْعِلْمِ : أَمِيرِ الرَّكْبِ .

(٣) أَيُّ مُسْتَتِرٍ : مُبَالَغَةٌ فِي الْاِسْتِتَارِ . أَيُّ مُكْتَتِمٍ : مُبَالَغَةٌ فِي الْخِصْمَانِ .

(٥) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٠٩ ) .

هُوَ عَدَمُ الْإِيمَانِ بِخَالِقِ الْمُعْجَزَاتِ أَوَّلًا ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا اسْتَقَرَّ فِي النَّفْسِ سَهَّلَ الْإِيمَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ .

ثُمَّ تَلَقَّفَ هَذِهِ النَّظْرِيَّةَ مِنْهُمْ أَنَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، كَانَ مِنْ سُوءِ حِطِّ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ، أَنْ جَنَدُوا كُلَّ مَسَاعِيهِمْ وَعُلُومِهِمْ لِلتَّبْشِيرِ بِأَفْكَارِ أَوْلِيكَ الْأَجَانِبِ دُونَ أَيِّ مُؤَيَّدٍ سِوَى الْإِفْتِتَانِ بِزُخْرَفِ خِدَاعِهِمْ وَأَنْخِطَافِ أَبْصَارِهِمْ بِمَظْهَرِ النَّهْضَةِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي هَبَّتْ فِي أَنْحَاءِ أَوْرُوبَا ، وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ ، وَمُحَمَّدٌ فَرِيدٌ وَجْدِي ، وَحَسِينٌ هَيْكَلٌ ، وَطَلْحَةُ حُسَيْنٌ .

ثُمَّ نَظَرَ مُحْتَرِفُو التَّشْكِيكِ وَأَرَبَابُ الْعَزْوِ الْفِكْرِيِّ ، فَوَجَدُوا فِي هَذَا الَّذِي يَقُولُهُ بَعْضُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْفُسُهُمْ مَا يَفْتَحُ لَهُمْ آفَاقًا وَمِيَادِينَ جَدِيدَةً لِعَزْوِهِمُ الْفِكْرِيَّ وَتَشْكِيكِ الْمُسْلِمِينَ بِدِينِهِمْ ، يُغْنِيهِمْ عَنْ وَسِيلَتِهِمُ الْعَيْقِيَّةِ ؛ وَسِيَلَةِ الْحَرْبِ الْمُبَاشِرَةِ لِلْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَغَرَسِ الْأَفْكَارِ الْإِنْحَادِيَّةِ فِي الرُّؤُوسِ .

فَرَأَوْا يُرُوجُونَ صِفَاتٍ مُعَيَّنَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَالْبُطُولَةِ وَالْعَبْقَرِيَّةِ وَالْقِيَادَةَ فِي عِبَارَاتٍ مِنَ الْإِعْجَابِ وَالْإِطْرَاءِ ، وَيُبَالِغُونَ فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ فِي تَصْوِيرِ حَيَاتِهِ الْعَامَّةِ بَعِيدَةً عَنْ كُلِّ مَا لَا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ ، كَيْ يَتِمَّ لَهُمْ إِنْشَاءُ صُورَةٍ جَدِيدَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي أَذْهَانِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ ، قَدْ تَكُونُ صُورَةً ( مُحَمَّدٍ الْعَبْقَرِيِّ ) أَوْ تَكُونُ صُورَةً ( مُحَمَّدٍ الْقَائِدِ ) أَوْ تَكُونُ صُورَةً ( مُحَمَّدٍ الْبَطَلِ ) ، وَلَكِنَّهَا لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلَى أَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ صُورَةً ( مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ ) ، إِذْ تَكُونُ جَمِيعُ حَقَائِقِ النَّبُوءَةِ بِمَا يَحْفُ بِهَا وَيَسْتَلْزِمُهَا مِنْ وَحْيٍ وَغَيْبِيَّاتٍ وَخَوَارِقَ ، قَدْ قَذَفَ بِهَا ( بِعَامِلِ هَذَا التَّرْوِيجِ لِأَلْقَابِ الْعَبْقَرِيَّةِ وَالْبُطُولَةِ الْبَعِيدَيْنِ عَنِ الْمُعْجَزَاتِ وَالْخَوَارِقِ ) إِلَى عَالَمٍ مَا يُسَمُّونَهُ : الْمِيثُولُوجِيَا ( الْأَسَاطِيرِ ) ذَلِكَ لِأَنَّ ظَاهِرَةَ الْوَحْيِ وَالنَّبُوءَةِ تُعْتَبَرَانِ فِي رَأْسِ الْمُعْجَزَاتِ .

وَجِيئَئِدِ لَا يَتَّبِعِي أَنْ يَتَّصُورَ (بِطَبِيعَةِ الْحَالِ) أَيُّ سَبَبٍ لِنِكَاتِرِ مُخْتَلِفِ النَّاسِ  
وَالْأُمَّمِ مِنْ حَوْلِ الرَّسُولِ وَأَنْصُواتِهِمْ تَحْتَ لِوائِهِ وَأَنْسِاقِهِمْ فِي دَعْوَتِهِ ، إِلاَّ التَّائِبُ  
بِعَبْقَرِيَّتِهِ وَمَقُوماتِ القِيادَةِ فِي حَياتِهِ .. وَانظُرْ !! فَإِنَّ هَذَا القَصْدَ الَّذِي يَهْدِفُونَ  
إِلَيْهِ يَتَجَلَّى وَاضِحاً فِي إِشاعَةِ كَلِمَةِ ( مُحَمَّدِيَّينَ ) كَتَسْمِيَةِ جَدِيدَةٍ بَدلاً عَنْ :  
(مُسْلِمِينَ) .

إِذَنْ .. فَإِنَّهُ لَا يَتَسَنَّى نَفْيُ الْمُعْجَزاتِ وَالخَوارقِ عَنْهُ ﷺ إِلاَّ بِهِمْ مَعْنَى النُّبُوءِ  
نَفْسِها وَنَسْخِها مِنْ حَياتِهِ ، وَذَلِكَ يُساوِي بِالْبَداهَةِ إِنكارَ الدِّينِ نَفْسِهِ ، وَلَيْتَنَ لَمْ  
يُصَرِّحْ بِهَذِهِ النَّتِيجَةِ بَعْضُ الباجِثِينَ مِنْ المُسْتَشْرِقِينَ ، مُكْتَفِينَ بِبَيانِ ذِكاِءِ  
الرَّسُولِ وَمَدَى عِبْقَرِيَّتِهِ وَشِجاعتِهِ وَسِياسَتِهِ لِلأُمُورِ ، فَذَلِكَ اكْتِفاءٌ مِنْهُمْ بِرَسْمِ  
المُقَدِّماتِ عَنْ بَيانِ النَّتائِجِ ، إِذِ النَّتِيجَةُ تَأْتِي بِطَبِيعَتِها بَعْدَ التَّسْلِيمِ بِمُقَدِّماتِها .  
عَلَى أَنَّ كَثِيرِينَ صَرَّحُوا بِالنَّتِيجَةِ ، بَعْدَ أَنْ ضاقتْ بِها صُدُورُهُمْ ، مِثْلَ شَبلي  
شَميلِ جِئِما سَمَّى الإِيمانَ بِالدِّينِ إِيماناً بِالمُعْجَزَةِ المُسْتَحِيلَةِ (١) .

أَمَّا نَحْنُ المُسْلِمِينَ إِذا تَأَمَّلنا فِي سِيرَتِهِ ﷺ وَوَقائِعِ حَياتِهِ ، وَجَدنا أَنَّ اللّهُ  
سُبْحانَهُ وَتعالى أَجْرى مُعْجَزاتٍ كَثِيرةً عَلَى يَدَيْهِ ﷺ ، لا مَناصَ مِنْ قَبُولِها وَلا  
مَجالَ لِرَدِّها ، لِأَنَّها نُقِلَتْ إِلَيْنا بِالأَسانيدِ الصَّحِيحَةِ المُتواتِرَةِ الَّتِي تَرْتَقِي  
بِالفِكرِ وَالعَقْلِ إِلى دَرَجَةِ القَطْعِ وَاليقينِ .

وَمِنْ ذِلكَ حَدِيثُ الإِسرائِءِ وَالْمِعْراجِ الَّذِي نَسُوقُ هَذَا البَحْثَ بِمُناسِبَتِهِ ، وَهُوَ  
حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ لا تُتَكَرَّرُ قَطْعِيَّةٌ ثُبُوتِهِ ، وَهُوَ بِإِجماعِ جَماهيرِ المُسْلِمِينَ مِنْ  
أَبْرَزِ مُعْجَزاتِهِ ﷺ (٢) .



(١) يَذْكَرُ الدُّكْتُورُ شَبلي شَميلِ هَذَا الكَلامَ فِي مُقَدِّمَتِهِ لِغَرِيبِ كِتابِ ( بُوَكْرَ ) فِي شَرْحِ مَذْهَبِ دارِوِينِ عَنْ نَظَرِيَّةِ  
النَّشْوءِ وَالإِرتِقاءِ .

(٢) فَهْهُ السَّيْرَةُ ، لـ ( د. مُحَمَّدِ سَعِيدِ رَمْضانِ البِوطي ) .

## بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ

وَفِي الْمَوْسِمِ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ : خَرَجَ حُجَّاجُ الْأَنْصَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُسْتَخْفِينَ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا ( مَكَّةَ ) ، وَاعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي ( الْعَقَبَةِ ) مِنْ أَوْسَطِ لِيَالِي التَّشْرِيقِ ؛ فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْمِيْعَادِ بَاتُوا مَعَ قَوْمِهِمْ ، فَلَمَّا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجُوا مُسْتَخْفِينَ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا بِالشُّعْبِ عِنْدَ ( الْعَقَبَةِ ) ، جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ عُمَةُ الْعَبَّاسُ ( وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بَاقٍ عَلَى دِينِهِ ) ، لَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَوَقَّعَ لِابْنِ أَخِيهِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَرَفَهُمُ الْعَبَّاسُ بِأَنَّ ابْنَ أَخِيهِ لَمْ يَزَلْ فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ حَيْثُ لَمْ يُمَكِّنُوا مِنْهُ أَحَدًا مِمَّنْ أَظْهَرَ لَهُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَتَحَمَّلُوا مِنْ ذَلِكَ أَعْظَمَ الشَّدَّةِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : إِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ وَمَا نَعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَالْأَفْدَعُوهُ بَيْنَ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّهُمْ لَبِمَكَانٍ عَظِيمٍ .

فَقَالَ كَبِيرُهُمُ الْمُتَكَلِّمُ عَنْهُمْ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ لَنَا فِي أَنْفُسِنَا غَيْرُ مَا نَتَّقُ بِهِ لَقُلْنَا ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ الْوَفَاءَ وَالصَّدْقَ وَبَدَلَ مُهَجِّنَا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ . وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : خُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ .. فَقَالَ ﷺ : ( أَشْتَرْتُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَلِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ مَتَى قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ ) .

فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ .. وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لِنَمْنَعَكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَزْرُنَا (١) ، فَبَايَعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَتَحَنَّنَ وَاللَّهُ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْفَةِ ( أَيِ السَّلَاحِ كُلِّهِ ) وَرَثَاتُهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ .

فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ ( وَالْبَرَاءُ يَتَكَلَّمُ ) أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيَّهَانَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرُّجَالِ حِبَالًا وَإِنَّا قَاطِعُوهَا ( يَعْنِي الْيَهُودَ ) ، فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدْعَنَا ؟ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) الْمَرْبُ تَكْتَبِي عَنِ الْمَرْأَةِ بِالْإِزَارِ . وَتَكْتَبِي أَيْضًا بِالْإِزَارِ عَنِ النَّفْسِ .

ثُمَّ قَالَ : ( بَلِ الدَّمُ الدَّمُ . وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي ، أَحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأَسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ ) .

وَحِينَذَاكَ ابْتَدَأَتْ الْمُبَايَعَةُ فَبَايَعَهُ الرَّجَالُ عَلَى مَا طَلَبَ ، فَقَالَ لَهُمْ ﷺ :

( أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا كُفْلَاءَ عَلَى قَوْمِهِمْ ) ، فَأَخْرَجُوهُمْ .

وَهُمْ تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ : أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَالْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ

بِ بْنِ عَجْلَانَ ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ،

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ ( وَالِدُ جَابِرٍ ) ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ

عَمْرٍو رضي الله عنه .

وِثْلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْسِ ، وَهُمْ : أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، وَرِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ ، وَسَعْدُ بْنُ

خَيْثَمَةَ رضي الله عنه .

(١) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( إِنْ أَنْتُمْ كُفْلَاءُ عَلَى قَوْمِكُمْ كَكِفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ

لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَأَنَا الْكَفِيلُ عَلَى قَوْمِي ) .

قَالُوا : نَعَمْ ، فَبَايَعُوهُ ، وَوَعَدَهُمْ ﷺ عَلَى الْوَفَاءِ : الْجَنَّةُ .

وَكَانَ جُمْلَةُ الَّذِينَ بَايَعُوهُ ﷺ : ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا ، وَامْرَأَتَانِ ( وَهُمَا نَسِيبَةُ

بِنْتُ كَعْبٍ ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ عَدِيٍّ ) .

تَحْذِيرُ إِبْلِيسَ قُرَيْشًا مِنَ الْبَيْعَةِ : وَلَمَّا تَمَّتِ الْبَيْعَةُ صَاحَ إِبْلِيسُ صَيْحَةً مُنْكَرَةً ،

مُشَبِّهًا صَوْتَهُ بِصَوْتِ مُنْبِهِ بْنِ الْحَجَّاجِ السَّهْمِيِّ : يَا أَهْلَ ( مِنِي ) : هَذَا مُحَمَّدٌ

وَأَهْلُ ( يَثْرِبَ ) قَدِ اجْتَمَعُوا لِحَرْبِكُمْ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( أَيَّ عَدُوِّ اللَّهِ

أَمَا وَاللَّهِ لَأَفْرُغَنَّ لَكَ ) ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَنْفِضُوا إِلَى رِحَالِهِمْ (٢) .

اسْتِجْلَاءُ قُرَيْشِ الْحَقِيقَةَ : فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَتْ عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ ، وَقَالُوا : يَا

مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ ، بَلَّغْنَا أَنْكُمْ جِئْتُمْ إِلَيْنَا صَاحِبِنَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا ،

وَتَبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا حَىَّ مِنَ الْعَرَبِ أَبْغَضَ عَلَيْنَا أَنْ تَتَشَبَّ  
 الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْكُمْ ، فَحَلَفَ مُشْرِكُوا الْأَنْصَارِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ وَلَا  
 عَلِمْنَاهُ ( وَصَدَقُوا فَإِنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا ) ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي كَبِيرٍ الْخَزْرَجِيُّ يَقُولُ : مَا  
 كَانَ قَوْمِي لِيَفْتَاتُوا <sup>(١)</sup> عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

تَأَكَّدُ قُرَيْشٌ مِنْ صِحَّةِ الْخَبَرِ ، وَمُلاحَظَتُهَا لِلْمُبَايَعِينَ : فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ مِنْ  
 ( مِنْهَا ) فَتَشَّتْ قُرَيْشٌ عَنِ الْخَبَرِ فَوَجَدُوهُ قَدْ كَانَ ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِ الْقَوْمِ  
 فَضَاتُوهُمْ ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، فَرَجَعُوا بِهِ أَسِيرًا يَضْرِبُونَهُ ،  
 فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْهُمْ مُطْعِمُ بْنُ عَدِيِّ وَالْحَارِثُ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ ؛ لِصَنَائِعِ كَانَتْ  
 لِسَعْدٍ فِي رِقَابِهِمَا ، وَخَوْفُوا قُرَيْشًا مِنْ تَعَرُّضِ الْأَنْصَارِ لَهُمْ عَلَى طَرِيقِ الشَّامِ .  
 إِذْنُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ : ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ  
 ( إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ بِهَا ) <sup>(٢)</sup> .

وَهَكَذَا بَدَأَ الْمُسْلِمُونَ يُهَاجِرُونَ ، وَهُمْ يَعْرِفُونَ مَا تَعْنِيهِ الْهَجْرَةُ مِنْ إِهْدَارِ  
 الْمَصَالِحِ ، وَالتَّضْحِيَةِ بِالْأَمْوَالِ ، وَالنَّجَاةِ بِالشَّخْصِ فَحَسَبَ ، مَعَ الْإِشْعَارِ بِأَنَّهُ  
 مُسْتَبَاحٌ مَنْهُوبٌ ، قَدْ يَهْلِكُ فِي أَوَائِلِ الطَّرِيقِ أَوْ نَهَايَتِهَا ، وَبِأَنَّهُ يَسِيرُ نَحْوَ  
 مُسْتَقْبَلٍ مُبْهِمٍ ، لَا يَدْرِي مَا يَتَمَخَّضُ عَنْهُ مِنْ قَلَاقِلٍ وَأَحْزَانٍ ، وَأَخَذَ الْمُشْرِكُونَ  
 يَحُولُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خُرُوجِهِمْ ، لِمَا كَانُوا يَسْتَشْعِرُونَ مِنَ الْخَطَرِ ، وَهَاكَ نَمَازِجُ  
 مِنْ ذَلِكَ :

( ١ ) كَانَ مِنْ أَوَّلِ الْمُهَاجِرِينَ أَبُو سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيُّ وَزَوْجُهُ وَابْنُهُ ، فَلَمَّا أَجْمَعَ  
 عَلَى الْخُرُوجِ ، قَالَ لَهُ أَصْهَارُهُ : هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبَتْنا عَلَيْهَا ، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَنَا هَذِهِ ؟  
 عَلَامَ نَتْرُكُكَ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ ؟ فَأَخَذُوا مِنْهُ زَوْجَتَهُ ، وَغَضِبَ آلُ أَبِي سَلَمَةَ  
 لِرِجْلِهِمْ ، فَقَالُوا : لَا نَتْرُكُ ابْنَنَا مَعَهَا إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا ، وَتَجَادَبُوا

الغلامَ بَيْنَهُمْ فَخَلَعُوا يَدَهُ ، وَذَهَبُوا بِهِ .. وَانْطَلَقَ أَبُو سَلَمَةَ وَحَدَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ،  
 وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ بَعْدَ ذَهَابِ زَوْجِهَا ، وَضِياعِ ابْنِهَا تَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ بِالْأَبْطَحِ تَبْكِي  
 حَتَّى تُمْسِي ، وَظَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً لَيْسَتْ بِالْيَسِيرَةِ ، فَفَرَّقَ لَهَا أَحَدُ ذَوِيهَا ، وَقَالَ  
 أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمَسْكِينَةَ ؟ فَفَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَوَلَدَيْهَا ، فَقَالُوا لَهَا :  
 الْحَقِي بِزَوْجِكَ إِنْ شِئْتَ ، فَاسْتَرْجَعْتَ ابْنَهَا مِنْ عُسْبَتِهِ ، وَخَرَجْتَ تُرِيدُ الْمَدِينَةَ  
 ( رِحْلَةً تَبْلُغُ خَمْسَمِائَةَ كِيلُو مِثْرًا ) وَلَيْسَ مَعَهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، حَتَّى إِذَا  
 كَانَتْ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيَهَا عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَقَالَ لِي :  
 إِلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ أَبِي أُمِّيَّةَ ؟ قَالَتْ : فَقُلْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ ، قَالَ : أَوْ مَا مَعَكَ  
 أَحَدٌ ؟ قَالَتْ ، فَقُلْتُ لَا وَاللَّهِ ، إِلَّا اللَّهُ وَابْنِي هَذَا .. قَالَ : وَاللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَتْرَكٍ  
 فَأَخَذَ بِخُطَامِ الْبَعِيرِ ، فَانْطَلَقَ مَعِيَ يَهْوِي بِي ، فَوَاللَّهِ مَا صَحِبْتُ رَجُلًا مِنْ  
 الْعَرَبِ قَطُّ أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ ، كَانَ إِذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ  
 عَنِّي ، حَتَّى إِذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِيَعِيرِي ، فَحَطَّ عَنْهُ ، ثُمَّ قَيْدَهُ فِي الشَّجَرَةِ ، ثُمَّ  
 تَنَحَّى عَنِّي إِلَى شَجَرَةٍ ، فَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا ، فَإِذَا دَنَا الرَّوَّاحُ ، قَامَ إِلَيَّ بَعِيرِي  
 فَقَدَّمَهُ ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي ، وَقَالَ : ارْكَبِي ، فَإِذَا رَكِبْتُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى  
 فَأَخَذَ بِخُطَامِهِ ، فَقَادَهُ ، حَتَّى يَنْزِلَ بِي ، فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمَنِي  
 الْمَدِينَةَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ ( قُبَاءً ) ، قَالَ : زَوْجُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ فَادْخُلِهَا عَلَى  
 بَرَكَهَ اللَّهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ (٢)

( ٢ ) وَلَمَّا أَرَادَ صُهَيْبُ الْهَجْرَةَ قَالَ لَهُ كُفَّارُ فُرَيْشٍ : أَتَيْتَنَا صُغُلُوكَا حَقِيرًا ، فَكَثُرَ  
 مَا لَكَ عِنْدَنَا ، وَبَلَغْتَ الَّذِي بَلَغْتَ عِنْدَنَا ، ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِمَالِكَ وَنَفْسِكَ ؟  
 وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ صُهَيْبٌ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي ، أَتُخْلُونَ  
 سَبِيلِي ؟ قَالُوا : نَعَمْ .. قَالَ : فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

( ١ ) وَقَدْ كَانَ عُثْمَانُ يُؤْتَمِدُ عَلَى شِرْكِهِ . وَأَمَّا أَسْلَمُ عُثْمَانُ فِي هَذِهِ الْعُدَيْبِيَّةِ ، وَهَاجَرَ قَبْلَ الْفَتْحِ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ،  
 وَقَدْ دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَفَاتِيحَ الْكُتَيْبَةِ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى عُثْمَانَ وَإِلَى ابْنِ عُمَرَ شَيْبَةَ وَهُوَ جَدُّ بَنِي شَيْبَةَ مَدَنَةَ الْكُتَيْبَةِ .  
 ( ٢ ) ابْنُ هِشَامٍ .

فَقَالَ ﷺ : رِيحٌ صُهَيْبٌ ، رِيحٌ صُهَيْبٌ . (١)

( ٣ ) وَتَوَاعَدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِيْعَةَ ، وَهَشَامُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ مَوْضِعًا يُصْبِحُونَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ يَهَاجِرُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَاجْتَمَعَ عُمَرُ وَعِيَّاشٌ وَحُبَسَ عَنْهُمَا هِشَامٌ .

وَلَمْ يَهَاجِرْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا مُتَخَفِيًا غَيْرُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ لَمَّا هَمَّ عُمَرُ بِالْهَجْرَةِ تَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَتَكَبَّرَ قَوْسَهُ ، وَانْتَضَى فِي يَدِهِ أَسْهُمًا ، وَاخْتَصَرَ عَنزَتَهُ ( عَصَاهُ ) وَمَضَى قِبَلَ الْكَعْبَةِ ، وَالْمَلَأَ مِنْ فُرَيْشٍ بِفِنَائِهَا . فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا مُتَمَكِّنًا مُظْمِنًا ، ثُمَّ أَتَى الْمَقَامَ فَصَلَّى ، ثُمَّ وَقَفَ فَقَالَ : شَاهَتِ الْوَجُوهُ ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّكِلَ أُمَّهُ أَوْ يُؤْتَمَ وَلَدُهُ أَوْ تَرْمَلَ زَوْجَتُهُ ، فَلْيَلْقِنِي وِرَاءَ هَذَا الْوَادِي .

قَالَ عَلِيُّ : فَمَا اتَّبَعَهُ إِلَّا قَوْمٌ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ عَلَّمَهُمْ مَا أَرَشَدَهُمْ ثُمَّ مَضَى لِرُجُوعِهِ . (٢)

وَلَمَّا قَدِمَا الْمَدِينَةَ وَنَزَلَا بِقُبَاءَ ، قَدِمَ أَبُو جَهْلٍ وَأَخُوهُ الْحَارِثُ إِلَى عِيَّاشٍ ( وَأُمُّ الثَّلَاثَةِ وَاحِدَةٌ ) ، فَقَالَا لَهُ : إِنْ أَمَّكَ قَدْ نَذَرْتَ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهَا مُسْطٌ ، وَلَا تَسْتَظِلَّ بِشَمْسٍ حَتَّى تَرَكَ . فَرَقَّ لَهَا .. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا عِيَّاشُ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ يُرِيدُ الْقَوْمُ إِلَّا لِيَفْتِنُوكَ عَنْ دِينِكَ فَاحْذَرَهُمْ ، فَوَاللَّهِ لَوْ آذَى أَمَّكَ الْقَمَلُ لَامْتَسَطَّتْ ، وَلَوْ قَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهَا حَرُّ مَكَّةَ لَاسْتَظَلَّتْ ، فَأَبَى عِيَّاشُ إِلَّا الْخُرُوجَ مَعَهُمَا . لِيَبْرَرَ قَسَمَ أُمَّهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَمَا إِذْ قَدْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ فَخُذْ نَاقَتِي هَذِهِ فَإِنَّهَا نَاقَةٌ نَجِيْبَةٌ ذَلُولٌ ، فَالزَّمْ ظَهْرَهَا ، فَإِنْ رَابَكَ مِنَ الْقَوْمِ رَيْبٌ فَانْجُ عَلَيْهَا ، فَخَرَجَ عَلَيْهَا مَعَهُمَا ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِيَعْضِ الطَّرِيقِ ، قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ : يَا أَخِي وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَغْلَطْتَ بِيَعِيرِي هَذَا ، أَفَلَا تُعْقِبُنِي عَلَى نَاقَتِكَ هَذِهِ ؟ قَالَ : بَلَى فَأَنَاخُ ، وَأَنَاخًا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدَوْا عَلَيْهِ فَأَوْثَقَاهُ



وَرَبَطَاهُ ، ثُمَّ دَخَلَ بِهِ مَكَّةَ نَهَاراً مُوثِقاً ، وَقَالَ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، هَكَذَا فافْعَلُوا  
بِسُفْهَاتِكُمْ ، كَمَا فَعَلْنَا بِسَفِينِنَا هَذَا .<sup>(١)</sup>

وَهَكَذَا تَتَابَعِ الْمُهَاجِرُونَ فِرَاراً بِدِينِهِمْ لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ الَّذِي ائْتَمَرَ حُبَّهُ  
بِلَحْمِهِمْ وَدَمِهِمْ ، حَتَّى صَارُوا لَا يَعْبَثُونَ بِمُفَارَقَةِ أَوْطَانِهِمْ وَالِائْتِعادِ عَنْ آبَائِهِمْ  
وَأَبْنَائِهِمْ مَا دَامَ فِي ذَلِكَ رِضَا اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ مِنْهُمْ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ  
وَعَلِيُّ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَقَلِيلُونَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ لَمْ تُمَكِّنْهُمْ حَالُهُمْ مِنَ  
الهِجْرَةِ .

وَعِنْدَمَا وَصَلَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ لَقُوا عِنْدَ الْأَنْصَارِ خَيْرَ دَارٍ وَخَيْرَ جَوَارٍ ،  
آثَرُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَقَاسَمُوهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ .

وَبِذَلِكَ أَتَى اللَّهُ عَلَى الْأَنْصَارِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ حُجُونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ  
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾<sup>(٢)</sup>

وَكَذَلِكَ أَتَى عَلَى الْأَنْصَارِ النَّبِيُّ ﷺ ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ :

( لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَاذِيًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ  
شُعْبًا ، لَسَلَكَتُ وَاذِي الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ )<sup>(٣)</sup>

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ قُبَيْلَ وَفَاتِهِ : ( أَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي ،  
قَدْ قَضُوا الَّذِي عَلَيْنَا ، وَبَقِيَ الَّذِي لَكُمْ ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ  
مُسِيئِهِمْ )<sup>(٤)</sup>

(١) بَنِي هِشَامٍ وَعِيَّاشُ فِي قَيْدِ الْكُفَّارِ حَتَّى إِذَا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ يَوْمًا : مَنْ لِي بِعِيَّاشٍ وَهَشَامٍ ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ  
الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغْبِرَةِ : أَنَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِهِمَا ، فَقَدِمَ الْوَلِيدُ مَكَّةَ مُسْتَخْفِيًا ، وَنَجَى امْرَأَةً تَحْمِلُ إِلَيْهِمَا طَمَامًا فَتَبِعَهَا  
حَتَّى عَرَفَ مَوْضِعَهُمَا ، وَكَانَا مَحْبُوسَيْنِ فِي بَيْتٍ لَا سَقْفَ لَهُ ، فَلَمَّا أَمْسَى تَسَوَّرَ الْجِدَارَ ، وَقَطَعَ قَيْدَيْهِمَا وَحَمَلَهُمَا عَلَى  
بَيْرِهِ ، وَسَاقَ بِهِمَا ، فَهَمَزَ قَدِيمَتِ أَصْبَعَهُ ، فَقَالَ : هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِضْبَعُ دَمِيَّتٍ ؟ وَهِيَ سَبِيلُ اللَّهِ مَا نَجَيْتِ ، ثُمَّ قَدِمَ بِهِمَا  
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ .

(٢) سُورَةُ الْعَنْعُرِ ( مِنَ الْآيَةِ ٩ ) .

(٤) كَرِشِي : بَطَانَتِي وَمَوْضِعُ سِرِّي .

(٥) عَيْبَتِي : مَوْضِعُ النَّصْحِ لَهُ ﷺ . وَالْأَمْنَاءُ عَلَى سِرِّهِ .

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ ) ﷺ .

إِنْتَظَرُ النَّبِيَّ ﷺ الْإِذْنَ بِالْهِجْرَةِ : وَأَقَامَ ﷺ بِ ( مَكَّة ) يَنْتَظِرُ الْإِذْنَ فِي الْهِجْرَةِ .

وَفِي صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ : ( رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجْرٌ ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ ) (١) .

وَهَكَذَا نَطَقَهَا بِمَسْمَاهَا ( يَثْرِبَ ) ، ثُمَّ سَمَّاهَا ﷺ ( طَيْبَةَ ) ، وَنَهَى عَنْ تَسْمِيَتِهَا ( يَثْرِبَ ) ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَعْنَى يَثْرِبُ : الْفَسَادُ ، وَمَعْنَى طَيْبَةُ : الطَّيِّبُ ، وَمِنْهُ جُعِلَتِ الْأَرْضُ لِي طَيْبَةً طَهُوراً ، أَي نَظِيفَةً غَيْرَ خَبِيثَةٍ .

وَعَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ : ( إِنِّي أَرَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابِتَيْنِ ) (٢) .  
وَلَمَّا أَرَادَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ الْهِجْرَةَ ، قَالَ لَهُ ﷺ : عَلَى رِسْلِكَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ ؟ قَالَ ﷺ : نَعَمْ .. فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُصْحَبَهُ ، وَعَلَفَ رَاجِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمْرُ (٤) اسْتِعْدَاداً لِذَلِكَ .

اجْتِمَاعُ قُرَيْشٍ بِدَارِ النَّدْوَةِ وَخَوْفُهُمْ مِنْ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ :  
أَمَّا قُرَيْشٌ فَكَانُوا كَانَتْهُمْ أَصِيبُوا بِمَسِّ الشَّيْطَانِ حِينَمَا طَرَقَ مَسَامِعَهُمْ مُبَايَعَةَ الْأَنْصَارِ لَهُ عَلَى الدَّوْدِ عَنْهُ حَتَّى الْمَوْتِ ، وَمَا لَقِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ طَيْبِ الدَّارِ ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ ، فَاجْتَمَعَ رُؤَسَاؤُهُمْ وَقَادَتُهُمْ فِي دَارِ النَّدْوَةِ ( وَهِيَ دَارُ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ الَّتِي كَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تُقْضِي أَمراً إِلَّا فِيهَا ) ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ بَعْتِهِ ﷺ ، وَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِ ، وَتَصَوَّرَ لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ نَجْدِيٍّ ، مُشَارِكاً لَهُمْ فِي الرَّأْيِ وَالنَّصِيحَةِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ ( أَبِي مُوسَى ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهَلِي وَطَلِّي وَاعْتِقَادِي . هَجْرٌ : قَاعِدَةُ الْبَحْرَيْنِ الْمَدِينَةُ الْمَعْرُوفَةُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ السَّيِّدَةِ ( عَائِشَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، اللَّابِتَيْنِ : هُمَا الْحَرَتَانِ .

(٣) عَلَى رِسْلِكَ : أَي تَمَهَّلْ . (٤) السَّمْرُ : جَمْعُ سَمْرَةٍ وَهِيَ الْوَاحِدَةُ مِنْ شَجَرِ الطَّلْحِ .

فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : أَرَى أَنْ تَرْبِطُوهُ فِي الْحَدِيدِ ، وَتُعْلِقُوا دُونَهُ الْأَبْوَابَ حَتَّى يَمُوتَ  
 وَقَالَ آخَرُ : أَرَى أَنْ تُخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ : فَتَسْتَرِيحُوا مِنْهُ ، وَإِنْ قَتَلْتَهُ  
 غَيْرِكُمْ كَفَاكُمْ شَرَّهُ ، وَإِنْ ظَفِرَ بِالْعَرَبِ فَعِزُّهُ عَنْ عَزِّكُمْ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : الرَّأْيُ  
 عِنْدِي أَنْ تُخْرِجُوا لَهُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًا جَلَدًا ، يَجْتَمِعُونَ أَمَامَ دَارِهِ فَإِذَا خَرَجَ  
 ضَرْبُوهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَتَفَرَّقُ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ فَلَا يَقْدِرُ بَنُو عَبْدِمَنَافٍ عَلَى  
 حَرْبِ قُرَيْشٍ كُلِّهِمْ بَلْ يَرْضَوْنَ بِالذِّبْيَةِ . ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : هَذَا وَاللَّهِ هُوَ  
 الرَّأْيُ الَّذِي لَا أَرَى غَيْرَهُ ، فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ .

الإِذْنَ بِالهِجْرَةِ وَالْإِسْرَارِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا :

فَأَخْبَرَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَصَدُوا لَهُ ، وَأَمَرَهُ بِالهِجْرَةِ لَيْلَةَ كَذَا ، وَهِيَ  
 اللَّيْلَةُ الَّتِي عَلِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ يَمْكُرُونَ بِهِ فِيهَا .

وَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْهَاجِرَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِيُبْرِمَ مَعَهُ مَرَاجِلَ الْهِجْرَةِ .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي نَحْرِ الظُّهَيْرَةِ ( حِينَ تَبْلُغُ  
 الشَّمْسُ مُنْتَهَاهَا مِنَ الارتفاعِ ، كَأَنَّهَا وَصَلَتْ إِلَى النَّحْرِ وَهُوَ أَعْلَى الصَّدْرِ ) ، إِذْ  
 أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي ، مَا جَاءَنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ  
 الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا إِلَّا لِأَمْرٍ قَدْ حَدَثَ ، فَلَمَّا دَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : ( أَخْرِجْ مَنْ  
 عِنْدَكَ ) ، قَالَ : فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ) ،

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الصُّحْبَةَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ (١)

وَوَاعَدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَتَ السَّحَرِ ، وَأَمَرَهُ بِالتَّجْهِيزِ .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَدَ الْجِهَازِ ( أَيِ اسْرَعَهُ ) ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا  
 سُفْرَةً فِي جِرَابٍ ، فَشَقَّتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ نِطَاقَهَا فَأَوْكَاتَتْ بِقِطْعَةٍ مِنْهُ  
 الْجِرَابَ ، وَشَدَّتْ فَمَ الْجِرَابِ بِالْبَاقِي فَسُمِّيَتْ ذَاتَ النُّطَاقَيْنِ (٢) ، وَاسْتَأْجَرَ رَجُلًا  
 دَلِيلًا مَاهِرًا ( وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطَ ) ، قَدْ دَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا ، وَوَاعَدَاهُ

(٢) طبقات ابن سعد .

(١) سيرة ابن هشام ، صحيح البخاري ( باب هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ) .

( غَارِ ثَوْرٍ ) بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ .

وَكَمَا ذَكَرْنَا كَانَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَاجِلَتَانِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاجِلَتِي هَاتَيْنِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِالثَّمَنِ ، فَأَخَذَ إِحْدَاهُمَا وَهِيَ الْقِصْوَاءُ ؛ وَإِنَّمَا اشْتَرَطَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِالثَّمَنِ مَعَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، لِأَنَّهُ أَحَبَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا تَكُونَ هِجْرَتُهُ إِلَّا مِنْ مَالِ نَفْسِهِ ، وَكَانَ ثَمْنُهَا أَرْبَعٌ مِئَةٌ دِرْهَمٍ .

تَطْوِيقُ مَنْزِلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا أَكَابِرُ مُجْرِمِي قُرَيْشٍ فَقَضَوْا نَهَارَهُمْ فِي الإِعْدَادِ لِتَنْفِيزِ الخُطَّةِ الْمَرْسُومَةِ الَّتِي أَقْرُوهَا فِي ( دَارِ النَّدْوَةِ ) ، وَاخْتِيرَ لِذَلِكَ أَحَدُ عَشَرَ رَئِيسًا مِنْ هَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ ، وَهُمْ : أَبُو جَهْلٍ وَالحَكَمُ بْنُ أَبِي العَاصِ وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَالنَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ وَأمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَزَمْعَةُ بْنُ الأَسْوَدِ وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ وَأَبُو لَهَبٍ وَأَبِي بْنُ خَلْفٍ وَنُبَيْهَةُ بْنُ الحَجَّاجِ وَأَخُوهُ مِنْهُهُ بْنُ الحَجَّاجِ . فَلَمَّا كَانَتْ عَتَمَةُ اللَّيْلِ اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرْصُدُونَهُ مَتَى نَامَ ، فَيَثْبُونُ عَلَيْهِ (١) .

وَكَانُوا عَلَى ثِقَةٍ وَبِقِيْنٍ جَازِمٍ مِنْ نَجَاحِ هَذِهِ المُوَآمَرَةِ الدِّينِيَّةِ ، حَتَّى وَقَفَ أَبُو جَهْلٍ وَقَفَةَ الزُّهُوِ وَالخِيَلَاءِ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ المَطْوُوقِينَ فِي سُخْرِيَّةٍ وَاسْتِهْزَاءٍ : إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّكُمْ إِنْ تَابَعْتُمُوهُ عَلَى أَمْرِهِ كُنْتُمْ مُلُوكَ العَرَبِ وَالعَجَمِ ، ثُمَّ بَعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ، فَجَعَلْتُمْ لَكُمْ جِنَانًا كَجِنَانِ الأَرْدَنِ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ لَهُ فِيكُمْ ذَبْحٌ ، ثُمَّ بَعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ، ثُمَّ جَعَلْتُمْ لَكُمْ نَارًا تُحْرِقُونَ فِيهَا (٢) .

وَهَذَا كَانَ مِيعَادُ تَنْفِيزِ تِلْكَ المُوَآمَرَةِ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، فَبَاتُوا مُتَيَقِّظِينَ يَنْتَظِرُونَ سَاعَةَ الصُّفْرِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ، فَقَدْ فَعَلَ مَا خَاطَبَ بِهِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَعْدُ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ ﴾ (٣) .

(٢) سُورَةُ الأَنْفَالِ ( الآيَةُ ٢٠ ) .

(١) ، (٢) سِيرةُ ابنِ هشامٍ .

الرَّسُولُ ﷺ يُغَادِرُ بَيْتَهُ : وَمَعَ غَايَةِ اسْتِعْدَادِ قُرَيْشٍ لِتَنْفِيذِ خُطْبَتِهِمْ فَقَدَ فَسَلُوا فَسَلًا ذَرِيعًا ، فَفِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْحَرِجَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ( نَمَّ عَلَى فِرَاشِي ، وَتَسَجَّ بِبُرْدِي الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ فَنَمَّ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ ) ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنَامُ فِي بُرْدِهِ ذَلِكَ إِذَا نَامَ ، (١) وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْهُ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ .

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَاخْتَرَقَ صُفُوفَهُمْ ، وَبِيَدِهِ حِفْظَةٌ مِنَ التُّرَابِ ، وَهُوَ يَتْلُو فِيهَا صَدْرَ سُورَةِ ﴿يَس﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٢) ، وَجَعَلَ يَنْثُرُ عَلَى رُؤُوسِهِمُ التُّرَابَ ، فَأَعْمَى اللَّهُ أَبْصَارَهُمْ عَنْهُ ، وَمَضَى ﷺ إِلَى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ ، فَخَرَجَا مِنْ حُوحَةٍ فِي دَارِ أَبِي بَكْرٍ لَيْلًا حَتَّى لَحِقَا بِغَارِ ثَوْرٍ فِي اتِّجَاهِ الْيَمَنِ .

وَبَقِيَ الْمُحَاصِرُونَ يَنْتَظِرُونَ حُلُولَ سَاعَةِ الصُّفْرِ ، وَقُبَيْلَ حُلُولِهَا تَجَلَّتْ لَهُمْ الْخَيْبَةُ وَالْفَشْلُ ، فَقَدَ جَاءَهُمْ رَجُلٌ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ ، وَرَأَاهُمْ بِبَابِهِ فَقَالَ : مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ قَالُوا : مُحَمَّدًا ، قَالَ : خَبَيْتُمْ وَخَسِرْتُمْ ، قَدْ وَاللَّهِ مَرَّ بِكُمْ ، وَذَرَّ عَلَى رُؤُوسِكُمُ التُّرَابَ ، فَتَفَقَّدُوا رُؤُوسَهُمْ فَوَجَدُوا التُّرَابَ عَلَيْهَا كَمَا قَالَ .

ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى الْفِرَاشِ فَوَجَدُوا عَلِيًّا مُسَجًى بِالْبُرْدِ ، فَبَقُوا مُتَحِيرِينَ ، وَشَلَّ تَفْكِيرُهُمْ لِمُدَّةِ سُوءَاتٍ .

مِنَ الدَّارِ إِلَى الْغَارِ وَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ :

غَادَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَهُ فِي لَيْلَةِ ٢٧ مِنْ شَهْرِ صَفَرِ سَنَةِ ١٤ مِنْ بَعَثَتِهِ ﷺ ، وَآتَى إِلَى دَارِ رَفِيقِهِ وَأَمَّنَ النَّاسَ عَلَيْهِ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ ( أَبِي بَكْرٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ غَادَرَ مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ بَابِ خَلْفِيٍّ ، لِيَخْرُجَا مِنْ مَكَّةَ عَلَى عَجَلٍ ، قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ .

(١) سيرة ابن هشام ، وبذلك كان عليٌّ أولَ فدائيِّ شابٍّ في الإسلام . (٢) سورة يس ( الآية ٩ ) .

وَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْلَمُ أَنَّ قُرَيْشًا سَتَجِدُ فِي الطَّلَبِ ، وَأَنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي سَتَتَّجِهُ إِلَيْهِ الْأَنْظَارُ لِأَوَّلِ وَهَلَةٍ هُوَ طَرِيقُ الْمَدِينَةِ الرَّئِيسِيِّ الْمُتَّجِهَةِ شَمَالًا ، فَقَد سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُضَادُّهُ تَمَامًا ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاقِعُ جَنُوبَ مَكَّةَ ، وَالْمُتَّجِهَةُ نَحْوَ الْيَمَنِ .. سَلَكَ هَذَا الطَّرِيقَ نَحْوَ خَمْسَةِ أَمْيَالٍ ، حَتَّى بَلَغَ ﷺ إِلَى جَبَلٍ يُعْرَفُ بِجَبَلِ ثَوْرٍ ، وَهَذَا جَبَلٌ شَامِخٌ ، وَعَرُّ الطَّرِيقِ ، صَعْبُ الْمُرْتَقَى ، ذُو أَحْجَارٍ كَثِيرَةٍ فَحَفِيفٌ قَدَمَاهُ ﷺ ، وَقِيلَ : بَلْ كَانَ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ عَلَى أَطْرَافِ قَدَمَيْهِ كَيْ يُخْفِيَ أَثَرَهُ فَحَفِيفٌ قَدَمَاهُ ﷺ ، وَأَيًّا مَا كَانَ ؛ فَقَد حَمَلَهُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ حِينَ بَلَغَ إِلَى الْجَبَلِ ، وَطَفِيقٌ يَشْتَدُّ بِهِ حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى غَارٍ فِي قِمَّةِ الْجَبَلِ ، عُرِفَ فِي التَّارِيخِ بِغَارِ ثَوْرٍ .

إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ : وَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الْغَارِ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُهُ حَتَّى أَدْخُلَهُ قَبْلَكَ ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ أَصَابَنِي دُونَكَ ، فَدَخَلْ فَكَسَحْهُ ، وَوَجَدَ فِي جَوَانِبِهِ تُقُوبًا فَشَقَّ إِزَارَهُ وَسَدَّهَا بِهِ ، وَبَقِيَ مِنْهَا اثْنَانِ فَأَلْقَمَهُمَا رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ادْخُلْ .. فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ وَنَامَ ، فَلَدِغَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فِي رِجْلِهِ مِنَ الْجُحْرِ ، وَلَمْ يَتَحَرَّكَ مَخَافَةَ أَنْ يَنْتَبِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَسَقَطَتْ دُمُوعُهُ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : مَا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ قَالَ لُدِغْتُ ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، فَتَفَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَانَ اللَّدِغِ ، فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ .<sup>(١)</sup>

وَكَمْنَا فِي الْغَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ السَّبْتِ وَلَيْلَةَ الْأَحَدِ .. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بَيْتٌ عِنْدَهُمَا ؛ قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ﷺ : وَهُوَ شَابٌّ تَقِفٌ<sup>(٢)</sup> لَقِنٌ ، فَيَدْلِجُ<sup>(٤)</sup> مِنْ عِنْدِهِمَا بِسِحْرِ ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كِبَائِتٍ بِهَا ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ ،

(١) ومشكاة المصابيح، رواه زَيْنُ عَن (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . (٢) صحيح البخاري .

(٣) تَقِفٌ لَقِنٌ : فَيَوْمَ حَسَنَ التَّقِنُ لِمَا يَسْمَعُهُ . (٤) يَدْلِجُ : سَارَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ، أَدْلَجَ : إِذَا سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ .

وَكَانَ يَرَعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ (مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ) مُنَحَةً مِنْ غَنَمٍ ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ ، فَيَبِيَّتَانِ فِي رِسْلِ ( وَهُوَ لَبَنٌ مُنَحْتَهُمَا ) ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ تَبِعَ أَثَرَهُ عَامِرٌ بِالْغَنَمِ كَيْلًا يَظْهَرُ لِقَدَمَيْهِ أَثَرٌ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ .

أَمَّا قُرَيْشٌ فَقَدْ جُنُّوا جُنُونَهَا حِينَمَا تَأَكَّدُ لَدَيْهَا إِفْلَاتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَبَاحَ لَيْلَةٍ تَنْفِيذِ الْمُؤَامَرَةِ : فَأَوَّلُ مَا فَعَلُوا بِهَذَا الصَّدَدِ أَنَّهُمْ ضَرَبُوا عَلِيًّا ، وَسَحَبُوهُ إِلَى الْكُمْبَةِ ، وَحَبَسُوهُ سَاعَةً ، عَلَيْهِمْ يَظْفَرُونَ بِخَبْرِهِمَا ، وَلَمَّا لَمْ يَحْصُلُوا مِنْ عَلِيٍّ عَلَى جَدْوَى جَاؤُوا إِلَى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ ، وَقَرَعُوا بَابَهُ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالُوا لَهَا : أَيْنَ أَبُوكَ ؟ قَالَتْ : لَا أَدْرِي وَاللَّهِ أَيْنَ أَبِي ؟ فَرَفَعَ أَبُو جَهْلٍ يَدَهُ ( وَكَانَ فَاحِشًا خَبِيثًا ) فَلَطَمَ خَدَّهَا لَطْمَةً طَرَحَ مِنْهَا قُرْطَهَا .<sup>(١)</sup>

وَقَرَّرَتْ قُرَيْشٌ فِي جَلْسَةِ طَارِئَةٍ مُسْتَعْجَلَةٍ اسْتِخْدَامَ جَمِيعِ الْوَسَائِلِ الَّتِي يُمَكِّنُ بِهَا الْقَبْضَ عَلَى الرَّجُلَيْنِ ، فَوَضَعَتْ جَمِيعَ الطَّرِيقِ النَّافِذَةِ مِنْ مَكَّةَ ( فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ ) تَحْتَ الْمُرَاقَبَةِ الْمُسَلَّحَةِ الشَّدِيدَةِ ، كَمَا قَرَّرَتْ إِعْطَاءَ مُكَافَأَةٍ ضَخْمَةٍ قَدَرُهَا مِائَةٌ نَاقَةٍ بَدَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ يُعِيدُهُمَا إِلَى قُرَيْشٍ حَيِّينَ أَوْ مَيِّتَيْنِ ، كَاتِنًا مَنْ كَانَ .

وَحِينَئِذٍ جَدَّتِ الْفُرْسَانُ وَالْمُشَاةُ وَقُصَّاصُ الْأَثَرِ فِي الطَّلَبِ ، وَانْتَشَرُوا فِي الْجِبَالِ وَالْوُدْيَانِ ، وَالْوَهَادِ ، وَالْهَضَابِ ، وَلَكِنْ مِنْ دُونِ جَدْوَى وَبَغَيْرِ عَائِدَةٍ . وَقَدْ وَصَلَ الْمُطَارِدُونَ إِلَى بَابِ الْغَارِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ؛ فَأَعْمَى اللَّهُ أَبْصَارَهُمْ عَنْهُمَا ، وَأَنْبَتَ اللَّهُ عَلَى بَابِ الْغَارِ شَجَرَةً أُمَّ غَيْلَانَ وَاللَّهُمَّ الْعَنْكَبُوتَ فَتَسَجَّتْ عَلَى فَمِ ( الْغَارِ ) ، وَأَرْسَلَ حَمَامَتَيْنِ وَحَشِيَّتَيْنِ فَوَقَفَتَا عَلَى وَجْهِ الْغَارِ وَبَاضَتْ فِي أَسْفَلِ النَّقْبِ ( وَحَمَامُ الْحَرَمِ مِنْ نَسْلِ تَيْبِكَ الْحَمَامَتَيْنِ ) ، وَأَقْبَلَ هِثْيَانُ قُرَيْشٍ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ حَتَّى وَصَلَ بَعْضُهُمُ الْغَارَ وَصَدَّهُمْ وَجُودُ الْحَمَامَتَيْنِ

وقال أحدُهم : ادخلوا النارَ ، فقال أُمَيَّةُ بنُ خَلْفٍ : إنَّ فيه لَمَنكُوبًا أقدَمَ مِن ميلادِ مُحَمَّدٍ .

وفى ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه ، قَالَ : نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ وَنَحْنُ فِي النَّارِ ، وَهُمْ عَلَى رُؤُوسِنَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمِيهِ لَأَبْصَرْنَا تَحْتَ قَدَمِيهِ ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : ( يا أبا بَكْرٍ ، مَا ظَنُّكَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا ) (١) .

وفى ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٢) .

وما أَحْسَنَ وَصَفَ إِمَامِ الْمَادِحِينَ الْبُوصِيرِي قَائِلًا :

وما حوى الغارُ من خَيْرٍ ومِن كَرَمٍ \* وكلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي  
فَالصِّدِّيقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرَمَا \* وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمٍ (٣)  
ظَنُّوا الْعِمَامَ وَظَنُّوا الْمَنكُوبَاتِ عَلَى \* خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَسْجُجْ وَلَمْ تَحْمِ  
وَقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةِ \* مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأَطْمِ (٤)

فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدِينَةِ : وَحِينَ خَمَدَتْ نَارُ الطَّلَبِ ، وَتَوَقَّضَتْ أَعْمَالُ دَوْرِيَّاتِ التَّفْقِيشِ ، وَهَدَّاتُ ثَائِرَاتُ فُرَيْشٍ بَعْدَ اسْتِمْرَارِ الْمُطَارَدَةِ الْحَثِيئَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِدُونِ جَدْوَى ، تَهَيَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَصَاحِبُهُ لِلْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْإِثْنَيْنِ (عُرَّةُ ربيعِ الأوَّلِ سَنَةِ ١ هـ) ، جَاءَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْيَظَ ( وَكَانَ عَلَى دِينِ مُشْرِكِي فُرَيْشٍ ، وَلَمْ يَعْرِفْ لَهُ إِسْلَامًا قَطُّ ) (٥) .  
ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ، وَارْتَحَلَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . (٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ ( مِنْ آيَةِ ٤٠ ) .

(٣) لَمْ يَرَمَا : لَمْ يَتْرَكَ الْغَارَ . مِنْ أَرِمٍ : مِنْ أَحَدٍ . (٤) الْأَطْمُ : الْعِضْنُ .

(٥) وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى مُرُوءَةِ الْمَرْبِ . وَهَاتِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ . وَالْأَقْدَامُ كَانَ يُنْكَبُ أَنْ يَدُلَّ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِمَا ، وَيَأْخُذُ الْمَكَافَأَةَ .



( لِيَخْذُمَهُمَا ) ، وَأَخَذَ بِهِمُ الدَّلِيلُ ( عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطَ ) عَلَى طَرِيقِ السَّوَاجِلِ .  
 وَأَوَّلُ مَا سَلَكَ بِهِمْ بَعْدَ الخُرُوجِ مِنَ الفَارِ أَنَّهُ أَمَنَّ فِي اتِّجَاهِ الجَنُوبِ نَحْوَ اليَمَنِ ،  
 ثُمَّ اتَّجَهَ غَرْبًا نَحْوَ السَّاحِلِ ، حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى طَرِيقٍ لَمْ يَأْلَفُهُ النَّاسُ اتَّجَهَ  
 شِمَالًا عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ شَاطِئِ البَحْرِ الأَحْمَرِ ، وَسَلَكَ طَرِيقًا لَمْ يَسْلُكْهُ أَحَدٌ إِلَّا  
 نَادِرًا ، وَهَآكِ بَعْضُ مَا وَقَعَ فِي الطَّرِيقِ :

( ١ ) كَانَ مِنْ دَابِّ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ رِدْفًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ شَيْخًا يُعْرَفُ ،  
 وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُعْرَفُ ، فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ ، فَيَقُولُ : مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي  
 بَيْنَ يَدَيْكَ ؟ فَيَقُولُ : هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي الطَّرِيقَ ، فَيَحْسَبُ الحَاسِبُ أَنَّهُ يَعْنِي بِهِ  
 الطَّرِيقَ المَحْسُوسَ ، وَإِنَّمَا يَعْنِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَبِيلَ الخَيْرِ (١) .

( ٢ ) وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ ، مِنْ حَدِيثِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ  
 الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : فَأَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا ، حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظُّهَيْرَةِ (٢) ، وَخَلَا  
 الطَّرِيقُ فَلَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ ، حَتَّى رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ (٣) طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهَا  
 الشَّمْسُ بَعْدُ ، فَتَزَلْنَا عِنْدَهَا ، فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ وَسَوَّيْتُ بِيَدَيَّ مَكَانًا يَنَامُ فِيهِ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ بَسَطْتُ عَلَيْهِ فِرْوَةً ، ثُمَّ قُلْتُ : نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَنَا أَنْفُضُ  
 لَكَ مَا حَوْلَكَ (٤) ، فَتَنَامَ ، وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ ( أَي : أَسْتَبْرِئُهُ ) فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ  
 مُقْبِلٍ بَعْتَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَاهُ ، فَلَقَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ أَنْتَ  
 يَا غُلَامُ ؟ ، فَقَالَ : لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ ( يَعْنِي : مَكَّةَ ، فَهُوَ صِفَةٌ لَا عِلْمٌ )  
 فَقُلْتُ : أَهِيَ غَنَمِكَ لَبَنٌ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : أَفَتَحْلُبُ لِي ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَأَخَذَ  
 شَاةً ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنْفُضِ الصَّرْعَ مِنَ الشَّعْرِ وَالثَّرَابِ وَالقَدَى ، فَحَلَبَ لِي فِي قَعْبٍ  
 مَعَهُ ( أَي : قَدَحٍ ) كُتْبَةً (٥) مِنْ لَبَنِ ، قَالَ : وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ (٦) أَرْتَوِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

( ٢ ) قَائِمُ الظُّهَيْرَةِ : نَصَفُ النَّهَارِ .  
 ( ٤ ) أَي : أَخْرُسُكَ وَأَنْظُرُ جَمِيعَ مَا فِي المَكَانِ .  
 ( ٦ ) الإِدَاوَةُ : إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدِ .

( ١ ) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ عَنْ ( أَنَسٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .  
 ( ٣ ) رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ : ظَهَرَتْ لِأَبْصَارِنَا .  
 ( ٥ ) الكُتْبَةُ : هِيَ قَدْرٌ حَلِيبَةٌ خَفِيفَةٌ .

وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ ، فَوَقَفْتُ حَتَّى اسْتَيْقَظَ ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : اشْرَبْ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ ، فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيْتُ ، ثُمَّ قَالَ : ( أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ ۖ ) ، قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : فَارْتَحِلْنَا بَعْدَ مَا زَالَتِ الشَّمْسُ (١) .

( ٣ ) وَتَبِعَهُمَا فِي الطَّرِيقِ سُراقَةُ بْنُ مَالِكِ الْمُدَلِجِي (٢) ، قَالَ سُراقَةُ : بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِجٍ ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ رُسُلِ قُرَيْشٍ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ يَا سُراقَةُ ، إِنِّي رَأَيْتُ آيَةً أَسْوَدَةً (٣) بِالسَّاحِلِ ، أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ، قَالَ سُراقَةُ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا يَبْتَغُونَ ضَالَّةً لَهُمْ (أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يُثْنِيَ عَزْمَ مُخْبِرِهِ عَنْ طَلَبِهِمْ) ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا ، فَرَفَعْتُهَا تُقَرَّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ ، فَعَثَرْتُ بِبِي فَرَسِي فَتَنَحَّيْتُ عَنْهَا ، ثُمَّ رَكِبْتُهَا ثَانِيَةً وَسَارَتْ حَتَّى صَرْتُ أَسْمَعَ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الْإِتْفَاتَ ، فَسَاخَتْ (٤) قَائِمًا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغْنَا الرُّكْبَتَيْنِ ، فَتَنَحَّيْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا حَتَّى نَهَضَتْ ، فَلَمْ تَكُدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا حَتَّى سَطَعَ لَأْتِرُهُمَا غُبَارًا ارْتَفَعَ فِي السَّمَاءِ مِثْلَ الدُّخَانِ فَعَلِمْتُ أَنِّي مَمْنُوعٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَدَاخَلَنِي رُعبٌ عَظِيمٌ فَنادَيْتُهُمَا بِالْأَمَانِ .

فَوَقَفَ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَيْهِمْ ، فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ وَقَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنْ سَيُظْهِرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ لَهُ ، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ ، فَقَالُوا لِي لَا حَاجَةَ لَنَا ، وَلَكِنْ عَمَّا الْخَبَرِ ، فَقُلْتُ كُفَيْتُمْ ، وَسَأَلْتُ النَّبِيَّ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ ، فَأَمَرَ أَبَا بَكْرٍ ، فَكَتَبَ لِي فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدَمٍ ( جِلْد ) ، ثُمَّ مَضَى

(١) صحيح البخاري .

(٢) أسلم يوم الفتح ، وأبسه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وناجيه بوعد رسول الله له ، وتوفي في خلافة عثمان سنة ٢٤ هـ .

(٣) أسودة : كل شخص من إنسان وغيره ، والأسود أيضاً المدد الأكثر والجماعة .

(٤) أي غاصتا في الأرض .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

ثُمَّ عَادَ سُرَاقَةً أُدْرَجَهُ إِلَى مَكَّةَ وَهُوَ يَصْرِفُ أَنْظَارَ النَّاسِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ بِمَا يَرَاهُ مِنَ الْقَوْلِ .. وَهَكَذَا انْطَلَقَ إِلَيْهِمَا فِي الصَّبَاحِ جَاهِدًا فِي قَتْلِهِمَا ، وَعَادَ فِي الْمَسَاءِ يَحْرُسُهُمَا وَيَصْرِفُ النَّاسَ عَنْهُمَا .

٤ ) وَمَرَّ ﷺ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ بِخَيْمَتِي أُمَّ مَعْبِدِ الْخَزَاعِيَّةِ .. وَكَانَتْ امْرَأَةً سَخِيَّةً تَحْتَبِي بِفِنَاءِ الْخَيْمَةِ ، ثُمَّ تَطْعِمُ وَتَسْقِي مَنْ مَرَّ بِهَا ، فَسَأَلَاهَا : هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ مَا أَعُوزُكُمْ الْقَرَى وَالشَّاءُ عَارِزٌ ، وَكَانَتْ سَنَةً شَهْبَاءً .

فَنظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى شَاةٍ فِي كَسْرِ الْخَيْمَةِ ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبِدَ ؟ قَالَتْ : شَاةٌ خَلَفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْقَمَمِ ، فَقَالَ : هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ قَالَتْ : هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ ﷺ : أَتَأْذِنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبُهَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ يَا أَبِي وَأُمِّي وَإِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلُبْهَا .. فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا ، وَسَمَّى اللَّهَ وَدَعَا ، فَدَرَّتْ بِلَبَنٍ غَزِيرٍ مَلَأَ إِنَاءً لَهَا يَكْفِي الرَّهْطَ ، فَسَقَاهَا ، فَشَرِبَتْ حَتَّى رَوَيْتَ ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا ، ثُمَّ شَرِبَ ﷺ ، وَحَلَبَ فِيهِ ثَانِيًا ، حَتَّى مَلَأَ الْإِنَاءَ ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا فَارْتَحَلُوا .

فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبِدٍ يَسُوقُ أُعْزَأً عِجَافًا يَتَسَاوَكُنْ هُزْلًا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّبَنَ عَجِبَ ، فَقَالَ : مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا ؟ وَالشَّاةُ عَارِزٌ ، وَلَا حَلْوِيَّةٌ فِي الْبَيْتِ ؟ فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ كَانَ مِنْ حَدِيثِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، وَمِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ أَرَاهُ صَاحِبَ قُرَيْشٍ الَّذِي تَطْلُبُهُ ، فَوَصَفْتُهُ بِصِفَاتِهِ الرَّائِمَةِ بِكَلَامٍ رَائِعٍ كَأَنَّ السَّامِعَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَهُوَ أَمَامَهُ ، فَقَالَتْ : ظَاهِرُ الْوَضَاءَةِ أَبْلَجُ الْوَجْهِ ( مُشْرِقٌ وَضِيءٌ ) حَسَنُ الْخَلْقِ لَمْ تَعْبَهُ نَجَلَةٌ ( كِبَرُ الْبَطْنِ أَوْ الرَّأْسِ ) وَلَمْ تَزِرْ بِهِ صَعْلَةٌ ( صِفْرُ الرَّأْسِ ) وَسِيمٌ فَسِيمٌ فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ

(سَوَادٌ) وَفِي أَشْفَارِهِ وَصَلَفٌ ( طُولٌ رُمُوشِ الْعَيْنِ ) وَفِي صَوْتِهِ صَحَلٌ ( بَحَّةٌ )  
 وَفِي عُنُقِهِ سَطْحٌ ( طُولٌ ) أَحْوَرٌ ( شَدِيدُ بَيَاضِ الْعَيْنَيْنِ ) أَكْحَلُ أَرْجٌ ( مَقْوَسٌ  
 الْحَاجِبَيْنِ ) شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، إِذَا صَمَتَ عَلَاهُ الْوَقَارُ ، وَإِنْ تَكَلَّمَ عَلَاهُ الْبَهَاءُ  
 أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْيَاهُمْ ، حَسَنٌ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحْسَنُهُ وَأَحْلَاهُ مِنْ قَرِيبٍ ، حُلُوُّ  
 الْمَنْطِقِ فَضْلٌ لَا نَزْرٌ وَلَا هَنْدَرٌ ( لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ وَإِنَّمَا وَسَطُ الْكَلَامِ ) كَأَنَّ  
 مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ نُظْمَنَ يَتَحَدَّرْنَ ، رُبْعَةٌ ( لَا بِالطَّلْوِيلِ وَلَا الْقَصِيرِ ، يَمِيلُ إِلَى  
 الطُّولِ مَيْلًا قَلِيلًا ) لَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ وَلَا تَشْنُوهُ مِنْ طُولٍ ، غُصْنٌ بَيْنَ  
 غُصْنَيْنِ فَهُوَ أَنْظَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا ، لَهُ رُفَقَاءُ يَحْفُونُ بِهِ ؛ إِذَا قَالَ  
 اسْتَمِعُوا لِقَوْلِهِ وَإِذَا أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ ، مَحْفُودٌ ( يَخْدُمُهُ أَصْحَابُهُ وَيُسَارِعُونَ  
 لِأَمْرِهِ ) مَحْشُودٌ ( يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ النَّاسُ ) ، لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنِّدٌ ( لَا يَعْيبُ أَحَدًا ) .  
 فَقَالَ أَبُو مَعْبُدٍ : وَاللَّهِ هَذَا صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذِي ذَكَرُوا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذَكَرُوا ، لَقَدْ  
 هَمَمْتُ أَنْ أَصْحَبَهُ ، وَلَا أَفْعَلَنَّ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا .  
 وَلَمْ تَدْرِ قُرَيْشٌ أَيْنَ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى سَمِعُوا وَقْتَ الصُّبْحِ صَوْتًا بِمَكَّةَ  
 عَالِيًا يَسْمَعُونَهُ وَلَا يَرَوْنَ الْقَائِلَ :

- |  |   |
|--|---|
| جَزَى اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ | * رَفِيقَيْنِ حَلًّا خِيَمَتِي أُمَّ مَعْبُدٍ (١) |
| هُمَا نَزَلَا بِالْبَيْرِ ثُمَّ تَرَحَّلَا     | * فَيَا قَوْزَ مَنْ أَمَسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ     |
| فِيالِ قُصَى مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ        | * بِهِ مِنْ فَخَارٍ لَا يُجَارَى وَسُودِدِ        |
| لِيَهْنَ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فِتْنَتِهِمْ     | * وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصِدِ        |
| سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَأْنِهَا وَإِنَّا هِيَ | * فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ   |
| أَتَتْهُ بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ         | * عَلَيْهِ بِدَرٍّ ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزْبِدِ      |

قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا دَرِينَا أَيْنَ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ  
 رَجُلٌ مِنْ مُؤْمِنِي الْجَنِّ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ فَأَنْشَدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، وَالنَّاسُ يَتَّبِعُونَهُ

(١) واسمها : عابكة بنت خالد بن منقذ الخزاعية .

وَيَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَلَا يَرُونَهُ ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَعْلَاهَا .. قَالَتْ : فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ  
عَرَفْنَا حَيْثُ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنَّ وَجْهَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ . (١)

( ٥ ) وَفِي الطَّرِيقِ لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بُرَيْدَةَ ، وَكَانَ رَئِيسَ قَوْمِهِ ، خَرَجَ فِي طَلَبِ  
النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ ؛ رَجَاءً أَنْ يَفُوزَ بِالْمُكَافَأَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي أَعْلَنَتْ عَنْهَا قُرَيْشٌ .  
وَلَمَّا وَاجَهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَلَّمَهُ أَسْلَمَ مَكَانَهُ مَعَ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ ، ثُمَّ نَزَعَ  
عِمَامَتَهُ ، وَعَقَدَهَا بِرُمُحِهِ ، فَاتَّخَذَهَا رَايَةً تَعْلُنُ بِأَنَّ زَائِدَ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ قَدْ جَاءَ  
لِيَمْلَأَ الدُّنْيَا عَدْلًا وَهَسْطًا .

( ٦ ) وَفِي الطَّرِيقِ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ ، وَهُوَ فِي رَكْبِ الْمُسْلِمِينَ ،  
كَانُوا تُجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابًا  
بَيضاء . (٢)

تَنْوِيهِ لَزِمَ ذِكْرُهُ : قَدْ يَخْطُرُ فِي بَالِ أَيِّ إِنْسَانٍ مُتَصَفِّحٍ أَحْدَاثَ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ  
أَنْ يُقَارِنَ بَيْنَ هِجْرَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَيَتَسَاءَلَ :  
لِمَاذَا هَاجَرَ عُمَرُ عَلَانِيَةً مُتَحَدِّيًا لِلْمُشْرِكِينَ دُونَ أَيِّ خَوْفٍ وَوَجَلٍ ، عَلَى حِينِ  
هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا مُحْتَاطًا لِنَفْسِهِ ؟ أَيْكُونُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَشَدَّ جُرْأَةً  
مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ! ؟

وَالجَوَابُ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْ أَيُّ مُسْلِمٍ آخَرَ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعَدُّ  
تَصَرُّفُهُ تَصَرُّفًا شَخْصِيًّا لَا حُجَّةَ تَشْرِيعِيَّةَ فِيهِ ، فَلَهُ أَنْ يَتَخَيَّرَ مِنَ الطَّرِيقِ  
وَالْوَسَائِلِ وَالْأَسَالِبِ مَا يَحْلُو لَهُ وَمَا يَتَّفِقُ مَعَ قُوَّةِ جُرْأَتِهِ وَإِيْمَانِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى .

أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَهُوَ مُشْرَعٌ ، أَيَّ إِنْ جَمِيعَ تَصَرُّفَاتِهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْدِّينِ تُعْتَبَرُ  
تَشْرِيعًا لَنَا ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ سُنَّتُهُ الَّتِي هِيَ الْمَصْدَرُ الثَّانِي مِنْ مَصَادِرِ التَّشْرِيعِ  
مَجْمُوعَ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَقْرِيرِهِ .. فَلَوْ أَنَّهُ ﷺ فَعَلَ كَمَا فَعَلَ عُمَرُ ،  
لَحَسِبَ النَّاسُ أَنَّ هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ ! .. وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَخْذُ الْحَيْطَةِ وَالْحَذَرِ ،

( ٢ ) رَوَى ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ( عُرْوَةَ بْنِ الرَّبِيعِ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

( ١ ) حَيْزَةُ ابْنِ مِشَامٍ .

والتَّخَفِّي عِنْدَ الخَوْفِ ، مَعَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَقَامَ شَرِيعَتَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى مُقْتَضَى الأسبابِ وَمُسَبِّبَاتِهَا ، وَإِنْ كَانَ الوَاقِعُ الَّذِي لاشْكُ فِيهِ أَنَّ ذَلِكَ بِتَسْبِيبِ اللهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ .

لأَجْلِ ذَلِكَ ، اسْتَعْمَلَ الرَّسُولُ ﷺ كُلَّ الأسَالِيبِ وَالوَسَائِلِ المَادِيَّةِ الَّتِي يَهْتَدِي إِلَيْهَا العَقْلُ البَشَرِيُّ فِي مِثْلِ هَذَا العَمَلِ ، حَتَّى لَمْ يَتْرِكْ وَسِيلَةً مِنْ هَذِهِ الوَسَائِلِ إِلَّا اعْتَدَّ بِهَا وَاسْتَعْمَلَهَا ، فَتَرَكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَنَامُ فِي فِرَاشِهِ وَيَنَغْطِي بِبُرْدِهِ ، وَاسْتَعَانَ بِأَحَدِ المُشْرِكِينَ ( بَعْدَ أَنْ أَمَنَهُ ) لِيُدْلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ الفَرَعِيَّةِ الَّتِي قَدْ لَا تَخْطُرُ فِي بَالِ الأَعْدَاءِ ، وَأَقَامَ ﷺ فِي الغَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَحَفِيًّا ، إِلَى آخِرِ مَا عَبَّأَهُ مِنَ الاحْتِيَاظَاتِ المَادِيَّةِ الَّتِي قَدْ يُفَكِّرُ بِهَا العَقْلُ ، لِيُوضِّحَ بِذَلِكَ أَنَّ الإِيمَانَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُنَافِي اسْتِعْمَالَ الأسبابِ المَادِيَّةِ الَّتِي أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَظِيمِ حِكْمَتِهِ أَنْ يَجْعَلَهَا أسباباً .

وَلَيْسَ قِيَامُهُ بِذَلِكَ بِسَبَبِ خَوْفٍ فِي نَفْسِهِ ، أَوْ شَكٍّ فِي إِمْكَانِ وُقُوعِهِ فِي قَبْضَةِ المُشْرِكِينَ قَبْلَ وُصُولِهِ المَدِينَةَ .. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ بَعْدَ مَا اسْتَفْتَدَ الأسبابَ المَادِيَّةَ كُلَّهَا ، وَتَحَلَّقَ المُشْرِكُونَ حَوْلَ الغَارِ الَّذِي يَخْتَبِئُ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ بِحَيْثُ لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ عِنْدَ قَدَمِهِ لَأَبْصَرَ الرَّسُولَ ﷺ ، وَاسْتَبَدَّ الخَوْفُ بِقَلْبِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى حِينِ كَانَ يُطْمَئِنُّهُ ﷺ قَائِلاً :

( يَا أبا بَكْرٍ ، مَا ظَنَنْكَ بِاِثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا ؟ ) .

لَقَدْ كَانَ كُلُّ مَا فَعَلَهُ مِنْ تِلْكَ الاحْتِيَاظَاتِ إِذْنٌ ، وَوِظِيفَةٌ تَشْرِيعِيَّةٌ قَامَ بِهَا ﷺ ، فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ أَدَائِهَا ، عَادَ قَلْبُهُ مُرْتَبِطاً بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ مُعْتَمِداً عَلَى جِمَائِيَّتِهِ وَتَوْفِيقِهِ ، لِيَعْلَمَ المُسْلِمُونَ أَنَّ الأَعْتِمَادَ فِي كُلِّ أَمْرٍ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَكِنْ لَا يُنَافِي ذَلِكَ احْتِرَامَ الأسبابِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لِلإِنْسَانِ فِي هَذَا الكَوْنِ أسباباً .

وَمِنْ أَبْرَزِ الْأَدِلَّةِ عَلَى هَذَا الَّذِي نَقُولُهُ أَيْضاً ، حَالَتُهُ ﷺ عِنْدَمَا لَحِقَ بِهِ سُرَاقَةٌ يُرِيدُ قَتْلَهُ وَأَصْبَحَ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ .. لَقَدْ كَانَ مِنْ مُقْتَضَى كُلِّ تِلْكَ الْاِحْتِيَاطَاتِ الْهَائِلَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا ﷺ أَنْ يَشْعُرَ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ مِنْ ذَلِكَ الْعَدُوِّ الَّذِي يَجِدُ فِي اللَّحَاقِ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ كَانَ مُسْتَفْرَقاً فِي قِرَاءَتِهِ وَمُنَاجَاتِهِ لِرَبِّهِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي أَمَرَهُ بِالْهِجْرَةِ سَيَمْنَعُهُ مِنَ النَّاسِ وَيَعْصِمُهُ مِنْ شَرِّهِمْ كَمَا بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ .

النُّزُولُ بِقُبَاءَ :

وَفِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ ٨ ربيعِ الأوَّلِ سَنَةِ ١٤ مِنْ بَعَثَتِهِ ﷺ ( وَهِيَ السَّنَةُ الْأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ ) نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ب ( قُبَاءَ ) ؛ وَهَذَا أَوَّلُ تَارِيخٍ جَدِيدٍ <sup>(١)</sup> لِظُهُورِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ مَضَى عَلَيْهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَهُوَ مُضَيِّقٌ عَلَيْهِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَرَسُولِ اللَّهِ مَمْنُوعٌ مِنَ الْجَهْرِ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ، أَمَّا الْآنَ فَقَدْ آوَاهُ اللَّهُ هُوَ وَصَحَابَتُهُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا قَلِيلاً يَتَخَفُّهُمْ النَّاسُ .

قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ <sup>(٢)</sup> : سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ بِمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ ، فَكَانُوا يَفْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ <sup>(٣)</sup> ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حُرَّ الظُّهَيْرَةِ ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ أَنْ طَالَ انْتِظَارُهُمْ ، فَلَمَّا آوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودٍ عَلَى أَطْمٍ <sup>(٤)</sup> مِنْ أَطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبِیِّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ ( يُظْهِرُهُمْ تَارَةً وَيُخْفِيهِمْ أُخْرَى ) ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ هَذَا جَدُّكُمْ ( أَي : حَظُّكُمْ ) الَّذِي تَنْتَظِرُونَ ، فَتَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السَّلَاحِ ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ .. فَعَدَلَ بِهِمْ ﷺ ذَاتَ الْيَمِينِ ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءَ ، فَقَامَ

( ١ ) نَحْنُ أَرَادَ الْمُسْلِمُونَ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَضَعَ التَّارِيخَ جَمَلًا مُبْدَأَهُ مِنْ هَذِهِ الْهِجْرَةِ الشَّرِيفَةِ . وَلَقَدْ مَخَالَفَةٌ بَيْنَ مَبْدَأِ الْهِجْرَةِ وَبَدَأِ السَّنَةِ الْهِلَالِيَّةِ فَتَمَّوْا مَبَادِئَ الْهِجْرَةِ شَهْرَيْنِ وَأَيَّامًا وَجَمَلُوا بَدَأَ الْهِجْرَةَ مِنْ مُحَرَّمِ سَنَتِهَا .  
( ٢ ) الْحَرَّةُ : هِيَ الْأَرْضُ ذَاتُ الْجِبَارَةِ السُّورِ . وَالْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ مُحَاطَةٌ بِحَرَّتَيْنِ .  
( ٣ ) الْأَطْمُ : الْقَصْرُ أَوْ الْحِصْنُ وَكُلُّ بَيْتٍ مَرِيعٍ مُنْطَلِعٍ ، وَقَدْ عُرِفَتِ الْمَدِينَةُ بِكَثْرَةِ أَطَامِهَا الَّتِي تَسْتَمِيلُهَا وَسَبِيلَةُ اللَّغَاغِ بَدَلًا مِنَ الْأَسْوَارِ .

أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَامِتًا ، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ ، حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ (١) . وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا قَدْ زَحَفَتْ لِلِاسْتِجَابِ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا لَمْ تَشْهَدْ الْمَدِينَةُ مِثْلَهُ فِي تَارِيخِهَا .

وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبَاءٍ عَلَى شَيْخِ بَنِي عَمْرِو ( كُنُوثُومِ بْنِ الْهَدْمِ ) ، وَكَانَ يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَيَتَحَدَّثُ لَهُمْ فِي بَيْتِ ( سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ ) لِأَنَّهُ كَانَ عَزْبًا ، وَنَزَلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِالسُّنْحِ ( مَحَلَّةٌ بِالْمَدِينَةِ ) عَلَى خَارِجَةِ بْنِ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ مِنَ الْخَزْرَجِ .. وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ أَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلِيَالِيهَا ، حَتَّى آدَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَدَائِعَ الَّتِي عِنْدَهُ لِلنَّاسِ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهَا ، لَجِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلَ مَعَهُ عَلَى كُنُوثُومِ بْنِ الْهَدْمِ .

مَسْجِدُ قُبَاءٍ :

وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبَاءٍ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ : الْإِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَاءِ وَالْأَرْبَعَاءِ وَالخَمِيسِ ، أُسِّسَ فِيهَا مَسْجِدُ قُبَاءٍ الَّذِي وَصَفَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ مَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ (٢) ، وَصَلَّى فِيهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَهُمْ آمِنُونَ مُطْمَئِنُّونَ . وَكَانَتِ الْمَسَاجِدُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَايَةِ مِنَ الْبَسَاطَةِ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا اعْتَادَهُ بِنَاةُ الْمَسَاجِدِ فِي الْقُرُونِ الْأَخِيرَةِ ، لِأَنَّ الرَّسُولَ وَأَصْحَابَهُ لَمْ يَكُنْ جُلُّ هَمِّهِمْ إِلَّا مُنْصَرِفًا لِتَزْيِينِ الْقُلُوبِ وَتَعْمِيرِهَا بِمَرْضَاةِ الرَّحْمَنِ ، وَتَخْلِيَتِهَا وَتَنْظِيفِهَا مِنْ حَظِّ الشَّيْطَانِ .

أَوَّلُ جُمُعَةٍ : فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْخَامِسُ ( يَوْمُ الْجُمُعَةِ ) رَكِبَ ﷺ بِأَمْرِ اللَّهِ لَهُ ، وَأَبُو بَكْرٍ رَدَفُهُ ، وَأَرْسَلَ ﷺ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ ( أَخْوَالِهِ ) فَجَاؤُوا مُتَقَلِّدِينَ سِيُوفَهُمْ

(١) صحیح البخاری . (٢) وقد استتمَّ عمارُ بنُ ياسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بُنْيَانَهُ وَجَمَعَ الْحِجَارَةَ لَهُ بَعْدَ أَنْ اسْتَشَارَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

(٣) «مَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا»



فَسَارَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، فَأَدْرَكَتُهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ ، فَجَمَعَ بِهِمْ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِي ، وَكَانُوا مِائَةَ رَجُلٍ ، وَهَذِهِ أَوَّلُ جُمُعَةٍ لَهُ ﷺ وَأَوَّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا ﷺ ؛ حَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ؛ تَعْلَمَنَّ وَاللَّهِ لَيُضَعَفَنَّ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لَيَدَعَنَّ غَنَمَهُ لَيْسَ لَهَا رَاعٌ ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ رَبُّهُ ( لَيْسَ لَهُ تَرْجُمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجُبُهُ دُونَهُ ) : أَلَمْ يَأْتِكَ رَسُولِي فَبَلَّغَكَ ، وَأَتَيْتَكَ مَالًا وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ ؛ فَمَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ ؟ .. فَلَيَنْظُرَنَّ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَا يَرَى شَيْئًا ، ثُمَّ لَيَنْظُرَنَّ قُدَّامَهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ ، فَمِنْ اسْتِطَاعَ أَنْ يَبْقَى وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلَيُفْعَلْ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِكْلِمَةً طَيِّبَةً ، فَإِنَّهَا تُجْزَى الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ .. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

### الْوُضُوءُ إِلَى الْمَدِينَةِ :

ثُمَّ رَكِبَ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَهُنَا حَدَّثَ وَلَا حَرَجَ عَنِ سُورِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ؛ وَكَانَ ﷺ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى دَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَقَامِ عِنْدَهُمْ قَائِلِينَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلُمَّ إِلَى الْقُوَّةِ وَالْمَنْعَةِ ، فَيَقُولُ : خَلُّوا سَبِيلَهَا ( يَعْنِي نَاقَتَهُ ) فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ ، وَقَدْ أَرْخَى ﷺ زِمَامَهَا وَمَا يُحَرِّكُهَا وَهِيَ تَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى إِذَا أَتَتْ دَارَ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ بَرَكَتَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مَرْبُودٌ تَمْرٍ لِسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ ابْنَيْ رَافِعِ بْنِ عَمْرٍو ( وَهُمَا يَتِيمَانِ فِي حِجْرِ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ ) ، ثُمَّ سَارَتِ النَّاقَةُ وَهُوَ ﷺ عَلَيْهَا حَتَّى بَرَكَتَ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ (١) ، ثُمَّ سَارَتْ فِيهِ وَبَرَكَتَ فِي مَبْرَكِهَا الْأَوَّلِ وَأَلْقَتْ جِرَانَهَا ( أَي بَاطِنَ عُنُقِهَا ) بِالْأَرْضِ ، وَأَرْزَمَتْ ( أَي صَوَّتَتْ ) (٢) مِنْ غَيْرِ أَنْ تَفْتَحَ فَاهاً ،

(١) أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ النَّجَّارِيُّ (خَالِدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ كَلْبٍ) ، شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَيَدْرَأُ وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ ، أَخَى النَّبِيَّ ﷺ وَبَيْنَ مُصَافِيهِ بْنِ عُمَيْرٍ ، شَهِدَ الْفَتْوحَ وَدَاوَمَ الْغَزَاوِمَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى فِي غَزَاةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ هِجْرِيَّةً وَدُفِنَ ﷺ عِنْدَ أَسْوَارِهَا .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ .

وَنَزَلَ عَنْهَا ﷺ وَقَالَ : ( هَذَا الْمَنْزِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ) ، ﴿ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ (١) ، وَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ رَحْلَهُ ﷺ وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَكَانَتْ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ أَوْسَطَ دُورِ الْأَنْصَارِ وَأَفْضَلَهَا وَهُمْ أَخْوَالُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَدِّهِ ﷺ .

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ وَصَعِدَتْ ذَوَاتُ الْخُدُورِ عَلَى الْأَجَاجِيرِ عِنْدَ قُدُومِهِ يَقُلْنَ :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا \* مِنْ ثَنِيَاتِ الْوُدَاعِ

وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا \* مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعِي

أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا \* جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمُطَاعِ

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضًا : لَمَّا بَرَكَتِ النَّاقَةُ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ، خَرَجَ جَوَارِحُ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ بِالْدُفُوفِ يَقُلْنَ :

نَحْنُ جَوَارِحُ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ \* يَا حَبِذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فَقَالَ ﷺ : أَتَحِبِّبْنِي ؟ قُلْنَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ ﷺ : اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكُمْ .

وَاخْتَارَ ﷺ الْفُزُولَ فِي الدَّوْرِ الْأَرْضِيِّ مِنْ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ ، لِيَكُونَ أَرِيحَ لِزَائِرِيهِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَرْضَ ﷺ ذَلِكَ كَرَامَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا يُمَكِّنُ أَنْ يُصِيبَهُ مِنَ التُّرَابِ الَّذِي يُحْدِثُهُ وَطْءُ الْأَقْدَامِ أَوْ الْمَاءُ الَّذِي يَهْرَاقُ ، فَقَدِرَ اتَّفَقَ أَنْ كُسِرَتْ مِنْ زَوْجَتِهِ جَرَّةُ مَاءٍ بِاللَّيْلِ فَقَامَ هُوَ وَهِيَ بِقَطِيفَتَيْهِمَا الَّتِي لَيْسَ لَهَا غَيْرُهَا ، يَمْسَحَانِ الْمَاءَ خَوْفًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يَسْتَعْطِفُهُ حَتَّى قَبِلَ ﷺ السُّكْنَى فِي الدَّوْرِ الْعُلُويِّ . . . وَكَانَتْ تَأْتِيهِ الْجِحَانُ (٢) كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ سَرَاةِ الْأَنْصَارِ كَسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ وَأَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ وَأُمَّ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ؛ فَمَا مِنْ لَيْلَةٍ إِلَّا وَعَلَى بَابِهِ الثَّلَاثُ أَوْ الْأَرْبَعُ مِنْ جِحَانِ الثَّرِيدِ .

(٢) الْجِحَانُ : جَمْعُ جِحْنَةٍ ، وَهِيَ الْقَضْنَةُ الْمُطَيَّبَةُ تَتَّخَذُ لِلْأَكْلِ .

(١) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ (مِنَ الْآيَةِ ٢٩) .

نَزَلَ الْمُهَاجِرِينَ: وَلَمَّا تَحَوَّلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَغْلَبَ الْمُهَاجِرِينَ ، تَنَافَسَ فِيهِمُ الْأَنْصَارُ فَحَكَّمُوا الْقُرْعَةَ بَيْنَهُمْ ، فَمَا نَزَلَ مُهَاجِرِيٌّ عَلَى أَنْصَارِيٍّ إِلَّا بِقُرْعَةٍ أُخُوَّةِ الْإِسْلَامِ .. وَمَحَبَّةِ سَيِّدِ الْأَنَامِ ( عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام ) :

وَمَنْ يَتَأَمَّلُ فِي هَذِهِ الْمَحَبَّةِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ أَنْ تَكُونَ بِتَأْثِيرِ بَشَرٍ ، بَلْ بِفَضْلِ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ : يَفْهَمُ كَيْفَ انْتَصَرَ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامُ عَلَى أَهْلِ الْعِنَادِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ مَعَ قِلَّةِ الْعَدَدِ وَالْعِتَادِ .

وَتَكْشِفُ لَنَا الصُّورَةَ الَّتِي اسْتَقْبَلَتْ بِهَا الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ مَدَى الْمَحَبَّةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي كَانَتْ تَفِيضُ بِهَا أَفئِدَةُ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ رِجَالًا وَنِسَاءً وَأَطْفَالًا .. لَقَدْ كَانُوا يَخْرُجُونَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ يَنْتَظِرُونَ تَحْتَ لَفْحِ الشَّمْسِ وَضُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ ، حَتَّى إِذَا هَبَّ النَّهَارُ لِيُدْبِرَ ، عَادُوا أَدْرَاجَهُمْ لِيَعُودُوا إِلَى الْإِنْتِظَارِ صَبَاحَ الْيَوْمِ الثَّانِي ، فَلَمَّا طَلَعَ الرَّسُولُ عَلَيْهِمْ جَاشَتِ الْعَوَاطِفُ فِي صُدُورِهِمْ وَانْطَلَقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ تَهْتِفُ بِالْقَصَائِدِ وَالْأَهَازِجِ فَرَحًا لِمَرَأَةِ اللَّهِ ﷺ وَمَقْدَمِهِ عَلَيْهِمْ ، وَلَقَدْ بَادَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَحَبَّةَ ذَاتَهَا ، حَتَّى إِنَّهُ جَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى وَلَائِدِ بَنِي النَّجَارِ مِنْ حَوْلِهِ ، وَهُنَّ يَنْشُدْنَ وَيَتَغَنَّيْنَ بِمَقْدَمِهِ ، قَائِلًا : ( أَتُحِبُّنَنِي ؟ وَاللَّهِ إِنْ قَلْبِي لِيُحِبُّكَ ) .

يَدُلُّنَا كُلُّ ذَلِكَ أَنَّ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْسَتْ فِي مُجَرَّدِ الْإِتْبَاعِ ، بَلِ الْمَحَبَّةُ لَهُ هِيَ أَسَاسُ الْإِتْبَاعِ وَبَاعِثُهُ ، فَلَوْلَا الْمَحَبَّةُ الْعَاطِفِيَّةُ فِي الْقَلْبِ لَمَا وُجِدَ وَازِعٌ يَحْمِلُ عَلَى الْإِتْبَاعِ فِي الْعَمَلِ .

وَلَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ حَسِبُوا أَنَّ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى إِلَّا الْإِتْبَاعُ وَالْإِقْتِدَاءُ ، وَفَاتَهُمْ أَنَّ الْإِقْتِدَاءَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِوَازِعٍ وَدَافِعٍ ، وَلَنْ تَجِدَ مِنْ وَازِعٍ يَحْمِلُ عَلَى الْإِتْبَاعِ إِلَّا الْمَحَبَّةَ الْقَلْبِيَّةَ الَّتِي تَهْزُ الْمَشَاعِرَ وَتَسْتَبِدُّ بِالْعَوَاطِفِ ؛ وَلِذَلِكَ جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِقْيَاسَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَمْتِلَاءَ الْقَلْبِ بِمَحَبَّتِهِ ﷺ ، بِحَيْثُ

تَعْدُو مُتَغَلِّبَةً عَلَى مَحَبَّةِ الْوَالِدِ وَالْوَالِدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ مِنْ جِنْسِ مَحَبَّةِ الْوَالِدِ وَالْوَالِدِ أَي مَصْدَرُ كُلِّ مِنْهُمَا الْعَاطِفَةُ وَالْقَلْبُ وَالْأَلَمُ تَصِحُّ الْمُقَارَنَةُ وَالْمُفَاضَلَةُ بَيْنَهُمَا .

أَمَّا الصُّورَةُ الَّتِي رَأَيْنَاهَا فِي مُقَامِهِ ﷺ عِنْدَ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فِي مَنْزِلِهِ ، فَتَكْشِفُ لَنَا مَظْهَرًا آخَرَ مِنْ مَحَبَّةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُ .

وَالَّذِي يَهْمُنَا مِنْ ذَلِكَ هُنَا ، هُوَ التَّأَمُّلُ فِي تَبَرُّكِ أَبِي أَيُّوبَ وَرُؤُوحِهِ ، بِأَثَارِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قِصْعَةِ الطَّلَامِ ، حِينَمَا كَانَ يَرُدُّ عَلَيْهِمَا فَضْلَ طَعَامِهِ ؛ إِذَنْ : فَالتَّبَرُّكُ بِأَثَارِ النَّبِيِّ ﷺ أَمْرٌ مَشْرُوعٌ قَدْ أَقَرَّهُ .

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ بِسَنَدَيْهِمَا فِي صَحِيحَيْهِمَا صُورًا كَثِيرَةً أُخْرَى مِنْ تَبَرُّكِ الصَّحَابَةِ بِأَثَارِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّوَسُّلِ بِهَا لِلْإِسْتِشْفَاءِ أَوْ الْعِنَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ .

مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ اللَّبَاسِ : مِنْ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ( زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ) كَانَتْ تَحْتَفِظُ بِشَعْرَاتٍ مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي جُلْجُلٍ لَهَا ( مَا يُشْبِهُ الْقَارُورَةَ ) فَكَانَ إِذَا أَصَابَ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ عَيْنٌ أَوْ أَدَى أُرْسِلَ إِلَيْهَا إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ ، فَجَعَلَتْ الشَّعْرَاتِ فِي الْمَاءِ ، ثُمَّ أَخَذُوا الْمَاءَ يَشْرَبُونَهُ تَوَسُّلاً لِلْإِسْتِشْفَاءِ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْفَضَائِلِ فِي بَابِ طِيبِ عَرَفَةَ ﷺ : أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا ( وَهِيَ لَيْسَتْ فِي الْبَيْتِ ) ، فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا ، فَجَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وَقَدْ عَرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَنْقَعَ عَرَفَةَ عَلَى قِطْعَةِ أُدِيمٍ عَلَى الْفِرَاشِ ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا <sup>(١)</sup> فَجَعَلَتْ تُسَفُّ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعَصَّرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا ، فَأَفَاقَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : ( مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمِ ؟ ) فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَرْجُو بِرِكَتِهِ لِصَبِيَانِنَا ، قَالَ : ( أَصَبْتِ ) <sup>(٢)</sup>

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

(١) الْعَتِيدَةُ : كَالصُّنْدُوقِ الصَّغِيرِ تَجْمَلُ فِيهِ الْمَرْأَةُ مَا يَبِزُّ عَلَيْهَا .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ اسْتِيقَاقِ الصَّحَابَةِ إِلَى فَضْلِ وَضُوئِهِ ﷺ  
والتَّبَرُّكِ بِالكَثِيرِ مِنْ آثَارِهِ كَالْبَيْسَةِ وَالْقَدَحِ الَّذِي كَانَ يَشْرَبُ بِهِ .  
فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُ التَّوَسُّلِ بِآثَارِهِ الْمَادِيَّةِ ، فَكَيْفَ بِالتَّوَسُّلِ بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ  
جَلَّ جَلَالُهُ ؟ .

وَكَيْفَ بِالتَّوَسُّلِ بِكَوْنِهِ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ؟ .

وَالثَّابِتُ عِنْدَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِصَحِيحِ الْفَهْمِ : أَنَّ التَّوَسُّلَ  
والتَّبَرُّكَ كَلِمَتَانِ تَدُلَّانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ التَّمَسُّسُ بِالْخَيْرِ وَالبَّرَكَةِ عَنْ طَرِيقِ  
الْمُتَّوَسِّلِ بِهِ : وَكُلُّهُ مِنَ التَّوَسُّلِ بِجَاهِهِ ﷺ عِنْدَ اللَّهِ وَالتَّوَسُّلُ بِآثَارِهِ أَوْ ثِيَابِهِ  
أَفْرَادٍ وَجُزْئِيَّاتٍ دَاخِلَةٌ تَحْتَ نَوْعٍ شَامِلٍ هُوَ مُطْلَقُ التَّوَسُّلِ الَّذِي ثَبَتَ حُكْمُهُ  
بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ .

مِنْ مَظَاهِرِ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ﷺ : وَكَانَ الْأَنْصَارُ يُؤَثِّرُونَ إِخْوَانَهُمْ  
الْمُهَاجِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ  
وَإِلْيَمْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً  
مِمَّا أُوتُوا وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ  
نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) ، وَهَذَا أَعْلَى دَرَجَاتِ الْأُخُوَّةِ ، وَكُلُّ  
ذَلِكَ كَانُوا يَرَوْنَهُ قَلِيلًا بِالنَّسْبَةِ لِمَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ لِإِخْوَانِهِمْ : فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
لِيُمْكِّنَ بَيْنَهُمُ الْإِخَاءَ آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَكَانَ كُلُّ أَنْصَارِيٍّ وَنَزِيلُهُ  
أَخَوِيٌّ فِي اللَّهِ .

وَمِنْ الْعَبَثِ أَنْ نُكَلِّفَ الْقَلَمَ أَنْ يُوضِحَ لِلْقَارِئِ أَنَّ هَذِهِ الْأُخُوَّةَ كَانَتْ أَرْقَى بِكَثِيرٍ  
مِنَ الْأُخُوَّةِ الْعَصَبِيَّةِ ، بَلْ نَكَلُ ذَلِكَ لِلْإِحْسَاسِ الْإِسْلَامِيِّ فَإِنَّهُ أَفْصَحُ مُنْطِقًا مِنْ  
الْقَلَمِ .. وَعَلَى الْإِجْمَالِ فَتِلْكَ قُلُوبُ أَلْفِ اللَّهِ بَيْنَهَا حَتَّى صَارَتْ شَيْئًا وَاحِدًا فِي  
أَجْسَامٍ مُتَفَرِّقَةٍ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يُوفِّقَ مُسْلِمِي عَصْرِنَا إِلَى هَذَا الْإِخَاءِ حَتَّى

يَسُودُوا كَمَا سَادَ السَّابِقُونَ .

وَكَانَ هَذَا الْإِخَاءُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى الْمُوَاسَاةِ وَالْحَقِّ وَأَنْ يَتَوَارَثُوا  
بَعْدَ الْمَوْتِ دُونَ ذَوِي الْأَرْحَامِ ، وَكَانَ ﷺ يَقُولُ لِكُلِّ اثْنَيْنِ : ( تَاخَيَا فِي اللَّهِ  
أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ ) ، وَدَامَ هَذَا الْمِيرَاثُ إِلَى أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ :  
( وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ) (١)

وَلِإِرْسَاءٍ مَبْدَأُ الْإِخَاءِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ الْآتِيَّ : أَخَذَ  
ﷺ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَالَ : هَذَا أَخِي ، ثُمَّ جَعَلَ ﷺ : حَمْرَةَ بْنَ  
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ( عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ) وَزَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ أَخَوَيْنِ ، وَجَعَفَرَ بْنَ أَبِي  
طَالِبٍ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَخَوَيْنِ ( وَكَانَ جَعْفَرُ غَائِبًا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ) ، وَأَبَا بَكْرٍ  
الصَّدِيقَ وَخَارِجَةَ بْنَ زَيْدٍ ( مِنَ الْخَزْرَجِ ) أَخَوَيْنِ ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَعُتْبَانَ بْنَ  
مَالِكٍ ( أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ ) أَخَوَيْنِ ، وَأَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ وَسَعْدَ بْنَ  
مُعَاذٍ أَخَوَيْنِ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ أَخَوَيْنِ ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ  
الْعَوَّامِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ( حَلِيفَ بَنِي زُهْرَةَ ) أَخَوَيْنِ ، وَعُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ  
وَأَوْسَ بْنَ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذِرِ أَخَوَيْنِ ، وَطَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَكَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَخَوَيْنِ  
وَسَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ وَأَبِيَّ بْنَ كَعْبٍ ( أَخُو بَنِي النَّجَّارِ ) أَخَوَيْنِ ، وَمُضْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ  
وَأَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ أَخَوَيْنِ ، وَأَبَا حُدَيْفَةَ بْنَ عُتْبَةَ وَعَبَّادَ بْنَ بَشْرِ أَخَوَيْنِ ، وَعَمَّارَ  
بْنَ يَاسِرٍ وَحُدَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ أَخَوَيْنِ ، وَأَبَا ذَرَّ الْغِفَارِيَّ وَالْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو أَخَوَيْنِ ،  
وَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ وَعُوَيْمَ بْنَ سَاعِدَةَ أَخَوَيْنِ ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ وَأَبَا الدَّرْدَاءِ  
أَخَوَيْنِ ، وَبِلَالَ بْنَ رِيَاحٍ وَأَبَا رُوَيْحَةَ أَخَوَيْنِ .

هَذَا ، وَقَدْ كَانَ عَدَدُ مَنْ أَخَى بَيْنَهُمْ ﷺ تِسْعِينَ رَجُلًا ، نِصْفَهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ  
وَنِصْفَهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ .

وَبِهَذَا الْإِخَاءِ ذَابَتْ عَصَبِيَّاتُ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَا حَمِيَّةَ إِلَّا الْإِسْلَامُ ، وَسَقَطَتْ فَوَارِقُ

النَّسَبِ وَاللَّوْنِ وَالْوَطَنِ ، فَلَا يَتَقَدَّمُ أَحَدٌ وَلَا يَتَأَخَّرُ إِلَّا بِمُرُوءَتِهِ وَتَقْوَاهُ .  
 وَمِنْ عَجِيبٍ مَا يُؤَثَّرُ مِنْ إِثَارِ الْأَنْصَارِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، أَنَّهُمْ لَمَّا  
 قَدِمُوا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ،  
 فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ : إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا ، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ ، وَلِي أَمْرَاتَانِ  
 فَانظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي ، أَطَلَّقَهَا ، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا ، قَالَ :  
 بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَأَيْنَ سُوقُكُمْ ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعِ (١)  
 فَمَا انْقَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ ، ثُمَّ تَابَعَ الْغَدَا ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ  
 صُفْرَةٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَهَيْمٌ ( مَا شَأْنُكَ ) ؟ قَالَ : تَزَوَّجْتُ ، قَالَ ﷺ : كَمْ  
 سُقْتَ لَهَا ؟ قَالَ : نَوَاةٌ مِنْ ذَهَبٍ .

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَتِ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَقْسِمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ  
 إِخْوَانِنَا النَّخِيلِ ، قَالَ : لَا ، فَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ : فَتَكْفُونَا الْمُؤَنَّةَ ( يَعْنِي  
 السَّقَى وَالْعَمَلِ ) وَنُشْرِكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ ، قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا (٢)  
 وَهَذَا يَدُلُّنَا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَنْصَارُ مِنَ الْحَفَاوَةِ الْبَالِغَةِ بِإِخْوَانِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ  
 وَمِنْ التَّضَحِّيَةِ وَالْإِثَارِ وَالْوُدِّ وَالصَّفَاءِ ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ تَقْدِيرِ هَذَا  
 الْكَرَمِ حَقَّ قَدْرِهِ ، فَلَمْ يَسْتَفْلُوهُ وَلَمْ يَنَالُوا مِنْهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُقِيمُ أَوْدَهُمْ .  
 هِجْرَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ :

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ أَرْسَلَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَأَبَا رَافِعَ إِلَى مَكَّةَ لِيَأْتِيَا بِمَنْ  
 خَلَفَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَأَرْسَلَ مَعَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقَطَ يَدُلُّهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ ، فَقَدِمَا  
 بِ ( فَاطِمَةَ وَأُمَّ كُلثُومَ ) بِنْتَيْهِ ﷺ ، وَ ( سَوْدَةَ ) زَوْجَةَ ﷺ ، وَأُمَّ أَيْمَنَ زَوْجِ زَيْدِ  
 وَابْنِهَا أُسَامَةَ .. أَمَّا ( زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ) فَصَفَّهَا زَوْجُهَا أَبُو الْعَاصِ بْنِ  
 الرَّبِيعِ ، وَخَرَجَ مَعَ الْجَمِيعِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِأُمَّ رُومَانَ زَوْجِ أَبِيهِ وَ ( عَائِشَةَ )

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ( بَابُ إِخْوَانِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ) .

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ( بَابُ إِذَا قَالَ : أَكْفَيْنِي مُؤَنَّةَ النَّخْلِ ) .

أَخْتَهُ وَزَوْجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَسْمَاءَ زَوْجِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ؛ وَكَانَتْ حَامِلًا بِابْنِهَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ لِلْمُهَاجِرِينَ بِالْمَدِينَةِ .

حُمَى الْمَدِينَةِ ؛ وَكَانَتْ ( الْمَدِينَةُ ) كَثِيرَةَ الْوَبَاءِ ، فَتَضَرَّرَ بِذَلِكَ أَصْحَابُهُ الْمُهَاجِرُونَ ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ﷺ ، وَخَافَ أَنْ يَكْرَهُهَا ، فَدَعَا اللَّهَ أَنْ يَرْفَعَ الْوَبَاءَ عَنْهَا ، فَرَفَعَهُ .

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَدِمْنَا ( الْمَدِينَةَ ) وَهِيَ أَوْيَاءُ أَرْضِ اللَّهِ ، فَوَعِكَ أَبُو بَكْرٍ ، وَوَعِكَ بِلَالٌ ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَى يَقُولُ :

كُلُّ أَمْرِيءٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ \* وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ الْحُمَى يَرْفَعُ عَقَبِرَتَهُ ( أَي : صَوْتَهُ ) يَقُولُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَّا نَيْلَةً \* بِيَوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخَرُ وَجَلِيلٌ (١)

وَهَلْ أَرَدْنَا يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ \* وَهَلْ يَبْدُونَ لِي شَامَةً وَطَفِيلٌ (٢)

قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : ( اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ ، كَحَبِّبْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، وَصَحِّحْنَا لَنَا ، وَأَنْتَ قُلُّ حَمَاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ ) (٣) ، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدَّنَا ) .

مَنْعُ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ : وَمَنْعَ مُشْرِكُو مَكَّةَ بَعْضًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ وَحَبْسُوهُمْ وَعَذْبُوهُمْ ، مِنْهُمْ : الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ ، وَهِيْشَامُ بْنُ الْعَاصِ ، فَكَانَ ﷺ يَدْعُو لَهُمْ فِي صَلَاتِهِ ، وَهَذَا أَصْلُ الْقُنُوتِ ، وَقَدْ حَصَلَ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَمَحَالٍّ فِي الصَّلَاةِ مُخْتَلِفَةٍ : فَكَانَ فِي الْعِشَاءِ وَصَلَاةِ الصُّبْحِ بَعْدَ الرُّكُوعِ وَقَبْلَهُ ؛ فَرَوَى كُلُّ صَحَابِيٍّ مَا رَأَاهُ .. وَهَذَا سَبَبُ اخْتِلَافِ

( ١ ) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ . ( ٢ ) الْإِذْخَرُ وَالْجَلِيلُ : تَسَقَّفَ بِهِمَا الْبُيُوتُ فَوْقَ الْعُشْبِ .

( ٣ ) مَجَنَّةٌ : اسْمٌ سَوِيٌّ لِلْمَرْبِ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، شَامَةً وَطَفِيلٌ : جِبَلَانِ بِمَكَّةَ .

( ٤ ) الْجُحْفَةُ : مَنْزِلٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، قَرِيبٌ مِنْ رَايَغَ ( ١٠٠ كَمِ مِنْ مَكَّةَ ) وَكَانَتْ مَبِيعَاتُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ السَّنِيلَ أَحْضَفَ بِأَهْلِهَا مِنَ الْيَهُودِ فَخَرِبَتْ وَمَلَكُوا .



الْأَيْمَةَ فِي مَكَانِ الْقُنُوتِ .

فَضْلُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ : فَهِيَ دَارُ الْهَجْرَةِ ، وَذَاتُ الرَّوْضَةِ وَالْحُجْرَةِ .

وَبُتِّبَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ :

أَنَّهُ ﷺ قَالَ : ( إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا ) (١)

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : ( لَا يَكْبُدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا أَنْمَاعٌ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ) (٢)

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : ( عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونَ وَلَا الدَّجَالُ ) (٣)

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : ( صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ ، إِلَّا

الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ) (٤)

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : ( مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْبَرِي عَلَى

حَوْضِي ) (٥)

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ : ( مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلَيْمَتْ بِهَا فَإِنِّي أَشْفَعُ

لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا ) (٦)

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي فَضْلِ تَمَرِ الْمَدِينَةِ :

(٧) ( مَنْ تَصَبَّحَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّْ وَلَا سِحْرٌ )



(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، لِيَأْرِزُ : يَنْضَمُّ أَهْلُهُ وَيَحْتَمُونَ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ ، أَنْمَاعٌ : أَنْذَابٌ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنْقَابٌ : جَمْعُ نَقَبٍ ، وَهُوَ الْمَلْرِيقُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ .

(٧) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ .

(٦) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ .

## السَّنةُ الْأُولَى مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ

المُجْتَمَعُ المَدَنِيُّ عِنْدَمَا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ : تَوَّعَ إِنْسَانُ المَدِينَةِ عَلَى حَسَبِ العَقِيدَةِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ :

١ ( أَصْحَابُهُ الصَّفْوَةُ الكِرَامُ البَرَّةُ ﷺ مِنْ المُهَاجِرِينَ وَمِنَ الْأَنْصَارِ ) مِنْ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ) ، وَقَدِ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمْ ، وَكَانُوا ﷺ مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ بِقُلُوبِهِمْ ، يَتَحَلَّوْنَ بِأَحْكَامِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِهَا : ﴿ وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (١)

٢ ( المُشْرِكُونَ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بَعْدُ ) وَهُمُ مِنْ صَمِيمِ قَبَائِلِ المَدِينَةِ ) وَكَانُوا فَتَنِينَ :

أ - فِتْنَةٌ لَمْ تَكُنْ تُبْطِنُ العِدَاوَةَ وَالكَيْدَ ضِدَّ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ تَمْضِ عَلَيْهِمْ مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ حَتَّى أَسْلَمُوا وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ .

ب - فِتْنَةٌ أَبْطَنْتْ شَدِيدَ الإِحْنِ وَالعِدَاوَةَ ضِدَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالمُسْلِمِينَ ( المُنَافِقُونَ ) وَلَكِنَّهَا أَظْهَرَتْ الوُدَّ وَالصَّفَاءَ رَغْبَةً لِإِيقَاعِ بَالِغِ الإِنْتِقَامِ وَالإِيْلَامِ ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ هَؤُلَاءِ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ ) فَقَدْ كَانَتْ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ اجْتَمَعُوا عَلَى سِيَادَتِهِ بَعْدَ حَرْبِ بُعَاثٍ ، وَلَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى سِيَادَةِ أَحَدٍ قَبْلَهُ ، وَكَانُوا قَدْ نَظَّمُوا لَهُ الخَزْرَجَ لِيَتَوَجَّهَ وَيُمْلِكُوهُ ، وَكَانَ عَلَى وَشِكِّ أَنْ يَصِيرَ مَلِكًا عَلَى أَهْلِ المَدِينَةِ إِذْ بَاغَتْ مَجِيءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنْصَرَفَ قَوْمُهُ عَنْهُ إِلَيْهِ ، فَكَانَ يَرَى أَنَّهُ ﷺ اسْتَبْلَهُ مَلِكًا ، فَكَانَ يُبْطِنُ شَدِيدَ العِدَاوَةِ ضِدَّهُ ، وَلَمَّا رَأَى الظُّرُوفَ لَا تُسَاعِدُهُ عَلَى شِرْكِهِ ، وَأَنَّهُ يُحْرَمُ النِّوَابِغَ الدُّنْيَوِيَّةَ أَظْهَرَ الإِسْلَامَ بَعْدَ بَدْرٍ ، وَلَكِنَّهُ بَقِيَ مُسْتَبْطِنًا الكُفْرَ ، وَكَانَ لَا يَجِدُ مَجَالًا لِلْمَكِيدَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِالمُسْلِمِينَ إِلَّا وَسَارَعَ إِلَيْهَا وَاسْتَفْلَهَا ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ ( مِنْ الرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ

حُرِّمُوا الْمَنَاصِبَ الْمَرْجُوءَةَ فِي مُلْكِهِ ) يُشَارِكُونَهُ وَيَدْعَمُونَهُ فِي تَنْفِيذِ خُطْبِهِ ،  
وَرُبَّمَا كَانُوا يَتَّخِذُونَ بَعْضَ الْأَحْدَاثِ وَضِعَافِ الْعُقُولِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عُمَّالًا لَهُمْ  
لِتَنْفِيذِ خُطْبِهِمْ .

( ٢ ) الْيَهُودُ ، وَكَانَتْ فِي الْمَدِينَةِ مِنْهُمْ ثَلَاثُ قَبَائِلَ مَشْهُورَةٌ :

أ - بَنُو قَيْنُقَاعَ : كَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ ، وَكَانَتْ دِيَارُهُمْ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ .

ب - بَنُو النَّضِيرِ . ج - بَنُو قُرَيْظَةَ .

وَهَاتَانِ الْقَبِيلَتَانِ كَانَتَا حُلَفَاءَ الْأَوْسِ ، وَكَانَتْ دِيَارُهُمَا بِضَوَاجِي الْمَدِينَةِ .

وَهَذِهِ الْقَبَائِلُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ تُبِيرُ الْحُرُوبَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مِنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ  
وَالَّتِي كَانَ آخِرُهَا حَرْبَ بُعَاثَ .. ثُمَّ لَمْ يَكُونُوا يَمْتَصِرُونَ عَلَى ذَلِكَ ؛ بَلْ كَانُوا  
أَكَالِينَ لِلرَّبَا ، كَانُوا يُقْرِضُونَ شُبُوحَ الْعَرَبِ وَسَادَتَهُمْ . لِيَكْتَسِبَ هَؤُلَاءِ الرُّؤْسَاءُ  
مَدَائِحَ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، وَسُمْعَةً بَيْنَ النَّاسِ بَعْدَ انْفَاقِهَا مِنْ غَيْرِ جَدْوَى وَلَا طَائِلَةٍ ،  
ثُمَّ كَانُوا يَرْتَهِنُونَ أَرْضَ هَؤُلَاءِ الرُّؤْسَاءِ وَزُرُوعَهُمْ وَحَوَائِطَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُونَ إِلَّا  
أَعْوَامًا حَتَّى يَتَمَلَّكُونَهَا .

وَبِالطَّبَعِ فَإِنَّ الْيَهُودَ لَمْ يَكُنْ يُرْجَى مِنْهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا بِعَيْنِ الْبُغْضِ  
وَالْحَقْدِ ، فَالرُّسُولُ لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِهِمْ حَتَّى لَيْسَكُنْ جَاشُ عَصَبِيَّتِهِمْ وَعُنْصُرِيَّتِهِمْ  
الْجِنْسِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ مُتَغَلِّبَةً عَلَى نَفْسِيَّاتِهِمْ وَعَقْلِيَّتِهِمْ ، ثُمَّ إِنَّ دَعْوَةَ الْإِسْلَامِ  
لَمْ تَكُنْ إِلَّا دَعْوَةً صَالِحَةً تَوْلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْقُلُوبِ ، وَتُطْفِئُ نَارَ الْعَدَاوَةِ  
وَالْبُغْضَاءِ ، وَتَدْعُو إِلَى التِّزَامِ الْأَمَانَةِ فِي الشُّؤُونِ وَإِلَى التَّقْيِيدِ بِأَكْلِ الْحَلَالِ مِنْ  
طَيِّبِ الْأَمْوَالِ ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ سَتَتَأَلَّفُ فِيهَا بَيْنَهَا ،  
وَجِنْيَتِي لَأَبْدُ أَنْ تُفْلِتَ مِنْ بَرَائِنِ الْيَهُودِ ، فَيَفْشَلُ نَشَاطُهُمُ التِّجَارِيُّ ، وَيُحْرَمُوا  
أَمْوَالَ الرَّبَا الَّذِي كَانَتْ تَدُورُ عَلَيْهِ رَحَى ثَرَوَتِهِمْ ، بَلْ رُبَّمَا يَحْتَمِلُ أَنْ تَتَيَقَّظَ تِلْكَ  
الْقَبَائِلُ ، فَتُدْخَلَ فِي حِسَابِهَا الْأَمْوَالَ الرَّبَوِيَّةَ الَّتِي أَخَذَهَا الْيَهُودُ ، فَتَقُومَ بِإِرْجَاعِ

أَرْضَهَا وَحَوَائِطُهَا الَّتِي أَضَاعَتْهَا إِلَى الْيَهُودِ فِي تَأْدِيَةِ الرَّبِّ .  
 كَانَ الْيَهُودُ يُدْخِلُونَ كُلَّ ذَلِكَ فِي حِسَابِهِمْ مُنْذُ عَرَفُوا أَنَّ دَعْوَةَ الْإِسْلَامِ تُحَاوِلُ  
 الْإِسْتِقْرَارَ فِي الْمَدِينَةِ ، وَلِذَلِكَ كَانُوا يُبْطِنُونَ أَشَدَّ الْعَدَاوَةَ ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَضِدَّ  
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَنْ دَخَلَ الْمَدِينَةَ ، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَتَجَاسَرُوا عَلَى إِظْهَارِهَا  
 إِلَّا بَعْدَ حِينٍ .

وَيُظْهِرُ ذَلِكَ جَلِيًّا فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدِهِ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ بِنْتِ  
 حَيْثُ بْنُ أَخْطَبِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) حَيْثُ قَالَتْ : كُنْتُ أَحَبَّ وَلَدِ أَبِي إِلَيْهِ ، وَإِلَى عَمِّي أَبِي يَاسِرٍ  
 لَمْ أَتَقَهْمَا قَطُّ مَعَ وَلَدٍ لَهُمَا إِلَّا أَخْذَانِي دُونَهُ ، قَالَتْ : فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 الْمَدِينَةَ ، وَنَزَلَ قُبَاءَ فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ ، غَدَا عَلَيْهِ أَبِي حَيْثُ بْنُ أَخْطَبِ  
 وَعَمِّي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبِ ، قَالَتْ : فَلَمْ يَرْجِعَا حَتَّى كَانَ مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ،  
 قَالَتْ : فَأَتَيْتُ كَالَيْنِ كَسْلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى ، قَالَتْ : فَهَشَشْتُ إِلَيْهِمَا  
 كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ ، فَوَاللَّهِ مَا التَّتَضَّ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا ، مَعَ مَا بِهِمَا مِنَ الْغَمِّ ،  
 قَالَتْ : وَسَمِعْتُ عَمِّي أَبَا يَاسِرٍ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي حَيْثُ بْنِ أَخْطَبِ : أَهْوُ هُوَ ؟ ، قَالَ :  
 نَعَمْ وَاللَّهِ ، قَالَ : أَتَبَّتَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ ؟  
 قَالَ : عَدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ (١) .

وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ أَيْضًا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ فِي إِسْلَامِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ)  
 (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، فَقَدْ كَانَ حَبْرًا مِنْ فَطَاخِلِ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ ، وَلَمَّا سَمِعَ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ  
 الْمَدِينَةَ فِي بَنِي النَّجَّارِ جَاءَهُ مُسْتَعْجِلًا ، وَأَلْقَى أَسْئَلَةً لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا نَبِيُّ  
 (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، وَلَمَّا سَمِعَ رُدُودَهُ عَلَيْهِ آمَنَ بِهِ سَاعَتَهُ وَمَكَانَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ  
 بُهَتُوا ، إِنْ عَلِمُوا إِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بِهَتُونِي عِنْدَكَ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 فَجَاءَتِ الْيَهُودُ ، وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ الْبَيْتَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ رَجُلٍ  
 فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ؟ ، قَالُوا : أَعْلَمْنَا وَابْنُ أَعْلَمْنَا ، وَأَخِيرْنَا وَابْنُ أَخِيرْنَا ،

( وَفِي لَفْظٍ ) : سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا ، ( وَفِي لَفْظٍ آخَرَ ) : خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ ؟ فَقَالُوا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ( مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ) ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .. فَقَالُوا : شَرْنَا وَابْنَ شَرِّنَا ، وَوَقَعُوا فِيهِ .

وَفِي لَفْظٍ ، فَقَالَ ﷺ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ ، فَقَالُوا : كَذَبْتَ .<sup>(١)</sup>

هَذَا ، وَإِنَّ مِمَّا عَابَهُ الْيَهُودُ عَلَى الْإِسْلَامِ نَسْخَ الْأَحْكَامِ ، وَمَادَرُوا أَنَّ الْقَادِرَ الْعَلِيمَ يَعْلَمُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَيَّالٌ بِطَبِيعِهِ لِلتَّرَقِّيِّ وَالرَّسُولُ ﷺ وَجَدَ بَادِيءَ بَدَأٍ بَيْنَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعَرَبِ أُمِّيِّينَ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَعْتَادَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ؛ فَكَانَتِ الْحِكْمَةُ دَاعِيَةً لِأَنَّ يَكُونَ التَّشْرِيْعُ لَهُمْ عَلَى التَّدْرِيْجِ ، لِأَنَّهُ لَوْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ شُرْبَ الْخَمْرِ وَأَكَلَ الرِّبَا وَأَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَهَكَذَا إِلَى آخِرِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَهِيِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الشَّرْعُ الْإِسْلَامِيُّ ؛ لَمَا أَجَابَهُ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّافِرَةِ قُلُوبُهُمُ الْمُخْتَلِفَةِ أَهْوَاؤُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا مُنْغَمَسِينَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَضَالِيلِ ، فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْأَمْرِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى رُوِّضَتْ عُقُولُهُمْ وَهُدِّبَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَكَانَتِ الْأَحْكَامُ لَا يُنَزِّلُهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ﷺ إِلَّا عَقَبَ الْحَوَادِثِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا لِيَكُونَ التَّأْثِيرُ فِي النُّفُوسِ أَشَدَّ ، وَلَكِنَّ الْيَهُودَ أَرَادُوا غَلَّ الْقُدْرَةِ عَنْ أَنْ تَفْعَلَ إِلَّا مَا يَشْتَهُونَ .

وَقَدْ حَجَّهْمُ الْقُرْآنُ الشَّرِيفُ ، بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْ نُفُوسِهِمُ الْبُعْدَ عَنِ الْحَقِّ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .<sup>(٢)</sup> ثُمَّ حَتَمَ سُبْحَانَهُ عَدَمَ إِجَابَتِهِمْ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١﴾ فَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ لَمَا تَأَخَّرُوا  
عَمَّا طَلِبَ مِنْهُمْ مَعَ سُهُولَتِهِ وَحِرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ، وَلَمْ يُنْقَلْ لَنَا  
عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ تَمَنَّى ذَلِكَ وَلَوْ نَطَقًا بِاللِّسَانِ .

مَزِيدُ بَيَانٍ عَنِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ :

وَمَعْنَى النَّسْخِ : رَفْعُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ السَّابِقِ بِخَطَابٍ لَاحِقٍ .

وَيَجُوزُ النَّسْخُ إِلَى بَدَلٍ : كَنَسْخِ اسْتِقْبَالِ (بَيْتِ الْمَقْدِسِ) إِلَى اسْتِقْبَالِ (الْكَعْبَةِ) ،

عِنْدَ نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (٢) .

وَالْإِلَى غَيْرِ بَدَلٍ : كَنَسْخِ وُجُوبِ تَقْدِيمِ صَدَقَةٍ بَيْنَ يَدَيْ النَّجْوَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ صَدَقَةً ﴾ (٣) .

بِقَوْلِهِ : ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا

وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؕ وَاللَّهُ

خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

وَالْإِلَى بَدَلٍ أَخْفَى : كَنَسْخِ الْعِدَّةِ عَامَاً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ (٥) .

بِقَوْلِهِ : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ

وَعَشْرًا ﴾ (٦) .

وَالْإِلَى أَعْلَى كَنَسْخِ التَّخْيِيرِ بَيْنَ رَمَازَانَ وَالْفِدْيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ (٧) ، بِنَعْيِنِ الصِّيَامِ فِي قَوْلِهِ :

﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (٨) .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٤٤ ) .

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢٤٠ ) .

(٧) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٨٤ ) .

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( الْآيَةُ ٩٥ ) .

(٣) . (٤) سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٢ ) وَ ( الْآيَةِ ١٣ ) .

(٦) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢٢٤ ) .

(٨) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٨٥ ) .

## تَأْسِيسُ مُجْتَمَعِ الْمَدِينَةِ

لَقَدْ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمُجَرَّدِ وُضُوئِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَاسْتَقْرَارِهِ فِيهَا ، عَلَى إِقَامَةِ مُجْتَمَعٍ إِسْلَامِيٍّ رَاسِخٍ مُتَمَسِكٍ .. وَلِذَا فَقَدْ كَانَ أَوَّلَ عَمَلٍ قَامَ بِهِ ﷺ أَنْ أَقَامَ الْأُسُسَ الْهَامَّةَ لِأَوَّلِ إِسْلَامٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ : وَهَذِهِ الْأُسُسُ هِيَ :

\* بِنَاءُ الْمَسْجِدِ .

\* الْمُواخَاةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ خَاصَّةً ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ بِقَدْرِ مِنَ التَّفْصِيلِ سَابِقًا .

\* كِتَابَةُ وَثِيقَةٍ حَدَدَتْ نِظَامَ حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَأَوْضَحَتْ عِلَاقَتَهُمْ مَعَ غَيْرِهِمْ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ وَالْيَهُودِ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ .

## بِنَاءُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ

ثُمَّ شَرَعَ ﷺ فِي بِنَاءِ مَسْجِدِهِ فِي مَبْرَكِ نَافِثِهِ أَمَامَ مَحَلَّةِ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ، وَكَانَ مَحَلُّهُ مَرْبَدًا لِلتَّمْرِ يَمْلِكُهُ غُلَامَانِ يَتِيمَانِ ( سَهْلٌ وَسُهَيْلٌ ) فِي حِجْرِ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، فَدَعَا الْغُلَامَيْنِ وَسَاوَمَهُمَا بِالْمَرْبِدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا ، فَقَالَا بَلْ نَهَيْهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَبَى ﷺ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً بَلِ ابْتِاعَهُ مِنْهُمَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ ﷺ إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ، فَقَالَ : ( يَا بَنِي النَّجَّارِ ، ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا ) ، فَقَالُوا : لَا ، وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتِاعَهُ مِنْهُمَا . ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا ، وَكَانَ فِيهِ قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ فَأَمَرَ بِهَا فُنْبِشَتْ ، ثُمَّ بِالْخِرْبِ فُسُوِيَتْ ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ ، ثُمَّ أَمَرَ ﷺ بِاتِّخَاذِ اللَّبَنِ <sup>(١)</sup> فَاتَّخَذَ وَشَرَعُوا فِي الْبِنَاءِ بِهِ وَجَعَلُوا عِضَادَتِي الْبَابِ <sup>(٢)</sup> مِنَ الْحِجَارَةِ وَسَقَفُوهُ بِالْجَرِيدِ وَجَعَلَتْ عُمْدُهُ مِنْ جُدُوعِ النَّخْلِ ، وَقَدْ عَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَفْسِهِ لِيُرَغِّبَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَمَلِ ، وَصَارُوا يَرْتَجِزُونَ ، وَهُوَ يَقُولُ مَعَهُمْ :

(٢) العِضَادَةُ : جَانِبُ الْبَابِ .

(١) اللَّبْنُ : مَا يَضْرَبُ مِنَ الطَّلِينِ مُرْبِعًا لِلْبِنَاءِ .

اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ \* فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

وَجُعِلَتْ قِبْلَةُ الْمَسْجِدِ فِي شِمَالِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَجُعِلَتْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ ،  
وَفُرِشَتْ أَرْضُهُ مِنَ الرَّمَالِ وَالْحَصْبَاءِ (١) وَجُعِلَ طَوْلُهُ مِمَّا يَلِي الْقِبْلَةَ إِلَى الْمُؤَخَّرَةِ  
مِائَةَ ذِرَاعٍ ، وَالْجَانِبَانِ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَكَانَ ارْتِفَاعُهُ قَرِيباً مِنْ ثَلَاثَةِ أذْرُعٍ .

وَبُنِيَ بِجَانِبِ الْمَسْجِدِ حُجْرَتَانِ إِحْدَاهُمَا لِلْسَيِّدَةِ ( سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ ) ، وَالْأُخْرَى  
لِلْسَيِّدَةِ ( عَائِشَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَلَمْ يَكُنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مُتَزَوِّجاً غَيْرَهُمَا إِذْ ذَاكَ ، وَكَانَتْ  
الْحُجْرَتَانِ مُتَجَاوِرَتَيْنِ وَمُلَاصِقَتَيْنِ لِلْمَسْجِدِ عَلَى شَكْلِ بِنَائِهِ ، وَصَارَتْ الْحُجْرَاتُ  
تُبْنَى كُلَّمَا جَاءَتْ زَوْجٌ .

وَلَمْ يَكُنِ الْمَسْجِدُ آنَذَاكَ مَوْضِعاً لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ فَحَسِبَ ، بَلْ كَانَ جَامِعَةً يَتَلَقَّى  
فِيهَا الْمُسْلِمُونَ تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ وَتَوْجِيهَاتِهِ ، وَمُنْتَدَى تَلْتَقِي وَتَتَأَلَّفُ فِيهِ الْعَنَاصِرُ  
الْقَبِيلِيَّةُ الْمُخْتَلِفَةُ الَّتِي طَالَمَا نَافَرَتْ بَيْنَهَا النِّزَعَاتُ الْجَاهِلِيَّةُ وَحُرُوبُهَا ، وَقَاعِدَةٌ  
لِإِدَارَةِ جَمِيعِ الشُّؤُونِ وَطَاقَةٌ لِبَيْتِ الْإِنْطِلَاقَاتِ ، وَبِرْلَمَاناً لِعَقْدِ الْمَجَالِسِ  
الِاسْتِشَارِيَّةِ وَالتَّنْفِيذِيَّةِ .

وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ دَاراً يَسْكُنُ فِيهَا عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ اللَّاجِئِينَ  
( أَهْلِ الصُّفَّةِ ) الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ هُنَاكَ دَارٌ وَلَا مَالٌ وَلَا أَهْلٌ وَلَا بَنُونَ .

إِخْبَارُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَمَّاراً بِقَتْلِهِ عَلَى يَدِ الْفِتْنَةِ الْبَاغِيَّةِ : جَاءَ فِي ( صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ )  
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ نَحْمِلُ لَبْنَةً لَبْنَةً ، وَعَمَّارٌ  
لَبْنَتَيْنِ لَبْنَتَيْنِ ، فَرَأَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَفَضَّ التُّرَابَ عَنْهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : ( وَبِحَ عَمَّارِ ،  
تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ ) (٢) .

## مَشْرُوعِيَّةٌ وَبَدْءُ الْأَذَانِ

أَوْجِبَ اللَّهُ الصَّلَاةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِيَكُونُوا دَائِمًا مُتَذَكِّرِينَ عَظْمَةَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

(١) الْحَصْبَاءُ : هِيَ الْعَصَى وَصِنَارُ الْحِجَارَةِ .



الْوَهَابِ ، فَيَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ :

﴿ إِنِّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ مَا كَانَ جَمَاعَةً لِيُذَكِّرَ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي شُؤْنِهِمْ وَاحْتِيَاجَاتِهِمْ ، وَيُقَوُّوا رَوَابِطَ الْأَلْفَةِ وَالْإِتِّحَادِ بَيْنَهُمْ .

وَمَتَى حَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَلَا بُدَّ مِنْ عَمَلٍ يُنَبِّهُ الْغَافِلَ وَيُذَكِّرُ السَّاهِيَ ، حَتَّى يَكُونَ الْاجْتِمَاعُ عَامًّا ، فَتَشَاوَرَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ الصَّحَابَةِ فِيمَا يَفْعَلُ لِذَلِكَ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ نَرْفَعُ رَايَةً إِذَا حَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ لِيَرَاهَا النَّاسُ ، فَلَمْ يَرْضُوا ذَلِكَ لِأَنَّهَا لَا تُصِيدُ النَّائِمَ وَلَا الْغَافِلَ ، وَقَالَ الْآخَرُونَ : نَشْعُلُ نَارًا عَلَى مُرْتَفَعٍ مِنَ الْهَضَابِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ أَيْضًا وَأَشَارَ آخَرُونَ بِبُوقٍ وَهُوَ مَا كَانَتْ الْيَهُودُ تَسْتَعْمِلُهُ لِصَلَوَاتِهِمْ ، فَكَرِهَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِالنَّافُوسِ وَهُوَ مَا يَسْتَعْمِلُهُ النَّصَارَى ، فَكَرِهَهُ الرَّسُولُ أَيْضًا ، وَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِالنِّدَاءِ فَيَقُومُ بَعْضُ النَّاسِ إِذَا حَانَتْ الصَّلَاةُ وَيُنَادِي بِهَا فَقَبِلَ هَذَا الرَّأْيَ .

وَكَانَ أَحَدُ الْمُنَادِينَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ ، فَبَيْنَمَا هُوَ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ عَرَضَ لَهُ شَخْصٌ ، وَقَالَ : أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا عِنْدَ النَّدَاءِ بِالصَّلَاةِ ؟ قَالَ : بَلَى ، فَقَالَ لَهُ : قُلْ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، حَتَّى عَلَى الصَّلَاةِ ، حَتَّى عَلَى الْفَلَاحِ ، حَتَّى عَلَى الْفَلَاحِ ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ تَوَجَّهَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَخْبَرَهُ خَبَرَ رُؤْيَاهُ ، فَقَالَ ﷺ : إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٍّ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : ( لَقَنَّ ذَلِكَ بِإِلَاحٍ فَإِنَّهُ أُنْدَى <sup>(٢)</sup> صَوْتًا مِنْكَ ) ، وَبَيْنَمَا بِإِلَاحٍ يُؤذِّنُ إِذْ جَاءَ عُمَرُ يَجْرُ رِدَاءَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ <sup>(٣)</sup> ، فَقَالَ ﷺ : فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ .

(١) سُورَةُ الْمُنْتَكِبَاتِ ( مِنْ الْآيَةِ ٤٥ ) .

(٢) أُنْدَى صَوْتًا : أَيِ أَحْسَنُ صَوْتًا .

(٣) أَيِ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الْأَذَانِ فِي النَّوْمِ ، وَكَانَ رَأَى فِي نَوْمِهِ ، فَلَمَّا سَمِعَهُ حَقِيقَةً مَرَّعَ لِبُخْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي حَمِدَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ .

إِشْرَاقَةٌ بَيَانٌ فِيْمَا فَهَمَهُ إِمَامَانِ فِي الْأَذَانِ :

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : الْأَذَانُ عَلَى قَلَّةِ الْفَاضِلِ مُشْتَمِلٌ عَلَى مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ .

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ : إِذَا سَمِعْتَ النَّدَاءَ فَأَحْضِرْ فِي قَلْبِكَ النَّدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنِ وَجَدْتَ قَلْبَكَ عِنْدَ هَذَا النَّدَاءِ مَمْلُوءاً بِالْفَرَحِ وَالِاسْتِبْشَارِ ، مَشْحُوناً بِالرَّغْبَةِ إِلَى الْمُسَارَعَةِ وَالِابْتِدَارِ ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيَأْتِيكَ النَّدَاءُ بِالْبُشْرَى ، وَالْفَوْزِ يَوْمَ الْقَضَاءِ (١) .

بُنُودُ الْوَيْثِقَةِ الَّتِي عَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ فِيْمَا بَيْنَهُمْ

( ١ ) الْمُسْلِمُونَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ ( الْمَدِينَةَ ) وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ ، أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ .

( ٢ ) هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً عَلَى اخْتِلَافِ قَبَائِلِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُمْ وَيَفْدُونَ عَانِيَهُمْ (٢) بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ .

( ٣ ) إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مَفْرَحاً (٣) بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطَوْهُ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلِ .

( ٤ ) إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ ، عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةً ظُلْمٍ أَوْ إِثْمٍ أَوْ عُدْوَانٍ أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعاً وَلَوْ كَانَ وَلَدٌ أَحَدِهِمْ .

( ٥ ) لَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِناً فِي كَافِرٍ ، وَلَا يَنْصُرُ كَافِراً عَلَى مُؤْمِنٍ .

( ٦ ) إِنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ ، لَا يُسَالِمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ .

( ٧ ) ذِمَّةُ اللَّهِ وَاحِدَةٌ ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ .

( ٨ ) وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودٍ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسُوءَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ .

( ٢ ) العاني : الأبيير .

( ١ ) إحياء علوم الدين ، لِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ الْإِمَامِ ( أَبِي جَامِدٍ الْغَزَالِيِّ ) .

( ٤ ) الدسيسة : العظيمة .

( ٣ ) الممَّرج : المتقل بالذون الكثير العيال .

٩) إِنْ مَنِ اعْتَبَطَ <sup>(١)</sup> مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنِ بَيْتِهِ فَإِنَّهُ قَوْدٌ بِهِ إِلَّا أَنْ يَرْضَىٰ وَلِيُّ الْمَقْتُولِ ،  
وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافَّةٌ وَلَا يَجِلُّ لَهُمْ إِلَّا قِيَامٌ عَلَيْهِ .

١٠) لَا يَجِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَقْرَبُ بِمَا فِي الصَّحِيفَةِ وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ  
مُحَدِّثًا أَوْ أَنْ يُؤْوِيَهُ ، وَإِنْ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإِنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ .

١١) كُلُّ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدِيثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادَهُ ،  
فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ .

### بُنُودُ الْوَثِيقَةِ الَّتِي عَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ

١) إِنْ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ ،  
إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتَغُ <sup>(٢)</sup> إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، كَذَلِكَ لِغَيْرِ بَنِي عَوْفٍ مِنَ  
الْيَهُودِ ( يَهُودَ بَنِي النَّجَّارِ ، يَهُودَ بَنِي الْحَارِثِ ، يَهُودَ بَنِي سَاعِدَةَ ، يَهُودَ بَنِي  
جُثَمِ ، يَهُودَ بَنِي الْأَوْسِ ، يَهُودَ بَنِي ثَعْلَبَةَ ، يَهُودَ بَنِي الشَّطِيبَةِ ) .

٢) إِنْ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتُهُمْ ، وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتُهُمْ .

٣) إِنْ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ .

٤) إِنْ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ .

٥) إِنَّهُ لَمْ يَأْتُمْ أَمْرٌ بِحَلْفِهِ . ( ٦ ) إِنْ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ .

٧) إِنْ الْيَهُودَ يَتَّفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ .

٨) إِنْ يَثْرِبَ ( الْمَدِينَةَ ) حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ .

٩) إِنَّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا .

١٠) إِنْ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ ( الْمَدِينَةَ ) ؛ عَلَى كُلِّ أَنَاثٍ حِصَّتُهُمْ  
مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قَبْلَهُمْ .

١١) كُلُّ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدِيثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادَهُ ،

(٢) يُوتَغُ : يَتَوَكَّلُ .

(١) اعْتَبَطَ مُؤْمِنًا قَتْلًا : قَتَلَهُ بِمَا جَانِبَهُ كَانَتْ مِنْهُ وَلَا جَرِيرَةَ تُوجِبُ قَتْلَهُ .

فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ .

بِنَاوَهُ ﷺ بِعَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) : وَبَعْدَ الْهَجْرَةِ بِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ فِي شَوَّالٍ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ بِأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ (عَائِشَةَ) (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) ، وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ (١) .

وَمِنْ بَابِ التَّحَدُّثِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ ؛ كَانَتْ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) تَقُولُ : تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي

شَوَّالٍ ، وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي .

الإِذْنُ بِالْقِتَالِ وَفَرَضَ الْجِهَادَ :

قَدْ عَلِمَ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يُقَاتِلْ أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِي الدِّينِ ؛ بَلْ

كَانَ الْأَمْرُ قَاصِرًا عَلَى التَّبْشِيرِ وَالْإِنذَارِ ، وَكَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يُنَزِّلُ عَلَيْهِ مِنَ الْآيِ

مَا يُقَوِّيه عَلَى الصَّبْرِ أَمَامَ مَا كَانَ يُلَاقِيهِ مِنْ أَدَى قُرَيْشٍ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ (٢) ، وَكَانَ كَثِيرًا

مَا يَقُصُّ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْبَاءَ إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ قَبْلَهُ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَهُ .

وَلَمَّا أَزْدَادَ طُفْيَانُ أَهْلِ مَكَّةَ أَلْجَوْهُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ دَارِهِ بَعْدَ أَنْ ائْتَمَرُوا عَلَى

قِتَالِهِ ، فَكَانُوا هُمْ الْبَادِيَيْنِ بِالْعَدَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَيْثُ أَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ

بِغَيْرِ حَقٍّ ، بَلْ لَقَدْ أَعْلَنْتُ قُرَيْشُ عَزْمَهَا الصَّدَّ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَذَلِكَ أَنَّ

( سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ) (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) انْطَلَقَ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِرًا ، فَنَزَلَ عَلَى أُمِّيَّةَ بِنِ خَلْفٍ ،

وَأَثْنَاءَ طَوَافِ سَعْدٍ بِالْبَيْتِ ، لَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ ، فَقَالَ : يَا أَبَا صَفْوَانَ ( أُمِّيَّةَ ) ،

مَنْ هَذَا الَّذِي مَعَكَ ؟ فَقَالَ : هَذَا سَعْدٌ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ : أَلَا أُرَاكَ تَطَوَّفُ

بِمَكَّةَ آمِنًا وَقَدْ آوَيْتُمُ الصُّبَاةَ (٣) ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ ، وَتُعِينُونَهُمْ ، أَمَا وَاللَّهِ

لَوْلا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا .

بَلْ إِنَّ الْأَمْرَ تَعَدَّى ذَلِكَ حَيْثُ أَرْسَلْتُ قُرَيْشُ كِتَابًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ

(١) وَلَا يُقَالُ إِنَّهَا صَغِيرَةٌ لَا تَحْتَمِلُ الزَّهَافَ ، بَلْ إِنَّ كَثِيرًا مِنْ بَنَاتِ الْعَرَبِ أَنْدَاكُ تَكُونُ مُؤَمَّلَةً لِذَلِكَ وَهِيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ،

لَمْ يَنْ دَوَّاجَهُ ﷺ مِنْهَا لَيْسَ لِيُجَرِّدَ الرُّغْبَةَ الْجَنَسِيَّةَ وَإِنَّمَا لِيَكُونَ ﷺ مُبْلَغَةً عَنْهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ

وَهَذَا مَا حَصَلَ فَيُفْلَأُ .

(٢) الَّذِينَ خَالَفُوا دِينَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ .

(٣) سُورَةُ الْأَخْفَافِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢٥ ) .

وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، يَقُولُونَ لَهُ فِيهِ : إِنَّكُمْ أَوَيْتُمْ صَاحِبَنَا ( يُرِيدُونَ النَّبِيَّ ﷺ ) وَإِنَّا نُنْقِصُ بِاللَّهِ لِقَاتِلَهُ أَوْ لَتُخْرِجُنَّهُ أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى نَقْتُلَ مَقَاتِلَكُمْ وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ .

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِيٍّ وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ ، اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَهُمْ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ وَعَيْدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمْ الْمَبَالِغَ ، مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَفَرَّقُوا . (١)

ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشًا أَرْسَلَتْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ تَقُولُ لَهُمْ : لَا يُغَرِّنْكُمْ أَنْكُمْ أَقْلْتُمْ مِنَّا إِلَى يَثْرِبَ ، سَنَأْتِيكُمْ فَتَسْتَأْصِلُكُمْ وَنَبِيدُ خَضْرَاءَكُمْ فِي عَقْرِ دَارِكُمْ (٢) .  
وَلَمْ يَكُنْ هَذَا كُلُّهُ وَعَيْدًا مُجَرَّدًا ، فَقَدْ تَأَكَّدَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَائِدِ قُرَيْشٍ وَإِرَادَتِهَا عَلَى الشَّرِّ مَا جَعَلَهُ لَا يَبِيتُ إِلَّا سَاهِرًا ، أَوْ فِي حَرَسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ بِسَنَدِهِ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ( عَائِشَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : سَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً ، فَقَالَ : لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ : قَالَتْ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ ، فَقَالَ : وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ نَامَ . (٣)

ثُمَّ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْحِرَاسَةُ مُخْتَصَّةً بِبَعْضِ اللَّيَالِي بَلْ كَانَ ذَلِكَ أَمْرًا مُسْتَمِرًّا ، فَقَدْ رَوَى عَنِ السَّيِّدَةِ ( عَائِشَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحْرَسُ لَيْلًا ، حَتَّى نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٤) ، فَأَخْرَجَ

(٢) رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ .

(٤) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ( مِنَ الْآيَةِ ٦٧ ) .

(١) مُتْنُ أَبِي دَاوُدَ ( بَابُ خَيْرِ النَّضِيرِ ) .

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمَ ( بَابُ فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ) .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسُهُ مِنَ الْقُبَّةِ ، فَقَالَ : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ انصَرِفُوا عَنِّي فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ) (١)

وَلَمْ يَكُنِ الْخَطَرُ مُقْتَصِرًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، بَلْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً ، فَقَدْ رَوَى أَبِي بَنْ كَعْبٍ رضي الله عنه ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْمَدِينَةَ وَأَوْتَهُمُ الْأَنْصَارُ ، رَمَتُهُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَانُوا لَا يَبِيتُونَ إِلَّا بِالسَّلَاحِ وَلَا يُصْبِحُونَ إِلَّا فِيهِ .

فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ الْخَطِيرَةِ الَّتِي كَانَتْ تُهَدِّدُ كَيَانَ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ ، أذِنَ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي حَقِّ الْمُهَاجِرِينَ : ﴿ أذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ ● الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢﴾

وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي حَقِّ الْأَنْصَارِ : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجْرَةِ تَنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ● تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ثُمَّ أَوْجَبَ اللَّهُ ذَٰلِكَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٤)

فَلَمَّا تَمَالَأَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ غَيْرُ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَاتَّحَدُوا عَلَيْهِمْ مَعَ الْأَعْدَاءِ ، أَمَرَ اللَّهُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ (٥) وَبِذَلِكَ صَارَ الْجِهَادُ عَامًّا لِكُلِّ مَنْ لَيْسَ لَهُ

(٢) سُورَةُ الْحَجِّ (الآيَاتَانِ ٢٩-٤٠) .

(٤) سُورَةُ التَّوْبَةِ (مِنَ الْآيَةِ ٧٣) .

(١) جَامِعُ التَّرْمِذِيِّ (بَابُ التَّضْيِيرِ) .

(٣) سُورَةُ الصَّفِّ (الآيَاتَانِ ١١٠-١١١) .

(٥) سُورَةُ التَّوْبَةِ (مِنَ الْآيَةِ ٣٦) .

كِتَابٍ مِنَ الْوَتِيِّينَ ، وَهَذَا مِصْدَاقُ قَوْلِهِ ﷺ ( أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوا عَصِمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ) (١) .

وَلَمَّا وَجَدَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْيَهُودِ خِيَانَةً لِلْمُجْرِمِ حَيْثُ إِنَّهُمْ سَاعَدُوا الْمُشْرِكِينَ فِي حُرُوبِهِمْ ، أَمَرَ اللَّهُ بِقِتَالِهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴾ (٢) ، وَقِتَالُهُمْ وَاجِبٌ دِينِيٌّ حَتَّى يَدِينُوا أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ لِيَأْمَنَ الْمُسْلِمُونَ جَانِبَهُمْ ، وَصَارَ قِتَالُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلْأَعْدَاءِ عَلَى هَذِهِ الْمَبَادِيءِ الْآتِيَةِ :

( ١ ) اِعْتِبَارُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ مُحَارِبِينَ لِأَنَّهُمْ بَدَأُوا بِالْعُدْوَانِ فَصَارَ لِلْمُسْلِمِينَ قِتَالُهُمْ وَمُصَادَرَةُ تِجَارَتِهِمْ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ بِفَتْحِ مَكَّةَ أَوْ تُعْقَدَ هُدْنَةٌ وَقِتِيَّةٌ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ .

( ٢ ) مَتَى رُئِيَ مِنَ الْيَهُودِ خِيَانَةٌ وَتَحَيَّرَ لِلْمُشْرِكِينَ قُوَّتُهُمْ حَتَّى يُؤْمَنَ جَانِبَهُمْ بِالنَّفْسِ أَوْ الْقَتْلِ .

( ٣ ) مَتَى تَعَدَّتْ قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَوْ سَاعَدَتْ قُرَيْشًا قُوَّتَهُمْ .

( ٤ ) كُلُّ مَنْ بَدَأَ بِعِدَاوَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَالنَّصَارَى قُوَّتَهُمْ حَتَّى يُدْعِنَ بِالْإِسْلَامِ أَوْ يُعْطَى الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُوَ صَاغِرٌ .

( ٥ ) كُلُّ مَنْ أَسْلَمَ فَقَدْ عَصَمَ دَمَهُ وَمَالَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ ، وَالْإِسْلَامُ يَقْطَعُ مَا قَبْلَهُ .

وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرًا مِنَ الْآيِ تَحْرِيسًا عَلَى الْإِقْدَامِ فِي قِتَالِ الْأَعْدَاءِ ، وَتَبَعِيدًا عَنِ الْفِرَارِ مِنَ الرَّحْفِ ، فَقَالَ تَعَالَى فِي الْمَوْضُوعِ الْأَوَّلِ :

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣) ، وَقَالَ تَعَالَى

(٢) سُورَةُ الْأَنْفَالِ (الآيَةُ ٥٨) .

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (كِتَابُ الْإِيمَانِ) .

(٣) سُورَةُ النَّسَاءِ (الآيَةُ ٧٤) .

فِي الْمَوْضُوعِ الثَّانِي: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ۝ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَيَتْسَرَّ الْمَصِيرُ ۝﴾ (١)

بَدَأَ الْقِتَالَ : كَانَتْ عَادَةُ قُرَيْشٍ أَنْ تَذْهَبَ بِتِجَارَتِهَا إِلَى الشَّامِ لِتَبِيعَ وَتَبْتَاعَ ، وَيُسَمَّى الرَّكْبُ السَّائِرُ بِهَذِهِ التِّجَارَةِ عَيْرًا ، وَكَانَ يَسِيرُ مَعَهَا لِحِرَاسَتِهَا كَثِيرٌ مِّنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ وَسِرَاتِهِمْ ، وَلَا بُدَّ لِرُصُولِهِمْ إِلَى الشَّامِ مِنَ الْمُرُورِ عَلَى دَارِ الْهَجْرَةِ ( الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ) ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُصَادِرَ تِجَارَتَهُمْ ذَاهِبَةً وَأَيَّةً لِيَكُونَ فِي ذَلِكَ عِقَابٌ لِمُشْرِكِي مَكَّةَ حَتَّى تَضْعَفَ قُوَّتُهُم المَالِيَّةُ ، فَيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لِيُخَذَلَانِهِمْ فِي مَيْدَانِ الْقِتَالِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ، لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمْ تَكُنْ لِيَتَسَكَّتْ عَمَّنْ سَفَهُ أَحْلَامُهُمْ وَعَابَ عِبَادَتَهُمْ وَهُمْ قُدُوةُ الْعَرَبِ فِي الدِّينِ .

وَبَعْدَ أَنْ أَدِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِالْقِتَالِ ، بَعَثَ ﷺ الْبُعُوثَ وَالسَّرَايَا وَغَزَا وَقَاتَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا أَفْوَاجًا ، وَكَانَ عَدَدُ غَزَوَاتِهِ ﷺ الَّتِي خَرَجَ فِيهَا بِنَفْسِهِ تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً : فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً ، غَزَوْتُ مَعَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً . (٢)

وَقَاتَلَ ﷺ فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ مِنْهَا بِنَفْسِهِ ( بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَالْمُرَيْسِيعِ وَالْخَنْدَقِ وَقُرَيْظَةَ وَخَيْبَرَ وَفَتْحَ مَكَّةَ وَحُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ ) ، وَسَرَايَاهُ الَّتِي بَعَثَ فِيهَا سَبْعَ وَأَرْبَعُونَ سَرِيَّةً ، أُولَاهَا :

سَرِيَّةٌ عَمَّهُ حَمْزَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ( سَرِيَّةُ سَيْفِ الْبَحْرِ ) : (٣)  
فَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ١ هـ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمَّهُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنَ الْمَهَاجِرِينَ ، وَعَقَدَ لَهُ لِيَوْمِ الْيَوْمِ حَمْلَةً أَبُو مَرْثَدٍ

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

(١) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ( الْآيَاتَانِ ١٥ ، ١٦ ) .

(٣) السَّرِيَّةُ : قِطْعَةٌ مِنَ الْجَيْشِ . وَالْمُرَادُ بِهَا كُلُّ غَزَاةٍ لَمْ يَكُنْ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَالَّتِي فِيهَا ﷺ تَسْمَى غَزْوَةً .



(١) لِيَعْتَرِضَ عِيراً لِقُرَيْشٍ آيَةً مِنَ الشَّامِ فِيهَا أَبُو جَهْلٍ وَثَلَاثُمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُشْرِكِينَ ، فَسَارَ حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَتَّى وَصَلَ سَاحِلَ الْبَحْرِ ( سَيْفَ الْبَحْرِ ) مِنْ نَاحِيَةِ الْعَيْصِ (٢) فَصَادَفَ الْعَيْرَ هُنَاكَ .

فَلَمَّا تَصَافَوْا لِلْقِتَالِ حَجَزَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مَجْدِيُّ بْنُ عَمْرٍو الْجُهَنِيُّ ( وَكَانَ حَلِيفاً لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعاً ) ، فَأَطَاعُوهُ وَأَنْصَرَفُوا .. وَشَكَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَجْدِيّاً عَلَى عَمَلِهِ لِمَا كَانَ مِنْ قَلَّةِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ .

### سَرِيَّةُ رَابِعٍ :

وَفِي شَوَّالِ سَنَةِ ١ هـ : أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبِيدَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فِي ثَمَانِينَ رَاكِباً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَعَقَدَ لَهُ لِيَأْتِيَ حَمَلَهُ مِسْطَحُ بْنُ أَنَاثَةَ لِيَعْتَرِضَ عِيراً لِقُرَيْشٍ فِيهَا مِائَتَا رَجُلٍ عَلَيْهِمْ أَبُو سُفْيَانَ ، فَوَافُوا الْعَيْرَ بِبَطْنِ رَابِعٍ ، فَكَانَ بَيْنَهُمُ الرَّمْيُ بِالنَّبْلِ فَقَطَّ دُونَ السُّيُوفِ ، ثُمَّ خَافَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَكُونََ لِلْمُسْلِمِينَ كَمِينَ فَاَنْهَزُوا وَلَمْ يَتَّبِعْهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، وَفَرَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ وَكَانَا قَدْ أَسْلَمَا وَخَرَجَا لِيَلْحَقَا بِالْمُسْلِمِينَ .

### سَرِيَّةُ الْخَرَّارِ (٣) :

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ١ هـ ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي عِشْرِينَ رَاكِباً ، وَعَقَدَ لَهُ لِيَأْتِيَ حَمَلَهُ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ، لِيَعْتَرِضَ عِيراً لِقُرَيْشٍ ، وَعَهْدَ إِلَيْهِ أَلَّا يُجَاوِزَ الْخَرَّارَ ، فَخَرَجُوا مُشَاءً يَكْمُنُونَ بِالنَّهَارِ وَيَسِيرُونَ بِاللَّيْلِ حَتَّى بَلَغُوا الْخَرَّارَ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ ، فَوَجَدُوا الْعَيْرَ قَدْ مَرَّتْ بِالْأَمْسِ .

### وَفَيَاتُ :

وَفِي السَّنَةِ الْأُولَى لِلْهِجْرَةِ هَذِهِ : \* تُوُفِّيَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ( عَثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ )

(١) أبو مرثد الغنوي : كَتَبَ بَنُ الْعُصَيْنِ ( حَلِيفُ حَمْرَةَ ) ، بِدْرِيٍّ ، لَهُ رِوَايَةٌ ، سَكَنَ الشَّامَ وَتُوُفِيَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ .

(٢) العيص : مَكَانٌ بَيْنَ يَثْرِبَ وَالْمَرْوَةَ نَاحِيَةَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ .

(٣) الخَرَّارُ : مَوْضِعٌ بِالْفُرْبِ مِنَ الْجَحْفَةِ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخُو رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الرِّضَاعِ ، أَسْلَمَ قَدِيمًا وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ ، وَلَمَّا  
 دُفِنَ أَمَرَ ﷺ بِأَنْ يُرْسَ قَبْرُهُ بِالْمَاءِ ، وَوَضَعَ ﷺ عَلَى قَبْرِهِ حَجْرًا ( صَخْرَةً  
 عَظِيمَةً ) ، وَقَالَ : ( أَتَعَلَّمُ بِهِ قَبْرَ أَخِي ، وَأَدْفِنُ إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي ) ؛ وَهَذَا  
 مَا حَدَّثَ عِنْدَمَا تُوفِّيَ ( إِبْرَاهِيمُ ) ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَ ﷺ : ( إِحْقَاقُ بِالسَّلْفِ  
 الصَّالِحِ ، عُمَانُ بْنُ مَظْمُونٍ ) ؛ وَمِنْ هُنَا أُخِذَ جَوَازُ تَمْيِيزِ الْقَبْرِ .  
 \* وَتُوفِّيَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ( أَحَدُ النُّقَبَاءِ الْإِثْنَى عَشَرَ ) كَانَ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ نَقِيبَ بَنِي النَّجَّارِ ، وَلَمَّا تُوفِّيَ اخْتَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ لِلنُّقَابَةِ عَلَيْهِمْ .  
 \* وَتُوفِّيَ أَيْضًا ( الْبِرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحَدُ النُّقَبَاءِ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَتَكَلَّمُ  
 عَنِ الْقَوْمِ فِي الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ .  
 \* وَمَاتَ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، وَلَمَّا احْتَضَرَ  
 جَزَعَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ : مَا جَزَعُكَ يَا عَمُّ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا بِي جَزَعٌ مِنْ  
 الْمَوْتِ ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ يَظْهَرَ دِينَ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ <sup>(٢)</sup> بِمَكَّةَ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَا  
 تَخَفْ ، إِنِّي ضَامِنٌ أَلَّا يَظْهَرَ .  
 \* وَفِيهَا أَيْضًا مَاتَ الْعَاصُ بْنُ وَاثِلِ السَّهْمِيِّ .. وَقَدْ كَفَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ شَرَّ هَذَيْنِ  
 الشَّقِيَيْنِ .



(١) أَسَدُ الْغَابَةِ .

(٢) أَبُو كَبْشَةَ : كُنْيَةُ وَالِدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الرِّضَاعِ ( حَاضِنُهُ ) ، وَهُوَ زَوْجُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ ، وَاسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمَرْزِيِّ السَّعْدِيِّ ،  
 وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَنْسِبُونَهُ إِلَيْهِ اسْتِهْزَاءً ، فَكَفَّاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ .

## السَّنةُ الثَّانِيَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ

غَزْوَةُ وَدَّانِ (الْأَبْوَاءِ) :

وَهِيَ أَوَّلُ مَغَازِيهِ ﷺ حَيْثُ خَرَجَ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ صَفَرٍ ( بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) فِي سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ خَاصَّةً ، لِيَعْتَرِضَ عِيرًا لِقُرَيْشٍ وَكَانَ يَحْمِلُ لَوَاءَهُ الْأَبْيَضَ عَمَهُ حَمْرَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى وَصَلَ وَدَّانَ (١) وَلَمْ يَلْقَ هُنَاكَ حَرْبًا لِأَنَّ الْعِيرَ كَانَتْ قَدْ سَبَقَتْهُ .

وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ صَالَحَ بَنِي ضَمْرَةَ عَلَى أَنَّهُمْ آمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَهُمْ النَّصْرُ عَلَى مَنْ رَامَهُمْ ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ نُصْرَةَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا دُعُوا .. ثُمَّ رَجَعَ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ مُضِيِّ خَمْسِ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

غَزْوَةُ بُوَاطِ :

وَلَمْ يَمْضِ عَلَى رُجُوعِهِ ﷺ غَيْرُ قَلِيلٍ حَتَّى بَلَغَهُ أَنَّ عِيرًا لِقُرَيْشٍ آيَبَةٌ مِنَ الشَّامِ فِيهَا أُمَيَّةُ بِنْتُ خَلْفِ الْجَمْحِيِّ وَمِائَةٌ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْفَانِ وَخَمْسُمِائَةَ بَعِيرٍ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَائَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، فَبَلَغَ بُوَاطًا (٢) مِنْ جِهَةِ رَضْوَى ، فَوَجَدَ الْعِيرَ قَدْ فَاتَتْهُ فَارْتَدَّتْ فَرَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا .

وَاسْتَخْلَفَ ﷺ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَاللَّوَاءُ كَانَ أَبْيَضَ ، وَحَامِلُهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

غَزْوَةُ سَفْوَانَ (غَزْوَةُ بَدْرِ الْأُولَى) :

وَبَعْدَ رُجُوعِهِ ﷺ بِقَلِيلٍ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ : أَغَارَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفِهْرِيُّ فِي قَوَاتٍ خَفِيفَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى سَرْحٍ ( مَرَاعِي ) الْمَدِينَةِ ، وَنَهَبَ بَعْضَ الْمَوَاشِي ، وَهَرَبَ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهِ ، حَتَّى بَلَغَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ ( سَفْوَانَ ) مِنْ نَاحِيَةِ بَدْرِ ، وَفَاتَهُ كُرْزٌ فَلَمْ يَلْقَ

(١) وَدَّانَ : مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَبْوَاءِ سِتَّةُ أَمْيَالٍ .

(٢) بُوَاطٌ وَرَضْوَى : جِبَلَانِ قَرَعَانَ أَضْلُهُمَا مِنْ جِبَالِ جُهَنَةَ ، مِمَّا يَلِي طَرِيقَ الشَّامِ ، جِهَةٌ يَنْبَغُ .

حَرْباً ، وَتُسَمَّى هَذِهِ الْغَزْوَةُ بَدْرًا الْأُولَى .

وَاسْتَخْلَفَ ﷺ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه ، وَكَانَ اللَّوَاءُ أَيْضَ ، وَحَامِلُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه .

### غَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ :

وَهِيَ مَوْضِعٌ لِبَنِي مُدَلِجٍ بِنَاحِيَةِ يَنْبُعٍ ، خَرَجَ إِلَيْهَا ﷺ فِي جُمَادَى الْأُولَى فِي خَمْسِينَ وَمِائَةَ رَجُلٍ عَلَى ثَلَاثِينَ بَعِيرًا ، يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ بِالتَّجَارَةِ فَخَرَجَ إِلَيْهَا لِيَفْتَنَمَهَا ، فَوَجَدَ الْعَيْرَ الَّتِي كَانَ يَرَأْسُهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَعَهُ بِضْعَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا قَدْ مَضَتْ ، وَهَذِهِ هِيَ الْعَيْرُ الَّتِي خَرَجَ فِي طَلَبِهَا حِينَ رَجَعْتَ مِنَ الشَّامِ ، فَصَارَتْ سَبَبًا لَغَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى .

وَوَادِعَ ( صَالِحٌ ) ﷺ فِي الْغَزْوَةِ بَنِي مُدَلِجٍ مِنْ كِنَانَةَ أَنْ يَنْصُرَهُمْ وَيَنْصُرُوهُ رضي الله عنه وَاسْتَخْلَفَ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي الْغَزْوَةِ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ رضي الله عنه وَكَانَ اللَّوَاءُ أَيْضَ وَحَامِلُهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه .

### سَرِيَّةُ نَخْلَةَ :

وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ أَيْضًا ، أَرْسَلَ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ وَكَانَ مَعَهُ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَعْطَاهُ كِتَابًا مَخْتُومًا لَا يَفُضُّهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسِيرَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ يَنْظُرَ فِيهِ ، فَسَارَ عَبْدُ اللَّهِ رضي الله عنه يَوْمَيْنِ ثُمَّ فَتَحَ الْكِتَابَ ، فَإِذَا فِيهِ : ( إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فَاْمُضِ حَتَّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ <sup>(١)</sup> ، فَتَرَصَّدْ بِهَا قُرَيْشًا وَتَعَلَّمْ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ ) .. وَإِنَّمَا لَمْ يُخْبِرْهُمْ ﷺ بِمَقْصِدِهِمْ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَدْرًا مِنْ شُيُوعِ الْخَبَرِ ، فَيَدُلُّ عَلَيْهِمْ أَحَدُ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ أَوْ الْيَهُودِ فَتَرَصَّدْ لَهُمْ قُرَيْشٌ ، وَلَا يَخْفَى أَنْ عَدَدَ السَّرِيَّةِ قَلِيلٌ لَا يُمَكِّنُهُ الْمُقَاوَمَةَ .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رضي الله عنه : سَمِعْنَا وَطَاعَةٌ .. وَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَأَنَّهُ لَا يَسْتَكْرِهُهُمْ ،

(١) مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ عَلَى بُعْدِ نَيْلٍ مِنْ مَكَّةَ .

فَمَنْ أَحَبَّ الشَّهَادَةَ فَلْيَنْهَضْ ، وَمَنْ كَرِهَ الْمَوْتَ فَلْيَرْجِعْ ، وَأَمَّا أَنَا فَهَانِضْ ، فَتَهَضُّوا كُلُّهُمْ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ أَضَلَّ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بَعِيرًا لَهُمَا كَانَا يَعْتَقِبَانَهُ ، فَتَخَلَّفَا فِي طَلَبِهِ ، وَسَارَ الْبَاقُونَ حَتَّى وَصَلُوا ( نَخْلَةَ ) ، فَمَرَّتْ بِهِمْ عَيْرٌ قُرَشِيَّةٌ تُرِيدُ مَكَّةَ فِيهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ وَعُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَأَخُوهُ نَوْفَلٌ وَالْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ ، فَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ يَحْمِلُوا عَلَيْهِمْ وَيَأْخُذُوا مَا مَعَهُمْ ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ ، فَقَتَلُوا عَمْرُو بْنَ الْحَضْرَمِيِّ وَأَسَرُوا عُثْمَانَ وَالْحَكَمَ ، وَهَرَبَ نَوْفَلٌ ، وَاسْتَأْفَقُوا الْعَيْرَ ، وَهِيَ أَوَّلُ غَنِيمَةٍ غَنِمَهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ رَجَعُوا وَلَمْ يَتِمَّكَنِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ اللَّحَاقِ بِهِمْ .. فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ وَشَاعَ أَنَّهُمْ قَاتَلُوا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ وَعَابَتْهُمْ قُرَيْشٌ وَالْيَهُودُ بِذَلِكَ ، عَنَّفَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، وَقَالَ لَهُمْ ﷺ : مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ ، فَتَدِمُوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (١) ، فَسَرَى عَنْهُمْ .

وَقَدْ طَلَبَ الْمُشْرِكُونَ فِدَاءَ أُسَيْرِيهِمَا ، فَقَالَ ﷺ : حَتَّى يَرْجِعَ سَعْدٌ وَعُتْبَةُ ، فَلَمَّا رَجَعَا ﷺ قَبِلَ الْفِدْيَةَ فِي الْأَسِيرَيْنِ ؛ فَأَمَّا الْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ فَاسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ وَبَقِيَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَّا عُثْمَانُ فَلَحِقَ بِمَكَّةَ كَافِرًا .

### تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ :

مَكَثَ ﷺ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا بِالْمَدِينَةِ يَسْتَقْبِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي صَلَاتِهِ ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ الْكَعْبَةُ ، وَيُقَلَّبُ وَجْهُهُ فِي السَّمَاءِ دَاعِيًا اللَّهُ بِذَلِكَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي صَلَاتِهِ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ فَتَحَوَّلَ وَتَحَوَّلَ مَنْ

وَرَاءَهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ وَفِي مَسْجِدِ أُطْلِقَ عَلَيْهِ ( ذُو الْقِبْلَتَيْنِ ) وَهُوَ  
مَوْجُودٌ حَتَّى الْآنَ يُزَارُ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ .

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَلَّى  
نَحْوَ ( بَيْتِ الْمَقْدِسِ ) سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى ( الْكَعْبَةِ ) ،  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً  
تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ ( الْكَعْبَةِ ) ،  
فَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ وَهُمْ الْيَهُودُ : ﴿ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ <sup>(٢)</sup>  
فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَمَا صَلَّى ، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ  
مِنَ الْأَنْصَارِ فِي صَلَاةِ الْمَصْرِ يُصَلُّونَ نَحْوَ ( بَيْتِ الْمَقْدِسِ ) ، فَقَالَ : هُوَ يَشْهَدُ  
أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ ( الْكَعْبَةِ ) ، فَتَوَجَّهَ الْقَوْمُ نَحْوَ  
( الْكَعْبَةِ ) .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : أَمَّا قِبْلَتُهُ بِمَكَّةَ ، فَقِيلَ : كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَسْتَقْبِلُ بَيْتَ  
الْمَقْدِسِ ، وَلِكِنَّهُ لَا يَسْتَدْبِرُ الْكَعْبَةَ ، بَلْ يَجْعَلُهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَذَلِكَ  
بِأَنْ يَقِفَ بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ الْأَسْوَدِ وَالْيَمَانِيِّ ، فَلَمَّا هَاجَرَ صلى الله عليه وسلم اسْتَمَرَ عَلَى اسْتِقْبَالِ  
بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى نَسَخَ اللَّهُ ذَلِكَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَقِيلَ : كَانَتْ قِبْلَتُهُ  
الْكَعْبَةَ ، فَلَمَّا هَاجَرَ أَمَرَهُ اللَّهُ بِاسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى نَسَخَ ذَلِكَ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ( عَالِمُ الْمَغْرِبِ ) : وَهَذَا أَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ عِنْدِي ، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ  
إِمَامَةِ جَبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم غَدَاةَ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ ، فَقَدْ كَانَ وَقُوفُهُمَا عِنْدَ  
بَابِ الْكَعْبَةِ ، وَغَيْرُ مُمَكِّنٍ لِمَنْ كَانَ عِنْدَ بَابِهَا أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ  
مَعًا <sup>(٤)</sup> .

(٢) ، (٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٤٢ ) .

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٤٤ ) .

(٤) السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ، لـ ( مُحَمَّدٍ أَبُو شَهْبَةَ ) .

## فَرَضُ صِيَامِ رَمَضَانَ :

وَفِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضاً أَوْجَبَ اللَّهُ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى الْأُمَّةِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ (١) ...  
الآيات ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ .

وَالصِّيَامُ مِنْ دَعَائِمِ هَذَا الدِّينِ وَالْفَرَائِضِ الَّتِي بِهَا يَتِمُّ النُّظَامُ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ  
مَجْبُورٌ عَلَى حُبِّ نَفْسِهِ وَالسَّعْيِ فِيهَا يَمُودُ عَلَيْهَا بِالنَّفْعِ الْخَاصِّ تَارِكاً مَا وَرَاءَ  
ذَلِكَ مِنْ حَاجَاتِ الضُّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .. فَلَا بُدَّ مِنْ وَازِعٍ يَزَعُهُ لِحَاجَاتِ قَوْمٍ  
أَقْعَدَتْهُمْ قُوَاهُمْ عَنْ إِدْرَاكِ حَاجَاتِهِمْ ، وَلَا أَقْوَى مِنْ ذَوْقِ قَوَارِصِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ  
إِذْ بِيهَا تَلِينُ نَفْسُهُ وَيَتَهَدَّبُ خُلُقُهُ فَيَسْهُلُ عَلَيْهِ بَذْلُ الصَّدَقَاتِ .

## فَرَضُ صَدَقَةِ الْفِطْرِ :

وَلِذَلِكَ أَوْجَبَ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَقَبَ الصَّوْمِ زَكَةَ الْفِطْرِ ، فَتَرَى الْإِنْسَانَ يَبْدُلُهَا  
بِسَخَاءِ نَفْسٍ وَمَحَبَّةٍ خَالِصَةٍ .. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضاً خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
بِالنَّاسِ إِلَى الْمُصَلَّى وَصَلَّى بِهِمُ الْعِيدَ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ صَلَاةٍ عِيدٍ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ  
زَكَةَ الْمَالِ :

وَفِي هَذَا الْعَامِ أَيْضاً فُرِضَتْ زَكَةُ الْأَمْوَالِ ، وَهَذِهِ هِيَ النُّظَامُ الْوَحِيدُ الَّذِي بِهِ  
يَأْكُلُ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَيَبْقِيَةُ الْمَذْكُورِينَ فِي آيَةِ الصَّدَقَةِ ، مِنْ إِخْوَانِهِمْ  
الْأَغْنِيَاءِ بِلَا ضَرَرٍ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَغْنِيَاءِ ؛ بَلْ يَمُودُ عَلَيْهِمْ بِالسَّلْمِ الْاجْتِمَاعِيِّ الَّذِي  
هُوَ أَسَاسٌ لِسَلَامَةِ أَمْوَالِهِمْ وَأَرْوَاجِهِمْ ، يَقُولُ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ  
وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي  
سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢) .

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ (الآيَةُ ٦٠) .

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ (مِنَ الْآيَةِ ١٨٢) .

## غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى

وَفِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ أَيْضاً ، غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ بَدْرِ الْكُبْرَى ، وَكَانَتْ الْوَقْعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ ، وَهُوَ يَوْمُ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ ، وَهَذَا هُوَ الْبَيَانُ :

لَمْ يَطَّلِ الْعَهْدُ بِتِلْكَ الْعِيرِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي خَرَجَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ مُتَوَجِّهَةٌ إِلَى الشَّامِ فَلَمْ يَدْرِكْهَا وَلَمْ يَزَلْ مُتَرْقِباً رُجُوعَهَا ، فَلَمَّا سَمِعَ بِرُجُوعِهَا نَدَبَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَقَالَ ﷺ : ( هَذِهِ عَيْرٌ قَرِيشٍ فَأَخْرَجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفِلَكُمُوهَا )<sup>(١)</sup> فَأَجَابَ قَوْمٌ وَثَقُلَ آخَرُونَ لِظَنِّهِمْ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَرِدْ حَرْباً ، فَإِنَّهُ لَمْ يَحْتَفِلْ بِهَا ، بَلْ قَالَ : ( مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِراً فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا ) ، وَلَمْ يَنْتَظِرْ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ غَائِباً .

فَخَرَجَ ﷺ لِثَلَاثِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ بَعْدَ أَنْ وُلِّيَ عَلَى الْمَدِينَةِ ( عَبْدَ اللَّهِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ )<sup>(٢)</sup> ، وَكَانَ مَعَهُ ﷺ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا : مِائَتَانِ وَنِيفٌ وَأَرْبَعُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَالْبَاقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَمَعَهُمْ فَرَسَانِ ( فَرَسٌ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، وَفَرَسٌ لِلْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو ) وَسَبْعُونَ بَعِيرًا يَنْتَقِبُونَهَا<sup>(٣)</sup> ، وَالْحَامِلُ لِللَّوَاءِ مُضَعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ .

وَقَسَمَ ﷺ جَيْشَهُ إِلَى كَتِيبَتَيْنِ :

( ١ ) كَتِيبَةَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَعْطَى عَلِمَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه .

( ١ ) يُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا غَنِيمَةً .

( ٢ ) اخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ وَالْأَرْجَحُ أَنَّهُ عَمْرٌو بْنُ قَيْسِ بْنِ زَائِدَةَ . وَاسْمُ أُمِّهِ أُمُّ مَكْتُومٍ ، وَهُوَ ابْنُ خَالِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها ، اسْتَلَمَ قَدِيمًا وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ . اسْتَخْلَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي عَامِ غَزْوَاتِهِ بِصَلِيِّ النَّاسِ لِأَنَّهُ كَانَ ضَرِيرًا وَهُوَ الْأَعْمَى الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَسَى وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ ، وَكَانَ رضي الله عنه الْمُؤَدِّنَ الثَّانِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ بِلَالٍ رضي الله عنه ... خَرَجَ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ فَشَهِدَ الْقِتَالَ وَاسْتَشْهَدَ هُنَاكَ وَكَانَ مَعَهُ اللَّوَاءُ .

( ٣ ) يَتَنَاقَبُونَ رُكُوبَهَا ، الرُّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةَ فَأَكْثَرَ عَلَى الْبَعِيرِ الْوَاحِدِ ، يُكَلِّمُهُمْ نَوْبَةً ، حَتَّى الرَّسُولُ ﷺ كَانَ مَعَهُ عَلِيُّ وَمَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْفَزَوِيُّ ثَلَاثَتُهُمْ عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ . وَلَمْ يَرْضَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَوَاجِرٍ مِنْهُمْ بِرُكْبِ نَوْبَةٍ وَيَمْسِي نَوْبَتَيْنِ وَيَقُولُ لَهُمَا ( مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي ، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا ) ، وَكَانَتْ مِثْلُهُ رضي الله عنه إِذْ ذَاكَ خَمْسًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ أَوْلَادِهِ .



( ٢ ) كَتِيبَةَ الْأَنْصَارِ ، وَأَعْطَى عَلَمَهَا سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَجَعَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى قِيَادَةِ الْمَيْمَنَةِ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعَلَى الْمَيْسَرَةِ الْمِقْدَادَ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ( وَكَانَا هُمَا الْفَارِسَانِ الْوَحِيدَانِ فِي الْجَيْشِ كَمَا أَسْلَفْنَا ) .

وَلَمَّا عَلِمَ أَبُو سُفْيَانَ ( وَكَانَ عَلَى رَأْسِ عَيْرِ قُرَيْشٍ ) بِخُرُوجِ الرَّسُولِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، اسْتَأْجَرَ ضَمُضَمَ بْنَ عَمْرٍو الْغِفَارِيَّ إِلَى مَكَّةَ ، مُسْتَصْرِخًا لِقُرَيْشٍ بِالنَّفِيرِ إِلَى عَيْرِهِمْ ، لِيَمْنَعُوهُ مِنْ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَصْحَابِهِ ، وَخَرَجَ ضَمُضَمٌ سَرِيعًا حَتَّى أَتَى مَكَّةَ ، فَصَرَخَ بِبَطْنِ الْوَادِيِ وَاقِفًا عَلَى بَعِيرِهِ ، وَقَدْ قَطَعَ أَنْفَ بَعِيرِهِ ، وَحَوَّلَ رَحْلَهُ وَشَقَّ قَمِيصَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ .. اللَّطِيْمَةَ اللَّطِيْمَةَ (١) ، أَمْوَالِكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ فِي أَصْحَابِهِ ، أَدْرِكُوهَا .. الْغَوْتُ الْغَوْتُ .

فَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِذَلِكَ أَدْرَكْتَهُمْ حَمِيَّتُهُمْ وَخَافُوا عَلَى تِجَارَتِهِمْ فَتَفَرُّوا سِرَاعًا ، وَقَالُوا : أَيُّظَنُّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَنْ تَكُونَ كَعَيْرِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ لَيَعْلَمَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَكَانُوا بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِمَّا خَارِجٌ ، وَإِمَّا بَاعِثٌ مَكَانَهُ رَجُلًا ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهِمْ إِلَّا أَبُو لَهَبٍ فَإِنَّهُ أَرْسَلَ بَدْلَهُ الْعَاصِ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ مُقَابِلَ أَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ أَدَّاهَا عَنْهُ ، وَأَرَادَ أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ أَنْ يَتَخَلَّفَ لِحَدِيثِ حَدَّثَهُ إِيَّاهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ حِينَمَا كَانَ مُعْتَمِرًا بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِقَلِيلٍ ، حَيْثُ قَالَ ( كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ) : سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ ، قَالَ : بِمَكَّةَ ؟ قَالَ لَا أَدْرِي ، فَفَزِعَ لِذَلِكَ وَحَلَفَ أَلَّا يَخْرُجَ ، فَعَابَهُ أَبُو جَهْلٍ وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى خَرَجَ قَاصِدًا الرَّجُوعَ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَلَكِنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ إِرَادَةٍ ، فَإِنَّ مَنِيَّتَهُ سَاقَتْهُ إِلَى حَنْفِهِ رَغَمَ أَنْفِهِ ، وَكَذَلِكَ عَزَمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَافِ عَلَى التَّعَمُّودِ فَعِيبَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ .

وَبِهَذَا أَجْمَعَتْ رِجَالُ قُرَيْشٍ عَلَى الْخُرُوجِ ، فَخَرَجُوا عَلَى الصَّعْبِ وَالذَّلُولِ ،

( ١ ) اللَّطِيْمَةُ : الْإِبِلُ الَّتِي تَحْمِلُ اللَّبْنَ وَاللَّيْبَ .

أَمَامَهُمُ الْقِيَنَاتُ يُغْنَيْنَ بِهِجَاءِ الْمُسْلِمِينَ : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ يَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ﴾ (١) ، وَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ هَذَا مَثَلًا يُعْتَبَرُ بِهِ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، وَهَكَذَا كَانَ عَمَلُهُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ : ﴿ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٣) .

وَكَانَ عِدَّةٌ مِنْ خَرَجٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي بَدَايَةِ سَيْرِهِمْ : تِسْعَمَائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مَعَهُمْ مِائَةٌ فَرَسٍ وَسَبْعُمِائَةٍ بَعِيرٍ وَسِتْمِائَةٍ دِرْعٍ ، وَكَانَ قَائِدُهُمْ أَبَا جَهْلٍ .  
أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَسَكَرَ بِيُوتِ السُّقْيَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَاسْتَعْرَضَ الْجَيْشَ فَرَدَّ مِنْ لَيْسَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى الْحَرْبِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ اثْنَيْنِ يَتَحَسَّسَانِ الْأَخْبَارَ عَنِ الْعِيرِ ، ( بَسْبَسَ بَنَ الْجَهْنِيِّ ، وَعَدَى بَنَ أَبِي الرَّزْغَبَاءِ الْجَهْنِيُّ ) .

وَلَمَّا بَلَغَ ﷺ الرُّوحَاءَ (٤) ، جَاءَهُ الْخَبِيرُ بِمَسِيرِ قُرَيْشٍ لَمْنَعِ عَيْرِهِمْ ، وَجَاءَهُ مُخْبِرَاهُ بِأَنَّ الْعَيْرَ سَتَصِلُ بَدْرًا (٦) غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ ، فَجَمَعَ ﷺ كِبْرَاءَ الْجَيْشِ وَقَالَ لَهُمْ : ( أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ : الْعَيْرِ ، أَوِ النَّفِيرِ ) فَتَبَيَّنَ لَهُ ﷺ أَنَّ بَعْضَهُمْ يُرِيدُونَ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ ، وَهِيَ الْعَيْرُ ، لِيَسْتَعِينُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَقَدَّ قَالُوا : هَلَّا ذَكَرْتَ لَنَا الْقِتَالَ فَتَسْتَعِدُّ ؟ وَجَاءَ مُصَدِّقٌ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ (٧) .

(٢) سُورَةُ الضُّحَى ( الْآيَةُ ١٦ ) .

(١) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( مِنْ الْآيَةِ ٤٨ ) .

(٤) مُوضَعٌ عَلَى ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ مَيْلًا جَنُوبَ الْمَدِينَةِ الْقَرِيبِ .

(٢) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( مِنْ الْآيَةِ ٤٨ ) .

(٥) أَيُّ الدَّفَاعِ عَنِ الْقَائِلَةِ الَّتِي تَحْمِلُ تِجَارَتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ .

(٦) مَحَلٌّ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَهُوَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَقْرَبُ فِي الْجَنُوبِ الْقَرِيبِ مِنْهَا ، وَكَانَ بِهِ سُوقٌ تُنْفَقُ كُلُّ سَنَةٍ لِمِائَةِ أَيَّامٍ .

(٧) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( مِنْ الْآيَةِ ٧ ) .

ثُمَّ قَامَ الْمُقَدَّادُ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ امْضِ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ ،  
 فَوَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ :  
 وَاللَّهِ لَوْ سِرْتُ إِلَى بَرَكِ الْغِمَادِ <sup>(٢)</sup> لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ ، فَدَعَا لَهُ  
عليه السلام بِخَيْرٍ .

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ ( إِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ ) - لِأَنَّ بَيْعَةَ الْعَمْبَةَ  
 رَبَّمَا يُفْهَمُ مِنْهَا أَنَّهُ لَا تَجِبُ عَلَيْهِمْ نُصْرَتُهُ إِلَّا مَا دَامَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، فَإِنَّ فِيهَا :  
 يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا بَرَاءٌ مِنْ ذِمَّتِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى دَارِنَا ، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْهَا فَانْتَ  
 فِي ذِمَّتِنَا نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا - فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ <sup>(٣)</sup> سَيِّدُ  
 الْأَوْسِ : كَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ عليه السلام : ( أَجَلٌ ) ، فَقَالَ سَعْدُ : قَدْ  
 آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عَهودَنَا ، فَاْمضِ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ فَوَالَّذِي  
 بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَنَخُوضُنَّهُ مَعَكَ ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ  
 تَكُونَ تَلْقَى الْعَدُوَّ بِنَا غَدًا ؛ إِنَّا لَصَبْرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ ، صُدُقٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ  
 يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ فَيَسِرَّ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ .

فَأَشْرَقَ وَجْهُهُ عليه السلام وَسُرَّ بِذَلِكَ وَقَالَ كَمَا فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ : ( أَبْشَرُوا وَاللَّهِ  
 لَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ ) ، فَعَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْحَرْبَ لَا بُدَّ حَاصِلَةً .  
 وَحَقِيقَةٌ حَصَلَتْ ، فَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ لَمَّا عَلِمَ بِخُرُوجِ الْمُسْلِمِينَ لَهُ ، تَرَكَ الطَّرِيقَ  
 الْمَسْلُوكَةَ وَسَارَ مُتَبِعًا سَاحِلَ الْبَحْرِ فَتَجَا ، وَأَرْسَلَ إِلَى قُرَيْشٍ يُعَلِّمُهُمْ بِذَلِكَ  
 وَيُشِيرُ عَلَيْهِمْ بِالرَّجُوعِ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَحْضُرَ بَدْرًا فَتَقِيمَ فِيهِ  
 ثَلَاثًا ، نَنْحَرُ الْجَزُورَ ، وَنُطْعِمُ الطَّلْعَامَ ، وَنَسْقِي الْخَمْرَ ، وَتَسْمَعُ بِنَا الْعَرَبُ ، فَلَا

(١) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ( مِنْ آيَةِ ٢٤ ) .

(٢) سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَوْسِيُّ الْأَشْهَلِيُّ . سَيِّدُ الْأَوْسِ . أَسْلَمَ عَلَى يَدِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وَحَلَفَ عَلَى قَوْمِهِ فَاسْلَمُوا . شَهِدَ بَدْرًا  
 يَحْمِلُ لَوَاءَ الْأَوْسِ . وَأُحْدًا وَقُتِبَ فِيهَا ، وَمَاتَ سَنَةَ خَمْسَ هِجْرِيَّةٍ مِنْ جُرْحٍ سَلَّمَهُمْ كَانَتْ أَصَابُهُ يَوْمَ الْغَدَقِ . وَسِيئُهُ سَبْعٌ  
 وَثَلَاثُونَ وَفِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ فِيهِ : ( اْمْتَرِ الْعَرْشَ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ) .

يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا أَبَدًا ، فَقَالَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقِ التَّقْفِيُّ لِبَنِي زُهْرَةَ ( وَكَانَ حَلِيفًا لَهُمْ ) : اِرْجِعُوا يَا قَوْمٌ .. فَقَدَ نَجَى اللَّهُ أَمْوَالَكُمْ ، فَارْجِعُوا ، وَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا زُهْرِيُّ وَلَا عَدَوِيٌّ ، ثُمَّ سَارَ الْجَيْشُ حَتَّى وَصَلُوا وَاوِي بَدْرٍ ، فَتَزَلُّوا عُدْوَتَهُ الْقُصُوى <sup>(١)</sup> عَنِ الْمَدِينَةِ فِي أَرْضٍ سَهْلَةٍ لَيِّنَةٍ .

الرَّسُولُ ﷺ يَقُومُ بِنَفْسِهِ بِعَمَلِيَّةِ الاسْتِكْشَافِ : وَلَمَّا نَزَلَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ ، قَامَ ﷺ بِنَفْسِهِ بِعَمَلِيَّةِ الاسْتِكْشَافِ مَعَ رَفِيقِهِ فِي الْغَارِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه ، وَبَيْنَمَا هُمَا يَتَجَوَّلَانِ حَوْلَ مَعْسَكَرِ مَكَّةَ إِذَا هُمَا بِشَيْخٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قُرَيْشٍ وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ( سَأَلَهُ عَنِ الْجَيْشَيْنِ زِيَادَةً فِي التَّكْتِمِ ) ، وَلَكِنَّ الشَّيْخَ قَالَ : لَا أُخْبِرُكُمَا حَتَّى تُخْبِرَانِي مِمَّنْ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا أَخْبَرْتَنَا أَخْبَرْنَاكَ ، قَالَ : أَوْ ذَاكَ بِذَلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ الشَّيْخُ : فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي فَهُوَ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ( لِلْمَكَانِ الَّذِي بِهِ جَيْشُ الْمَدِينَةِ ) وَبَلَّغَنِي أَنَّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي فَهُمُ الْيَوْمَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ( لِلْمَكَانِ الَّذِي بِهِ جَيْشُ مَكَّةَ ) .

وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ خَبْرِهِ ، قَالَ : مِمَّنْ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَحْنُ مِنْ مَاءٍ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ .. وَبَقِيَ الشَّيْخُ يَتَفَوَّهُ : مَا مِنْ مَاءٍ ؟ أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ ؟

وَفِي مَسَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعَثَ ﷺ اسْتِخْبَارَاتِهِ مِنْ جَدِيدٍ ، لِيَبْحَثَ عَنْ أَخْبَارِ الْعَدُوِّ وَقَامَ لَهُذِهِ الْعَمَلِيَّةِ ثَلَاثَةٌ مِنْ قَادَةِ الْمُهَاجِرِينَ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي نَقَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنه ، ذَهَبُوا إِلَى مَاءِ بَدْرٍ ، فَوَجَدُوا سُقَاةَ لِقُرَيْشٍ فِيهِمْ غُلَامٌ لِبَنِي الْحَجَّاجِ وَغُلَامٌ لِبَنِي الْعَاصِ السَّهْمِيِّينَ فَاتَّيَا بِهِمَا ، وَالرَّسُولُ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي ، ثُمَّ سَأَلُوهُمَ عَنْ أَنْفُسِهِمَا ، فَقَالَا : نَحْنُ سُقَاةُ لِقُرَيْشٍ بَعَثُونَا نَسْقِيهِمُ الْمَاءَ ، فَضَرَبُوهُمَا ، حَتَّى اضْطَرَّ الْغُلَامَانِ أَنْ

يَقُولَا : نَحْنُ لِأَبِي سُفْيَانَ ، فَتَرَكَوهُمَا .. وَلَمَّا أَتَمَّ الرَّسُولُ ﷺ صَلَاتَهُ ، قَالَ :  
 إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا ، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكَتُمُوهُمَا ؟ ( صَدَقَا ، وَاللَّهُ إِنَّهُمَا  
 لَمُرِيشٌ ، ثُمَّ قَالَ ﷺ لَهُمَا : أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ ؟ قَالَا : هُمْ وَرَاءَ هَذَا الْكَثِيبِ ،  
 فَقَالَ لَهُمَا : كَمْ هُمْ ؟ فَقَالَا : لَا نَدْرِي .. قَالَ : كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ قَالَا : يَوْمًا  
 تِسْعًا وَيَوْمًا عَشْرًا ، قَالَ ﷺ : الْقَوْمُ مَا بَيْنَ التَّسْعِمَاءَةِ وَالْأَنْفِ ، ثُمَّ سَأَلَهُمَا  
 عَمَّنْ فِي النَّفِيرِ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ؟ قَالَا : عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ ، وَأَبُو  
 الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَنَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ  
 نَوْفَلٍ ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ،  
 وَأَبُو جَهْلٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، وَنُبَيْهَةٌ وَمُنْبَهُ ابْنَا الْحَجَّاجِ ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ،  
 وَعَمْرٍو بْنُ وَدٍّ ، فَقَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَادَ كِبِدْهَا (١) .  
 ثُمَّ سَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِعُدْوَةِ الْوَادِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَدِينَةِ بَعِيدًا عَنِ الْمَاءِ فِي أَرْضِ  
 سَبْحَةَ (٢) ، فَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ عِطَاشًا بَعْضُهُمْ جُنُبٌ وَبَعْضُهُمْ مُحْدِثٌ ، فَحَدَّثَهُمُ  
 الشَّيْطَانُ بِوَسْوَاسَتِهِ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ لَثَبَّتْ عَزَائِمُهُمْ ، فَإِنَّهُ قَالَ  
 لَهُمْ : مَا يَنْتَظِرُ الْمُشْرِكُونَ مِنْكُمْ إِلَّا أَنْ يَقْطَعَ الْعَطْشُ رِقَابَكُمْ وَتَذْهَبَ قُورَاكُمْ  
 فَيَتَحَكَّمُوا فِيكُمْ كَيْفَ شَاءُوا .

فَأَرْسَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْغَيْثَ حَتَّى سَالَ الْوَادِي ، فَشَرِبُوا وَاتَّخَذُوا الْحِيَاضَ عَلَى عُدْوَةِ  
 الْوَادِي ، وَاعْتَسَلُوا وَتَوَضَّأُوا ، وَمَلَأُوا الْأَسْقِيَةَ ، وَلَبَدَّتِ الْأَرْضُ ، حَتَّى ثَبَّتَتْ عَلَيْهَا  
 الْأَقْدَامُ ، عَلَى حِينِ أَنْ كَانَ هَذَا الْمَطَرُ مُصِيبَةً عَلَى الْمُشْرِكِينَ ؛ فَإِنَّهُ وَحَلَ  
 الْأَرْضَ حَتَّى لَمْ يَعُودُوا يَقْدِرُونَ عَلَى الْارْتِحَالِ ، وَمُصْدَقُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى :  
 ﴿ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ  
 وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (٣) .

(١) أَي : قَطَعَ كِبِدْهَا ، وَهِيَ كِبَايَةٌ عَنِ الْأَوْلَادِ . (٢) السَّبْحَةُ : أَرْضٌ ذَاتُ نَزٍّ وَمِلْحٍ لَا تَكَادُ تُثَبَّتُ ، وَالْجَمْعُ سَبَاحٌ .

(٣) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( مِنَ الْآيَةِ ١١ ) .

وَقَدْ أَرَى اللَّهَ رَسُولَهُ فِي مَنَامِهِ الْأَعْدَاءَ ، كَمَا أَرَاهُمُوهُ وَقَتَ اللَّقَاءِ قَلِيلِي الْعَدَدِ ؛  
 كَيْلًا يَفْشَلُ الْمُسْلِمُونَ وَيَلْقِضِي اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
 ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ  
 فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ  
 الْتَقَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا  
 وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ (١) 》

ثُمَّ سَارَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى نَزَلَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ بَدْرٍ ، فَقَالَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ  
 الْأَنْصَارِيُّ (٢) : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ أَمْنًا أَنْزَلَكَ اللَّهُ لَيْسَ أَنْ نَقْدَمَ  
 عَنْهُ أَوْ نَتَأَخَّرَ ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ فَقَالَ ﷺ : ( بَلْ هُوَ الرَّأْيُ  
 وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ) ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لَكَ هَذَا بِمَنْزِلٍ ، فَانْهَضْ  
 بِالنَّاسِ حَتَّى تَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ ، فَإِنِّي أَعْرِفُ غَزَاةَ مَائِهِ وَكَثْرَتَهُ ، فَتَنْزِلُهُ  
 وَتُنْفِرُ مَا عَدَاهُ مِنَ الْأَبَارِ ، ثُمَّ تَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلُوهُ مَاءً فَتَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ ،  
 فَقَالَ ﷺ : ( لَقَدْ أَشْرَتَ بِالرَّأْيِ ) .

وَنَهَضَ ﷺ بِالْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَتَى أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْأَبَارِ الَّتِي  
 خَلْفَهُمْ فَفُورَتْ لِيَنْقَطِعَ أَمَلُ الْمُشْرِكِينَ فِي الشَّرْبِ مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَنَى  
 حَوْضًا عَلَى الْقَلْبِ (٣) الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ .

ثُمَّ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا نَبَيْتَ لَكَ عَرِيشًا ، تَكُونُ فِيهِ وَنَعْدُ  
 عِنْدَكَ رَكَائِبِكَ ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا ؛ فَإِنْ أَعَزَّنَا اللَّهُ تَعَالَى وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوَّنَا كَانَ  
 ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا ، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ فَلَحِقَتْ بِمَنْ وَرَاءَنَا  
 مِنْ قَوْمِنَا ، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَهْوَامٌ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ وَلَا

(١) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( الْأَيْتَانِ ٤٣ ، ٤٤ ) .

(٢) الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ الْأَنْصَارِيِّ الْغَزْرَجِيُّ ، ذُو الرَّأْيِ ، يُكْنَى أَبُو عَمْرٍو ، شَهِدَ بَدْرًا ، وَنَزَلَ جَنْبِرِيْلُ النَّبِيِّ بِرَأْيِهِ

فِي بَدْرٍ ، وَشَهِدَ أُحُدًا وَسَائِرَ الْمَشَاهِيرِ ، وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) الْقَلْبُ : عِنْدَ الْمَرْبِ الْبَيْتِ الْعَادِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ، وَالْجَمْعُ قَلْبٌ . وَغُورُ الْبَيْتِ : مَلَأًا تَرَابًا حَتَّى يَذْهَبَ مَاؤُهَا فِي الْأَعْمَاقِ .

أَطْوَعَ لَكَ مِنْهُمْ ، لَهُمْ رَغْبَةٌ فِي الْجِهَادِ وَبَيْتَهُ ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ إِنَّمَا ظَنُّوا أَنَّهَا الْعِيرُ ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ ، وَبِنَاصِحَتِكَ وَبِجَاهِدُونَ مَعَكَ ، فَقَالَ ﷺ : ( أَوْ يَقْضِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ) ثُمَّ بَنَى لِلرَّسُولِ ﷺ عَرِيشَ فَوْقَ تَلٍّ مُشْرِفٍ عَلَى مَيْدَانِ الْقِتَالِ .

تَسْوِيَةُ الرَّسُولِ ﷺ لِصُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ : وَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَدُّ صُفُوفَ الْمُقَاتِلِينَ وَفِي يَدِهِ قَدْحٌ ( سَهْمٌ ) ، وَبَيْنَمَا هُوَ يُعَدُّهَا وَقَعَ أَمْرٌ عَجِيبٌ ، فَقَدْ كَانَ سَوَادُ بْنُ غَزِيَّةَ مُتَقَدِّمًا عَنِ الصَّفِّ ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقَدْحَ عَلَى بَطْنِهِ لِيُعَدَّهُ فِي الصَّفِّ قَائِلًا : ( اسْتَوِ يَا سَوَادُ ) ، فَقَالَ سَوَادُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَعْتَنِي فَأَقْدِنِي ( افْتَصَّ لِي مِنْ نَفْسِكَ ) ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ ، وَقَالَ : ( اسْتَقِدْ ) (١) فَاعْتَنَقَهُ سَوَادُ ، وَقَبَّلَ بَطْنَهُ ، فَقَالَ ﷺ : ( مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادُ ؟ ) قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ حَضَرَ مَا تَرَى ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ ، فَدَعَا لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْرٍ . وَلَمَّا تَمَّ تَعْدِيلُ الصُّفُوفِ وَصَارُوا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوعٌ ، أَصْدَرَ ﷺ أَوْامِرَهُ إِلَى جَيْشِهِ .

مُنَاشِدَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَبَّهُ النَّصْرَ : ثُمَّ رَجَعَ ﷺ إِلَى الْعَرِيشِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ وَهَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بِالْحِرَاسَةِ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ ، ثُمَّ نَظَرَ ﷺ لِقُرَيْشٍ ، فَقَالَ : ( اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيَلِهَا وَفَخَرِهَا ، تُحَادِّثُكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ اللَّهُمَّ أَجْنُهُمْ ( أَيِ أَحْضَرَ حَيْنَهُمْ وَهُوَ هَلَاكُهُمْ ) الْفِدَاةَ ، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكُ هَذِهِ الْعِصَابَةُ ( يَعْنِي : الْمُسْلِمِينَ ) لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ ) (٢) .

وَمَا زَالَ يَهْتَفُ ﷺ بِرَبِّهِ ( أَيِ يَدْعُوهُ ) حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ

(١) اسْتَقِدْ : أَيِ خُذِ الْقِصَاصَ مِنِّي عَلَى مَا أَوْجَعْتِكَ . وَهَذِهِ هِيَ عِدَالَةُ الْإِسْلَامِ . فَلْيَبْسُ فِي الْقِصَاصِ مُرَاعَاةَ لِجَانِبِ أَحَدٍ بَلْ يَفْتَضْ مِنَ الْجَمِيعِ عَلَى السَّوَاءِ . فَيَقْتَضِ الْمَأْمُورُ مِنَ الْأَمِيرِ وَيُمْكِنُهُ الْأَمِيرُ مِنَ الْقِصَاصِ بِكُلِّ الرِّضَا كَمَا حَدَّثَ هُنَا .  
(٢) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي ( الدَّلَائِلِ ) .

بِيَدِهِ ، وَقَالَ : حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَعَلَيْهِ الدَّرْعُ وَهُوَ يَقُولُ : ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ۝ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ  
وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ۝ ﴾ (١)

عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ .. فِي تَضَرُّعٍ وَعِبْرَةٍ : قَدْ يَتَسَاءَلُ إِنْسَانٌ : لِمَاذَا أَكَلْتُ هَذِهِ الضَّرَاعَةَ  
مَادَامَ أَنَّ الرَّسُولَ مُطْمَئِنٌّ إِلَى دَرَجَةٍ أَنَّهُ قَالَ : لَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ ،  
وَأَنَّهُ حَدَدَ مَصَارِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى الْأَرْضِ ؟ وَهَلْ عِنْدَمَا أَشْفَقَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ ،  
وَالْتَزَمَهُ قَائِلًا : كَفَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَ ، كَانَ أَوْثَقَ بِرَبِّهِ  
مِنَ النَّبِيِّ ؟

وَالجَوَابُ : لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَوَهَّمُ إِنْسَانٌ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَوْثَقَ بِرَبِّهِ مِنَ النَّبِيِّ  
فِي تِلْكَ الْحَالَةِ وَغَيْرِهَا ، بَلِ الْحَامِلُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ تَقْوِيَةَ قُلُوبِ أَصْحَابِهِ  
لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ شَفِيعٌ مُشَفَّعٌ ، مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ ، وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَوَّلَ  
مَشْهَدٍ شَهِدُوهُ ، فَبَالَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعَاءِ لِتَسْكُنَ نَفُوسُهُمْ .

ثُمَّ إِنَّ أَطْمَئِنَّتَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِيمَانَهُ بِالنَّصْرِ ، إِنَّمَا كَانَ تَصَدِيقًا مِنْهُ لِلْوَعْدِ الَّذِي  
وَعَدَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ، وَرَبَّمَا أَوْحَى إِلَيْهِ بِخَبَرِ  
النَّصْرِ فِي تِلْكَ الْمَوْقِعَةِ .

وَأَمَّا الاسْتِفْرَاقُ فِي التَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ وَبَسْطِ الْكَفِّ إِلَى السَّمَاءِ ، فَتِلْكَ هِيَ وَظِيفَةُ  
الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْ أَجْلِهَا الْإِنْسَانُ ، وَذَلِكَ هُوَ ثَمَنُ النَّصْرِ فِي كُلِّ حَالٍ .  
فَمَا النَّصْرُ ( مَهْمَا تَوَفَّرَتِ الْوَسَائِلُ وَالْأَسْبَابُ ) إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَبِتَوْفِيقِهِ ،  
وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرِيدُ مِنَّْا أَنْ نَكُونَ عَبِيدًا لَهُ بِالطَّبْعِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِنْسَانٌ  
إِلَى اللَّهِ بِصِفَةِ أَعْظَمَ مِنْ صِفَةِ الْعُبُودِيَّةِ ، وَمَا اسْتَأْهَلَ إِنْسَانٌ بِوَسِيطَةٍ مِنْ  
الْوَسَائِلِ اسْتِجَابَةَ دُعَاءٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، كَمَا اسْتَأْهَلَ ذَلِكَ بِوَسِيطَةِ ذُلِّ الْعُبُودِيَّةِ  
يَتَزَيَّ وَيَتَبَرَّقِعُ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى .



وما أنواع المصائب والمعن المختلفة التي تهدد الإنسان في هذه الحياة أو تنزل به ، إلا أسباب وعوامل تنبئه لعبوديته ، وتصرف آماله وفكره إلى عظمة الله تعالى وباهر قدرته ، كي يفر إليه سبحانه ويبسط أمامه ضعفه وعبوديته ، ويستجير به من كل فتنة وبلاء ، وإذا استيقظ الإنسان في حياته لهذه الحقيقة وأنصبع سلوكه بها ، فقد وصل إلى الحد الذي أمر الله عباده جميعاً أن يقفوا عنده وينتهوا إليه .

وقبل أن تقوم الحرب على ساقها خرج من صفوف المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهد منه أو لأموتن دونه .. فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وضربه ضربة قطع بها قدمه بنصف ساقه ، فوقع على ظهره فزحف على الحوض حتى اقتحم فيه ليبرئ قسمه ، فاتبعه حمزة فقتله .. ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض الناس على الثبات والصبر ، وكان فيما قال صلى الله عليه وسلم : ( وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم ) .

ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر : عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، فطلبوا أكفاءهم <sup>(١)</sup> ، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار ، فقالوا : لا حاجة لنا بكم إنما نريد أكفاءنا من بني عمنا ، فأخرج لهم صلى الله عليه وسلم عبدة بن الحارث بن المطلب للأول ، وحمزة بن عبد المطلب للثاني ، وعلى بن أبي طالب للثالث ؛ فأما حمزة وعلى فقتلا صاحبيهما ، وأما عبدة وعتبة فاختلفا بضربتين كلاهما جرح صاحبه ، فحمل حمزة وعلى على عتبة فأجهزا عليه ، وحمل عبدة بين الصفوف جريحاً يسيل مخرج ساقه ، وأضجعوه إلى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم ، فأفرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه الشريفة فوضع خده عليها وبشره صلى الله عليه وسلم بالشهادة .

(١) أكفاء : جمع كنف ، وهو الميل والنظير عموماً ، ومنا : شرفاً وقوة .

وَبَعْدَ انْقِضَاءِ هَذِهِ الْمُبَارَزَةِ ، ابْتَدَأَ ﷺ يُوصِي الْجَيْشَ ، فَقَالَ : ( لَا تَحْمِلُوا حَتَّى أَمُرْكُمْ ، وَإِنْ اكْتَنَفَكُمْ الْقَوْمُ فَاَنْضِحُوهُمْ بِالنَّبْلِ ، وَلَا تَسْلُوا السُّيُوفَ حَتَّى يَفْشَوْكُمْ ) ، ثُمَّ رَجَعَ ﷺ إِلَى الْعَرِيشِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَخَفَقَ خَفَقَةً (١) ثُمَّ انْتَبَهَ ، فَقَالَ : ( أَبَشِّرْ يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَتَاكَ نَصْرُ اللَّهِ ، هَذَا جَبْرِيلُ أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ ) .

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى صَفِّ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا تَرَاخَفَ النَّاسُ أَخَذَ ﷺ حَفْنَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ ، وَرَمَى بِهَا فِي اتِّجَاهِ وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ فَمَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَحَدٍ إِلَّا أَصَابَ عَيْنَهُ وَمِنْخَرِيهِ وَفَمَهُ مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ ، وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (٢)

(٣) وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ ﷺ : ﴿ أَنْي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ أَلْمَلَيْكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾

وَأَوْحَى عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مَلَائِكَتِهِ : ﴿ أَنْي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي

قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (٤)

قَالَ أَبُو دَاوُدَ الْمَازِنِيُّ : إِنِّي لَأَتَّبِعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِأَضْرِبَهُ إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا يَوْمَ بَدْرٍ ، وَفِيهَا سِوَاهُ كَانَتْ عُدَدًا

وَمَدَدًا ، وَكَانَتْ سِيْمَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمُ بِيضَ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ عَمَائِمُ خُضْرُ .

وَعَنْ سُهَيْلِ ابْنِ حُنَيْفٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَإِنَّ أَحَدَنَا يُشِيرُ

بِسَيْفِهِ إِلَى الْمُشْرِكِ فَتَقَعُ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ السَّيْفُ .

وَأَمَّا اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ صَارُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ثُمَّ صَارُوا خَمْسَةَ

آلَافٍ ، وَكَانَتْ الْمَلَائِكَةُ لَا تَعْرِفُ كَيْفَ تُقْتَلُ الْأَدْمِيُونَ فَعَلَّمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ :

﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ، أَي كُلَّ مَفْصِلٍ ، وَكَانُوا

(٢) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٧ ) .

(١) حَفَقَ : نَامَ نَوْمَةً خَفِيفَةً .

(٤) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٢ ) .

(٣) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( مِنْ الْآيَةِ ٩ ) .

يَعْرِفُونَ قَتْلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ قَتْلَاهُمْ بِأَثَارِ سُودٍ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْبَنَانِ .

إِبْلِيسُ يَنْسَجِبُ عَنْ مِيدَانِ الْقِتَالِ : وَلَمَّا رَأَى إِبْلِيسُ ( وَكَانَ قَدْ جَاءَ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْشَمِ الْمُدَلِجِيِّ ، وَلَمْ يَكُنْ فَاרَهُمْ مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ ) ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَفْعَلُ الْمَلَائِكَةُ بِالْمُشْرِكِينَ فَرَّ وَنَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ ، وَتَشَبَّثَ بِهِ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ( وَهُوَ يَظُنُّهُ سُرَاقَةَ ) ، فَوَكَّزَ فِي صَدْرِ الْحَارِثِ فَأَلْقَاهُ ، ثُمَّ خَرَجَ هَارِبًا ، وَقَالَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ : إِلَى أَيْنَ يَا سُرَاقَةَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ : إِنَّكَ جَارٌ لَنَا ، لَا تَفَارِقُنَا ؟ فَقَالَ : ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) ، ثُمَّ فَرَّ حَتَّى أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ .

وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ( شُدُّوا بِاسْمِ اللَّهِ .. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمْ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيَقْتُلَ صَاحِبًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ ) (٢) ، فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ ، وَبِيَدِهِ تَمْرَاتٌ يَأْكُلُهَا : بَخِ بَخِ (٣) مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ .. ثُمَّ قَذَفَ التَّمْرَاتِ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَحَمَى الْوَطِيسُ ، وَأَيَّدَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَلَائِكَةِ بُشْرَى لَهُمْ وَلِتَظْمِنَنَّ بِهِ قُلُوبُهُمْ ، فَلَمْ تَكُنْ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى هُزِمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوْا الدُّبُرَ ، وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ ، فَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ نَحْوُ السَّبْعِينَ ، مِنْهُمْ : عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَيْعَةَ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ ، قَتَلُوا مُبَارَزَةً أَوَّلَ الْقِتَالِ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَالْجَرَّاحُ وَالِدُ أَبِي عُبَيْدَةَ ( قَتَلَهُ ابْنُهُ بَعْدَ أَنْ ابْتَعَدَ عَنْهُ فَلَمْ يَزِدْجِرْ ) (٤) ، وَقُتِلَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَابْنُهُ عَلِيُّ وَقَدِ اشْتَرِكَ فِي قَتْلِهِمَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَ

(١) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( مِنْ الْآيَةِ ٤٨ ) . (٢) السَّلْبُ : مَا عَلَى الْمُقَاتِلِ مِنْ مِبْلَاحِ .

(٣) وَهُوَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ مِنَ الْجَمُوحِ الْأَنْصَارِيِّ ، كَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي الْعَرَبِ .

(٤) كَلِمَةٌ تَقَالُ عِنْدَ الرُّضَا وَالْإِمْتِجَابِ بِالنِّسْبَةِ وَالْفَخْرِ وَالْمُنْحِ . أَيِ عَظْمِ الْأَمْرِ وَفَخْمِ .

(٥) هَذِهِ الْحَادِثَةُ ثَلَاثٌ وَتَوْكُّدٌ أَنَّ رَابِعَةَ الْعَقِيدَةِ هِيَ الرَّابِعَةُ الْحَقِيقِيَّةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَهِيَ رَابِعَةُ النَّسَبِ وَالنِّسْبِ تَنْهَارُ

أَمَامَ اخْتِلَافِ الْعَقِيدَةِ وَيَقْتُلُ الْإِبْنُ أَبَاهُ : كَمَا تَحْتَلِي نَوْحُ النَّبِيِّ عَنِ ابْنِهِ ، وَلَوْطُ عَنْ زَوْجَتِهِ وَتَرَكَاهُمَا يُوَاكِهَانِ مَصِيرَ كُفْرِهِمَا .

بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ؛ وَقَدْ سَمِعَا فِي ذَلِكَ لِمَا كَانَ يَفْعَلُهُ بِهِمَا أُمِيَّةٌ فِي مَكَّةَ .

وَمِنَ الْقَتْلَى حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَنَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَتِلَ عُبَيْدَةُ وَالْعَاصُ وَوَلَدَا أَبِي أُحِيحَةَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمِيَّةَ ، وَقُتِلَ كَثِيرُونَ غَيْرُهُمْ .

وَانْقَطَعَ يَوْمَئِذٍ سَيْفُ عُكَاشَةَ بْنِ مِحْصَنِ الْأَسَدِيِّ ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ جِدْلًا مِنْ حَطَبٍ ، فَقَالَ : قَاتِلْ بِهَذَا يَا عُكَاشَةُ ، فَلَمَّا أَخَذَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَزَّهُ فَعَادَ سَيْفًا فِي يَدِهِ طَوِيلَ الْقَامَةِ ، شَدِيدَ الْمَتْنِ أَبْيَضَ الْحَدِيدَةِ ، فَقَاتَلَ بِهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ ذَلِكَ السَّيْفُ يُسَمَّى الْعَوْنُ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَشَاهِدَ ، حَتَّى اسْتُشْهِدَ فِي حُرُوبِ الرِّدَّةِ وَهُوَ عِنْدَهُ .

مَضْرَعُ أَبِي جَهْلٍ : قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي لَفِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ إِذِ انْتَفَتْ ، فَإِذَا عَنِ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السِّنِّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَكَانِي لَمْ أَمِنْ بِمَكَانِهِمَا ، إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ : يَا عَمُّ ، أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ ، فَقُلْتُ : يَا ابْنَ أَخِي ، فَمَا تَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : أَخْبَرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْمَلُ مِنَّا ، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ ، قَالَ وَغَمَزَنِي الْفَتَى الْأَخْرُ ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ ، فَقُلْتُ : أَلَا تَرَيَانِ ؟ هَذَا صَاحِبُكُمْ الَّذِي تَسْأَلَانِي عَنْهُ ، قَالَ : فَايْتَدْرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرْبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( أَيُّكُمَا قَتَلَهُ ؟ ) فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا قَتَلْتُهُ : أَنَا قَتَلْتُهُ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا ؟ ) فَقَالَا : لَا ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّيْفَيْنِ ، فَقَالَ : كِلَاكُمَا قَتَلَهُ ، وَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَلْبِهِ لِمَعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ ، لِأَنَّ الْفَتَى الثَّانِي وَهُوَ مُعَوَّذُ بْنُ عَمْرٍو قَدْ

قُتِلَ شَهِيداً فِي نَفْسِ الْمَعْرَكَةِ .

قَالَ ابْنُ اسْحَاقَ : قَالَ مُعَاذُ بْنُ الْجَمُوحِ : سَمِعْتُ الْقَوْمَ ، وَأَبُو جَهْلٍ فِي مِثْلِ الْحَرَجَةِ ( وَالْحَرَجَةُ : الشَّجَرُ الْمُلْتَفُّ أَوْ شَجَرَةٌ مِنَ الْأَشْجَارِ لَا يُوصَلُ إِلَيْهَا ؛ شَبَّهَ رِمَاحَ الْمُشْرِكِينَ وَسُيُوفَهُمُ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ أَبِي جَهْلٍ لِحِفْظِهِ بِهَذِهِ الشَّجَرَةِ ) وَهُمْ يَقُولُونَ : أَبُو الْحَكَمِ .. لَا يُخْلَصُ إِلَيْهِ ، قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُهَا جَعَلْتُهُ مِنْ شَأْنِي فَضَمَدْتُ نَحْوَهُ ، فَلَمَّا أَمَكَّنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً أَطَلَّتْ قَدَمُهُ ( أَطَارَتْهَا ) بِنِصْفِ سَاقِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا شَبَّهْتُهَا حِينَ طَاحَتْ إِلَّا بِالنَّوَاةِ تَطِيحُ مِنْ تَحْتِ مَرَضَخَةِ النَّوَى حِينَ يُضْرَبُ بِهَا ، قَالَ : وَضَرَبَنِي ابْنُهُ عِكْرَمَةُ عَلَى عَاتِقِي ، فَطَرَحَ يَدِي ، فَتَعَلَّمْتُ بِجِلْدَةٍ مِنْ جَنْبِي ، وَأَجْهَضَنِي الْقِتَالُ عَنْهُ ، فَلَقَدْ قَاتَلْتُ عَامَةً يَوْمِي وَإِنِّي لَأَسْحَبُهَا خَلْفِي ، فَلَمَّا آدَنْتَنِي وَضَعْتُ عَلَيْهَا قَدَمِي ، ثُمَّ تَمَطَّيْتُ بِهَا عَلَيْهَا حَتَّى طَرَحْتُهَا (١) ثُمَّ مَرَّ بِأَبِي جَهْلٍ ( وَهُوَ عَقِيرٌ ) مُعَوِّذُ بْنُ عَفْرَاءَ ، فَضَرَبَهُ حَتَّى أَثْبَتَهُ ، فَتَرَكَهُ وَبِهِ رَمَقٌ ، وَقَاتَلَ مُعَوِّذٌ حَتَّى قُتِلَ .

وَلَمَّا انْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ ؟ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي طَلَبِهِ ، فَوَجَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبِهِ آخِرُ رَمَقٍ ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِهِ ، وَأَخَذَ لِحْيَتَهُ لِيَحْتَزَّ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : هَلْ أَخْزَاكَ اللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَمَاذَا أَخْزَانِي ؟ أَأَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ (٢) ؟ أَوْ هَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ ؟ وَقَالَ : فَلَوْ غَيْرُكَ قَتَلْتَنِي ، ثُمَّ قَالَ : لِمَنِ الدَّائِرَةُ الْيَوْمَ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ مَسْعُودٍ ( وَكَانَ قَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِهِ ) لَقَدْ ارْتَقَيْتَ مُرْتَقَى صَعْبًا يَا رُوَيْعَى الْغَنَمِ ، وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ مِنْ رِعَاةِ الْغَنَمِ فِي مَكَّةَ .

وَبَعْدَ أَنْ دَارَ بَيْنَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ احْتَزَّ ابْنُ مَسْعُودٍ رَأْسَهُ ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا رَأْسُ عَدُوِّ اللَّهِ أَبِي جَهْلٍ ، فَقَالَ ﷺ : اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ( فَرَدَّدَهَا ثَلَاثًا ) ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(٢) بسيرة ابن هشام .

(١) بقي معاوذ بن الجموح إلى زمن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

صَدَقَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، انْطَلَقَ أَرِينِيهِ ، فَانْطَلَقْنَا  
فَأَرَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ : هَذَا فِرْعَوْنُ الْأُمَّةِ (١) .

أَمَّا أُسْرَى بَدْرٍ فَكَانُوا سَبْعِينَ أَيْضاً ، قُتِلَ مِنْهُمْ بِأَمْرِ ﷺ وَهُوَ رَاجِعٌ : عُقْبَةُ بْنُ  
أَبِي مُعَيْطٍ ، وَالنُّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، اللَّذَانِ كَانَا بِمَكَّةَ مِنْ أَشَدِّ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَانَ  
قَتْلُهُمَا وَاجِباً ، فَلَمْ يَكُونَا مِنَ الْأَسَارَى فَحَسِبَ ، بَلْ كَانَا مِنْ مُجْرِمِي الْحَرْبِ  
بِالِاصْطِلَاحِ الْحَدِيثِ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ فِي ١٧ رَمَضَانَ ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيهِ نُزُولُ الْقُرْآنِ ،  
وَبَيْنَ التَّارِيخَيْنِ ١٤ سَنَةً قَمَرِيَّةً كَامِلَةً .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَاطِبُ قَتْلَى الْمُشْرِكِينَ : وَقَدْ أَمَرَ ﷺ فَتَقَلُّوا مِنْ مَصَارِعِهِمْ  
الَّتِي كَانِ الرَّسُولُ ﷺ أَخْبَرَ بِهَا قَبْلَ حُصُولِ الْمَوْقِعَةِ إِلَى قَلْبِ بَدْرٍ ، لِأَنَّهُ ﷺ  
كَانَ مِنْ سُنَنِهِ فِي مَغَازِيهِ إِذَا مَرَّ بِجَيْفَةِ إِنْسَانٍ أَمَرَ بِهَا فِدْفِنَتْ ، لَا يَسْأَلُ عَنْهُ  
مُؤْمِناً أَوْ كَافِراً ، وَلَمَّا أَلْقَى عُتْبَةَ وَالِدَ أَبِي حُدَيْفَةَ (١) تَفَيَّرَ وَجْهَهُ ابْنُهُ حُدَيْفَةَ ،  
فَفَطَنَ الرَّسُولُ ﷺ لِذَلِكَ ، فَقَالَ : لَمَّا دَخَلَكَ مِنْ شَأْنِ أَبِيكَ شَيْءٌ ؟ فَقَالَ :  
لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ أَبِي رَأياً وَجِلْماً وَفَضْلاً ، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ  
اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا مَاتَ عَلَيْهِ أَحْزَنْتَنِي ذَلِكَ ، فَدَعَا الرَّسُولُ ﷺ لِأَبِي  
حُدَيْفَةَ بِخَيْرٍ .

ثُمَّ أَمَرَ ﷺ بِرَأْحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الْقَلْبِ الَّذِي رُمِيَ فِيهِ  
الْمُشْرِكُونَ ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ : ( يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانٍ ،  
وَيَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا ، فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا  
وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا ) ، وَقَالَ ﷺ : ( يَا أَهْلَ الْقَلْبِ بِئْسَ الْعَشِيرَةُ كُنْتُمْ ؛ كَذَبْتُمُونِي  
وَصَدَّقْتَنِي النَّاسَ ) ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَكَلَّمُ أَجْسَاداً لَا أَرْوَاحَ

(١) مِهْرَةَ ابْنِ هِشَامٍ .

(٢) أَبُو حُدَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ الْقُرَشِيُّ ؛ خَالَ مَعَاوِيَةَ ، كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ وَصَلَّى إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ ،  
شَهِدَ بَدْرًا وَاشْتَبَهَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَخَمْسِينَ سَنَةً .

فيها ١٦ ، فقال ﷺ : ( وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا شَيْئًا ) .

شُهَدَاءُ بَدْرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : اسْتُشْهِدَ مِنْ أَرْبَعَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْلِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ ، وَهُمْ ﷺ :

- |                                      |                              |
|--------------------------------------|------------------------------|
| ١ - عبيدة بن الحارث بن المطلب        | ٢ - عمير بن الحمام           |
| ٣ - عمير بن أبي وقاص                 | ٤ - عوف بن العفراء           |
| ٥ - عاتل بن البكير الليثي            | ٦ - معوذ بن العفراء          |
| ٧ - مبشر بن عبد المنذر               | ٨ - صفوان بن بيضاء           |
| ٩ - رافع بن المعلى                   | ١٠ - يزيد بن الحارث          |
| ١١ - سعد بن خنيمه                    | ١٢ - حارثة بن سراقه          |
| ١٣ - ذو الشمالين بن عبد عمرو الخزازي | ١٤ - مهجع مولى عمر بن الخطاب |

الْمَدِينَةَ وَبُشْرِيَّاتِ النَّصْرِ : ثُمَّ أَرْسَلَ ﷺ الْمُبَشِّرِينَ ؛ فَأَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ لِأَهْلِ الْعَالِيَةِ <sup>(١)</sup> ، وَأَرْسَلَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ لِأَهْلِ السَّافِلَةِ رَاكِبًا عَلَى نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ الْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ قَدْ أَرْجَفُوا فِي الْمَدِينَةِ بِإِشَاعَةِ الدَّعَايَاتِ الْكَاذِبَةِ ، حَتَّى إِنَّهُمْ أَشَاعُوا خَبَرَ مَقْتَلِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ وَلَمَّا رَأَى أَحَدُ الْمُنَافِقِينَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ رَاكِبًا الْقَصْوَاءَ ( نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ) ، قَالَ : لَقَدْ قُتِلَ مُحَمَّدٌ ، وَهَذِهِ نَاقَتُهُ نَعْرِفُهَا ، وَهَذَا زَيْدٌ لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ مِنَ الرَّعْبِ ، وَجَاءَ فَلًا <sup>(٢)</sup> .

فَلَمَّا بَلَغَ الرَّسُولَانِ أَحَاطَ بِهِمَا الْمُسْلِمُونَ ، وَأَخَذُوا يَسْمَعُونَ مِنْهُمَا الْخَبَرَ ، حَتَّى تَأَكَّدَ لَدَيْهِمْ نَصْرُ الْمُسْلِمِينَ ، فَعَمَّتِ الْبَهْجَةُ وَالسُّرُورُ ، وَسُمِعَ بِأَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ ، وَتَقَدَّمَ رُؤُوسُ الْمُسْلِمِينَ ( الَّذِينَ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ ) إِلَى طَرِيقِ

(٢) فَلًا : مُنْهَمًا .

(١) قَرَى بظواهر المدينة وهي العوالي .

بَدْرٍ ، لِيَهْتُتُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِهَذَا النَّصْرِ الْكَبِيرِ .

قَالَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه : أَنَا الْخَبْرُ حِينَ سَوَيْنَا التُّرَابَ عَلَى رُقِيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَنِي عَلَيْهَا مَعَ عُثْمَانَ رضي الله عنه .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَحْبُهُ رضي الله عنهم يَتَحَرَّكُونَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ : وَبَعْدَ أَنْ أَقَامَ رضي الله عنه بِبَدْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَحَرَّكَ بِجَيْشِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ الْأَسَارِيُّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَالنَّفْلُ الَّذِي أُصِيبَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَهُنَا وَقَعَ خُلْفٌ بَيْنَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ الْفَنَائِمِ : فَالشُّبَّانُ يَقُولُونَ : بَاشَرْنَا الْقِتَالَ فَهِيَ لَنَا خَالِصَةٌ ، وَالشُّيُوخُ يَقُولُونَ : كُنَّا رِذَاءً <sup>(١)</sup> لَكُمْ فَتَشَارِكُكُمْ .

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْاِخْتِلَافُ مِمَّا يَدْعُو إِلَى الضَّعْفِ وَيَزْرَعُ فِي الْقُلُوبِ الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ الْمُؤَدِّيْنَ إِلَى تَشْتِتِ الشَّمْلِ : أَنْزَلَ اللَّهُ حَسْمًا لِهَذَا الْخِلَافِ ، أَوَّلَ سُورَةِ الْأَنْفَالِ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ۗ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۗ فَاتَّقُوا

اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ ﴾ <sup>(٢)</sup>  
فَسَطَعَ عَلَى أَفْتِدْيَتِهِمْ نُورَ الْقُرْآنِ فَتَأَلَّفَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ تَفْتَرِقُ ، وَتَرَكَوْا أَمْرَ الْفَنَائِمِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَضَعُهَا كَيْفَ شَاءَ ( كَمَا حَكَّمَ الْقُرْآنُ ) ، فَقَسَمَهَا رضي الله عنه

عَلَى السَّوَاءِ : الرَّاجِلُ مَعَ الرَّاجِلِ ، وَالْفَارِسُ مَعَ الْفَارِسِ ، وَأَدْخَلَ فِي الْإِسْهَامِ بَعْضَ مَنْ لَمْ يَحْضُرْ لِأَمْرٍ كَلَّفَ بِهِ وَهُمْ : أَبُو لُبَابَةَ الْأَنْصَارِيُّ لِأَنَّهُ كَانَ مُخْلَفًا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْحَارِثُ بْنُ حَاطِبٍ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ خَلَفَهُ عَلَى بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ لِيُحَقِّقَ أَمْرًا بَلَّغَهُ ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ ، وَخَوَاتُ بْنُ جُبَيْرٍ لِأَنَّهُمَا كُسِرَا بِالرُّوْحَاءِ فَلَمْ يَتِمَّكْنَا مِنَ السَّيْرِ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ لِأَنَّهُمَا أُرْسِلَا يَتَحَسَّسَانِ الْأَخْبَارَ فَلَمْ يَرْجِعَا إِلَّا بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ خَلَفَهُ عَلَى ابْنَتِهِ رُقِيَّةَ يُمْرِضُهَا وَمَعَهُ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَعَاصِمُ بْنُ



عَدِيٌّ لَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَفَهُ عَلَى أَهْلِ قُبَاءٍ وَالْعَالِيَةِ ، وَكَذَلِكَ أَسْهَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ اسْتَشْهَدَ بِيَدْرِ  
وَلَمَّا قَارَبَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ تَلَقَّتهُ الْوَلَائِدُ بِالْذُّفُوفِ يَقْلُنُ :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا \* مِنْ ثِيَابِ الْوَدَاعِ  
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا \* مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعٍ  
أَيْهَا الْمَبْمُوثُ فِينَا \* جُنْتُ بِالْأَمْرِ الْمُطَاعِ  
جُنْتُ شَرَفَتِ الْمَدِينَةُ \* مَرْحَبًا يَا خَيْرَ دَاعٍ

أَسْرَى بَدْرُ :

وَلَمَّا دَخَلُوا الْمَدِينَةَ اسْتَشَارَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ فِيمَا يَفْعَلُ بِالْأَسْرَى ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ  
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَذَّبُوكَ وَقَاتَلُوكَ وَأَخْرَجُوكَ ، فَأَرَى أَنْ تُمْكِّنَنِي  
مِنْ فُلَانٍ ( لِقَرِيبٍ لَهُ ) فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتُمْكِّنَ حَمْرَةَ مِنْ أَخِيهِ الْعَبَّاسِ ، وَعَلِيًّا  
مِنْ أَخِيهِ عَقِيلٍ .. وَهَكَذَا حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا مَوَدَّةٌ لِلْمُشْرِكِينَ ،  
مَا أَرَى أَنْ تَكُونَ لَكَ أَسْرَى فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ : هُوَلاءِ صَنَادِيدُهُمْ وَأَيْمَتُهُمْ  
وَقَادَتُهُمْ ، وَوَأَقَفَهُ عَلَى ذَلِكَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ .. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَلاءِ أَهْلَكَ وَقَوْمَكَ قَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ الظَّفَرَ وَالنَّصْرَ عَلَيْهِمْ  
أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيَهُمْ وَتَأْخُذَ الْفِدَاءَ مِنْهُمْ ، فَيَكُونُ مَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى  
الْكُفَّارِ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ بِكَ عَضُدًا .

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشْدُدُ  
قُلُوبَ أَقْوَامٍ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَثَلُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ  
( فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) (١) ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا  
عُمَرُ مَثَلُ نُوحٍ قَالَ : ( رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ) (٢)

وَرَأَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ مَدَحَ كُلًّا مِنَ الصَّاحِبِينَ : لِأَنَّ الْوَجْهَةَ  
وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ إِعْزَازُ الدِّينِ وَخِذْلَانُ الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : أَنْتُمْ

اليَوْمَ (١) عَالَةً فَلَا يَفْلِتَنَّ أَحَدٌ مِنْ أَسْرَاكُمُ إِلَّا بِفِدَاءٍ .

وَقَدْ بَلَغَ قُرَيْشًا مَا عَزَمَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ فِي أَمْرِ الْأَسْرَى ، فَتَاحَتْ عَلَى الْقَتْلَى شَهْرًا ثُمَّ أُشِيرَ عَلَيْهِمْ مِنْ كِبَارِهِمْ أَلَّا يَفْعَلُوا كَيْلًا يَبْلُغُ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ جَزَعُهُمْ فَيَشْتُمُوا بِهِمْ ، فَسَكَتُوا وَصَمُّوا عَلَى أَلَّا يُعَجِّلُوا فِي طَلْبِ الْفِدَاءِ لِئَلَّا يَتَغَالَى الْمُسْلِمُونَ فِيهِ .

الْفِدَاءُ :

فَلَمَّا يَلْتَقَتْ إِلَى ذَلِكَ الْمُطَّلِبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ السَّهْمِيُّ ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنَ الْأَسْرَى ، فَخَرَجَ خُفِيَّةً حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ وَفَدَى أَبَاهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهَا وَكَانَ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ .. وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ فِدَاءٌ وَهُوَ يُحْسِنُ الْقِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ ، أَعْطَوْهُ عَشْرَةَ مِنْ غِلْمَانِ الْمَدِينَةِ يَعْلَمُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ فِدَاءً .

وَمِنَ الْأَسْرَى عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ؛ وَلَمَّا طُلِبَ مِنْ أَبِيهِ فِدَاؤُهُ أَبِي ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُ مُحَمَّدٌ بَيْنَ ابْنِي وَمَالِي ، دَعُوهُ يُمَسِّكُوهُ فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَدَأَ لَهُمْ .. فَبَيْنَمَا أَبُو سُفْيَانَ بِمَكَّةَ إِذْ وَجَدَ سَعْدَ بْنَ النُّعْمَانَ الْأَنْصَارِيَّ مُعْتَمِرًا ، فَعَدَا عَلَيْهِ فَحَبَسَهُ بِابْنِهِ عَمْرُو ، فَمَضَى قَوْمُ سَعْدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخْبَرُوهُ فَأَعْطَاهُمْ عَمْرًا فَفَكَوْا بِهِ سَعْدًا .

وَمِنَ الْأَسْرَى أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ ؛ زَوْجُ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ وَكَانَ قَدْ أَتَى عَلَيْهِ خَيْرًا فِي مُصَاهَرَتِهِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا اسْتَحْكَمَتِ الْعِدَاوَةُ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ، طَلَبُوا مِنْ أَبِي الْعَاصِ أَنْ يُطَلِّقَ زَيْنَبَ كَمَا فَعَلَ ابْنُ أَبِي لَهَبٍ بِابْنَتِي الرَّسُولِ ( رُقِيَّةَ وَأُمَّ كَلْثُومَ ) ، فَامْتَنَعَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَفَارِقُ صَاحِبَتِي وَمَا أَحِبُّ أَنْ لِي بِهَا امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ .. وَلَمَّا أُسِرَ أَرْسَلَتْ زَيْنَبُ فِي فِدَائِهِ قِلَادَةً لَهَا كَانَتْ حَلَّتْهَا بِهَا أُمُّهَا خَدِيجَةُ لَيْلَةَ عُرْسِهَا ، فَلَمَّا رَأَى ﷺ تِلْكَ الْقِلَادَةَ

رَقَ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُتَلَقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوْا عَلَيْهَا قِلَادَتَهَا فَافْعَلُوا ، فَرَضَى الْأَصْحَابُ بِذَلِكَ ، فَأَظْلَقَهُ ﷺ بِشَرْطِ أَنْ يَتْرُكَ زَيْنَبَ تَهَاجِرُ إِلَى الْمَدِينَةِ .. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَكَّةَ أَمَرَهَا بِاللِّحَاقِ بِأَبِيهَا ، وَكَانَ ﷺ أَرْسَلَ لَهَا مَنْ يَأْتِي بِهَا فَاحْتَمَلُوهَا .

هَذَا ، وَلَمَّا أَسْلَمَ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ قُبَيْلَ الْفَتْحِ رَدَّ ﷺ عَلَيْهِ أَمْرَاتَهُ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ .

وَمِنَ الْأَسْرَى سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو : وَكَانَ مِنْ خُطَبَاءِ قُرَيْشٍ وَفُضَحَائِهَا وَطَالَمَا آذَى الْمُسْلِمِينَ بِلِسَانِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْزِعْ ثَنِيَّتِي سُهَيْلُ ، يَدْلَعُ<sup>(٢)</sup> لِسَانَهُ ، فَلَا يَقُومُ عَلَيْكَ خَطِيبًا فِي مَوْطِنٍ أَبَدًا ، فَقَالَ ﷺ : ( لَا أَمْتَلُ فَيَمْتَلُ اللَّهُ بِي ، وَإِنْ كُنْتُ نَبِيًّا ، وَعَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لَا تَدُمُهُ ) ، وَقَدِيمَ بِنْدَائِهِ مُكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ .

هَذَا ، وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ خَبَرَ الرَّسُولِ فِي سُهَيْلٍ فَإِنَّهُ لَمَّا تُوِّفَى ﷺ أَرَادَ أَهْلُ مَكَّةَ الْإِرْتِدَادَ ، كَمَا فَعَلَ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَقَامَ سُهَيْلٌ هَذَا خَطِيبًا وَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَى رَسُولِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَالَ :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الدِّينَ سَيَمْتَدُّ أَمْتِدَادَ الشَّمْسِ فِي طُلُوعِهَا ، فَتَوَكَّلُوا عَلَى رَبِّكُمْ فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ قَائِمٌ وَكَلِمَتُهُ تَامَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرٌ مَنْ نَصَرَهُ وَمُقَوِّ دِينَهُ ، وَقَدْ جَمَعَكُمْ اللَّهُ عَلَى خَيْرِكُمْ ( يُرِيدُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ) ، وَإِنْ ذَلِكَ لَمْ يَزِدِ الْإِسْلَامَ إِلَّا قُوَّةً ، فَمَنْ

(١) سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَيْشِيُّ الْعَامِرِيُّ ، يُكْنَى أَبُو يَزِيدَ ، أَمِيرُ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى صَلَاحَ الْعُدَيْبِيَّةِ مِنْ جَانِبِ قُرَيْشٍ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ يَوْمَ الْفَتْحِ : أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ . قَالَ عَنْهُ الشَّافِعِيُّ : كَانَ سُهَيْلٌ مَحْمُودَ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ الَّذِي خَطَبَ وَحَسَمَ الْأَمْرَ بِمَكَّةَ لَمَّا تُوِّفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

(٢) الثَّنِيَّةُ : إِخْدَى أَسْنَانَ مُقَدِّمِ الْفَمِ وَهِيَ أَرْبَعٌ ، يَدْلَعُ لِسَانَهُ ، يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ فَلَا يُحْسِنُ النُّطْقَ .

رَأَيْنَاهُ ارْتَدَّ ضَرْبِنَا عَنْقَهُ .

فَتَرَجَعَ النَّاسُ عَمَّا كَانُوا عَزَمُوا عَلَيْهِ ، وَكَانَ هَذَا الْخَبْرُ مِنْ مُعْجَزَاتِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ .

وَمِنَ الْأَسْرَى الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ : افْتَكَّهُ أَخُوهُ خَالِدٌ وَهَشَامٌ ، فَلَمَّا افْتَدَى وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ أَسْلَمَ فَقِيلَ لَهُ : هَلَّا أَسْلَمْتَ قَبْلَ الْفِدَاءِ ؟ فَقَالَ : خِضْتُ أَنْ يَعْذُوا إِسْلَامِي خَوْفًا . وَلَمَّا أَرَادَ الْهَجْرَةَ مَنَعَهُ أَخُوهُ فَفَرَّ إِلَى النَّبِيِّ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ . وَمِنَ الْأَسْرَى السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ : وَكَانَ صَاحِبَ الرَّأْيَةِ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ ، فَدَى نَفْسَهُ ، وَهُوَ الْجَدُّ الْخَامِسُ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ .

وَمِنْهُمْ وَهْبُ بْنُ عُمَيْرٍ الْجَمْحِيُّ : كَانَ أَبُوهُ عُمَيْرٌ شَيْطَانًا مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ كَثِيرِ الْإِيذَاءِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، جَلَسَ يَوْمًا بَعْدَ انْتِهَاءِ هَذِهِ الْحَرْبِ مَعَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ يَتَذَكَّرَانِ مُصَابَ بَدْرٍ ، فَقَالَ عُمَيْرٌ : وَاللَّهِ لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ لَيْسَ عِنْدِي قِضَاؤُهُ وَعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الْفَقْرَ بَعْدِي كُنْتُ آتِي مُحَمَّدًا فَأَقْتُلُهُ ، فَإِنَّ ابْنِيَّ أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ صَفْوَانٌ : دَيْنُكَ عَلَيَّ وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي ، فَأَخَذَ عُمَيْرٌ سَيْفَهُ وَشَحَذَهُ وَسَمَّهُ وَأَنْطَلَقَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَبَيْنَمَا عُمَرُ مَعَ نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذْ نَظَرَ إِلَى عُمَيْرٍ مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ ، فَقَالَ : هَذَا عُمَيْرٌ عَدُوُّ اللَّهِ مَا جَاءَ إِلَّا بِشَرٍّ ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرٌ قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ ، فَقَالَ ﷺ : ( أَدْخِلْهُ عَلَيَّ ) : فَأَخَذَ عُمَرُ بِحِمَائِلِ سَيْفِهِ وَأَدْخَلَهُ ، فَلَمَّا رَأَهُ ﷺ ، قَالَ : ( أَطْلِقْهُ يَا عُمَرُ ، أَدْنُ يَا عُمَيْرُ ) ، فَدَنَا وَقَالَ : أَنْعِمُوا صَبَاحًا ، فَقَالَ ﷺ : ( قَدْ أَبَدَلْنَا اللَّهُ تَحِيَّةَ خَيْرًا مِنْ تَحِيَّتِكَ وَهِيَ السَّلَامُ ) ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : ( مَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيْرُ ؟ ) قَالَ : جِئْتُ لِهَذَا الْأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ فَأَحْسِنُوا فِيهِ ، قَالَ ﷺ : ( فَمَا بَأْسُ السَّيْفِ ؟ ) قَالَ : قَبَّحَهَا اللَّهُ مِنْ سُيُوفٍ وَهَلْ أَغْنَتْ عَنَّا شَيْئًا ؟ قَالَ : ( اصْدُقْنِي مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ ؟ ) ، قَالَ : مَا جِئْتُ إِلَّا لِذَلِكَ .. قَالَ ﷺ : ( كَلَّا )

بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ فِي الْحَجْرِ وَقُلْتُمَا كَيْتَ وَكَيْتَ ) : فَأَسْلَمَ عُمَيْرٌ وَقَالَ كُنَّا  
نُكذِّبُكَ بِمَا تَأْتِي بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ  
يَحْضُرْهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ ، فَقَالَ ﷺ : ( فَقَهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ وَأَقْرَبُوهُ الْقُرْآنَ  
وَأَطْلِقُوا أُسِيرَهُ ) .. ، فَعَادَ عُمَيْرٌ إِلَى مَكَّةَ وَأَظْهَرَ إِسْلَامَهُ .

وَمِنَ الْأَسْرَى أَبُو عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ : أَخُو مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، مَرَّ بِهِ أَخُوهُ مُضْعَبٌ ،  
فَقَالَ لِلَّذِي أَسْرَهُ : شُدَّ يَدُكَ بِهِ ، فَإِنَّ أُمَّهُ ذَاتُ مَتَاعٍ لَعَلَّهَا تَقْدِيهِ مِنْكَ ، فَقَالَ لَهُ  
أَبُو عَزِيزٍ : يَا أَخِي هَذِهِ وَصَايَتُكَ بِي ( ثُمَّ بَعَثَتْ أُمَّهُ بِفِدَائِهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .  
وَمِنَ الْأَسْرَى الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : كَانَ قَدْ خَرَجَ لِهَذِهِ  
الْحَرْبِ مُكْرَهًا ، وَلَمَّا وَقَعَ فِي الْأَسْرِ مُطَلِبٌ مِنْهُ فِدَاءً نَفْسِهِ وَابْنِ أَخِيهِ عَقِيلِ بْنِ  
أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : عَلَامٌ نَدْفَعُ وَقَدْ اسْتُكْرِهْنَا عَلَى الْخُرُوجِ ؟ فَقَالَ ﷺ : ( لَقَدْ  
كُنْتُ فِي الظَّاهِرِ عَلَيْنَا ) ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ : لَقَدْ تَرَكْتَنِي فَقِيرٌ قُرَيْشٍ مَا أَبْقَيْتُ ،  
قَالَ ﷺ : ( كَيْفَ وَقَدْ تَرَكْتَ لَأُمِّ الْفَضْلِ أَمْوَالًا ، وَقُلْتَ لَهَا : إِنْ مِتُّ فَقَدْ تَرَكْتُكَ  
غَنِيَّةً ) فَقَالَ الْعَبَّاسُ : وَاللَّهِ مَا أَطَّلَعَ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ : فَأَخَذَتْ مِنْهُ فِدْيَةَ نَفْسِهِ  
وَابْنِ أَخِيهِ ، وَهَذَا الْعَمَلُ غَايَةٌ مَا يُفْعَلُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ : فَإِنَّهُ ﷺ لَمْ يُعْفِ  
عَمَّهُ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ خَرَجَ مُكْرَهًا ، وَقَدْ أَعْفَى ﷺ جَمَاعَةً غَيْرَهُ تَحَقَّقَ لَهُ فَقْرُهُمْ  
فَهَكَذَا الْعَدْلُ فَذَلِكَ أَدَبُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ  
شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (١)

وَمِنَ الْأَسْرَى أَبُو عَزَّةَ الْجُمَحِيُّ الشَّاعِرُ : كَانَ شَدِيدَ الْإِيذَاءِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
بِمَكَّةَ ، فَلَمَّا أُسِرَ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي فَقِيرٌ وَذُو عِيَالٍ وَذُو حَاجَةٍ قَدْ عَرَفْتَهَا  
فَامْنُنْ : فَمَنَّ عَلَيْهِ ﷺ فَضْلًا مِنْهُ .

الْعِتَابُ فِي الْفِدَاءِ :

وَلَمَّا تَمَّ الْفِدَاءُ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَأْنِهِ : ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى

حَتَّى يُشْخَبَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ  
 وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ● لَوْلَا كَتَبْنَا مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ  
 عَذَابٌ عَظِيمٌ ● (١) وَالكِتَابُ الَّذِي سَبَقَ مِنَ اللَّهِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ فِيمَا مَنَّا بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءً ﴾ (٢) ، فَفِيهِ إِذْنٌ بِأَخْذِ الْفِدْيَةِ مِنَ الْأَسَارَى .

وَنَجِدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَهَى عَنِ اتِّخَاذِ الْأَسْرَى (٣) قَبْلَ الْإِثْخَانِ فِي قَتْلِ الَّذِينَ  
 يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَمْنَعُونَ دِينَ اللَّهِ مِنَ الْأَنْتِشَارِ ، وَعَابَ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ  
 عَلَى إِرَادَةِ عَرَضِ الدُّنْيَا وَهُوَ الْفِدْيَةُ ، وَلَوْلَا حُكْمٌ سَابِقٌ مِنَ اللَّهِ الْأَلَّا يُعَاقَبُ  
 مُجْتَهِدًا عَلَى اجْتِهَادِهِ مَا دَامَ الْمَقْصِدُ خَيْرًا لَكَانَ الْعَذَابُ ، ثُمَّ أَبَاحَ لَهُمُ الْأَكْلَ مِنْ  
 تِلْكَ الْفِدْيَةِ الْمَبْنِيَّ أَخْذُهَا عَلَى النَّظَرِ الصَّحِيحِ .. وَهَذَا مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ عَلَى  
 صِدْقِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِهِ مَا كَانَ يُعَاتَبُ  
 نَفْسَهُ عَلَى عَمَلٍ عَمِلَهُ بِنَاءً عَلَى رَأْيِ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ .

وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْأَسْرَى الَّذِينَ يَعْلَمُ فِي قُلُوبِهِمْ خَيْرًا بِأَنْ يُؤْتِيَهُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ  
 مِنْهُمْ وَيَغْفِرَ لَهُمْ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ  
 الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ  
 وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ● ﴾ (٤)

وَبَعْدَ .. فَهَذِهِ الْغَزْوَةُ هِيَ الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا الْإِسْلَامَ وَقَوَّى أَهْلَهُ وَدَمَعَ فِيهَا  
 الشُّرْكَ وَخَرَّبَ مَحَلَّهُ ، مَعَ قَلَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ ، فَهِيَ آيَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى  
 عِنَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، مَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَدُوُّ مِنَ الْقُوَّةِ بِسَوَابِغِ  
 الْحَدِيدِ وَالْعُدَّةِ الْكَامِلَةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالخِيَلَاءِ الزَّائِدَةِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ  
 مُمْتَنًّا عَلَى عِبَادِهِ بِهَذَا النَّصْرِ : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ (٥) أَي :

قَلِيلٌ عَدَدُكُمْ لِنَتَلَمَّوْا أَنَّ النَّصْرَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَهِيَ أَعْظَمُ غَزَوَاتٍ

(٢) سُورَةُ مُحَمَّدٍ ( مِنْ الْآيَةِ ٤ ) .

(٤) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( الْآيَةُ ٧٠ ) .

(١) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( الْآيَتَانِ ٦٧ ، ٦٨ ) .

(٣) وَهَذَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي طَابِقَ الْوَحْيُ فِيهَا رَأْيَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( مِنَ الْآيَةِ ١٢٣ ) .

الإسلام : إذ بها كان ظُهورُهُ وبيدُ وُقوعِها أُشرقَ على الآفاقِ نُورُهُ ، فقد قُتلَ فيها من صناديدِ قُرَيْشٍ مَنْ كانوا الأعداءَ الألداءَ للإسلامِ ، ودخَلَ الرُعْبُ في قلوبِ العَرَبِ الأخرينَ ، فكانتَ لِلْمُسْلِمِينَ هَيْبَةٌ بها يَكْسِرُونَ الجيوشَ ويَهْزِمُونَ الرِّجالَ فلا جَرَمَ أَنْ شَكَرْنَا العَلِيَّ الأَعْلَى على هَذِهِ العِنايةِ واتَّخَذْنَا يَوْمَ النَّصْرِ في بَدْرٍ (وهو السابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضانَ) عِيداً نَتَذَكَّرُ فيه نِعْمَةَ اللهِ على رَسولِهِ وعلى المُسْلِمِينَ .

فَضَّلُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المُسْلِمِينَ : فَفي صَحِيحِ البُخاريِّ أَنَّ جَبْرِيلَ العَلِيَّ قالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : ما تُعَدُّونَ أَهلَ بَدْرٍ فيكُمْ ؟ قالَ ﷺ : ( مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ ) ، قالَ جَبْرِيلُ العَلِيَّ : وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلائِكَةِ (١) .  
وفي الصَّحِيحَيْنِ أَيضاً ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : ( لَعَلَّ اللهُ أَطَّلَعَ على أَهلِ بَدْرٍ ، فَقالَ : اعمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقدَ غَفَرْتُ لَكُمْ ) (٢) .

أَي : عَلِمَ اللهُ أَنَّهُمْ مِنْ أَهلِ الجَنَّةِ ، لِما سَبَقَ أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْها إِلا مُؤْمِنٌ ، كما أَنَّهُ لَمْ يُجاوِزِ النَّهْرَ مَعَ طالُوتَ إِلا مُؤْمِنٌ ( وَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ العِنايةُ لَمْ تُضِرَّهُ الجِنايةُ ) وَلَمْ يَمُتْ أَحَدٌ مِنْهُم بِحَمْدِ اللهِ إِلا على أَعْمالِ أَهلِ الجَنَّةِ ، ولا يُنافي ذَلكَ مُعاقِبَتُهُمْ على هَفواتِهِمْ بَعْدَ ذَلكَ ؛ ك ( حاطِبِ بنِ أَبِي بَلْتَعَةَ ، وَسَعِدِ بنِ خَوْلَةَ ، وَأَبِي لُبَابَةَ بِشِيرِ بنِ عَبْدِ اللهِ ، وَمِسْطَحِ واسمُهُ عَوْفُ بنُ أَثالَةَ ، ومُرارةَ بنِ الرِّبيعِ وهِلالِ بنِ أُمَيَّةَ ) .

والمُرادُ أَنَّ اللهُ عَلِمَ أَنَّ ذُنُوبَهُمْ مَغْفُورَةٌ بما يَنالُهُم مِنَ البَلاءِ والأَذَى في الدُّنيا ، وإِذا كانَ كَذَلِكَ : فَلَمْ يُغْفَرْ حينئِذٍ على القِطْعِ لأَحَدٍ ما تَأخَّرَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلا لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ .

صَلاةُ العِيدِ : وفي هَذَا العامِ الثَّاني مِنَ الهِجْرةِ سَنَّ اللهُ لِلعالمِ الإسلاميِّ سُنَّةَ

(٢) أَخْرَجَهُ البُخاريُّ عَن عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ ؓ .

(١) أَخْرَجَهُ البُخاريُّ عَن رِعاةِ بنِ رافعٍ ؓ .

عَظِيمَةً ، بِهَا يَتَمَكَّنُ أُنْبَاءُ الْبَلَدِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُجَدِّدُوا عُهُودَ الْإِخَاءِ وَيُقَوُّوا عُرْوَةَ الدِّينِ الْوُثْقَى ، وَهِيَ الْاجْتِمَاعُ فِي يَوْمِي عِيدِ الْفِطْرِ وَعِيدِ الْأَضْحَى .  
وَكَانَ عِيدُ الْفِطْرِ السَّعِيدِ الَّذِي وَقَعَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ٢ هـ ، أَوَّلَ عِيدٍ تَعِيدُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ فِي حَيَاتِهِمْ وَالَّذِي جَاءَ إِثْرَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ الَّذِي حَصَلُوا عَلَيْهِ فِي غَزْوَةِ بَدْر .

فَمَا أَرُوْعَ هَذَا الْعِيدِ السَّعِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ تَوَجَّهَ بِتَاجِ الْفَتْحِ وَالْعِزِّ ، وَمَا أَرُوْقَ مَنْظَرِ تِلْكَ الصَّلَاةِ الَّتِي صَلَّاهَا الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ أَنْ خَرَجُوا مِنْ بُيُوتِهِمْ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّوْحِيدِ وَالتَّحْمِيدِ وَالصَّلَاةِ عَلَى الرَّحِيمِ الْبَشِيرِ ﷺ وَقَدْ فَاضَتْ قُلُوبُهُمْ رَغْبَةً إِلَى اللَّهِ ، وَحَيْنَا إِلَى رَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ بَعْدَمَا أَوْلَاهُمْ مِنَ النِّعَمِ ، وَأَيْدُهُمْ بِهِ مِنَ النَّصْرِ ، وَذَكَرَهُمْ بِذَلِكَ قَائِلًا :

﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيْدِيكُمْ أَيْدِيكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١)  
غَزْوَةُ قَرْقَرَةَ الْكُدْرِ: وَكَانَتْ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ٢ هـ بَعْدَ بَدْرٍ ، حَيْثُ نَقَلَتْ اسْتِخْبَارَاتُ الْمَدِينَةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ بَنِي سُلَيْمٍ مِنْ قَبَائِلِ غَطَفَانَ تَحْتَسِدُ قُوَّاتِهَا لِلْغَزْوِ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَبَاغَتِ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَائَتِي رَاكِبٍ هَذِهِ الْقَبَائِلِ الْمُحْتَشِدَةَ فِي عَقْرِ دَارِهَا ، وَبَلَغَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْكُدْرُ ، فَفَرَّ بَنُو سُلَيْمٍ وَتَرَكُوا فِي الْوَادِي خَمْسَمِائَةَ بَعِيرٍ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا جَيْشُ الْمَدِينَةِ ، وَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ إِخْرَاجِ الْخُمْسِ فَأَصَابَ كُلُّ رَجُلٍ بَعِيرَيْنِ ، وَأَصَابَ غُلَامًا يُقَالُ لَهُ يَسَارٌ فَأَعْتَقَهُ .

وَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي دِيَارِهِمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

(١) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( الْآيَةُ ٢٦ ) .

(٢) الْكُدْرُ: طَبَقٌ فِي لُؤَيْهَا كُدْرَةٌ . وَهُوَ مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي سُلَيْمٍ يَقَعُ فِي نَجْدٍ عَلَى الطَّرِيقِ التِّجَارِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ الْعَبُودِيَّةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالشَّامِ .



## غزوة بني قينقاع :

هذا ، وإذا كان للإنسان عدوانٍ فانتصر على أحدهما حرَّكَ ذلك شُجونَ الآخر وهاجَ فؤاده ، فتبدو بغضاؤه غيرَ مُكترَبٍ بعاقبةِ عدائه ، وهذا ما حصلَ من يهودِ بني قينقاع عندَ تمامِ الظفرِ في بدرٍ ، فإنَّهم نقضوا ما عاهدوا المسلمينَ عليه ، وأظهروا مَكُونَ ضمائِرِهِمْ ، فبدتِ البغضاءُ من أفواهِهِمْ ، وانتهكوا حرمةَ سيِّدةٍ من نساءِ الأنصار .

روى ابنُ هشامٍ عن أبي عَونٍ أنَّ امرأةً من الأنصارِ قدِمَتْ بِجَلْبٍ لها ، فباعتهُ في سوقِ بني قينقاع ، وجلسَتِ إلى صائغٍ ، فجعلوا يراودونها على كَشْفِ وجهها ، فأبَت ، فعمدَ الصائغُ إلى طرفِ ثوبها ففَعَدَهُ إلى ظهريها ( وهى غافلةٌ ) ، فلما قامتِ انكشفتِ سَوَاتِها ، فضجِكُوا بها ، فصاحت ، فوثبَ رجلٌ من المسلمينَ على الصائغِ فقتلَهُ ( وكان يهودياً ) ، فشدتِ اليهودُ على المسلمِ فقتلوه ، فاستصرخَ أهلُ المسلمِ المسلمينَ على اليهودِ ، فوقعَ الشرُّ بينهم وبينَ بني قينقاع .<sup>(١)</sup>

فأنزلَ اللهُ على رسوله : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> أي : إذا خفتَ من قومٍ قد عاهدتَهُم خيانةً لعهدِكَ ؛ فاطرحْ لَهُم عهدَهُم علانيةً بإعلامِهِمْ ذلكَ ، ولا تُباشرْ حربَهُم وهم يتوهمونَ وجودَ العهدِ ، لأنَّ ذلكَ غدْرٌ وخيانةٌ وأخلاقُ الإسلامِ تكرهُ الغدرَ والخيانةَ حتَّى مع الأعداءِ ، وهذا هو المقصودُ مِنَ السَّوَاءِ فِي الآيَةِ : أَنْ يَسْتَوِيَ الطَّرَفَانِ بِالْعِلْمِ بِنَبْذِ الْعَهْدِ .

فَدَعَا ﷺ رُؤَسَاءَهُمْ وَحَدَّرَهُمْ عَاقِبَةَ الْبَغْيِ وَنَكَثِ الْعَهْدِ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ لَا يَغُرُّكَ مَا لَقِيتَ مِنْ قَوْمِكَ ، فَإِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ ، وَإِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَمَرَفْتِ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلَقِ مِثْلَنَا ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى :

(٢) سورة الأنفال ( الآية ٥٨ ) .

(١) الصَّائِغُ : البصائغُ التي تُحضَرُ في الأسواقِ للبيعِ .

(٢) سورة الأنفال ( الآية ٥٨ ) .

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَقَتَا ۗ فَعَقَّتْ قَعْلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ ۗ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ ۗ مَنْ يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ (١)

وَعِنْدَ ذَلِكَ تَبَرَّأَ مِنْ حِلْفِهِمْ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ (٢) أَحَدُ رُؤَسَاءِ الْخَزْرَجِ ، وَتَشَبَّثَ بِالْحِلْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ ( زَعِيمُ الْمُنَافِقِينَ ) الَّذِي أَلْحَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُصَدِرَ عَنْهُمْ عَفْوَ بَدَعُوا أَنَّهُمْ مَوَالِيهِ وَأَنَّهُ يَخْشَى أَنْ تُصِيبَهُ دَائِرَةٌ ، وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ خَشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ۖ فَيُصِيبُحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (٢)

وَعِنْدَمَا تَظَاهَرَ يَهُودُ بَنِي قَيْنِقَاعَ بِالْعَدَاوَةِ وَتَحَصَّنُوا بِحُصُونِهِمْ سَارَ إِلَيْهِمْ ﷺ فِي نِصْفِ شَوَالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ يَحْمِلُ لُؤَاءُ عُمَهُ حَمْرَةً ، وَخَلَّفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا لُبَابَةَ الْأَنْصَارِيَّ ، فَحَاصَرَهُمْ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

جَلَاءُ بَنِي قَيْنِقَاعَ : دَامَ حِصَارُ بَنِي قَيْنِقَاعَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً إِلَى هِلَالِ ذِي الْقَعْدَةِ . وَلَمَّا رَأَوْا مِنْ أَنْفُسِهِمُ الْعَجْزَ عَنْ مُقَاوَمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَدْرَكَهُمُ الرَّعْبُ ، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهُمْ فَيَخْرُجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَلَهُمُ النِّسَاءُ وَالذَّرِيَّةُ

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( الْآيَاتَانِ ١٢ ، ١٣ ) .

(٢) عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بْنُ قَيْسِ الْخَزْرَجِيِّ الْأَنْصَارِيِّ . أَبُو الْوَلِيدِ . كَانَ تَقِيًّا فِي قَوْمِهِ . شَهِدَ الْعَقَبَتَيْنِ . وَأَخَى النَّبِيَّ ﷺ وَبَيْنَ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ . شَهِدَ بَدْرًا وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ بَعْدَهَا . وَجَهَّهُ عُمَرُ ﷺ إِلَى الشَّامِ قَاضِيًّا وَمُعَلِّمًا . تَوَلَّى قِضَاءَ ظِلْسَطِينَ . وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ هـ .

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ( الْآيَاتَانِ ٥١ ، ٥٢ ) .

وَلِلْمُسْلِمِينَ الْأَمْوَالُ ، وَمَعَ إِيحَاحِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي لَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُحْسِنَ لَهُ فِي مَوَالِيهِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ ﷺ وَوَكَّلَ بِجَلَالَتِهِمْ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَأَمَهُلَهُمْ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، فَذَهَبُوا إِلَى أَدْرَعَاتٍ <sup>(١)</sup> وَلَمْ يَحُلْ عَلَيْهِمُ الْحَوْلُ حَتَّى هَلَكُوا ، وَخَمَسَ ﷺ <sup>(٢)</sup> أَمْوَالَهُمْ وَأَعْطَى سَهْمَ ذَوِي الْقُرْبَى لِبَنِي هَاشِمٍ وَلِبَنِي الْمُطَّلِبِ دُونَ بَنِي أَخَوَيْهِمَا عَبْدِ شَمْسٍ وَنَوْفَلٍ ، وَلَمَّا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، قَالَ ﷺ : إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ هَكَذَا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ الدَّرْسُ الْمُسْتَفَادُ فِي مُعَامَلَةِ الْمُنَافِقِينَ وَمَا أَكْثَرَهُمْ الْيَوْمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ :

هَذِهِ الْحَادِثَةُ وَمَا أَعْقَبَهَا مِنْ دِفَاعِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولٍ عَنِ الْيَهُودِ بِالشُّكْلِ الَّذِي رَأَيْنَاهُ ، لَا تَكَادُ تُخْفِي مِنْ أَمْرِ نِفَاقِ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئاً : فَقَدِ اتَّضَحَ مِنْ مَوْقِفِهِ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَصْطَنِعُ الْإِسْلَامَ نِفَاقاً ، وَأَنَّهُ فِي أَعْمَاقِ قَلْبِهِ إِنَّمَا يَضْمُرُ شِراً بِالْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ نَجِدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، عَامَلَهُ عَلَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، فَلَمْ يُخْفِرْ ذِمَّتَهُ ، وَلَمْ يُعَامَلْهُ مُعَامَلَةَ الْمُشْرِكِ أَوْ الْمُرْتَدِّ أَوْ الْكَاذِبِ فِي إِسْلَامِهِ ، وَأَجَابَهُ إِلَى مَا أَصْرَ وَأَلَحَّ فِي طَلْبِهِ .

وَذَلِكَ يَدُلُّ ( كَمَا أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ ) عَلَى أَنَّ الْمُنَافِقَ إِنَّمَا يُعَامَلُ فِي الدُّنْيَا مِنْ قِبَلِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، يُعَامَلُ كَذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ نِفَاقَهُ مَقْطُوعاً بِهِ ؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَحْكَامَ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي مَجْمُوعِهَا تَتَكَوَّنُ مِنْ جَانِبَيْنِ : جَانِبٍ يُطَبَّقُ فِي الدُّنْيَا وَيُكَلَّفُ الْمُسْلِمُونَ بِتَطْبِيقِهِ عَلَى مُجْتَمَعَاتِهِمْ وَفِيهَا بَيْنَهُمْ ، وَيُشْرَفُ عَلَى ذَلِكَ الْخَلِيفَةُ أَوْ حَاكِمُ الدَّوْلَةِ ، وَجَانِبٍ آخَرَ يُطَبَّقُ فِي الْآخِرَةِ وَيَكُونُ أَمْرُهُ عَائِداً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(١) أَدْرَعَاتُ : مُؤَضَّعٌ بِالشَّامِ .

(٢) أَي أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَمْسَ النَّفِيمَةِ وَجَمَلَهَا فِي أَصْحَابِهَا كَمَا وَرَدَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَرَبِّ السَّبِيلِ ﴾ . وَقَالَ ﷺ : ( لَيْسَ لِي مِنْ مَنَابِقِكُمْ إِلَّا الْخُمْسُ وَالْخُمْسُ مُرْدُودٌ عَلَيْكُمْ ) حَتَّى حَصِيَّتِهِ ﷺ كَانَ يَجْعَلُهَا لِلْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ .

فَأَمَّا الْجَانِبُ الْأَوَّلُ : فَيَقُومُ أَمْرُهُ عَلَى الْأَدِلَّةِ الْقَضَائِيَّةِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَحْسُوسَةِ  
بِحَيْثُ لَا يَتَرْتَّبُ شَيْءٌ مِنْ نَتَائِجِ الْأَحْكَامِ إِلَّا بِمُوجِبِهَا ، فَلَيْسَ لِلْأَدِلَّةِ الْوِجْدَانِيَّةِ  
وَالْقَرَائِنِ الْاسْتِنَاجِيَّةِ أَيُّ أَثَرٍ فِي هَذَا الْجَانِبِ .

وَأَمَّا الْجَانِبُ الثَّانِي : فَيَقُومُ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ فِي الْقُلُوبِ وَاسْتَكَنَّ فِي الصُّدُورِ وَمَرَدُّ  
الْقَضَاءِ فِي ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛ وَلِيَبَيِّنَ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيَمَا  
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه : ( إِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ ) ،  
وَيَقُولُ رضي الله عنه فِيَمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ : ( إِنَّا نَأْخُذُكُمْ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ  
الْحَنَّ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ  
مِنْ حَقِّ أَخِيهِ ، فَلَا يَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئاً ، فَإِنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ ) .

وَالْحِكْمَةُ مِنْ مَشْرُوعِيَّةِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ : أَنْ تَظَلَّ الْعِدَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَأْمَنِ مِنْ  
التَّلَاعُبِ بِهَا وَالتَّيْلِ مِنْهَا إِذْ رُبَّمَا اتَّخَذَ بَعْضُ الْحُكَّامِ مِنْ حُجَّةِ الْأَدِلَّةِ الْوِجْدَانِيَّةِ  
وَالْاسْتِنَاجِيَّةِ وَحَدَّهَا ذَرِيعَةً إِلَى الْإِضْرَارِ بِبَعْضِ النَّاسِ بِدُونِ حَقِّ .

وَتَطْبِيقاً لِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ الشَّرْعِيَّةِ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ إِطْلَاعِهِ  
عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِ الْمُنَافِقِينَ وَمَا تُسِرُّهُ أَفْتَدَتْهُمْ ( بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى )  
يُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ دُونَ أَيِّ تَفْرِيقٍ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْعَامَّةِ .

وَهَذَا لَا يُنَافِي أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى حَدَرٍ دَائِمٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَأَنْ يَكُونُوا فِي  
بِقْظَةٍ تَامَّةٍ أَمَامَ تَصَرُّفَاتِهِمْ ، فَذَلِكَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْبَدِيهِيَّةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي  
كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ .

غَزْوَةُ السُّوَيْقِ : (١)

كَانَ أَبُو سُفْيَانَ مُتَهَيِّجاً لِأَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا الَّتِي قُتِلَ فِيهَا ابْنُهُ وَذَوُو قُرْبَاهُ ،  
فَحَلَفَ أَلَّا يَمَسَّ رَأْسَهُ الْمَاءَ حَتَّى يَغْزَوْا مُحَمَّدًا ، وَلِيَبْرَرَ يَمِينَهُ خَرَجَ فِي مَائَتِي

(١) السُّوَيْقُ : مَطْمُونُ الْقَمْحِ وَالشُّعْبِيرُ مُعْتَمِنٌ ، يُصْنَعُ طَعَامًا وَخُصُوصًا فِي السَّفَرِ .

رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُرِيدُ الْمَدِينَةَ ، وَلَمَّا قَارَبَهَا أَرَادَ أَنْ يُقَابِلَ الْيَهُودَ مِنْ بَنِي  
النَّضِيرِ لِيُهَيِّجَهُمْ وَيَسْتَعِينَ بِهِمْ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ ، فَآتَى سَيِّدَهُمْ حَيَّ بْنَ  
أَخْطَبٍ فَلَمْ يَرْضَ مُقَابَلَتَهُ ، فَآتَى سَلَامَ بْنَ مِشْكَمٍ ( وَكَانَ صَاحِبَ كَنْزٍ وَتِجَارَةٍ  
بَنِي النَّضِيرِ ) ، فَأَذِنَ لَهُ وَقَرَأَهُ وَسَقَاهُ الْخَمْرَ وَبَطَّنَ لَهُ مِنْ خَبَرِ النَّاسِ ، ثُمَّ خَرَجَ  
مِنْ عِنْدِهِ وَأَرْسَلَ رِجَالًا مَعَهُ فَأَغَارُوا عَلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا  
الْعُرَيْضُ ، فَحَرَّقُوا فِي بَعْضِ نَخْلِهَا وَوَجَدُوا أَنْصَارِيًّا فَمَقَتَلُوهُ ، وَفَرُّوا رَاجِعِينَ  
إِلَى مَكَّةَ .

وَلَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ فِي أَثَرِهِمْ فِي مَائَتَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ لِخَمْسِ خَلَوْنَ  
مِنْ ذِي الْحِجَّةِ بَعْدَ أَنْ وُلِيَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبُو لُبَابَةَ ( بَشِيرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ ) (١)  
وَلَكِنْ لَمْ يَلْحَقْهُمْ ﷺ لِأَنَّهُمْ هَرَبُوا ، وَجَعَلُوا يُخَفِّضُونَ مَا يَحْمِلُونَهُ لِيَكُونُوا أَقْدَرَ  
عَلَى الْإِسْرَاعِ ، فَالْتَقَوْا مَا مَعَهُمْ مِنْ جُرْبِ السَّوِيقِ ( وَهِيَ عَامَّةُ أَزْوَاجِهِمْ )  
بِتَخَفُّفٍ لِلْهَرَبِ ، فَأَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ بِغَزْوَةِ السَّوِيقِ .

### زَوَاجُ عَلِيٍّ بِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

وَفِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ أَيْضًا تَزَوَّجَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي  
طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعُمُرُهُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً ، بِالسَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
وَسِنُّهَا رُفْعَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانَ مِنْهَا عَقَبُ النَّبِيِّ ﷺ : بَنُوهُ : الْحَسَنُ  
وَالْحُسَيْنُ وَزَيْنَبُ وَأُمُّ كُلثُومَ . (٢)



(١) بَشِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ الْأَوْسِيُّ الْأَنْصَارِيُّ ( أَبُو لُبَابَةَ ) : أَحَدُ الثَّقَبَاءِ ثَلَاثَةَ الْعَقَبَةِ ، خَلَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي  
عَدَدٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ ، لَهُ رِوَايَةٌ ، وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

(٢) وَقَدْ تَزَوَّجَتْ السَّيِّدَةُ أُمُّ كُلثُومَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعِنْدَمَا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ مَعَ الْفَرَقِ الْبَيْنِ فِي السَّنِّ  
بَيْنَهُمَا ، قَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَكُونَ مَوْضُولًا بِنَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنْ نَسَبَهُمْ لَا يَنْقَطِعُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ . لَقَدْ سَمِعْتُ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : ( كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ وَصَهْرٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَسَبَبِي وَصَهْرِي ) .

## السَّنةُ الثَّالِثَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ

غَزْوَةُ غَطَفَانَ :

قَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ٣ هـ ، بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ ﷺ أَنَّ بَنِي ثَعْلَبَةَ وَمُحَارِبٍ مِنْ غَطَفَانَ تَجَمَّعُوا بِرِيَاسَةِ رَئِيسٍ مِنْهُمْ اسْمُهُ دُعْثُورٌ ، يُرِيدُونَ الْغَارَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَرَادَ ﷺ أَنْ يَغْلَى أَيْدِيَهُمْ كَيْلًا يَتِمَّكَّنُوا مِنْ هَذَا الْاِعْتِدَاءِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ﷺ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا ، وَخَلَّفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .. وَلَمَّا سَمِعُوا بِسَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَرَبُوا إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ ، وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ يُقَالُ لَهُ حِبَّانٌ ، فَأَدْخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ وَصَارَ دَلِيلًا لَجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَزَلِ الْمُسْلِمُونَ سَائِرِينَ حَتَّى وَصَلُوا مَاءً يُسَمَّى ذَا أَمْرٍ (١) فَعَسَّكَرُوا بِهِ وَحَدَّثَ أَنَّهُ ﷺ نَزَعَ تَوْبَهُ يُجَفِّفُهُ مِنْ مَطَرٍ بَلَّهُ ، وَارْتاحَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَالْمُسْلِمُونَ مُتَمَرِّقُونَ ، فَأَبْصَرَهُ دُعْثُورٌ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِسَيْفِهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ ﷺ ، وَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي يَا مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ ﷺ : اللَّهُ .. فَأَدْرَكَتِ الرَّجُلَ هَيْبَةً وَرُعْبًا أَسْقَطَا السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ ، فَتَنَاوَلَهُ ﷺ ، وَقَالَ لِدُعْثُورٍ : ( مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ ) قَالَ : لَا أَحَدٌ ، فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَسْلَمَ دُعْثُورٌ ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ (٢) ثُمَّ رَجَعَ ﷺ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً .

قَتَلَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيَّ : لَمَّا انْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ بِبَدْرٍ اشْتَدَّ حُزْنُ عَدُوِّ اللَّهِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ الطَّائِي الْيَهُودِيَّ ، وَأُمَّهُ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ ، فَرَتَى قَتْلَى الْمُشْرِكِينَ بِقِصَائِدٍ ، وَقَدِمَ مَكَّةَ وَحَرَّضَ قَرِيشًا عَلَى الْأَخْذِ بِالنَّارِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى

(٢) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ( مِنْ آيَةِ ١١ ) .

(١) ذُو أَمْرٍ : مُوضِعٌ بِنَجْدٍ مِنْ دِيَارِ غَطَفَانَ .

الْمَدِينَةَ وَكَانَ لَهُ بِهَا حِصْنٌ مَنِيعٌ ، فَأَظْهَرَ الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ  
وَجَعَلَ يُشَبِّبُ فِي شِعْرِهِ بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَيُؤْذِيهِمْ .

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

( مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) .. فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ (٢)

أَتَجِبُ أَنْ أَقْتُلَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : ( نَعَمْ ) ، قَالَ : أَنَا لَكَ بِهِ ، وَأَذَنْ لِي أَنْ

أَقُولَ شَيْئًا أَمْكَنُ بِهِ ، فَأَذِنَ لَهُ ﷺ .. قَالَ فَاتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ

هَذَا الرَّجُلَ ( يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ) قَدْ أَرَادَ الصَّدَقَةَ مِنَّا وَقَدْ عَنَانَا ( أَي : أَتَعَبْنَا ) ،

فَقَالَ كَعْبٌ : وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمْلُنَّهُ ، قَالَ : إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ ، وَنَكَرُهُ أَنْ نَدَعُهُ حَتَّى

نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسَلِّفَنِي وَسَقَا أَوْ وَسَقَيْنِ ، قَالَ :

فَمَا تَرَهْنُنِي ؟ قَالَ : مَا تُرِيدُ ؟ قَالَ : تَرَهْنُنِي نِسَاءَكُمْ ؟ قَالَ : كَيْفَ نَرَهْنُكَ

نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ ؟ قَالَ لَهُ : تَرَهْنُونِي أَوْلَادَكُمْ ؟ قَالَ : يُسِبُّ ابْنُ أَحَدِنَا

فَيُقَالُ : رُهْنٌ فِي وَسَقَيْنٍ مِنْ تَمْرٍ ، وَلَكِنْ نَرَهْنُكَ اللَّأَمَةَ ( يَعْنِي السَّلَاحَ ) ، فَرَضِي

فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ بْنِ أَوْسٍ ، وَأَبِي نَائِلَةَ ، وَأَبِي عَبْسِ بْنِ جَبْرِ ، وَعَبَّادِ بْنِ

بِشْرِ ، قَالَ : فَجَاؤُوا ، فَدَعَا لَيْلًا ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا فِيهِ

الْمَوْتُ ، قَالَ : إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ ( أَخُوهُ مِنْ

الرِّضَاعِ ) ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوُدِعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لِأَجَابٍ .. فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ

لَأَصْحَابِهِ : إِنِّي إِذَا جَاءَ فَسَوْفَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ ، فَإِذَا اسْتَمْسَكَتُ مِنْهُ

فَدُونُكُمْ ، فَتَزَلْ وَهُوَ مُتَوَشِّحٌ بِالسَّيْفِ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّا نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطَّيِّبِ ،

قَالَ : نَعَمْ .. تَحْتِي فُلَانَةٌ أَعْطَرُ نِسَاءَ الْعَرَبِ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ : أَهْتَأَذُنُ

( ١ ) يُشَبِّبُ : يَنْزِلُ بِهِمْ وَيَذَكُرُ حُسْنَهُمْ .

( ٢ ) مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَوْبِيُّ الْأَنْصَارِيُّ . أَسْلَمَ قَدِيمًا عَلَى يَدَيْ مُصْعَبٍ ، وَأَخَى النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ . شَهِدَ  
الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا إِلَّا تَبُوكَ تَخَلَّفَ بِأَذْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . شَارَكَ فِي قِتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَسَلَامِ بْنِ أَبِي الْحَقْفِيِّ . كَانَ  
عَمْرًا ﷺ يَسْتَعِينُ بِهِ فِي مُمْضَلَاتِ الْأُمُورِ . اعْتَزَلَ الْفِتْنَةَ وَتَوَهَّى سَنَةَ ٤٦ هـ .

( ٣ ) الْوَسْقُ : جَمَلٌ بَجِيرٌ . وَهُوَ سِتْرُونَ صَاعًا بِصَاعِ النَّبِيِّ ﷺ .

لِي أَنْ أَشْمَ مِنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ ، فَشَمَّ .. فَتَنَاولَ فَشَمَّ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَعُودَ ؟  
 قَالَ نَعَمْ .. وَتَمَكَّنَ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : دُونَكُمْ ، فَقَتَلُوهُ .. ثُمَّ أَتَوَا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ .  
 وَكَانَ قَتْلُ هَذَا الشَّقِيِّ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْعَامِ ، وَقَدْ فَعَلَ ﷺ كَذَلِكَ مَعَ أَبِي  
 رَافِعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَأَبِي عَفْكِ الْيَهُودِيِّينَ ، وَكَانَا مِثْلَ كَمْبٍ فِي الشَّرِّ .  
 غَزْوَةُ بُحْرَانَ (١) قَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَخَلَّفَ عَلَى  
 الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ؛ وَذَلِكَ لَمَّا بَلَغَهُ ﷺ أَنَّ جَمْعًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ يُرِيدُونَ  
 الْغَارَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَمَّا وَصَلَ ﷺ إِلَى بُحْرَانَ تَفَرَّقُوا وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا ، فَرَجَعَ  
 ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى مِنَ الْعَامِ الثَّلَاثِ الْهَجْرِيِّ .  
 سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى الْقَرْدَةِ مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ : لَمَّا تَيَقَّنَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ طَرِيقَ  
 الشَّامِ مِنْ جِهَةِ الْمَدِينَةِ أُغْلِقَ فِي وَجْهِ تِجَارَتِهِمْ ، وَلَا يُمَكِّنُهُمُ الصَّبْرُ عَنْهَا لِأَنَّ  
 بِهَا حَيَاتَهُمْ ، أَرْسَلُوا عَيْرًا إِلَى الشَّامِ مِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ ، وَكَانَ فِيهَا جَمْعٌ مِنْ  
 قُرَيْشٍ ، مِنْهُمْ : صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَحُوَيْطُبُ بْنُ  
 عَبْدِ الْعَزَى .. فَجَاءَتْ أَخْبَارُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَرْسَلَ لَهُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ  
 فِي مِائَةِ رَاكِبٍ يَتَرَقَّبُونَهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ الْعَامِ الثَّلَاثِ  
 الْهَجْرِيِّ ، فَسَارَتِ السَّرِيَّةُ حَتَّى لَقِيَتِ الْعَيْرَ عَلَى مَاءِ اسْمِهِ ( الْقَرْدَةُ ) بِنَاحِيَةِ  
 نَجْدٍ ، فَأَخَذَتِ الْعَيْرَ وَمَا فِيهَا وَهَرَبَ الرَّجَالُ ، وَقَدْ خَمَسَ ﷺ هَذِهِ حِينَمَا وَصَلَتْ  
 لَهُ .

## غَزْوَةُ أَحَدَ

وَكَانَتْ وَقَعْتُهَا يَوْمَ السَّبْتِ لِلنُّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ .  
 تَعْبِيَةُ قُرَيْشٍ وَخُرُوجُهَا : اجْتَمَعَ رِجَالُ قُرَيْشٍ وَتَحَاشَدُوا لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
 وَاجْتَهَدُوا فِي طَلَبِ الثَّأْرِ لِيَوْمِ بَدْرٍ ؛ وَأَنْضَمَّ مَعَهُمْ جُمُوعٌ مِنَ الْعَرَبِ وَهُمْ حُلَفَاؤُهُمْ

(١) بُحْرَانَ : مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ الْفُرْعِ ، وَالْفُرْعُ مَقْمُورٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ مَازَالَ بِاسْمِهِ إِلَى الْآنِ .



مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَبَنِي الْهُونِ بْنِ حُزَيْمَةَ ، وَأَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبِ الْأَوْسِيِّ ( وَكَانَ  
 قَدْ فَارَقَ الْمَدِينَةَ كَرَاهِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ عَدَدٌ مِمَّنْ هُمْ عَلَى شَاكِلَتِهِ )  
 وَخَرَجَ مَعَهُمْ جَمَاعَاتٌ مِنْ أَعْرَابِ كِنَانَةَ وَتِهَامَةَ ، وَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ لِأَبِي عَزَّةَ  
 الشَّاعِرِ ( وَالَّذِي مَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدْرِ وَأَطْلَقَهُ مِنْ غَيْرِ فِدَاءٍ ) : إِنَّكَ  
 رَجُلٌ شَاعِرٌ فَأَعِنْنَا بِلِسَانِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي عَاهَدْتُ مُحَمَّدًا إِلَّا أَعِينَ عَلَيْهِ ، وَأَخَافُ  
 أَنْ وَقَعْتُ فِي يَدِهِ مَرَّةً ثَانِيَةً إِلَّا أَنْجُو ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ صَفْوَانُ حَتَّى أَطَاعَهُ ، وَذَهَبَ  
 يَسْتَنْفِرُ النَّاسَ لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ .

وَدَعَا جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ غُلَامًا حَبَشِيًّا لَهُ اسْمُهُ وَحْشِيُّ ، وَكَانَ رَامِيًا قَلَمًا يُخْطِئُ ،  
 فَقَالَ لَهُ اخْرُجْ مَعَ النَّاسِ ، فَإِنْ أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْرَةَ بَعْمِيِّ طُعَيْمَةَ فَأَنْتَ حُرٌّ ، ثُمَّ  
 خَرَجَ الْجَيْشُ وَكَانَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ رَجُلٍ فِيهِمْ سَبْعُمِائَةٌ دَارِعٍ وَمِائَتَا فَرَسٍ وَثَلَاثَةُ  
 آلَافٍ بَعِيرٍ ، وَمَعَهُمْ كَذَلِكَ الْقِيَانُ وَالذَّفُوفُ وَالْمَعَارِزُ وَالخُمُورُ ، وَاصْطَحَبَ  
 الْأَشْرَافُ مِنْهُمْ نِسَاءَهُمْ كَيْلًا يَنْهَزِمُوا وَعَدَدُهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ امْرَأَةً ، وَلَمْ يَزَالُوا  
 سَائِرِينَ حَتَّى نَزَلُوا مُقَابِلَ الْمَدِينَةِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ .

مُشَاوَرَةَ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابَهُ فِي الْخُرُوجِ : فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ( وَكَانَ  
 قَدْ بَلَغَهُ الْخَبْرُ مِنْ كِتَابِ بَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ عُمَةُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّذِي لَمْ  
 يَخْرُجْ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ مُحْتَجًّا بِمَا أَصَابَهُ يَوْمَ بَدْرِ ) اسْتَشَارَ  
 أَصْحَابَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ أَوْ الْإِقَامَةَ ، وَقَالَ لَهُمْ : ( إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنَّ  
 فِي سَيْفِي ثَلْمَةً ، وَأَنْ بَقِرًا تُذْبِحُ ، وَتَأَوَّلْتُهَا أَنْ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِي يُقْتَلُونَ ، وَأَنْ  
 رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُصَابُ ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا  
 فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ ، وَإِنْ دَخَلُوهَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا ) (١)  
 فَاخْتَلَفَتْ آرَاؤُهُمْ فِي ذَلِكَ : فَكَانَ مَعَ رَأْيِهِ ﷺ شُيُوخُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ،  
 وَرَأَى ذَلِكَ أَيْضًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي .

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ . بَنُوهُ .

أَمَّا الشُّبَّانُ وَخُصُوصاً مَنْ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا مِنْهُمْ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخُرُوجِ ، وَكَانَ مَعَ رَأْيِهِمْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَا زَالَ هَؤُلَاءِ بِالرَّسُولِ حَتَّى اسْتَجَابَ لِرَأْيِهِمْ لِأَنَّهُمْ الْأَكْثَرُونَ عَدَدًا وَالْأَقْوُونَ جَدًّا ، ثُمَّ صَلَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُمُعَةَ بِالنَّاسِ وَحَضَّهُمْ فِي خُطْبَتِهَا عَلَى الثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ ، وَقَالَ لَهُمْ : ( لَكُمْ النَّصْرُ مَا صَبَرْتُمْ ) وَأَمَرَهُمْ بِالتَّهَيُّؤِ لِعَدُوِّهِمْ ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ .

تَهَيُّؤُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْخُرُوجِ : ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجْرَتَهُ وَلَبَسَ لِأَمْتَهُ ( دِرْعَهُ ) وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ .. وَلَمَّا رَأَى ذُوو الرَّأْيِ مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَّ الشُّبَّانَ اسْتَكْرَهُوا الرَّسُولَ عَلَى الْخُرُوجِ لَامُوهُمْ ، وَقَالُوا : رُدُّوا الْأَمْرَ لِرَسُولِ اللَّهِ فَمَا أَمَرَ أَنْتُمْ بِمَا ، فَلَمَّا خَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَتَّبِعُ رَأْيَكَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبَسَ لِأَمْتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ ) (١) .

ثُمَّ عَقَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَلْوِيَةِ : لِوَاءٍ لِلْمُهَاجِرِينَ بِيَدِ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلِوَاءٍ لِلْخَزْرَجِ بِيَدِ الْحَبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلِوَاءٍ لِلْأَوْسِ بِيَدِ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ أَلْفَ رَجُلٍ ، وَفِيهِمْ مِائَةٌ دَارِعٍ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ فَرَسٌ .. ثُمَّ اسْتَعْرَضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَيْشَ فَرَدَّ مَنْ اسْتَصَفَرَ ، وَكَانَ فِيهِمْ رَدٌّ : رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ وَسَمُرَةٌ بْنُ جُنْدَبٍ ( وَكَانَا فِي الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْعُمَرِ ) ، ثُمَّ أَجَازَ رَافِعًا لَمَّا قِيلَ إِنَّهُ رَامٍ ، فَبَكَى سَمُرَةٌ وَقَالَ لِزَوْجِ أُمِّهِ : أَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَافِعًا وَرَدَّنِي مَعَ أَنِّي أَصْرَعُهُ ، فَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ الْخَبَرَ فَأَمَرَهُمَا بِالْمُصَارَعَةِ ، فَكَانَ الْغَالِبَ سَمُرَةٌ فَأَجَازَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

سِيرَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُسْلِمِينَ لِمُوَاجَهَةِ الْمُشْرِكِينَ :

ثُمَّ بَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحَلَّهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَاسْتَعْمَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعَلَى حَرَسِ الْجَيْشِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعَلَى حَرَسِهِ الْخَاصِّ

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي ( مُسْنَدِهِ ) .

ذَكَوَانَ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ (١)

وَأَدْلَجَ ﷺ فِي السَّحَرِ وَسَارَ بِالْجَيْشِ وَأَمَامَهُ السَّعْدَانِ يَعْذُوَانِ ( سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ) ( ﷺ ) دَارِعِينَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشَّوْطِ ( وَهُوَ بُسْتَانٌ بَيْنَ أَحَدِ وَالْمَدِينَةِ ) ، تَمَرَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَاثَسَحَبَ بِثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ( نَحْوُ ثَلَاثِ الْجَيْشِ ) قَائِلًا : عَصَانِي وَأَطَاعَ الْوَلَدَانَ ، فَعَلَامَ نَقَلْتُمْ أَنْفُسَنَا ؟ وَمُتَظَاهِرًا بِالْاِحْتِجَاجِ بِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ تَرَكَ رَأْيَهُ وَأَطَاعَ غَيْرَهُ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ سَبَبَ هَذَا الْاِنْخِذَالِ لَمْ يَكُنْ هُوَ مَا أَبْدَاهُ هَذَا الْمُنَافِقُ مِنْ رَفْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَأْيَهُ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِسَيْرِهِ مَعَ الْجَيْشِ النَّبَوِيِّ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ مَعْنَى : بَلْ كَانَ هَدَفُهُ الرَّئِيسِيُّ مِنْ هَذَا التَّمَرُّدِ ( فِي ذَلِكَ الظَّرْفِ الدَّقِيقِ ) إِحْدَاثَ الْبَلْبَلَةِ وَالْاِضْطِرَابِ فِي جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَرَأَى وَمَسْمَعٍ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، حَتَّى يَنْحَازَ عَامَّةُ الْجَيْشِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَتَنْهَارَ مَعْنَوِيَّاتُ مَنْ يَبْقَى مَعَهُ ، بَيْنَمَا يَتَشَجَعُ الْعَدُوُّ ، وَتَعْلُو هِمَّتُهُ لِرُؤْيَةِ هَذَا الْمَنْظَرِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَسْرَعَ إِلَى الْقَضَاءِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ الْمُخْلِصِينَ .

وَكَادَ الْمُنَافِقُ أَنْ يَنْجَحَ فِي تَحْقِيقِ بَعْضِ مَا هَدَفَ إِلَيْهِ ، فَقَدْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ ( بَنُو حَارِثَةَ مِنَ الْأَوْسِ وَبَنُو سَلَمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ ) أَنْ تَفْشَلَا ، فَعَصَمَهُمَا اللَّهُ : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢)

وَحَاوَلَ عَبْدُ اللَّهِ ( وَالِدُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ) تَذْكَيرَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ بِوَاجِبِهِمْ ، فَتَبَعَهُمْ قَائِلًا لَهُمْ : تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ، قَالُوا : لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمْ نَرْجِعْ .. فَارْجِعْ عَنْهُمْ قَائِلًا : أَبْعَدَكُمْ اللَّهُ ، فَسَيُفْنِي اللَّهُ

(١) ذَكَوَانَ بْنُ عَبْدِ قَيْسِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيُّ ، مِنْ أَهْلِ الْمَقْبَرَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ بِالْإِسْلَامِ ، اسْتَشْهَدَ بِأَخِي . وَقَدْ

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَانَ فِيهِ : ( مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ يَطَأُ بِقَدَمِهِ غَدَاً خُضْرَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا .. ) .

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( الْآيَةُ ١٢٢ ) .

عَنْكُمْ نَبِيَّهُ ، وَفِي هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١﴾ ﴾

تَعْبِئَةُ النَّبِيِّ ﷺ الْمُسْلِمِينَ لِلْقِتَالِ : فَبَقِيَ فِي الْجَيْشِ نَحْوُ سَبْعِ مِائَةِ رَجُلٍ فَسَارَ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى نَزَلَ الشُّعْبَ مِنْ جَبَلٍ (أَحَدٍ) <sup>(٢)</sup> وَجَعَلَ ظَهْرَهُ إِلَى هِضَابِ الْجَبَلِ وَوَجْهَهُ لِلْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ .. أَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَنَزَلُوا بِبِطْنِ الْوَادِي مِنْ قَبْلِ أَحَدٍ ، وَكَانَ عَلَى مَيْمَنَةِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَعَلَى الْمَيْسِرَةِ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَعَلَى الْمَشَاةِ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ .

فَجَعَلَ ﷺ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ يِزَاءَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَجَعَلَ آخِرِينَ أَمَامَ الْبَاقِينَ .. وَاسْتَحْضَرَ ﷺ الرُّمَاءَ وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا يَرَأْسُهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرِ الْأَنْصَارِيُّ وَجَعَلَهُمْ خَلْفَ الْجَيْشِ عَلَى ظَهْرِ الْجَبَلِ ، وَقَالَ لَهُمْ : ( لَا تَبْرَحُوا ، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ ) .  
ثُمَّ عَدَلَ وَرَتَّبَ ﷺ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ <sup>(٣)</sup>

تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وَكَانَ فِيهَا قَالَهُ ﷺ : ( أَلْقَى فِي قَلْبِي الرُّوحَ الْأَمِينُ أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ أَقْصَى رِزْقِهَا ، لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَأَجْمِلُوا فِي طَلْبِ الرِّزْقِ ، لَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاؤُهُ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُؤْمِنِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ ) .

بِدَايَةُ الْقِتَالِ وَانْتِصَارُ الْمُسْلِمِينَ فِي أَوَّلِ الْمَعْرَكَةِ : وَتَقَارَبَ الْجَمْعَانِ ، وَتَدَانَتْ الْفِئَتَانِ ، وَبَدَأَتْ مَرَاجِلُ الْقِتَالِ ، وَكَانَ أَوَّلَ وَقُودِ الْمَعْرَكَةِ حَامِلُ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ

(٢) جَبَلٌ شَمَالِي الْمَدِينَةِ الشَّرْقِيَّةِ .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ (الآيَةُ ١٦٧) .

(٤) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ (مِنَ الْآيَةِ ١٦١) .

(٣) وَكَانَ ﷺ قَدْ خَدَا مِنْ مَنْزِلِ السُّنْدَةِ عَائِشَةَ ؓ .

طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيِّ ( وَكَانَ مِنْ أَشْجَعِ فُرْسَانَ قُرَيْشٍ ) ، خَرَجَ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى جَمَلٍ ، يَدْعُو إِلَى الْمُبَارَاةِ ، فَأَحْجَمَ عَنْهُ النَّاسُ لِفِرْطِ شَجَاعَتِهِ ، وَلَكِنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يُمَهِّلْهُ بَلْ وَثَبَ وَثَبَةً اللَّيْثِ ، حَتَّى صَارَ مَعَهُ عَلَى جَمَلِهِ ، ثُمَّ اقْتَحَمَ بِهِ الْأَرْضَ ، فَأَلْقَاهُ عَنْهُ وَقَتَلَهُ .. وَرَأَى النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الصَّرَاعَ الرَّائِعَ ، فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ ، وَأَثْنَى ﷺ عَلَى الزُّبَيْرِ ، وَقَالَ فِي حَقِّهِ : ( إِنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ ) (١)

ثُمَّ حَمَلَ لِيَوَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَخُوهُ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ فَقَتَلَهُ حَمْرَةً ، فَحَمَلَهُ أَخٌ لَهُمَا اسْمُهُ أَبُو سَعْدٍ فَرَمَاهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ بِسَهْمٍ قَضَى عَلَيْهِ ، فَتَنَابَوَ اللُّوَاءَ بَعْدَهُ أَرْبَعَةً مِنْ أَوْلَادِ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ وَكُلُّهُمْ يُقْتَلُونَ .

وَخَرَجَ مِنْ صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَطْلُبُ الْمُبَارَاةَ فَأَرَادَ أَبُوهُ أَنْ يَبْرُزَ لَهُ ، فَقَالَ ﷺ : ( مَتَّعْنَا بِنَفْسِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ) .

وَبَيْنَمَا كَانَ الْقِتَالُ الْمَرِيرُ يَدُورُ فِي سَائِرِ نِقَاطِ الْمَعْرَكَةِ وَكَانَتْ رُوحُ الْإِيمَانِ قَدْ سَادَتْ صُفُوفَ الْمُسْلِمِينَ ؛ أَقْبَلَ أَبُو دُجَانَةَ مُعَلِّمًا بِعِصَابَتِهِ الْحَمْرَاءَ ، أَخَذًا بِسَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُصَمِّمًا عَلَى آدَاءِ حَقِّهِ ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَمَعَنَ فِي النَّاسِ ، وَجَعَلَ لَا يَلْقَى مُشْرِكًا إِلَّا قَتَلَهُ ، وَأَخَذَ يَهْدُ صُفُوفَ الْمُشْرِكِينَ هَذَا .

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ : وَجَدْتُ فِي نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ السَّيْفَ فَمَنَعَنِيهِ ، وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَنَا ابْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِي ، وَمِنْ قُرَيْشٍ ، وَقَدْ قُمْتُ إِلَيْهِ ، فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ قَبْلَهُ فَأَتَاهُ إِيَّاهُ وَتَرَكَنِي ؛ وَاللَّهِ لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ ؟ فَاتَّبَعْتُهُ فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حَمْرَاءَ ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ الْمَوْتِ ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَتَبَخَّرُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ، وَحِينَئِذٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( إِنَّهَا لَمِشِيَةٌ يَبْغُضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ ) ، وَظَلَّ يُقَاتِلُ وَهُوَ يَقُولُ :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي \* وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ  
أَنْ لَا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوْلِ<sup>(١)</sup> \* أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ  
فَجَعَلَ أَبُو دُجَانَةَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ ، ثُمَّ أَمَعَنَ فِي الصُّفُوفِ حَتَّى خَلَصَ إِلَى  
قَائِدَةِ نِسْوَةِ قُرَيْشٍ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي مَا بِهَا .

قَالَ أَبُو دُجَانَةَ : رَأَيْتُ إِنْسَانًا يَخْمِشُ النَّاسَ خَمَشًا شَدِيدًا فَصَمَدَتْ لَهُ ، فَلَمَّا  
حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ وَلَوْلَ ، فَأَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً ،  
وَكَانَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ هِيَ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ .

وَلَمَّا حَمَيْتِ الْحَرْبُ قَامَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ فِي النَّسْوَةِ اللَّاتِي مَعَهَا يَضْرِبْنَ  
بِالدُّفُوفِ وَيَنْشُدْنَ بِالشُّعَارِ تَهْيِيجًا لِعَوَاطِفِ الرِّجَالِ ، وَكَانَ فِيهَا قَوْلُهُ :

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقُ \* وَنَفْرِشُ النَّمَارِقِ<sup>(٢)</sup>

أَوْ تُدْبِرُوا نَفَارِقُ \* فِرَاقِ غَيْرِ وَامِقِ<sup>(٣)</sup>

وَكَانَ ﷺ كَلَّمَ سَمِعَ نَشِيدَ نِسَاءِ الْمُشْرِكِينَ ، يَقُولُ : ( اللَّهُمَّ بِكَ أَحْوَلُ ، وَبِكَ  
أَصْوَلُ ، وَفِيكَ أَقَاتِلُ ، حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ) .

ثُمَّ حَمَلَتْ خِيَالَةَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ وَفِي كُلِّهَا يَنْضَحُهُمُ  
الْمُسْلِمُونَ بِالنَّبْلِ فَيَتَقَهَّقُونَ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَحَسُّوا  
الْمُشْرِكِينَ بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ عَنِ الْعَسْكَرِ ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعَدَّهُ ﴾  
إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴿<sup>(٤)</sup> وَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ قَوْلَى الْمُشْرِكُونَ لَا يَلُوءُونَ عَلَى شَيْءٍ  
وَنِسَاؤُهُمْ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَيَبْكِينَ وَيُؤَلُّونَ ، وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى أَجْهَضُوهُمْ  
وَأَخَذُوا يَجْمَعُونَ الْغَنَائِمَ وَالْأَسْلَابَ .

الْإِبْتِلَاءُ بَعْدَ النَّصْرِ : فَقَالَتِ الرَّمَاءُ : الْغَنِيمَةُ يَا قَوْمُ ، فَقَدْ ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا

(١) الْكَيْوْلُ : آخِرُ الصُّفُوفِ ، يَنْبَغِي أَنَّهُ لَا يُقَاتِلُ فِي مُؤَخَّرَةِ الصُّفُوفِ ، بَلْ يَنْظُرُ أَبَدًا فِي الْمَقْدَمَةِ .

(٢) النَّمَارِقُ : الْمَسَائِدُ .

(٣) الْوَامِقُ : الْمُجِيبُ .

(٤) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( مِنْ الْآيَةِ ١٥٢ ) .

(٤) أَحْوَلُ : أَمْنَعُ .

تَنْتَظِرُونَ؟ فَأَبَى بَعْضُهُمْ وَعَلَى رَأْسِهِمْ رَئِيسُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ فَثَبَّتَ مَكَانَهُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ( لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ ) ، فَأَقْبَلُوا عَلَى الْغَنِيمَةِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْنَا عَنْهُمْ غَيْبَتَهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

فَلَمَّا رَأَى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَحَدَ قَادَةِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ خَلَوَّ الْجَبَلِ مِنَ الرُّمَاءِ انْطَلَقَ بِبَعْضِ الْجَيْشِ فَقَتَلَ مَنْ ثَبَّتَ مِنَ الرُّمَاءِ ، وَأَتَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَهُمْ مُسْتَنْفِلُونَ بِدُنْيَاهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا هَذَا الْبَلَاءَ دَهَشُوا وَتَرَكُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ ، وَانْتَقَضَتْ صُفُوفُهُمْ وَاخْتَلَطُوا مِنْ غَيْرِ شِعَارٍ ، حَتَّى صَارَ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . مَصْرَعُ أَسَدِ اللَّهِ وَأَسَدِ رَسُولِهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : وَقَاتَلَ حَمْزَةُ ﷺ قِتَالَ اللَّيْثِ الْمُهْتَاجَةِ ، فَقَدِ انْدَفَعَ إِلَى قَلْبِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ يُغَامِرُ مُغَامِرَةً مُنْقَطِعَةَ النَّظِيرِ ، يَنْكَشِفُ عَنْهُ الْأَبْطَالُ كَمَا تَتَطَايَرُ الْأُورَاقُ أَمَامَ الرِّيَّاحِ الْهُوجَاءِ :

فَبِالإِضَافَةِ إِلَى مُشَارَكَتِهِ الْفِعَالَةَ فِي إِبَادَةِ حَامِلِ لِيَاءِ الْمُشْرِكِينَ : فَعَلَ الْأَفَاعِيلُ بِأَبْطَالِهِمُ الْآخَرِينَ حَتَّى صُرِعَ وَهُوَ فِي مُقَدِّمَةِ الظَّاهِرِينَ ، وَلَكِنْ لَا كَمَا تُصْرَعُ الْأَبْطَالُ وَجْهًا لَوَجْهِ فِي مَيْدَانِ الْقِتَالِ ، وَإِنَّمَا كَمَا يُفْتَالُ الْكِرَامُ فِي حَلَكِ الظَّلَامِ . يَقُولُ وَحِشِيُّ (٢) ( قَاتِلُ حَمْزَةَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ ) : كُنْتُ رَجُلًا حَبَشِيًّا أَهْدَفَ بِالْحَرْبَةِ قَدْفَ الْحَبَشَةِ فَلَمَّا أُخْطِيءُ بِهَا شَيْئًا ، فَلَمَّا انْتَقَى النَّاسُ خَرَجْتُ أَنْظُرُ حَمْزَةَ وَأَتَبَصَّرُهُ ، حَتَّى رَأَيْتُهُ فِي عُرْضِ النَّاسِ مِثْلَ الْجَمَلِ الْأُورِقِ ، يَهْدِي النَّاسَ هَدًى مَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَتَهَيَّأُ لَهُ أُرِيدُهُ ، فَاسْتَرْتُ مِنْهُ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ لِيَدْنُو مِنِّي ، إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى ، فَلَمَّا رَأَهُ حَمْزَةُ قَالَ لَهُ : هَلُمَّ إِلَيَّ يَا

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( مِنَ الْآيَةِ ١٥٢ ) .

(٢) شِعَارٌ : كَلِمَةُ السَّرِّ ، وَكَانَ شِعَارَ أَضْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَحَدٍ : ( أَمَتِ أَمَتِ ) .

(٣) وَحِشِيُّ بْنُ حَرْبِ الْعَبَّاسِيُّ ، وَقَدْ أَسْلَمَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ الطَّائِفِ ، وَقَدْ أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُنَبِّئَ وَجْهَهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ يُذَكِّرُهُ بِمَقْتَلِ حَمْزَةَ ، وَشَارَكَ فِي قِتَالِ مَسِيئَةِ الْكُذَّابِ تَكْفِيرًا عَنْ قِتَالِ حَمْزَةَ وَبِالْحَرْبَةِ نَفْسِهَا ، شَهِدَ الْبِرْمُوكَ ضِدَّ الرُّومَانَ ، وَتَوَفَّى فِي جَمْعٍ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ابن مُقَطَّمَةَ البُظُورِ ( وَكَانَتْ أُمُّهُ خَتَانَةً ) ، فَضْرِبُهُ حَمْرَةٌ ضَرْبَةٌ قَضَتْ عَلَيْهِ ..  
 وَهَزَزْتُ حَرْبِي ، حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا إِلَيْهِ ، فَوَقَعْتُ فِي أَحْشَائِهِ حَتَّى  
 خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ ، وَذَهَبَ لِيَتَوَّءَ لِنَحْوِي فَغَلِبَ ، وَتَرَكَتُهُ وَإِيَّاهَا حَتَّى مَاتَ ،  
 ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ حَرْبِي ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ ، فَفَعَدْتُ فِيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بغيرِهِ  
 حَاجَةٌ ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ لِأَعْتَقَ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ عَتَقْتُ .

المُسْلِمُونَ يَسْتَبْسِلُونَ: وَيَرْغَمُ هَذِهِ الْخَسَارَةَ الْفَادِحَةَ الَّتِي لَحِقَتْ الْمُسْلِمِينَ بِقَتْلِ  
 أَسَدِ اللَّهِ وَأَسَدِ رَسُولِهِ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، ظَلَّ الْمُسْلِمُونَ مُسْتَبْسِلِينَ ؛ فَقَدَ  
 قَاتِلَ يَوْمَيْذٍ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَالزُّبَيْرُ  
 بْنُ الْعَوَّامِ ، وَمُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ،  
 وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَأَنَسُ بْنُ النَّضْرِ وَأَمْثَالُهُمْ  
 قَاتَلُوا قِتَالًا قَلَّ عَزَائِمُ الْمُشْرِكِينَ وَفَتَتْ فِي أَعْضَادِهِمْ .

وَكَانَ مِنَ الْأَبْطَالِ الْمَفَاوِيرِ يَوْمَيْذٍ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ ( حَنْظَلَةُ الْغَسِيلِ وَالَّتِي  
 غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ) ؛ كَانَ حَنْظَلَةُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِالْعُرْسِ ، فَلَمَّا سَمِعَ هَوَاتِفَ الْحَرْبِ  
 ( وَهُوَ عَلَى امْرَأَتِهِ ) انْخَلَعَ مِنْ أَحْضَانِهَا ، وَهَامَ مِنْ قَوْرِهِ إِلَى الْجِهَادِ ، فَلَمَّا  
 التَقَى بِجَيْشِ الْمُشْرِكِينَ فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ ، أَخَذَ يَشُقُّ الصُّفُوفَ ، حَتَّى خَلَصَ إِلَى  
 قَائِدِ الْمُشْرِكِينَ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ ، وَكَادَ يَقْضِي عَلَيْهِ لَوْلَا أَنْ أَتَاهُ اللَّهُ  
 لَهُ الشَّهَادَةَ ، فَقَدَّ شَدَّ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَمَّا اسْتَعْلَاهُ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ رَأَهُ شَدَّادُ بْنُ  
 الْأَسْوَدِ فَضْرِبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ .

فَقَالَ ﷺ : ( إِنَّ صَاحِبَكُمْ - يَعْنِي حَنْظَلَةَ - لَتَنْسَلُهُ الْمَلَائِكَةُ ) ، فَسَأَلُوا أَهْلَهُ  
 مَا شَأْنُهُ ؟ فَسَأَلَتْ صَاحِبَتُهُ ( زَوْجَتُهُ ) عَنْهُ ، فَقَالَتْ : خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ  
 الْهَاتِفَةَ ( صَيْحَةَ الْقِتَالِ ) .

وَقَاتَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ حَتَّى أُصِيبَ فُوهُ ( فَمُهُ ) يَوْمَيْذٍ فَصَارَ أَهْتَمَ ( لِكَسْرِ



ثَبِيَّةَ أَسْنَانِهِ ) ، وَجُرِحَ عِشْرِينَ جِرَاحَةً أَوْ أَكْثَرَ ، أَصَابَهُ بَعْضُهَا فِي رِجْلِهِ فَعَرَجَ .  
 وَأُصِيبَتْ يَوْمئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ فَأَتَى بِهَا إِلَى  
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ وَرَدَّهَا إِلَى مَوْضِعِهَا وَقَالَ ﷺ : ( اللَّهُمَّ  
 اكْسُهُ جَمَالًا ) ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَحَدَهُمَا .

إِشَاعَةُ مَقْتَلِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا لَقِيَهُ مِنَ الْأَذَى : كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ  
 ابْنُ قِمَيْةَ قَتَلَ مُصَعبَ بْنَ عُمَيْرٍ صَاحِبَ اللِّوَاءِ وَأَشَاعَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَدَخَلَ  
 الْفِشْلُ فِي الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : عَلَامَ نُقَاتِلُ إِذَا كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ ؟  
 فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِكُمْ يُؤْمِنُوكُمْ ، وَقَالَ جَمَاعَةٌ : إِذَا كَانَ مُحَمَّدٌ قَتَلَ فَقَاتِلُوا عَنْ  
 دِينِكُمْ .. فَانْفَضَّتْ صُفُوفُ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَرَاجَعَ الْمُشْرِكُونَ بَعْدَ هَزِيمَتِهِمْ ،  
 وَخَلَصَ الْعَدُوُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ ، حَتَّى وَقَعَ لِشِقِّهِ ، وَكُسِرَتْ  
 رِبَاعِيَّتُهُ الْيُمْنَى السُّفْلَى ، وَجُرِحَتْ شَفْتُهُ السُّفْلَى ، وَضْرَبَهُ ابْنُ قِمَيْةَ عَلَى وَجْهِهِ ،  
 فَدَخَلَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ حَلْقِ الْمِغْفَرِ <sup>(١)</sup> فِي وَجْنَتِهِ ﷺ ، وَضْرَبَهُ آخَرَ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى  
 هَشَمَ الْبَيْضَةَ <sup>(٢)</sup> ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى قَتْلِهِ ﷺ ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ ،  
 وَهُوَ ﷺ ثَابِتٌ يُنَادِي أَصْحَابَهُ ، فَلَمْ يَلَوْ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، إِذْ لَمْ يَعْرِفُوهُ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ  
 قُتِلَ ، وَهُوَ ﷺ فِي الْحَدِيدِ ( الدَّرْعِ وَالْمِغْفَرِ ) ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ إِذْ تَصْعِدُونَ وَلَا تُلَدُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي  
 أُخْرَانِكُمْ فَأَتَيْتَكُم مِّنْ غَمًّا بَغِيًّا <sup>(٢)</sup> ﴾

وَأَمْتَصَّ مَالِكُ بْنُ سِنَانَ ( وَالِدُ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ) ﷺ الدَّمَ مِنْ وَجْنَتِهِ ﷺ  
 حَتَّى أَنْفَاهُ ، فَقَالَ لَهُ ﷺ : ( مُجِّهِ ) ، فَقَالَ ﷺ : وَاللَّهِ لَا أُمَجُّهُ أَبَدًا ، ثُمَّ  
 انْطَلَقَ يُقَاتِلُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ( مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ  
 فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا ) ، فَقَتَلَ شَهِيدًا .

(١) الْمِغْفَرُ: زِدَّ يُنْسَجُ مِنَ الدَّرْعِ عَلَى قَدْرِ الرَّأْسِ، يُبَسُّ تَحْتَ الْقَلَنْسُوتِ.

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( مِنَ الْآيَةِ ١٥٣ ) .

(٢) الْبَيْضَةُ: الْغُودَةُ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الرَّأْسِ .

وَقَاتَلَتْ أُمُّ عُمَارَةَ ( نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ ) رضي الله عنه ، فَاعْتَرَضَتْ لِابْنِ قَمِيَّةٍ فِي أَنْاسٍ  
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَضَرَبَهَا ابْنُ قَمِيَّةٍ عَلَى عَاتِقِهَا ضَرْبَةً تَرَكَتْ جُرْحًا أَجُوفًا ،  
وَضَرَبَتْ هِيَ ابْنَ قَمِيَّةٍ عِدَّةَ ضَرْبَاتٍ بِسَيْفِهَا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُتَدَرِّعًا بِدِرْعَيْنِ فَفَجَأَ ،  
وَبَقِيَتْ أُمُّ عُمَارَةَ رضي الله عنه تُقَاتِلُ حَتَّى أَصَابَهَا اثْنَا عَشَرَ جُرْحًا .  
وَبَتَّتْ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ :

أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ : اسْتَمَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ صلوات الله عليه يَمْنَعُ عَنْهُ بِحِجْمَتِهِ <sup>(١)</sup> ، وَكَانَ رَامِيًا  
شَدِيدَ الرَّمْيِ ، فَتَثَّرَ كِنَانَتُهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ، وَصَارَ يَقُولُ : نَفْسِي  
لِنَفْسِكَ الْفِدَاءُ وَوَجْهِي لَوَجْهِكَ الْوِفَاءُ .. وَكُلُّ مَنْ كَانَ يَمُرُّ وَمَعَهُ كِنَانَةٌ ، يَقُولُ لَهُ  
صلوات الله عليه : ( انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ ) ، وَكَانَ يَنْظُرُ صلوات الله عليه إِلَى الْقَوْمِ لِيَرَى مَوَاضِعَ النَّبْلِ ،  
فَيَقُولُ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه : يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، لَا تَنْظُرْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ  
سِهَامِ الْقَوْمِ ! نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ .

وَمِمَّنْ ثَبَتَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه : فَكَانَ صلوات الله عليه يَقُولُ لَهُ : ( اِرْمِ سَعْدُ ! فِدَاكَ  
أَبِي وَأُمِّي ) .

وَمِنْهُمْ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ رضي الله عنه : وَكَانَ مِنْ مَشَاهِيرِ الرُّمَاءِ ، نَضَحَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ  
صلوات الله عليه بِالنَّبْلِ حَتَّى انْفَرَجَ عَنْهُ النَّاسُ .

وَمِنْهُمْ أَبُو دُجَانَةَ ( سِمَاكُ بْنُ خَرِشَةَ الْأَنْصَارِيُّ ) رضي الله عنه : تَتَرَسَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ  
صلوات الله عليه ، فَصَارَ النَّبْلُ يَقَعُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنْحَنٍ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ .

وَكَانَ زِيَادُ بْنُ عُمَارَةَ فِي خَمْسَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ رضي الله عنه يُقْتَلُونَ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه  
الوَاحِدِ تِلْوِ الْأَخْرِ ، وَكَانَ آخِرَهُمْ زِيَادٌ ، حَتَّى أَصَابَتْ الْجِرَاحُ مَقَاتِلَهُ ، فَأَمَرَ بِهِ  
صلوات الله عليه فَأَذْنَى مِنْهُ وَوَسَدَهُ قَدَمَهُ حَتَّى مَاتَ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه .

وَقَدْ أَصَابَهُ صلوات الله عليه شِدَائِدُ عَظِيمَةٍ تَحَمَّلَهَا بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الثَّبَاتِ : فَقَدْ أَقْبَلَ أَبِي  
بُنْ خَلْفٍ يُرِيدُ قَتْلَهُ ، فَأَخَذَ صلوات الله عليه الْحَرْبَةَ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ وَقَالَ خَلُّوا طَرِيقَهُ ، فَلَمَّا

قُرِبَ مِنْهُ ضَرْبُهُ ضَرْبَةً كَانَتْ سَبَبَ هَلَاكِهِ وَهُوَ رَاجِعٌ عَلَى فَرَسِهِ .

وَلَمْ يَقْتُلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرَهُ لَا فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ وَلَا فِي غَيْرِهَا .

أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ إِشَاعَةِ مَقْتَلِهِ : ثُمَّ إِنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكِ الْأَنْصَارِيَّ ﷺ

عَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ فَصَاحَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَبَشِّرُوا ، فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَعَطَفَ عَلَيْهِ نَفْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ اصْمُتْ .

ثُمَّ سَارَ ﷺ بَيْنَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ يُرِيدُ الشَّعْبَ وَمَعَهُ جَمْعٌ مِنْهُمْ

أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ ﷺ .. وَأَقْبَلَ

عَلَيْهِ إِذْ ذَاكَ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ يَقُولُ : أَيْنَ مُحَمَّدٌ ؟ لَا نَجَوْتُ إِنْ

نَجَا ، فَعَثَرَتْ بِهِ فَرَسُهُ وَوَقَعَ فِي حُفْرَةٍ . فَمَشَى إِلَيْهِ الْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ وَقَتَلَهُ .

وَلَمَّا وَصَلَ الشَّعْبَ ﷺ جَاءَتْ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ ﷺ فَغَسَلَتْ عَنْهُ الدَّمَ وَكَانَ عَلَى

رُجْعَتِهِ ﷺ يَسْكُبُ الْمَاءَ ، ثُمَّ أَخَذَتْ ﷺ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَوَضَعَتْهَا عَلَى

الْجُرْحِ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمَ .

ثُمَّ صَعِدَ ﷺ الصَّخْرَةَ الَّتِي فِي الشَّعْبِ بِمُعَاوَنَةِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ( لِأَنَّهُ ﷺ

كَانَ ظَاهِرًا بَيْنَ دَرْعَيْنِ مِمَّا حَدَّ مِنْ حَرَكَتِهِ ) . فَتَنَظَرَ ﷺ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ عَلَى ظَهْرِ الْجَبَلِ ، فَقَالَ : ( لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلَمُوا ، اللَّهُمَّ لَا قُوَّةَ لَنَا

إِلَّا بِكَ ) ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي جَمَاعَةٍ فَنَاوَشُوهُمْ وَأَجْبَرُوهُمْ

عَلَى النَّزُولِ .

وَقَدْ أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَحُوطُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ مِنَ الْجِرَاحَاتِ

لِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ كَانَ يَتَلَقَّى السَّهْمَ خَوْفًا أَنْ يَصِلَ لِلرَّسُولِ ﷺ ، فَوُجِدَ بِطَلْحَةَ

ﷺ نَيْفٌ وَسَبْعُونَ جِرَاحَةً وَشَلَّتْ يَدُهُ ، وَأَصَابَ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ سَبْعَ عَشْرَةَ

جِرَاحَةً .

شِمَاتَةُ أَبِي سُفْيَانَ بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ : ثُمَّ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ صَعِدَ الْجَبَلَ وَنَادَى بِأَعْلَى

صَوْنِهِ : أَفَى الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ( لَا تُجِيبُوهُ ) ، فَقَالَ : أَفَى الْقَوْمِ  
ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ قَالَ ﷺ : ( لَا تُجِيبُوهُ ) ، قَالَ أَفَى الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ قَالَ ﷺ  
( لَا تُجِيبُوهُ ) فَقَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ قُتِلُوا ، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ لَأَجَابُوا ، فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ رَضِيَ  
نَفْسَهُ ، فَقَالَ : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، قَدْ أَبَقَى اللَّهُ لَكَ مَا يُخْزِيكَ ، فَقَالَ أَبُو  
سُفْيَانَ : أَعْلَى هُبَلٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ( أَجِيبُوهُ ) ، قَالُوا : مَا نَقُولُ ؟ قَالَ ﷺ :  
( قُولُوا : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ ) ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَنَا الْعُرَى وَلَا عُزَى لَكُمْ ، فَقَالَ  
النَّبِيُّ ﷺ : ( أَجِيبُوهُ ) قَالُوا : مَا نَقُولُ ؟ قَالَ ﷺ : ( قُولُوا : اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا  
مَوْلَى لَكُمْ ) ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَوْمَ يَوْمِ بَدْرٍ ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ ، وَتَجِدُونَ مُثْلَهُ لَمْ  
أَمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسْؤُنِي .<sup>(١)</sup>

تَتَّبِعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ : ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ  
( أَخْرُجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ ، فَانظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَمَا يُرِيدُونَ ، فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَنَّبُوا  
وَأَمْتَطَلُوا الْإِبِلَ ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ ، فَإِنَّهُمْ  
يُرِيدُونَ الْمَدِينَةَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَرَادُوهَا لِأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ فِيهَا ، ثُمَّ  
لَأُنَاجِرَنَّهُمْ ) .

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَخَرَجْتُ فِي آثَارِهِمْ أَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُونَ ، فَجَنَّبُوا الْخَيْلَ  
وَأَمْتَطَلُوا الْإِبِلَ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى مَكَّةَ .

شُهَدَاءُ أُحُدٍ : وَكَانَ يَوْمَ أُحُدٍ لِلْمُسْلِمِينَ يَوْمَ ابْتِلَاءٍ وَتَمَحِيصٍ وَإِكْرَامٍ ، أَكْرَمَ اللَّهُ  
فِيهِ مَنْ أَكْرَمَ بِالشَّهَادَةِ ، فَاسْتُشْهِدَ حَمْرَةَ فِي سَبْعِينَ شَهِيداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللَّهُ  
مِنْهُمْ سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْبَاقُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ :

فَالْمُهَاجِرُونَ : حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَمُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ  
وَشَمَّاسُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَسَعْدُ ( مَوْلَى حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ ) وَثَقِيفُ بْنُ عَمْرٍو  
( حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، سِجَالٌ ، أَي مَرَّةً لَنَا وَمَرَّةً عَلَيْنَا .

وَمِنَ الْأَنْصَارِ : عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ وَابْنُهُ خَلَادُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ ، فَاتَتْ زَوْجَ عَمْرٍو ( هِنْدُ بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ ) وَحَمَلَتْهُمْ : زَوْجَهَا وَابْنَهَا وَأَخَاهَا عَلَى بَعِيرٍ لَتَدْفِنَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ، فَهَنَى ﷺ عَنِ الدَّفْنِ خَارِجَ أَحَدٍ ، فَارْجَعُوا وَأَيْضاً حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَمَّا سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَلَقَدْ أَرْسَلَ ﷺ مَنْ يَأْتِيهِ بِخَبْرِهِ ، فَوَجَدَهُ بَيْنَ الْقَتْلَى وَبِهِ رَمَقٌ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ عَنْكَ ، فَقَالَ لِمُبَلِّغِهِ : قُلْ لِقَوْمِي يَقُولُ لَكُمْ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ : اللَّهُ اللَّهُ وَمَا عَاهَدْتُمْ عَلَيْهِ رَسُولُهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، فَوَاللَّهِ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عُدْرٌ .

وَأَمَّا أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ ( عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَهِيَ ( الصَّحِيحِيْن ) عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ عَمِّي أَنَسَ بْنَ النَّضْرِ غَابَ عَنْ بَدْرٍ ، فَقَالَ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، لَيْتَنِي أَشْهَدَنِي اللَّهُ قِتَالًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لِيرِيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ أَحُدٍ ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ ( يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ ) ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَتَقَدَّمَ سَيْفُهُ فَلَقِيَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : يَا سَعْدُ إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أَحُدٍ ، فَقَتِلْ ، وَوُجِدَ بِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةِ رُمَحٍ وَضَرْبَةَ سَيْفٍ وَرَمِيَةَ بِسَهْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَتَلَى الْمُشْرِكِينَ : وَقُتِلَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ ، وَقَتَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ أُمَّ بَنِي خَلْفٍ .

دَفْنُ الشُّهَدَاءِ : اشْتَقَلَ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلَى الْمُسْلِمِينَ يُمَثِّلُونَ بِهِمْ يَقْطَعُونَ الْأَذَانَ وَالْأَنْوْفَ وَالْفُرُوجَ وَيَقْرُونَ الْبُطُونَ ، حَتَّى إِنْ هِنْدًا زَوْجُ أَبِي سُفْيَانَ بَقَرَتْ بَطْنَ حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَأَخَذَتْ كَبِدَهُ لِتَأْكُلَهَا فَلَاكُهَا ثُمَّ أَرْسَلَتْهَا .. فَلَمَّا نَظَرَ ﷺ إِلَى عَمِّهِ حَمْرَةَ حَزَنَ حُزْنًا شَدِيدًا وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ وَأَتَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : ( وَاللَّهِ ، لَيْتَنِي أَظْفَرَنِي اللَّهُ بِهِمْ لِأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ ) (١) ، ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ ﴾

(١) أوردته الهنبي في (مجمع الزوائد) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

لِلصَّابِرِينَ ● وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ (١)

فَاخْتَارَ ﷺ الصَّبْرَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْمُثَلَّةِ .

ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِدَفْنِ الشُّهَدَاءِ بِدِمَائِهِمْ ، وَلَمْ يُغْسَلْهُمْ ، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ ( أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) أَي : لَهُمْ ، وَكَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ يَقُولُ ﷺ : ( أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ ؟ ) ، فَاذًا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ . (٢)

وَدُفِنَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَابْنُ أُخْتِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ .  
إِنْسَانِيَّةَ الْإِيمَانِ وَحَقِيقَةَ الْحُبِّ وَالتَّقَانِي :

وَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ دَفْنِ الشُّهَدَاءِ وَالتَّوْبَةِ عَلَى اللَّهِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ انصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ ظَهَرَتْ لَهُ فِي عَوْدَتِهِ نَمَائِجُ الْحُبِّ وَالتَّقَانِي مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ الصَّادِقَاتِ ، كَمَا ظَهَرَتْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَثْنَاءِ الْمَعْرَكَةِ .

لَقِيَتْهُ فِي الطَّرِيقِ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ ، فَنُعِيَ لَهَا أَخُوها عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ ، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ، ثُمَّ نُعِيَ لَهَا خَالُهَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ ، ثُمَّ نُعِيَ لَهَا زَوْجُهَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، فَصَاحَتْ وَوَلَوَّتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لِيَمْكَانِ ) . (٣)

وَمَرَّ ﷺ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوها وَأَبُوها بِأَحَدٍ ، فَلَمَّا نَعُوا إِلَيْهَا ، قَالَتْ : فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالُوا : خَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ ، قَالَتْ : أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَأُشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ ، قَالَتْ : كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلٌّ (٤) - تَرِيدُ صَغِيرَةً - .

وَجَاءَتْ إِلَيْهِ أُمَّ سَعْدٍ مِنْ مُعَاذِ تَعْمُدٍ ، فَقَالَ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أُمِّي ، فَقَالَ ﷺ :

(١) سُورَةُ النَّحْلِ ( الْآيَةُ ١٢٦ ، وَمِنْ الْآيَةِ ١٢٧ ) .

(٢) وَهِيَ أُخْتُ زَيْنَبِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَكَانَتْ مَتَزَوَّجَةً بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَبَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ بِأَخْبَرِ تَزَوَّجَهَا طَلَعَهُ مِنْ عُنْدِ اللَّهِ ﷺ .

(٣) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ .

(٤) الْجَلُّ : يَكُونُ مِنَ الْقَلِيلِ ، وَمِنَ الْكَثِيرِ ، وَهُوَ هُنَا مِنَ الْقَلِيلِ .

مَرْحَباً بِهَا .. وَوَقَفَ لَهَا ، فَلَمَّا دَنَتْ عَزَّاهَا بِأَيْنِهَا عَمْرُو بْنُ مُعَاذٍ ، فَقَالَتْ : أَمَا إِذْ رَأَيْتَكَ سَالِماً ، فَقَدِ اسْتَوَيْتُ الْمُصِيبَةَ ( أَيْ اسْتَقَلَّتْهَا ) .. ثُمَّ دَعَا ﷺ لِأَهْلِ مَنْ قُتِلَ بِأَحَدٍ ، وَقَالَ : ( يَا أُمَّ سَعْدٍ بَشِّرِي أَهْلَهُمْ أَنَّ قَتْلَهُمْ تَرَافَقُوا فِي الْجَنَّةِ جَمِيعاً ، وَقَدْ شَفَعُوا فِي أَهْلِهِمْ جَمِيعاً ) ، قَالَتْ : رَضِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنْ يَبْكِي عَلَيْهِمْ بَعْدَ هَذَا ؟ ، ثُمَّ قَالَتْ .. يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ لِمَنْ خَلَفُوا مِنْهُمْ ، فَقَالَ ﷺ (اللَّهُمَّ أَذْهَبْ حُزْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَاجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ ، وَأَحْسِنِ الْخَلْفَ عَلَى مَنْ خَلَفُوا) (١) وَلَمَّا رَجَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ سَخِرَ مِنْهُمْ الْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ ، وَأَظْهَرُوا مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾. غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ :

وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشاً لَمَّا بَلَغَتْ ( الرَّوْحَاءَ ) هَمُّوا أَيْضاً بِالرُّجُوعِ لِاسْتِثْصَالِ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِرِزْعِمِهِمْ ، فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ نَدَبَ أَصْحَابَهُ لِلْخُرُوجِ لِلِقَائِهِمْ وَقَالَ ﷺ : ( لَا يَخْرُجُ مَعَنَا إِلَّا مَنْ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ ) (٢) ، وَكَانَ اللَّوَاءُ مَعْقُوداً لَمْ يُحَلَّ فَأَعْطَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَوَلَّى عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمَّ مَكْتُومٍ (٤) ، ثُمَّ سَارَ بِهِمْ ﷺ حَتَّى بَلَغَ ( حَمْرَاءَ الْأَسَدِ ) ، فَمَرَّ بِهِمْ مَعْبِدَ الْخُرَاعِيِّ وَهُمْ نَزُولٌ ، فَأَسْرَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَيْهِمْ ، فَتَنَّى ذَلِكَ قُرَيْشاً عَنْ لِقَائِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ حَضَرَ مَعَهُ مَنْ لَمْ يَحْضُرْ بِالْأَمْسِ ، وَأَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَأَذْبَرُوا إِلَى مَكَّةَ .

وَظَفَرَ ﷺ وَهُمْ فِي حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ، بِأَبِي عَزَّةَ الشَّاعِرِ الَّذِي مَنْ عَلَيْهِ ﷺ يَبْدُرُ بَعْدَ أَنْ تَعَهَّدَ أَلَّا يَكُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَقْلَنِي وَامْتُنْ عَلَيَّ وَدَعْنِي لِبَنَاتِي وَأَعْطِيكَ عَهْداً أَلَّا أَعُودَ لِمِثْلِ مَا فَعَلْتُ ، فَقَالَ ﷺ :

(١) السِّيرَةُ الْحَلَبِيَّةُ .

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( مِنْ آيَةِ ١٥٦ ) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ .

(٤) لِلصَّلَاةِ بِالنَّاسِ كَمَا فِي سَائِرِ النُّزُومِ لِأَنَّهُ كَانَ ضَرِيراً .

(٥) مَوْضِعٌ عَلَى بَعْدِ اثْنَيْ عَشْرَةَ كِيلُومِثْراً مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُتَوَرِّدِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ .

( لا والله ، لا تَمَسُّحُ عَارِضِيكَ بِمَكَّةَ تَقُولُ : خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ ، لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ ) ، ثُمَّ أَمَرَ ﷺ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فَضْرَبَ عُنُقَهُ .

وَأَقَامَ ﷺ وَالصَّحَابَةُ ثَلَاثًا يَنْتَظِرُونَ لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، فَبَلَغَهُمْ مَسِيرُهُمْ فَرَجَعُوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ● الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ● فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١).

وَعِنْدَ عَوْدَتِهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ حَكَمَ بِقَتْلِ جَاسُوسٍ مِنْ جَوَاسِيسِ مَكَّةَ وَهُوَ مُعَاوِيَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ( جَدُّ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لِأُمِّهِ ) ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ أُحُدٍ جَاءَ مُعَاوِيَةَ هَذَا إِلَى ابْنِ عَمِّهِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ ، فَاسْتَأْمَنَ لَهُ عُثْمَانُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَمَّنَهُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ وُجِدَ بَعْدَ ثَلَاثِ قَتْلِهِ ، فَلَمَّا خَلَّتِ الْمَدِينَةَ مِنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ أَقَامَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ يَتَجَسَّسُ لِحِسَابِ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَمَّا رَجَعَ الْجَيْشُ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ هَذَا هَارِبًا ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ ، فَتَعَقَّبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ .

وَبِذَلِكَ يَتَّضِحُ أَنَّ غَزْوَةَ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ لَيْسَتْ بِغَزْوَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ ، إِنَّمَا هِيَ جُزْءٌ مِنْ غَزْوَةِ أُحُدٍ وَتَبِعَتْهَا ، وَصَفْحَةٌ مِنْ صَفْحَاتِهَا .

ذِكْرِيَاتُ أُحُدٍ عِظَاتٌ وَإِشْرَاقَاتٌ : وَلِنَتَأَمَّلُ فِي وَقَعِ الْمَوْتِ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ مِنْ حَوْلِهِ يَحْمُونَهُ بِأَجْسَادِهِمْ مِنْ نِيَالِ الْمُشْرِكِينَ وَضَرْبَاتِهِمْ يَتَسَاقَطُونَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِثْرَ الْآخَرِ تَحْتَ وَابِلِ السَّهَامِ ، وَشِعَارُهُمْ : رُوحِي لِرُوحِكَ الْفِدَاءُ ، وَوَجْهِي لِرُوحِكَ الْوَقَاءُ ، وَهُمْ فِي نَشْوَةِ عَارِمَةٍ وَجِرْصِ حَرِيصٍ عَلَى حِفْظِ حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لا يُبَالُونَ بِغَيْرِ ذَلِكَ ! .. فَمَا هُوَ مَصْدَرُ هَذِهِ



إِنَّهُ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوَّلًا ، ثُمَّ مَحَبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَانِيًا ؛ فَهُمَا مَعًا سَبَبُ هَذِهِ التَّضْحِيَّةِ الرَّائِعَةِ الْعَجِيبَةِ .. وَالْمُسْلِمُ يَحْتَاجُ إِلَيْهِمَا مَعًا ، لَا يَكْفِيهِ أَنْ يَدْعِيَ الْإِيمَانَ بِمَا يَنْبَغِي الْإِيمَانَ بِهِ مِنْ أُمُورِ الْعَقِيدَةِ ، حَتَّى يَمْتَلِيءَ قَلْبُهُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَيْضًا ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ : ( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ) (١) .

وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَرَسَ فِي الْإِنْسَانِ عَقْلًا وَقَلْبًا ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِكِي يَفْكَرُ بِهِ فَيُؤْمِنُ بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ ، وَأَمَّا الثَّانِي : فَلِكِي يَسْتَعْمِلُهُ فِي مَحَبَّةِ مَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِمَحَبَّتِهِ وَيُبْغِضُ مَنْ أَمَرَ بِبُغْضِهِ .. وَإِذَا لَمْ يَشْغَلِ الْإِنْسَانُ الْقَلْبَ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ ، فَسَيَمْتَلِيءُ وَلَا يَبُدُّ بِمَحَبَّةِ الشَّهَوَاتِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْمُحَرَّمَاتِ .. وَإِذَا فَاضَ الْقَلْبُ بِمَحَبَّةِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ فَهَيْهَاتَ أَنْ يُصْبِحَ الْاِعْتِقَادُ وَحْدَهُ حَامِلًا لِصَاحِبِهِ عَلَى أَيِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ التَّضْحِيَّةِ أَوْ الْفِدَاءِ .

وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ مِنَ الْأَوَّلِيَّاتِ الَّتِي أَقْرَاهَا عُلَمَاءُ التَّرْبِيَةِ وَالْأَخْلَاقِ ، وَدَلَّتْ عَلَيْهَا مُمَارَسَاتُ الْإِنْسَانِ مِنْ تَجَارِبِ وَسُلُوكِيَّاتِ . هَذِهِ الْمَحَبَّةُ ، بَلْ هَذَا الْهَوَى الْمُسْتَحْوِذُ عَلَى قُلُوبِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَمْدُونُ نُحُورَهُمْ دُونَ نَحْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُعَانِقُونَ الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ حِفْظِ حَيَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَكَفَى فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ مِنَ الْمَشَاهِدِ الرَّائِعَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا بَعْضَهَا وَالَّتِي تَكْشِفُ عَنْ أَثَرِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ إِذْ تَفَمَّرَ قَلْبُ صَاحِبِهَا .

وَيَوْمَ تَمْتَلِيءُ أَفْتِدَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي عَصْرِنَا هَذَا بِنُحُورٍ مِنْ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ ، بِحَيْثُ تُبْعِدُهُمْ قَلِيلًا عَنِ شَهَوَاتِهِمْ وَأَنَانِيَّتِهِمْ ، وَتَغْلِبُ عَلَيْهِمْ .. نَعَمْ : يَوْمَ يَحْدُثُ هَذَا فِي أَفْتِدَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُمْ يُصْبِحُونَ خَلْقًا آخَرَ جَدِيدًا ، وَسَيَكُونُونَ أَهْلًا

لِنُصْرَةِ رَبِّهِمْ فَيتَحَرَّرُونَ مِنْ قِيُودِ الإِذْلَالِ الَّتِي اسْتَحَقُّوْهَا بِمُؤَالَاتِهِمْ أَعْدَاءَهُمْ .  
أَحْدَاثٌ مُتَعَدِّدَةٌ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ :

\* فِي هَذِهِ السَّنَةِ زَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ بِنْتَهُ السَّيِّدَةَ أُمَّ كُثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ أُخْتِهَا السَّيِّدَةِ رُقِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَهُ ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ يُسَمَّى ذَا النُّورَيْنِ .

\* وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ( وَأُمُّهَا أُخْتُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ ) ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَوْجَةً لِحُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَتَوَفَّى عَنْهَا بِجِرَاحَةٍ أَصَابَتْهُ بِأَحَدٍ .

\* وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضاً تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَةَ الْهَلَالِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ بَنِي هِلَالٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَكَانَتْ تُدْعَى بِأُمِّ الْمَسَاكِينِ لِرَأْفَتِهَا وَإِحْسَانِهَا إِلَيْهِمْ ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَوْجَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتَوَفَّى عَنْهَا بِأَحَدٍ ، وَهِيَ أُخْتُ السَّيِّدَةِ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ لَأُمِّهَا .

\* وَفِي لَيْلَةِ النُّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَقْبَلَ الرَّسُولُ ﷺ حَفِيدَهُ وَسِبْطَهُ الْأَكْبَرَ ( ابْنَ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ ) سَيِّدَ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَذَّنَ ﷺ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَ فِي الْيُسْرَى ؛ وَكَانَ أَوَّلُ صَوْتِ سَمِعَهُ الْمَوْلُودُ الْجَدِيدُ هُوَ صَوْتُ جَدِّهِ الرَّسُولِ ﷺ .

وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ وِلَادَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَقَّ عَنْهُ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ وَأَعْطَى الْقَابِلَةَ فَخِذاً وَدِينَاراً ، وَقَالَ : ( يَا فَاطِمَةُ احْلَقِي رَأْسَهُ وَتَصَدَّقِي بِرِزْنَةِ شَعْرِهِ فَضَّةً ) ، وَأَمَرَ ﷺ بِخِتَانِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

\* وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ حُرِّمَتِ الْخَمْرُ ، وَكَانَ تَحْرِيمُهَا بِالتَّدْرِيجِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنَ الْمَحَبَّةِ الشَّدِيدَةِ لَهَا ، فَيَصْعُبُ إِذَا تَحْرِيمُهَا دُفْعَةً وَاحِدَةً .. وَكَانَ ذَلِكَ التَّحْرِيمُ تَابِعاً لِحَوَادِثَ تُنْفَرُ عَنْهَا ؛ لِأَنَّ الْمُتَكْرَرَ إِذَا أُسْنِدَ تَحْرِيمُهُ لِحَادِثَةٍ أَقْرَبَ الْجَمِيعِ عَلَى تَقْبِيحِهَا ، كَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ تَأْثِيراً فِي النَّفْسِ ؛ فَأَوَّلُ مَا يُبَيِّنُ فِيهَا قَوْلُهُ

تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ (١)، فَمَنْفَعَةُ الْمَيْسِرِ التَّصَدُّقُ بِرِبْحِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، كَمَا كَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ ، وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ فِي اخْتِسَاءِ الْخَمْرِ صِحَّةً لِلْجِسْمِ .

وَلَمَّا شَرِبَهَا بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ وَخَلَطَ فِي الْقِرَاءَةِ حُرْمَتِ الصَّلَاةِ عَلَى السَّكْرَانِ ؛ فَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (٢).

وَلَمَّا حَدَّثَ مِنْ شُرْبِهَا اعْتِدَاءُ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى إِخْوَانِهِمْ حُرْمَتَ قَطْعِيًّا بِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٢٠١﴾ ۝ وَقَدْ أَجَابَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ : انْتَهَيْنَا .



(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢١٩ ) .

(٢) سُورَةُ النَّسَاءِ ( مِنْ الْآيَةِ ٤٣ ) .

(٣) الْأَنْصَابُ : جِجَارَةٌ يُصَبُّ عَلَيْهَا دِمَاءُ الذَّبَائِحِ وَتُعْبَدُ .

(٤) الْأَزْلَامُ : هِيَ الْقِدَاحُ الَّتِي كَانُوا يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا ، وَفِي قُرْنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ بِالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ نِهَايَةُ التَّنْفِيرِ ، وَلِذَلِكَ

قَالَ ﷺ : ( شَارِبُ الْخَمْرِ كَمَا بَرِ الْوَتْنِ )

(٦) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ( الْآيَاتَانِ ٩٠ ، ٩١ )

(٥) الرَّجْسُ : الْقَدْرُ .

## السَّنةُ الرَّابِعَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ

سَرِيَّةُ أَبِي سَلَمَةَ إِلَى قَطَنَ : كَانَ مَبْعُوثٌ هَذِهِ السَّرِيَّةَ حِينَ اسْتَهَلَ هِلَالَ الْمُحَرَّمِ مِنْ السَّنةِ الرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ ، حَيْثُ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ طَلْحَةَ وَسَلَمَةَ ابْنَيْ خُوَيْلِدِ الْأَسَدِيِّينِ يَدْعُوَانِ قَوْمَهُمَا إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَدَعَا ﷺ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيَّ وَعَقَدَ لَهُ لِيَاءً ، وَقَالَ لَهُ : ( سِرُّ حَتَّى تَنْزِلَ أَرْضَ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ فَأَغْرَ عَلَيْهِمْ ) ، وَأَرْسَلَ ﷺ مَعَهُ مَائَةَ وَخَمْسِينَ مُقَاتِلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَسَارَ بِهِمْ أَبُو سَلَمَةَ ﷺ حَتَّى بَلَغَ قَطَنًا <sup>(١)</sup> ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ فَهَرَبُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ ، وَأَصَابَ الْمُسْلِمُونَ إِبِلًا وَغَنَمًا لَهُمْ فَاسْتَأْفَوْهَا ، وَعَادُوا إِلَى الْمَدِينَةِ سَالِمِينَ غَانِمِينَ لَمْ يَلْقُوا حَرْبًا .

وَبَعْدَ أَنْ عَادَ أَبُو سَلَمَةَ نَفَرَ عَلَيْهِ جُرْحٌ كَانَ قَدْ أَصَابَهُ فِي أَحَدٍ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تُوفِّيَ ﷺ .

بَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ : وَفِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ مِنْ نَفْسِ الشَّهْرِ ( الْمُحَرَّمِ سَنَةِ ٤هـ ) ، بَلَغَهُ ﷺ أَنَّ سُفْيَانَ بْنَ خَالِدِ بْنِ نُبَيْحِ الْهُذَلِيِّ الْمُقِيمِ بِعُرْنَةَ <sup>(٢)</sup> يَحْشِدُ الْجُمُوعَ لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَرْسَلَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَنَيْسِ الْجُهَنِيَّ وَحَدَّهُ لِيَقْتُلَهُ ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ حَتَّى يَتِمَّكَ ، فَأَذِنَ لَهُ ﷺ وَقَالَ :

انْتَسِبْ بِخِزَاعَةَ .. فَخَرَجَ ﷺ وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ، قَالَ لَهُ سُفْيَانُ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : مِنْ خِزَاعَةَ ، سَمِعْتُ بِجَمْعِكَ لِمُحَمَّدٍ فَجِئْتُ لِأَكُونَ مَعَكَ ، فَقَالَ لَهُ : أَجَلُ إِنِّي لَفِي الْجَمْعِ لَهُ ، فَمَشَى عَبْدُ اللَّهِ مَعَهُ وَحَدَّثَهُ ، وَسُفْيَانُ يَسْتَحْلِي حَدِيثَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى خِيَابِهِ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ ، فَجَلَسَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ حَتَّى نَامَ النَّاسُ ، فَتَمَكَّنَ مِنْهُ وَقَتَلَهُ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَعْطَاهُ ﷺ عَصَا ، وَقَالَ : ( هَذِهِ آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) .. فَلَمَّا حَضَرَتْهُ ﷺ الْوَفَاةُ أَوْصَى أَنْ تُجْعَلَ مَعَهُ فِي أَكْفَانِهِ .

(٢) عُرْنَةَ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ .

(١) قَطَنَ : جَبَلٌ لِبَنِي أَسَدٍ بِنَاحِيَةِ ( قَيْدِ ) شَرْقِيِّ الْمَدِينَةِ .

بَعَثُ الرَّجِيعَ : وَفِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنْ نَفْسِ السَّنَةِ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْمٌ مِنْ عَضَلٍ وَقَارَةَ ، وَذَكَرُوا أَنَّ فِيهِمْ إِسْلَامًا ، وَسَأَلُوا أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُمْ مَنْ يَفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ وَيُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ ، فَبَعَثَ ﷺ مَعَهُمْ عَشْرَةَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ ( خَالَ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ) ، فَخَرَجُوا يَسِيرُونَ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُونَ النَّهَارَ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالرَّجِيعِ ( وَهُوَ مَاءٌ لِهَدْيَلٍ بِنَاحِيَةِ الْحِجَازِ بَيْنَ رَايِعٍ وَجِدَّةَ غَدَرَ بِهِمْ أَوْلِيكَ الرَّهْطِ وَاسْتَصْرَخُوا عَلَيْهِمْ حَيًّا مِنْ هَدْيَلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ ، فَتَبِعَهُمْ مِنْهُمْ نَحْوَ مِائَةِ رَاِمٍ ، وَاقْتَصَوْا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ وَأَحَاطُوا بِهِمْ ، وَقَالُوا : لَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا ، فَقَالَ عَاصِمٌ : أَمَا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ بِاللَّهِ أَبَدًا . اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا رَسُولَكَ فَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى قُتِلَ عَاصِمٌ فِي ثَمَانِيَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ .

وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ خَبِيبُ بْنُ عَدِيِّ ، وَزَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ بِالْأَمَانِ ، فَغَدَرُوا بِهِمَا ، وَانْطَلَقُوا بِهِمَا إِلَى مَكَّةَ فَبَاعَوْهُمَا .

فَأَمَّا خَبِيبٌ : فَاشْتَرَاهُ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ ، فَفَكَتَ عِنْدَهُمْ مَسْجُونًا ( وَرَأَى وَهُوَ أَسِيرٌ يَأْكُلُ قِطْفًا مِنَ الْعِنَبِ ، وَمَا بِمَكَّةَ ثَمْرَةً ) ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ إِلَى التَّنْعِيمِ ، فَلَمَّا أَجْمَعُوا عَلَى صَلْبِهِ ، قَالَ : دَعُونِي حَتَّى أَرْكَعَ رَكَعَتَيْنِ ، فَتَرَكَوهُ ، فَصَلَّاهُمَا وَأَوْجَزَ فِيهِمَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَطُنُّوا أَنَّ بِي جَزَاعًا لَزِدْتُ ( هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ هَاتَيْنِ الرَّكَعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ لِلْمُسْلِمِينَ ) ، ثُمَّ أَنْشَدَ ﷺ قَائِلًا :

- |   |   |  |
|---|---|--|
| لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَالْبُؤَا   | * | قَبَائِلُهُمْ وَاسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعٍ     |
| وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ     | * | وَقُرْبَتُ مِنْ جِذْعِ طَوِيلٍ مُنْمَعٍ          |
| إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي | * | وَمَا أُرْصَدُ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مُضْجِبِي |
| فَذَا الْعَرْشِ صَبْرَتِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي | * | فَقَدْ بَضَعُوا لَحْمِي وَقَدْ يَأْسُ مَطْمَعِي  |
| وَقَدْ خَيْرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ | * | وَقَدْ هَمَلْتَ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْرَعٍ   |

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا \* عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْرِعِي  
 وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ \* يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوِ مُمَزَعٍ (١)  
 وَلَسْتُ بِمُبِدٍ لِلْعَدُوِّ تَخْشَعًا \* وَلَا جَزَعًا ، إِنِّي إِلَى اللَّهِ مُرْجِي

فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ : أَتَجِبُ أَنْ مُحَمَّدًا مَكَانَكَ تُضْرَبُ عُنُقُهُ ، وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ ؟  
 قَالَ : وَاللَّهِ مَا أُجِبُ أَنْ مُحَمَّدًا تُصِيبُهُ الْآنَ فِي مَكَانِهِ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ ، وَأَنَا جَالِسٌ  
 فِي أَهْلِي .

فَقَتَلُوهُ ثُمَّ صَلَبُوهُ وَوَكَّلُوا بِهِ مَنْ يَحْرُسُ جُثَّتَهُ ، فَجَاءَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ ،  
 فَاحْتَمَلَهُ بِخَدْعَةٍ لَيْلًا ، فَذَهَبَ بِهِ فَدَفَنَهُ .

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّيْنَةِ : فَاشْتَرَاهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، فَقَتَلَهُ بِأَبِيهِ ، وَكَانَ  
 زَيْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَتَلَ أَبَاهُ يَوْمَ بَدْرٍ .

الدَّبْرُ تَحْمِي جُثْمَانَ عَاصِمٍ : فَلَمَّا قُتِلَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرَادَتْ هُدَيْلٌ أَخَذَ  
 رَأْسَهُ لِيَبِيعَهُ مِنْ سُلَاقَةِ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ شَهِيدٍ ( وَكَانَتْ قَدْ نَذَرَتْ حِينَ أَصَابَ  
 ابْنَيْهَا يَوْمَ أُحُدٍ : لَئِنْ قَدَرْتُ عَلَى رَأْسِ عَاصِمٍ لَتَشْرَبَنَّ فِي جُمُوعَةِ رَأْسِهِ الْخَمْرَ )  
 فَبِعَتْ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ ( النَّحْلِ وَالزَّنَابِيرِ ) فَحَمَتُهُ عَنْهُمْ ، فَتَرَكُوهُ  
 إِلَى اللَّيْلِ لِيَأْخُذُوهُ ، فَجَاءَهُ سَيْلٌ فَاحْتَمَلَهُ ، وَكَانَ عَاصِمٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ أَعْطَى اللَّهَ عَهْدًا  
 أَنْ لَا يَمَسَّ مُشْرِكًا ، وَلَا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ ، فَأَتَمَّ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، كَمَا وَفَى  
 بِهِ فِي حَيَاتِهِ .

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : يَحْفَظُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَا  
 يَحْفَظُهُ فِي حَيَاتِهِ .

وَقَعَةُ بَثْرٍ مَعُونَةَ : وَفِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ : وَفَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو  
 بَرَاءٍ ( عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ ) وَشَهْرَتُهُ مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ ، فَدَعَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ  
 يُسَلِّمْ وَلَمْ يَبْعُدْ عَنِ الْإِسْلَامِ ، بَلْ قَالَ : إِنِّي أَرَى أَمْرَكَ هَذَا حَسَنًا شَرِيفًا ، وَلَوْ

(١) شِلْوُ مُمَزَعٌ : أَعْضَاءُ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْبَلَى .

بَعَثْتُ مَعِيَ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ فَدَعَوْهُمْ إِلَى أَمْرِكَ لِرَجُوتِ أَنْ  
يَسْتَجِيبُوا لَكَ ، فَقَالَ ﷺ : إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِمْ أَهْلَ نَجْدٍ .. فَقَالَ أَبُو بَرَاءَ : أَنَا  
لَهُمْ جَارٌ ، فَأَرْسَلَ ﷺ مَعَهُ الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو فِي سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ كَانُوا  
يُسَمُّونَ الْقُرَاءَ لِكثْرَةِ مَا كَانُوا يَحْفَظُونَ مِنَ الْقُرْآنِ .

فَسَارُوا ﷺ حَتَّى نَزَلُوا بِ (بَثْرَ مَعُونَةَ) <sup>(١)</sup> ، فَبَعَثُوا حَرَامَ بْنَ مِلْحَانَ إِلَى عَامِرِ بْنِ  
الطُّفَيْلِ ( سَيِّدِ بَنِي عَامِرِ ) لِيُبَلِّغَهُ رِسَالَةَ مَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَمَّنَهُ عَامِرٌ ثُمَّ  
عَدَرَ بِهِ : فَأَوْمَأَ إِلَى رَجُلٍ خَلْفَهُ فَطَعَنَهُ بِالرُّمْحِ حَتَّى أَنْفَذَ الطَّعْنََةَ ، فَقَالَ حَرَامٌ :  
اللَّهُ أَكْبَرُ فَرُتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، فَقَتَلَهُ .. ثُمَّ اسْتَصْرَخَ عَلَى بَقِيَّةِ الْبِعْتَةِ قَوْمَهُ مِنْ بَنِي  
عَامِرٍ فَلَمْ يُجِيبُوهُ لِأَجْلِ جِوَارِ مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ ، فَاسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ بِقَبَائِلِ سُلَيْمٍ :  
( رِغْلٍ وَذِكْوَانَ وَعُصَيَّةَ ) ، فَأَجَابُوهُ وَذَهَبُوا مَعَهُ حَتَّى إِذَا اتَّقَوْا بِالْقُرَاءِ أَجَاطُوا  
بِهِمْ ، وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ بَعْدَ دِفَاعٍ شَدِيدٍ لَمْ يُجِدِهِمْ نَفْسًا لِقَلَّةِ  
عَدَدِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ ، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا كَعْبُ بْنُ زَيْدٍ وَقَعَ بَيْنَ الْقَتْلَى حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ  
مِنْهُمْ ، وَعَمْرٍو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ كَانِ فِي سَرْحِ الْقَوْمِ .

وَلَمَّا كَانَ عَمْرٍو بْنُ أُمَيَّةَ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَجَدَ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي  
كِلَابٍ فَظَنَّهُمَا مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَقَتَلَهُمَا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ نَارَ أَصْحَابِهِ ، وَإِذَا  
مَعَهُمَا عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ أَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا  
فَعَلَ ، فَقَالَ ﷺ : ( لَقَدْ قَتَلْتَ رَجُلَيْنِ لِأَدِينَهُمَا ) <sup>(٢)</sup> ، وَأَنْشَغَلَ ﷺ بِجَمْعِ دَيْتِهِمَا مِنْ  
الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ حُلَفَائِهِمُ الْيَهُودِ .

وَكَانَ وُضُوءُ خَبَرِ هَذِهِ السَّرِيَّةِ وَالرَّجِيعِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، فَحَزَنَ عَلَيْهِمْ ﷺ حُزْنًا  
شَدِيدًا ، وَهَنَّتْ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَدْعُو عَلَى الْفَادِرِينَ مِنْ قَبَائِلِ سُلَيْمٍ ( رِغْلٍ  
وَذِكْوَانَ وَعُصَيَّةَ ) ، وَيَبْنِي لِحْيَانًا أَيضًا شَهْرًا ، إِلَى أَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى :  
( لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ) <sup>(٣)</sup>

(٢) أَدِينَهُمَا : أَوْدَى دَيْتَهُمَا .

(١) أَرْضُ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ بَيْنَ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ وَحَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ .

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( الْآيَةُ ١٧٨ ) .

خُلَاصَةٌ عِبْرٍ وَمَعُونَةٍ مِنْ بَعَثِ الرَّجِيعِ وَبِشْرِ مَعُونَةٍ :

\* إِذَا تَجَاوَزْنَا مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ حَادَثَنِي ( الرَّجِيع ) وَ ( بِشْرِ مَعُونَةٍ ) مِنْ دَلَالَةٍ  
وَاضِحَةٍ عَلَى مَدَى مَا كَانَتْ تُقْبِضُ بِهِ أَفْتِدَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ غِلٍّ وَحَقْدٍ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ ، حَتَّى إِنَّهُمْ ارْتَضَوْا لِأَنْفُسِهِمْ أَحَطَّ مَظَاهِرِ الْخِيَانَةِ وَالغَدْرِ ابْتِغَاءً  
إِطْفَاءً غَلِيلٍ أَحْقَادِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ( فَإِذَا تَجَاوَزْنَا ذَلِكَ ) : وَقَفْنَا عَلَى صُورَةٍ  
رَائِعَةٍ لِعَكْسِ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ تَمَاماً لَدَى أَوْلِيكَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ رَاوُوا ضَحِيَّةَ تِلْكَ  
الْخِيَانَةِ وَالْأَحْقَادِ ، وَمِنْ ذَلِكَ :

عِنْدَمَا حُبِسَ خُبَيْبٌ رضي الله عنه أُسِيرَ فِي بَيْتِ بَنِي الْحَارِثِ فِي انْتِظَارِ سَاعَةِ قَتْلِهِ ،  
وَكَانَ قَدْ اسْتَعَارَ شَفْرَةَ لِيُصَلِّحَ بِهَا شَأْنَهُ وَيَتَطَهَّرَ اسْتِعْدَاداً لِلْمَوْتِ ، وَفِي الْبَيْتِ  
طِفْلٌ صَغِيرٌ رَاحَ يَدْرُجُ نَحْوَهُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ أُمِّهِ ؛ وَلَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ اللَّحْظَةُ فِي  
حِسَابِ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِالْحَيَاةِ وَيُفَكِّرُ فِي الْإِنْتِقَامِ فُرْصَةً رَائِعَةً لِمُسَاوَمَةِ أَوْ غَدْرِ فِي  
مُقَابِلِ غَدْرٍ ، وَلَقَدْ كَانَ هَذَا هُوَ حِسَابُ أَهْلِ الْبَيْتِ كُلِّهِمْ ، فَمَا إِنْ انْتَبَهَتْ أُمُّ  
الطِّفْلِ إِلَى انْصِرَافِهِ نَحْوَ خُبَيْبٍ حَتَّى هَبَّتْ مَدْعُورَةً لِتُخَلِّصَهُ مِنْ بَرَائِنِ مَوْتٍ  
مُؤَكَّدٍ .. وَلَكِنهَا وَقَفَتْ مُنْدَهَشَةً عِنْدَمَا رَأَتْ طِفْلَهَا وَقَدْ أَجْلَسَهُ خُبَيْبٌ فِي حِجْرِهِ  
يَلَاطِفُهُ كَأَنَّهُ أَبٌّ شَفِيقٌ !! .. وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَدْ أَلَمَّ بِمَا فِي نَفْسِهَا مِنَ الْخَوْفِ ،  
وَقَالَ لَهَا فِي هُدُوءِ الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ الْحَلِيمِ : أَتَخْشِينَ أَنْ أَقْتُلَهُ ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ  
ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَلَنَنْظُرَ إِلَى مُعْجَزَةِ التَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ .. خُبَيْبٌ هَذَا ، وَأَوْلِيكَ  
الْمُشْرِكُونَ الْحَاقِدُونَ الَّذِينَ رَاوُوا يَصْنَعُونَ لَهُ الْمَوْتَ ظُلْماً وَعُدْوَاناً : عَرَبٌ  
أَنْبَتَتْهُمُ أَرْضٌ وَاحِدَةٌ وَأَطْلَتْهُمْ طِبَائِعُ وَتَقَالِيدٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَكِنَّ خُبَيْباً اعْتَقَ الْإِسْلَامَ  
فَأَخْرَجَهُ الْإِسْلَامُ إِنْسَاناً آخَرَ ، وَأَوْلِيكَ عَكَفُوا عَلَى ضَلَالَاتِهِمْ ، فَحَبَسَتْهُمْ  
ضَلَالَاتُهُمْ فِي طِبَائِعِهِمُ الْمُتَوَحِّشَةِ الْغَادِرَةِ ، فَمَا أَعْظَمَ مَا يَفْعَلُهُ الْإِسْلَامُ فِي  
الطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ تَغْيِيرٍ وَتَحْوِيلٍ !! .



\*يُسْتَدَلُّ مِنْ فِعْلِ عَاصِمٍ عليه السلام أَنَّ لِلْأَسِيرِ الْمُسْلِمِ فِي يَدِ الْعَدُوِّ أَنْ يَمْتَنِعَ مِنْ قَبُولِ الْأَمَانِ ، وَلَا يُمَكِّنَ مِنْ نَفْسِهِ وَلَوْ قُتِلَ ، تَرْفَعًا عَنْ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ حُكْمُ كَافِرٍ .  
فَإِنْ أَرَادَ التَّرَخُّصَ فَلَهُ أَنْ يَسْتَأْمِنَ ، مُتَرَقِّبًا الْفُرْصَةَ مُؤَمَّلًا الْخَلَاصَ كَمَا فَعَلَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ عليهما السلام .

وَلَكِنْ لَوْ قَدَرَ الْأَسِيرُ عَلَى الْهَرَبِ لَزِمَهُ ذَلِكَ فِي الْأَصَحِّ ، لِأَنَّ الْأَسِيرَ فِي يَدِ الْكُفَّارِ مَقْهُورٌ مُهَانٌ ، فَكَانَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ تَخْلِيصُ نَفْسِهِ مِنْ هَوَانِ الْأَسْرِ وَرِقَّةِ <sup>(١)</sup> .  
\* إِذَا تَأَمَّلْنَا فِي جَوَابِ زَيْدِ بْنِ الدَّثِيَّةِ عليه السلام ( قَبِيلَ قَتَلِهِ ) لِأَبِي سُفْيَانَ ، عَلِمْنَا مَدَى الْمَحَبَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَطْوِي عَلَيْهَا أَفْتِدَةُ الصَّحَابَةِ لِرَسُولِهِمْ صلى الله عليه وسلم ، وَلَا رَبَّ أَنْ هَذِهِ الْمَحَبَّةُ مِنْ أَمَمٍ الْأَسْبَابِ الَّتِي حَبَّبَتْ إِلَى قُلُوبِهِمْ كُلَّ تَضْحِيحَةٍ وَبَدَلٍ فِي سَبِيلِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِدْفَاعِ عَنْ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم .

وَمَهْمَا بَلَغَ الْمُسْلِمُ فِي إِيمَانِهِ ، فَإِنَّهُ يَدُونِ مِثْلِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعْتَبَرُ نَاقِصَ الْإِيمَانِ .. وَإِنَّهَا لِحَقِيقَةٌ صَرَّحَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ قَالَ : ( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ) <sup>(٢)</sup> .

\* دَلَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَمْرِ خُبَيْبٍ أَيَّامَ كَانَ أَسِيرًا فِي مَكَّةَ : أَنَّ كُلَّ مَا أُمَكِّنَ أَنْ يَكُونَ مُعْجِزَةً لِنَبِيِّ جَازَ أَنْ يَكُونَ كَرَامَةً لِيَوْمِي ، مَعَ فَارِقِ أُسَاسِي لَا بُدَّ مِنْهُ ؛ وَهُوَ أَنْ مُعْجِزَةَ النَّبِيِّ تَكُونُ مَقْرُونَةً بِالتَّحْدِيِّ وَدَعْوَى النُّبُوَّةِ ، أَمَّا كَرَامَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فَتَأْتِي عَفْوًا دُونَ أَنْ تَقْتَرِنَ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ التَّحْدِيِّ .. وَهَذَا مَا جَرَى عَلَيْهِ جُمْهُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ .

وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ هَذَا الَّذِي أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ خُبَيْبًا قَبْلَ قَتَلِهِ ( مِنْ رُؤْيَتِهِ يَأْكُلُ قِطْفَ عِنَبٍ ، وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ ، وَإِنَّهُ لَمُوثِقٌ بِالْحَدِيدِ ) ، وَهُوَ ثَابِتٌ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ .

\* قَدْ يَتَسَاءَلُ الْبَعْضُ : فَمَا الْحِكْمَةُ فِي تَمْكِينِ يَدِ الْفَدْرِ مِنْ هَوْلَاءِ الْفِتْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) نَهَايَةُ الْمُحْتَاجِ (لِلرَّمْلِيِّ) ، وَفَقَهُ السُّبُورَةُ النَّبَوِيَّةُ ( ل . د . د . محمد سعيد رمضان البوطي ) .

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الَّذِينَ لَمْ يَخْرُجُوا إِلَّا اسْتِجَابَةً لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ وَهَلَّا مَكَنَهُمُ اللَّهُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ لِيَنْغَلِبُوا عَلَيْهِمْ؟

وَالجَوَابُ هُوَ مَا كُنَّا ذَكَرْنَاهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ، مِنْ أَنْ اللَّهُ تَعَالَى تَعَبَّدَ عِبَادَهُ بِتَحْقِيقِ  
أَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ : إِقَامَةَ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَالسَّعْيُ إِلَى ذَلِكَ فِي طَرِيقِ شَائِكَةٍ  
غَيْرِ مُعَبَّدَةٍ ؛ وَالْحِكْمَةُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَتَحَقَّقَ عُيُودِيَّةُ الْإِنْسَانِ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَأَنْ  
يُمَحَّصَ الصَّادِقُونَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ ، وَأَنْ يَتَّخِذَ اللَّهُ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ ، وَأَنْ يَتَجَلَّى  
الْمَعْنَى التَّفِيدِيَّةُ لِلْمُبَايَعَةِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالَّتِي صَرَّحَ  
بِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ  
بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ (١) وَأَيُّ  
مَعْنَى كَانَ يَبْقَى لِلتَّوْفِيعِ عَلَى صَكِّ هَذِهِ الْمُعَاهَدَةِ لَوْ أَنَّ كُلَّ مَا جَاءَ فِي مَضْمُونِهَا  
وَهُمْ لَا يَتَحَقَّقُ ؟ بَلْ وَأَيُّ قِيَمَةٍ تَبْقَى حِينَئِذٍ لِهَذَا التَّوْفِيعِ حَتَّى يُحْرَزَ بِهِ صَاحِبُهُ  
الْجَنَّةَ وَالسَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ الْخَالِدَةَ .

وَالْمُشْكَلَةُ فِي أُسَاسِهَا ، إِنَّمَا تَطُوفُ فِي رَأْسِ مَنْ قَدَّرَ هَذِهِ الْحَيَاةَ الْعَاجِلَةَ أَكْثَرَ  
مِنْ قَدْرِهَا الْحَقِيقِيِّ وَأَوْلَاهَا أَكْثَرَ مِمَّا تَسْتَحِقُّ مِنَ الْاهْتِمَامِ ، وَضَعْفَ تَعَلُّقِهِ فِي  
الْمُقَابِلِ بِالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ وَشَأْنِهَا ، وَتِلْكَ هِيَ آيَةٌ عَدَمِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَوْ  
ضَعْفِهِ فِي النَّفْسِ ؛ وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ النَّاسِ لَا يُنْتَظَرُ مِنْهُمْ أَنْ يُغَامِرُوا بِرُوحٍ وَلَا مَالٍ ..  
أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا فَالْمُشْكَلَةُ غَيْرُ مُتَّصِرَةٍ لَدَيْهِمْ مِنْ أُسَاسِهَا ، فَلذَّةُ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا فِي يَقِينِهِمْ أَقَلُّ شَأْنًا مِنْ أَنْ تَحْبِسَ الْمُسْلِمَ عَنْ أَدَاءِ أَصْغَرِ طَاعَةٍ يَتَقَرَّبُ  
بِهَا إِلَى خَالِقِهِ ، وَمَا التَّضْحِيَّةُ بِالرُّوحِ فِي يَقِينِهِمْ إِلَّا الْإِنْطِلَاقُ مِنْ سِجْنِ الدُّنْيَا  
إِلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ .. وَأَنْعَمَ بِهَا مِنْ غَايَةِ هِيَ كُلُّ أَمَلِ الْمُسْلِمِ فِي حَيَاتِهِ الَّتِي  
يَعِيشُهَا .

وَهَذَا الشُّعُورُ يَتَجَلَّى بِأَوْضَحِ صُورَةٍ فِي الْآيَاتِ الَّتِي قَالَهَا حُبِيبٌ عِنْدَ مَقْتَلِهِ ،  
خَاصَّةً فِي آخِرِ بَيْتِ مِنْهَا ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

وَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِّلْعَدُوِّ تَخَشُّمًا \* وَلَا جَزَعًا إِنِّي إِلَى اللَّهِ مَرْجِي

غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ وَإِجْلَاؤُهُمْ : يَا اللَّهُ مَا أَسْوَأَ عَاقِبَةَ الطَّيْشِ ، فَقَدْ تَكُونُ الْأُمَّةُ مُرْتَاخَةً الْبَالِ هَادِيَةً الْخَوَاطِرِ حَتَّى تَقُومَ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَائِهَا بِعَمَلِ عَدْرِ يَنْظُنُونَ مِنْ وَرَائِهِ النَّجَاحَ ، فَيَجْلِبُ عَلَيْهِمُ الشَّرُّورُ وَيُسْتَتَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَهَذَا مَا حَصَلَ لِيَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ حُلَفَاءِ الْخَزْرَجِ الَّذِينَ كَانُوا يُجَاوِرُونَ الْمَدِينَةَ ، فَقَدْ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَهْدٌ يَأْمَنُ بِهَا كُلُّ مَنْهُمْ الْآخَرَ ، وَلَكِنَّ بَنِي النَّضِيرِ لَمْ يُوفُوا بِهَذِهِ الْعَهْدِ حَسَدًا مِنْهُمْ وَبَغْيًا .

وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ خَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَكَلَّمَهُمْ أَنْ يُعِينُوهُ فِي دِيَةِ الْكِلَابِيِّينَ الَّذِينَ قَتَلَهُمَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ وَكَانَا لَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَوَارٍ وَعَهْدٌ ( وَكَانَ ذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ حَسَبَ بُنُودِ الْمُعَاهَدَةِ ) ، فَقَالُوا : نَفَعُلُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، اجْلِسْ هَهُنَا حَتَّى نَقْضِيَ حَاجَتَكَ ، فَجَلَسَ ﷺ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ يَنْتَظِرُ وِفَاءَهُمْ بِمَا وَعَدُوا ، وَجَلَسَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَطَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ .

وَخَلَا الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَسَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الشَّقَاءَ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِمْ ، فَتَأَمَّرُوا بِقَتْلِهِ ﷺ ، وَقَالُوا : أَيُّكُمْ يَأْخُذُ هَذِهِ الرَّحَى ، وَيَضَعُدُ فَيُلْقِيهَا عَلَى رَأْسِهِ يَشْدَحُهَا بِهَا ؟ .. فَقَالَ أَشْقَاهُمْ عَمْرُو بْنُ جَعَّاشٍ : أَنَا .. فَقَالَ لَهُمْ سَلَامٌ مِنْ مَشْكَمٍ : لَا تَفْعَلُوا ، فَوَاللَّهِ لَيُخْبِرَنَّ بِمَا هَمَمْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّهُ لَنَقُضَ لِلْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ .. لَكِنَّهُمْ عَزَمُوا عَلَى تَنْفِيذِ خُطَّتِهِمْ .

وَنَزَلَ جِبْرِيلُ الْعَلِيِّ ﷺ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُهُ بِمَا هَمُّوا بِهِ ، فَتَهَضَّ مُسْرِعًا ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَحِقَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا : نَهَضْتَ وَلَمْ نَشْعُرْ بِكَ ، فَأَخْبَرَهُمْ ﷺ بِمَا هَمَّتْ بِهِ يَهُودُ .

وَمَا لَيْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ بَعَثَ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَقُولُ لَهُمْ : اخْرُجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَلَا تُسَاكِنُونِي بِهَا ، وَقَدْ أَجَلْتُكُمْ عَشْرًا ، فَمَنْ وَجَدْتُ بَعْدَ

ذَلِكَ بِهَا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ .. ( إِذِ الْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ إِلَّا يَتَّهَوْنَ الْإِنْسَانَ مَعَ مَنْ عَرَفَ مِنْهُ الْغَدْرَ ) .

وَلَمْ يَجِدْ بَنُو النَّضِيرِ مَنَاصًا مِنَ الْخُرُوجِ ، فَأَقَامُوا أَيَّامًا يَتَجَهَّزُونَ لِلرَّحِيلِ ، وَلَكِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بِنِ سَلُولٍ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ : أَنْ لَا تَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ وَأَقِيمُوا فِي حِصْنِكُمْ ، فَإِنَّ مَعِيَ الْفَيْنَ مِنْ قَوْمِي وَغَيْرِهِمْ يُقَاتِلُونَ عَنْكُمْ ، وَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ نَوَايَاهُمْ وَحَقِيقَتَهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَشْرِ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١)

وَبِهَذَا الْوَعْدِ عَادَتْ لِلْيَهُودِ بَقِيَّتُهُمْ ، وَاسْتَمَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى الْمُنَاوَاةِ ، وَطَمَعَ رَأْسُهُمْ حَيْثُ بِنِ أَخْطَبَ فِيمَا قَالَهُ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ ، فَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّا لَنْ نَخْرُجَ مِنْ دِيَارِنَا ، فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ .

فَأَمَرَ ﷺ بِالتَّهْيُؤِ لِقِتَالِهِمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ خَرَجَ بِهِمْ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه ، وَأَعْطَى رَايَتَهُ عَلِيًّا رضي الله عنه وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَيْبَعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ الْهَجْرِيَّةِ .

أَمَّا بَنُو النَّضِيرِ فَتَحَصَّنُوا فِي حُصُونِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّهَا مَا نِعْتُهُمْ مِنَ اللَّهِ ، فَحَاصَرَهُمْ ﷺ سِتَّ لَيَالٍ ، ثُمَّ أَمَرَ بِقَطْعِ النَّخِيلِ وَإِتْلَافِهَا .. فَنَادَوْهُ : يَا مُحَمَّدُ ، قَدْ كُنْتَ تَتَهَى عَنِ الْفَسَادِ وَتَعِيبُهُ عَلَى مَنْ يَصْنَعُهُ ؟ فَمَا بَالُ قَطْعِ النَّخِيلِ وَتَحْرِيقِهَا ؟ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لَّيْتَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢)

فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَلَمْ يَرَوْا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُسَاعِدَةَ ، بَلْ خَذَلَهُمْ كَمَا خَذَلَ بَنِي قَيْنُقَاعَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجْلِبَهُمْ

(٢) سُورَةُ الْعَنْشُرِ ( الْآيَةُ ٥ ) .

(١) سُورَةُ الْعَنْشُرِ ( الْآيَةُ ١١ ) .

وَيَكْفُ عَنْ دِمَائِهِمْ وَأَنْ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا آلَةُ الْحَرْبِ ، فَقَبِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصار اليهودُ يُخْرِبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ كَيْلًا يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ .

ولَمَّا سَارَ الْيَهُودُ نَزَلَ بَعْضُهُمْ بِ ( خَيْبَرَ ) وَمِنْهُمْ أَكَابِرُهُمْ حَيْثُ بْنُ أَخْطَبَ ، وَسَلَّامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إِلَى أَدْرِعَاتِ بِالشَّامِ ، وَأَسْلَمَ مِنْهُمْ اثْنَانِ : يَامِينُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَأَبُو سَعْدِ بْنِ وَهَبٍ ، فَأَحْرَزَا أَمْوَالَهُمَا .

وَلَمْ يُخَمَسْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَخَذَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ ، فَإِنَّهُ فِئَةٌ لَمْ يُوجَفْ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ (١) وَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ لِمُعَدَّاتِ الْحَرْبِ وَلِلرَّسُولِ يُطْعِمُ مِنْهُ أَهْلَهُ وَلِذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ : كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ (٢) ، فَقَسَمَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ خَاصَّةً لِشِدَّةِ حَاجَتِهِمْ ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا لِثَلَاثَةِ نَفَرٍ بِهِمْ حَاجَةٌ ( وَهُمْ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ ، وَأَبُو دُجَانَةَ : أَعْطَاهُم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَالًا ، وَأَعْطَى سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيْفَ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ) ، وَأَخَذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضًا يَزْرَعُهَا وَيَدْخُرُ مِنْهَا قُوتَ أَهْلِهِ عَامًا .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي بَنِي النَّضِيرِ سُورَةَ الْحَشْرِ : فَفِي ( صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ) ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : سُورَةُ الْحَشْرِ ، قَالَ : قُلْتُ سُورَةُ النَّضِيرِ . غَزْوَةُ بَدْرِ الْأَخِيرَةِ : لَمَّا أَهَلَ شُعْبَانَ مِنَ الْعَامِ الرَّابِعِ لِهَجْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَوْعِدُ أَبِي سُفْيَانَ ، فَإِنَّهُ بَعْدَ انْقِضَاءِ غَزْوَةِ أُحُدٍ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ : مَوْعِدُنَا بَدْرُ الْعَامِ الْمُقْبِلِ ، فَاجَابَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ذَلِكَ .. وَكَانَ بَدْرُ مَحَلِّ سُوْقٍ تُعْقَدُ كُلَّ عَامٍ لِلتَّجَارَةِ فِي شُعْبَانَ ، يُقِيمُ التَّجَارَ فِيهِ ثَمَانِيًا .

فَلَمَّا حَلَّ الْأَجَلُ وَقُرَيْشٌ مُجْدِبُونَ ، لَمْ يَتِمَّكَنْ أَبُو سُفْيَانَ مِنَ الْإِيْفَاءِ بِوَعْدِهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يُخَدِّلَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْخُرُوجِ كَيْلًا يُوسَمَ بِخُلْفِ الْوَعْدِ ، فَاسْتَأْجَرَ نَعِيمَ بْنَ

(١) النَّزْهُةُ : مَا يُنَالُ مِنَ الْكُفَّارِ بِفَيْرٍ فَتَالٍ ، لَمْ يُوجَفْ : لَمْ يُجْرَ عَلَى تَحْصِيلِهِ دَوَابَّ الْقِتَالِ . الرِّكَابُ : مَا يُرْكَبُ مِنَ الْإِبِلِ خَاصَّةً .

(٢) سُورَةُ الْحَشْرِ ( مِنَ الْآيَةِ ٧ ) .

مَسْعُودِ الْأَشْجَعِيِّ لِيَأْتِيَ الْمَدِينَةَ وَيُرْجَفَ بِمَا جَمَعَهُ أَبُو سُفْيَانَ مِنَ الْجُمُوعِ الْعَظِيمَةِ .

فَقَدِمَ نَعِيمٌ الْمَدِينَةَ وَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ مَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١) .  
وَلَمْ يَلْتَفِتْ ﷺ لِهَذَا الْإِرْجَافِ . بَلْ خَرَجَ بِأَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ،  
وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . . . وَلَمْ يَزَالُوا سَائِرِينَ حَتَّى  
أَتَوْا بَدْرًا فَلَمْ يَجِدُوا بِهَا أَحَدًا : لِأَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَسَارَ عَلَى قُرَيْشٍ بِالْخُرُوجِ عَلَى  
نِيَّةِ الرَّجُوعِ بَعْدَ مَسِيرِ لَيْلَةٍ أَوْ لَيْلَتَيْنِ ، ظَانًّا أَنَّ إِرْجَافَ نَعِيمٍ يُفِيدُ فَيَكُونُ الْمُخْلَفُ  
هُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَسَارَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى أَتَى مَجَنَّةَ ( وَهِيَ سُوقٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ نَاحِيَةِ  
مَرِّ الظَّهْرَانِ ) ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّهُ لَا يُصْلِحُكُمْ إِلَّا عَامٌ خِصْبٌ  
تَرَعُونَ فِيهِ الشَّجَرَ وَتَشْرَبُونَ فِيهِ اللَّبْنَ ، وَإِنَّ عَامَكُمْ هَذَا عَامٌ جَدْبٍ ، وَإِنِّي رَاجِعٌ  
فَارْجِعُوا .

وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَأَقَامُوا بِيَدْرِ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ يَنْتَظِرُونَ الْعُدُوَّ ، وَبَاعُوا مَا مَعَهُمْ مِنَ  
التَّجَارَةِ فَرَبِحُوا بِدَرَاهِمٍ دَرَاهِمِينَ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ انْتَقَلَ زِمَامُ  
الْمُفَاجَأَةِ إِلَى أَيْدِيهِمْ ، وَتَوَطَّدَتْ هَيْبَتُهُمْ فِي النُّفُوسِ وَسَادُوا عَلَى الْمَوْقِفِ ،  
وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ إِذْ يَقُولُ فِي ذَلِكَ : ﴿ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ  
يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

مَوْلِدُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ سِبْطِ النَّبِيِّ ﷺ : وَفِي الْخَامِسِ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ هَذَا الْعَامِ  
وَضَعَتْ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَزَوْجَةَ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي  
طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْلُودَهَا الثَّانِي ، وَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ حُسَيْنًا .

وَكَانَ الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﷺ يَقُولُ لِلزَّهْرَاءِ : ( ادْعِي لِي ابْنِيَّ - الْحَسَنَ  
وَالْحُسَيْنَ - فَيُقْبَلُهُمَا وَيَضُمُّهُمَا إِلَيْهِ وَلَا يَبْرُحُ حَتَّى يُضْحِكُهُمَا وَيَتْرُكُهُمَا ضَاحِكَيْنِ

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( الْآيَةُ ١٧٤ ) .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( مِنَ الْآيَةِ ١٧٢ ) .

وَقَدْ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي أُخِيهِ الْحَسَنَ : ( هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا ) .  
وَفَاةٌ أُمُّ الْمَسَاكِينِ زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوَفِّيَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ  
زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَصَلَّى عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أُمِّ سَلَمَةَ : لَمَّا تُوَفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ  
الْمَخْزُومِيُّ ) ، ذُو الْهَجْرَتَيْنِ وَأَخُو رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، حَزِنَتْ عَلَيْهِ  
زَوْجَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ حُزْنًا شَدِيدًا ، فَقَالَ لَهَا النَّسَوُءُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :  
( مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ آجِرْنِي فِي  
مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا آجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا )  
قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَقُلْتُ كَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَبَعْدَهَا طَلَبَنِي لِلزَّوْاجِ  
فَقَبِلْتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَخْلَفَنِي خَيْرًا مِنْ أَبِي سَلَمَةَ وَالْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا .

أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ بِتَعَلُّمِ اللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ  
ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَنْ يَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ الْعِبْرِيَّةَ .. وَقَدْ دُوِّنَ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ أَنَّ زَيْدًا تَعَلَّمَ  
الْعِبْرِيَّةَ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا فَقَطْ ، مِمَّا يُدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّاسَ فِي الْمَدِينَةِ كَانُوا  
يَعْرِفُونَ كَثِيرًا مِنَ اللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ .

وَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى زَيْدٍ بِتَعَلُّمِ لُغَةِ الْيَهُودِ وَكِتَابَتِهِمْ يُدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ  
يُحِبُّ إِلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَلَّمَ لُغَةَ غَيْرِهِ وَكِتَابَتَهُمْ ، وَيَتَعَرَّفَ عَلَى عُلُومِهِمْ وَمَعَارِفِهِمْ  
وَلَا سِيَّمَا إِذَا دَعَتْ لِدُنْيَاكَ ضَرُورَةٌ .



## السَّنةُ الخَامِسَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ

غَزْوَةُ دُومَةَ الجَنْدَلِ: (١) وَكَانَتْ فِي شَهْرِ ربيعِ الأوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنةِ ، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ ﷺ أَنَّ جَمْعًا مِنَ الأَعْرَابِ بِدُومَةِ الجَنْدَلِ يَظْلِمُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الدُّنُوَّ مِنَ المَدِينَةِ ، فَتَجَهَّزَ ﷺ لِغَزْوِهِمْ ، وَخَرَجَ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَى المَدِينَةِ سِبَاعَ بنَ عُرْفُطَةَ ﷺ .

وَلَمْ يَزَلْ ﷺ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ حَتَّى قَرِبَ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمُ الخَبْرُ تَفَرَّقُوا ، فَهَجَمَ المُسْلِمُونَ عَلَى مَاشِيَتِهِمْ وَرُعَاتِهِمْ ، فَأُصِيبَ مَنْ أُصِيبَ وَهَرَبَ مِنْ هَرَبٍ .

ثُمَّ نَزَلَ ﷺ بِسَاحَتِهِمْ فَلَمْ يَلْقَ أَحَدًا ، وَبَثَّ السَّرَايَا فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَرَجَعَ ﷺ غَانِمًا ، وَصَالِحًا وَهُوَ عَائِدٌ عِيْنَةَ بنِ حِصْنِ الفَزَارِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُسَمِّيهِ ﷺ : الأَحْمَقَ المُطَاعَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَّبِعُهُ أَلْفُ مُقَاتِلٍ ، وَأَقْطَعَهُ ﷺ أَرْضًا يَرَعَى فِيهَا غَنَمَهُ عَلَى بُعْدِ حَوَالِي أَرْبَعِينَ كِيلُو مِترًا مِنَ المَدِينَةِ ؛ لِأَنَّ أَرْضَهُ كَانَتْ قَدْ أُجْدِبَتْ (٢) .

## غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ ( المُرَيْسِيعِ ) :

وَكَانَتْ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ لِلْيَلْتِنِ خَلْتًا مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسِ هِجْرِيَّةٍ ؛ وَسَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ ﷺ أَنَّ الحَارِثَ بنَ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدَ بَنِي المُصْطَلِقِ الَّذِينَ سَاعَدُوا قُرَيْشًا عَلَى حَرْبِ المُسْلِمِينَ فِي أَحَدٍ يَجْمَعُ الجُمُوعَ لِحَرْبِهِ ، فَخَرَجَ لَهُ ﷺ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَوَلَّى عَلَى المَدِينَةِ زَيْدَ بنَ حَارِثَةَ ، وَخَرَجَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِقُرْعَةٍ أَصَابَتْهَا ( وَكَانَتْ تَلْكَ عَادَتُهُ مَعَ نِسَائِهِ إِذَا أَرَادَ خُرُوجًا ) ، وَخَرَجَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ المُنَافِقِينَ لَمْ يَخْرُجُوا قَطُّ فِي غَزْوَةٍ مِثْلِهَا ، يَرْجُونَ أَنْ يُصِيبُوا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا ، وَفِي أَثْنَاءِ مَسِيرِهِ ﷺ التَقَى بِعَيْنِ ( جَاسُوسِ ) بَنِي المُصْطَلِقِ فَسَأَلَهُ عَنِ أَحْوَالِ العَدُوِّ فَلَمْ يُجِبْ ، فَأَمَرَ ﷺ بِقَتْلِهِ .

(١) مَدِينَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِمَشْقَ خَمْسُ لَيَالٍ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ خَمْسُ عَشْرَةَ لَيْلَةً . وَتُسَمَّى الآنَ مَدِينَةَ الجَوْفِ .

(٢) أُجْدِبَتْ : أَصَابَهَا الجَدْبُ وَهُوَ ضِدُّ الغُصْبِ .



وَلَمَّا بَلَغَ الْحَارِثُ مَجِيءَ الْمُسْلِمِينَ لِحَرْبِهِ وَأَنْتَهُمْ قَتَلُوا جَاسُوسَهُ خَافَ هُوَ وَجَيْشُهُ  
خَوْفًا شَدِيدًا ، حَتَّى تَفَرَّقَ عَنْهُ بَعْضُهُمْ ، وَلَمَّا وَصَلَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمُرَيْسِيعِ (١)  
عَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ عَلَى الْحَارِثِ وَأَهْلِهِ فَلَمْ يَقْبَلُوا .

وَتَصَافَّ الْفَرِيقَانِ لِلْقِتَالِ ، وَدَفَعَ ﷺ رَايَةَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَايَةَ  
الْأَنْصَارِ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَبَدَأَ الرَّمْيُ بَيْنَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ وَجَيْشِ  
الْمُشْرِكِينَ ، فَتَرَامُوا بِالنَّبْلِ سَاعَةً ، ثُمَّ حَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ حَمَلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ  
فَلَمْ يَتْرَكُوا لِرَجُلٍ مِنْ عَدُوِّهِمْ مَجَالًا لِلْهَرَبِ ، بَلْ قَتَلُوا عَشْرَةَ مِنْهُمْ وَأَسْرُوا  
بَاقِيَهُمْ مَعَ النِّسَاءِ وَالذَّرِيَّةِ ، وَاسْتَأْفُوا الْإِبِلَ وَالشِّيَاءَ ( وَكَانَتِ الْإِبِلُ الْأَفْيَ بَعِيرِ  
وَالشِّيَاءُ خَمْسَةَ آلَافٍ ) وَاسْتَعْمَلَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى ضَبْطِهَا مَوْلَاهُ شُقْرَانَ ، وَعَلَى  
الْأَسْرَى بُرَيْدَةَ بْنَ الْخَصِيبِ الْأَسْلَمِيَّ .

وَكَانَ فِي نِسَاءِ الْمُشْرِكِينَ بَرَّةٌ بِنْتُ الْحَارِثِ سَيِّدِ الْقَوْمِ ، وَقَدْ أَخَذَ مِنْ قَوْمِهَا  
مِائَةَ أَهْلِ بَيْتِ أَسْرَى ، وَزُجِّعَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .. وَهُنَا يَظْهَرُ حُسْنَ السِّيَاسَةِ  
وَمُنْتَهَى الْكَرَمِ : فَإِنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ أَعَزِّ الْعَرَبِ دَارًا ، فَأَسْرُ نِسَائِهِمْ بِهَذِهِ  
الْحَالِ صَعْبٌ جِدًّا ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ الْمُسْلِمِينَ يَمْنُونَ عَلَى النِّسَاءِ  
بِالْحُرِّيَّةِ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ : فَتَزَوَّجَ ﷺ بَرَّةَ بِنْتُ الْحَارِثِ الَّتِي سَمَّاهَا جُوَيْرِيَةَ ،  
فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَنْبَغِي أَسْرُهُمْ فِي أَيْدِينَا ، فَمَنُّوا عَلَيْهِمْ  
بِالْعِتْقِ ، فَكَانَتْ جُوَيْرِيَةُ أَيْمَنَ (٢) أَمْرًا عَلَى قَوْمِهَا كَمَا قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ  
وَتَسَبَّبَ عَنْ هَذَا الْكَرَمِ الْعَظِيمِ وَمَا تَرَجَّمَ عَنِ الْقَلْبِ الرَّحِيمِ أَنْ أَسْلَمَ بَنُو  
الْمُصْطَلِقِ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ ، وَكَانُوا لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا عَلَيْهِمْ .

وَقَدْ حَصَلَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ حَدَثَانِ لَوْلَا أَنْ صَاحَبَتُهُمَا حِكْمَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَادَتَا  
بِالتَّفْرِيقِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ :

أَحَدُهُمَا : أَنْ أَجِيرًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ( وَهُوَ : جَهْجَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ ) اخْتَصَمَ مَعَ

(١) مائة لغزاة في ناحية قديد . (٢) أَيْمَنُ: يُعْنَى أَي بَرَكَةٌ : لِأَنَّهَا كَانَتِ السَّبَبَ فِي عِتْقِ قَوْمِهَا وَرَفْعِ الدُّلِّ عَنْهُمْ .

حَلِيفَ لُخَزْرَجٍ ( وَهُوَ: سِنَانُ بْنُ وَبَرٍ الْجُهَنِيُّ ) ، فَضْرَبَ الْأَجِيرَ الْحَلِيفَ حَتَّى سَأَلَ دَمَهُ ، فَصَرَخَ الْجُهَنِيُّ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، وَصَرَخَ جَهْجَاهُ : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ .. فَأَقْبَلَ الذُّعْرُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَكَادُوا يَقْتُلُونَ ، لَوْلَا أَنْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : مَا بِالْ دُعَاىِ الْجَاهِلِيَّةِ ؟ ( وَهِيَ مَا يُقَالُ فِي الْأَسْتِغَاثَةِ يَا لِفُلَانٍ ) دَعُوا هَذِهِ الْكَلِمَةَ فَإِنَّهَا مُنْتَهَى ، ثُمَّ كَلَّمَ ﷺ الْمَضْرُوبَ حَتَّى أَسْقَطَ حَقَّهُ وَبِذَلِكَ سَكَتِ الْفِتْنَةُ .

فَلَمَّا بَلَغَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي هَذَا الْخِصَامُ غَضِبَ ، وَكَانَ عِنْدَهُ رَهْطٌ مِنَ الْخَزْرَجِ فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ مَذَلَّةً ، أَوْ هَدَفَعْلُوهَا ؟ .. نَافَرُونَا فِي دِيَارِنَا ، وَاللَّهِ مَا أَعَدْنَا وَجَلَابِيبَ قُرَيْشٍ هَوْلَاءِ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ ، أَمَا وَاللَّهِ ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذْلَ ﴾ (١) ، ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى مَنْ مَعَهُ وَقَالَ : هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ ( أَحَلَّتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَوْا بِمَا فَعَلْتُمْ حَتَّى جَعَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَغْرَاضًا لِلْمَنَايَا فَقَاتَلْتُمْ دُونَ مُحَمَّدٍ ، فَأَيَّتَمَّتْ أَوْلَادَكُمْ ، وَقَلَّتُمْ وَكَثُرُوا ، فَلَا تُتَفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَنْفِضُوا مِنْ عِنْدِهِ .

وَكَانَ فِي مَجْلِسِ ابْنِ أَبِي شَابٍّ حَدِيثُ السَّنِّ قَوِيُّ الْإِسْلَامِ ، اسْمُهُ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ ، فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ، وَقَالَ ﷺ : يَا غُلَامُ ، لَعَلَّكَ غَضِبْتَ عَلَيْهِ فَقُلْتَ مَا قُلْتَ ؟ فَقَالَ زَيْدٌ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ ، قَالَ ﷺ : لَعَلَّهُ أَخْطَأَ سَمْعُكَ .. فَاسْتَأْذَنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرَّسُولَ ﷺ فِي قَتْلِ ابْنِ أَبِي ، أَوْ أَنْ يَأْمُرَ أَحَدًا غَيْرَهُ بِقَتْلِهِ ، فَتَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ ﷺ : ( كَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ بِأَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ) .

ثُمَّ أُذِنَ ﷺ بِالرَّحِيلِ فِي وَقْتٍ لَمْ يَكُنْ يَرْتَجِلُ فِيهِ حِينَ اشْتَدَّ الْحَرُّ ، يَقْصِدُ بِذَلِكَ ﷺ شَغْلَ النَّاسِ عَنِ التَّكَلُّمِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ الْارْتِعَالِ فِي هَذَا الْوَقْتِ ؟ فَقَالَ ﷺ : ( أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ ؟

( ١ ) سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ ( مِنَ الْآيَةِ ٨ ) .

زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ) ، قَالَ أُسَيْدٌ : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْرِجُهُ إِنْ شِئْتَ : هُوَ وَاللَّهِ الدَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ .

ثُمَّ سَارَ ﷺ بِالنَّاسِ سَيْرًا حَثِيثًا حَتَّى آذَتْهُمْ الشَّمْسُ ، فَزَلَّ بِالنَّاسِ ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ وَجَدُوا مَسَّ الْأَرْضِ حَتَّى وَقَعُوا نِيَامًا .

وَكَلَّمَ رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنْ يَطْلُبَ مِنَ الرَّسُولِ الْإِسْتِغْفَارَ ، فَلَوَّى رَأْسَهُ وَاسْتَكْبَرَ .. وَهُنَا نَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ بِسُورَةِ ( الْمُنَافِقُونَ ) الَّتِي فَضَحَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي وَإِخْوَانَهُ ، وَصَدَّقَتْ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ : ( أَيْشِرُ ، فَقَدْ صَدَّقَكَ اللَّهُ ) (١) .

وَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَبِي اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي قَتْلِ أَبِيهِ حَدْرًا مِنْ أَنْ يُكَلِّفَ بِذَلِكَ غَيْرَهُ فَيَكُونُ عِنْدَهُ مِنْ ذَلِكَ أَضْغَانٌ وَأَحْقَادٌ (٢) ، فَأَمَرَهُ ﷺ بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَبِيهِ ، وَقَالَ ﷺ : ( بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا ) (٣) .

فَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي لَأَبِيهِ بِالطَّرِيقِ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُ الْمَدِينَةَ حَتَّى يَأْذَنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالِادِّخُولِ ، فَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِدُخُولِهِ .

وَتَابِعَهُمَا : ( حَدِيثُ الْإِفْكِ ) (٤) ؛ وَهِيَ رَمَى عَائِشَةَ الصَّدِيقَةَ زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالِإِفْكِ ، فَاتَّهَمُوهَا بِصَفْوَانَ بْنِ الْمُعَطَّلِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ أَذِنَ ﷺ لَيْلَةَ بِالرَّحِيلِ ، وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ﷺ قَدْ مَضَتْ لِقَضَاءِ حَاجَتِهَا حَتَّى جَاوَزَتِ الْجَيْشَ ، فَلَمَّا قَضَتْ شَأْنَهَا أَقْبَلَتْ إِلَى رَحْلِهَا فَلَمَسَتْ صَدْرَهَا فَإِذَا عَقْدٌ لَهَا مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ هَدٍ انْقَطَعَ (٥) ، فَرَجَعَتْ تَلْتَمِسُ عِمْدَهَا ، فَحَبَسَهَا ابْتِغَاؤُهُ ، فَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرْحَلُونَهَا فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجَهَا ظَانِنِينَ أَنَّهَا فِيهِ ( لِأَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ . (٢) أَي تَدْفَعُهُ إِلَى قَتْلِ قَائِلِ أَبِيهِ وَيَكُونُ هَدٍ قَتْلَ مُسْلِمًا بِكَافِرٍ فَيَدْخُلُ النَّارَ .

(٣) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ . (٤) الْإِفْكُ : أَشَدُّ الْكُذْبِ وَالْإِفْتِرَاءِ .

(٥) الْجَزَعُ : الْعَرَزُ ، وَقَلْفَارٌ : مَدِينَةٌ بِالْيَمَنِ يُنْسَبُ إِلَيْهَا الْعَرَزُ .

إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَفْشَهُنَّ اللَّحْمُ ، فَلَمْ يَسْتَكْرِ الْقَوْمُ خِيفَةَ الْهُودَجِ ، وَكَانَتْ  
السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ حَدِيثَةَ السِّنِّ ) ، فَجَاءَتْ مَنْزِلَ الْجَيْشِ بَعْدَ أَنْ وَجَدَتْ عِقْدَهَا  
وَلَيْسَ بِالْمَكَانِ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ ، فَغَلَبَتْهَا عَيْنَاهَا فَتَامَتْ ، وَكَانَ الَّذِي يَسِيرُ وَرَاءَ  
الْجَيْشِ يَفْتَقِدُ ضَائِعَهُ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِ ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِهَا فَعَرَفَهَا ؛ لِأَنَّهُ  
كَانَ رَأَاهَا قَبْلَ الْحِجَابِ ، فَاسْتَرْجَعَ ( قَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ )  
فَاسْتَيْقَظَتْ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِاسْتِرْجَاعِهِ ، وَسَتَرَتْ وَجْهَهَا بِجَلْبَابِهَا ، فَأَنَاحَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَاحِلَتَهُ  
وَأَرْكَبَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَقُودُ بِهَا الرَّاحِلَةَ حَتَّى وَصَلَ الْجَيْشَ  
وَهُوَ نَازِلٌ لِلرَّاحَةِ ، فَتَامَتْ قِيَامَةُ أَهْلِ الْإِفْكِ وَقَالُوا فِي عَائِشَةَ وَصَفْوَانَ ، وَالَّذِي  
تَوَلَّى كِبَرَ الْإِفْكِ (١) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي .

وَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ مَرَضَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ شَهْرًا ، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ  
أَهْلِ الْإِفْكِ ، وَهِيَ لَا تَشْعُرُ بِشَيْءٍ ، وَكَانَتْ تَعْرِفُ فِي رَسُولِ اللَّهِ رِقَّةً إِذَا مَرَضَتْ ،  
فَلَمْ يُعْطَهَا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نَصِيبًا مِنْهَا فِي هَذَا الْمَرَضِ ، بَلْ كَانَ يَمُرُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى بَابِ الْحُجْرَةِ  
لَا يَزِيدُ عَلَى قَوْلِهِ : كَيْفَ حَالُكُمْ ؟ مِمَّا جَعَلَهَا فِي رَيْبٍ عَظِيمٍ .

فَلَمَّا نَقَهَتْ ( شُفِيَتْ ) خَرَجَتْ هِيَ وَأُمُّ مِسْطَحٍ إِلَى الْبِرَازِ خَارِجَ الْبُيُوتِ ، فَعَثَرَتْ  
أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا (٢) ، فَقَالَتْ : تَعَسَ مِسْطَحٌ ، فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ : بِئْسَ مَا  
قُلْتَ لِرَجُلٍ شَهِدَ بَدْرًا ، فَقَالَتْ : أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ ؟ ( وَكَانَ مِمَّنْ خَاضَ فِي  
حَدِيثِ الْإِفْكِ ) ، ثُمَّ أَخْبَرَتِ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ الْخَبَرَ ، فَازْدَادَتْ مَرَضًا عَلَى مَرَضِهَا  
وَلَمَّا جَاءَهَا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَعَادَتِهِ ، اسْتَأْذَنَتْهُ أَنْ تُمَرِّضَ فِي بَيْتِ أَبِيهَا ، فَأَذِنَ لَهَا ،  
فَسَأَلَتْ أُمَّهَا ( أُمَّ رُومَانَ ) عَمَّا يَقُولُ النَّاسُ ، فَقَالَتْ : يَا بِنْتِي ، هُوْنِي عَلَى  
نَفْسِكَ الْأَمْرَ ، فَقَلَّمَا حَظِيَّتْ امْرَأَةً عِنْدَ زَوْجِهَا إِلَّا حُسِدَتْ ، فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ  
عَائِشَةُ : سُبْحَانَ اللَّهِ !! أَوْ قَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا ؟ وَبَكَتْ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَا يَرِقًا (٢)  
لَهَا دَمْعٌ ، وَلَا تَكَتَجِلُ بِنَوْمٍ .

(٢) الْمِرْطُ : كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ .

(١) تَوَلَّى كِبَرَهُ : مُنْظَمَةٌ .

(٢) يَرِقًا الدَّمْعُ : يَسْكُنُ وَيَجِفُّ وَيَنْقَطِعُ جَرِيَانُهُ .

وفى خلال ذلك كان ﷺ يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل ، فقال له أسامة بن زيد رضي الله عنه لما يعلمه من براءة السيدة عائشة : يا رسول الله ، أهلك أهلك ، والله ما نعلم عليهم إلا خيراً ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا رسول الله ، لن يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصدقك .. فدعا ﷺ بربيرة ، فقال لها : ( يا ربيرة ، هل رأيت في عائشة شيئاً يريبك ؟ ) ، قالت : والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أعيبه عليها ، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجينها فتأتي الداجن فتأكله .

فقام ﷺ من يومه وصعد المنبر والمسلمون مجتمعون وقال : ( من يعذرني <sup>(١)</sup> من رجل بلغني أذاه في أهلي ؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ) .

فقام سعد بن معاذ ( سيد الأوس ) ، فقال : أنا والله يا رسول الله أعذرک منه ؛ فإن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا فضعنا فيه أمرک ، فقام سعد بن عبادة الخزرجي ( وكان رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته الحمية ) ، فقال لسعد بن معاذ : كذبت ، والله لا تقتله ولا تقدر على ذلك ، ولو كان من رهطك ما أحببت أنه يقتل ، فقام أسيد بن حضير وقال لسعد بن عبادة كذبت ، والله لنقتله ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين .

وكادت تشتعل الفتنة بين الأوس والخزرج ، لولا أن رسول الله ﷺ نزل من فوق المنبر وحفضهم حتى سكتوا .

أما السيدة عائشة رضي الله عنها فبقيت ليلتين لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم .. وبينما هي مع أبيها ( أبو بكر وأم رومان ) رضي الله عنهما إذ دخل رسول الله ﷺ فسلم ، ثم جلس عندها ( ولم يجلس عندها من يوم قيل ما قيل ، وقد مكث ﷺ شهراً لا يوحى إليه في شأنها بشيء ) ، ثم قال : ( أما بعد يا عائشة ، فإنه بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسببرك الله ، وإن كنت ألممت بذنب ، فاستغفري

(١) أعذر فلان فلاناً من فلان ، أنصفه منه ، أي استوفى له حقه منه .

اللَّهُ وَتُوبِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ وَتَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ) .

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ لِأَبَوَيْهَا : أَحِبِّيَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَا : وَاللَّهِ مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ  
فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَئِن قُلْتُ لَكُمْ : إِنِّي بَرِيئَةٌ ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ ) لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ ،  
وَقَدْ اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ مَا تَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ ، وَلَئِن اعْتَرَفْتُ بِذَنْبٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي  
مِنْهُ لَبْرِيئَةٌ لَتُصَدِّقْتَنِي ، فَوَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ <sup>(١)</sup> إِذْ قَالَ :

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ <sup>ط</sup> وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup>

ثُمَّ تَحَوَّلَتْ وَاضْطَجَعَتْ <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> عَلَى فِرَاشِهَا ، وَلَمْ يُزَاوِلْ رَسُولُ اللَّهِ <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> مَجْلِسَهُ  
حَتَّى نَزَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ مِنْ سُورَةِ النُّورِ بِبِرَاءَةِ السَّيِّدَةِ الْمُطَهَّرَةِ عَائِشَةَ الصَّدِيقَةَ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ  
أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ  
لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأَوَّلَتْكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ

الْكَاذِبُونَ • وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا  
أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ • إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّينِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ

بِهِ عِلْمٌ وَحَسْبُوتُهُ هَيْبَتًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ • وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ  
لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ • يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ

أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ • وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • إِنْ الَّذِينَ  
يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ • وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ  
رَحِيمٌ • • يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ

الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا  
مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ • وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا

الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ  
 اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾  
 فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ ، وَقَالَ : ( أَبَشِّرِي يَا عَائِشَةُ ، فَقَدَ بَرَأَكَ  
 اللَّهُ ) ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا : قَوْمِي وَاشْكُرِي رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَشْكُرُ  
 إِلَّا اللَّهَ الَّذِي بَرَأَنِي .

وَبَعْدَ ذَلِكَ أَمَرَ ﷺ بِأَنْ يُجْلَدَ مَنْ صَرَخَ بِالْإِفْكِ ثَمَانِينَ جَلْدَةً (وَهِيَ حَدُّ الْقَازِفِ)  
 وَكَانُوا ثَلَاثَةً : حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ ، وَمِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ ، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ .. وَكَانَ  
 أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ بِالْإِفْكِ قَطَعَ  
 عَنْهُ النَّفَقَةَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى  
 الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا  
 تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بَلَى  
 نَحِبُّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .. وَأَعَادَ النَّفَقَةَ عَلَى مِسْطَحِ .  
 تَنْبِيهِ .. وَتَنْبِيهِ :

\* لَمْ يُحَدِّثِ الْمُنَافِقُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مَعٍّ أَنَّهُ رَأَى أَهْلَ الْإِفْكِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ،  
 إِمَّا لِأَنَّ الْحُدُودَ تَخْفِيفٌ لِأَهْلِهَا ، وَقَدْ وَعَدَهُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ الْعَظِيمِ فِي الْآخِرَةِ ،  
 وَإِمَّا لِلْمَصْلَحَةِ الَّتِي تَرَكَ لِأَجْلِهَا قَتْلَهُ : فَتَرَجَّحَتْ هَذِهِ الْمَصْلَحَةُ الْعَامَّةُ عَلَى  
 الْمَفْسَدَةِ الْخَاصَّةِ بِهِ لِأَنَّ الْأَذَى رَاجِعٌ إِلَيْهِ وَإِلَى أَهْلِهِ ، فَاحْتَمَلَهُ ﷺ لِمَصْلَحَةِ  
 الْمُسْلِمِينَ الْعَامَّةِ .

\* لَا يَخْفَى أَنَّ بَيْنَ حَدِيثِ نَزُولِ سُورَةِ ( الْمُنَافِقُونَ ) وَحَدِيثِ الْإِفْكِ مُنَاسَبَةٌ مِنْ  
 وَجُوهٍ :

مِنْهَا : إِنَّهُمَا وَقَعَا فِي الرَّجُوعِ مِنْ غَزْوَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَمِنْهَا : إِنَّ سُورَةَ ( الْمُنَافِقُونَ ) فِي بَرَاءَةِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عَنِ الْإِفْكِ ، وَهُوَ الْكَذِبُ

الْمُتَّهَمُ بِهِ ، وَحَدِيثَ الْإِفْكِ فِي بَرَاءَةِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَمَّا قُدِّمَتْ بِهِ ، فَهِيَ  
 بَرَاءَةٌ قَطْعِيَّةٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ، حَتَّى إِنْ مَنْ يُشَكِّكُ فِي بَرَاءَتِهَا فَهُوَ كَافِرٌ بِالْإِجْمَاعِ .  
 بَلْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ <sup>(١)</sup> أَي : امْرَأَةُ نُوحٍ  
 نُوحًا ، وَامْرَأَةُ لُوطٍ لُوطًا : لَمْ تَزِنْ امْرَأَةٌ نَبِيًّا قَطُّ .  
 وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ الْمُعْطَلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : وَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ عَنْ كَنَفِ  
 أُنْتَى قَطُّ ( أَي : أَنَّهُ كَانَ حَصُورًا لَا يَأْتِي النِّسَاءَ ) .

\* كَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانٌ ، وَتَقُولُ إِنَّهُ الَّذِي يَقُولُ :  
 فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي \* لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ  
 وَكَانَ حَسَّانٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا يَعْتَذِرُ عَنْ ذَلِكَ ، وَمِنْ شِعْرِهِ فِي مَدْحِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَوْلُهُ :

مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَلَبَ اللَّهُ خَيْمَهَا \* وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلٍ <sup>(٢)</sup>

## غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ ( الْأَحْزَابِ )

وَكَانَتْ فِي شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ مِنْ هِجْرَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ بِسَبَبِ الْخَنْدَقِ  
 الَّذِي أَشَارَ سَلْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِحَفْرِهِ عَلَى عَادَةِ الْفُرْسِ بِحُرُوبِهِمْ ، وَسُمِّيَتْ أَيْضًا  
 بِالْأَحْزَابِ لِتَحَزُّبِ الْقَبَائِلِ ؛ أَي اجْتِمَاعِهَا عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ .

أَمَّا سَبَبُهَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَجَلَى بَنِي النَّضِيرِ ، وَلَحِقَ رَئِيسُهُمْ حَيْثُ بَنُ  
 أَخْطَبَ بـ ( خَيْبَرَ ) ، ذَهَبَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى ( مَكَّةَ ) فِي رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ ، وَدَعَا  
 قُرَيْشًا إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْوُهُمْ <sup>(٣)</sup> الْمُسَاعَدَةَ ، فَسَأَلْتُهُمْ قُرَيْشُ : أَيُّنَا  
 أَهْدَى سَبِيلًا نَحْنُ أَمْ مُحَمَّدٌ ؟ ، فَقَالُوا : بَلْ أَنْتُمْ أَهْدَى سَبِيلًا مِنْهُ .

وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ  
 يُؤْمِنُونَ بِالْحِجَابِ وَالطَّعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ● أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ

(١) مَنْوُهُمْ : وَعَدُوهُمْ .

(٢) خَيْمَهَا : طَلَبَهَا .

(٣) سُوْرَةُ التَّحْرِيمِ ( مِنْ آيَةِ ١٠ ) .



لَهُ نَصِيرًا ﴿١﴾

فَلَمَّا أَجَابَتْهُمُ قُرَيْشٌ إِلَى ذَلِكَ تَقَدَّمُوا إِلَى قَبَائِلِ قَيْسِ عَيْلَانَ مِنْ أَهْلِ (الطَّائِفِ) وَغَطَفَانَ وَهَوَازِنَ وَغَيْرِهِمْ ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، فَأَجَابُوهُمْ .

تَجَهَّزُ الْأَحْزَابِ وَخُرُوجُهُمْ : فَتَجَهَّزَتْ قُرَيْشٌ وَأَتْبَاعُهَا يَرَأْسُهُمْ أَبُو سُفْيَانَ ، وَيَحْمِلُ لِيَوَاءِهِمْ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدِيُّ .. وَعَدَدُهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مَعَهُمْ ثَلَاثُمِائَةَ فَرَسٍ وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةَ بَعِيرٍ .

وَتَجَهَّزَتْ غَطَفَانُ يَرَأْسُهُمْ عُبَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ الَّذِي جَازَى إِحْسَانَ رَسُولِ اللَّهِ كُفْرًا ( فَإِنَّهُ كَمَا قَدَمْنَا أَقْطَعَهُ أَرْضًا يَرَعَى فِيهَا سَوَائِمَهُ ) حَتَّى إِذَا سَمِنَ خُفُّهُ وَحَافِرُهُ قَامَ يَقُودُ الْجِيُوشَ لِحَرْبٍ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ مَعَهُ أَلْفُ فَارِسٍ .

وَتَجَهَّزَتْ بَنُو مَرَّةَ يَرَأْسُهُمُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفِ الْمُرِّيِّ ، وَهُمْ أَرْبَعُمِائَةَ .

وَتَجَهَّزَتْ بَنُو أَشْجَعٍ يَرَأْسُهُمُ مِسْعَرُ بْنُ رُحَيْلَةَ .

وَتَجَهَّزَتْ بَنُو سُلَيْمٍ يَرَأْسُهُمُ سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَهُمْ سَبْعُمِائَةَ .

وَتَجَهَّزَتْ بَنُو أَسَدٍ يَرَأْسُهُمُ طَلِيحَةُ بْنُ خُوَيْلِدِ الْأَسَدِيِّ .

وَعِدَّةُ الْجَمِيعِ ( عَشْرَةُ آلَافٍ مُحَارِبٍ ) قَائِدُهُمُ الْعَامِ ( أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ) .

مُشَاوَرَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابَهُ : وَلَمَّا بَلَغَهُ ﷺ أَخْبَارُ هَاتِهِ التَّجْهِيزَاتِ اسْتَشَارَ

أَصْحَابَهُ فِيمَا يَصْنَعُ : أَيْمَكْتُ بِالْمَدِينَةِ ، أَمْ يَخْرُجُ لِلِقَاءِ هَذَا الْجَيْشِ الْجَرَّارِ ؟

فَأَشَارَ عَلَيْهِ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ ( وَهُوَ عَمَلٌ لَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ تَعْرِفُهُ )

فَأَمَرَ ﷺ بِعَمَلِهِ ، وَفَسَّمَهُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَشَرَعُوا فِي حَفْرِ شِمَالِي

الْمَدِينَةِ مِنَ الْحَرَّةِ الشَّرْقِيَّةِ إِلَى الْحَرَّةِ الْغَرْبِيَّةِ (٢) ؛ وَهَذِهِ هِيَ الْجِهَةُ الَّتِي كَانَتْ

عَوْرَةً تُؤْتِي الْمَدِينَةَ مِنْ قِبَلِهَا ، أَمَّا بَقِيَّةُ حُدُودِهَا فَمُسْتَبَكَّةٌ بِالْبُيُوتِ وَالنَّخِيلِ لَا

يَتِمَكَّنُ الْعَدُوُّ مِنَ الْحَرْبِ جِهَتَهَا .

(١) سُورَةُ النَّسَاءِ ( الْآيَاتَانِ ٥١ ، ٥٢ ) .

(٢) الْحَرَّةُ : أَرْضٌ ذَاتُ جِمَارَةٍ سَوْدٍ كَأَنَّهَا أَحْرَقَتْ بِالنَّارِ ، وَالْحَرَّةُ الشَّرْقِيَّةُ هِيَ حَرَّةُ وَاقِمِ ، وَالْحَرَّةُ الْغَرْبِيَّةُ هِيَ حَرَّةُ الْوَبْرَةِ وَتَقَعُ الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ بَيْنَهُمَا .

وَقَدْ قَاسَى الْمُسْلِمُونَ صُعُوبَاتٍ جَسِيمَةً فِي حَضْرِ الْخَنْدَقِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي سَعَةِ  
مِنَ الْعَيْشِ حَتَّى يَتَيَسَّرَ لَهُمُ الْعَمَلُ ، وَعَمِلَ مَعَهُمْ ﷺ فَكَانَ يَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى  
عَاتِقِهِ ، وَيُكَابِدُ مَعَهُمُ النَّصَبَ وَالْجُوعَ ، مُتَمَثِّلاً بِشِعْرِ ابْنِ رَوَاحَةَ :

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا \* وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِّينَا

فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا \* وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا \* وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَيْنَا

وَيَمُدُّ ﷺ بِهَا صَوْتَهُ : أَيْنَا ... أَيْنَا

وَكَانَ الصَّحَابَةُ ﷺ يَرْتَجِزُونَ : (١)

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا \* عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

فِي حَبِيبِهِمْ ﷺ :

( اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ ) .

مَا ظَهَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْآيَاتِ فِي حَضْرِ الْخَنْدَقِ : وَوَقَعَ فِي أَيَّامِ حَضْرِ الْخَنْدَقِ  
مُعْجَزَاتٌ بَاهِرَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ نُبُوَّتِهِ ﷺ :

كَحَدِيثِ الْكُدْيَةِ : وَهِيَ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ الَّتِي اعْتَرَضَتْ لَهُمْ فِي حَضْرِ الْخَنْدَقِ ،  
فَلَمْ يَعْمَلْ فِيهَا الْمِعْوَلُ ، وَأَعْيَتْ فِيهَا الْحَيْلُ ، فَأَخَذَ ﷺ الْمِعْوَلَ وَسَمَّى اللَّهُ  
وَضْرَبَهَا ضَرْبَةً فَتَشَرَّتْ ثُلُثُهَا وَقَالَ : ( اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ ، وَاللَّهُ إِنِّي  
لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرِ السَّاعَةِ ) ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ ثُلُثًا آخَرَ مِنَ الصَّخْرَةِ ،  
فَقَالَ : ( اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ فَارِسَ وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضِ الْآنَ ) ،  
ثُمَّ ضَرَبَ ﷺ الثَّلَاثَةَ فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الصَّخْرَةِ فَانْهَلَتْ كَالْكَيْبِ (٢) ، فَقَالَ : ( اللَّهُ أَكْبَرُ  
أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي السَّاعَةِ ) .

وَكَحَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : حَيْثُ دَعَا ﷺ سِرًّا النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ

(١) الرَّجَزُ : بَعْرٌ مِنْ بَعُورِ الشُّعْرِ مَعْرُوفٌ ، وَنَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِهِ يَكُونُ كُلُّ مِضْرَاعٍ مِنْهُ مُفْرَدًا ، وَتُسَمَّى قِصَائِدُهُ أَرَاجِيزَ ، فَهُوَ  
كَهَيْئَةِ السَّجْعِ إِلَّا أَنَّهُ فِي وَزْنِ الشُّعْرِ .

(٢) الْكَيْبُ : الرَّمْلُ الْمُسْتَطِيلُ الْمُخَدَّوْبُ .

عَلَى صَاعٍ مِنْ شَعِيرٍ وَعِنَاقٍ ذَبَحَهَا لَهُمْ ، فَتَادَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ الْخَنْدَقِ وَقَامَ بِهِمْ ،  
 ثُمَّ بَرَكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمَّى اللَّهَ ثُمَّ أَكَلَ ، وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ ، وَكُلَّمَا فَرَغَ قَوْمٌ قَامُوا وَجَاءَ  
 آخَرُونَ حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ وَقَدْ شَبِعُوا جَمِيعاً خُبْزاً وَثَرِيداً وَلَحْماً ، وَبَقِيَتْ  
 بُرْمَةٌ اللَّحْمِ تَغُطُّ كَمَا هِيَ ، وَبَقِيَ الْعَجِينُ يُخْبَزُ كَمَا هُوَ .

وواصل المسلمون عملهم ولما تكامل حفر الخندق أقام الجيش في الجهة  
 الشرقية مسنداً ظهره إلى سلع ( وهو جبل مطل على المدينة ) ، وعدتهم ثلاثة  
 آلاف وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة ، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة  
 حصار المسلمين : ولما فرغوا من الخندق وأقبلت جموع الأحزاب في عشرة  
 آلاف ، وأحاطوا بالمدينة من جميع جهاتها : فنزلت فريش بمجتمع الأسيال ،  
 وأما غطفان فنزلت جهة أحد ، وكذلك بقية الأحزاب حاصروا بقية الجهات ،  
 واشتد الحصار على المسلمين ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ  
 فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ  
 وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۗ هُنَالِكَ آتَىٰكَ الْمُؤْمِنُونَ وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا  
 شَدِيدًا ۙ ﴾ (٢)

وكان المشركون متعجبين بمكيدة الخندق التي لم تكن العرب تعرفها ، فصاروا  
 يترامون مع المسلمين بالنبل ، ولما طال المطال عليهم أكره جماعة منهم  
 أفراسهم على اقتحام الخندق ، منهم : عكرمة بن أبي جهل وعمرو بن عبد ود  
 وآخرون ، وقد برز على بن أبي طالب رضي الله عنه لعمر بن عبد ود فقتله وهرب إخوانه  
 وهوى في الخندق نوفل بن عبد الله فاندقت عنقه ، ورعى سعد بن معاذ  
 بسهم قطع أكحله ( وهو شريان الذراع ) .

واستمرت المناوشة والمراعاة بالنبل يوماً كاملاً حتى فاتت المسلمين صلاة  
 ذلك اليوم وقضوها بعد ؛ وجعل صلى الله عليه وسلم على الخندق حراساً حتى لا يقتحمه

المُشْرِكُونَ بِاللَّيْلِ، وَكَانَ يَحْرُسُ بِنَفْسِهِ ﷺ ثَلَمَةً (١) فِيهِ مَعَ شِدَّةِ الْبَرْدِ، وَكَانَ ﷺ  
يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ وَيَعِدُّهُمْ الْخَيْرَ .

ظُهُورُ النِّفَاقِ: أَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَقَدْ أَظْهَرُوا فِي هَذِهِ الشُّدَّةِ مَا تَكُنُهُ ضَمَائِرُهُمْ  
حَتَّى قَالُوا: ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (٢) ، وَأَنْسَحَبُوا قَائِلِينَ: إِنَّ  
بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ نَخَافُ أَنْ يُغَيِّرَ عَلَيهَا الْعَدُوُّ ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (٣)  
وَكَانُوا يَقُولُونَ: يَعِدُنَا مُحَمَّدٌ أَنْ نَفْتَحَ ( مَكَّةَ وَالشَّامَ وَالْعِرَاقَ ) ، وَأَحَدُنَا لَا يَقْدِرُ  
أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ .

يَقِينُ الْمُؤْمِنِينَ: وَعَلَى النَّقِيضِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَنُوا عَنْ  
إِخْلَاصِهِمْ وَصِدْقِهِمْ ؛ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ  
قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا  
إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٤)

نَقَضَ بَنِي قُرَيْظَةَ الْعَهْدَ: أَمَّتْ الْحِصَارُ قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ ، وَاشْتَدَّتِ الْحَالُ  
بِالْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ هَذَا الْحِصَارَ صَاحِبَهُ ضَيْقٌ عَلَى فُقَرَاءِ الْمَدِينَةِ ، وَالَّذِي زَادَ  
الشُّدَّةَ عَلَيْهِمْ مَا بَلَغَهُمْ مِنْ أَنَّ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ الَّذِينَ يُجَاوِرُونَ الْمَدِينَةَ قَدِ  
انْتَهَزُوا هَذِهِ الْفُرْصَةَ لِنَقْضِ الْعَهْدِ ؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّ حِيَّ بْنَ أَخْطَبَ سَيِّدَ بَنِي  
النَّضِيرِ الْمَجْلِيِّينَ تَوَجَّهَ إِلَى كَعْبِ بْنِ أَسَدِ سَيِّدِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَكَانَ لَهُ كَالشَّيْطَانِ إِذْ  
قَالَ لِلْإِنْسَانِ أَكْفُرْ ، فَحَسَّنَ لَهُ نَقْضَ الْعَهْدِ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَجَابَهُ لِقِتَالِ  
الْمُسْلِمِينَ .

وَفِعْلًا قَدِ قَامَتْ يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ بِعَمَلِيَّاتِ الْحَرْبِ ؛ قَالَ ابْنُ اسْحَاقَ (٥): كَانَتْ  
صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ فِي فَارِعِ حِصْنِ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ مَعَ النِّسَاءِ  
وَالصَّبِيَّانِ ، قَالَتْ صَفِيَّةُ: فَمَرَّ بِنَا رَجُلٌ مِنْ يَهُودٍ ، فَجَعَلَ يَطُوفُ بِالْحِصْنِ ، وَنَيْسَ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنَّا ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ فِي غَوْرٍ عَدُوَّهُمْ ، وَإِنِّي

(٢) (٢) . سُورَةُ الْأَحْزَابِ ( مِنْ آيَةِ ١٢ وَ ١٣ ) .

(٥) سِيْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ .

(١) الثَّلَمَةُ: الْخَلْلُ فِي الْغَائِطِ وَغَيْرِهِ .

(٤) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ( آيَةُ ٢٢ ) .

وَاللَّهِ مَا آمَنُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى عَوْرَتِنَا مِنْ وِرَاءِنَا مِنْ يَهُودٍ ، قَالَتْ : فَاحْتَجَزْتُ (١) ثُمَّ  
أَخَذْتُ عَمُوداً ، ثُمَّ نَزَلْتُ مِنَ الْحِصْنِ إِلَيْهِ ، فَضَرَبْتُهُ بِالْعَمُودِ حَتَّى قَتَلْتُهُ ، ثُمَّ  
رَجَعْتُ إِلَى الْحِصْنِ .

وَقَدْ كَانَ لِهَذَا الْفِعْلِ الْمَجِيدِ مِنْ عَمَّةِ الرَّسُولِ ﷺ أَثَرٌ عَمِيقٌ فِي حِفْظِ ذَرَارِي  
الْمُسْلِمِينَ وَنِسَائِهِمْ ، وَيَبْدُو أَنَّ الْيَهُودَ ظَنُّوا أَنَّ هَذِهِ الْأَطَامَ وَالْحُصُونِ فِي مَنَعَةٍ  
مِنَ الْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ خَالِيَةً مِنْهُمْ تَمَاماً ، فَلَمْ يَجْتَرِئُوا مَرَّةً ثَانِيَةً  
لِلْقِيَامِ بِمِثْلِ هَذَا الْعَمَلِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَخَذُوا يَمْدُونِ الْغَزَاةَ الْوَثِيئِينَ بِالْمُؤْنِ كَدَلِيلٍ  
عَمَلِيٍّ عَلَى انْضِمَامِهِمْ إِلَيْهِمْ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ .

وَلَمَّا بَلَغَتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَ مَسْلَمَةَ بْنَ أَسْلَمَ فِي مَائَتَيْنِ ، وَزَيْدَ  
بْنَ حَارِثَةَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ لِحِرَاسَةِ الْمَدِينَةِ خَوْفاً عَلَى النِّسَاءِ وَالذَّرَارِيِّ ، وَأَرْسَلَ  
الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ يَسْتَجْلِي لَهُ الْخَبَرَ ، فَوَجَدَهُمْ حَانِقِينَ يَظْهَرُ عَلَى وُجُوهِهِمُ الشَّرُّ  
وَنَالُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَمَامَهُ ، فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ الرَّسُولَ بِذَلِكَ .

وَهُنَالِكَ اشْتَدَّ وَجَلُّ الْمُسْلِمِينَ وَزَلْزَلُوا زَلْزَالاً شَدِيداً لِأَنَّ الْعَدُوَّ جَاءَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ  
وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ ، وَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَظَنُّوا بِاللَّهِ الظُّنُونَ .  
ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَأَى مَا فِيهِ أَصْحَابُهُ مِنَ الشَّدَةِ ، اسْتَشَارَ الْأَنْصَارَ فِي أَنْ  
يُعْطَى عِيْنَةَ بِنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ ، وَالْحَارِثَ بْنَ عَوْفِ الْمُرِّيِّ ( قَائِدِي غَطَفَانَ )  
ثَلَاثَ إِمَارِ الْمَدِينَةِ ، عَلَى أَنْ يُفَرِّقَا الْجَمْعَ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَهَذَا  
أَمْرٌ أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ لِأَبَدٍ مِنْهُ ، فَالْسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، أَمْ هُوَ أَمْرٌ تَصْنَعُهُ  
لَنَا ؟ ، قَالَ ﷺ : ( لَا ، بَلْ لِأَنْنِي رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ،  
فَارْدَتْ أَنْ أَكْبِرَ شَوْكَتَهُمْ ) ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ : قَدْ كُنَّا وَنَحْنُ وَهَؤُلَاءِ عَلَى الشَّرْكِ ،  
وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ مِنَّا بِتَمْرَةٍ إِلَّا قَرِيٌّ أَوْ بَيْعاً ، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَأَعَزَّنَا  
بِكَ نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا ؟ وَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ (٢) .

فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : ( اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، سَرِيعَ الْحِسَابِ ، اهْزِمِ

(٢) أَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي ( مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ) .

(١) احْتَجَزَتْ : شَدَّتْ وَسَطَلَهَا .

الْأَحْزَابَ ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْهُمْ ) (١)

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ الْعِنَايَةَ بِقَوْمٍ هَيَّا لَهُمْ أَسْبَابَ الظَّفَرِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ، فَلَنَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ الْعِنَايَةِ مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِدِينِهِ الْقَوِيمِ ؛ جَاءَ نَعِيمٌ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيُّ ( مِنْ غَطَفَانَ ) وَهُوَ صَدِيقُ قُرَيْشٍ وَالْيَهُودِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَقَوْمِي لَا يَعْلَمُونَ بِإِسْلَامِي فَامْرُنِي بِأَمْرِكَ حَتَّى أَسَاعِدَكَ ، فَقَالَ ﷺ : أَنْتَ رَجُلٌ وَاحِدٌ وَمَاذَا عَسَى أَنْ تَفْعَلَ ؟ وَلَكِنْ خَذَلْنَا عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ .

الْخُدْعَةُ فِي الْحَرْبِ : فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَوَجَّهَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ الَّذِينَ نَقَضُوا عُهُودَ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَكْرَمُوهُ لِصِدْقَتِهِ مَعَهُمْ ، فَقَالَ : يَا بَنِي قُرَيْظَةَ تَعْرِفُونَ وُدِّي لَكُمْ وَخَوْفِي عَلَيْكُمْ ، وَإِنِّي مُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاكْتُمُوهُ عَنِّي ، قَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا وَقَعَ بَيْنِي قَيْنِقَاعَ وَالنَّضِيرَ مِنْ إِجْلَائِهِمْ وَأَخَذِ أَمْوَالِهِمْ وَدِيَارِهِمْ ، وَإِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيَسُؤُوا مِثْلَكُمْ فَهَمُّ إِذَا رَأَوْا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا وَإِلَّا انصَرَفُوا لِبِلَادِهِمْ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَسَاكِنُونَ الرَّجُلَ ( يُرِيدُ الرَّسُولَ ) وَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بِحَرْبِهِ وَحَدِّكُمْ ، فَارَى أَلَّا تَدْخُلُوا فِي هَذِهِ الْحَرْبِ حَتَّى تَسْتَيْقِنُوا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ أَنَّهُمْ لَنْ يَتْرُكُوكُمْ وَيَذْهَبُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، قَالُوا : فَمَا الْعَمَلُ يَا نَعِيمٌ ؟ ، قَالَ : لَا تَقَاتِلُوا مَعَهُمْ حَتَّى يُعْطُوكُمْ رَهَائِنَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، قَالُوا : لَقَدْ أَشْرَتَ بِالرَّأْيِ .

ثُمَّ قَامَ نَعِيمٌ مِنْ عِنْدِهِمْ وَتَوَجَّهَ إِلَى قُرَيْشٍ فَاجْتَمَعَ بِرُؤَسَائِهِمْ وَقَالَ : أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ وُدِّي لَكُمْ وَمَحَبَّتِي إِيَّاكُمْ ، وَإِنِّي مُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاكْتُمُوهُ عَنِّي ، قَالُوا : نَفْعَلُ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ نَدِمُوا عَلَيَّ مَا فَعَلُوهُ مَعَ مُحَمَّدٍ وَخَافُوا مِنْكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا وَتَتْرُكُوهُمْ مَعَهُ ، فَقَالُوا لَهُ : أَيَرْضِيكَ أَنْ نَأْخُذَ جَمْعًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَنُعْطِيَهُمْ لَكَ وَتَرُدَّ جَنَاحَنَا الَّذِي كَسَرْتَ ( يُرِيدُ بَنِي النَّضِيرِ ) ؟ فَارَضِيَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ ، وَهَاهُمْ مُرْسَلُونَ إِلَيْكُمْ فَاحذَرُوهُمْ وَلَا تَذْكُرُوا مِمَّا قُلْتُ حَرْفًا .. ثُمَّ أَتَى غَطَفَانَ فَأَخْبَرَهُمْ بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ قُرَيْشًا ؛ فَأَرْسَلَ أَبُو سُفْيَانَ

وَقَدْ لَقِرِيظَةَ يَدْعُوهُمْ لِلْقِتَالِ غَدًا ، فَأَجَابُوا : إِنَّا لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نُقَاتِلَ فِي السَّبْتِ  
 ( وَكَانَ إِرْسَالُهُ لَيْلَةَ سَبْتٍ ) وَلَمْ يُصَبْنَا مَا أَصَابَنَا إِلَّا مِنَ التَّعَدِّي فِيهِ .. وَمَعَ ذَلِكَ  
 فَلَا نُقَاتِلُ حَتَّى تُعْطُونَا رَهَائِنَ مِنْكُمْ حَتَّى لَا تَتْرُكُونَا وَتَذْهَبُوا إِلَى بِلَادِكُمْ ،  
 فَتَحَقَّقَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ كَلَامَ نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَتَفَرَّقَتِ الْقُلُوبُ فَخَافَ بَعْضُهُمْ  
 بَعْضًا .

إِجَابَةُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْأَحْزَابِ : وَقَدْ أَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَى  
 الْأَعْدَاءِ رِيحًا بَارِدَةً فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ ، فَخَافَ الْعَرَبُ أَنْ تَتَّفِقَ الْيَهُودُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ  
 وَيَهْجَمُوا عَلَيْهِمْ فِي اللَّيْلَةِ الْمُذْلِمَةِ ، فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى الرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ  
 يُصْبِحَ الصَّبَاحُ .. وَلَمَّا سَمِعَ ﷺ الصُّوْضَاءَ فِي جَيْشِ الْعَدُوِّ ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ :  
 لَا بُدَّ مِنْ حَادِثٍ ، فَمَنْ مِنْكُمْ يَنْظُرُ لَنَا خَبَرَ الْقَوْمِ ؟ فَسَكَتُوا حَتَّى كَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثًا  
 وَكَانَ فِيهِمْ حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ، فَقَالَ ﷺ : تَسْمَعُ صَوْتِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ وَلَا تُجِيبُ !  
 فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الْبَرْدُ شَدِيدٌ ، فَقَالَ ﷺ : اذْهَبْ فِي حَاجَةِ رَسُولِ اللَّهِ  
 وَاکْتَشَفْ لَنَا خَبَرَ الْقَوْمِ ، فَخَاطَرَ ﷺ بِنَفْسِهِ فِي خِدْمَةِ نَبِيِّهِ ﷺ حَتَّى أَطَّلَعَ  
 عَلَى جَلِيَّةِ الْخَبَرِ ، وَأَنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ تَهَيَّأُوا لِلرَّحِيلِ .

هَزِيمَةُ الْأَحْزَابِ : وَقَدْ بَلَغَ مِنْ خَوْفِهِمْ أَنْ كَانَ رَئِيسُهُمْ أَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ لَهُمْ :  
 لِيَتَعَرَّفَ كُلُّ مِنْكُمْ أَخَاهُ وَلِيُمَسِكَ بِيَدِهِ حَذْرًا مِنْ أَنْ يَدْخُلَ بَيْنَكُمْ عَدُوٌّ ، وَقَدْ حَلَّ  
 عِقَالُ بَعِيرِهِ يُرِيدُ أَنْ يَبْدَأَ بِالرَّحِيلِ ، فَقَالَ لَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ : إِنَّكَ رَئِيسُ الْقَوْمِ  
 فَلَا تَتْرُكْهُمْ وَتَمْضِي ، فَنَزَلَ أَبُو سُفْيَانَ ، وَأَذَّنَ بِالرَّحِيلِ ، وَتَرَكَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ  
 فِي جَمَاعَةٍ لِيَحْمُوا ظُهُورَ الْمُرتَجِلِينَ حَتَّى لَا يَدْهَمُوا مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَأَزَاحَ اللَّهُ عَنِ  
 الْمُسْلِمِينَ هَذِهِ الْغَمَّةَ الَّتِي تَحَزَّبَ فِيهَا الْأَحْزَابُ مِنْ عَرَبٍ وَيَهُودٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ  
 وَلَوْلَا لُطْفُ اللَّهِ وَعِنَايَتُهُ بِهَذَا الدِّينِ مِنْهُ مِنْهُ وَفَضْلًا لَسَاءَتِ الْحَالُ .

وَكَانَ جَلَاءُ الْأَحْزَابِ فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ الْأَحْزَابِ مِنْ أَحْسَمِ  
 الْمَعَارِكِ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ ، تَمَخَّضَتْ عَنْ تَخَاذُلِ الْمُشْرِكِينَ ، وَلِذَلِكَ قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَجَلَى إِلَهُ الْأَحْزَابَ : ( لَنْ تَغْزُونَا فُرَيْشُ بَعْدَهَا أَبَدًا ، بَلْ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا ) ، وَكَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُسَمِّيَهُ نِعْمَةً بِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ (١) ﴾

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ :

وَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَخْطَعَ لِيَأْسَ الْحَرْبِ أَمْرَهُ اللَّهُ بِاللُّحُوقِ بِنَبِيِّ قُرَيْظَةَ حَتَّى يُطَهَّرَ أَرْضَهُ مِنْ قَوْمٍ لَمْ تَعُدْ تَنْفَعُ مَعَهُمُ الْعُهُودُ وَلَا تَرْبِطُهُمُ الْمَوَاقِيقُ ، وَلَا يَأْمَنُ الْمُسْلِمُونَ جَانِبَهُمْ فِي شِدَّةٍ ، فَقَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : ( لَا يُصَلِّينَ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ) (٢) ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَخَرَجَ ﷺ فِي كَوْكَبَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَلُواؤُهُ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ .

وَقَدْ أَدْرَكَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَصْحَابِ صَلَاةَ الْعَصْرِ فِي الطَّرِيقِ : فَصَلَّاهَا بَعْضُهُمْ حَامِلِينَ أَمْرَ الرَّسُولِ ﷺ بَعْدَ صَلَاتِهَا عَلَى قَصْدِ السَّرْعَةِ ، وَلَمْ يُصَلِّهَا الْآخَرُونَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ بَعْدَ مُضِيِّ وَقْتِهَا مُتَمَسِّكِينَ بِظَاهِرِ اللَّفْظِ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ يُعْنَفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ ( لِأَنَّ الْفَرِيقَيْنِ اجْتَهَدُوا وَكُلٌّ مِنْهُمَا مَا جُورٌ لِأَنَّ كُلَّ مُجْتَهِدٍ فِي الْفُرُوعِ مُصِيبٌ ، وَفِي ذَلِكَ فَسْحَةٌ لِلْإِثْمَةِ الْمُجْتَهِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ) .

وَلَمَّا رَأَى بَنُو قُرَيْظَةَ جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ أَلْقَى إِلَهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَرَادُوا التَّظَاهَرَ بِالتَّنَاضُلِ مِنْ فِعْلَتِهِمُ الْقَبِيحَةِ ( وَهِيَ الْعَدْرُ بِمَنْ عَاهَدَهُمْ وَقَتَ الشُّغْلِ بَعْدُ وَآخَرَ ) كَيْ يَسْلَمُوا مِمَّا حَاقَ بِهِمْ ، وَلَكِنْ أَنَّى لَهُمْ ذَلِكَ وَقَدْ ثَبَتَ لِلْمُسْلِمِينَ عَدْرُهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ تَحَصَّنُوا بِحُصُونِهِمْ ، وَحَاصَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ، فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودُ أَنَّ لَامَنَاصَ مِنَ الْحَرْبِ ، وَأَنَّهُمْ إِنْ اسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ مَاتُوا جُوعًا ، طَلَبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى مَا نَزَلَ عَلَيْهِ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْجَلَاءِ بِالْأَمْوَالِ وَتَرَكِ السَّلَاحَ ، فَلَمْ يَقْبَلِ الرَّسُولُ ﷺ ، فَطَلَبُوا جَلَاءَهُمْ

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(١) سُورَةُ الْأَحْزَابِ (الآيَةُ ٩) .



بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ مَالٍ وَلَا سِلَاحٍ ، فَلَمْ يَرْضَ ﷺ أَيْضاً ، بَلْ قَالَ : لَا بُدَّ مِنَ  
النُّزُولِ وَالرِّضَا بِمَا يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ خَيْراً كَانَ أَوْ شَرّاً ، فَقَالُوا لَهُ : أَرْسِلْ لَنَا أَبَا  
لُبَابَةَ نَسْتَشِيرُهُ ، وَكَانَ أَوْسِيّاً مِنْ حُلَفَاءِ قُرَيْظَةَ لَهُ بَيْنَهُمْ أَوْلَادٌ وَأَمْوَالٌ .

فَلَمَّا تَوَجَّهَ أَبُو لُبَابَةَ إِلَيْهِمْ تَلَقَّاهُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ ، فَفَرَّقَ لَهُمْ ،  
فَقَالُوا : أَتَرَى أَنْ نَنْزَلَ عَلَى حُكْمِ مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ  
( يَعْنِي : أَنَّ حُكْمَهُ الذَّبْحُ ) ثُمَّ نَدِمَ فِي مَقَامِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (١)  
فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، بَلْ ذَهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَرَبَطَ نَفْسَهُ بِسَارِيَةٍ فِي  
الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَذُوقُ ذَوْاقاً حَتَّى يُطَلِّقَنِي النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ ، فَأَقَامَ عَلَى  
ذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لَا يَذُوقُ ذَوْاقاً حَتَّى خَرَّ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ ، فَفَزَلَ فِيهِ :

﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ  
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) ، فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَغَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ ،  
فَأُطْلِقَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ ، وَلَمْ يَطَأْ ﷺ بِلَدِّ بَنِي قُرَيْظَةَ حَتَّى مَاتَ ، وَكَانَ يَقُولُ :  
وَاللَّهِ لَا أَرَى بِيَلَدِ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيهَا ، وَكَانَ لَهُ بِهَا أَمْوَالٌ فَتَرَكَهَا ﷺ .

نُزُولُ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ﷺ : ثُمَّ إِنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ عَادُوا وَسَأَلُوا  
النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا قَبِلَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ بَنِي النَّضِيرِ ، بِأَنْ يُجْلَوْا عَنْ بِلَدِهِمْ  
وَلَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ﷺ ، فَجَاءَ حُلَفَاؤُهُمْ مِنَ الْأَوْسِ ، وَقَالُوا :  
هَبْهُمْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمَا وَهَبْتَ بَنِي قَيْنِقَاعَ لِحُلَفَائِهِمْ الْخَزْرَجِ .. فَقَالَ ﷺ :  
( أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يُحْكَمَ فِيهِمْ سَيِّدُكُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ؟ ) ، قَالُوا : نَعَمْ .

تَوَجُّهُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ : وَكَانَ سَعْدٌ قَدْ أُصِيبَ بِسَهْمٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ،  
فَجَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خَيْمَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ، لِيَعُودَهُ عَنْ قُرْبٍ ، فَأَتَاهُ قَوْمُهُ  
فَاخْتَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ ، وَأَقْبَلُوا بِهِ ، وَهُمْ يَقُولُونَ : يَا أَبَا عَمْرٍو ، أَحْسِنْ إِلَى  
مَوَالِيكَ ( أَي : حُلَفَائِكَ ) ، فَقَالَ ﷺ : لَقَدْ أَنْ لِسَعْدٍ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ

(١) وَهِيَ ذَلِكِ الْآيَةِ ( تَبَأَى الَّذِينَ : آمَنُوا لَا تَحْرُوبُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحْرُوبُوا أَمْسِكُوا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) .

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ ( الْآيَةُ ١٠٢ ) .

لَا تَم .. فَلَمَّا دَنَا مِنْ جَمْعِهِمْ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ : ( هُوُمُوا إِلَي سَيِّدِكُمْ ) ، فَمَامَ  
الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ .

حُكْمُ سَعْدِ بْنِ قُرَيْظَةَ : فَحَكَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ بِقَتْلِ الرِّجَالِ وَسَبْيِ الذَّرَارِيِّ  
وَالنِّسَاءِ ، وَقِسْمَةِ الْأَمْوَالِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ فِيهِمْ ) .  
ثُمَّ أَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَفْزِيقِ الْحُكْمِ فَتَفَزَّقَ عَلَيْهِمْ ، وَجُمِعَتْ غَنَائِمُهُمْ ، فَكَانَتْ أَلْفًا  
وَخَمْسَمِائَةَ سَيْفٍ وَثَلَاثَمِائَةَ دِرْعٍ وَأَلْفِي رُمْحٍ وَخَمْسَمِائَةَ تَرَسٍ وَحَجَفَةٍ (١) ، وَوَجَدَ  
الْمُسْلِمُونَ أَثَانًا كَثِيرًا وَأَبْنِيَّةً وَأَجْمَالًا نَوَاضِحَ (٢) وَشِيَاهَا ، فَخَمَسَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ كُلَّهُ مَعَ  
النَّخْلِ وَالسَّبْيِ : لِلرَّاجِلِ ثَلَاثُ الْفَارِسِ ، وَأَعْطَى النِّسَاءَ اللَّاتِي يُمَرِّضُنَ الْجَرْحَى ؟  
وَوَجَدَ فِي الْغَنِيمَةِ جِرَارًا خَمْرًا فَأَرِيقَتْ .

وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مُتَفَضِّلًا بِقَوْلِهِ : ﴿ وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ  
وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٣) .

وَفَاةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لَمَّا أُصِيبَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ دَعَا اللَّهَ تَعَالَى  
فَقَالَ : اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا ، وَإِلَّا فَاجْعَلْهُ لِي  
شَهَادَةً ، وَلَا تُمِتَّنِي يَا رَبِّ حَتَّى تَمَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ .

فَلَمَّا انْقَضَى شَأْنُهُمْ وَرَجَعَ إِلَى خَيْمَتِهِ بِالْمَسْجِدِ ، اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ دَعْوَتَهُ ،  
فَانْفَجَرَ جُرْحُهُ فَمَاتَ فِيهَا .. وَلَمْ يَشْعُرْ أَحَدٌ بِمَوْتِهِ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،  
فَقَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي فَتَحَتْ لِرُوحِهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَاهْتَزَّتْ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ؟  
( أَي : طَرَبًا لِقُدُومِهِ ) فَمَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْرِعًا ، فَإِذَا سَعْدٌ قَدْ تُوَفِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

زَوَاجُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ أَيْضًا : بَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشِ  
الْأَسَدِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( وَأُمُّهَا أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ) بَعْدَ أَنْ  
زَوَّجَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا ، وَكَانَ لِزَوَاجِهَا شَأْنٌ جَلِيلٌ كَانَ بِمُقْتَضَاهُ تَحْرِيمُ التَّبَنِيِّ :

(١) الْحَجَفَةُ : التَّرْسُ مِنَ الْجُلُودِ لَيْسَ فِيهِ خَشَبٌ . (٢) هِيَ الْعَبِيرُ الَّتِي يُسْقَى عَلَيْهَا الْمَاءُ . (٣) سُورَةُ الْأَحْزَابِ (الآيَةُ ٢٧) .

فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أَي بِالْإِسْلَامِ  
 ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ أَي: بِالْعِنَقِ ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ رَوْحَكَ وَأَتَّقِ اللَّهَ وَخُفَى فِي  
 نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أَي: مُظْهِرُهُ ، لِأَنَّهُ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ ﷺ بِمَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ  
 مِنْ أَنَّهَا سَتَكُونُ زَوْجَتَهُ ﴿وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ (١) أَي: تَسْتَجِي  
 أَنْ ذَلِكَ يَظْهَرُ لَيْلًا يُشْنَعُ عَلَيْكَ الْمُنَافِقُونَ وَالْيَهُودُ أَنْكَ نَكَحْتَ مَنكُوحَةَ ابْنِكَ .  
 تَحْرِيمُ التَّبَنِيِّ : وَكَانَ مِنْ قَبْلُ قَدْ تَبَنَّى ﷺ زَيْدًا ، ثُمَّ حَرَّمَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى  
 الْأُمَّةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (٢) وَقَوْلِهِ :

﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٣)

فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِنِكَاحِهَا ، بَلْ أَنْكَحَهُ إِيَّاهَا لِتَقْتَدِيَ بِهِ الْأُمَّةُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ  
 فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٤)

وَمِنْ هَذَا الْحِينِ صَارَ اسْمُ زَيْدٍ ( زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ) بَدَلَ ( زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ) ،  
 وَأَصْبَحَ اسْمُهُ ﷺ يُتْلَى فِي الْقُرْآنِ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ .

اِفْتِخَارُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبَ ﷺ بِتَزْوِيجِ اللَّهِ لَهَا : وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ  
 أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ : وَكَانَتْ زَيْنَبُ ﷺ تَفْتَخِرُ فَتَقُولُ لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ  
 وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ : زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ ، وَزَوَّجَنِي رَبِّي مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ . (٥)

## الْحِجَابُ :

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ الْخَاصِّ بِنِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالْعَامِّ  
 بِنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ : وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ قَبْلَ نَزُولِ آيَاتِهِ يُحِبُّهُ وَيَذْكُرُهُ  
 كَثِيرًا وَيُودُّ أَنْ يَنْزَلَ فِيهِ قُرْآنٌ : وَكَانَ يَقُولُ : لَوْ أُطَاعَ فِيكَنَّ مَا رَأَتْكُنَّ عَيْنٌ ، فَنَزَلَ  
 فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ

(٢) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ( مِنْ الْآيَةِ ٤٠ ) .

(١) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢٧ ) .

(٤) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢٧ ) .

(٣) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ( مِنْ الْآيَةِ ٥ ) .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

ذَلِكَ أَطَهَرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبَهُنَّ) <sup>(١)</sup> ، فَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ : <sup>(٢)</sup> أَنْتَهَى أَنْ نُكَلِّمَ  
بَنَاتِ عَمَّنَا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۖ لَئِنْ مَاتَ مُحَمَّدٌ لَأَتَرَوْجَنَ عَائِشَةَ ۖ فَنَزَلَ بَعْدَ  
الآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنكِحُوا  
أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ <sup>(٣)</sup> .  
وَمِنَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ فِي فَرَضِيَّةِ الْحِجَابِ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَى النِّسَاءِ  
الْمُؤْمِنَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ  
يُذُنِينَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلْبَابٍ ۚ ذَٰلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۚ وَكَانَ  
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وَذَلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ، كَمَا كُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، تَبَرُّزُ الْمَرْأَةِ فِي  
دِرْعٍ وَخِمَارٍ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْحُرَّةِ وَالْأَمَةِ ، وَكَانَ الْفِتْيَانُ وَأَهْلُ الشُّطَارَةِ <sup>(٥)</sup> يَتَعَرَّضُونَ  
لِلْإِمَاءِ إِذَا خَرَجْنَ إِلَى مَقَاضِي حَوَائِجِهِنَّ فِي النَّخِيلِ وَالْفَيْطَانِ <sup>(٦)</sup> ، وَرُبَّمَا تَعَرَّضُوا  
لِلْحُرَّةِ بَعْلَةَ الْأَمَةِ يَقُولُونَ حَسْبُنَاهَا أَمَةٌ ، فَأَمْرُنَ أَنْ يُخَالِفَنَّ بَرِيهِنَّ زِيَّ الْإِمَاءِ بِأَنْ  
يُذُنِينَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ لِيُغَطِّيَ جَمِيعَ أَجْسَامِهِنَّ فِيمَا عَدَا الْوَجْهَ وَالْكَفَّيْنِ ،  
لِيَحْتَشِمْنَ وَيُهَبَّنَ فَلَا يَطْمَعَ فِيهِنَّ طَامِعٌ .

كَمَا أَمْرُنَ الْأَيْدِيْنَ زَيْنَتَهُنَّ لِلْأَجَانِبِ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا : كَالخَاتِمِ فِي الْإِصْبَعِ ،  
وَالخِضَابِ فِي الْيَدِ ، وَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ ، أَمَّا مَا خَفِيَ مِنْهَا فَلَا يَحِلُّ إِبْدَاؤُهُ :  
كَالسَّوَارِ لِلذَّرَاعِ ، وَالدَّمْلُجِ لِلْعَضِدِ ، وَالخُلْخَالِ لِلرَّجْلِ ، وَالقِلَادَةَ لِلعُنُقِ ، وَالْإِكْلِيلَ  
لِلرَّأْسِ ، وَالوِشَاحَ لِلصَّدْرِ ، وَالقُرْطَ لِلْأُذُنِ ( وَالْمُرَادُ بِالزَّيْنَةِ الظَّاهِرَةِ وَالخَفِيَّةِ  
مَوْضِعُهَا ) .. وَأَمْرُنَ أَيْضًا بِأَنْ يَضْرِبْنَ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى الْجُيُوبِ كَيْلَا تَبْقَى  
صُدُورُهُنَّ مَكشُوفَةً ، فَإِنَّ النِّسَاءَ إِذْ ذَاكَ كَانَتْ جُيُوبُهُنَّ وَاسِعَةً تَبْدُو مِنْهَا

(١) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ( مِنْ الْآيَةِ ٥٢ ) .

(٢) الْقَائِلُ : طَلَعَتْ بِنْتُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ بِنْتُ مَسْعُودِ بْنِ عَامِرٍ . يُقَالُ لَهُ ( طَلَعَتْ الْخَبْرَ ) تَمَيِّزًا لَهُ عَنْ طَلَعَتْ بِنْتُ عُبَيْدِ

اللَّهُ أَحَدَ الْمَشْرُوعَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ .

(٤) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ( مِنْ الْآيَةِ ٥٩ ) .

(٣) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ( مِنْ الْآيَةِ ٥٢ ) .

(٥) أَهْلُ الشُّطَارَةِ : أَهْلُ الدَّمَاءِ وَالغَيْثِ ، وَهُمْ الشُّطَارُ جَمْعُ شَاطِرٍ : وَهُوَ مَنْ أَعْيَى أَهْلَهُ .

(٦) الْفَيْطَانُ : جَمْعُ غَائِطٍ ، وَهُوَ الْأَرْضُ الْمُتَخَفِّضَةُ .

نُحُورُهُنَّ وَصُدُورُهُنَّ وَمَا حَوَّالِيهَا ، وَكُنَّ يَسُدُّنَ الخُمْرَ مِنْ وَرَائِهِنَّ ، وَنُهِنَ عَنْ  
 أَنْ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ أَنَّهُنَّ ذَوَاتُ خُلْخَالٍ . وَإِذَا كَانَ النَّهْيُ عَنْ إِظْهَارِ صَوْتِ  
 الخُلْيِ بَعْدَمَا نُهِنَ عَنْ إِظْهَارِ الخُلْيِ عُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ النَّهْيَ عَنْ إِظْهَارِ مَوَاضِعِ  
 الخُلْيِ أَبْلَغُ وَأَبْلَغُ : قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ  
 وَحَفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۗ وَلَا يَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ  
 عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ  
 بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ  
 أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي  
 الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۗ وَلَا  
 يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۗ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّةَ  
 المُّؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

أَمَّا حَجْبُ المَّرَأَةِ عَمَّنْ يُرِيدُ خِطْبَتَهَا فَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ يُفْعَلُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ  
 ﷺ ، وَلَا فِي عَهْدِ السَّلَفِ الصَّالِحِ .. فَإِنَّ الشَّارِعَ الحَكِيمَ سَنَّ ذَلِكَ لِيَكُونَ الرَّجُلُ  
 عَلَى عِلْمٍ مِمَّا يَقْدُمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَتِمَّ الوِفَاقُ وَالوِثَامُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فِي أَمْرِ أَجْمَعَ  
 عَلَيْهِ أَيْمَةُ الدِّينِ .

قَالَ حُجَّةُ الإِسْلَامِ الإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الغَزَالِيُّ فِي الإِحْيَاءِ : وَقَدْ نَبَّهَ الشَّرْعُ إِلَى  
 مُرَاعَاةِ أسبابِ الأُلْفَةِ ، وَلِذَلِكَ اسْتَحَبَّ النَّظْرُ فَقَالَ : إِذَا أَوْقَعَ اللَّهُ فِي نَفْسِ  
 أَحَدِكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤَدِمَ بَيْنَهُمَا ( أَي يُؤَلِّفَ بَيْنَهُمَا )  
 مِنْ وَفُوعِ الأَدَمَةِ عَلَى الأَدَمَةِ وَهِيَ الجِلْدَةُ البَاطِنَةُ وَبِشْرَةُ الجِلْدَةِ الظَّاهِرَةِ ؛ وَإِنَّمَا  
 ذَكَرَ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الاِئْتِلافِ .

وقال ﷺ : ( إِنْ فِي أعْيُنِ الأنصارِ بِاللَّيْلِ شَيْئاً ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْهُنَّ  
 فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِنَّ ) (٢) ، قِيلَ : كَانَ فِي أعْيُنِهِنَّ عَمَشٌ ، وَقِيلَ : صِغَرٌ .. وَكَانَ بَعْضُ

(١) سُوْرَةُ النُّورِ (الآيَةُ ٣١) . (٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (صَحِيحِهِ) ، وَالإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي (مُسْنَدِهِ) .

الصَّالِحِينَ لَا يُنْكِحُونَ كَرَائِمَهُمْ إِلَّا بَعْدَ النَّظَرِ احْتِرَازاً مِنَ الْغُرُورِ .. وَقَالَ  
الْأَعْمَشُ<sup>(١)</sup> : كُلُّ تَزْوِيجٍ يَقَعُ عَلَى غَيْرِ نَظَرٍ فَأَخْرَهُ هُمْ وَغَمٌّ .

فَرَضُ الْحَجِّ :

وَفِي هَذَا الْعَامِ ، عَلَى مَا عَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ ، فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَجَّ  
الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، لِيَجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ ، فَيَتَّجِهُوا  
إِلَى اللَّهِ ، وَيَبْتَهِلُوا إِلَيْهِ أَنْ يُؤَيِّدَهُمْ بِنَصْرِهِ وَيُعِينَهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ دِينِهِ الْقَوِيمِ ، وَفِي  
ذَلِكَ مِنْ تَقْوِيَةِ الرَّابِطَةِ وَاتِّحَادِ الْقُلُوبِ مَا فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ الْفَائِدَةُ الْعُظْمَى .

كَمَا شَرَعَ التَّيْمُمُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي حَالَةِ عَدَمِ وُجُودِ الْمَاءِ .

كَمَا نَزَلَ حُكْمُ صَلَاةِ الْخَوْفِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضاً .



(١) هُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَهْرَانَ ( الْمَلْقَبُ بِالْأَعْمَشِ ) . تَابِعِيٌّ مَشْهُورٌ . وَمَنْشُورُهُ وَوَفَاتُهُ فِي الْكُوفَةِ . كَانَ عَالِماً بِالْقُرْآنِ  
وَالْحَدِيثِ وَالْفَرَائِضِ . تُوُفِّيَ سَنَةَ ١٤٨ هـ .

(٢) وَذَهَبَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ إِلَى أَنَّ فَرَضَ الْحَجَّ كَانَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ وَمِنَ الْحَدِيثِيَّةِ فِي قَوْلِهِ : ( زَيْلُ الْحَجِّ وَالْفَرَائِضِ ) .

## السَّنةُ السَّادِسَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ

سَرِيَّةُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْلَمَةَ :

وَلِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ مُحَرَّمِ السَّنةِ السَّادِسَةِ أَرْسَلَ ﷺ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا لِشَنِّ الْغَارَةِ عَلَى بَنِي بَكْرِ بْنِ كِلَابِ الَّذِينَ كَانُوا نَازِلِينَ بِنَاحِيَةِ ضَرِيَّةَ (١) فَسَارَ إِلَيْهِمْ يَكْمُنُ النَّهَارَ وَيَسِيرُ اللَّيْلَ حَتَّى دَهَمَهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَشْرَةَ وَهَرَبَ بَاقِيَهُمْ ، فَاسْتَأْذَنَ السَّرِيَّةَ النَّعْمَ وَالشَّيْءَ وَعَادُوا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَدِ اتَّقَوْا وَهُمْ عَائِدُونَ بِثَمَامَةَ بْنِ أَثَالِ الْحَنْفِيِّ مِنْ عُظْمَاءِ بَنِي حَنْيَفَةَ فَأَسْرَوْهُ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ ، فَلَمَّا أَتَوْا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَرَفَهُ وَعَامَلَهُ بِمُنْتَهَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، فَإِنَّهُ أَطْلَقَ إِسَارَهُ بَعْدَ ثَلَاثِ أَيَّامٍ فِيهَا الْأَنْتِقِيَادَ لِلْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ .

وَلَمَّا رَأَى ثَمَامَةَ هَذِهِ الْمُعَامَلَةَ وَهَذِهِ الْمَكَارِمَ رَأَى مِنَ الْعَبَثِ أَنْ يَتَّبِعَ هَوَاهُ وَيَتْرَكَ دِينًا عِمَادُهُ الْمَحَامِدُ ، فَاعْتَسَلَ وَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ مُكْرَهُ وَخَاطَبَ الرَّسُولَ بِقَوْلِهِ : يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ وَأَظْهَرَ فِيهَا إِسْلَامَهُ ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ : صَبَوْتُ ، قَالَ : لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَرَادَتْ فُرَيْشُ إِيْدَاءَهُ فَذَكَرُوا أَحْتِيَاجَهُمْ لِحُبُوبِ الْيَمَامَةِ الَّتِي مِنْهَا ثَمَامَةُ فَتَرَكَوهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ حَلَفَ أَلَّا تَأْتِيَهُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ .. وَقَدْ نَفَذَ ذَلِكَ حَتَّى جَهَدَتْ فُرَيْشُ جِدًّا وَلَمْ يَرَوْا بُدْأً مِنَ الْاسْتِغَاثَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَامَلَهُمْ ﷺ بِمَا جِبِلَّ عَلَيْهِ مِنَ الشَّفَقَةِ وَالْمَرْحَمَةِ ، وَأَرْسَلَ ﷺ لِثَمَامَةَ أَنْ يُعِيدَ عَلَيْهِمْ مَا كَانَ يَأْتِيهِمْ مِنْ أَقْوَاتِ الْيَمَامَةِ فَفَعَلَ .

وَقَدْ كَانَ لِهَذَا الرَّجُلِ الْكَرِيمِ الْأَصْلِ قَدَمٌ رَاسِخَةٌ فِي الْإِسْلَامِ عَقِبَ انْتِقَالِ

(١) مَوْضِعٌ عَلَى سَبْعِ لِهَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي طَرِيقِ الْبَصْرَةِ .

الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الرَّهْبِقِ الْأَعْلَى ، حِينَمَا أَرْتَدَّ أَكْثَرُ أَهْلِ بِلَادِهِ ، فَكَانَ ﷺ يَنْهَى قَوْمَهُ عَنِ اتِّبَاعِ مُسَيْلِمَةَ وَيَقُولُ لَهُمْ : إِيَّاكُمْ وَأَمْرًا مُظْلِمًا لَا نُورَ فِيهِ ، وَإِنَّهُ لَشَقَاءُ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَهُ ، فَثَبَّتَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِ .

غَزْوَةُ بَنِي لَحْيَانَ :

بَنُو لَحْيَانَ هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوا عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ وَإِخْوَانَهُ ( وَذَلِكَ فِي سَرِيَّةٍ بَعَثَ الرَّجِيعِ ) ، وَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَزِينًا عَلَيْهِمْ مُتَشَوِّقًا لِلْقِصَاصِ مِنْ عَدُوِّهِمْ حَتَّى رَيْعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتَّجْهِزِ وَلَمْ يُظْهِرْ لَهُمْ مَقْصِدَهُ ( كَمَا هِيَ عَادَتُهُ ﷺ فِي غَالِبِ الْغَزَوَاتِ ) ، لِتَعْمَى الْأَخْبَارُ عَنِ الْأَعْدَاءِ ، وَوَلَّى عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَسَارَ ﷺ فِي مَائَتِي رَاكِبٍ مَعَهُمْ عِشْرُونَ فَرَسًا .. وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّى انْتَهَى ﷺ إِلَى حَيْثُ كَانَ مُصَابُ أَصْحَابِهِ أَهْلِي الرَّجِيعِ فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ ، فَسَمِعَتْ بِهِ بَنُو لَحْيَانَ فَهَرَبُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ فَأَقَامَ ﷺ بِدِيَارِهِمْ يَوْمِينَ يَبِيعُ السَّرَايَا فَلَا يَجِدُونَ أَحَدًا ، ثُمَّ خَرَجَ ﷺ حَتَّى أَتَى عُسْفَانَ (١) ، فَبِعَتْ أبا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي عَشْرَةِ فَوَارِسَ : حَتَّى يَعْلَمَ بِهِمْ أَهْلُ مَكَّةَ فَيَدْخُلُهُمُ الرُّعْبُ ، فَذَهَبُوا إِلَى كُرَاعِ الْقَمِيمِ (٢) ، ثُمَّ رَجَعَ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَقُولُ : ( آيِبُونَ تَائِبُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ ) .

غَزْوَةُ الْغَابَةِ (٤)

وَسَبَبُهَا أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِشْرُونَ لِقْحَةً (٥) تَرَعَى بِالْغَابَةِ وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهَا ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ عُبَيْدَةُ بْنُ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي أَرْبَعِينَ فَارِسًا فَاسْتَأْفَوْهَا وَقَتَلُوا ابْنَ أَبِي ذَرٍّ ، فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ الْخَبْرُ ، وَالَّذِي بَلَغَهُ هُوَ سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ (٦) أَحَدُ رُمَاءِ أَسْلَمَ (٧) ، وَكَانَ عَدَاءً ، فَأَمَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِأَنْ يَخْرُجَ فِي أَثَرِ الْقَوْمِ لِيَسْغَلَهُمْ

(١) مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مَكَّةَ .

(٢) وَعْثَاءُ السَّفَرِ : مَشَقَّةُ وَجْدَتُهُ .

(٣) مَوْضِعٌ عَلَى بَرِيَّةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ جِهَةَ حُطْفَانَ .

(٤) اللَّقْحَةُ : الثَّاقَةُ ذَاتُ لَبَنِ قَرِيبَةٌ بِالْمُهْدِ بِالْوِلَادَةِ .

(٥) وَهُوَ سَلْمَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سِنَانَ الْأَكْوَعِ الْأَسْلَمِيُّ ، كَانَ مِنَ الشُّجْعَانَ وَيَسْبِقُ الْفَرَسَ عَدْوًا ، بَاعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَأَوَّلَ

مُشَاهِدِهِ الْعَدْنِيَّةَ ، لَهُ رِوَايَةٌ ، تُوفِّيَ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ سَنَةَ ٧٤ هـ . (٧) أَي مِنْ قَبِيلَةِ أَسْلَمَ .



بِالنَّبْلِ حَتَّى يُدْرِكَهُمُ الْمُسْلِمُونَ . . ثُمَّ نَادَى ﷺ يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي ، وَرَكِبَ ﷺ فِي خَمْسِمِائَةٍ وَعَقَدَ لِلْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو لِيَوَاءَ ، وَقَالَ لَهُ : امْضِ حَتَّى تَلْحَقَكَ الْخَيُْولُ وَأَنَا عَلَى أَثْرِكَ .

ثُمَّ إِنَّ سَلْمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ خَرَجَ يَشْتَدُّ فِي أَثْرِ الْعَدُوِّ حَتَّى لَحِقَهُمْ وَجَعَلَ يَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ ، فَإِذَا وَجَّهَتِ الْخَيْلُ نَعْوَهُ رَجَعَ هَارِباً فَلَا يُلْحَقُ ، فَإِذَا دَخَلَتِ الْخَيْلُ بَعْضَ الْمَضَائِقِ عَلَا الْجَبَلَ فَرَمَى عَلَيْهَا الْحِجَارَةَ ، حَتَّى أَتَقَوْا كَثِيراً مِمَّا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الرَّمَاكِ وَالسَّلَاحِ لِيُخَفَّفُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ حَتَّى لَا يَلْحَقَهُمُ الْجَيْشُ ، وَلَمْ يَزَلْ سَلْمَةُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَلَا حَقَّ بِهِ الْجَيْشُ ، وَتَبِعَتْهُ الْفُرْسَانُ حَتَّى أَدْرَكُوا أَوَاجِرَ الْعَدُوِّ ، فَحَصَلَتْ بَيْنَهُمْ مُنَاوَشَاتٌ قُتِلَ فِيهَا مُسْلِمٌ وَمُشْرِكَانِ ، وَاسْتَنْقَذَ الْمُسْلِمُونَ غَالِبَ اللَّفَاحِ ، وَهَرَبَ أَوَائِلُ الْقَوْمِ بِالْبَقِيَّةِ .. وَطَلَبَ سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرْسِلَهُ مَعَ جَمَاعَةٍ فِي أَثْرِ الْقَوْمِ لِيَأْخُذَهُمْ عَلَى غِرَّةٍ (١) وَهُمْ نَازِلُونَ عَلَى أَحَدِ مِيَاهِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ ﷺ : (مَلَكْتَ فَاسْجِحْ) (٢) ، ثُمَّ رَجَعَ ﷺ بَعْدَ خَمْسِ لَيَالٍ . سَرِيَّةُ عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنِ الْأَسَدِيِّ :

كَانَ بَنُو أَسَدِ الَّذِينَ مَرَّ ذِكْرُهُمْ كَثِيراً مَا يُؤْذُونَ مَنْ يَمُرُّ بِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَرْسَلَ لَهُمْ ﷺ عُكَّاشَةَ (٣) بْنَ مِحْصَنِ فِي أَرْبَعِينَ رَاكِباً لِيُغِيرَ عَلَيْهِمْ . وَلَمَّا قَارَبَ بِلَادَهُمْ عَلِمُوا بِهِ فَهَرَبُوا ، فَاسْتَأْذَنَ ﷺ مَائَتِي بَعِيرٍ وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا .

سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ :

وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ بَلَغَهُ ﷺ أَنَّ مَنْ بَدَى الْقِصَّةَ يُرِيدُونَ الْإِغَارَةَ عَلَى نَعَمِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي تَرَعَى بِالْهَيْفَاءِ (٥) ، فَأَرْسَلَ ﷺ لَهُمْ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فِي عَشْرَةِ مِنْ

(١) غِرَّةٌ : فُتْلَةٌ . (٢) مَلَكْتَ فَاسْجِحْ : أَي قَدَرْتَ فَسَهَّلْ وَأَخْبِرِ الْعَفْوُ . وَهُوَ مَثَلٌ سَائِرٌ .

(٣) حَلِيفُ بَنِي عُبَيْدِ شَمْعَسٍ . مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ . شَهِدَ بَدْرًا وَاسْتَشْهَدَ فِي حَرْبِ الرَّدَّةِ . وَهُوَ الَّذِي سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَكُونَ مِنَ السُّبُهَيْنِ أَلْفَا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَعِنْدَمَا سَأَلَهُ آخَرُ قَالَ ﷺ : (سَبَقَكَ عُكَّاشَةُ) . فَصَارَتْ مَثَلًا لِمَنْ يُسَبِّقُ فِي الْأَمْرِ . (٤) مُؤَضَّعٌ عَلَى ثَلَاثِينَ كَيْلُومِتْرًا مِنَ الْمَدِينَةِ فِي طَرِيقِ الرَّبَذَةِ .

(٥) مُؤَضَّعٌ قُرْبَ الْمَدِينَةِ عَلَى بَسْفَةِ كَيْلُومِتْرَاتٍ .

المُسْلِمِينَ ، فَبَلَغَ دِيَارَهُمْ لَيْلًا وَقَدْ كَمَنَ الْمُشْرِكُونَ حِينَمَا عَلِمُوا بِهِمْ ، فَتَنَامَ  
 الْمُسْلِمُونَ وَلَمْ يَشْعُرُوا إِلَّا وَالتَّبَلُّ قَدْ خَالَطَهُمْ ، فَتَوَاثَبُوا عَلَى أَسْلِحَتِهِمْ ، وَلَكِنْ  
 تَقَلَّبَ عَلَيْهِمُ الْأَعْدَاءُ فَفَقَتَلُوهُمْ إِلَّا مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ تَرَكَوهُ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ قَتِيلٌ ، فَعَادَ  
 ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْبَرَ الرَّسُولَ ﷺ ، فَأَرْسَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَامِرَ بْنَ الْجَرَّاحِ فِي  
 رَبِيعِ الثَّانِي لِيَقْتَصَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ ، فَلَمَّا وَصَلَ دِيَارَهُمْ وَجَدَهُمْ تَشَتَّتُوا هَارِبِينَ ،  
 فَاسْتَأْقَ نَعْمَهُمْ وَرَجَعَ ﷺ .

سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ :

عَاكَسَ بَنُو سُلَيْمِ الَّذِينَ كَانُوا مِنَ الْمُتَحَرِّبِينَ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ الْمُسْلِمِينَ فِي  
 سَيْرِهِمْ ، فَأَرْسَلَ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ﷺ فِي رَبِيعِ الثَّانِي لِيُغَيِّرَ عَلَيْهِمْ فِي  
 الْجَمُومِ ، فَلَمَّا بَلَغُوا دِيَارَهُمْ وَجَدُوهُمْ تَفَرَّقُوا ، وَوَجَدُوا هُنَاكَ امْرَأَةً مِنْ مُزَيْنَةَ  
 دَلَّتْهُمْ عَلَى مَنَازِلِ بَنِي سُلَيْمٍ فَأَصَابُوا بِهَا نِعْمًا وَشَاءَ ، وَوَجَدُوا رِجَالًا أَسْرَوْهُمْ ،  
 وَفِيهِمْ زَوْجُ تِلْكَ الْمَرْأَةِ ، فَرَجَعُوا بِذَلِكَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَهَبَ الرَّسُولُ ﷺ لِهَذِهِ  
 الْمَرْأَةِ نَفْسَهَا وَزَوْجَهَا .

سَرِيَّةُ زَيْدِ أَيْضًا :

بَلَغَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ عَيْرًا لِقُرَيْشٍ أَقْبَلَتْ مِنَ الشَّامِ تُرِيدُ مَكَّةَ ، فَأَرْسَلَ لَهَا زَيْدَ بْنَ  
 حَارِثَةَ فِي مِائَةٍ وَسَبْعِينَ رَاكِبًا لِيُعْتَرِضَهَا ، فَأَخَذَهَا وَمَا فِيهَا وَأَسْرَ مِنْ مَعَهَا مِنْ  
 الرِّجَالِ ، وَفِيهِمْ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ زَوْجُ زَيْنَبِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ مِنْ  
 رِجَالِ مَكَّةَ الْمَعْدُودِينَ تِجَارَةً وَمَالًا وَأَمَانَةً ، فَاسْتَجَارَ بِزَوْجِهِ زَيْنَبَ فَأَجَارَتْهُ ،  
 وَنَادَتْ بِذَلِكَ فِي مَجْمَعِ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ ﷺ : ( الْمُسْلِمُونَ يَدُ وَاحِدَةٍ يُجِيرُ عَلَيْهِمْ  
 أَدْنَاهُمْ ، وَقَدْ أَجْرْنَا مَنْ أَجْرْتِ ) ، وَهَذَا أَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي الْمُسَاوَاةِ بَيْنَ أَفْرَادِ  
 الْمُسْلِمِينَ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ مَالَهُ بِأَسْرِهِ لَا يُفْقَدُ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَذَهَبَ إِلَى  
 مَكَّةَ فَأَدَّى لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُسْلِمًا ، فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 زَوْجَهُ ؛ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ وَنَيْفٍ كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ . (٢)

سَرِيَّةُ زَيْدٍ أَيْضاً إِلَى بَنِي تَعْلَبَةَ :

وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ أَرْسَلَ ﷺ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا لِلإِغَارَةِ عَلَى بَنِي تَعْلَبَةَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْلَمَةَ ، وَهُمْ مُقِيمُونَ بِالطَّرَفِ (١) ، فَتَوَجَّهَتْ السَّرِيَّةُ لِذَلِكَ ، وَلَمَّا رَأَهُمُ الْأَعْدَاءُ ظَنُّوهُمْ طَلِيعَةً لِحَيْشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَهَرَبُوا وَتَرَكُوا نَعْمَهُمْ وَشَاءَهُمْ ، فَاسْتَأْفَقَهَا الْمُسْلِمُونَ وَرَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَرْبَعِ لَيَالٍ .

سَرِيَّةُ زَيْدٍ أَيْضاً إِلَى وَادِي الْقُرَى :

وَفِي رَجَبٍ أَرْسَلَ ﷺ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ لِتُغْيِرَ عَلَى بَنِي فِزَارَةَ لِأَنَّهُمْ تَعَرَّضُوا لِزَيْدٍ وَهُوَ رَاجِعٌ بِتِجَارَةٍ مِنَ الشَّامِ فَسَلَبُوا مَا مَعَهُ وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ ، فَلَمَّا جَاءَ الْمَدِينَةَ وَأَخْبَرَ الرَّسُولَ ﷺ الْخَبَرَ أَرْسَلَهُ مَعَ رِجَالِهِ لِلْقِصَاصِ مِنْ فِزَارَةَ الْمُقِيمِينَ فِي وَادِي الْقُرَى (٢) ، فَسَارُوا حَتَّى دَهَمُوا الْعَدُوَّ وَأَحَاطُوا بِهِمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمْعًا كَثِيرًا ، وَأَخَذُوا امْرَأَةً مِنْ كِبَارِهِمْ أُسِيرَةً ، فَاسْتَوْهَبَهَا ﷺ مِمَّنْ أَسْرَهَا وَقَدَى بِهَا أُسِيرًا كَانَ بِمَكَّةَ .

سَرِيَّةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ :

وَفِي شَهْرِ شَعْبَانَ أَرْسَلَ ﷺ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ مَعَ سَبْعِمِائَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ لِغَزْوِ بَنِي كَلْبٍ فِي دُومَةِ الْجَنْدَلِ (٣) ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَقْعَدَهُ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَمَّمَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ لَهُ : ( اغْزُ بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَلَا تَقْدُرْ وَلَا تَقْتُلْ وَليِدًا ، وَإِنْ اسْتَجَابُوا لَكَ فَتَزَوَّجْ ابْنَةَ مَلِكِهِمْ ) ، فَسَارَ ﷺ حَتَّى قَدِمَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ فَهَمَكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَاسْلَمَ الْأَصْبَغُ بْنُ عَمْرِو الْكَلْبِيُّ (٤) ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا وَكَانَ رَئِيسَهُمْ ، وَأَسْلَمَ مَعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِ وَأَقَامَ مِنْ أَقَامٍ عَلَى إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ ، وَتَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ﷺ ثَمَاضِرَ بِنْتَ

(١) مائة على خمس وأربعين كيلو متراً من المدينة في طريق العراق .

(٢) موضع شمالي المدينة على سبع ليالٍ منها .

(٣) حصن وقري بينها وبين دمشق خمس ليالٍ وبين المدينة خمس عشرة ليلة سبياً على الجمال آنذاك .

(٤) ذكره ابن حجر في (الإصابة) في الطبقة الثالثة ممن أسلموا ولم تثبت لهم رؤية النبي ﷺ .

الأصْبَغِ كَمَا أَمَرَهُ ﷺ ، وَقَدِمَ بِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَلَدَتْ لَهُ أَبَا سَلَمَةَ .  
سَرِيَّةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى فَدَكِ :

وَفِي شَهْرِ شَعْبَانَ أَرْسَلَ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَائَةِ لِعَزْوِ بَنِي سَعْدِ بْنِ  
بَكْرِ بَ ( فَدَكِ ) ( ١ ) ؛ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ ﷺ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ الْجِيُوشَ لِمُسَاعَدَةِ يَهُودِ خَيْبَرَ عَلَى  
حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ مُقَابِلَ تَمْرِ يُعْطَوْنَهُ مِنْ تَمْرِ خَيْبَرَ ، فَسَارَتِ السَّرِيَّةُ ، وَبَيْنَمَا هُمْ  
سَائِرُونَ التَّقْوَا بِجَاسُوسِ الْعَدُوِّ أَرْسَلُوهُ إِلَى خَيْبَرَ لِيُعْقِدَ الْمُعَاهَدَةَ مَعَ يَهُودِهَا ،  
فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَدْلَهُمْ عَلَى الْقَوْمِ وَهُوَ آمِنٌ ، فَدَلَّهُمْ عَلَى مَوْضِعِهِمْ ، فَاسْتَأْذَنُوا مِنْهُ  
الْمُسْلِمُونَ نَعَمَ الْقَوْمِ ، وَهَرَبَ الرُّعَاةُ فَحَذَرُوا قَوْمَهُمْ ، فَدَخَلَهُمُ الرُّعْبُ وَتَفَرَّقُوا  
فَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ وَمَعَهُمْ خَمْسُمِائَةَ بَعِيرٍ وَأَلْفَا شَاةٍ .. وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْمُشْرِكِينَ  
فَلَمْ يُؤَدُّوا الْيَهُودَ بِشَيْءٍ .

قَتْلُ أَبِي رَافِعٍ : ( سَلَامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ ) :

وَكَانَ الْمُحَرِّكَ لِأَهْلِ خَيْبَرَ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ سَيِّدُهُمْ أَبُو رَافِعٍ سَلَامُ بْنُ  
أَبِي الْحَقِيقِ الْمُلقَّبُ بِتَاجِرِ أَهْلِ الْحِجَازِ ، لِمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْمَهَارَةِ فِي التِّجَارَةِ ،  
وَكَانَ ذَا ثَرَوَةٍ طَائِلَةٍ يُقَلِّبُ بِهَا قُلُوبَ الْيَهُودِ كَمَا يُرِيدُ ، فَانْتَدَبَ لَهُ ﷺ مَنْ يَقْتُلُهُ ،  
فَأَجَابَ لِذَلِكَ خَمْسَةَ رِجَالٍ مِنَ الْخَزْرَجِ رَأْسُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ ، رَغْبَةً مِنْهُمْ  
أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِثْلُ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْأَوْسِ الَّذِينَ قَتَلُوا كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ ، فَقَدْ كَانَ  
دَأْبُ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ التَّنَافُسَ عَلَى عَمَلِ مَا يُرْضِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؛ فَلَا تَعْمَلُ  
الْأَوْسُ عَمَلًا إِلَّا اجْتَهَدَ الْخَزْرَجُ فِي مِثْلِهِ .

فَقِي ( صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ) ، عَنِ الْبِرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي النَّبِيَّ  
ﷺ ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ ، وَهَدَّ

( ١ ) فَزْنَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ مِثْلُ لَيَالٍ مِنْ جِهَةِ خَيْبَرَ .

( ٢ ) وَهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ ، وَمُسْمُودُ بْنُ سِنَانَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُتَيْسٍ ، وَأَبُو قَتَادَةَ الْعَارِثُ بْنُ زُبَيْرٍ ، وَخُزَاعِيٌّ بْنُ أَسْوَدٍ .

غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرَحِهِمْ<sup>(١)</sup> ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ لِأَصْحَابِهِ :  
 اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ ( أَي : خَارِجَ السُّورِ ) فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَابِ ، لَعَلِّي أَنْ  
 أَدْخُلُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْبَابِ ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ ( أَي : غَطَّى بِهِ رَأْسَهُ ) كَأَنَّهُ  
 يَقْضِي الْحَاجَةَ ، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ ، فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَابُ : يَا هَذَا ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ  
 تَدْخُلَ فَادْخُلْ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ ، قَالَ : فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ ( أَي : اخْتَفَيْتُ )  
 فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَوَابُ الْبَابَ ، ثُمَّ عَلِقَ الْمَفَاتِيحَ عَلَيَّ وَتَدَّى ، قَالَ : فَكَمَنْتُ  
 إِلَى الْأَعْلِيْقِ فَأَخَذْتُهَا ، فَفَتَحْتُ الْبَابَ ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يَسْمُرُ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي  
 عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup> لَهُ ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ ، صَعِدْتُ إِلَيْهِ ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا  
 أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ ، وَقُلْتُ : إِنْ يَدْرِي الْقَوْمُ لَمْ يَخْلُصَ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى  
 أَقْتُلَهُ ( أَي : وَإِنْ قَتَلُونِي بَعْدَهُ ) ، فَاَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسَطٍ  
 عِيَالِهِ ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا رَافِعٍ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ  
 الصَّوْتِ ، فَضْرِبْتُهُ بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهْشُ ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا<sup>(٣)</sup> ، وَصَاحَ ، فَخَرَجْتُ مِنَ  
 الْبَيْتِ ، فَكَمَنْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ ؟  
 وَغَيَّرْتُ صَوْتِي كَأَنِّي أُغَيِّئُهُ ، فَقَالَ : إِنْ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي بِالسَّيْفِ ، قَالَ :  
 فَضْرِبْتُهُ ضَرْبَةً فَأَتْخَنْتُهُ ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظُبَّةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ ، وَاعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ حَتَّى  
 خَرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَدْ قَتَلْتُهُ ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بَابًا ، حَتَّى  
 انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي ، وَأَنَا أَظُنُّ أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ ،  
 فَوَقَعْتُ ، فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا ، ثُمَّ جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ ، وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا  
 أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَنِّي قَتَلْتُهُ ، فَكَمَنْتُ إِلَى أَنْ صَاحَ الدَّيْكَ ، فَحَامَ النَّاعِي  
 عَلَى السُّورِ ، وَقَالَ : أُنْعِمِي أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي ،  
 فَقُلْتُ : النَّجَاءُ<sup>(٥)</sup> ، فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ ، فَاَنْتَهَيْتُنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ ، فَقَالَ :  
 ( ابْسُطْ رِجْلَكَ ) ، فَبَسَطْتُهَا فَمَسَحَهَا بِيَدِهِ ، فَكَأَنِّي لَمْ أَشْكُهَا قَطُّ<sup>(٦)</sup> .

(١) سَرَحُهُمْ : مَوَاشِيَهُمْ .

(٢) الْمَلِيَّةُ : الْمَرْقَمَةُ فَوْقَ الدَّارِ .

(٣) فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا : أَي لَمْ أَقْتُلْهُ .

(٤) ظُبَّةُ السَّيْفِ : حَرْفُ حَدِّ السَّيْفِ .

(٥) النَّجَاءُ : أَي أَسْرَعُوا وَانْجَوُوا بِأَنْفُسِكُمْ .

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَوْبِهِ .

فَلْتَنْظُرْ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ مِنْ اسْتِسْهَالِ الْمَصَاعِبِ مَا دَامَتْ فِي إِرْضَاءِ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ .

سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ :

فَإِنَّهُ لَمَّا قُتِلَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَلَى الْيَهُودُ مَكَانَهُ أُسِيرَ بَنُ رِزَامٍ ، فَأَرْسَلَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ يَسْتَعْلِمُ لَهُ خَبْرَهُ ، فَجَاءَتْهُ الْأَخْبَارُ بِأَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ : سَأَصْنَعُ  
بِمُحَمَّدٍ مَا لَمْ يَصْنَعْ أَحَدٌ قَبْلِي ، أُسِيرُ إِلَى غَطَفَانَ فَأَجْمَعُهُمْ لِحَرْبِهِ ، وَسَعَى فِي  
ذَلِكَ . فَأَرْسَلَ ﷺ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْخَزْرَجِيُّ فِي ثَلَاثِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ  
لِاسْتِمَالَتِهِ ، فَخَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا خَيْبَرَ ، وَقَالُوا لِأُسَيْرٍ : نَحْنُ آمِنُونَ حَتَّى نَعْرِضَ  
عَلَيْكَ مَا جِئْنَا بِهِ ، قَالَ : نَعَمْ وَلِي مِثْلُ ذَلِكَ ، فَأَجَابُوهُ : ثُمَّ عَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَقْدَمَ  
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَيَتْرَكَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَرْبِ فَيُؤَلِّيَهُ الرَّسُولُ عَلَى خَيْبَرَ  
فَيُعِيْشَ أَهْلَهَا بِسَلَامٍ فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ ، وَخَرَجَ فِي ثَلَاثِينَ يَهُودِيًّا ؛ كُلُّ يَهُودِيٍّ  
رَدِيفٌ لِمُسْلِمٍ ، وَبَيْنَمَا هُمْ فِي الطَّرِيقِ أَرَادَ أُسَيْرٌ التَّخَلُّصَ بِمَنْ أَمَّنُوهُ بِالْغَدْرِ .  
فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى سَيْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : أَعْدْرًا يَا عَدُوَّ اللَّهِ  
! ثُمَّ نَزَلَ وَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَأَطَاحَ عَامَةً فَخَذِهِ ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ هَلَكَ ، فَقَامَ  
الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَنْ مَعَهُ مِنَ الْيَهُودِ فَفَقَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، وَهَذِهِ عَاقِبَةُ الْغَدْرِ .  
قِصَّةُ عُكْلِ وَعُرَيْنَةَ :

قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ جَمَاعَةٌ مِنْ عُكْلِ وَعُرَيْنَةَ فَأَظْهَرُوا  
الْإِسْلَامَ وَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانُوا سِقَامًا مُصْفَرَّةً أَلْوَانُهُمْ عَظِيمَةً بَطُونُهُمْ .  
فَلَمَّا يُوَافِقُهُمْ هَوَاءُ الْمَدِينَةِ ، فَأَمَرَ لَهُمْ ﷺ بِذُودٍ (١) مِنَ الْإِبِلِ مَعَهَا رَاعٍ ، وَأَمَرَهُمْ  
بِالْحَوْقِ بِهَا فِي مَرَعَاهَا لِيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَفَعَلُوا ، وَلَمَّا تَمَّ شِفَاؤُهُمْ  
جَازَوْا الْإِحْسَانَ كُفْرًا ، فَفَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَمَثَلُوا بِهِ وَاسْتَأْفَقُوا الْإِبِلَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَ وَرَاءَهُمْ كُرْزُ بْنُ جَابِرِ الْفِهْرِيِّ فِي عِشْرِينَ فَارِسًا ، فَلَحِقُوا  
بِهِمْ وَقَبِضُوا عَلَى جَمِيعِهِمْ .

(١) الذُّودُ مِنَ الْإِبِلِ : مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الْمَشْرِ ، وَقِيلَ يَكُونُ مِنَ الْإِنَاثِ دُونَ الذُّكُورِ .

وَلَمَّا جِيءَ بِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، أَمَرَ ﷺ أَنْ يُمَثَّلَ بِهِمْ كَمَا مَثَلُوا بِالرَّاعِي ، وَأَلْقُوا  
بِالْحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا .. وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الْمُثَلَّةِ (١)  
سَرِيَّةُ عَمْرُو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ :

جَلَسَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ يَوْمًا فِي نَادِي قَوْمِهِ ، فَقَالَ : أَلَا رَجُلٌ يَذْهَبُ لِمُحَمَّدٍ  
فَيَقْتُلُهُ غَدْرًا فَإِنَّهُ يَمْسِي بِالْأَسْوَاقِ لِنَسْتَرِيحَ مِنْهُ ؟ فَتَقَدَّمَ لَهُ رَجُلٌ وَتَعَهَّدَ لَهُ بِمَا  
أَرَادَ ، فَأَعْطَاهُ رَاحِلَةً وَنَفَقَةً وَجَهَّزَهُ لِذَلِكَ .. فَخَرَجَ الرَّجُلُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى  
الْمَدِينَةِ صُبْحَ سَادِسَةِ مِنْ خُرُوجِهِ ، فَسَأَلَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُدِّلَ عَلَيْهِ . وَهُوَ  
بِمَسْجِدِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ ﷺ قَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلُ لَيُرِيدُ غَدْرًا وَإِنَّ  
اللَّهَ مَا يَنْبَغِي مِنْهُ .

فَذَهَبَ لِيُنَحِّنِي عَلَى الرَّسُولِ فَجَذَبَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ مِنْ إِزَارِهِ ، وَهُنَالِكَ سَقَطَ  
الْجَنْجَرُ ، فَتَدِمَ الرَّجُلُ عَلَى فَعَلْتِهِ .. ثُمَّ سَأَلَهُ ﷺ عَنْ سَبَبِ عَمَلِهِ ، فَصَدَقَهُ بَعْدَ  
أَنْ تَوَثَّقَ مِنْ حِفْظِ دَمِهِ ، فَخَلَّى ﷺ سَبِيلَهُ .

فَقَالَ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ مَا كُنْتُ أَخَافُ الرِّجَالَ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُكَ فَذَهَبَ  
عَقْلِي وَضَعُفَتْ نَفْسِي ، ثُمَّ إِنَّكَ أَطْلَعْتَ عَلَيَّ مَا هَمَمْتُ بِهِ مِمَّا لَمْ يَعْلَمَهُ أَحَدٌ ،  
فَعَرَفْتُ أَنَّكَ مَمْنُوعٌ وَأَنَّكَ عَلَى حَقٍّ . وَأَنَّ حِزْبَ أَبِي سُفْيَانَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ .. ثُمَّ  
أَسْلَمَ .

وَعِنْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَ ﷺ عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ وَأَصْحَبَهُ سَلَمَةَ بْنَ أَسْلَمَ رَفِيقًا لَهُ  
إِلَى أَبِي سُفْيَانَ ، وَقَالَ ﷺ : ( إِنْ أَصَبْتُمَا مِنْهُ غِرَّةً فَاقْتُلَاهُ ) .. فَلَمَّا قَدِمَا مَكَّةَ  
تَوَجَّهَا لِيَطْوُفَا بِالْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يُؤَدِّيَا مَا أُرْسِلَا لَهُ ، فَعَرَفَ عَمْرًا أَحَدَ رِجَالِ مَكَّةَ  
فَقَالَ : هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ مَا جَاءَ إِلَّا بِبَشْرٍ ( وَكَانَ عَمْرُو رَجُلًا جَرِيئًا فَاتَكَأَ فِي  
الْجَاهِلِيَّةِ ) ، فَلَمَّا رَأَهُمْ عَلِمُوا بِهِ لَمْ يَجِدْ مَنَاصًا مِنَ الْهَرَبِ فَاصْطَحَبَ مَعَهُ  
رَفِيقَهُ وَرَجَعَا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُتَوَّرَةِ .

( ١ ) وَالْأَسْمُ مُثَلَّةٌ : وَهِيَ الْمُتَوَرَّةُ وَالْتِكْبِيلُ وَالْجَمْعُ مُثَلَاتٌ وَمُثَلَاتٌ . قَالَ تَمَالِي : ( وَتَسْتَعْمَلُونَكَ بِالْحَسْبَةِ قَبْلَ الْحَسْبَةِ  
وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ أَلْمَلَّتْ ) . أَيِ التَّقْوِيَاتِ .. وَالْقِصَّةُ وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَنَازِي .

وَكَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَعِيشَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى يُسَلَّمَ بِيَدِهِ مَفَاتِيحَ الْكَمْبَةِ  
لِلْمُسْلِمِينَ ، وَيَعْتَقَ الدِّينَ الْحَنِيفِيَّ الْقَوِيمَ .

## صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ

وكان في شهر ذي القعدة من السنة السادسة لهجرته ﷺ .  
مقدماته : رأى رسول الله ﷺ في نومه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام  
أمينين حاليين رؤوسهم ومقصرين ، فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة ، واستنفر  
الأعراب الذين حول المدينة ليكونوا معه ، حذراً من أن ترددهم قریش عن  
عمرتهم ، ولكن هؤلاء الأعراب أبطأوا عليه لأنهم ظنوا ألا ينقلب الرسول  
والمؤمنون إلى أهلهم أبداً ، وتخلصوا بأن قالوا : شغلنا أموالنا وأهلونا  
فاستغفر لنا ، فخرج ﷺ يوم الإثنين هلال ذي القعدة بمن معه من المهاجرين  
والأنصار ﷺ يبلغ عددهم ألفاً وخمسمائة ، وولى على المدينة ابن أم مكتوم  
ﷺ ، وأخرج معه زوجه أم سلمة ﷺ ، وأخرج ﷺ الهدى ليعلم الناس أنه  
لم يأت محارباً ، ولم يكن مع أصحابه شيء من السلاح إلا السيوف في القرب ؛  
لأن الرسول ﷺ لم يرص أن يحملوا السيوف مجردة وهم معتمرون .  
(٢) (١)

المسلمون يتحركون نحو مكة : ثم سار الجيش حتى وصل عسفان فجاأ عينه  
يخبره أن قریشاً أجمعت رأيها أن يصدوا المسلمين عن مكة وألا يدخلوها عليهم  
عنوة أبداً ، وتجهزوا للحرب وأعدوا خالد بن الوليد في مائتي فارس طليعة لهم  
ليصدوا المسلمين عن التقدم .. فقال ﷺ : ( هل من رجل يأخذ بنا على غير  
طريقهم ؟ ) فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله ؛ فسار بهم في طريق وعرة  
ثم خرج بهم إلى مستو سهل يملك مكة من أسفلها ، فلما رأى خالد ما فعل  
المسلمون رجع إلى قریش وأخبرهم الخبر .

ولما كان ﷺ ببثية المزار<sup>(٤)</sup> برکت ناقته .. فزجروها فلم تقم ، فقالوا : خلأت

(٢) الذي يستظل له خبر عدوه .

(٤) مهبط الحديبية .

(١) موضع على مرتعتين من مكة .

(٢) أي من قبيلة أسلم .



الْقَصْوَاءُ<sup>(١)</sup> ، فَقَالَ ﷺ : مَا خَلَّاتِ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ ( أَي حَبَسَهَا اللَّهُ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ كَمَا حَبَسَ الْفِيلَ عَنْ دُخُولِهَا لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَوْ دَخَلُوهَا وَصَدَّتْهُمْ قُرَيْشٌ لَوَقَعَ بَيْنَهُمُ الْقِتَالُ وَسَفِكَ الدِّمَاءُ ، وَلَكِنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَيُسْتَخْرَجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ نَاسٌ يُسَلِمُونَ وَيُجَاهِدُونَ ) ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : ( وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَدْعُونِي قُرَيْشٌ لِخِصْلَةٍ فِيهَا تَعْظِيمٌ حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا ) ، مَعَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَوْ قَاتَلُوا أَعْدَاءَهُمْ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ لَظَفِرُوا بِهِمْ ، وَلَكِنْ كَفَّ اللَّهُ أَيْدِيَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ قُرَيْشٍ وَكَفَّ أَيْدِيَ قُرَيْشٍ عَنِ الْمُسْلِمِينَ كَيْلًا تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ الْبَيْتِ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ حَرَمًا آمِنًا ، يُؤَوِّدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ دَعَائِمَ أُخُوَّتِهِمْ فِيهِ .

بُدَيْلٌ يَتَوَسَّطُ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقُرَيْشٍ : ثُمَّ زَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاقَةَ فَوَثَبَتْ وَأَمَرَهُمْ بِالنُّزُولِ أَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ<sup>(٢)</sup> عَلَى ثَمَدٍ ( أَي : قَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ ) فَتَزَحَّوْهُ وَشَكَى إِلَيْهِ ﷺ الْعَطَشَ ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ ، قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ : فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ .

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءِ الْخُزَاعِيُّ رَسُولًا مِنْ قُرَيْشٍ يَسْأَلُ عَنْ سَبَبِ مَجِيءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَخْبَرَهُ ﷺ بِمَقْصِدِهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ بُدَيْلٌ إِلَى قُرَيْشٍ وَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ لَمْ يَثِقُوا بِهِ لِأَنَّهُ مِنْ خُزَاعَةِ الْمُوَالِيَةِ لِلرَّسُولِ كَمَا كَانَتْ كَذَلِكَ لِأَجْدَادِهِ ، وَقَالُوا : أَيْرِيدُ مُحَمَّدٌ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْنَا فِي جُنُودِهِ مُعْتَمِرًا تَسْمَعُ الْعَرَبُ أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا عَنُودًا وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنَ الْحَرْبِ مَا بَيْنَنَا ؟ وَاللَّهِ لَا كَانَ هَذَا أَبَدًا وَمِنَّا عَيْنٌ تَطَّرَفُ .

رُسُلُ قُرَيْشٍ : ثُمَّ أَرْسَلُوا حُلَيْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ سَيِّدَ الْأَحَابِيشِ<sup>(٣)</sup> ، وَهُمْ حُلَفَاءُ قُرَيْشٍ ،

(١) خَلَّاتِ النَّاقَةُ : حَرَنْتِ أَيْ صَعَبَتْ انْقِيَادُهَا ، وَالْقَصْوَاءُ : اسْمُ نَاقَةِ النَّبِيِّ ﷺ .

(٢) بَثْرُ قُرَيْشٍ مَكَّةَ سُمِّيَتْ الْأَرْضُ بِاسْمِهَا .

(٣) الْأَحَابِيشُ : الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ اِلْتَفَتَتْ أَجْنَاسُهُمْ ، وَأَحَابِيشُ قُرَيْشٍ : جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةٍ وَخُزَاعَةٍ اجْتَمَعُوا عِنْدَ حُبَيْشٍ ( وَهُوَ جَبَلٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ ) وَتَحَالَفُوا .

فَلَمَّا رَأَى ﷺ قَالَ ( هَذَا مِنْ قَوْمٍ يُعْظَمُونَ الْهَدَى ابْتِغَاؤُهُ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ ) :  
 ففعلوا واستقبله الناس يلبون . فلما رأى ذلك حليس رجع وقال : سبحان الله ما  
 ينبغي لهؤلاء أن يصدوا ، أتجج لحم وجدام وجميرا ويمنع عن البيت ابن  
 عبد المطلب ؟ هلكت قريش ورب البيت ، إن القوم أتوا معتمرين !! فلما سمعت  
 قريش منه ذلك قالوا له : اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك بالمكابد .

ثم أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف ، فتوجه إلى الرسول ﷺ  
 وقال : يا محمد قد جمعت أوياش ( أخلاط ) الناس ثم جئت إلى أهلك  
 وعشيرتك لتفضها بهم<sup>(١)</sup> ! إنها قريش قد خرجت تعاهد الله ألا تدخلها عليهم  
 عنة أبداً .. وايم الله لكانى بهؤلاء قد انكشفوا عنك ، فقال منه أبو بكر<sup>رضي الله عنه</sup>  
 وقال : نحن نكشيف عنه ؟ ونحك ! وكان عروة يتكلم وهو يمس لحية رسول الله  
 ﷺ ، فكان المغيرة بن شعبه يقرع يده إذا أراد ذلك ، ثم رجع عروة وقد رأى  
 ما يصنع بالرسول أصحابه : لا يتوضأ وضوءاً إلا انكبوا عليه يتمسحون به ، وإذا  
 تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، ولا يجدون النظر إليه ، فلما رجع عروة إلى  
 أصحابه ، قال : والله يا معشر قريش جئت كسرى في ملكه وقصر في عظمته  
 فما رأيت ملكاً في قومه مثل محمد في أصحابه .. ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه  
 لشيء أبداً ، فانظروا رأيكم فإنه عرض عليكم خطة رشدي فاقبلوا ما عرض  
 عليكم فإنني لكم ناصح ، مع أنني خائف ألا تنصروا عليه ، فقالت قريش : لا  
 نتكلم بهذا ، ولكن نرده عامنا ويرجع إلى قابل .

إرسال النبي ﷺ عثمان بن عفان لمفاوضة قريش : ثم إن رسول الله ﷺ اختار  
 عثمان بن عفان رسولاً من عنده إلى قريش حتى يعلمهم مقصده فتوجه وتوجه  
 معه عشرة استأذنوا الرسول ﷺ في زيارة أقاربهم ، وأمر<sup>رضي الله عنه</sup> عثمان أن يأتي  
 المستضعفين من المؤمنين بمكة فيبشرهم بقرب الفتح وأن الله مظهر دينه .

(١) فحس : نثر وفرق . ومنه فحس الله فاه : أي نثر أسنانه . وفي القرآن الكريم : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَجَرْنَا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ أي تمرفوا .

فَدَخَلَ عُمَانُ رضي الله عنه فِي جِوَارِ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي بَنْ بَكْرٍ رضي الله عنه ، فَبَلَغَ مَا حَمَلَ ، فَقَالُوا : إِنْ مُحَمَّدًا لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا عَنُودَ أَبَدًا .. ثُمَّ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، فَقَالَ : لَا أَطُوفُ وَرَسُولُ اللَّهِ مَمْنُوعٌ .. ثُمَّ إِنَّهُمْ حَبَسُوهُ فَشَاعَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ قُرَيْشًا قَتَلَتْ عُمَانَ ، فَقَالَ رضي الله عنه حِينَئِذٍ سَمِعَ ذَلِكَ : ( لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ عُمَانَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ قَتَلُوهُ لَأَنَاجِرْنَهُمْ ) (١) .

بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ : وَدَعَا رضي الله عنه النَّاسَ لِلْبَيْعَةِ عَلَى الْقِتَالِ فَبَايَعُوهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ هُنَاكَ ( سُمِّيَتْ بَعْدَ بِشَجَرَةِ الرِّضْوَانِ ) عَلَى الْمَوْتِ .. ثُمَّ تَحَقَّقَ كَذِبُ خَبَرِ مَقْتَلِ عُمَانَ رضي الله عنه ، فَضَرَبَ رضي الله عنه بِأِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى . وَقَالَ : ( هَذِهِ لِعُمَانَ ) (٢) ، فَشَاعَ أَمْرُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ فِي قُرَيْشٍ فَدَاخَلَهُمْ مِنْهَا رُعبٌ عَظِيمٌ ، وَكَانُوا قَدْ أَرْسَلُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَلَيْهِمْ مَكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ لِيَطُوفُوا بِعَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ يُصِيبُونَ مِنْهُمْ غِرَّةً ، فَأَسْرَهُمْ حَارِسُ الْجَيْشِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَهَرَبَ رَئِيسُهُمْ ، وَلَمَّا عَلِمَتْ بِذَلِكَ قُرَيْشٌ جَاءَ جَمْعٌ مِنْهُمْ وَابْتَدَأُوا يُنَاوِشُونَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أُسِرَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدٌ .

عَقْدُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَكِتَابَةُ عَلَى بُنُودِهِ : وَعِنْدَ ذَلِكَ خَافَتْ قُرَيْشٌ فَأَرْسَلَتْ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍوَ لِلْمُكَالَمَةِ فِي الصُّلْحِ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : ( قَدْ سَهِّلَ الْأَمْرُ ) ، فَلَمَّا جَاءَ سُهَيْلٌ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الَّذِي حَصَلَ لَيْسَ مِنْ رَأْيِ عُقَلَائِنَا بَلْ شَيْءٌ قَامَ بِهِ السُّفَهَاءُ مِنَّا فَابْعَثْ إِلَيْنَا بِمَنْ أَسْرَتَ ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : ( حَتَّى تُرْسِلُوا مَنْ عِنْدَكُمْ ) ؛ وَعِنْدَئِذٍ أَرْسَلُوا عُمَانَ وَالْعَشْرَةَ الَّذِينَ مَعَهُ ، ثُمَّ عَرَضَ سُهَيْلٌ الشُّرُوطَ الَّتِي تُرِيدُهَا قُرَيْشٌ وَهِيَ :

١ - وَضَعُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ عَشْرَ سَنَوَاتٍ ، يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ ، وَيَكْفُ بِبَعْضِهِمْ عَنِ بَعْضٍ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي ( الدَّلَائِلِ ) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه .

(٢) لِأَنَّ خُرُوجَهُمْ كَانَ لِأَجْلِ الْعُمَرَةِ وَلَمْ يُخْرَجُوا لِلْقِتَالِ ، فَاقْتَضَى الْأَمْرُ طَلَبَ بَيْعَتِهِمْ ، فَأَطَاعُوا وَبَايَعُوا عَلَى الشُّبَابِ ، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ( لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنِ ( ابْنِ عَمْرٍو ) رضي الله عنه .

٢ - مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَا يُلْزَمُونَ بِرَدِّهِ .

٣ - أَنْ يَرْجِعَ مُحَمَّدٌ مِنْ غَيْرِ عُمْرَةٍ هَذَا الْعَامَ . وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَامٌ قَابِلٌ خَرَجْنَا عَنْكَ فَدَخَلْتَهَا بِأَصْحَابِكَ ، فَأَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا ، مَعَكَ سِلَاحُ الرَّأَكِبِ ( السُّيُوفُ فِي الْقُرْبِ ) ، لَا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِهَا .

٤ - مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ مُحَمَّدٍ مِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ دَخَلَ فِيهِ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ دَخَلَ فِيهِ ، وَتُعْتَبَرُ الْقَبِيلَةُ الَّتِي تَتَضَمُّ إِلَى الْفَرِيقَيْنِ جُزْءًا مِنْ ذَلِكَ الْفَرِيقِ ، فَأَيُّ عُدْوَانٍ تَتَعَرَّضُ لَهُ أَيُّ مِنْ هَذِهِ الْقَبَائِلِ يُعْتَبَرُ عُدْوَانًا عَلَى ذَلِكَ الْفَرِيقِ .

فَقَبِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ هَذِهِ الشُّرُوطِ ، وَكَانَ الْكَاتِبُ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَمْلَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، فَأَمَرَهُ

الرَّسُولُ بِذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ) ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : لَوْ نَعَلِمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا خَالَفْنَاكَ ، اكْتُبْ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَمَرَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِمَحْوِ ذَلِكَ وَكِتَابَةِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَأَمْتَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَمَحَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، وَكُتِبَتْ نُسْخَتَانِ : نُسْخَةٌ لِقُرَيْشٍ وَنُسْخَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ .

وَبَعْدَ كِتَابَةِ الشُّرُوطِ جَاءَهُمْ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلٍ يَحْجِلُ فِي قِيُودِهِ وَكَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمَمْنُوعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ فَهَرَبَ لِلْمُسْلِمِينَ هَذِهِ الْمَرَّةَ لِيَحْمُوهُ ، فَقَالَ لَهُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا ، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا وَأَعْطَيْنَاهُمْ وَأَعْطَوْنَا عَلَى

ذَلِكَ عَهْدًا فَلَا نَعْدُرُ بِهِمْ ) . هَذَا ، وَقَدْ دَخَلَتْ قَبِيلَةُ خُزَاعَةَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَخَلَ بَنُو بَكْرِ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ .

(٢) يَحْجِلُ : يَمْتَنِي بِمِثْلَةِ الْمُقْبَدِ مُتَقَابِلًا بِأَغْلَالِهِ وَقِيُودِهِ .

(١) أَي : فِي أَغْلَالِهَا .

مَوْفٍ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ شُرُوطِ الصُّلْحِ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه : فَقُلْتُ :  
 أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟ قَالَ : ( بَلَى ) ، قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ ، وَعَدُّوْنَا عَلَى  
 الْبَاطِلِ ؟ ، قَالَ ( بَلَى ) ، قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا ؟ ، قَالَ صلوات الله عليه :  
 ( إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَسْتُ أُعْصِيهِ ، وَهُوَ نَاصِرِي ) ، قُلْتُ : أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا  
 أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَتَطْوَفُ بِهِ ؟ ، قَالَ : ( بَلَى ، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَا نَأْتِيهِ هَذَا الْعَامَ ؟ ) ،  
 قُلْتُ : لَا ، قَالَ صلوات الله عليه : ( فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطْوُوفٌ بِهِ ) ، قَالَ عُمَرُ : فَاتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ  
 ( وَكَانَ غَائِبًا ) فَقُلْتُ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟ ، قَالَ : بَلَى ،  
 قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ ، قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي  
 الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا ؟ ، قَالَ : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ ،  
 وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغُرْزِهِ ( أَي : بِرِكَابِهِ ) فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، قُلْتُ : أَوَلَيْسَ  
 كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَتَطْوَفُ بِهِ ؟ ( أَي : وَهَا هُوَ قَدْ صَالَحَهُمْ  
 عَشْرَ سِنِينَ ) ، قَالَ : بَلَى ، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ هَذَا الْعَامَ ؟ ، قُلْتُ : لَا ، قَالَ :  
 فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطْوُوفٌ بِهِ (١)

قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا ( أَي : مِنَ الْبِرِّ لِتُكْفَرَ عَلَى جُرَاتِي بِالْكَلامِ  
 عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ) .

فَائِدَةٌ فِي أَنَّ مَقَامَ الصِّدِّيقِيَّةِ فَوْقَ مَقَامِ أَهْلِ الْإِلْهَامِ : قَالَ الْعُلَمَاءُ : هَذَا مِنْ  
 أَوْضَحِ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْإِلْهَامِ يُخْطِئُونَ وَيُصِيبُونَ ، فَلَا بُدَّ مِنْ عَرْضِ مَا وَقَعَ  
 فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، كَمَا يُخْطِئُ أَهْلُ الْاجْتِهَادِ وَيُصِيبُونَ ،  
 وَهَذَا سَيِّدُنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَخْطَأَ فِي أَمَاكِنَ كَهَذَا  
 الْمَوْطِنِ ، وَفِي وَفَاةِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه ، وَهُوَ الْمَشْهُودُ لَهُ بِقَوْلِهِ صلوات الله عليه لَهُ فِي  
 ( الصَّحِيحَيْنِ ) : ( إِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَاللَّهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجَاءَ  
 إِلَّا سَلَكَ فَجَاءَ غَيْرَ فَجَّكَ ) (٢)

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ ( سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ) رضي الله عنه .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

وَبِقَوْلِهِ ﷺ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضاً : ( لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ -  
أَيُّ مُلْهُمُونَ - فَإِنَّ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ ) (١)

وَفِي رِوَايَةٍ : ( لَقَدْ كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رِجَالٌ يَكْلُمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ ،  
فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ مِنْهُمْ فَعُمَرُ ) (٢) ، وَلِهَذَا كَثِيراً مَا يُوَافِقُ الْوَحْيَ .

وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : فَعَجِبْتُ مِنْ مُطَابَقَةِ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ لِكَلَامِ النَّبِيِّ  
ﷺ ؛ فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ مَقَامَ الصَّدِيقِيَّةِ هُوَ مَقَامُ أَهْلِ الْإِلْهَامِ يَرُدُّونَهُمْ عِنْدَ  
خَطِّهِمْ إِلَى الْحَقِّ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ وُجُوبِ طَاعَتِهِ ﷺ ، وَالْإِنْقِيَادِ  
لَأَمْرِهِ ، وَإِنْ خَالَفَ ظَاهِرُ ذَلِكَ مُقْتَضَى الْقِيَاسِ ، أَوْ كَرِهَتْهُ النُّفُوسُ ، فَيَجِبُ عَلَى  
كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الْخَيْرَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ ، وَأَنَّهُ عَيْنُ الصَّلَاحِ ، الْمَتَّضَمَّنُ  
لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنَّهُ جَارٌ عَلَى أَمِّ الْوَجُوهِ وَأَكْمَلِهَا ، غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَ الْعُقُولِ  
قَصَرَتْ عَنِ إِدْرَاكِ غَايَتِهِ وَعَاقِبَةِ أَمْرِهِ .

النَّخْرُ وَالْحَلْقُ لِلْحَجَلِ مِنَ الْعُمْرَةِ : وَلَمَّا انْتَهَى الْأَمْرُ أَمَرَ ﷺ أَصْحَابَهُ أَنْ يَحْلِقُوا  
رُؤُوسَهُمْ وَيَنْحَرُوا الْهَدْيَ لِيَتَحَلَّلُوا مِنْ عُمْرَتِهِمْ ، فَاحْتَمَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ هَمًّا  
عَظِيماً ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَمْ يُبَادِرُوا بِالْإِمْتِنَالِ ، فَدَخَلَ ﷺ عَلَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أُمَّ سَلَمَةَ  
وَقَالَ لَهَا : ( هَلْكَ الْمُسْلِمُونَ أَمْرَتُهُمْ فَلَمْ يَمْتَثِلُوا ) ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ  
اعْذُرْهُمْ فَقَدْ حَمَلَتْ نَفْسُكَ أَمْرًا عَظِيماً فِي الصُّلْحِ ، وَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ غَيْرِ  
فَتَحَ فَهَمٌ لِدَلِكِ مَكْرُوبُونَ ، وَلَكِنْ أَخْرَجْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَابْدَأْهُمْ بِمَا تُرِيدُ فَإِذَا  
رَأَوْكَ فَعَلْتَ اتَّبَعُوكَ ، فَتَقَدَّمَ ﷺ إِلَى هَدْيِهِ فَتَحَرَّهُ وَدَعَا بِالْحَلَّاقِ فَحَلَقَ رَأْسَهُ ،  
فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ تَوَاتَبُوا عَلَى الْهَدْيِ فَتَحَرَّوْهُ وَحَلَقُوا .

الْعُودَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ : ثُمَّ رَجَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَمِنَ كُلُّ فَرِيقٍ الْآخَرَ .  
وَلَمَّا قَرَّرَ قَرَارَهُمْ جَاءَتْهُمْ مُهَاجِرَةٌ أُمَّ كَلْثُومِ بِنْتُ عُقَيْبَةَ بِنِ أَبِي مُعَيْطٍ أُخْتُ عُمَانَ

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

لَأَمَّهُ فَطَلَبَهَا الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَمْرَاءٌ وَإِنْ رَجَعْتُ إِلَيْهِمْ فَتَتُونِي فِي دِينِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۗ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ۗ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَارِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا ۗ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ سَخَّكُم بَيْنَكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ (١) ۙ

فَكَانَتِ الْمَرْءَةُ الْمُهَاجِرَةُ سَتَحْلَفُ أَنَّهَا مَا خَرَجَتْ رَغْبَةً بِأَرْضٍ عَنِ أَرْضٍ وَلَا مِنْ بَغْضِ زَوْجٍ وَلَا لِإِتِمَاسِ دُنْيَا وَلَا لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَا خَرَجَتْ إِلَّا حُبًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَمَتَى حَلَفَتْ لَا تُرَدُّ بَلْ يُعْطَى لِزَوْجِهَا الْمُشْرِكِ مَا أَنْفَقَهُ عَلَيْهَا وَيَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ تَزْوُجُهَا ، وَفِي الْآيَةِ تَحْرِيمُ إِمْسَاكِ الزَّوْجَةِ الْكَافِرَةِ بَلْ تُرَدُّ إِلَى أَهْلِهَا بَعْدَ أَنْ يُعْطُوا مَا أَنْفَقُوا عَلَيْهَا .

وَقَدْ تَمَكَّنَ أَبُو بَصِيرٍ ( عْتَبَةُ بْنُ أُسَيْدِ الثَّقَفِيِّ ) رضي الله عنه ، مِنَ الْفِرَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ فِي أَثَرِهِ رَجُلَيْنِ يَطْلُبَانِ تَسْلِيمَهُ ، فَأَمَرَهُ ﷺ بِالرُّجُوعِ مَعَهُمَا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُرُدُّنِي إِلَى الْكُفَّارِ يَفْتِنُونِي فِي دِينِي بَعْدَ أَنْ خَلَصَنِي اللَّهُ مِنْهُمْ ؟ فَقَالَ ﷺ : ( إِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَإِخْوَانِكَ فَرَجًا ) ، فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ اتِّبَاعِهِ فَرَجَعَ مَعَ صَاحِبَيْهِ .. وَلَمَّا كَانَ بِبَنِي الْحُلَيْفَةِ عَدَا عَلَى أَحَدِهِمَا فَقَتَلَهُ ، وَهَرَبَ مِنْهُ الْآخَرُ فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَفْتُ ذِمَّتَكَ ، أَمَا أَنَا فَتَجَوْتُ ، فَقَالَ لَهُ ﷺ : ( اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تَقَمَّ بِالْمَدِينَةِ ) ، فَذَهَبَ إِلَى مَحَلِّ بِطَرِيقِ الشَّامِ تَمُرٌ بِهِ تِجَارَةٌ قُرَيْشٍ فَأَقَامَ بِهِ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ جَمْعٌ مِمَّنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ بِمَكَّةَ وَنَجَّوْا .. وَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلٍ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ

(١) سُورَةُ الْمُؤْتَمِنَةِ ( الْآيَةُ ١٠ ) .

(٢) كَانَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ ، فَبَيَّتْ ذِكْرَهُ فِي قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَّةِ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ ، وَيَعْنِي فِي سِفْرِ الْبَحْرِ يُؤَدِّي قُرَيْشًا فِي تِجَارَتِهَا ، مَاتَ وَكَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ يَدْعُوهُ إِلَى الْمَدِينَةِ .

جَمَعَ مِنَ الْأَعْرَابِ وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى تِجَارَةِ قُرَيْشٍ حَتَّى قَطَعُوا عَنْهُمْ الْأُمْدَادَ ، فَأَرْسَلَ رِجَالُ قُرَيْشٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعِينُونَ بِهِ فِي إِبْطَالِ هَذَا الشَّرْطِ وَيُعْطُونَهُ الْحَقَّ فِي إِمْسَاكِ مَنْ جَاءَهُ مُسْلِمًا فَقَبِلَ ﷺ مِنْهُمْ ذَلِكَ .

وَأَزَاحَ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ هَذِهِ الْفُتْمَةَ الَّتِي لَمْ يَتِمَّكِنُوا تَحْمِلَهَا فِي الْحُدَيْبِيَّةِ حِينَمَا أَمَرَهُمْ ﷺ بِرَدِّ أَبِي جَنْدَلٍ ، وَعَلِمُوا أَنَّ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلَ وَأَحْسَنُ مِنْ رَأْيِهِمْ ؛ حَيْثُ كَانَ فِيهِ أَمْنٌ تَسَبَّبَ عَنْهُ اخْتِلَاطُ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُسْلِمِينَ ، فَخَالَطَتْ بِشَاشَةَ الْإِسْلَامِ قُلُوبُهُمْ حَتَّى قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : مَا كَانَ فَتْحٌ فِي الْإِسْلَامِ أَعْظَمَ مِنْ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَلَكِنَّ النَّاسَ قَصَرَ رَأْيُهُمْ عَمَّا كَانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَرَبِّهِ . وَالْعِبَادُ يَفْعَلُونَ ، وَاللَّهُ لَا يَفْعَلُ لِعَجَلٍ لِعَجَلَةِ الْعِبَادِ حَتَّى تَبْلُغَ الْأُمُورُ مَا أَرَادَ .

وَفِي رُجُوعِهِ ﷺ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْفَتْحِ وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَوَّلِهَا : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ (١) ، وَفِي تَسْمِيَةِ هَذِهِ الْغَزْوَةِ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ تَصَدِيقٌ لِمَا ذَكَرْنَاهُ عَنِ الصِّدِّيقِ ﷺ .

إِسْلَامُ أَبْطَالِ قُرَيْشٍ :

وَأَعْقَبَ هَذِهِ الْغَزْوَةَ وَهَذَا الْفَتْحَ الْمُبِينِ إِسْلَامُ ثَلَاثَةِ طَائِفَاتٍ كَانَتْ لَهُمْ الْيَدُ الطُّوَلَى فِي قِيَادَةِ الْجُيُوشِ لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ : خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ السَّهْمِيُّ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ السَّهْمِيُّ ، وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدِيُّ (٢) ، وَذَلِكَ أَنَّ عَمْرًا ذَهَبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ ، وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ ، فَأَكْرَمَهُ ، فَقَدِمَ عَلَى النَّجَاشِيِّ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ رَسُولًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، لِيُجَهِّزَ إِلَيْهِ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ ، فَسَأَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنَ النَّجَاشِيِّ قَتْلَ عَمْرُو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ ، فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ، وَقَالَ : أَسْأَلُ مِنِّْي أَنْ أَقْتَلَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى ؟ ، قَالَ عَمْرُو : فَقُلْتُ : أَهُوَ كَذَلِكَ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَأَطِئْنِي يَا عَمْرُو وَاتَّبِعْهُ ، فَإِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، وَلِيُظْهِرَنَّ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَهُ ، كَمَا ظَهَرَ

(١) سُورَةُ الْفَتْحِ ( الْآيَةُ ١ ) .

(٢) عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ : صَاحِبُ الْكُتَيْبَةِ ، أُنْتَلِمَ فِي مُدَنَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ . وَهَاجَرَ وَشَهِدَ فَتْحَ مَكَّةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَعَادَ لَهُ وَمِفْتَاحَ

الْكُتَيْبَةِ . تَوَفَّى فِي الْمَدِينَةِ سَنَةَ ٤٢ هـ .



مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ ، فَاسْلَمَ عَمْرُو حِينَئِذٍ عَلَى يَدِ النَّجَاشِيِّ .

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْحَبَشَةِ عَامِداً إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، فَلَقِيَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ مُقْبِلاً مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَيْضاً ، فَقَالَ لَهُ : إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ ؟ قَالَ : لِأَسْلِمَ ، وَاللَّهِ فَقَدْ اسْتَبَانَ لِي الْحَقُّ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَصَادِقٌ ، قَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِأَسْلِمَ .. قَالَ عَمْرُو : فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، تَقَدَّمَ خَالِدٌ فَاسْلَمَ ، وَبَاعَ ، فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لِخَالِدٍ : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ ، قَدْ كُنْتَ أَرَى لَكَ عَقْلاً رَجَوْتُ إِلَّا يُسْلِمَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ ) ، ثُمَّ دَنَوْتُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَبَايُكَ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي ، فَقَالَ ﷺ : ( يَا عَمْرُو إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَإِنَّ الْهَجْرَةَ تَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ) (١) ، قَالَ : وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ ( الْحُدَيْبِيَّةِ ) وَقَبْلَ ( خَيْبَرَ ) .

وَمُنْذُ لَحْظَةٍ إِسْلَامِهِمَا أَخْذَا يُنْفِقَانِ كُلٌّ مَا مَنَحَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كَفَائَاتٍ وَقُدْرَاتٍ فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ ، بَدَلاً مِنْ إِنْفَاقِهَا ضِدَّهُ :

فَفِي فَتْحِ مَكَّةَ حِينَ مَرَّ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَقُودُ كَتِيبَةً مِنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ أَمَامَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ : ( مَنْ هَذَا ؟ ) ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : إِنَّهُ خَالِدٌ ، فَقَالَ ﷺ : ( نَعَمْ عَبْدُ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ) (٢) .

وَفِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ حِينَ حَمَلَ ( خَالِدٌ ) لِيَوَاءِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ ( جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ) ﷺ ، أَنْقَذَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ خَطَرٍ عَظِيمٍ . وَفِي عَهْدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَخَذَ خَالِدٌ ( الشَّامَ ) مِنْ قَيْصَرِ الرُّومِ ، وَفَتَحَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ( مِصْرَ ) .

### مُكَاتِبَةُ الْمُلُوكِ

بَعْدَ رُجُوعِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي أَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ وَأَمِنَ الطَّرِيقُ مِنْ قُرَيْشٍ كَاتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُلُوكَ الْأَرْضِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَاتَّخَذَ إِذْ ذَاكَ خَاتِماً مِنْ فِضَّةٍ يَخْتَمُ بِهِ خِطَابَاتِهِ وَكَانَ نَقْشُهُ ( مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ) ، فَوَجَّهَ

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي ( مُسْنَدِهِ ) .

دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ بِكِتَابٍ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بَصْرَى لِيُوصَلَّهُ إِلَى الْمَلِكِ .

كِتَابُ قَيْصَرَ : (١)

وَكَانَ الْكِتَابُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْتَ تَسْلَمَ ، وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ، (٢) وَيَأْهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٣) .

حَدِيثُ أَبِي سُفْيَانَ : وَلَمَّا وَصَلَ هَذَا الْكِتَابُ قَيْصَرَ ، قَالَ : انظُرُوا لَنَا مِنْ قَوْمِهِ أَحَدًا نَسْأَلُهُ عَنْهُ ؛ وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِالشَّامِ مَعَ رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي تِجَارَةٍ ، فَجَاءَتْ رُسُلُ قَيْصَرَ لِأَبِي سُفْيَانَ وَدَعَوْهُ لِمُقَابَلَةِ الْمَلِكِ فَأَجَابَ ، وَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي ( الْقُدْسِ ) وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مُلْكِهِ وَعَلَيْهِ التَّاجُ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ، قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : سَلُهُمْ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : أَنَا ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الرَّكْبِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ غَيْرُهُ .  
فَقَالَ قَيْصَرُ : ادْنُ مِنِّي ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَصْحَابِهِ فَجَعَلُوا خَلْفَ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : قُلْ لِأَصْحَابِهِ إِنَّمَا قَدِمْتُ هَذَا أَمَامَكُمْ لِأَسْأَلَهُ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ نَبِيٌّ وَقَدْ جَعَلْتُمْ خَلْفَهُ كَيْلًا تَخْجَلُوا مِنْ رَدِّ كَذِبِهِ عَلَيْهِ إِذَا كَذَبَ .  
ثُمَّ سَأَلَهُ : كَيْفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجُلِ فِيكُمْ ؟ ، قَالَ : هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ .

قَالَ : هَلْ تَكَلَّمُ بِهَذَا الْقَوْلِ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَبْلَهُ ؟ ، قَالَ : لَا .

قَالَ : هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ ، قَالَ : لَا .

(١) قَيْصَرَ : نَقَبٌ لِمُلُوكِ الرُّومِ .

(٢) الرُّعَايَا .

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( مِنْ الْآيَةِ ٦٤ ) .

قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ ، قَالَ لَا .

قَالَ : فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟ ، قَالَ : بَلِ ضُعَفَاؤُهُمْ .

قَالَ : فَهَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ ، قَالَ : بَلِ يَزِيدُونَ .

قَالَ : هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ ، قَالَ : لَا .

قَالَ : هَلْ يَغْدُرُ إِذَا عَاهَدَ ؟ ، قَالَ : لَا ، وَنَحْنُ الْآنَ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا يَصْنَعُ .

قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ ؟ ، قَالَ : الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ : مَرَّةً لَنَا وَمَرَّةً عَلَيْهِمَا .

قَالَ : فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ ، قَالَ : يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ .

فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ ، قُلْ لَهُ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فِيمَكُم : فَقُلْتُ إِنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ ، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا .

وَسَأَلْتُكَ : هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ : فَقُلْتُ أَنْ لَا ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ ، لَقُلْتُ : رَجُلٌ يَأْتِمُّ ( يَقْتَدِي ) بِقَوْلِ قَدِ قِيلَ قَبْلَهُ .

وَسَأَلْتُكَ : هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ : فَقُلْتُ أَنْ لَا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ .

وَسَأَلْتُكَ : هَلْ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ، فَقُلْتُ أَنْ لَا ، فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ، لَقُلْتُ : رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ .

وَسَأَلْتُكَ : أَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ : فَقُلْتُ ضُعَفَاؤُهُمْ ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرَّسُلِ .

وَسَأَلْتُكَ : هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ : فَقُلْتُ إِنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ .

وَسَأَلْتُكَ : هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةً لِدِينِهِ : فَقُلْتُ لَا ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ .

وَسَأَلْتُكَ : هَلْ يَغْدُرُ : فَقُلْتُ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ لَا يَغْدُرُونَ .

وَسَأَلْتُكَ : هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلْتُمْكُمْ : فَقُلْتُ نَعَمْ وَإِنَّ الْحَرْبَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سِجَالٌ ، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ .

وَسَأَلْتُكَ : بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ : فَقُلْتُ إِنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ .

وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ ، وَلَكِنْ لَمْ أَظُنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَا كَلَّمْتَنِي بِهِ حَقّاً فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَلَوْ أَعْلَمْتُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَكَلَّمْتُ ذَلِكَ .

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَعَلَّتْ أَصْوَاتُ الَّذِينَ عِنْدَهُ وَكَثُرَ لَفْطُهُمْ فَلَا أَدْرِي مَا قَالُوا ، وَأَمَرَ بِنَا فَأَخْرَجْنَا ، فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ مَعَ أَصْحَابِهِ قَالَ : لَقَدْ بَلَغَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ أَنْ يَخَافَهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ !!

(١)  
وَلَمَّا سَارَ قَيْصَرٌ إِلَى ( حِمص ) أَدِنَ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةِ لَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَأَغْلَقَتْ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرَّشْدِ أَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ ؟ ، فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمْرِ الْوَحُوشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا مُغْلَقَةً ، فَلَمَّا رَأَى قَيْصَرٌ نَفْرَتَهُمْ ، قَالَ : رُدُّوهُمْ عَلَيَّ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَيَّ دِينَكُمْ ، فَسَكْتُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ : فَغَلَبَهُ حُبُّ مُلْكِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ فَذَهَبَ بِإِيْمِهِ وَإِثْمِ رَعِيَّتِهِ كَمَا قَالَ ﷺ ، وَلَكِنَّهُ رَدَّ دِحْيَةَ رَدّاً جَمِيلاً وَأَجَازَهُ بِمَالٍ وَكِسْفَةٍ .

كِتَابُ أَمِيرِ بَصْرَى :

وَأَرْسَلَ ﷺ الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرٍ الْأَزْدِيَّ بِكِتَابٍ إِلَى أَمِيرِ بَصْرَى : فَلَمَّا بَلَغَ مُوتَةَ

(١) الدَّسْكَرَةُ : الْقَرْيَةُ الْمُطَيَّمَةُ . أَوْ الْقَصْرُ تُجِيطُ بِهِ الْبُيُوتُ ، وَالْجَمْعُ دَسَاكِرُ .

( وَهِيَ قَرْيَةٌ بِلِقَاءِ الشَّامِ ) تَعَرَّضَ لَهُ شُرْحِبِيلُ بْنُ عَمْرِو الْفَسَّانِيُّ ، فَقَالَ لَهُ :  
 أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : الشَّامَ ، قَالَ : لَعَلَّكَ مِنْ رُسُلِ مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَمَرَ بِهِ  
 فَضْرِبَتْ عُنُقُهُ وَلَمْ يُقْتَلْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَسُولٌ غَيْرُهُ ، وَقَدْ وَجَدَ ( حَزَنَ )  
 لِذَلِكَ وَجَدًا شَدِيدًا .

كِتَابُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ :

وَوَجَّهَ ﷺ شُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ إِلَى أَمِيرِ دِمَشْقَ مِنْ قَبْلِ هِرْقَلِ ( الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرِ )  
 وَكَانَ يُقِيمُ بِفُوطَيْتِهَا وَفِيهِ : ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ  
 إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ .. سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَ . وَإِنِّي  
 أَدْعُوكَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحَدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يَبْقَى لَكَ مُلْكُكَ ) .

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ رَمَى بِهِ ، وَقَالَ : مَنْ يَنْزِعُ مُلْكِي مِنِّي ؟ وَاسْتَعَدَّ لِإِرْسَالِ جَيْشًا  
 لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ لِشُجَاعٍ : أَخْبِرْ صَاحِبَكَ بِمَا تَرَى .. ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى قَيْصَرَ  
 يَسْتَأْذِنُهُ فِي ذَلِكَ ، وَصَادَفَ أَنْ كَانَ عِنْدَهُ دَحِيَّةٌ ، فَكَتَبَ قَيْصَرُ إِلَيْهِ يُثْنِيهِ عَنْ  
 هَذَا الْعِزْمِ وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَهَيِّءَ بِإِيلِيَاءِ ( بَيْتِ الْمَقْدِسِ ) مَا يَلْزِمُ لِزِيَارَتِهِ ، فَإِنَّهُ  
 بَعْدَ أَنْ فَهَرَ الْفُرْسَ نَذَرَ زِيَارَتَهَا .. فَلَمَّا رَأَى الْحَارِثُ كِتَابَ قَيْصَرَ صَرَفَ شُجَاعَ  
 بْنَ وَهْبٍ بِالْحُسْنَى ، وَوَصَلَهُ بِنَفَقَةٍ وَكِسْوَةٍ .

كِتَابُ الْمُقَوْسِ (١) :

وَوَجَّهَ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ بِكِتَابٍ إِلَى الْمُقَوْسِ أَمِيرِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ قَيْصَرَ ،  
 وَكَانَ فِيهِ : ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُقَوْسِ  
 عَظِيمِ الْقِبْطِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ  
 الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلَمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِثْمُ الْقِبْطِ  
 وَ) يَا هَلْ أَلْكَتَبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ

(١) الْمُقَوْسِ : لَقَبٌ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ مِصْرَ وَالْإِسْكَندَرِيَّةَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ . وَالْمَذْكُورُ هُنَا اسْمُهُ جَرِيحُ بْنُ مِينَا الْقِبْطِي . يَجِي  
 عَلَى نَضْرَانِيَّتِهِ .

(٢) الْقِبْطُ : كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ الْأَصْلُ . يَعْنِي سُكَّانَ مِصْرَ ، وَيُقْصَدُ بِهَا الْمَسِيحِيُّونَ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ وَالْجَمْعُ أَقْبَاطُ .

وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا  
فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١﴾

فَأَوْصَلَهُ لَهُ حَاطِبٌ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ : مَا مَنَعَهُ إِن كَانَ نَبِيًّا أَنْ يَدْعُو  
عَلَى مَنْ خَالَفَهُ وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَلَدِهِ ؟ ، فَقَالَ حَاطِبٌ : أَلَسْتَ تَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنَ  
مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَا لَهُ حَيْثُ أَخَذَهُ قَوْمُهُ فَأَرَادُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ إِلَّا يَكُونُ دَعَا عَلَيْهِمْ  
أَنْ يَهْلِكَهُمُ اللَّهُ حَتَّى رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ؟ ، قَالَ : أَحْسَنْتَ ! أَنْتَ حَكِيمٌ جَاءَ مِنْ عِنْدِ  
حَكِيمٍ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ هَذَا النَّبِيِّ فَوَجَدْتُ أَنَّهُ لَا يَأْمُرُ بِمَزْهُودٍ  
فِيهِ وَلَا يَنْهَى عَنِ مَرْغُوبٍ فِيهِ ، وَلَمْ أَجِدْهُ بِالسَّاجِرِ الضَّالِّ وَلَا الْكَاهِنِ الْكَذَّابِ ،  
وَوَجَدْتُ مَعَهُ آلَةَ النَّبُوءَةِ : إِخْرَاجَ الْغَائِبِ الْمَسْتُورِ ، وَالْإِخْبَارَ بِالنَّجْوَى ، وَسَانِظَرَ .

ثُمَّ كَتَبَ رَدَّ الْجَوَابِ يَقُولُ فِيهِ : ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ  
مِنَ الْمُقَوْسِ عَظِيمِ الْقَبْطِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهَمْتُ  
مَا ذَكَرْتَ فِيهِ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا قَدْ بَقِيَ وَكُنْتُ أَظُنُّهُ يَخْرُجُ  
بِالشَّامِ . وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَكَ وَبِعَثْتُ لَكَ بِجَارِيَتَيْنِ لَهُمَا مَكَانٌ عَظِيمٌ فِي الْقَبْطِ  
وَبِثْيَابٍ ، وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بَعْلَةً تَرْكَبُهَا ، وَالسَّلَامَ ) .

وَإِحْدَى الْجَارِيَتَيْنِ مَارِيَةَ الَّتِي تَسْرَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَاءَ مِنْهَا بِوَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ  
وَالْأُخْرَى ( سِيرِينَ ) أَعْطَاهَا لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ .. وَلَمْ يُسَلِّمِ الْمُقَوْسِ .

كِتَابُ النَّجَاشِيِّ (٢)

وَوَجَّهَ ﷺ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ بِكِتَابٍ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ وَفِيهِ :  
( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ عَظِيمِ  
الْحَبَشَةِ .. سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( مِنْ آيَةِ ٦٤ ) :

(٢) وَالنَّجَاشِيُّ : لَقَبٌ لِكُلِّ مَنْ حَكَمَ الْحَبَشَةَ وَاسْمُ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةُ ، أَسْلَمَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ . وَأَحْسَنَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ  
الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى أَرْضِهِ ، تَوَفَّى ﷺ بِبِلَادِهِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ . وَصَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةَ الْغَائِبِ .

وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخِهِ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ .. وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْمُؤَالاةِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُوقِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ) .

وَلَمَّا وَصَلَهُ الْكِتَابُ احْتَرَمَهُ غَايَةَ الاحْتِرَامِ وَقَالَ لِعَمْرُو : إِنِّي أَعْلَمُ وَاللَّهِ أَنَّ عِيسَى بَشَرٌ بِهِ ، وَلَكِنَّ أَعْوَانِي بِالْحَبَشَةِ قَلِيلٌ ، فَأَنْظِرْنِي حَتَّى أَكْثَرَ الْأَعْوَانَ وَالْيَنِّ الْقُلُوبَ وَقَدْ عَرَضَ عَمْرُو عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ مُهَاجِرِي الْحَبَشَةِ الرَّجُوعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُمُّ حَبِيبَةَ ( رَمَلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ ) زَوْجَةُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشِ الَّذِي كَانَ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ بِهَا ، وَلَكِنْ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةُ فَتَنَصَّرَ ، فَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّ حَبِيبَةَ وَهِيَ بِالْحَبَشَةِ ، وَالَّذِي زَوَّجَهَا لَهُ النَّجَاشِيُّ بِتَوْكِيلٍ مِنْهُ ﷺ .

كِتَابُ كِسْرَى : ( ١ )

وَوَجَّهَ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ بِكِتَابٍ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ الْفُرْسِ ، وَفِيهِ : ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسٍ .. سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ اللَّهِ ، فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِأَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ، أَسَلِمُ تَسَلَّمَ ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوسِ ) .

فَلَمَّا وَصَلَهُ الْكِتَابُ مَرَّقَهُ اسْتِكْبَاراً ، وَلَمَّا بَلَغَهُ ﷺ ذَلِكَ ، قَالَ : ( مَرَّقَ اللَّهُ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَرَّقٍ ) .. وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ ، فَكَانَتْ مَمْلَكَتُهُ أَقْرَبَ الْمَمَالِكِ سُقُوطاً ، وَقَدْ بَدَأَ هَذَا الشَّقِيُّ بِالْعُدْوَانِ ، فَأَرْسَلَ لِعَامِلِهِ بِالْيَمَنِ أَنْ يُوجِّهَهُ إِلَى

( ١ ) كِسْرَى : لَقَبٌ لِمَلِكِ الْفُرْسِ . وَالْجَمْعُ أَكَاسِرَةٌ . وَالْمَذْكُورُ هُنَا اسْمُهُ : أَبُرَؤَيْرُ بْنُ مُرْمَزٍ أَوْ شُرَوَانَ ، قُتِلَ عَلَى يَدِ ابْنِهِ

الرَّسُولِ مَنْ يَأْتِي بِهِ إِلَيْهِ ، فَعَا جَلَهُ اللَّهُ بِقِيَامِ ابْنِهِ شَيْرُوهِ عَلَيْهِ وَقَتْلِهِ لَهُ ، ثُمَّ  
أَرْسَلَ لِعَامِلِهِ بِالْيَمَنِ يَنْهَاهُ عَمَّا أَمَرَهُ بِهِ أَبُوهُ .

كِتَابُ الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي :

(١)

وَوَجَّهَ صلى الله عليه وسلم الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ بِكِتَابٍ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ  
يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فِيهِ : ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَسْلِمَ أَنْتَ ، فَإِنِّي  
أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .. أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ مَنْ صَلَّى صَلَاتِنَا ، وَاسْتَقْبَلَ  
هَيْبَتَنَا ، وَأَكَلَ ذَيْبِحَتَنَا ، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ الرَّسُولِ ، مَنْ أَحَبَّ  
ذَلِكَ مِنَ الْمَجُوسِ فَإِنَّهُ آمِنٌ وَمَنْ أَبِي فَإِنَّ عَلَيْهِ الْجَزِيَّةَ ) .

فَأَسْلَمَ صلى الله عليه وسلم وَكَتَبَ فِي رَدِّ الْجَوَابِ : ( أَمَّا بَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَكَ  
عَلَى أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ الْإِسْلَامَ وَأَعْجَبَهُ وَدَخَلَ فِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ  
كَرِهَهُ ، وَبَارِضِي مَجُوسٍ وَيَهُودٍ فَأَحْدِثْ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ أَمْرَكَ ) .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ صلى الله عليه وسلم : ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُنْذِرِ  
بْنِ سَاوِي .. سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهُ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا  
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَذْكُرُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ  
مَنْ يَنْصَحْ فَإِنَّمَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ مَنْ يُطِيعْ رُسُلِي وَيَتَّبِعْ أَمْرَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَنِي ،  
وَمَنْ نَصَحَ لَهُمْ فَقَدْ نَصَحَ لِي ، وَإِنْ رُسُلِي قَدْ أَتَوْا عَلَيْكَ خَيْرًا ، وَإِنِّي قَدْ شَفَعْتُكَ  
فِي قَوْمِكَ ، فَاتْرُكْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ ، وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ فاقْبَلْ  
مِنْهُمْ ، وَإِنَّكَ مَهْمَا تَصْلُحْ فَلَنْ نُغَيِّرَكَ عَنْ عَمَلِكَ ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ  
مَجُوسِيَّتِهِ فَعَلَيْهِ الْجَزِيَّةُ ) .

كِتَابُ مَلِكِي عُمان :

وَوَجَّهَ صلى الله عليه وسلم عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِكِتَابٍ إِلَى جَيْفَرِ وَعَبْدِ ابْنِي الْجُلَنْدِيِّ مَلِكِي عُمان ،  
وَفِيهِ : ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى جَيْفَرِ وَعَبْدِ ابْنِي

( ١ ) الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِمَارِ الْحَضْرَمِيِّ ، اسْتَمْلَأَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَأَقْرَبَهُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عَمَّرَهُ ، لَهُ رِوَايَةٌ ، وَكَانَ  
مُسْتَجَابَ الدَّعْوَى ، خَاصَّ الْبَحْرَ بِكَلِمَاتٍ قَالَهَا ، تُوَفِّي صلى الله عليه وسلم سَنَةَ ١٤ هـ .



الْجَلْنَدِيِّ .. سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعَ الْهُدَى ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكُمَا بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ  
 أَسْلِمَا تَسْلِمًا ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِأَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ  
 عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَإِنِّكُمْ إِنِ أَقْرَرْتُمَا بِالْإِسْلَامِ وَلِيْتِكُمَا ، وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تُقْرَأَ  
 بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّ مَلِكُكُمْ زَائِلٌ ، وَخِيَلِي تَحُلُّ بِسَاحَتِكُمَا وَتُظْهَرُ نُبُوتِي عَلَيَّ مُلْكُكُمْ ) .  
 فَلَمَّا دَخَلَ بِنَادِيهِمَا عَمْرُو سَأَلَهُ عَبْدُ بْنُ الْجَلْنَدِيِّ عَمَّا يَأْمُرُ بِهِ الرَّسُولُ وَيُنْهَى عَنْهُ  
 فَقَالَ : يَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنْهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَيَأْمُرُ بِالْبِرِّ وَصَلَةِ الرَّحِمِ ،  
 وَيُنْهَى عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَعَنِ الزَّوْنِ وَشُرْبِ الخَمْرِ ، وَعَنِ عِبَادَةِ الْحَجَرِ وَالْوَثَنِ  
 وَالصَّلِيبِ ، فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَ أَخِي يُتَابِعُنِي لَرَكِبْنَا  
 حَتَّى نُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ وَنُصَدِّقَ بِهِ ، وَلَكِنْ أَخِي أَضُنُّ بِمُلْكِهِ مِنْ أَنْ يَدْعُهُ وَيَصِيرَ تَابِعًا  
 قَالَ عَمْرُو : إِنْ أَسْلَمَ أَخُوكَ مَلَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيَّ قَوْمِهِ : فَأَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْ  
 غَنِيهِمْ فَرَدَّهَا عَلَى فُقِيرِهِمْ ، فَقَالَ عَبْدٌ : إِنَّ هَذَا لَخُلُقٌ حَسَنٌ ، وَمَا الصَّدَقَةُ ؟ ،  
 فَأَخْبَرَهُ بِمَا فَرَضَ اللَّهُ مِنَ الصَّدَقَاتِ فِي الْأَمْوَالِ ، وَلَمَّا ذَكَرَ الْمَوَاشِيَ ، قَالَ : يَا  
 عَمْرُو يُؤْخَذُ مِنْ سَوَائِمِ مَوَاشِينَا الَّتِي تَرَعَى فِي الشَّجَرِ وَتَرُدُّ الْمِيَاهَ ؟ ، قَالَ :  
 نَعَمْ ، فَقَالَ عَبْدٌ : وَاللَّهِ مَا أَرَى قَوْمِي فِي بُعْدِ دَارِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ يُطِيعُونَ بِهَذَا  
 ثُمَّ إِنْ عَبْدًا أَوْصَلَ عَمْرًا لِأَخِيهِ جَيْفَرٍ ، فَتَكَلَّمَ مَعَهُ عَمْرُو بِمَا الْأَنَّ قَلْبُهُ حَتَّى أَسْلَمَ  
 هُوَ وَأَخُوهُ وَمَكْنَاهُ مِنَ الصَّدَقَاتِ .

### كِتَابُ هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ :

وَوَجَّهَ ﷺ سَلِيْطَ بْنَ عَمْرُو الْعَامِرِيَّ بِكِتَابٍ إِلَى هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ مَلِكِ الْيَمَامَةِ ،  
 وَفِيهِ : ( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ ،  
 سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعَ الْهُدَى .. وَاعْلَمْ أَنَّ دِينِي سَيُظْهَرُ إِلَيَّ مِنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَافِرِ ،  
 فَاسْلِمْ تَسْلِمًا ، وَاجْعَلْ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ ) .

فَلَمَّا جَاءَ الْكِتَابُ كَتَبَ فِي رَدِّهِ : ( مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَأَجْمَلُهُ ، وَأَنَا شَاعِرُ  
 قَوْمِي وَخَطِيبُهُمْ ، وَالْعَرَبُ تَهَابُ مَكَانِي ، فَاجْعَلْ لِي بَعْضَ الْأَمْرِ أَتْبِعُكَ ) .

وَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ( لَوْ سَأَلْتَنِي قِطْعَةً مِنَ الْأَرْضِ مَا فَعَلْتُ ، بَادٍ  
وَبَادٍ <sup>(١)</sup> مَا فِي يَدَيْهِ ) .. فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ وَقَتَ انْصِرَافِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَتْحِ  
مَكَّةَ .

سُرُورُ النَّبِيِّ بِحَفِيدَتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ عَلِيٍّ :

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلِدَتِ السَّيِّدَةُ ( فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ ) بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ  
زَوْجِهَا الْإِمَامِ ( عَلِيٍّ ) كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بِنْتَهَا ( زَيْنَبَ ) الَّتِي فَرِحَ بِهَا جَدُّهَا ﷺ  
وَسَمَّاهَا وَبَارَكَهَا وَاسْتَبَشَّرَ بِهَا .



## السَّنةُ السَّابِعةُ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ غَزْوَةُ خَيْبَرِ

وَقْتُهَا وَسَبَبُهَا : وَفِي شَهْرِ الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنةِ السَّابِعةِ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّجْهِيزِ لِعَزْوِ يَهُودِ خَيْبَرَ الَّذِينَ كَانُوا أَعْظَمَ مُهَيِّجٍ لِلأَحْزَابِ ضِدَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ ، وَالَّذِينَ لَا يَزَالُونَ مُجْتَهِدِينَ فِي مُحالْفَةِ الأَعْرَابِ ضِدَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَمَا قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي قِصَّةِ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ .

اسْتِنْفَارٌ .. وَاسْتِبْشَارٌ : وَقَدْ اسْتَنْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِذَلِكَ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الأَعْرَابِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ بِالْحُدَيْبِيَّةِ ، وَجَاءَ المُخَلْفُونَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْهَا لِيُؤَدَّنَ لَهُمْ ، فَقَالَ ﷺ : ( لَا تَخْرُجُوا مَعِيَ إِلَّا رَغْبَةً فِي الجِهَادِ ، أَمَا الْغَنِيمَةُ فَلَا أُعْطِيكُمْ مِنْهَا شَيْئاً ) ، وَأَمَرَ ﷺ مُنَادِياً يُنَادِي بِذَلِكَ .

وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ قُرْآنًا فِي هَؤُلَاءِ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِهِ ﷺ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ سَيَقُولُ المُخَلْفُونَ إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يُفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (١)

وَفِعْلاً لَمْ يَتَقَدَّمْ لِلخُرُوجِ إِلَّا أَصْحَابُ الشَّجَرَةِ ( بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ) وَهُمْ أَلْفٌ وَأَرْبَعِمِائَةٍ صَحَابِيٍّ .

الطَّرِيقُ إِلَى خَيْبَرَ : ثُمَّ خَرَجَ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ وُلِّيَ عَلَى المَدِينَةِ سِبَاعُ بْنُ عَرْفَطَةَ الغِفَارِيُّ ﷺ ، وَكَانَ مَعَهُ مِنْ أَزْوَاجِ السَّيِّدَةِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

بَعْضُ مَا حَدَّثَ أَثْنَاءَ السَّيْرِ : فَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ لَيْلاً ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ لِعَامِرٍ : يَا عَامِرُ أَلَا نَسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ ؟ ، وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا شَاعِرًا ، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالقَوْمِ وَيَقُولُ :

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا \* وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءَ لَكَ مَا اقْتَضَيْنَا \* وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لاقَيْنَا  
وَأَلْقَيْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا \* إِنَّا إِذَا صَبَحَ بِنَا أَتَيْنَا  
وَبِالصَّيْحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( مَنْ هَذَا السَّائِقُ ؟ ) ، قَالُوا : عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، قَالَ  
ﷺ : ( يَرْحَمُهُ اللَّهُ ) ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : وَجَبَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْلَا  
أَمْتَعْتَنَا بِهِ (١) .

وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَسْتَغْفِرُ لِإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ ، وَقَدْ  
وَقَعَ ذَلِكَ فِي حَرْبِ خَيْبَرَ .

وَفِي الطَّرِيقِ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ وَالدُّعَاءِ ، فَقَالَ  
ﷺ : ( ارْبُعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ (٢) فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا ، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ  
سَمِيمًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ ) (٣) .

وَلَمَّا أَشْرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى خَيْبَرَ ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ قِفُوا ، ثُمَّ قَالَ ﷺ :

( اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا  
أَضَلَلْنَ ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا أذْرَيْنَ ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ  
مَا فِيهَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا ، اقْدُمُوا بِاسْمِ اللَّهِ ) .

الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَسْوَارِ خَيْبَرَ : بَاتَ الْمُسْلِمُونَ اللَّيْلَةَ الْأَخِيرَةَ الَّتِي بَدَأَ فِي

صَبَاحِهَا الْقِتَالَ قَرِيبًا مِنْ خَيْبَرَ ، وَلَا تَشْعُرُ بِهِمُ الْيَهُودُ ( وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

إِذَا أَتَى قَوْمًا بَلِيلٍ لَمْ يَقْرَبْهُمْ حَتَّى يُصْبِحَ ) ، فَلَمَّا أَصْبَحَ صَلَّى الْفَجْرَ بِلَيْسٍ ،

وَرَكِبَ الْمُسْلِمُونَ ، فَرَأَاهُمْ عُمَالُ خَيْبَرَ وَقَدْ خَرَجُوا بِمَسَاحِيهِمْ وَفُؤُوسِهِمْ

وَمَكَاتِلَهُمْ يَقْصِدُونَ مَزَارِعَهُمْ ، فَصَاحُوا : مُحَمَّدٌ ، وَاللَّهُ مُحَمَّدٌ وَالْحَمِيمِسُ (٥) ، ثُمَّ

رَجَعُوا هَارِبِينَ إِلَى حُصُونِهِمْ .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ -

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا . (٢) ارْبُعُوا بِأَنْفُسِكُمْ . (٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ .

(٤) خَيْبَرَ : اسْمٌ جَامِعٌ لِحُصُونٍ وَفُرَى ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ نَحْوُ مِائَةِ كَيْلَوْ مِترٍ مِنَ الشَّمَالِ الْقَرْيَةِ .

(٥) الْحَمِيمِسُ : الْجَيْشُ .

أَيُّ أَهْلِهَا - إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ ، قَالَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا (١)

حُصُونُ حَيْبَرِ : وَكَانَتْ حُصُونُ حَيْبَرَ ثَلَاثَةً مُنْفَصِلًا بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ ، وَهِيَ :

حُصُونُ ( النَّطَاةِ ) ، وَحُصُونُ ( الْكَتِيبَةِ ) ، وَحُصُونُ ( الشَّقِّ ) .

وَالنَّطَاةُ ثَلَاثَةٌ : ( حِصْنُ نَاعِمِ ) ، وَ( حِصْنُ الصَّغْبِ ) ، وَحِصْنُ ( قُلَّةِ ) .

وَالْكَتِيبَةُ حِصْنَانِ : ( حِصْنُ أَبِي ) ، وَ ( حِصْنُ الْبَرِيِّ ) .

وَالشَّقُّ ثَلَاثَةُ حُصُونٍ : ( حِصْنُ الْقَمُوصِ ) ، وَ ( حِصْنُ الْوَطِيحِ ) ، وَ ( حِصْنُ

السَّلَالِمِ ) .

بَدَأَ الْقِتَالَ : فَبَدَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُصُونِ النَّطَاةِ ، وَعَسَكَرَ الْمُسْلِمُونَ شَرْقِيَّهَا بَعِيدًا عَنْ

مَدَى النَّبْلِ ، وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقَطَعَ نَخْلُهُمْ لِيرْهَبَهُمْ حَتَّى يُسَلِّمُوا ، فَقَطَعَ الْمُسْلِمُونَ

نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةِ نَخْلَةٍ ، وَلَمَّا رَأَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصْمِيمَ الْيَهُودِ عَلَى الْحَرْبِ نَهَى عَنِ الْقَطْعِ .

ثُمَّ ابْتَدَأَ الْمُسْلِمُونَ الْقِتَالَ مَعَ حِصْنِ نَاعِمٍ بِالْمُرَامَةِ ، وَكَانَ لِيَوَاءِ الْمُسْلِمِينَ بَيْدِ

أَحَدِ الْمُهَاجِرِينَ فَلَمْ يَصْنَعْ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ، وَفِيهِ اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَخُو

مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ .. وَصَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ مَعَ بَعْضِ الْجَيْشِ لِلْمَنَاوَشَةِ وَيُخَلِّفُ

عَلَى الْعَسْكَرِ أَحَدَ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي اللَّيْلَةِ السَّادِسَةِ ظَفَرَ حَارِسُ

الْجَيْشِ ( وَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) بِيَهُودِيٍّ خَارِجٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَأَتَى بِهِ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمَّا أَدْرَكَ الرَّجُلَ الرَّعْبُ ، قَالَ : إِنْ أَمْنْتُمُونِي أَدْلُكُمْ عَلَى أَمْرٍ

فِيهِ نَجَاحُكُمْ .. فَقَالُوا : دُلْنَا فَقَدْ أَمْنَاكَ ، فَقَالَ : إِنْ أَهْلَ هَذَا الْحِصْنِ أَدْرَكْتُمْ

الْمَلَالُ وَالْتَعَبُ ، وَقَدْ تَرَكْتُمْ يَبْعَثُونَ بِأَوْلَادِهِمْ إِلَى حِصْنِ الشَّقِّ وَسَيَخْرُجُونَ

لِقِتَالِكُمْ غَدًا ، فَإِذَا فَتَحَ عَلَيْكُمْ هَذَا الْحِصْنُ غَدًا فَإِنِّي أَدْلُكُمْ عَلَى بَيْتٍ فِيهِ

مَنْجَنِيْقٌ وَدَبَابَاتٌ وَدُرُوعٌ وَسُيُوفٌ يَسْهُلُ عَلَيْكُمْ بِهَا فَتْحُ بَقِيَّةِ الْحُصُونِ ، فَإِنْتُمْ

تَنْصُبُونَ الْمَنْجَنِيْقَ وَيَدْخُلُ الرِّجَالُ تَحْتَ الدَّبَابَاتِ فَيَنْقُبُونَ الْحِصْنَ فَتَفْتَحُهُ مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) الدَّبَابَةُ : آلَةٌ تَتَّخَذُ لِلْحُرُوبِ فَتُدْفَعُ فِي أَصْلِ الْحِصْنِ فَيَنْقُبُونَهُ وَهِيَ فِي جَوْفِهَا .

يَوْمِكَ .

شَأْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنه : فَلَمَّا كَانَ مَسَاءَ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَ اللَّهُ فِي صَبَاحِهَا الْحِصْنَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه : ( لِأَعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ) (١) ، فَبَاتَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ كُلُّهُمْ يَتَمَنَّوْنَهَا ، حَتَّى قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه : مَا تَمَنَّيْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا لِيَلْتَدِيَ .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ أَرْمَدُ ( يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ) ، فَأَرْسَلَ مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ ، وَلَمَّا جَاءَ عَلِيٌّ تَقَلَّ صلوات الله عليه فِي عَيْنَيْهِ فَشَافَهُمَا اللَّهُ كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِمَا شَيْءٌ ، ثُمَّ أُعْطَاهُ صلوات الله عليه الرَّايَةَ فَتَوَجَّهَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ لِلْقِتَالِ .

الْفُتُوَّةُ عَلِيٌّ : هُنَاكَ وَجَدُوا الْيَهُودَ مُتَجَهِّزِينَ لِلْقِتَالِ ، فَخَرَجَ يَهُودِيٌّ يَطْلُبُ الْمُبَارَزَةَ فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه ، ثُمَّ خَرَجَ مَرْحَبٌ ( وَهُوَ أَشْجَعُ الْقَوْمِ وَكَانَ يُعَدُّ عِنْدَهُمْ بِأَلْفِ رَجُلٍ ) وَدَعَا إِلَى الْمُبَارَزَةِ وَهُوَ يَرْتَجِزُ قَائِلًا :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبِرُ أُنِي مَرْحَبٌ \* شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجْرَبٌ

إِنْ جِمَايَ لِلْجَمَى لَا يُقْرَبُ

فَبَرَزَ لَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَهُوَ يَرْتَجِزُ قَائِلًا :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةٌ \* كَلَيْتَ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمُنْظَرَةَ

أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ

فَضْرَبَ مَرْحَبٌ تُرْسَ عَلِيٍّ فَطَرَحَهُ ، فَتَنَاولَ عَلِيٌّ رضي الله عنه بَابًا كَانَ عِنْدَ الْحِصَنِ فَتَتَرَسَ بِهِ ، ثُمَّ ضْرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَلَمْ يَزَلِ الْبَابُ بِيَدِ عَلِيٍّ رضي الله عنه إِلَى أَنْ انْقَضَى الْقِتَالُ ، ثُمَّ طَرَحَهُ (٢) .

قَالَ أَبُو رَافِعٍ ( مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه ) : فَلَقَدْ رَأَيْتَنِي ثَامِنَ ثَمَانِيَةِ نَجْهَدُ أَنْ نَقْلِبَ ذَلِكَ الْبَابَ فَلَمْ نَقْلِبْهُ .

ثُمَّ إِنَّ يَاسِرَ ( أَخَا مَرْحَبٍ ) خَرَجَ فَقَتَلَهُ الرَّبِيعُ بْنُ الْعَوَّامِ ، ثُمَّ حَمَلَ الْمُسْلِمُونَ

(٢) دلائل النبوة ، ج ( البيهقي ) ، وعيون الأثر ، ( ابن سيد الناس ) .

(١) متفق عليه .

عَلَى الْيَهُودِ حَتَّى كَسَفُوهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ وَتَبِعُوهُمْ حَتَّى دَخَلُوا الْحِصْنَ بِالْقُوَّةِ .

وَلَمَّا تَقَدَّمَ عَلَى ﷺ إِلَى الْحِصْنِ ، أَشْرَفَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَلَى . قَالَ : عَلَوْتُمْ الْآنَ وَرَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ .

تَوَالِي الْفُتُوحِ : وَانْهَزَمَ الْأَعْدَاءُ إِلَى الْحِصْنِ الَّذِي يَلِيهِ : وَهُوَ ( حِصْنُ الصَّغْبِ ) ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ( حِصْنِ نَاعِمِ ) كَثِيراً مِنَ الْخُبْزِ وَالتَّمْرِ ، ثُمَّ تَبِعُوا الْيَهُودَ إِلَى ( حِصْنِ الصَّغْبِ ) ، فَقَاتَلَ عَنْهُ الْيَهُودُ قِتَالاً شَدِيداً حَتَّى رُدَّ عَنْهُ الْمُسْلِمُونَ ، وَلَكِنْ ثَبَتَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ وَمَنْ مَعَهُ وَقَاتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً حَتَّى هَزَمُوا الْيَهُودَ فَتَبِعُوهُمْ حَتَّى افْتَتَحُوا عَلَيْهِمُ الْحِصْنَ فَوَجَدُوا فِيهِ غَنَائِمَ كَثِيراً مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَمَرَ ﷺ مُنَادِياً يَقُولُ : كُلُوا وَاعْلِفُوا دَوَابَّكُمْ وَلَا تَأْخُذُوا شَيْئاً .

ثُمَّ إِنَّ الَّذِينَ انْهَزَمُوا سَارُوا إِلَى ( حِصْنِ قَلَّةِ ) فَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَحَاصَرُوهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِمْ فَتَحَهُ ، وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ دَلَّهْمُ يَهُودِيٍّ عَلَى جَدَاوِلِ الْمَاءِ الَّتِي يَسْتَقِي مِنْهَا الْيَهُودُ فَمَنَعُوهَا عَنْهُمْ ، فَخَرَجُوا وَقَاتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً انْتَهَى بِهِزِيمَتِهِمْ إِلَى ( حِصْنِ الشَّقِّ ) ، فَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَبَدَّوْا بِ( حِصْنِ أَبِي ) ، فَخَرَجَ أَهْلُهُ وَقَاتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً أُبْلِيَ فِيهِ أَبُو دُجَانَةَ الْأَنْصَارِيُّ بَلَاءً حَسَنًا حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ دُخُولِ الْحِصْنِ عَنُوداً ، وَوَجَدَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ أَثَانًا كَثِيراً وَمَتَاعاً وَغَنَمًا وَطَعَاماً ، وَهَرَبَ الْمُنْهَزَمُونَ مِنْهُ إِلَى ( حِصْنِ الْبَرِيِّ ) فَتَمَنَّعُوا بِهِ أَشَدَّ التَّمْنَعِ ، وَكَانَ أَهْلُهُ أَشَدَّ الْيَهُودِ رَمِيًّا بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ حَتَّى أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْضُ مِنْهُ ، فَتَصَبَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ الْمَنْجَبِيقَ فَوَقَعَ فِي قَلْبِ أَهْلِهِ الرُّعْبُ وَهَرَبُوا مِنْهُ مِنْ غَيْرِ عَنَاءٍ شَدِيدٍ ، فَوَجَدَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ أَوَانِي لِيَهُودٍ مِنْ نَحَاسٍ وَفَخَّارٍ ، فَقَالَ ﷺ : ( اغْسِلُوهَا وَاطْبُخُوهَا فِيهَا ) .

ثُمَّ تَبَعَ الْمُسْلِمُونَ بَقَايَا الْعَدُوِّ إِلَى ( حِصْنِ الْكُتَيْبَةِ ) ، وَبَدَّأُوا بِ( حِصْنِ الْقَمُوصِ ) فَحَاصَرُوهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ فَتَحَهُ اللَّهُ عَلَى يَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ، وَمِنْهُ سُبَيْتٌ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ بْنِ أَخْطَبِ .

مُصَالِحَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ خَيْبَرَ: ثُمَّ سَارَ الْمُسْلِمُونَ لِحِصَارِ حِصْنِي  
 (الْوَطِيحِ وَالسَّلَالِمِ) فَلَمْ يُقَاوِمُوا أَهْلَهُمَا ، بَلْ سَلَّمُوا طَالِبِينَ حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَنْ  
 يَخْرُجُوا مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ بِذَرَارِيهِمْ ، وَيُخْلَوْنَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ مَا كَانَ  
 لَهُمْ مِنْ مَالٍ وَأَرْضٍ وَعَلَى الصَّفْرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ (أَيَ: الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) وَالْكُرَاعِ  
 وَالْحَلَقَةِ إِلَّا ثُوبًا عَلَى ظَهْرِ إِنْسَانٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ( وَبَرِئْتُ مِنْكُمْ ذِمَّةَ  
 اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ إِنْ كَتَمْتُمُونِي شَيْئًا ) ، فَصَالَحُوهُ عَلَى ذَلِكَ .. وَبَعْدَ هَذِهِ  
 الْمُصَالِحَةِ تَمَّ تَسْلِيمُ الْحِصُونِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَبِذَلِكَ تَمَّ فَتْحُ خَيْبَرَ .  
 وَسَمِعَ بِهِمْ أَهْلُ ( فَدَكِ ) فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَطْلُبُونَ مِنْهُ ذَلِكَ ، فَفَعَلَهُ  
 ﷺ لَهُمْ .

فَكَانَتْ ( خَيْبَرُ ) غَنِيمَةً وَ ( فَدَكِ ) فَيْئًا خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ مِمَّا لَمْ  
 يُوجِبِ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِحَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ .

ابْنُ أَبِي الْحَقِيقِ يَنْقُضُ الْعَهْدَ: وَقَدْ أَمَرَ ﷺ بِقَتْلِ كِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي  
 الْحَقِيقِ لِأَنَّهُ نَقَضَ الْعَهْدَ وَأَنْكَرَ حُلِيَّ حَيْبِ بْنِ أَخْطَبِ ( وَكَانَ احْتِمَلَهُ مَعَهُ إِلَى  
 خَيْبَرَ حِينَ أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ ) ، وَقَدْ عَثَرَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ فَوَجَدُوا فِيهَا أَسَاوِرَ  
 وَدِمَالِحَ وَخَلَائِلَ وَقُرْطَةَ وَخَوَاتِيمَ الذَّهَبِ وَعُقُودَ الْجَوَاهِرِ وَالزُّمُرِدِ وَغَيْرَ ذَلِكَ ،  
 وَالرَّاجِحُ أَنَّهُ قُتِلَ قِصَاصًا بِ ( مَحْمُودِ بْنِ مَسْلَمَةَ ) .

هَذَا ، وَالَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْبَرَ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَقَتْلَ مِنْ  
 الْيَهُودِ ثَلَاثَةَ وَتِسْعُونَ رَجُلًا .

قِسْمَةُ غَنَائِمِ خَيْبَرَ: وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجْلِيَ الْيَهُودَ مِنْ خَيْبَرَ ، فَقَالُوا: يَا  
 مُحَمَّدُ ، دَعْنَا نَكُونُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ نُصَلِّحُهَا ، وَنَقُومُ عَلَيْهَا ، فَتَحَنُّ أَعْلَمُ بِهَا  
 مِنْكُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا لِأَصْحَابِهِ غِلْمَانٌ يَقُومُونَ عَلَيْهَا ، فَأَعْطَاهُمْ  
 ﷺ خَيْبَرَ وَعَامَلَهُمْ عَلَيْهَا عَلَى أَنَّ لَهُمُ النِّصْفَ مِنْ كُلِّ زَرْعٍ ، وَمِنْ كُلِّ ثَمَرٍ مَا بَدَأَ  
 لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُقَرَّهُمْ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْرُصُهُ ( يُقَدِّرُهُ )



عَلَيْهِمْ .. ثُمَّ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَفْبِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ  
 ( الْحُدَيْبِيَّةِ ) عَنْ ( خَيْبَرَ ) إِلَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَسْهَمَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ .  
 قُدُومُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْأَشْعَرِيِّينَ ﷺ : وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي  
 طَالِبٍ ﷺ فِي مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ وَمَعَهُمُ الْأَشْعَرِيُّونَ ( أَبُو مُوسَى وَأَصْحَابُهُ ) بَعْدَ  
 الْوَقْعَةِ ، وَقَبْلَ الْقِسْمَةِ ، فَأَسْهَمَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ .

وَلَمَّا أَقْبَلَ جَعْفَرٌ ، قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَاعْتَقَهُ : وَقَالَ ﷺ :

( مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَسْرٌ . بَفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرَ ؟ ) (١)

رَدُّ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْأَنْصَارِ مَنَائِحُهُمْ : وَحَدَّثَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ فَتْحِ خَيْبَرَ الرَّخَاءَ  
 الْعَظِيمَ ، وَكَانَتْ مَعَ الْمُهَاجِرِينَ مَنَائِحٌ (٢) مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَدُّوْهَا عَلَيْهِمْ .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ : مَا شِيعْنَا مِنْ تَمَرٍ حَتَّى فَتَحْنَا خَيْبَرَ . (٣)

خَبْرُ الشَّاهِ الْمَسْمُومَةِ : وَلَمَّا اطمأنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْبَرَ أَهْدَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنَ  
 الْيَهُودِ ( وَهِيَ زَيْنُبُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، امْرَأَةٌ سَلَامٌ بِنِ مِشْكَمَ ، وَابْنَةُ أَخِي مَرْحَبِ )

شَاهًا مَشْوِيَّةً مَسْمُومَةً ، لِمَا بَلَغَهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعْجِبُهُ الذَّرَاعُ ، فَلَمَّا رَفَعَ

النَّبِيُّ ﷺ الذَّرَاعَ وَأَخَذَ مِنْهَا لُقْمَةً فِي فَمِهِ ثُمَّ لَفَّظَهَا ، وَقَالَ : ( إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ

لِيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ ) . وَلَمْ يَبْتَلِعْ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ لُقْمَةً إِلَّا بِشَرِّ بْنِ الْبَرَاءِ ، ثُمَّ

دَعَا ﷺ بِالْمَرْأَةِ فَاعْتَرَفَتْ ، فَقَالَ ﷺ : ( مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ ) ، قَالَتْ :

إِنَّكَ بَلَغْتَ مِنْ قَوْمِي مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ ، فَقُلْتُ : إِنْ كَانَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْهُ ،

وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّهُ .. فَتَجَاوَزَ ﷺ عَنْهَا ، لِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَنَارُ لِنَفْسِهِ مِنْ أَيِّ

إِنْسَانٍ . وَلَكِنْ بَعْدَ مُرُورِ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ تُوَفِّي بِشَرِّ بْنِ الْبَرَاءِ ﷺ بِسَبَبِ هَذَا السُّمِّ ، لِذَا قُلْتُ بِهِ

هَذِهِ الْمَرْأَةُ قِصَاصًا (٥)

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي ( سُنَنِهِ ) . وَالطَّبْرَانِيُّ فِي ( الْمُعْجَمِ الصَّغِيرِ ) .

(٢) الْمَنَائِحُ : جَمْعُ مَنَعَةٍ : وَهِيَ أَنْ يَعْطِبَهُ نَاقَةٌ أَوْ شَاةٌ ، يَنْتَعِجُ بِلَبَّتَيْهَا وَيُبِيدُهَا . وَكَذَلِكَ إِذَا أَعْطَاهُ لِيَنْتَعِجَ بَوْبَيْهَا وَصُوفِهَا زَمَانًا ثُمَّ يَرُدُّهَا . (٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

(٤) بِشَرِّ بْنِ الْبَرَاءِ بِنِ مَعْرُورٍ : كَانَ أَبُوهُ أَحَدَ نَقَبَاءِ الْغَزْرَجِ فِي الْعَقَبَةِ وَشَهِدَهَا بِشَرِّ مَعَهُ . كَمَا شَهِدَ بِشَرِّ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا وَتُوَفِّيَ عَقِبَ خَيْبَرَ مَسْمُومًا .

(٥) الْغَبْرُ فِي ( الْمُسْتَدْرِكِ ) لِلْحَاكِمِ .

زَوَّاجُهُ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

وَبَعْدَ تَمَامِ الظَّفَرِ وَالتَّصْرِ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حَيٍّ سَيِّدِ بَنِي النَّضِيرِ وَأَصْدَقَهَا عِتْقَهَا ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَشَرَفَتْ بِأُمُومَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ رَأَتْ فِي نَوْمِهَا أَنَّ الْقَمَرَ سَقَطَ فِي حِجْرِهَا ، فَتَوَوَّلَ بِذَلِكَ .

النَّهْيُ عَنِ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ :

وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِخَيْبَرَ عَنِ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ <sup>(١)</sup> ( وَهُوَ النِّكَاحُ لِأَجَلٍ مُّحَدَّدٍ ) ، وَقَدْ كَانَ حَلَالًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَاسْتُعْمِلَ فِي بَدَأِ الْإِسْلَامِ حَتَّى حَرَّمَهُ الشَّرْعُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

وَنَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ فِي هَذِهِ الْفَرْوَةِ عَنِ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ : فَأَكَمَّا الْمُسْلِمُونَ قُدُورَهَا بَعْدَ أَنْ نَضَجَتْ وَلَمْ يَطْعَمُوهَا .

صُلْحُ تَيْمَاءَ :

وَلَمَّا بَلَغَ يَهُودُ تَيْمَاءَ مَا فَعَلَهُ الْمُسْلِمُونَ بِيَهُودِ خَيْبَرَ وَمُسَارَعَةَ يَهُودِ فَدَكِ <sup>(٢)</sup> لِمُصَالِحَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، صَالَحُوا عَلَى دَفْعِ الْجِزْيَةِ وَمَكْتُوبًا فِي بِلَادِهِمْ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ .

فَتْحُ وَايِ الْقُرَى :

ثُمَّ دَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودَ وَايِ الْقُرَى إِلَى الْإِسْتِسْلَامِ فَأَبَوْا وَقَاتَلُوا ، فَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَأَصَابُوا مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَغَنِمُوا مِنْهُمْ مَغَانِمَ كَثِيرَةً خَمَسَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَرَكَ الْأَرْضَ فِي أَيْدِي أَهْلِهَا يَزْرَعُونَهَا وَعَامَلَهُمْ عَلَيْهَا بِنِصْفِ مَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا ، كَمَا صَنَعَ بِأَرْضِ خَيْبَرَ .

مَقَالَةُ الشَّفِيعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُدْرِكُ بِالذَّوْقِ الرَّفِيعِ :

فَقِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ رَاجِعًا مِنْ خَيْبَرَ وَبَدَأَ لَهُ جَبَلٌ أَحَدٍ ، قَالَ : ( هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ ) <sup>(٤)</sup> .

(٢) قَرْيَةٌ عَلَى ثَمَانِ مَرَاجِلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي النِّكَاحِ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ (أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٣) فَذَلِكَ : جِصْنٌ قَرِيبٌ مِنْ خَيْبَرَ عَلَى مِثْلِ لَيْالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ .

قَالَ الْمُحَقِّقُونَ : لَا مَانِعَ مِنْ إِسْنَادِ الْحُبِّ الْحَقِيقِيِّ إِلَى الْجَبَلِ ، كَمَا سَخَّرَ اللَّهُ الْجِبَالَ لـ ( دَاوُدَ ) عَلَيْهِ السَّلَامُ يُسَبِّحُنَ مَعَهُ ، وَلَا حَرَجَ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ .

هَذَا ، وَيَأْتِيَادِ جَمِيعِ الْيَهُودِ الْمُجَاوِرِينَ لِلْمَدِينَةِ ارْتِحَاحَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ شَرِّ عَدُوِّ كَانِ يَتَرَبَّصُ بِهِمُ الدَّوَائِرُ ، مَهْمَا كَانَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْعُهُودِ وَالْمَوَاطِيقِ ، وَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ مُؤَيَّدِينَ ظَافِرِينَ .

عَزْوَةٌ ذَاتِ الرَّقَاعِ : ( وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ أَهْدَامَهُمْ نَقَبَتْ مِنَ الْحَفَاءِ ، وَكَانُوا يُلْفُونَ عَلَيْهَا الْخَرَقَ ) :

وَسَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَّفَهُ ﷺ أَنْ قَبَائِلَ مِنْ نَجْدٍ يَتَهَيَّؤُونَ لِحَرْبِهِ ، وَهُمْ : بَنُو مُحَارِبٍ ، وَيَبْنُو ثَعْلَبَةَ ، وَيَبْنُو أَنْمَارٍ مِنْ بَدْوِ غَطَفَانَ ، فَتَجَهَّزَ ﷺ لَهُمْ وَخَرَجَ فِي سَبْعِمِائَةِ مُقَاتِلٍ ، وَوَلَّى ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَزَالُوا سَائِرِينَ حَتَّى وَصَلُوا دِيَارَ الْقَوْمِ ، فَلَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا غَيْرَ نِسْوَةٍ فَأَخَذُوهُنَّ فَبَلَغَ الْخَبْرُ رِجَالَهُمْ ، فَخَافُوا وَتَفَرَّقُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ جَمْعٌ مِنْهُمْ وَجَاؤُوا لِلْحَرْبِ ، وَلَمَّا حَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ وَخَافَ ﷺ أَنْ يَغْدِرَ بِهِمُ الْأَعْدَاءُ وَهُمْ يُصَلُّونَ صَلَّى ﷺ بِالْمُسْلِمِينَ صَلَاةَ الْخَوْفِ فَأَلْقَى اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ ، وَتَفَرَّقَتْ جُمُوعُهُمْ خَائِفِينَ مِنْهُ ﷺ .

خَبْرُ غُورِثِ بْنِ الْحَارِثِ : وَلَمَّا قَضَى ﷺ مِنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ نَزَلُوا وَقَتَ الْقَبِيلَةَ مَنْزِلًا وَتَفَرَّقُوا ، وَنَزَلَ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنَامَ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ يُسَمَّى غُورِثَ بْنَ الْحَارِثِ ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاخْتَرَطَهُ ( سَلَّهُ مِنْ غَمْدِهِ ) ، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ ﷺ : ( اللَّهُ ) ، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، وَقَالَ : ( مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ ) ( ١ ) ، فَقَالَ : كُنْ خَيْرَ آخِذٍ ، فَتَرَكَهُ ﷺ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ ، فَذَهَبَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ : جِئْتُ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ .

( ١ ) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِخَوْبِهِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

## سَرِيَّةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه :

(١) وفي شهر شعبان بلغه رضي الله عنه أَنَّ جَمْعاً مِنْ هَوَازِنَ بَتْرَبَةَ يُظْهِرُونَ الْعِدَاةَ لِلْمُسْلِمِينَ فَأَرْسَلَ لَهُمْ رضي الله عنه عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ، وَلَمَّا بَلَغَهُمُ الْخَبَرَ تَفَرَّقُوا فَلَمْ يَجِدْ بِهَا عُمَرَ أَحَدًا فَرَجَعَ رضي الله عنه .

## سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه :

وفي شعبان من هذه السنة أيضاً أَرْسَلَ رضي الله عنه بَشِيرَ بْنَ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ لِقِتَالِ بَنِي مُرَّةَ بِنَاحِيَةِ فَدَكِ . فَلَمَّا وَرَدَ بِلَادَهُمْ لَمْ يَرِ مِنْهُمْ أَحَدًا فَأَخَذَ نَعْمَهُمْ . أَمَّا الْقَوْمُ فَكَانُوا فِي الْوَادِي . فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَأَدْرَكُوا بِشِيرًا لَيْلًا وَهُوَ رَاجِعٌ فَتَرَامَوْا بِالنَّبْلِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ الصُّبْحُ اقْتَتَلَ الْفَرِيقَانِ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى قُتِلَ غَالِبُ الْمُسْلِمِينَ وَجُرِحَ بِشِيرٌ جُرْحًا شَدِيدًا حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مَاتَ . وَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ الْعَدُوُّ تَحَامَلَ إِلَى فَدَكِ . فَأَقَامَ عِنْدَ يَهُودٍ حَتَّى بَرِثَتْ جِرَاحُهُ . فَرَجَعَ رضي الله عنه إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم .

## سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه :

(٢) وفي شهر رمضان أَرْسَلَ رضي الله عنه غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيُّ إِلَى أَهْلِ الْمَيْفَعَةِ فِي مَائَةِ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا فَسَارُوا حَتَّى هَجَمُوا عَلَى الْقَوْمِ فَقَتَلُوا بَعْضًا وَأَسْرَوْا آخَرِينَ . وَفِي أَثْنَاءِ الْحَرْبِ طَارَدَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه رَجُلًا <sup>(٣)</sup> مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُ الْمَوْتَ فِي يَدِ أُسَامَةَ تَشَهَّدَ . فَظَنَّ أُسَامَةُ أَنَّ عَدُوَّهُ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ تَخَلُّصًا فَقَتَلَهُ .. وَلَمَّا رَجَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِفِعْلِهِ أُسَامَةَ . قَالَ رضي الله عنه : ( أَقَاتَلْتُهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ ) ؟ ( ١ ) . قَالَ أُسَامَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا مُتَعَوِّذًا مِنَ الْقَتْلِ : قَالَ رضي الله عنه :

( فَهَلَّا شَقَمْتَ عَنْ قَلْبِهِ فَتَعَلَّمَ أَصَادِقُ هُوَ أَمْ كَاذِبٌ ) ؟ ( ٢ ) . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَعْفِرْ لِي . قَالَ رضي الله عنه : ( فَكَيْفَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ ) ؟ ( ٣ ) . فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا رضي الله عنه حَتَّى

(٢) عَلَى ثَمَانِيَةِ بُرْدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ .

(١) وَادٍ بِالْقُرْبِ مِنْ مَكَّةَ عَلَى مَسَافَةِ يَوْمَيْنِ مِنْهَا .

(٣) وَهُوَ : نَهَيْكُ بْنُ مِرْدَاسٍ .

تَمَنَّى أَسَامَةَ أَنَّهُ لَمْ يُسَلِّمْ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ؛ وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسِنَتٌ مِّنَّا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ﴾ <sup>(١)</sup> . ثُمَّ أَمَرَ ﷺ أَسَامَةَ أَنْ يُعْتَقَ رَقَبَةً كِفَارَةً لِأَنَّهُ قَتَلَ خَطَا .  
سَرِيَّةً بِشِيرِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَيْضًا :

وَفِي شَهْرِ شَوَّالٍ بَلَغَهُ ﷺ أَنَّ عُبَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ وَاعِدَ جَمَاعَةً مِّنْ غَطَفَانَ كَانُوا مُقِيمِينَ قَرِيبًا مِّنْ خَيْبَرَ بِأَرْضِ اسْمُهَا ( يُمْنٌ وَجَبَّارٌ ) لِلِإِغَارَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَرْسَلَ ﷺ لَهُمْ بِشِيرِ بْنِ سَعْدٍ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ ، فَسَارُوا إِلَيْهِمْ يَكْمُنُونَ النَّهَارَ وَيَسِيرُونَ اللَّيْلَ حَتَّى أَتَوْا مَحَلَّتَهُمْ ، فَأَصَابُوا نَعْمًا كَثِيرَةً وَتَفَرَّقَ الرَّعَاءُ فَأَخْبَرُوا قَوْمَهُمْ ، فَفَزَعُوا وَلَحِقُوا بِأُغْلِيَا بِلَادِهِمْ ، وَلَمْ يَظْفَرْ الْمُسْلِمُونَ إِلَّا بِرَجُلَيْنِ أَسْلَمَا ، ثُمَّ رَجَعُوا بِالْفَنَائِمِ إِلَى الْمَدِينَةِ .  
عُمْرَةَ الْقَضَاءِ :

لَمَّا حَالَ الْحَوْلُ عَلَى عُمْرَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ الْهَجْرِيَّةِ ؛ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ صَدَّ مَعَهُ فِيهَا لِيَقْضِيَ عُمْرَتَهُ ( وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ إِلَّا رِجَالٌ اسْتَشْهَدُوا بِخَيْبَرَ وَرِجَالٌ مَاتُوا ) ؛ وَاسْتَخَلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُهْمٍ الْغِفَارِيَّ ، وَسَاقَ ﷺ مَعَهُ الْهَدْيَ سِتِّينَ بَدَنَةً ، وَأَخْرَجَ مَعَهُ السَّلَاحَ حَذْرًا مِّنْ غَدْرِ قُرَيْشٍ ؛ وَكَانَ مَعَهُ مِائَةٌ فَرَسٍ عَلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَعَلَى السَّلَاحِ بِشِيرُ بْنُ سَعْدٍ رضي الله عنه .

وَأَحْرَمَ ﷺ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ، وَلَبَّى وَالْمُسْلِمُونَ يُلْبُونَ مَعَهُ ﷺ ، وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ قَدَّمَ الْخَيْلَ أَمَامَهُ ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : حَمَلَتِ السَّلَاحَ وَقَدْ شَرَطُوا أَلَّا تَحْمِلَهُ ؟ . فَقَالَ ﷺ : ( لَا نَدْخُلُ الْحَرَمَ بِهِ وَلَكِنْ يَكُونُ قَرِيبًا مِنَّا ، فَإِنْ هَاجَنَا هَائِجٌ فَزَعْنَا لَهُ ) .. فَلَمَّا كَانَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ قَابَلَهُ ﷺ نَفْرٌ مِّنْ قُرَيْشٍ فَفَزَعُوا مِنْ هَذِهِ الْعُدَّةِ وَأَسْرَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَأَخْبَرُوهُمْ ، فَجَاءَهُ فِتْيَانٌ مِنْهُمْ

وقالوا: والله يا مُحَمَّدُ ما عُرِفَتْ بِالغَدْرِ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا وَإِنَّا لَمْ نُحَدِثْ حَدَثًا ۝  
فَقَالَ ﷺ: ( إِنَّا لَا نَدْخُلُ الْحَرَمَ بِالسَّلَاحِ ) .

وَلَمَّا حَانَ وَقْتُ دُخُولِهِ ( مَكَّةَ ) خَرَجَ أَهْلُهَا كَارِهِينَ رُؤْيَةَ الْمُسْلِمِينَ يَطَّوْفُونَ  
بِالْبَيْتِ ، فَدَخَلَ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَشِّحِينَ سُيُوفَهُمْ مِنْ ثِيَابِهِ ( كِدَاءِ ) وَأَمَامَهُ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ .. صَدَقَ وَعْدَهُ .. وَنَصَرَ عَبْدَهُ ..  
وَأَعَزَّ جُنْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ .. وَطَافَ ﷺ بِالْبَيْتِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقِصْوَاءِ  
وَاسْتَلَمَ الْحَجَرَ بِمِحْجِنِهِ وَقَبَلَ الْمِحْجَنَ ( وَمِنْهُ اسْتَدَلَّ الْعُلَمَاءُ أَنَّ كُلَّ مَا اتَّصَلَ  
بِإِنْتِزَاعِ شَرِيفِ جَارِ تَقْبِيلُهُ ) ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَرْمُلُوا ( يُسْرِعُوا ) ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ  
إِظْهَارًا لِلْقُوَّةِ : لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا : سَيَطَّوْفُ الْيَوْمَ بِالْكَعْبَةِ قَوْمٌ نَهَكْتَهُمْ حُمَى  
يَثْرِبَ ، فَقَالَ ﷺ: ( رَجِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَرَاهُمْ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً ) ، وَاضْطَبَعَ (١) ﷺ  
بِرِدَائِهِ وَكَشَفَ عَضُدَهُ الْيُمْنَى (شَأْنُ الْفُتُوَّةِ) وَفَعَلَ مِثْلَهُ الْمُسْلِمُونَ .

وَلَمَّا فَرَغَ ﷺ مِنَ الطَّوَافِ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ السَّعْيِ  
( وَقَدْ وَقَفَ الْهَدْيَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ ) ، قَالَ: ( هَذَا الْمَنْحَرُ ، وَكُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ مَنْحَرٌ )  
فَتَحَرَّ ﷺ عِنْدَ الْمَرْوَةِ وَحَلَّقَ هُنَاكَ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْمُسْلِمُونَ .

وَقَدْ أَتَمَّ الْمُسْلِمُونَ طَوَافَهُمْ بِالْبَيْتِ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ كَمَا رَأَى  
ﷺ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ فِي مَنَامِهِ ، وَأَقَامُوا بِ ( مَكَّةَ ) ثَلَاثًا .

زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ﷺ :  
وَتَزَوَّجَ ﷺ ، وَهُوَ بِمَكَّةَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةَ ( وَهِيَ أُخْتُ أُمِّ الْفَضْلِ زَوْجَةِ  
عَمِّهِ الْعَبَّاسِ ، وَخَالَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ ) ، وَهِيَ ﷺ آخِرُ نِسَائِهِ زَوَاجًا  
وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا إِلَّا بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ حَيْثُ كَانَ بِ ( سَرِفِ ) (٢)  
وَلَمَّا خَرَجَ ﷺ أَمَرَ الَّذِينَ كَانَ تَرَكَهُمُ لِجِرَاسَةِ الْخَيْلِ بِالذَّهَابِ لِيَطَّوْفُوا فَفَعَلُوا ،  
ثُمَّ رَجَعَ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَرِحًا مَسْرورًا بِمَا حَبَّاهُ اللَّهُ مِنْ تَصَدِيقِ رُؤْيَاهُ .

(١) الاضطباعُ : أَنْ يَجْعَلَ الْمُحْرِمُ وَسَطَ الرِّدَاءِ تَحْتَ إِبْطِئِهِ الْيُمْنَى وَيُرِدُّ طَرَفِيهِ عَلَى كَتِفِهِ الْبُسْرَى ، وَيُبْقِي كَتِفَهُ الْيُمْنَى  
مَكْشُوفَةً ، وَيُسِّنُّ الاضْطِبَاعُ فِي كُلِّ طَوَافٍ بَعْدَهُ سَعَى .

(٢) المصد : مَا بَيْنَ الْمَرْفِقِ وَالْكَتِفِ . (٣) سَرِفٌ : مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ بَيْنَ التَّعِيمِ وَمَرِّ الطُّهْرَانِ ، وَبِهِ قَبْرُهُمَا ﷺ .

## السَّنةُ الثَّامِنَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ

سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه :

وَفِي شَهْرِ صَفَرٍ أَرْسَلَ ﷺ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيُّ إِلَى بَنِي الْمُلُوحِ ، وَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ يَسْكُنُونَ بِالْكَدِيدِ <sup>(١)</sup> ، فَسَارَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِقُدَيْدِ النَّقْوَا بِالْحَارِثِ بْنِ مَالِكِ اللَّيْثِيِّ وَكَانَ خَصْماً لِدُوداً فَأَسْرَوْهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا جِئْتُمْ إِلَّا لِلْإِسْلَامِ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنْ تَكُنْ مُسْلِماً لَنْ يَضُرَّكَ رِبَاطُ لَيْلَةٍ وَالْآ اسْتَوْتَمْنَا مِنْكَ .. ثُمَّ سَارُوا حَتَّى وَصَلُوا مَحَلَّةَ بَنِي الْمُلُوحِ فَاسْتَأْفَوْا النَّعْمَ وَالشَّاءَ ، وَخَرَجَ الصَّرِيخُ إِلَى الْقَوْمِ فَجَاءَهُمْ مَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ ، وَلَكِنْ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَأَرْسَلَ سَيْلاً شَدِيداً حَالٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ حَتَّى صَارَ الْمُشْرِكُونَ يَرَوْنَ نَعْمَهُمْ تُسَاقُ وَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى رَدِّهَا .

سَرِيَّةُ غَالِبِ أَيْضاً :

وَلَمَّا رَجَعَ غَالِبُ رضي الله عنه إِلَى الْمَدِينَةِ ظَافِراً أَرْسَلَهُ ﷺ فِي مَائَتِي رَجُلٍ لِيَقْتَصَّ مِنْ بَنِي مُرَّةٍ بِفَدَكٍ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَصَابُوا سَرِيَّةَ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ ، فَسَارُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا قَرِيباً مِنَ الْقَوْمِ خَطَبَ غَالِبٌ فِيمَنْ مَعَهُ ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ أَمَا بَعْدُ : فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنْ تُطِيعُونِي وَلَا تُخَالِفُوا لِي أَمْراً ، فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ ، ثُمَّ أَخَى بَيْنَ الْجُنْدِ فَقَالَ : لَا يُفَارِقُ أَحَدٌ مِنْكُمْ زَمِيلَهُ ؛ وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَرْجِعَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَأَقُولَ لَهُ : أَيْنَ صَاحِبُكَ ؟ فَيَقُولَ : لَا أَدْرَى ، فَإِذَا كَبَّرْتُ فَكَبِّرُوا .. فَلَمَّا أَحَاطُوا بِالْعَدُوِّ وَكَبَّرَ كَبَّرُوا وَجَرَدُوا السُّيُوفَ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْ عَدُوِّهِمْ أَحَدٌ ، وَاسْتَأْفَوْا نَعْمَهُمْ فَكَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفِرَازَةِ عَشْرَةٌ مِنَ الْبَعِيرِ .

سَرِيَّةُ كَعْبِ بْنِ عُمَيْرِ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه :

وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ أَرْسَلَ ﷺ كَعْبُ بْنُ عُمَيْرِ الْغِفَارِيِّ إِلَى ذَاتِ أَطْلَاحٍ مِنْ أَرْضِ

(٢) ذَاتُ أَطْلَاحٍ : مَوْضِعٌ وَرَاءَ الْقُرَى مِنَ الْبَلْعَاءِ .

(١) مَوْضِعٌ بَيْنَ حُسَيْنَانَ وَقُدَيْدِ .

الشَّامِ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا ، فَوَجَدُوا جَمْعًا كَثِيرًا فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُجِيبُوا ، وَقَاتَلُوا ، وَكَانُوا أَكْثَرَ عَدَدًا ، فَاسْتَشْهِدَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ آخِرِهِمْ إِلَّا رَئِيسَهُمْ كَمْبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، فَإِنَّهُ نَجَا وَاتَى بِالْخَبَرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَقَّ عَلَيْهِ وَأَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَقْتَصُّ مِنْهُمْ ، فَبَلَغَهُ ﷺ أَنَّهُمْ تَحَوَّلُوا مِنْ مَنْزِلِهِمْ فَعَدَلَ عَنْ ذَلِكَ .

### سَرِيَّةُ مُوتَةَ (٢)

جَهَزَ ﷺ فِي جُمَادَى الْأُولَى جَيْشًا لِلْقِصَاصِ مِمَّنْ قَتَلُوا الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرِ الْأَزْدِيِّ رَسُولَهُ إِلَى أَمِيرِ بَصْرَى ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، وَقَالَ لَهُمْ ﷺ : (إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنْ قُتِلَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَإِنْ قُتِلَ فَلْيَرْتَضِ الْمُسْلِمُونَ بَرَجُلٍ مِنْ بَيْنِهِمْ يَجْمَعُونَهُ عَلَيْهِمْ) (٢) . وَكَانَتْ عِدَّةُ الْجَيْشِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَخَرَجَ ﷺ مُشِيعًا لَهُمْ حَتَّى بَلَغَ ثَنِيَّةَ الْوُدَاعِ ، وَكَانَ فِيهَا وَصَاهُمْ بِهِ ﷺ : ( اغزوا باسمِ اللَّهِ فَقاتِلُوا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ بِالشَّامِ ، وَسَتَجِدُونَ فِيهَا رِجَالًا فِي الصَّوَامِعِ مُعْتَزِلِينَ فَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهُمْ ، وَلَا تَقْتُلُوا امْرَأَةً وَلَا صَفِيرًا وَلَا كَبِيرًا فَانِيًا ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا وَلَا تَهْدِمُوا بِنَاءً ) .. فَلَمَّا سَارُوا نَادَى الْمُسْلِمُونَ الْمُشِيْعُونَ لَهُمْ : دَفَعَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَرَدَّكُمْ صَالِحِينَ غَانِمِينَ .

عِدَّةُ الْعَدُوِّ : وَلَمْ يَزَالُوا سَائِرِينَ حَتَّى وَصَلُوا مُوتَةَ ( مَقْتَلُ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرٍ ) ، وَهُنَاكَ وَجَدُوا الرُّومَ جَمَعُوا لَهُمْ جَمْعًا عَظِيمًا ؛ فَقَدْ خَرَجَ هِرَقْلُ فِي مِائَةِ أَلْفٍ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِائَةُ أَلْفٍ أُخْرَى مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ .

تَشَاوَرُ الْمُسْلِمِينَ : فَتَفَاوَضَ رِجَالُ الْجَيْشِ فِيمَا يَفْعَلُونَهُ ؛ أَيُرْسِلُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ مَدَدًا ، أَمْ يُقْدِمُونَ عَلَى الْحَرْبِ ؟

(١) ذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ وَابْنُ الْأَثِيرِ . وَكَذَلِكَ السُّبْرَةُ الْخَلْبِيَّةُ .

(٢) مُوتَةَ : قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ الْكَرْبِ وَهِيَ عَلَى مَشَارِفِ الشَّامِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .



فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنه : يَا قَوْمُ ، وَاللَّهِ إِنْ الَّذِي تَكْرَهُونَ هُوَ مَا خَرَجْتُمْ  
لَهُ ، خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ وَنَحْنُ مَا نَقَاتِلُ النَّاسَ بَعْدِي وَلَا بِقُوَّةٍ وَلَا بِكَثْرَةٍ ، مَا  
نُقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ . فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ :  
إِمَّا النَّصْرُ ، وَإِمَّا الشَّهَادَةُ ، فَقَالُوا : صَدَقْتَ .

أَبْدَاءُ الْقِتَالِ وَاسْتِشْهَادُ الْأَمْرَاءِ الثَّلَاثَةُ :

وَمَضَوْا لِلْقِتَالِ فَلَقُوا هَذِهِ الْجُمُوعَ الْمُتَكَاثِرَةَ ، فَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه حَتَّى  
اسْتُشْهِدَ . فَأَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَهُوَ يَقُولُ :

يَا حَبِّدَا الْجَنَّةِ وَاقْتِرَابُهَا \* طَيِّبَةٌ وَيَارِدٌ شَرَابُهَا  
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا \* كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا

عَلَى إِذٍ لَاقَيْتَهَا ضِرَابُهَا

فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ رضي الله عنه قِتَالًا شَدِيدًا وَهُوَ فَارِسٌ ( رَاكِبٌ فَرَسُهُ ) ، فَلَمَّا أَحَاطُوا بِهِ  
نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ فَمَقَرَّهَا ( فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَمَرَ فَرَسًا فِي الْإِسْلَامِ ) ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى  
قُطِعَتْ يَمِينُهُ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ بِشِمَالِهِ . فَقُطِعَتْ أَيْضًا ، فَاحْتَضَنَ الرَّايَةَ بِعَضُدَيْهِ  
حَتَّى قُتِلَ رضي الله عنه .. فَعَوَّضَهُ اللَّهُ بِهِمَا جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ ؛ فَسُمِّيَ  
الطَّيَّارَ (١) .

وَفِي (البُخَارِيُّ) ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ : كُنْتُ فِيهِمْ ( فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ )  
فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرًا : فَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بَضْعًا وَتِسْعِينَ طَعْنَةً مِنْ ضَرْبَةِ وَرْمِيَةٍ  
بَسْمِهِمْ ، لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ فِي دُبُرِهِ ( أَيْ : ظَهْرِهِ ) .

ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَوَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ بَعْضَ تَرْدُدٍ ، فَأَنْشَدَ قَائِلًا :

أَفْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنِي \* طَائِعَةً أَوْ لَتُكْرَهِنَنِي

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّنَّةَ <sup>(٢)</sup> \* مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ ! <sup>(٣)</sup>

(١) أَخْرَجَهُ الْعَاكِمُ فِي (المُسْتَدْرَكِ) ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي (مُسْنَدِهِ) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه .

(٢) أَجْلَبَ النَّاسُ : اجْتَمَعُوا . (٣) الرِّنَّةُ : الصَّيْحَةُ الشَّدِيدَةُ ، وَصَوْتُ فِيهِ تَرْجِيحٌ شَبِيهُ بِالْبُكَاءِ .

قَد طَالَمَا كُنْتَ مُظْمِئَةً \* هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَنِّهِ ٩ (١)

ثُمَّ اقْتَحَمَ بِفَرَسِهِ الْمَعْمَعَةَ وَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ ﷺ حَتَّى اسْتَشْهَدَ .. فَهَمَّ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْوَرَاءِ ، فَقَالَ لَهُمْ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ : يَا قَوْمُ يُقْتَلُ الْإِنْسَانُ مُقْبِلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُقْتَلَ مُدْبِرًا .

تَوَلَّى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ﷺ قِيَادَةَ الْجَيْشِ : فَثَبَّتَ الْمُسْلِمُونَ وَاتَّفَقُوا عَلَى تَأْمِيرِ الشُّهْمِ الْبَاسِلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَبِهِمَّتِهِ وَمَهَارَتِهِ الْحَرْبِيَّةِ حَمَى هَذَا الْجَيْشَ مِنَ الضِّيَاعِ ، إِذْ مَا تَفَعَّلَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ بِمَائَتِي أَلْفٍ :

فَإِنَّهُ لَمَّا أَخَذَ الرَّايَةَ قَاتِلَ ﷺ يَوْمَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَفِي غَدِهِ خَالَفَ تَرْتِيبَ الْعَسْكَرِ : فَجَعَلَ السَّاقَةَ مُقَدِّمَةً وَالْمُقَدِّمَةَ سَاقَةً وَالْمَيْمَنَةَ مَيْسِرَةً وَالْمَيْسِرَةَ مَيْمَنَةً ! فَظَنَّ الرُّومُ أَنَّ الْمَدَدَ جَاءَ لِلْمُسْلِمِينَ فَارْعَبُوا .

ثُمَّ أَخَذَ خَالِدُ الْجَيْشِ وَصَارَ يَرْجِعُ إِلَى الْوَرَاءِ حَتَّى انْحَازَ إِلَى مُؤْتَةٍ ، ثُمَّ مَكَثَ يُنَاوِشُ الْأَعْدَاءَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ تَحَاجَزَ الْفَرِيقَانِ لِأَنَّ الْكُفَّارَ ظَنُّوا أَنَّ الْأَمْدَادَ تَتَوَالَى لِلْمُسْلِمِينَ ، وَخَافُوا أَنْ يَجْرُوهُمْ إِلَى وَسْطِ الصَّحَارِيِّ حَيْثُ لَا يُمَكِّنُهُمُ التَّخْلُصُ ، وَبِذَلِكَ انْقَطَعَ الْقِتَالُ .

وَفِي ( صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ) عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ﷺ ، قَالَ : لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ ( مُؤْتَةٍ ) تِسْعَةُ أَسْيَافٍ ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ وَهِيَ الْعَاشِرَةُ .

نَعَى النَّبِيُّ ﷺ زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ ﷺ : وَفِي ( صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ) ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَاهُمْ لِلنَّاسِ يَوْمَ أُصِيبُوا ( قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبْرُهُمْ ) ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : ( أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأَصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأَصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبَ ) ، وَعَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ ، وَقَالَ ﷺ : ( مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا ) ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : ( ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ) (٢) ، أَي : فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِسَبَبِهِ .

(٢) الثَّنَةُ : الْعَرَبِيَّةُ الصَّغِيرَةُ الْبَالِيَّةُ .

(١) التُّظْمَةُ : الْمَاءُ الصَّافِي قَدْ أَوْكُتَ .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ .

وفى ( صحيح البخاري ) أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا سلم على عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ، قال السلام عليك يا ابن ذي الجناحين .

عودة جيش المسلمين : ولما أقبل الجيش إلى المدينة قابلهم المسلمون يقولون لهم : يا فرار .. فقال رضي الله عنهما : ( بل هم الكرار ) .

فقد ظن المقيمون بالمدينة أن أنجيز خالد بالجيش هزيمة ، ولكن رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه أراهم أن ذلك من مكايد الحرب وأتى على خالد في مهارته .

سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه :

وفى جمادى الآخرة بلغه رضي الله عنهما أن جمعاً من قضاة يتجمعون في ديارهم ( بذات السلاسل ) وراء وادي القرى ليغيروا على المدينة ، فأرسل لهم رضي الله عنهما عمرو بن العاص في ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين والأنصار ، ثم أمده رضي الله عنهما بأبي عبدة بن الجراح في مائتين من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر و عمرو رضي الله عنهما فلحقوا عمراً قبل أن يصل إلى القوم .. وقد أراد رجال من الجيش إيقاد نار فمنعهم عمرو ، فأنكر عليه عمر بن الخطاب فقال أبو بكر : إنما بعثه رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه علينا رئيساً لمعرفته بالحرب أكثر منا فلا تعصه ، فامتثل رضي الله عنهما .. ولما حلوا بساحة القوم حملوا عليهم فلم يكن أكثر من ساعة حتى تفرق الأعداء منهزمين ، فجمعوا غنائمهم وأرادوا اتباع أثرهم فمنعهم قائدهم عمرو ، ثم رجعوا إلى المدينة ظافرين .

وبيئنا هم في الطريق أدركت عمرو بن العاص جنابة في ليلة باردة فلما أصبح قال : إن اغتسلت هلكت ، والله يقول : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (٢) ، ثم تيمم وصلى ، ثم أمر بالسير حتى إذا وصلوا المدينة ، قام رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه يسأل عن أنباء سفرهم كما هي عادته ، فأخبروه بما نقموه من عمرو بن العاص ومن نهيهم عن إيقاد النار ، ونهيهم عن اتباع العدو ، وصلاته جنباً ، فسأله رضي الله عنهما

(٢) سورة البقرة ( من الآية ١٩٥ ) .

(١) مفردتها سري : وهو الرئيس أو الشريف . والسخي ذو المروة .

عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَنْعْتُهُمْ مِنْ إِيقَادِ النَّارِ لِثَلَا يَرَى الْعَدُوَّ قَلْتَهُمْ فَيَطْمَعَ فِيهِمْ ، وَنَهَيْتُهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْعَدُوِّ لِثَلَا يَكُونُ كَمِينٌ ، وَصَلَّيْتُ جُنْبًا لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ، وَإِنَّا اغْتَسَلْتُ هَلَكْتُ ، فَتَبَسَّمَ ﷺ وَأَثْنَى عَلَى عَمْرٍو خَيْرًا .

سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ﷺ :

وَفِي رَجَبٍ أَرْسَلَ ﷺ أَبَا عُبَيْدَةَ عَامِرَ بْنَ الْجَرَّاحِ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى قَبِيلَةِ جُهَيْنَةَ الَّتِي تَسْكُنُ سَاحِلَ الْبَحْرِ ، وَزَوَّدَ ﷺ هَذَا الْجَيْشَ جَرَابًا مِنَ التَّمْرِ .. فَسَارُوا حَتَّى إِذَا وَصَلُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ أَقَامُوا فِيهِ نَحْوَ نِصْفِ شَهْرٍ يَنْتَظِرُونَ الْعَدُوَّ ، وَقَدْ فَتَى زَادَهُمْ حَتَّى أَكَلُوا الْخَبْطَ ( وَهُوَ وَرَقُ السَّمْرِ ) يَبْلُؤُهُ بِالْمَاءِ وَيَأْكُلُونَهُ إِلَى أَنْ تَفَرَّحَتْ أَشْدَاقُهُمْ .

وَكَانَ فِي الْقَوْمِ الْكَرِيمُ بْنُ الْكَرِيمِ ( قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ) فَتَحَرَّ لَهُمْ ثَلَاثًا (٢) مِنَ الْإِبِلِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جَزُورٌ ، وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ أَرَادَ أَنْ يَنْحَرَ فَتَهَاةَ أَمِيرِهِ أَبُو عُبَيْدَةَ ، لِأَنَّ قَيْسًا كَانَ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ بَدِينِ عَلَى أَبِيهِ ، فَخَافَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْأَيْفَى لَهُ أَبُوهُ بِمَا اسْتَدَانَ ، فَقَالَ قَيْسٌ : أَتَرَى سَعْدًا يَقْضِي دِيُونَ النَّاسِ وَيُطْعِمُ فِي الْمَجَاعَةِ وَلَا يَقْضِي دَيْنًا اسْتَدْنْتَهُ لِقَوْمٍ مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ .

وَجَاءَ فِي الصُّحاحِ فِي خَبَرِ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّ الْبَحْرَ أَخْرَجَ لَهُمْ حُوتًا يُسَمَّى الْعَنْبَرَ فَأَكَلُوا مِنْهُ وَتَزَوَّدُوا وَلَمْ يَلْقُوا عَدُوَّهُمْ ، وَلَمَّا رَجَعُوا الْمَدِينَةَ ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : ( هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ ، فَهَلْ مَعَكُمْ شَيْءٌ مِنْ لَحْمِهِ فَتَطْعَمُونَا ) ، فَأَحْضَرُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَ .

وَلَمَّا رَجَعُوا أَيْضًا قَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ لِأَبِيهِ : كُنْتُ فِي الْجَيْشِ فَجَاعُوا ؟ ، قَالَ : انْحَرْ ، قَالَ : نَحَرْتُ .. ثُمَّ جَاعُوا ؟ ، قَالَ : نَحَرْتُ .. ثُمَّ جَاعُوا ؟ ، قَالَ : انْحَرْ ، قَالَ : نَحَرْتُ .. ثُمَّ جَاعُوا ؟ ،

(١) مَوْضِعٌ يَبْعُدُ خُمُسَ لَيْلٍ عَنِ الْمَدِينَةِ قِبَلَ السَّاحِلِ .

(٢) قَيْسُ بْنُ عُبَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ : كَانَ مِنْ فَضَلَاءِ الصُّحَابَةِ ، وَأَخَذَ ذِمَّةَ الْعَرَبِ وَكُرَمَائِهِمْ ، وَكَانَ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ الصَّائِبِ وَالْمَكِيدَةِ فِي الصَّرْبِ مَعَ النَّجْدَةِ وَالشُّجَاعَةِ . وَرَوَى ابْنُ الْأَثِيرِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ : كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشَّرْطَةِ مِنَ الْأَمِيرِ ، تُوْفِيَ ﷺ سَنَةَ ٥٩ هـ .

قال : انْحَرْ ، قال : نَحَرْتُ ثُمَّ جَاعُوا ٩ ، قال : انْحَرْ ، قال : نُهِيتُ .  
سَرِيَّةُ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه :

وفى شعبان بعث صلى الله عليه وسلم أبا قتادة فى خمسة عشر رجلاً إلى خضرة وهى بأرض نجد حيث غطفان ؛ فقتل من أشرف منهم وسبى سبياً كثيراً واستاق النعم فكانت الإبل مائتي بعير والغنم ألفي شاة ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة .

## فَتْحُ مَكَّةَ

وفى رمضان من هذه السنة كان فتح ( مكة ) زادها الله شرفاً وكرماً وهو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين .

ويسمى : فتح الفتح ؛ لأن العرب كانت تنتظر بإسلامها إسلام قريش وفتح ( مكة ) ، وتقول : هم أهل الحرم ، وقد أجارهم الله تعالى من أصحاب الفيل وغيرهم ، فإن سخط الله عليهم محمداً فهو رسول الله حقاً .

فلما فتح الله ( مكة ) على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الناس فى دين الله أفواجا ، كما وعد الله نبيه ذلك ، وجعل ذلك علامة قرب أجله صلى الله عليه وسلم ، بقوله تعالى :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ● وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ● فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ● ﴾ (١)

سبب غزوة الفتح : وسبب غزوة الفتح انتقاض صلح ( الحديبية ) ؛ وذلك أن خزاعة كان بينها وبين بني بكر عداوة ، وكانت خزاعة دخلت يوم صلح

( الحديبية ) فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم موادة مسلمهم وكافرهم ، لأنهم كانوا فى الجاهلية حلفاء لبني هاشم ، ودخلت بنو بكر فى عهد قريش ، فمكثوا على ذلك نحو ثمانية عشر شهراً ، وفى شهر شعبان أوقعت بنو بكر بخزاعة ليلاً بغتة على ماء لهم يسمى الوتير من ناحية

عُرْنَةَ ، وَأَعَانَتْهُمْ قُرَيْشٌ مُخْتَفِينَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ ، فَقَتَلُوا رِجَالًا مِنْ خَزَاعَةَ فَرَكَبَ  
عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخَزَاعِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ  
ظَهْرَانِي النَّاسِ ، وَأَنْشَدَهُ : (١)

يَارَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا \* جَلَفَ أَيْبِنَا وَأَيْبِيهِ الْأَتْلَدَا (٢)  
فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا \* وَاذْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا (٣)  
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا \* فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبَدَا (٤)  
إِنَّ قُرَيْشًا أَخْفُوكَ الْمَوْعِدَا \* وَتَقَضُّوا مِيثَاقَكَ الْمَوْكِدَا  
وَيَبْتَئُونَا رُكْعًا وَسُجْدَا \* وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا (٥)

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( نَصِرْتُ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ ) (١)

قُدُومُ أَبِي سُفْيَانَ لِيُجَدِّدَ الصَّلْحَ : أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ مَا عَمِلُوهُ نَقَضٌ  
لِلْعَهودِ الَّتِي أَخَذَتْ عَلَيْهِمْ نَدِمُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَأَرَادُوا مُدَاوَاةَ هَذَا الْجُرْحِ ؛  
فَأَرْسَلُوا قَائِدَهُمْ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ  
فَرَكَبَ رَاحِلَتَهُ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ حَتَّى إِذَا جَاءَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى بَيْتِهِ  
أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ( أُمُّ حَبِيبَةَ ) ﷺ ، وَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ فَطَوَّتَهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا بَنِيَّةُ ، أَرَعِبْتُ بِكَ عَنِّي أَمْ رَعِبْتُ بِكَ عَنِّي ؟ ، فَقَالَتْ :  
مَا كَانَ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتَ مُشْرِكٌ ، فَقَالَ : لَقَدْ  
أَصَابَكَ بَعْدِي شَرٌّ .

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ﷺ وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَعَرَضَ عَلَيْهِ مَا جَاءَ لَهُ ،  
فَأَبَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .. فَاَنْصَرَفَ وَمَشَى إِلَى أَكْبَرِ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ  
عَلَيْهِمْ يُسَاعِدُونَهُ عَلَى مَقْصِدِهِ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُمْ مُعِينًا ، وَكُلُّهُمْ قَالُوا : جَوَارِنَا فِي  
جَوَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، فَاتَّهَمُوهُ أَنَّهُ خَانَهُمْ

(١) بهرة ابن هشام . (٢) الأتلا ، القديم . (٣) أعتدا : حاضرًا .

(٤) تجرد : شمر للحرب . الفيلق : الكتيبة المطيعة والمنسكر الكثير . مزبد : جيش مانع كالبحر .

(٥) يتئونا : باغتونا ليلاً فقتلوا منا الأمنين المسلميين . (٦) أخرجه البيهقي في سننه .

وَاتَّبَعَ الْإِسْلَامَ ، فَتَسَّكَ عِنْدَ الْأَوْتَانِ لِيَنْفِيَ عَن نَفْسِهِ هَذِهِ التُّهْمَةَ .

تَهَيُّؤُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْفُغْزُوِ وَكِتْمَانِهِ الْأَمْرَ : أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَجَهَّزَ لِلسَّفَرِ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ ، وَأَخْبَرَ الصَّدِيقَ ﷺ بِالْوَجْهِةِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قُرَيْشٍ عَهْدٌ ؟ قَالَ ﷺ : نَعَمْ وَلَكِنْ غَدَرُوا وَنَقَضُوا .

ثُمَّ اسْتَنْفَرَ ﷺ الْأَعْرَابَ الَّذِينَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَقَالَ : ( مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْضِرْ رَمَضَانَ بِالْمَدِينَةِ ) ، فَقَدِمَ جَمْعٌ مِنْ قَبَائِلَ : أَسْلَمَ وَغِفَارٍ وَمُزَيْنَةَ وَأَشْجَعَ وَجُهَيْنَةَ .. وَطَوَى ﷺ الْأَخْبَارَ عَنِ الْجَيْشِ كَيْلَا يَشِيْعَ الْأَمْرُ فَتَعَلَّمَ قُرَيْشٌ فَتَسْتَعِدُّ لِلْحَرْبِ ، وَالرَّسُولُ ﷺ لَا يُرِيدُ أَنْ يُقِيمَ حَرْبًا بِمَكَّةَ ، بَلْ يُرِيدُ انْقِيَادَ أَهْلِهَا مَعَ عَدَمِ الْمَسَاسِ بِحُرْمَتِهَا : فَدَعَا مَوْلَاهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ وَقَالَ :

( اللَّهُمَّ خُذِ الْعِيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَن قُرَيْشٍ حَتَّى تَنْبَغْتَهَا فِي بِلَادِهَا ) (١)

أَمْرُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ ﷺ : فَقَامَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ أَحَدُ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا ، وَكَتَبَ كِتَابًا لِقُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَرْسَلَهُ مَعَ جَارِيَةٍ لِيُتَوَصَّلَهُ إِلَى قُرَيْشٍ عَلَى جُمَلٍ (٢) ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ رَسُولَهُ ذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ فِي أَثَرِهَا عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ ، وَقَالَ ﷺ : ( انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَلَمِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا ) (٣) ، فَاَنْطَلَقُوا ﷺ حَتَّى أَتَوْا الرَّوْضَةَ فَوَجَدُوا بِهَا الْمَرْأَةَ فَقَالُوا لَهَا : أَخْرِجِي الْكِتَابَ ، قَالَتْ : مَا مَعِيَ كِتَابٌ ، قَالُوا : لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ النَّيَابَ ! فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا (٤) ، فَأَتَوْا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ ﷺ :

( يَا حَاطِبُ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ ) ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ ؛ إِنَّي كُنْتُ حَلِيفًا لِقُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا ، وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي ، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَن دِينِي وَلَا رِضَى بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ ) ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا

(١) أَخْرَجَهُ النَّبَهَوِيُّ فِي (الدَّلَائِلِ) ، وَتَبَيَّنَتْ أَيُّ نَائِبِهَا فَجَاءَ . (٢) الْعَنْدَلُ : مَا يُعْمَلُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَجْرِ عَلَى شَيْءٍ يُفْعَلُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ (عَلِيٍّ) ﷺ . (٤) عِقَاصُهَا : جَمْعُ عِقَاصٍ ، وَهِيَ صَفِيرَةُ الشَّمْرِ .

رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبُ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ ، فَقَالَ ﷺ : ( إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ،  
 وَمَا يُدْرِيكَ لَمَلَّ اللَّهُ أَطْلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ : اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ  
 لَكُمْ ) ، وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي  
 وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ  
 سَخِرَ جُودَ الرَّسُولِ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي  
 سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَحْفَيْتُمْ وَمَا  
 أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾

وَحَكَى السُّهَيْلِيُّ أَنَّ لَفْظَ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ حَاطِبٌ : أَمَا بَعْدُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ فَإِنَّ  
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَكُمْ بِحَيْشٍ عَظِيمٍ يَسِيلُ كَالسَّيْلِ ، فَوَاللَّهِ لَوْ جَاءَكُمْ وَحْدَهُ  
 لَنَصَرَهُ اللَّهُ وَأَنْجَزَ لَهُ فَاَنْظُرُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَالسَّلَامُ ﴿٢﴾

أَمْرُ ابْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ .. وَالذِّكْرَى وَالْعِبْرَةَ : لِأَبَدٍ مِنْ وَقْفَةِ هُنَا : فَمَا كَانَ حَاطِبٌ  
 مُنَافِقًا ، وَلَا ضَعِيفَ الْإِيمَانِ ، بِتَزْكِيَةِ الرَّسُولِ لَهُ .. وَلَكِنَّ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ  
 جَوَانِبَ ضَعْفٍ تَطْفَى عَلَيْهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، وَتَهْوِي بِهَا إِلَى مَا لَا تَرْضَاهُ  
 لِنَفْسِهَا ، وَكُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ ، وَمَا كَانَ هَذَا الضَّعْفُ الْإِنْسَانِيُّ لِيَخْفَى عَلَى  
 صَاحِبِ الْقَلْبِ الْكَبِيرِ ، وَالْقَوِيِّ الْأَمِينِ ، صَاحِبِ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ ، فَلَا نَعْجَبُ إِذَا  
 كَانَ الرَّسُولُ ﷺ صَدَقَهُ فِيمَا قَالَ ، وَرَحِمَ ضَعْفَهُ ، وَنَافَعَ عَنْهُ ، وَالْقَوِيُّ حَقًّا هُوَ  
 الَّذِي يَرْحَمُ الضُّعْفَاءَ ، وَالْعَظِيمُ حَقًّا هُوَ الَّذِي يَلْتَمِسُ لِبَنِي الْإِنْسَانِ الْمَعَادِيرَ  
 لِمَنْ يَسْتَزِلُّهُمْ الشَّيْطَانُ فِي غَفْوَةٍ مِنْ صِدْقِ الْإِيمَانِ وَمُرَاقَبَةِ الدِّيَانِ .

لَفْتَةٌ مُهِمَّةٌ .. فِي تَشْخِيسِ مَا أَصَابَ الْأُمَّةَ الْيَوْمَ مِنْ ضَعْفٍ وَغُمَّةٍ :  
 إِنَّ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ نَزَلَتْ صَرِيحَةً تَأْمُرُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَجْعَلُوا وِلَاءَهُمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ ،  
 وَأَنْ يُقِيمُوا عِلَاقَاتِهِمْ مَعَ النَّاسِ ، أَيًّا كَانُوا ، عَلَى أُسَاسِ مَا يَقْتَضِيهِ وَلَاؤُهُمْ لِهَذَا  
 الدِّينِ الْحَنِيفِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ وَالْأَكْبَرِ كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يُضْحَى الْمُسْلِمُونَ بِأَمْوَالِهِمْ



وَأَنْفُسِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ١٩ .

وَتِلْكَ هِيَ مُشْكَلَةٌ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَعُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ مُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ : يُقْبَلُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ لِلصَّلَاةِ ، وَيَتَمَتُّونَ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْأَذْكَارِ وَالْأَوْرَادِ ، وَتَطْلُؤُ مَسَابِحَهُمْ تَطْطِيقُ حَبَاتِهَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَلِكِنَّهُمْ يُقِيمُونَ عِلَاقَاتِهِمْ مَعَ النَّاسِ عَلَى أُسَاسِ الْوَلَاءِ لِلْأَهْلِ وَالْعَشِيرَةِ ، أَوْ مَصْلَحَةِ الْمَالِ وَالدُّنْيَا ، أَوْ وَحْيِ الشَّهَوَاتِ وَالْأَغْرَاضِ وَلَا يَهْتَمُّهُمْ أَنْ يَبِيعُوا بِذَلِكَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ أَوْ أَنْ يَجْعَلُوا مِنْ دِينِ اللَّهِ غُلَافًا لِلْأَمَانِيِّ الدُّنْيَوِيَّةِ الْحَقِيرَةِ .

أُولَئِكَ هُمُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ بِسَبَبِهِمْ يُعَانِي الْمُسْلِمُونَ مِنْ صُنُوفِ التَّأَخُّرِ وَالتَّفَرُّقِ وَالضَّعْفِ ، وَتِلْكَ هِيَ الْوَاجِهُةُ الَّتِي تُقَامُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ فِي وَجْهِ الْمُؤَامِرَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي تُحَاكُ ضِدَّ إِسْلَامِ الْمُسْلِمِينَ وَدِينِهِمْ .

خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ لِفَتْحِ مَكَّةَ وَإِسْلَامِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : ثُمَّ سَارَ ﷺ بِهَذَا الْجَيْشِ الْعَظِيمِ بَعْدَ الْعَصْرِ فِي مُنْتَصَفِ رَمَضَانَ بَعْدَ أَنْ وُلِيَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه ، وَكَانَتْ عِدَّةُ الْجَيْشِ عَشْرَةَ آلَافٍ مُجَاهِدٍ ، وَلَمَّا وَصَلَ الْأَبْوَاءَ <sup>(١)</sup> لَقِيَهُ اثْنَانِ كَانَا مِنْ أَشَدِّ أَعْدَائِهِ وَهُمَا : ابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَصَهْرُهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُفَيْرَةِ شَقِيقُ زَوْجِهِ أُمِّ سَلَمَةَ ، وَكَانَا يُرِيدَانِ الْإِسْلَامَ فَاقْبَلَهُمَا ﷺ وَفَرِحَ بِهِمَا شَدِيدَ الْفَرَحِ وَقَالَ :

﴿ لَا تَرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وَلَمَّا وَصَلَ ﷺ الْكُدَيْدَ <sup>(٣)</sup> رَأَى أَنَّ الصَّوْمَ شَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَأَمَرَهُمْ بِالْفِطْرِ وَأَفْطَرَ هُوَ أَيْضًا رضي الله عنه .. وَقَدْ قَابَلَ ﷺ فِي الطَّرِيقِ عَمَّهُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُهَاجِرًا بِأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَعُودَ مَعَهُ إِلَى مَكَّةَ وَيُرْسِلَ عِيَالَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ .

نُزُولُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ ، وَتَحَسُّسُ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ : ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ ( بِمَرِّ الظُّهْرَانِ ) <sup>(٤)</sup> ، فَأَذْرَكَتِ الْعَبَّاسُ رضي الله عنه الرَّقَّةَ لِقُرَيْشٍ ، فَرَكِبَ بَغْلَةً

(١) الْأَبْوَاءُ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ وَفِيهِ قَبْرُ السَّيِّدَةِ أَمَّةَ أُمِّ النَّبِيِّ ﷺ . (٢) سُورَةُ يُوسُفَ (الآيَةُ ٩٢) .

(٣) الْكُدَيْدُ : مَحَلٌّ بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ . (٤) مَرُّ الظُّهْرَانِ : مَوْضِعٌ بِاسْمِ وَادٍ قُرْبَ مَكَّةَ ( وَادِي فَاطِمَةَ ) .

النَّبِيُّ ﷺ فِي اللَّيْلِ بِإِذْنِهِ ، رَجَاءً أَنْ يُصَادِفَ أَحَدًا يَبْعَثُهُ إِلَى قُرَيْشٍ : فَيَطْلُبُوا الْأَمَانَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَعَهُ حَكِيمُ بْنُ حِرَامٍ وَبَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ ، وَهَدَّ كَانُوا خَرَجُوا يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ ، فَرَأَوْا نِيرَانَ الْجَيْشِ وَاسْتَنَكَرُوا ، حَتَّى قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ أَهْلِ ( عَرَفَةَ ) ، وَلَا شُعُورَ لَهُمْ بِمَخْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَخْبَرَهُمُ الْعَبَّاسُ الْخَبَرَ .. فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ : هَمَا الْحِيَلَةُ ؟ ، قَالَ : الْحِيَلَةُ أَنْ تَرُدَّ مَنْ مَعَكَ لِيُخْبِرُوا أَهْلَ مَكَّةَ ، وَتَرْكَبَ أَنْتَ مَعِيَ حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْمِنَهُ لَكَ .

إِسْلَامُ أَبِي سُفْيَانَ : فَركب معه ورجع أصحابه ، فلما انتهى به إلى النبي ﷺ قال للعبَّاس : ( اذهب به إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتني به ) ، فلما أصبح جاء به ، فقال له النبي ﷺ : ( ألم يأن يا أبا سُفْيَانَ أَنْ تُسَلِّمَ ؟ ) ، قال : بلى ، بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأرحمك ، وأسلم .

فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الصَّخْرَ وَالخِيَلَاءَ ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالَ ﷺ : ( نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ) (٢) .

عَرَضُ جِيُوشِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ : وَفِي (صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ) ، أَنَّهُ قَالَ لِلْعَبَّاسِ : ( احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَظْمِ الْجَبَلِ ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى جُنُودِ اللَّهِ ) ، فَحَبَسَهُ ، ثُمَّ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ .. فَجَعَلَتِ الْكِتَابُ تَمُرٌ كَتِيبَةً كَتِيبَةً ، حَتَّى مَرَّتْ بِهِ كَتِيبَةً لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَطُّ ، فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ ، وَهُوَ يَقُولُ : الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمُ تُسْتَحَلُّ الْكَمْبَةُ .

ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ وَهِيَ أَقْلَهُمْ عَدَدًا ، وَأَجْلَهُمْ قَدْرًا ، فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوُزَرَاؤُهُ

(١) حَكِيمُ بْنُ حِرَامِ بْنِ خُوَيْلِدِ الْأَسَدِيِّ ، ابْنُ أُخِي خَدِيجَةَ نَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ . وَكَانَ صَدِيقَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ الْبِعْثَةِ . تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ حَتَّى يَوْمِ الْفَتْحِ ، كَانَ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ وَشَهِدَ حُنَيْنًا وَأُطِيعَ مِنْ غَنَائِمِهَا وَكَانَ يُفْعَلُ الْمَعْرُوفُ وَيَصِلُ الرَّجْمُ ، عَاشَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً شَطْرَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَشَطْرَهَا فِي الْإِسْلَامِ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٠ هـ .

(٢) أَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي (مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ) . (٣) الْعُظْمُ : مُقَدِّمُ الْأَنْفِ ، وَهَذَا بُرُودٌ فِي الْجَبَلِ يَضِيقُ بِهِ الطَّرِيقُ .

مِنْ خَوَاصِّ الْمُهَاجِرِينَ ، وَالرَّايَةَ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، فَأَخْبَرَ أَبُو سُفْيَانَ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَقَالَةِ سَعْدٍ ، فَقَالَ ﷺ : ( كَذَبَ سَعْدٌ <sup>(١)</sup> ) ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمَ الْمَرْحَمَةِ  
يَوْمٌ يُعْظَمُ اللَّهُ فِيهِ الْكُفْبَةُ وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكُفْبَةُ ) ، وَأَرْسَلَ إِلَى سَعْدٍ فَأَخَذَ  
الرَّايَةَ مِنْهُ فَدَفَعَهَا إِلَى ابْنِهِ قَيْسٍ .

وَأَمَرَ ﷺ الزُّبَيْرَ أَنْ يَرْكَزَ رايَتَهُ بِ ( الْحَجُونِ ) <sup>(٢)</sup> حَيْثُ قَبْرُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وَقَدْ نَصِبَتْ لَهُ هُنَاكَ قُبَّةٌ فِيهَا أُمَّ سَلَمَةَ وَمَيْمُونَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَاسْتَرَحَ ﷺ قَلِيلًا .  
وَتَفَرَّقَ أَهْلُ مَكَّةَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ لَجَأَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ .

دُخُولُ النَّبِيِّ ﷺ مَكَّةَ : وَدَخَلَ ﷺ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ ، وَذَلِكَ لِمَسْرُ بَقِيَّتَيْنِ مِنْ رَمَضَانَ  
الْمُعْظَمِ ، وَلَمْ يَعْرُضْ لَهُ فِتَانٌ ، وَأَمَرَ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي : مَنْ دَخَلَ دَارَهُ وَأَغْلَقَ  
بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ  
دُخُولُ الْمُسْلِمِينَ مَكَّةَ : وَأَمَرَ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي جَمْعِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَنْ  
يَدْخُلُوا مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ ، فَعَرَضَ لَهُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ،  
وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو : فِي جَمْعٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَهَزَمَهُمْ خَالِدٌ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ  
رَجُلًا ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَهْدَ إِلَى أَمْرَائِهِ أَنْ لَا يَقْتُلُوا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ .

إِهْدَارُ النَّبِيِّ ﷺ دِمَاءَ نَفَرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : إِلَّا أَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ جَمَاعَةٍ  
سَمَّاهُمْ : مِنْهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ،  
وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَهَبَارُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ .  
وَكَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ ، وَوَحْشِيُّ قَاتِلُ حَمْزَةَ ، وَهِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ زَوْجُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَقَلِيلٌ  
غَيْرُهُمْ .

إِجَارَةُ أُمَّ هَانِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ : وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) أَنَّ أُمَّ هَانِيَةَ  
بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَجَارَتْ رَجُلَيْنِ ، فَأَرَادَ عَلَيْهِمَا قَتْلَهُمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :  
( قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِيَةَ ) <sup>(٣)</sup> .

(١) أَيِ وَيَوْمِ (أَخْطَأَ) .

(٢) الْحَجُونُ : جَبَلٌ بِمَقَالَةِ مَكَّةَ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

طَوَافُ النَّبِيِّ ﷺ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَتَطْهِيرُهُ الْمَسْجِدَ مِنَ الْأَصْنَامِ : ثُمَّ دَخَلَ ﷺ  
الْمَسْجِدَ وَهُوَ رَاكِبٌ رَاجِلَتُهُ وَاضِعاً رَأْسَهُ حَتَّى إِنَّ رَأْسَهُ لَتَكَادُ تَمْسُ رَحْلَهُ شُكْرًا  
وَخُضُوعًا لِعِظْمَتِهِ تَعَالَى أَنْ أَحَلَّ لَهُ بَلَدَهُ وَلَمْ يُحِلَّهُ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا لِأَحَدٍ بَعْدَهُ ،  
فَطَافَ ﷺ بِالْبَيْتِ سَبْعًا رَاكِبًا ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِخْجَنِ فِي يَدِهِ .

وَكَانَ حَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا مُثَبَّتَةً بِالرِّصَاصِ ، فَجَعَلَ ﷺ يَطْمَعُنُهَا  
بِالْمِخْجَنِ وَيَقُولُ : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ .<sup>(٢)</sup>

فَمَا أَشَارَ ﷺ إِلَى وَجْهِ صَنَمٍ إِلَّا وَقَعَ إِلَى قَفَاهُ ، وَلَا إِلَى قَفَاهُ إِلَّا وَقَعَ لُوجْهَهُ .

دُخُولُهُ ﷺ الْكَعْبَةَ وَكَسْرُ الْأَوْثَانِ وَطَمَسُ الصُّورِ : وَلَمَّا فَارَغَ ﷺ مِنْ طَوَافِهِ دَعَا  
بِالْمِفْتَاحِ ، وَكَانَ بِيَدِ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ بْنِ شَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ،  
وَبِيَدِ ابْنِ عَمِّهِ شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ بْنِ شَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ ،  
فَفَتَحَ الْبَيْتَ ، وَدَخَلَ وَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، وَكَبَّرَ فِي نَوَاجِيهِ ، وَدَعَا ﷺ ، وَكَسَرَ مَا  
فِيهِ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَطَمَسَ الصُّورَ . وَأَخْرَجَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

إِعْطَاءُ النَّبِيِّ ﷺ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ إِلَى أَهْلِهِ : فَسَأَلَهُ الْعَبَّاسُ ﷺ أَنْ يَجْمَعَ لَهُ  
سِدَانَةَ الْبَيْتِ إِلَى السَّقَايَةِ ، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ ﷺ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ  
أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾<sup>(٣)</sup> فَخَرَجَ ﷺ وَهُوَ يَتْلُوهَا ، فَدَعَا عُثْمَانَ وَشَيْبَةَ  
فَأَعْطَاهُمَا الْمِفْتَاحَ ، وَقَالَ : ( خُذُوهَا خَالِدَةً تَالِدَةً ، لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ )<sup>(٤)</sup>

الْعَفْوُ شَيْمَتُهُ ﷺ : ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْكَعْبَةَ وَكَبَّرَ فِي نَوَاجِيهَا ، ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ  
يَقُولُ : ( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدُهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدُهُ ، وَهَزَمَ  
الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ) . ثُمَّ أَتَى مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ شَرِبَ مِنْ زَمْزَمَ ،  
وَجَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَالنَّاسُ حَوْلَهُ وَالْمُيُونُ شَاخِصَةً إِلَيْهِ يَنْتَظِرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ  
بِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ الَّذِينَ آذَوْهُ وَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَلَدِهِ وَقَاتَلُوهُ ، وَلَكِنْ هُنَا تَظْهَرُ مَكَارِمُ

(٢) سُورَةُ الْإِشْرَاءِ ( مِنْ الْآيَةِ ٨١ ) .

(١) الْمِخْجَنُ : الْعَصَا الْمُمَوَّجَّةُ الرَّأْسِ .

(٣) السِّدَانَةُ : خِدْمَةُ الْبَيْتِ وَتَوَلَّى أَمْرَهُ ، السَّقَايَةُ : سَقْيُ الْحَجَّاجِ مِنَ الرَّيْبِ الْمُنْبُودِ فِي الْمَاءِ .

(٤) حُيُونُ الْأَثَرِ .

(٤) سُورَةُ النَّسَاءِ ( مِنْ الْآيَةِ ٥٨ ) .

الأخلاق التي يلزم أن يتعلم منها المسلم : أن يكون رضاءه و غضبه لله لا لهوى النفس ، فقال ﷺ : ( يا معشر قريش : ما تظنون أنني فاعل بكم ؟ ) ، قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم (١) فقال ﷺ : ( اذهبوا فأنتم الطلقاء ) (٢) أقول كما قال يوسف : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ بِمَا كَفَرْتُمْ ، يَوْمَ يَكْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ (٣) ويرحم الله الإمام البوصيري حيث قال :

وَإِذَا كَانَ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ لِلَّهِ \* تَسَاوَى التَّقْرِيبُ وَالْإِقْصَاءُ  
وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ فِيمَا آتَاهُ \* مِنْ سِوَاهِ الْمَلَامِ وَالْإِطْرَاءُ  
وَلَوْ أَنَّ انتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفْسِ \* سِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ  
فَامَ لِلَّهِ فِي الْأُمُورِ فَأَرْضَى اللَّهُ \* مِنْهُ تَبَائِنٌ وَوَهَاءُ  
فَعَلَهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْضُدُ \* حُ إِلَّا بِمَا حَوَاهُ الْإِنَاءُ

الخطبة الجامعة : ثم خطب ﷺ خطبةً أبان فيها كثيراً من الأحكام الإسلامية منها : ألا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تكح المرأة على عمتها وخالتها ، والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع محرم ، ولا صلاة بعد الصبح والعصر ، ولا يصام يوم الأضحى ويوم الفطر ، ثم قال ﷺ : ( يا معشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعمتها بالآباء ، والناس من آدم ، وآدم من تراب ) (٤) ثم تلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٥)

وفي ( صحيح البخاري ومسلم ) ، أنه ﷺ قال : ( إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، فلا يجزئ لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ، فإن أحدًا ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن

(١) القائل هو سهيل بن عمرو كما في السيرة العلية .

(٢) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الأمير ينفي عنه ، وقد كان أهل مكة يحكم الأسرى لولا غفو النبي ﷺ عنهم .

(٣) سورة يوسف ( من الآية ٩٢ ) . (٤) أخرجه الإمام أحمد في ( مسنده ) ، والترمذي عن ( ابن عمر ) .

(٥) سورة الحجرات ( الآية ١٣ ) .

لَكُمْ ، وَإِنَّمَا أَدِنَ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ ، وَهَدَّ عَادَتُ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ  
فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ ) .

النَّبِيُّ ﷺ يُطْمِئِنُّ الْأَنْصَارُ : وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ  
قَالَ الْأَنْصَارُ فِيمَا بَيْنَهُمْ : أَتَرَوْنَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ  
يُقِيمُ بِهَا ١٩ .. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو عَلَى الصَّافِي رَافِعًا يَدَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ  
دُعَائِهِ ﷺ قَالَ : ( مَاذَا قُلْتُمْ ؟ ) ، قَالُوا : لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ  
حَتَّى أَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ ﷺ : ( مَعَاذَ اللَّهِ ، الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ ) .  
بَيْعَةُ الرَّجَالِ : ثُمَّ شَرَعَ الرَّجَالُ يُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَمِمَّنْ  
أَسْلَمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبُو قُحَافَةَ ( وَالِدُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ )  
وَقَدْ فَرِحَ الرَّسُولُ ﷺ كَثِيرًا بِإِسْلَامِهِ ، وَجَاءَ رَجُلٌ يَرْتَمِدُ خَوْفًا ، فَقَالَ ﷺ :  
( هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ فُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ )  
أَمَّا الَّذِينَ أَهْدَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَمَهُمْ فَقَدْ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ؛  
فَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ فَمَقِلٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَدْرَكَتْهُ عِنَايَةُ اللَّهِ فَأَسْلَمَ  
وَهُمْ :

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ : فَقَدَّ لَجَأً إِلَى أَخِيهِ مِنَ الرِّضَاعِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ  
وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَأْمِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَعَيَّبَهُ عُثْمَانُ حَتَّى هَدَأَ النَّاسُ ثُمَّ أَتَى  
بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَمَّنْتُهُ فَبَايَعُهُ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ﷺ مِرَارًا ثُمَّ  
بَايَعَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ عُثْمَانُ وَعَبْدُ اللَّهِ ، قَالَ ﷺ : ( أَعْرَضْتُ عَنْهُ لِيُقِيمَ إِلَيْهِ أَحَدُكُمْ  
فَيَضْرِبُ عُنُقَهُ ) ، فَقَالُوا : هَلَّا أَشْرَتَ إِلَيْنَا ؟ ، فَقَالَ ﷺ : ( لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ  
لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ ) .

وَأَمَّا عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ : فَهَرَبَ فَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ زَوْجَتُهُ وَبَنَتْ عَمَّهُ أُمَّ حَكِيمٍ بِنْتُ

( ١ ) حَسُنَ إِسْلَامُ عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَتْ لَهُ مَوَاقِفٌ مَحْمُودَةٌ فِي فَتُوحِ إِفْرِيضِيَا وَتَوَلَّى مِصْرَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَغَزَا ثَلَاثَ  
غَزَوَاتٍ ( إِفْرِيضِيَا وَذَاتَ الصُّوَارِيِّ وَالْأَسَاوِدِ ) ، وَمَضَى إِلَى عَسْقلَانَ وَالثَّرْمَلَةَ وَبَقِيَ فِيهَا مُقْتَدِرًا لَافِيئَةً حَتَّى تُوُفِيَ سَنَةَ

الحارث بن هشام ، وكانت قد أسلمت يوم الفتح وقد أخذت له أماناً من رسول الله ﷺ ، فلحقته وقد أراد أن يركب البحر ، فقالت : جئتك من عند أبر الناس وخيرهم ! لا تهلك نفسك وإني قد استأمنتك لك ، فرجع .. ولما راه ﷺ وثب قائماً فرحاً به ، وقال : مرحباً بمن جاءنا مهاجراً مسلماً ، ثم أسلم ﷺ وطلب من رسول الله ﷺ أن يستغفر له كل عداوة عاداه إياها فاستغفر له ، وكان ﷺ بعد ذلك من خيرة المسلمين وأغبرهم على الإسلام .<sup>(١)</sup>

وأما هبار بن الأسود : فهرب واختفى حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالجفرانة : جاءه مسلماً وقال : يا رسول الله هربت منك وأردت اللحاق بالأعاجم . ثم ذكرت عابدتك وصلتك وصفحك ممن جهل عليك . وكنا يا رسول الله أهل شرك فهदानا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح الصفح الجميل ، فقال ﷺ : قد عفوت عنك .  
وأما الحارث بن هشام وزهير بن أمية المخزومي فأجارتها أم هانيء بنت أبي طالب ﷺ ، فأجاز ﷺ جوارها ، ولما قابل رسول الله ﷺ الحارث بن هشام مسلماً ، قال : الحمد لله الذي هدانا لهذا ، ما كنا كنا يجهل الإسلام ، وقد كان بعد ذلك من فضلاء الصحابة .

وأما صفوان بن أمية : فاختفى وأراد أن يذهب ويلقى نفسه في البحر : فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي وقال : يا نبي الله إن صفوان سيد قومك وقد هرب ليقتد نفسه في البحر فأمنه فإنك قد أمنت الأحمر والأسود ، فقال أدرك ابن عمك فهو آمن .. فقال : أعطني علامة ، فأعطاه ﷺ عمامته ، فأخذها عمير حتى إذا لقي صفوان قال له : فداك أبي وأمي جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس . وهو ابن عمك وعزه عرك وشرفه شرفك وملكه ملكك ، قال صفوان : إني أخافه على نفسي ، قال عمير :

(١) استعمله النبي ﷺ على صدقات هوازن ، شارك في قتال أهل الردة وشارك في الفتوحات حتى استشهد ، واختفى في مكان استشهاده : أجنادين أو اليزموك أو مزج الصغر وذلك سنة ١٣ أو ١٥ هـ .  
(٢) موضع بين مكة والطائف .

هُوَ أَحَلَّمْ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْرَمُ ، وَأَرَاهُ الْعِمَامَةَ عَلَامَةَ الْأَمَانِ ، فَزَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ أَمَّنْتَنِي ؟ ، قَالَ ﷺ : صَدَقَ ، قَالَ : أَمَهْلَنِي بِالْخِيَارِ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ أَسْلَمَ ﷺ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ .

وَأَمَّا هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ : فَاخْتَفَتْ ثُمَّ أَسْلَمَتْ وَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَحَّبَ بِهَا وَقَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلٌ خِيبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَذُلُّوا مِنْ أَهْلِ خِيبَائِكَ ، ثُمَّ مَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ أَهْلٌ خِيبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِيبَائِكَ .

وَأَمَّا كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ : فَلَمَّا ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ مُجِيرًا جَاءَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ أَنْ قَدِمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ فَأَسْلَمَ ، وَأَنْشَدَ قَصِيدَتَهُ (٢) الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ أَمَلُهُ \* لَا إِلَهِيَّتَكَ إِئِنِّي عَنْكَ مَشْفُوعُ  
فَقُلْتُ خَلُوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ \* فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ  
كُلُّ ابْنِ أُنْتَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ \* يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ (٣)  
أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي \* وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ  
فَقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ مُعْتَذِرًا \* وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَقْبُولُ  
مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً \* الْقُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِيظُ وَتَقْصِيلُ

إِلَى أَنْ قَالَ :

إِنَّ الرَّسُولَ لَتُورُّ بِسُتْضَاءٍ بِهِ \* مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوعُ

وَلَمَّا قَالَ هَذَا الْبَيْتَ خَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ بُرْدَتَهُ . (٤)

وَأَمَّا وَحْشِيُّ قَاتِلُ حَمْزَةَ : فَكَذَلِكَ أَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ وَقَبِلَهُ ﷺ .

وَقَدْ جَاءَهُ ابْنَا أَبِي لَهَبٍ عُتْبَةُ وَمُعْتَبٌ فَأَسْلَمَا وَفَرِحَ بِهِمَا ﷺ .

وَأَمَّا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو : فَكَانَ مِنَ الَّذِينَ اخْتَفَوْا ، فَاسْتَأْمَنَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ .

(١) كَعْبُ : هُوَ ابْنُ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ . تُوُفِيَ سَنَةَ ٢٦ هـ . (٢) قَصِيدَةٌ : بَانَتْ سُمَادُ .

(٤) خَلَعَ عَلَيْهِ : أَمَدَاهُ كِبَاءَهُ إِحْرَامًا لَهُ وَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ وَيُدْعَى خَلَعًا .

(٣) الْآلَةُ الْحَدْبَاءُ : النَّعْشُ .



فَأَمَّنَهُ ﷺ وقال : إِنَّ سُهَيْلًا لَهُ عَقْلٌ وَشَرَفٌ ، وَمَا مِثْلُ سُهَيْلٍ يَجْهَلُ الْإِسْلَامَ ، فَلَمَّا بَلَغَتْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ سُهَيْلًا ، قَالَ : كَانَ وَاللَّهِ بَرًّا صَغِيرًا كَبِيرًا ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ .

بَيْعَةُ النِّسَاءِ : هَذَا ، وَلَمَّا تَمَّتْ بَيْعَةُ الرَّجَالِ بَايَعَهُ النِّسَاءُ ( مِنْ غَيْرِ مُصَافِحَةٍ ) ، وَكَانَ يُبَايِعُنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْأَلَّا يُشْرِكُنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا يَسْرِقُنَ ، وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلَا يَعْصِينَ الرَّسُولَ فِي مَعْرُوفٍ .

بِلَالٌ يُؤَدِّنُ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ : ثُمَّ أَمَرَ ﷺ بِبِلَالٍ بِأَنْ يُؤَدِّنَ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، وَهَذَا بَدْءُ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ عَلَى ظَهْرِ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ .. فَلَا عَجَبَ أَنْ اتَّخَذَ الْمُسْلِمُونَ هَذَا الْيَوْمَ عِيدًا يَحْمَدُونَ فِيهِ اللَّهَ حَقَّ حَمْدِهِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْكُبْرَى وَالنِّصْرِ الْعَظِيمِ .

وَأَقَامَ ﷺ بِمَكَّةَ بَعْدَ فَتْحِهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا يَقْصُرُ فِيهَا الصَّلَاةَ ، وَأَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي بِمَكَّةَ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْعُ فِي بَيْتِهِ صَنَمًا إِلَّا كَسَرَهُ . وَوَلَّى ﷺ عَلَى مَكَّةَ عَتَابَ بْنَ أُسَيْدٍ (١) وَجَعَلَ رِزْقَهُ كُلَّ يَوْمٍ دِرْهَمًا ، فَكَانَ عَتَابٌ يَقُولُ : لَا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنًا جَاعَ عَلَى دِرْهَمٍ كُلِّ يَوْمٍ .

هَدْمُ الْعُزَّى : وَفِي خَامِسِ يَوْمٍ مِنْ مُقَامِهِ ﷺ بِمَكَّةَ أَرْسَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي ثَلَاثِينَ فَارِسًا لِهَدْمِ هَيْكَلِ الْعُزَّى ، وَهِيَ أَكْبَرُ صَنَمٍ لِمُرَيْشٍ ، وَكَانَ هَيْكَلُهَا يَبْطِنُ نَخْلَةَ ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا خَالِدٌ وَهَدَمَهَا .

هَدْمُ سُوَاعٍ : وَأَرْسَلَ ﷺ عَمْرُوَ بْنَ الْعَاصِ لِهَدْمِ سُوَاعٍ ، وَهُوَ أَعْظَمُ صَنَمٍ لِهَنْدِيلٍ ، وَهَيْكَلُهُ عَلَى أَرْبَعِ كِيلُو مِثْرَاتٍ مِنْ مَكَّةَ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ وَهَدَمَهُ .

(١) عَتَابُ بْنُ أُسَيْدِ بْنِ أَبِي الْعَيْصِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ الْأُمَوِيِّ ( أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ) : اسْتَقَمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَكَّةَ لَمَّا سَارَ إِلَى حُنَيْنٍ ، وَكَانَ عُمُرُهُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً . وَكَانَ شَدِيدًا عَلَى الْمُرَيْبِ لَيْثًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ مَخْلُفًا عَنْ هَذِهِ الصَّلَاةِ إِلَّا صَرَبْتُ عُنُقَهُ فَإِنَّهُ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَاقِقٌ .. وَاسْتَمَرَّ فِي وِلَايَتِهِ عَلَى مَكَّةَ حَتَّى تُوُفِيَ سَنَةَ ٢٣ هـ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

هَدْمُ مَنَاةَ : وَبَعَثَ ﷺ سَعْدَ بْنَ زَيْدِ الْأَشْهَلِيَّ فِي عِشْرِينَ فَارِسًا لِهَدْمِ مَنَاةَ ، وَهِيَ صَنْمٌ لِكَلْبٍ وَخَزَاعَةٌ ، وَهَيْكَلُهَا بِالْمُشَلَّلِ ( وَهُوَ جَبَلٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ يُهْبِطُ مِنْهُ إِلَى قَدِيدٍ ) ، فَتَوَجَّهُوا إِلَيْهَا وَهَدَمُوهَا .

### غَزْوَةُ حُنَيْنٍ (١)

سَبَبُهَا : فَإِنَّهُ ﷺ لَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْفَتْحِ بَلَغَهُ أَنَّ هَوَازِنَ وَثَقِيفَ أَقْبَلَتَا لِحَرْبِهِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ عَلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفِ النَّصْرِيِّ .. فَأَجْمَعَ ﷺ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ . خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى حُنَيْنٍ : ثُمَّ خَرَجَ ﷺ مِنْ ( مَكَّةَ ) يَوْمَ السَّبْتِ لِسِتِّ لَيَالٍ مِنْ شَوَّالٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . ( عَشْرَةُ آلَافٍ الَّذِينَ اتَّوَا مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَالْفَانِ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ) ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ عَتَابَ بْنَ أُسَيْدٍ ، فَوَصَلَ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ لِعَشْرِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ إِنِّي أَنْطَلَقْتُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَنْ بَكْرَةَ أَبِيهِمْ يُطْعِنُهُمْ وَنَعْمُهُمْ وَشِيَاهِهِمْ اجْتَمَعُوا إِلَى حُنَيْنٍ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : ( تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ) . وَقَالَ رَجُلٌ : لَنْ نُغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قَلَّةٍ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ رَكِبَ ﷺ بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ دُلْدُلًا وَلَيْسَ دِرْعَيْنِ وَالْمَغْفَرَ وَالْبَيْضَةَ .

هَزِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ وَثَبَاتُ النَّبِيِّ ﷺ وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ : هَذَا ، وَقَدْ أُعْجِبَ الْمُسْلِمُونَ بِكَثْرَتِهِمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ شَيْئًا ، فَإِنَّ مُقَدِّمَةَ الْمُسْلِمِينَ تَوَجَّهَتْ جِهَةَ الْعَدُوِّ ، وَلَمَّا تَوَسَّطُوا وَادِي حُنَيْنٍ ، خَرَجَ لَهُمْ كَمِينٌ كَانَ مُسْتَتِرًا فِي شِعَابِ الْوَادِي وَمَضَايِقِهِ . وَقَابَلَهُمْ بِنْبَلٍ كَأَنَّهُ الْجَرَادُ الْمُنْتَشِرُ ، فَلَوَّوا أَعْنَةَ خَيْلِهِمْ مُتَقَهِّرِينَ وَتَبِعَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ .

أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَثَبَّتَ عَلَى بَغْلَتِهِ فِي مَيْدَانِ الْقِتَالِ ، وَثَبَّتَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، مِنْهُمْ : عَمُّ الْعَبَّاسُ وَابْنُهُ الْفَضْلُ ، وَعَلِيُّ بْنُ

(١) هُوَ وَادٍ قُرْبَ الطَّائِفِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ ثَلَاثُ لَيَالٍ .

أَبِي طَالِبٍ . وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَخُوهُ رَبِيعَةُ وَمُعْتَبُ بْنُ أَبِي  
لَهَبٍ . وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ .

وَفِي ( صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ) أَنَّ رُجُلًا قَالَ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ :  
أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ ( حُنَيْنٍ ) ؟ قَالَ : لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ  
وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ . وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ أَخَذَ بِزِمَامِهَا  
وَهُوَ يَقُولُ

( أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ ) أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

شِمَاتُهُ أَهْلُ مَكَّةَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ : وَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ شَمِتَ بِهِمْ كَثِيرٌ  
مِنْ مُسْلِمِي الْفَتْحِ ( الَّذِينَ هُمْ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ ) : فَقَالَ أَخٌ لِصَفْوَانَ بْنِ  
أُمَيَّةَ مِنْ أُمَّهِ ( كَلْدَةُ بْنُ الْحَنْبَلِ ) : الْيَوْمَ بَطَلَ سِحْرُ مُحَمَّدٍ . فَقَالَ لَهُ صَفْوَانُ  
وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ : أُسْكُتُ . فَضَّ اللَّهُ فَالِكَ ( أَي : كَسَرَهُ اللَّهُ ) . فَوَاللَّهِ لِأَنَّ يَرْبِيَنِي  
أَي : يَسُودَنِي ) رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْبِيَنِي رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ .

مُحَاوَلَةٌ شَيْبَةَ قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ إِسْلَامُهُ : وَعَنْ شَيْبَةَ بْنِ عُمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ  
الْعَبْدَرِيِّ ﷺ قَالَ : اسْتَدْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ ( حُنَيْنٍ ) لِأَقْتُلَهُ . فَأُطْلِعَهُ اللَّهُ  
عَلَى مَا فِي نَفْسِي . فَالْتَمَعْتُ إِلَيْهِ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ : ( أُعِيدُكَ  
بِاللَّهِ يَا شَيْبَةُ ) (١) فَارْتَعَدَتْ فَرَائِصِي فَزَفَعَهُ يَدُهُ . وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سَمْعِي  
وَبَصْرِي . وَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَكَ عَلَى مَا فِي نَفْسِي .  
عَوْدَةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحْتِدَامُ الْقِتَالِ : فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قَبْلَ الْكُفَّارِ (٢)

قَالَ الْعَبَّاسُ : وَأَنَا أَخَذُ بِلِجَامِ بَغْلَتِهِ أَكْفُهَا إِرَادَةً أَنْ لَا تُسْرِعَ . فَقَالَ :  
يَا عَبَّاسُ . نَادِ أَصْحَابَ السَّمْرَةِ ( أَي : أَهْلَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ) ( وَكَانَ الْعَبَّاسُ  
جَهْوَرِيَّ الصَّوْتِ ) فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : يَا أَصْحَابَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ . فَقَالُوا :  
لَبَيْكَ لَبَيْكَ . فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ عَلَيَّ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقْرِ عَلَى

( ٢ ) يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ : يَضْرِبُهَا بِرِجْلِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَى كَبِدِهَا لِتُسْرِعَ .

( ١ ) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي : الدَّلَائِلِ .

أَوْلَادِهَا ، وَمَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ يُؤْمِنُونَ الصَّوْتِ حَتَّى اجْتَمَعَ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمْعٌ عَظِيمٌ مِنْهُمْ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَبَدَأَ قِتَالَهُمْ مَعَ الْكُفَّارِ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى قِتَالِهِمْ ، فَقَالَ : ( هَذَا حِينَ حَمَى الْوَطِيسُ ) (١) .  
 ثُمَّ أَخَذَ ﷺ كَفًّا مِنَ الْحَصْبَاءِ فَرَمَى بِهِ وُجُوهَ الْكُفَّارِ ، وَقَالَ : ( شَاهَتِ الْوُجُوهُ ) ،  
 فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلِئَتْ عَيْنُهُ تُرَابًا مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ ، فَكَرَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ يَدًا وَاحِدَةً ، فَانْتَكَتْ قَتْلُ الْمُشْرِكِينَ ، وَتَفَرَّقُوا فِي كُلِّ وَجْهِ لَا يَلُوُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالنِّسَاءِ وَالذَّرَارِيِّ ، وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ ، فَأَخَذُوا النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ ، وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ .

وَجُرِحَ فِي هَذَا الْيَوْمِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ جِرَاحَاتٍ بِالْفِغَةِ ، وَأَسْلَمَ نَاسٌ كَثِيرُونَ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ لِمَا رَأَوْهُ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ بِالْمُسْلِمِينَ .

ثُمَّ أَمَرَ ﷺ بِجَمْعِ السَّبْيِ ؛ وَكَانَتْ نَحْوَ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفٍ بَعِيرٍ وَأَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفٍ شَاةٍ وَأَرْبَعَةَ أَلْفٍ أُوقِيَّةٍ مِنَ الْفِضَّةِ ، فَجُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالْجِعْرَانَةِ .. أَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ : فِرْقَةٌ لَحِقَتْ بِالطَّائِفِ ، وَفِرْقَةٌ لَحِقَتْ بِنَخْلَةَ ، وَفِرْقَةٌ عَسَكَرَتْ بِأَوْطَاسٍ (٢) .

سَرِيَّةَ أَوْطَاسٍ : فَأَرْسَلَ ﷺ لِهَذِهِ الْفِرْقَةِ ( الَّتِي عَسَكَرَتْ بِأَوْطَاسٍ ) أَبَا عَامِرٍ الْأَشْعَرِيَّ فِي جَيْشٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي آثَارِهِمْ ، فَأَدْرَكُوهُمْ ، فَتَاوَشُوهُمْ الْقِتَالَ ، فَاسْتَشْهَدَ أَبُو عَامِرٍ ﷺ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ تِسْعَةَ إِخْوَةٍ ، فَقَتَلَهُ عَاشِرُهُمْ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ مِنْهُ ابْنُ أَخِيهِ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ بِاسْتِخْلَافٍ مِنْهُ ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَقَتَلَ قَاتِلَ أَبِي عَامِرٍ ، وَهَزَمَهُمْ ، وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ ، وَكَانَتْ سَبَايَاهُمْ مِنَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ نَحْوَ سِتَّةِ أَلْفٍ ، وَأَمَّا الْإِبِلُ وَالْفَتَمُ فَلَا تُحْصَرُ عَدَدًا ، فَأَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فَحُبِسَتْ لَهُ بِالْجِعْرَانَةِ .

مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ : وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ ﴾

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، الْوَطِيسُ : الضَّرَابُ فِي الْعَرَبِ ، وَلَمْ يُصْمَعْ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ أَحَدٍ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ عِزَّةً عَنْ إِشْتِيَاكِ الْعَرَبِ وَفِيهَا عَلَى سَاقٍ .

(٢) وَادٍ بَدْيَارٍ هَوَازِنَ .

فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴿١﴾ . وَكَانُوا قَالُوا :  
لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ ﴿٢﴾ فَلَمْ تَعْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ  
بِمَا رَحِبَتْ ﴿٣﴾ أَي : مَعَ سَعَتِهَا ﴿٤﴾ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ  
عَلَى رَسُولِهِ - وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴿٥﴾ أَي : الْمَلَائِكَةُ .

### غَزْوَةُ الطَّائِفِ

سَارَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ حِينَ خَرَجَ مِنْ حُنَيْنٍ وَقَدَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ  
عَلَى مُقَدَّمَتِهِ ، وَكَانَتْ تَقِيفٌ لَمَّا انْهَزَمُوا مِنْ أَوْطَاسٍ دَخَلُوا حِصْنَهُمْ بِالطَّائِفِ  
وَأَغْلَقُوهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ أَدْخَلُوا فِيهِ مَا يُصَلِحُهُمْ سَنَةً وَتَهَيَّأُوا لِلْقِتَالِ ، فَسَكَّرَ  
الْمُسْلِمُونَ قَرِيبَ الْحِصْنِ ، فَرَمَاهُمُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبْلِ رَمِيًّا شَدِيدًا حَتَّى أُصِيبَ  
مِنْهُمْ كَثِيرُونَ بِجِرَاحَاتٍ ، مِنْهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَقَدْ امْتَدَّ بِهِ جُرْحُهُ حَتَّى  
أَمَاتَهُ فِي خِلَافَةِ أَبِيهِ ﷺ ، وَمِنْهُمْ : أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فُقِئَتْ عَيْنُهُ يَوْمَئِذٍ  
( ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ وَهِيَ فِي يَدِهِ أَيَّمَا أَحَبِّ إِلَيْكَ عَيْنٌ فِي  
الْجَنَّةِ أَوْ أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيْكَ ، قَالَ بَلْ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ وَرَمَى بِهَا ، وَشَهِدَ  
الْيَرْمُوكَ فَقَاتَلَ وَفُقِئَتْ عَيْنُهُ الْأُخْرَى يَوْمَئِذٍ ) ، وَقَدْ مَاتَ بِالْجِرَاحَاتِ اثْنَا عَشَرَ  
رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْعَدُوَّ مُتَمَكِّنٌ مِنْ رَمِيهِمْ ارْتَفَعَ  
إِلَى مَحَلِّ مَسْجِدِ الطَّائِفِ الْآنَ ، وَكَانَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبُ فَضْرَبَ  
لَهُمَا قُبَّتَيْنِ وَكَانَ يُصَلِّي ﷺ بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ حِصَارَ الطَّائِفِ كُلَّهُ . وَاسْتَمَرَ الْحِصَارُ  
ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يُنَادِي فِيهَا بِالْمُبَارَزَةِ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ،  
وَنَادَاهُ عَبْدُ يَا لَيْلٍ عَظِيمٌ تَقِيفٌ : لَا يَنْزِلُ إِلَيْكَ مِنَّا أَحَدٌ وَلَكِنْ نُقِيمُ فِي حِصْنِنَا  
فَإِنَّ فِيهِ مِنَ الطَّلَامِ مَا يَكْفِينَا سِنِينَ ، فَإِنْ أَهَمَّتْ حَتَّى يَفْنَى هَذَا الطَّلَامُ خَرَجْنَا  
إِلَيْكَ بِأَسْيَافِنَا جَمِيعًا حَتَّى نَمُوتَ عَنْ آخِرِنَا .

فَأَمَرَ ﷺ بِأَنْ يُنْصَبَ عَلَيْهِمُ الْمَنْجَنِيْقُ ﴿٦﴾ فَتَنْصَبَ وَدَخَلَ جَمْعٌ مِنَ الْأَصْحَابِ تَحْتَ

( ١ ) سُورَةُ التَّوْبَةِ آيَةُ ٢٥ . مِنْ آيَةِ ٢٦ .

( ٢ ) الْمَنْجَنِيْقُ : آتَةٌ يُرْمَى بِهَا الْحِجَارَةُ كَانَتْ تَقُومُ مَقَامَ الْمَنْجَعِ الْيَوْمَ .

دَبَابَتَيْنِ<sup>(١)</sup> لِيَنْقُبُوا الْحِصْنَ فَأَرْسَلْتُ عَلَيْهِمْ ثَقِيفُ سِكَكَ الْحَدِيدِ مُحَمَّاءَ بِالنَّارِ حَتَّى  
 أَرْجِعُوهُمْ .. فَأَمَرَ ﷺ بِقَطْعِ أَعْنَابِهِمْ وَنَخِيلِهِمْ . فَقَطَعَ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا قِطْعاً  
 ذَرِيعاً . فَنَادَاهُ أَهْلُ الْحِصْنِ أَنْ دَعُهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ . فَقَالَ ﷺ : أَدْعُهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ  
 ثُمَّ أَمَرَ ﷺ مِنْ يُنَادِي بِأَنْ كُلَّ مَنْ تَرَكَ الْحِصْنَ وَنَزَلَ فَهُوَ آمِنٌ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ  
 بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً .

وَلَمَّا رَأَى ﷺ أَنْ تَمَنَعَ ثَقِيفٌ شَدِيدٌ . وَأَنَّ الْفَتْحَ لَمْ يُؤْذَنَ فِيهِ : اسْتَشَارَ نَوْفَلَ بْنَ  
 مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيَّ<sup>(٢)</sup> فِي الدَّهَابِ أَوْ الْمَقَامِ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . هُمْ تَعَلَّبَ فِي جُحْرِ  
 إِنْ أَقَمْتَ أَخَذْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَضُرَّكَ . فَأَمَرَ ﷺ أَنْ يُؤْذَنَ بِالرَّحِيلِ . وَطَلَبَ مِنْهُ  
 بَعْضُ الصَّحَابَةِ أَنْ يَدْعُو عَلَى ثَقِيفٍ . فَقَالَ ﷺ : ( اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفاً وَائْتِ بِهِمْ  
 مُسْلِمِينَ ) .

نُزُولُهُ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ وَقَسَمُ الْغَنَائِمِ : وَلَمَّا رَجَعَ ﷺ مِنْ ( الطَّائِفِ ) نَزَلَ  
 بِ ( الْجِعْرَانَةِ ) فَقَسَمَ بِهَا غَنَائِمَ ( حُنَيْنِ ) بَعْدَ أَنْ أَحْصَاهُ وَخَمَسَهُ . وَأَعْطَى  
 مِنْهُ شَيْئاً كَثِيراً لِأَنَاسٍ ضَعْفَ إِسْلَامِهِمْ يَتَأَلَّفُهُمْ بِذَلِكَ . وَأَعْطَى ﷺ أَنَاساً لَمْ  
 يُسَلِّمُوا لِيُحِبِّبَ إِلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ :

فَأَعْطَى ﷺ أَبَا سُفْيَانَ أَرْبَعِينَ أَوْقِيَّةً مِنَ الْفِضَّةِ . وَمِائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَكَذَلِكَ  
 ابْنَاهُ مُعَاوِيَةَ وَبِزِيدٍ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لِأَنْتَ كَرِيمٌ فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ .  
 وَأَعْطَى ﷺ : حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ أَعْطَاهُ كَأَبِي سُفْيَانَ : فَاسْتَزَادَهُ فَأَعْطَاهُ . ثُمَّ  
 اسْتَزَادَهُ فَأَعْطَاهُ مِثْلَهَا . وَقَالَ ﷺ : ( إِنْ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلُوٌّ . فَمَنْ أَخَذَهُ  
 بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ فِيهِ . وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ . وَكَانَ  
 كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ . وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ) .. فَأَخَذَ حَكِيمٌ  
 الْمِائَةَ الْأُولَى وَتَرَكَ مَا عَدَاهَا . ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرِزُ<sup>(٣)</sup> أَحداً بَعْدَكَ

(١) الدَّبَابَةُ : أَلَّةٌ تَتَّخَذُ لِلْحُرُوبِ فَتُدْفَعُ فِي أَسْفَلِ الْحِصْنِ فَيَنْقُبُونَ وَهُمْ فِي جُوفِهَا .

(٢) شَهِدَ بَدْرًا وَالْخُدُودَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ . ثُمَّ اسْلَمَ وَشَهِدَ حُنَيْنَ وَالطَّائِفَ . وَنَزَلَ الْمَدِينَةَ وَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ ٦٠ هـ .

(٣) لَا أَرِزُ : لَا أَخْذُ وَلَا أَنْقُصُ .

شَيْئاً حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا : فَكَانَ الخُلَفَاءُ بَعْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ يَعْرضُونَ عَلَيْهِ العَطَاءَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ مِنْ بَيْتِ المَالِ فَلَا يَأْخُذُهُ .

العَبَّاسُ بنُ مِرْدَاسٍ يَسْتَزِيدُ العَطَاءَ : وَأَعْطَى ﷺ العَبَّاسَ بنَ مِرْدَاسِ الشَّاعِرِ خَمْسِينَ مِنَ الإِبِلِ ، فَلَمْ يَرْضَ بِهَا إِذْ لَمْ يَجْعَلْهُ ﷺ كَعِيْنَةَ بنِ حِصْنٍ والأَقْرَعِ بنِ حَابِسٍ ، وَأَنْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ آيَاتاً يَقُولُ فِيهَا :

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ العَبِيدِ      بِدِينِ عِيْنَةَ والأَقْرَعِ (١)

وما كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ      يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ

وما كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا      وَمَنْ تَضَعِ اليَوْمَ لَا يُرْفَعِ

فَأَكْمَلَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مائة .

وَكَانَ ﷺ يَقْصِدُ مِنْ هَذِهِ العَطَايَا تَأْلِيْفَ القُلُوبِ وَجَمْعَهَا عَلَى الدِّينِ القَوِيمِ . وَهَذَا ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ السِّيَاسَةِ الدِّيْنِيَّةِ حَتَّى جُعِلَ مِنَ الصَّدَقَاتِ هِسْمٌ لِمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَقَدْ عَادَ ذَلِكَ بِفَائِدَةٍ عَظْمَى فَإِنَّ كَثِيرِينَ مِمَّنْ أُعْطُوا فِي هَذَا اليَوْمِ وَلَمْ يَكُونُوا أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ الإِسْلَامِ صَارُوا بَعْدَ مِنْ أَجْلَاءِ المُسْلِمِينَ وَأَكْثَرِهِمْ نَفْعاً .

تَوَزِيعُ الغَنَائِمِ عَلَى سَائِرِ المُسْلِمِينَ : وَأَمَّا الغَنَمُ فَأَعْطَى ﷺ مِنْهَا بِغَيْرِ عَدَدٍ حَتَّى إِنَّ أَعْرَابِيًّا رَأَى غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ . فَقَالَ : مَا أَكْثَرَ هَذِهِ الأَغْنَامَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : ( هِيَ لَكَ ) ، فَآتَى بِهَا قَوْمَهُ . وَقَالَ لَهُمْ : أَسْلِمُوا . فَوَاللّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخَافُ الفَقْرَ . (٢)

ثُمَّ أَمَرَ ﷺ زَيْدَ بنَ ثَابِتٍ ﷺ . فَأَخْصَى مَا بَقِيَ مِنَ الغَنَائِمِ وَقَسَمَهُ عَلَى الغَزَاةِ بَعْدَ أَنْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ الأَعْرَابُ وَصَارُوا يَقُولُونَ لَهُ : اقسِمْ عَلَيْنَا حَتَّى النُّجُوهُ إِلَى شَجَرَةٍ فَتَمَلَّقَ رِدَاؤُهُ فَقَالَ ﷺ : ( رُدُّوا رِدَائِي أَيُّهَا النَّاسُ . فَوَاللّهِ إِنْ كَانَ لِي شَجَرٌ تِهَامَةٌ نَعْمًا لَقَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ ثُمَّ مَا أَلْفَيْتُمُونِي بِخِيَالٍ وَلَا جَبَانًا وَلَا كِدُودًا ) (٣)

(١) العبّيد : اسمُ عَبَّاسِ بنِ مِرْدَاسٍ .

(٢) الكدود : الرُّجُلُ لَا يُنَالُ خَيْرُهُ إِلاَّ بِمُسْرٍ .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ .

ثُمَّ قَامَ ﷺ إِلَى بَعِيرِهِ وَأَخَذَ وَبَرَةً مِنْ سِنَامِهِ وَقَالَ : ( أَيُّهَا النَّاسُ ، وَاللَّهِ مَا لِي مِنْ غَنِيمَتِكُمْ وَلَا هَذِهِ الْوَبْرَةَ إِلَّا الْخُمْسُ ، وَالْخُمْسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ ، فَأَدُّوا الْخِيَاطَ وَالْمَخِيطَ فَإِنَّ الْغُلُولَ <sup>(١)</sup> يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَارًا وَسَنَارًا <sup>(٢)</sup> وَنَارًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) .. فَصَارَ كُلُّ مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْغَنَائِمِ خِلْسَةً يَرُدُّهُ وَلَوْ كَانَ زَهِيدًا .

أَمْرُ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيِّ : ثُمَّ شَرَعَ ﷺ يَقْسِمُ فَأَصَابَ الرَّجُلُ أَرْبَعَةً مِنْ الْإِبِلِ وَأَرْبَعُونَ شَاةً ، وَالْفَارِسَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالِ ذَلِكَ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ( وَهُوَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ حَرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرِ التَّمِيمِيِّ ) : هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ، فَغَضِبَ ﷺ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْهَهُ وَقَالَ : ( وَيْحَكَ ! إِنْ لَمْ أَعْدِلْ فَمَنْ يَعْدِلُ وَأَنَا حُرٌّ ؟ رَحِمَ اللَّهُ أَخِي مُوسَى ، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ ) <sup>(٣)</sup> ، فَوَثَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ . وَقَالَا : دَعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَضْرِبُ عُنُقَهُ ، فَقَالَ ﷺ : لَا ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي ، فَقَالَ خَالِدٌ : وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ .

فَقَالَ ﷺ : ( إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أَنْقَبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشَقَّ بَطُونَهُمْ ) .

مَقَالَةُ الْأَنْصَارِ بِشَأْنِ الْغَنَائِمِ وَخُطْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ : وَلَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا لِقُرَيْشٍ وَقِبَائِلِ الْعَرَبِ وَتَرَكَ الْأَنْصَارَ : غَضِبَ بَعْضُهُمْ حَتَّى قَالُوا : إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعَجَبُ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرَكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقَطَّرُ مِنْ دِمَائِهِمْ !!! فَبَلَغَهُ ذَلِكَ ﷺ فَأَمَرَ بِجَمْعِهِمْ وَلَيْسَ مَعَهُمْ غَيْرُهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ ﷺ : ( يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا مَقَالَةٌ بَلَغْتَنِي عَنْكُمْ ؟ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي ؟ وَعَالَةً <sup>(٤)</sup> فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بِي ؟ إِنْ قُرَيْشًا حَدِيثُوا عَهْدِي بِكُفْرٍ وَمُصِيبَةٍ ؟ وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْبِرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ ، أَغَضِبْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ لِشَيْءٍ قَلِيلٍ مِنَ الدُّنْيَا أَلْفَتْ بِهِ قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا ، وَوَكَلْتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ الثَّابِتَ الَّذِي لَا يُزَلُّ ؟ ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ

(٢) الشَّنَارُ : السَّارُ وَأَفْبَحَ الْغَيْبِ .

(٤) جَمَعَ عَائِلٌ وَهُوَ الْفَقِيرُ .

(١) الْغُلُولُ : الْإِنْخِلَاسُ مِنَ الْغَنِيمَةِ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ (ابْنِ مَسْعُودٍ) .



الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ ؟  
 هَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ : وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ  
 شِعْبًا وَسَلَكَ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ  
 الْأَنْصَارِ ) ، فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى اخْضَلَتْ<sup>(١)</sup> لِحَاهِمُ ، وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ  
 قِسْمًا وَحِطًّا .

قُدُومُ وَفَدِ هَوَاوِزِ مُسْلِمِينَ ، وَرَدُّ النَّبِيِّ ﷺ سَبَايَاهُمْ : ثُمَّ إِنَّ وَفَدَ هَوَاوِزِ جَاوُوا  
 بَعْدَ قِسْمَةِ غَنَائِمِهِمْ مُسْلِمِينَ . يَرَأْسُهُمْ زُهَيْرُ بْنُ صُرْدٍ ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ  
 إِنَّ فِيمَنْ أَصَبْتُمْ الْأُمَهَاتِ وَالْأَخَوَاتِ وَالْعَمَّاتِ وَالْخَالَاتِ وَهُنَّ مَخَاوِزِ الْأَقْوَامِ ،  
 وَنَرُغِبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَقَالَ زُهَيْرٌ : إِنَّ فِي الْحِطَّائِرِ عَمَّاتِكَ  
 وَخَالَاتِكَ وَحَوَاضِنِكَ اللَّاتِي كُنَّ يَكْفُلْنَكَ ، ثُمَّ قَالَ آيَاتًا يَسْتَعِطِفُهُ بِهَا :

- |  |   |
|--|---|
| أَمُنُّ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمٍ   | * فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَتَنْتَظِرُ    |
| أَمُنُّ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضُهَا   | * إِذْ فُوكَ يَمْلُؤُهُ مِنْ مَخْضِهَا الدَّرُّ |
| إِنَّا نُؤْمَلُ عَفْوًا مِنْكَ نَلْبِسُهُ      | * هَدَى الْبَرِيَّةَ أَنْ تَعْفُو وَتَنْتَصِرُ  |
| لَا تَجْعَلُنَا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ     | * وَاسْتَبَقِ مِنَّا فَإِنَّا مَعَشَرُ زُهْرٍ   |
| فَالْبِسِ الْعَفْوَمِنْ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهُ | * مِنْ أُمَهَاتِكَ إِنَّ الْعَفْوَ مُشْتَهَرُ   |

فَقَالَ ﷺ : ( إِنَّ أَحَبَّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ : إِمَّا  
 الْمَالَ وَإِمَّا السَّبْيَ ، وَقَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْكُمْ لَا تَقْدُمُونَ ) ، فَقَالُوا :  
 مَا كُنَّا نَعْدِلُ بِالْأَحْسَابِ شَيْئًا ، أَرَدُّدُ عَلَيْنَا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا وَلَا  
 نَتَكَلَّمُ فِي شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ ، فَقَالَ ﷺ : ( أَمَّا مَالِي وَلِبْنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ فَهُوَ لَكُمْ ،  
 فَإِذَا أَنَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ فَقومُوا وَقُولُوا : نَحْنُ نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ  
 وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ تُظْهِرُوا إِسْلَامَكُمْ وَتَقُولُوا نَحْنُ إِخْوَانُكُمْ فِي  
 الدِّينِ ) ، فَفَعَلُوا ، فَقَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : ( أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ

( ١ ) أَي بَلَّغَهَا الدَّمْعُ بُكَاءً وَتَأَدَّرًا بِمَوْعِظَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . ( ٢ ) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنِ ( الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ) ﷺ .

جَاؤُوا تَائِبِينَ . وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُرَدَّ إِلَيْهِمْ سَبِيَهُمْ . فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَطِيبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ . وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يَفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ ) . فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ : مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ (١) .  
وَأَمْتَعَ مِنْ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ : كَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ وَعُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَالْعَبَّاسِ بْنِ مَرْدَاسٍ . فَأَخَذَهُ الرَّسُولُ ﷺ مِنْهُمْ قَرْضًا .

عُمْرَةَ الْجِعْرَانَةِ وَاسْتِخْلَافُ النَّبِيِّ ﷺ عَتَابًا عَلَى الْحَجِّ : ثُمَّ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ( الْجِعْرَانَةِ ) مُحْرِمًا بِعُمْرَةٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فَدَخَلَ ( مَكَّةَ ) فَقَضَى نُسُكَهُ . وَاسْتَخْلَفَ ﷺ عَلَى ( مَكَّةَ ) عَتَابَ بْنَ أُسَيْدٍ فَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ ( أَي : الثَّامِنَةِ ) .. ثُمَّ أَمَرَ ﷺ بِالرَّحِيلِ . فَسَارَ الْمُسْلِمُونَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ حَتَّى دَخَلُوا الْمَدِينَةَ لِثَلَاثِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ .

خَبَرُ وِلَادَةِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ : وَوُلِدَ لَهُ ﷺ فِي ذِي الْحِجَّةِ وَلَدُهُ إِبْرَاهِيمُ . فَعَاشَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا وَكُسِفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَوْتِهِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ الْهِجْرَةِ .

وَفِي ( صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ فَوَجَدَهُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ لَهُ ﷺ : يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ . جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ ) . ثُمَّ قَالَ ﷺ : ( إِنْ الْعَيْنَ تَدْمَعُ . وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ . وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا . وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ ) (٢) وَقَالَ ﷺ : ( إِنْ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ ) (٣) .

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) أَيْضًا أَنَّ النَّاسَ قَالُوا : كُسِفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ فَتَنَاهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ : وَصَلَّى صَلَاةَ الْكُسُوفِ : فَأَطَالَ فِيهَا حَتَّى انْجَلَتْ . ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ فَحَثَّهُمْ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالْعِتْقِ . وَقَالَ ﷺ : ( إِنْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ ( الْمَسْوُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ ) . (٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ ( أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ ( الْبِرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ) .

الشَّمْسِ وَالْقَمَرَ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ . يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ ، وَلَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ . (١)

لَمَحَّةٌ فِي عَظْمَتِهِ ﷺ : وَأَيُّ عَظْمَةٍ نَفْسِيَّةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَلَا يَنْسَى الرَّسُولُ ﷺ رِسَالَتَهُ فِي أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ الَّتِي تَمَلُّ النَّفْسَ غَمًّا وَحُزْنًا ، وَرُبَّمَا تُذْهِلُ الشَّخْصَ عَمَّا هُوَ حَقٌّ لِدَلِكِ لَاغْرَوٍ إِذَا كَانَ الْمُسْتَشْرِقُونَ الَّذِينَ كَتَبُوا فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَنَاوَلُوا هَذِهِ الْقِصَّةَ وَقَضُوا مِنْهَا مَوْقِفَ الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ . وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا كَتْمَ إِعْجَابِهِمْ وَإِكْبَارِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَعْلَنُوا عِرْفَانَهُمْ بِصِدْقِ إِنْسَانٍ لَمْ يَرْضَ فِي أَدَقِّ الْمَوَاقِفِ إِلَّا الصِّدْقَ وَإِعْلَانَ الْحَقِّ (٢)

سَرِيَّةُ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ : وَبَعَثَ ﷺ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ إِلَى نَاحِيَةِ الْيَمَنِ فِي أَرْبَعِمِائَةِ فَارِسٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ قَبِيلَةَ صُدَاءَ حِينَ مُرُورِهِ عَلَيْهِمْ فِي الطَّرِيقِ . فَقَدِمَ زِيَادُ بْنُ الْحَارِثِ الصُّدَائِيُّ فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ الْبَعْثِ فَأُخْبِرَ . فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا وَافِدُهُمْ فَارُدِّ الْجَيْشَ وَأَنَا لَكَ بِقَوْمِي . فَرَدَّهُمْ ﷺ وَقَدِمَ الصُّدَائِيُّونَ بَعْدَ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا فَأَسْلَمُوا .

وَفَاةُ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ : وَفِي هَذَا الْعَامِ تُوفِّيَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَزَوْجُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ وَكَانَتْ أَكْبَرَ بَنَاتِهِ ﷺ تَلِيهَا رُقِيَّةٌ ثُمَّ أُمُّ كَلْثُومٌ . ثُمَّ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ .

وَكَانَتْ ﷺ وَوَلَدَتْ مِنْ أَبِي الْعَاصِ عَلِيًّا ، ثُمَّ مَاتَ وَقَدْ نَاهَزَ الْإِحْتِلَامَ . وَأَمَامَةٌ وَهِيَ الَّتِي كَانَ يَحْمِلُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ . وَلَمَّا كَبُرَتْ تَزَوَّجَهَا سَيِّدُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ مَوْتِ خَالَتِهَا السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ﷺ .



السَّنَةُ التَّاسِعَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ (عَامُ الْوُفُودِ)

وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ : دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، كَمَا أَعْلَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولُهُ ﷺ بِذَلِكَ ، وَجَعَلَهُ عَلِمًا لِقُرْبِ أَجَلِهِ .

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي : **( إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ )** حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ ؟ ، فَقُلْتُ : هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ ، قَالَ : **( إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ )** فَتَحُ مَكَّةَ **( وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا )** فَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجَلِكَ ، **( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا )** <sup>(١)</sup> ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُهُ <sup>(٢)</sup> .

سَرِيَّةَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي خَمْسِينَ فَارِسًا مِنَ الْأَعْرَابِ ( لَيْسَ فِيهِمْ مُهَاجِرِيٌّ وَلَا أَنْصَارِيٌّ ) إِلَى بَنِي تَمِيمٍ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ الْمُحَرَّمِ ، فَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي صَحْرَاءٍ قَدْ حَلُّوا وَسَرَّحُوا مَوَاشِيَهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا الْجَمْعَ وَلَوْا ، فَأَخَذُوا مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ امْرَأَةً وَثَلَاثِينَ صَبِيًّا وَتَوَجَّهَ بِالْكُلِّ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَمَرَ ﷺ بِجَعْلِهِمْ فِي دَارِ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ .

وَقَدْ تَمِيمَ : فَجَاءَ فِي أَثَرِهِمْ وَقَدْ تَمِيمَ فِيهِ : عُطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ ، وَالزُّبَيْرِقَانُ بْنُ بَدْرِ ، وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ ، فَجَلَسُوا يَنْتَظِرُونَ الرَّسُولَ ﷺ فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِمْ نَادَوْا مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ بِصَوْتٍ جَافٍ : يَا مُحَمَّدُ أَخْرِجْ إِلَيْنَا نَفَاخِرُكَ : فَإِنَّ مَدْحَنَا زَيْنٌ . وَإِنَّ ذَمَّنَا شَيْنٌ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ﷺ وَقَدْ تَأَذَى مِنْ صِيَاحِهِمْ وَفِيهِمْ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : **( إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ )** **● وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ●** <sup>(٣)</sup>

وَكَانَ الْوَقْتُ وَقْتُ الظُّهْرِ فَأَذَّنَ بِلَالٍ وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلصَّلَاةِ ، فَتَعَلَّقُوا بِهِ

(١) سُورَةُ النَّصْرِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

(٣) سُورَةُ الْحُجُرَاتِ (الآيَاتَانِ ٥٤ ، ٥٥) .

يَقُولُونَ نَحْنُ نَاسٌ مِنْ تَمِيمٍ جِئْنَا بِشَاعِرِنَا وَخَطِيبِنَا نُشَاعِرُكَ ، وَنُفَاخِرُكَ ، فَقَالَ لَهُمُ ﷺ : ( مَا بِالشُّعْرِ بُعِثْنَا ، وَلَا بِالفَخَارِ أَمِرْنَا ) ، ثُمَّ صَلَّى ﷺ الطُّهْرَ وَاجْتَمَعَ حَوْلَهُ رِجَالُ الوَفْدِ يَنْفَاخِرُونَ بِمَجْدِهِمْ وَمَجْدِ آبَائِهِمْ : وَقَدْ مَدَحَ عَمْرُو بْنُ الأَهْتَمِ الزُّبَيْرَانَ بْنَ بَدْرِ فَقَالَ : إِنَّهُ لَمُطَاعٌ فِي أُنْدِيَّتِهِ سَيِّدٌ فِي عَشِيرَتِهِ ، فَقَالَ الزُّبَيْرَانُ حَسَدَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ لِشَرَفِي وَقَدْ عَلِمَ أَفْضَلَ مِمَّا قَالَ .. فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّهُ لَزَمِنُ المُرْوَةِ ، ضَيْقُ العَطَنِ ، لَتَيْمِ الخَالِ <sup>(١)</sup> ، فَرَأَى الغَضَبُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِاخْتِلَافِ قَوْلِي عَمْرُو ، فَقَالَ عَمْرُو : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتُ فِي الأَوَّلِي وَمَا كَذَبْتُ فِي الثَّانِيَةِ : رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ، وَغَضِبْتُ فَقُلْتُ أَسْوَأَ مَا عَلِمْتُ فَقَالَ ﷺ : ( إِنْ مِنْ البَيَانِ لِسِحْرًا ) .

ثُمَّ أَسْلَمَ القَوْمُ فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ أَسْرَاهُمْ وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُمْ ، وَأَقَامُوا مُدَّةً يَتَعَلَّمُونَ فِيهَا القُرْآنَ وَيَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ .

وَقَدْ أَهَلَ اليَمَنَ : وَمِنَ الوَفُودِ : وَقَدْ أَهَلَ اليَمَنَ ، فَبَشَّرَهُمُ ﷺ وَأَتَى عَلَيْهِمْ خَيْرًا وَبَعَثَ مَعَهُمْ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَأَبَا مُوسَى الأشْعَرِيَّ <sup>(٢)</sup> .

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، جَاءَتْ بَنُو تَمِيمٍ ، فَقَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( أَبْشِرُوا يَا بَنِي تَمِيمٍ ) ، فَقَالُوا : بَشِّرْنَا فَأَعْطِنَا ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ﷺ ، فَجَاءَ نَاسٌ مِنَ اليَمَنِ فَقَالَ ﷺ : ( أَقْبِلُوا البُشْرَى يَا أَهْلَ اليَمَنِ ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ ) ، فَقَالُوا : قَدْ قَبَلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ <sup>(٣)</sup> .

فَقَالَ ﷺ : ( الإِيمَانُ هَاهُنَا ) ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى اليَمَنِ <sup>(٤)</sup> .  
وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا : ( أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ ، هُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةٍ ، وَأَلْيَنُ قُلُوبًا .. الإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَالفِقْهُ يَمَانٍ ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ ) <sup>(٥)</sup> .  
وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا : أَنَّهُ بَعَثَ أَبُو مُوسَى الأشْعَرِيَّ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى

(١) ذَمِنُ المُرْوَةِ : قَلْبُ المُرْوَةِ ، ذَمِنُ العَطَنِ : قَلْبُ مَبْرُكِ الإِبِلِ حَوْلَ المَاءِ .. يَمْنِي وَتِلْهُ إِبِلِهِ . لَتَيْمِ الخَالِ : أَي بَخِيلٌ .  
(٢) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ عَنْ ( عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ) <sup>(١)</sup> .  
(٣) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ عَنْ ( ابْنِ مَسْمُودٍ ) <sup>(٢)</sup> .  
(٤) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ <sup>(٣)</sup> .

الِيَمَنِ . وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلَافٍ ( أَي : إِقْلِيمٍ ) وَقَالَ ﷺ :

وَالِيَمَنٍ مِخْلَافَانِ ثُمَّ قَالَ ﷺ : ( يَسْرًا وَلَا تُعْسِرًا . وَبَشْرًا وَلَا تُفْسِرًا ) (١)

وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ : ( إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ . فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ) (٢)

وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ . فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ (٣) .  
وَمِمَّا جَاءَ فِي فَضْلِ أَهْلِ الْيَمَنِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ( بَشِيرًا نَبِئُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ كِتَابٌ إِلَّا إِنْ يَأْتِيهِمْ الْغُورُ ) (٤) . مَا أَطْيَبَ الْمَغْفِرَةَ بَعْدَ الطَّيِّبَاتِ : فَذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْيَمَنَ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ كَثِيرُ الْخَيْرَاتِ ظَاهِرُ الْبَرَكَاتِ .

وَرُوي عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : ( لَا تَسْبُوا تَبَعًا ) . وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ :  
لَا تَسْبُوا تَبَعًا فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَأَسْمُهُ أَسْعَدُ الْجَمِيرِيِّ .

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَسَا الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَسُمِّيَ تَبَعًا لِأَنَّهُ تَبِعَ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ : وَقَدْ كَانَ فِي حِمَيْرٍ سَبْعُونَ تَبَعًا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي عَرَبٍ وَلَا عَجَمٍ .  
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَعَلَ لِلْبَيْتِ مِفْتَاحًا وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ قَائِلًا :

كَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ  
مَلَاءَ مُعَصَّبًا وَبِرُودًا

وَنِطَاعًا مِنَ الْخِصَافِ فَرَشْنَا  
وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدًا

وَرُوي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ النَّاسَ : مَنْ أَحْجَدُ الْعَرَبِ ؟ . قَالُوا : حَاتِمٌ

قَالَ : فَمَنْ فَارِسُهَا ؟ . قَالُوا : عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبٍ . قَالَ : فَمَنْ شَاعِرُهَا ؟ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . (٢) كَرَائِمُ أَمْوَالِهِمْ : أَعَزُّ وَأَفْضَلُ أَمْوَالِهِمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . (٤) سُورَةُ سَبَأٍ . مِنَ الْآيَةِ ١٥ .

(٥) وَالْحَدِيثُ فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ . وَفِي فَتْحِ الْبَارِي لِابْنِ حَجَرٍ . وَفِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ لِلطَّبْرَانِيِّ . وَفِي مُجْمَعِ

الزُّوَائِدِ لِلْهَيْثَمِيِّ . وَفِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ لِلصُّيُوطِيِّ . وَفِي التَّارِيخِ لِلطَّبْطَبِيِّ الْبَغْدَادِيِّ . وَفِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ

وَفِي كَنْزِ الْعَمَالِ لِلْمُنْتَهِيِّ الْهِنْدِيِّ .

قَالُوا : أَمْرُ الْقَيْسِ قَالَ : فَأَيُّ سِيُوفِهَا أَقْطَعُ . قَالُوا : الصَّمْصَامَةُ . قَالَ كَفَى بِهَذَا فَضْلُ الْيَمَنِ .

هَذَا وَقَدْ مَكَثَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه بِالْيَمَنِ حَتَّى تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه فَقَدِمَ عَلَى الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ . سَرِيَّةُ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ : ثُمَّ بَعَثَ رضي الله عنه الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ لِأَخْذِ صَدَقَاتِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَكَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا وَبَنَوْا الْمَسَاجِدَ . فَلَمَّا سَمِعُوا بِدُنُوقِ الْوَلِيدِ خَرَجَ مِنْهُمْ عَشْرُونَ رَجُلًا مُتَقَلِّدِينَ سِلَاحَهُمْ وَمَعَهُمْ إِبِلُ الصَّدَقَةِ فَرَحًا بِهِ وَتَعْظِيمًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم فَحَدَّثَهُ الشَّيْطَانُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ فَرَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ مُسْرِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْبَرَ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الْقَوْمَ ارْتَدُّوا وَمَنَعُوا الزَّكَاةَ .

فَأَرْسَلَ لَهُمْ رضي الله عنه خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لِاسْتِكْشَافِ الْخَبَرِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ رضي الله عنه فِي عَسْكَرِهِ خُفِيَّةً حَتَّى إِذَا كَانَ يَنَادِيهِمْ سَمِعَ مُؤَذِّنُهُمْ يُؤذِّنُ بِالصُّبْحِ . فَأَتَاهُمْ خَالِدٌ فَلَمْ يَرِ مِنْهُمْ إِلَّا طَاعَةً . فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم الْخَبَرَ .

وَفِي الْوَلِيدِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ قَائِسُ كَيْسِ سَيْبِ بْنِ كَعْبٍ أَن يُعْصِبُوا قَوْمًا كَيْفَئِذٍ فَتَضَرَّبُوا عَلَى مَا كُفَرْتُمْ سِرًّا وَعَظِيمًا فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُفَرْتُمْ ﴾ (١) فَبَعَثَ لَهُمْ رضي الله عنه عَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ يَأْخُذُ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ وَيُقْرِئُهُمُ الْقُرْآنَ .

سَرِيَّةُ عَلْقَمَةَ بْنِ مُجَزِّزِ الْمُدَلِجِيِّ : وَكَانَتْ فِي رَيْبِعِ الثَّانِي حَيْثُ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّ جَمْعًا مِنَ الْحَبَشَةِ رَأَوْا أَهْلَ جِدَّةَ فِي مَرَائِكِهِمْ يُرِيدُونَ الْإِغَارَةَ عَلَيْهَا . فَأَرْسَلَ لَهُمْ رضي الله عنه عَلْقَمَةَ بْنَ مُجَزِّزٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ . فَذَهَبَ حَتَّى وَصَلَ جِدَّةَ وَنَزَلَ فِي الْمَرَائِكِ لِیُدْرِكَهُمْ ( وَكَانَ الْأَخْبَاشُ مُتَحَصِّنِينَ فِي جَزِيرَةٍ هُنَاكَ ) . فَلَمَّا رَأَوْا الْمُسْلِمِينَ هَرَبُوا وَلَمْ يَلْقَ الْمُسْلِمُونَ كَيْدًا . فَرَجَعَ عَلْقَمَةُ بِمَنْ مَعَهُ .. وَلَمَّا كَانَ بِالطَّرِيقِ أَدْنَى لِبَعْضِ مَنْ مَعَهُ التَّعَجُّلُ ( لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا الْإِسْرَاعَ إِلَى أَهْلِيهِمْ )

(١) سُورَةُ الْحُجُرَاتِ ( الْآيَةُ ٦ )  
(٢) هُوَ عَلْقَمَةُ بْنُ مُجَزِّزِ الْكِنَانِيِّ الْمُدَلِجِيُّ . شَهِدَ الْيَزْمُولَ . وَبَعَثَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي جَيْشٍ إِلَى الْعَبَشَةِ فَاسْتَشْهَدُوا كُلَّهُمْ .

وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ السَّهْمِيُّ ، وَهَذَا حَدِيثٌ دُعَابَةٌ عِنْدَمَا نَزَلُوا بِبَعْضِ  
الطَّرِيقِ وَأَوْقَدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهُمْ أَمِيرُهُمْ : أَلَسْتُمْ مَأْمُورِينَ  
بِطَاعَتِي ؟ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا تَوَاتَبْتُمْ فِي هَذِهِ النَّارِ : فَقَالَ  
بَعْضُهُمْ : مَا أَسْلَمْنَا إِلَّا فِرَارًا مِنَ النَّارِ ( ) ، وَهَمَّ بِتَنْفِيذِ الْأَمْرِ بِعَضُفِهِمْ ، فَمَنْعَهُمْ  
عَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ : كُنْتُ مَازِحًا .

فَلَمَّا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : ( لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ) .  
سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَفِي شَهْرِ رَبِيعِ الثَّانِي أَيْضًا أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مَائَةٍ بَعِيرٍ  
وَخَمْسِينَ فَرَسًا : لِهَدْمِ الْفُلْسِ ( وَهُوَ صَنْمٌ طِيٌّ ) فَسَارَ إِلَيْهِ وَهَدَمَهُ وَأَحْرَقَهُ  
وَغَنِمَ سَبِيًّا وَنِعْمًا وَشَاءَ ، وَكَانَ فِي السَّبْيِ سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمِ الطَّلَائِي .  
وَلَمَّا رَجَعَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ طَلَبَتْ سَفَانَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهَا .  
فَأَجَابَهَا ( لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ سُنَّتِهِ ﷺ أَنْ يُكْرِمَ الْكِرَامَ ) ، فَدَعَتْ لَهُ ، وَكَانَ مِنْ  
دُعَائِهَا : ( شَكَرْتُكَ يَدَّ افْتَقَرْتُ بَعْدَ غِنَى وَلَا مَلَكَتْكَ يَدَّ اسْتَعْنَنْتُ بَعْدَ فَقْرٍ ،  
وَأَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ ، وَلَا جَعَلَ لَكَ إِلَيَّ لَيْتِيمٌ حَاجَةً ، وَلَا سَلَبَ نِعْمَةً  
كَرِيمٍ إِلَّا وَجَعَلْتُكَ سَبِيًّا لِرُدِّهَا عَلَيْهِ ) .

وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُعَامَلَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبَبًا فِي إِسْلَامِ أُخِيهَا عَدِيِّ بْنِ حَاتِمِ  
الطَّلَائِي (١) الَّذِي كَانَ فَرًّا إِلَى الشَّامِ عِنْدَمَا رَأَى الرَّايَاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ قَاصِدَةً بِلَادَهُ ،  
وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ مَجِيئِهِ أَنَّ أُخْتَهُ تَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ بِالشَّامِ وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا عُوِمِلَتْ بِهِ مِنْ  
الْكَرَمِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا تَرَيْنَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ ، فَقَالَتْ : أَرَى أَنْ تَلْحَقَ بِهِ  
سَرِيعًا فَإِنْ يَكُنْ نَبِيًّا فَلِلْسَابِقِ إِلَيْهِ فَضْلٌ ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا فَأَنْتَ أَنْتَ .. قَالَ : وَاللَّهِ  
هَذَا هُوَ الرَّأْيُ .

( ١ ) وَقَدْ عَدَّى بَنَ حَاتِمِ الطَّلَائِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَنَةَ تَمَعِ فَاسَلَمَ . وَحَمَّنَ إِسْلَامَهُ . وَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدِيمَ عَدِيِّ  
عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهَتَّ الرُّدَّةَ بِصَدَقَاتِ قَوْمِهِ ، وَكَانَ جَوَادًا شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ مُعْظَمًا عِنْدَهُمْ وَعِنْدَ غَيْرِهِمْ . زُوِيَ عَنْهُ  
أَنَّهُ قَالَ : ( مَا دَخَلَ عَلِيٌّ وَهَتَّ صَلَاةَ إِلَّا أَنَا مُشْتَاتِي إِلَيْهَا ) ، تَوَفَّى ﷺ سَنَةَ ٦٧ هـ .



وَفُودُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ : فَخَرَجَ عَدِيٌّ حَتَّى جَاءَ الْمَدِينَةَ وَلَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ الرَّجُلُ ؟ ، قَالَ : عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ، فَأَخَذَهُ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ ، وَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ إِذْ لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ فَاسْتَوْقَفَتْهُ ، فَوَقَفَ لَهَا ﷺ طَوِيلًا تُكَلِّمُهُ فِي حَاجَتِهَا ، فَقَالَ عَدِيٌّ : وَاللَّهِ مَا هُوَ بِمَلِكٍ . ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ تَنَاوَلَ وَسَادَةً مِنْ جِلْدٍ مَحْشُوءَةً لِيَفَأَ فَقَدَّمَهَا إِلَى عَدِيٍّ ، وَقَالَ : اجْلِسْ عَلَيَّ هَذِهِ ، فَقَالَ : بَلْ أَنْتَ تَجْلِسُ عَلَيَّهَا ، فَامْتَنَعَ ﷺ وَأَعْطَاهَا لَهُ ، وَجَلَسَ ﷺ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ قَالَ : ( يَا عَدِيُّ أَسْلِمُ تَسْلَمُ ) ، قَالَهَا ﷺ ثَلَاثًا ، فَقَالَ عَدِيٌّ : إِنِّي عَلَى دِينِ ( وَكَانَ نَصْرَانِيًّا ) ، فَقَالَ ﷺ : ( أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ ) ، فَقَالَ عَدِيٌّ : أَنْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي ؟ ، قَالَ ﷺ : ( نَعَمْ ) ، ثُمَّ عَدَّدَ لَهُ أَشْيَاءَ كَانَتْ يَفْعَلُهَا اتِّبَاعًا لِقَوَاعِدِ الْعَرَبِ وَلَيْسَتْ فِي دِينِ الْمَسِيحِ فِي شَيْءٍ كَأَخْذِهِ الْمَرْبَاعَ وَهُوَ رُبْعُ الْفَنَائِمِ .

ثُمَّ قَالَ ﷺ : ( يَا عَدِيُّ ، إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الدِّينِ مَا تَرَى : تَقُولُ إِنَّمَا اتَّبَعَهُ ضَعْفَةُ النَّاسِ وَمَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ وَقَدْ رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ مَعَ حَاجَتِهِمْ ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ الْمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتَّى لَا يُوجَدَ مَنْ يَأْخُذُهُ .. وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ ، أَتَعْرِفُ الْحَيْرَةَ ؟ ) ، قَالَ عَدِيٌّ : لَمْ أَرَهَا وَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا ، قَالَ ﷺ : ( فَوَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى تَخْرُجَ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحَيْرَةِ وَتَطْوِفَ بِالْبَيْتِ مِنْ غَيْرِ جَوَارٍ أَحَدٍ .. وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ أَنْكَ تَرَى الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبَيْضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ ) .

فَأَسْلَمَ عَدِيٌّ ﷺ وَعَاشَ حَتَّى رَأَى كُلَّ ذَلِكَ (١) .

### غَزْوَةُ تَبُوكَ (جَيْشُ الْعُسْرَةِ)

وَتَبُوكُ : مَكَانٌ مَعْرُوفٌ وَهُوَ نِصْفُ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ إِلَى دِمَشْقَ ، وَكَانَتْ يَوْمَ الْخَيْمِيسِ فِي رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَكَانَ حَرًّا شَدِيدًا وَجَدْبًا كَثِيرًا :

(١) فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْمَدَائِنَ وَهِيَ إِبْرَانُ كَيْسَرَى عَلَى يَدِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ هِيَ خِلَافَةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَلذَلِكَ لَمْ يُورِّ عَنْهَا ( كَمَا دَتَهُ ﷺ ) فِي سَائِرِ الْغَزَوَاتِ ( فَإِنَّهُ أَخْبَرَ بِمَقْصِدِهِ لِبُعْدِ الشُّقَّةِ وَلِشِدَّةِ الْعَدُوِّ . لِيَأْخُذَ النَّاسُ عُدَّتَهُمْ لِذَلِكَ .

وَلَمَّا كَانَ خُرُوجُ الْمُسْلِمِينَ فِي قَلَّةٍ مِنَ الظَّهْرِ وَفِي شَدِيدِ الْحَرِّ حَتَّى كَانُوا يَنْحَرُونَ الْبَعِيرَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِي كِرْشِهِ مِنَ الْمَاءِ فَكَانَ ذَلِكَ عُسْرَةً فِي الْمَاءِ وَفِي الظَّهْرِ وَفِي النَّفَقَةِ فَسُمِّيَتْ ( غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ ) .

سَبَبُهَا : أَنَّهُ بَلَغَهُ ﷺ مِنَ الْأَنْبَاطِ الَّذِينَ يَقْدُمُونَ بِالزَّيْتِ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ أَنَّ الرُّومَ جَمَعَتِ الْجُمُوعَ تُرِيدُ غَزْوَهُ فِي بِلَادِهِ .

اسْتِنْفَارُهُ ﷺ الْمُسْلِمِينَ : فَبَعَثَ ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَقَبَائِلِ الْأَعْرَابِ يَسْتَنْفِرُهُمْ لِذَلِكَ . وَحَثَّ الْمُوسِرِينَ عَلَى تَجْهِيزِ الْمُعْسِرِينَ .

فَأَنْفَقَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﷺ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ وَأَعْطَى ثَلَاثِمِائَةَ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا وَخَمْسِينَ فَرَسًا : وَبِذَلِكَ سُمِّيَ ﷺ مُجَهَّزَ جَيْشِ الْعُسْرَةِ . حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِ عُثْمَانَ فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ ) (١) وَقَالَ ﷺ :

( مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ ) (٢) .

وَجَادَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِكُلِّ مَالِهِ وَهُوَ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ فَقَالَ ﷺ : ( هَلْ أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ شَيْئًا ؟ ) . فَقَالَ ﷺ : ( أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

وَجَادَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ بِنِصْفِ مَالِهِ . وَجَادَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِمِائَةِ أُوقِيَّةٍ . وَجَادَ الْعَبَّاسُ وَطَلْحَةُ ﷺ بِمَالٍ كَثِيرٍ . وَتَصَدَّقَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ ﷺ بِسَبْعِينَ وَسَقًا مِنْ تَمْرٍ . وَأَرْسَلَتِ النِّسَاءُ بِكُلِّ مَا يَقْدِرْنَ عَلَيْهِ مِنْ حُلِيِّهِنَّ . وَتَتَابَعَ النَّاسُ فِي صَدَقَاتِهِمْ قَلِيلًا وَكَثِيرًا . حَتَّى كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَنْفَقَ مُدًّا أَوْ مَدِينٍ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ غَيْرَهَا .

وَلَمْ يُمَسِّكْ أَحَدٌ يَدَهُ ، وَلَمْ يَبْخُلْ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ :

( الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ آلِهِ وَمِيزِينَ فِي الْأَنْصَارِ قَدِ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُرَّةٍ) بِإِسْنَادٍ

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) ﷺ .

وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾

شَأْنُ الْمُعَذَّرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ وَالْبِكَائِينَ : وَجَاءَهُ ﷺ سَبْعَةٌ أَنْفُسٍ مِنْ فُقَرَاءِ الصَّحَابَةِ يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَحْمِلَهُمْ ، فَقَالَ ﷺ : ( لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ) . فَتَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّاتِ لِحَمِيلِهِمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ . فَجَهَّزَ عُثْمَانُ ﷺ ثَلَاثَةً مِنْهُمْ ، وَجَهَّزَ الْعَبَّاسُ ﷺ اثْنَيْنِ ، وَجَهَّزَ يَامِينَ بْنِ عَمْرٍو ﷺ اثْنَيْنِ .

وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ( وَهُمْ أَصْحَابُ الْأَعْدَارِ مِنْ ضَعْفٍ وَقِلَّةٍ ) لِيُؤَدِّنَ لَهُمْ فِي التَّخْلِيفِ فَأَذِنَ لَهُمْ ﷺ وَهُمْ اثْنَانِ وَثَمَانُونَ رَجُلًا .  
شَأْنُ الْمُتَخَلِّفِينَ وَالْمُنَافِقِينَ : وَجَاءَ إِلَيْهِ ﷺ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ يَمْتَدِرُونَ عَنِ الْخُرُوجِ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْتِدْنَا لَنَا وَلَا تَفْتِنْنَا لِأَنَّا لَا نَأْمَنُ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ فَأَذِنَ لَهُمْ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَأْنِهِمْ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْتِدْنَا لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ (٣)

وكَذَلِكَ اسْتَأْذَنَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَأَذِنَ لَهُمْ ﷺ ، وَقَدْ عَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْإِذْنَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٤) ، ثُمَّ قَالَ فِي حَقِّهِمْ : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٥) ، ثُمَّ كَذَبَهُمُ اللَّهُ فِي عُذْرِهِمْ فَقَالَ سُبْحَانَهُ :

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ (الآيَةُ ٧٩) . (٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ (الآيَاتَانِ ٩١ ، ٩٢) . (٣) يَامِينَ بْنُ عَمْرٍو : مِنْ مُسْلِمِي أَهْلِ الْكِتَابِ . (٤) سُورَةُ التَّوْبَةِ (الآيَةُ ٤٩) . (٥) سُورَةُ التَّوْبَةِ (الآيَةُ ٤٣) . (٦) سُورَةُ التَّوْبَةِ (الآيَةُ ١٥) .

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (١) ، ثُمَّ لِكَيْلَا يَأْسَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى قُعُودِ الْمُنَافِقِينَ عَنْهُمْ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لِحِلَالِكُمْ بِبَغْوِنَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ هُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٢)

وقال قومٌ من المنافقين لا تنفروا في الحرِّ ، فنزل قوله تعالى :

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٣)

وكان على رأسِ المُتخلفين من المنافقين عبدُ اللهِ بنُ أبي بنِ سلولٍ حيثُ قال : يغزو محمدٌ بنِي الأصفر مع جَهدِ الحالِ والحرِّ والبَلدِ البعيدِ (٤) أَيَحْسَبُ مُحَمَّدٌ أَنَّ قِتَالَ بَنِي الْأَصْفَرِ مَعَهُ اللَّعِبُ ؟ وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى أَصْحَابِهِ مُقَرَّنِينَ فِي الْجِبَالِ . وَاجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ فَقَالُوا فِي حَقِّ رَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ مَا يُرِيدُونَ مِنْ الْإِرْجَافِ ، فَبَلَّغَهُ ذَلِكَ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ رضي الله عنه يَسْأَلُهُمْ عَمَّا قَالُوا ، فَقَالُوا : إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ (٥)

أَمْرُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا : وَتَخَلَّفَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يُتَّهَمُونَ فِي إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ : كَعْبُ بْنُ مَالِكِ الْخَزْرَجِيُّ ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةِ الْأَوْسِيُّ ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ : فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَخَلَّفُوا لِنِفَاقٍ وَلَا لِعُدْرٍ ، بَلْ كَسَلًا مَعَ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، كَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ كَسَلًا ، فَاسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ فَعُوقِبُوا ، ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُ أَمْرِهِمْ لِاحْتِقَاقِ .

وَقَدْ تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ وَأَبُو حَيْثِمَةَ رضي الله عنهما بَعْضُ الْوَقْتِ ثُمَّ لَحِقَا بِجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ

(٣) سُورَةُ التَّوْبَةِ (الآيَةُ ٨١) .

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ (الآيَةُ ٤٧) .

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ (الآيَةُ ٤٦) .

(٥) سُورَةُ التَّوْبَةِ (مِنَ الْآيَةِ ٦٥) .

(٤) الرُّوم

بَعْدَ ذَلِكَ .

الْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى تَبُوكَ : وَلَمَّا تَجَهَّزَ الْجَيْشُ ، اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَخَلَّفَ عَلَى أَهْلِهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَمْرَهُ بِالْإِقَامَةِ فِيهِمْ ، فَغَمَصَ عَلَيْهِ الْمُنَافِقُونَ ، فَخَرَجَ فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَتَخَلَّفُنِي فِي الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ ؟ ، فَقَالَ ﷺ : ( أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ؟ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ) (١) ، فَرَجَعَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ .

ثُمَّ سَارَ ﷺ بِرِجَالِ الْجَيْشِ وَهُمْ ثَلَاثُونَ أَلْفًا وَأَعْطَى لِيَوَاءِ الْجَيْشِ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَفِي إِعْطَاءِ اللِّوَاءِ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آخِرَ غَزْوَةٍ لِلرَّسُولِ ﷺ وَتَخْلِيفِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ حِكْمَةً لَطِيفَةً يَفْهَمُهَا الْقَارِيءُ .  
وَوَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرِّايَاتِ : فَأَعْطَى الزُّبَيْرَ رَايَةَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَسِيدَ بْنَ حُضَيْرٍ رَايَةَ الْأَوْسِ ، وَالْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ رَايَةَ الْخَزْرَجِ .

مُرُورُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ بِالْحِجْرِ : وَمَرَّ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ فِي طَرِيقِهِ إِلَى تَبُوكَ بِالْحِجْرِ ( دِيَارِ ثَمُودَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ) ، فَاسْتَقَى النَّاسُ مِنْ بَيْرِهَا ، فَلَمَّا رَاحُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا وَلَا تَتَوَضَّأُوا مِنْهُ لِلصَّلَاةِ ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجَبٍ عَجَبْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الْإِبِلَ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا ) وَأَمَرَهُمْ ﷺ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبَيْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرُدُّهَا نَاقَةُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، أَنَّهُ ﷺ لَمَّا مَرَّ بِالْحِجْرِ ( دِيَارِ ثَمُودَ ) قَالَ لِأَصْحَابِهِ : ( لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ) ، ثُمَّ قَتَعَ رَأْسَهُ ( أَي : غَطَّاهُ ) وَأَسْرَعَ ﷺ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَّ (٢) .  
وَاسْتَعْمَلَ ﷺ عَلَى حَرَسِ الْجَيْشِ عَبَادَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُصَلِّي بِالْجَيْشِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ ( سَفَرِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ ( عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أَحْدَاثٌ وَقَعَتْ أَثْنَاءَ الطَّرِيقِ :

\* وَاشْتَدَّتْ فِي الطَّرِيقِ حَاجَةُ الْجَيْشِ إِلَى الْمَاءِ حَتَّى شَكُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَدَعَا اللَّهَ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ سَحَابَةً فَأَمْطَرَتْ حَتَّى ارْتَوَى النَّاسُ ، وَاحْتَمَلُوا حَاجَتِهِمْ مِنْ الْمَاءِ .

\* قِصَّةُ أَبِي ذَرٍّ : وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ قَدْ تَمَهَّلَ عَلَى بَعِيرِهِ ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شِئَاءً ، وَنَزَلَ ﷺ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ ، فَتَنَظَرَ نَاطِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحَدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( كُنْ أَبَا ذَرٍّ ) ، فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحَدَهُ ، وَيَمُوتُ وَحَدَهُ ، وَيُبْعَثُ وَحَدَهُ ) .

\* وَلَمَّا قَرَّبَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَبُوكَ وَرَدُّوا عَيْنَ تَبُوكَ وَهِيَ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ وَأَنَّهُمْ عَرَفُوا مِنْهَا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَنٍّْ ثُمَّ غَسَلَ ﷺ بِهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَّتْ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَاسْتَقَى النَّاسُ (١) .

\* وَكَانَ دَأْبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الطَّرِيقِ أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ ، وَيَبِينُ الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمَعَ التَّقْدِيمِ وَجَمَعَ التَّأخِيرِ كِلَيْهِمَا .

\* وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى تَبُوكَ ، وَكَانَتْ أَرْضًا لِإِعْمَارَةٍ فِيهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : ( يُوشِكُ أَنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هُنَا مُلِيَّ بَسَاتِينَ ) ، وَقَدْ كَانَ .

\* أَبُو خَيْثَمَةَ يَلْحَقُ بِالْجَيْشِ : وَكَانَ مِنْ خَبَرٍ مَجِيئُهُ أَنْ دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ ، فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَتَيْنِ لَهُمَا فِي بُسْتَانٍ ، قَدْ رَشَتْ كُلُّهُنَّ مِنْهُمَا عَرِيشَتَهَا وَبَرَّدَتْ فِيهَا مَاءً وَهَيَّاتُ طَعَامًا ، فَلَمَّا نَظَرَ ذَلِكَ قَالَ : يَكُونُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الرِّيحِ وَالْحَرِّ ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلِّ بَارِدٍ وَمَاءٍ مُهَيَّأً وَامْرَأَةٌ حَسَنَاءُ ( مَا هَذَا بِالنِّصْفِ ) .. ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَةَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَهَيَّئَا لِي زَادًا ، فَفَعَلْتَا .. ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ وَأَخَذَ سَيْفَهُ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَوِيحِهِ عَنْ (مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ) .

وَرُمَعَهُ وَخَرَجَ يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ بِتَبُوكَ .

الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ بِتَبُوكَ : نَزَلَ الْجَيْشُ بِتَبُوكَ ، فَعَسَكَرَ هُنَاكَ ، وَهُوَ مُسْتَعِدٌّ لِلِقَاءِ الْعَدُوِّ . وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ حَطِيباً ، فَحَاطَبَ حُطْبَةً بَلِيغَةً : أَبِي بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ ، وَحَضَّ عَلَى خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَحَدَّرَ وَأَنْذَرَ ، وَبَشَّرَ وَأَثَّرَ ، حَتَّى رَفَعَ مَعْنَوِيَّاتِهِمْ ، وَجَبَرَ بِهَا مَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ النَّقْصِ وَالْخَلَلِ مِنْ حَيْثُ قَلَّةُ الزَّادِ وَالْمَادَّةِ وَالْمَوْنَةِ .. وَأَمَّا الرُّومَانُ وَحُلَفَاؤُهُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا بِرَحْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهُمُ الرَّعْبُ فَلَمْ يَجْتَرِئُوا عَلَى التَّقَدُّمِ وَاللِّقَاءِ . بَلْ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ فِي دَاخِلِ حُدُودِهِمْ ، فَكَانَ لِذَلِكَ أَحْسَنُ الْأَثَرِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى سُمْعَةِ الْمُسْلِمِينَ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي دَاخِلِ الْجَزِيرَةِ وَأَرْجَائِهَا النَّائِيَةِ ، وَحَصَلَ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَكَاسِبِ سِيَاسِيَّةٍ خَطِيرَةٍ ؛ بِمَا لَمْ يَكُونُوا يَحْصِلُونَ عَلَيْهَا لَوْ وَقَعَ هُنَاكَ اصْطِدَامُ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ .

وَفُودُ صَاحِبِ أَيْلَةَ : وَأَقَامَ ﷺ أَيَّاماً بِتَبُوكَ جَاءَهُ فِي أَثْنَائِهَا يُوحَا صَاحِبُ أَيْلَةَ وَصَحْبَتُهُ أَهْلُ جَرْبَاءَ <sup>(١)</sup> وَأَهْلُ أَدْرَجَ <sup>(٢)</sup> وَأَهْلُ مِيْنَاءَ . فَصَالَحَ يُوحَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِعْطَاءِ الْجَزْيَةِ وَلَمْ يُسَلِّمْ ، وَكَتَبَ لَهُ ﷺ كِتَاباً هَذِهِ صُورَتُهُ :

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا أَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيُوحَا وَأَهْلِ أَيْلَةَ : سَفْنُهُمْ وَسَيَّارَتُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَمُحَمَّدِ النَّبِيِّ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ . فَمَنْ أَحَدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ لَطَيِّبَةٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ . وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقاً يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ ) .

كِتَابُ أَهْلِ أَدْرَجَ وَجَرْبَاءَ : وَكَتَبَ ﷺ لِأَهْلِ أَدْرَجَ وَجَرْبَاءَ كِتَاباً صُورَتُهُ :

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ لِأَهْلِ أَدْرَجَ وَجَرْبَاءَ . إِنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَأَمَانِ مُحَمَّدٍ ، وَإِنَّ عَلَيْهِمْ مِائَةَ دِينَارٍ فِي كُلِّ رَجَبٍ وَافِيَّةً طَيِّبَةً ، وَاللَّهُ كَفِيلٌ بِالنُّصْحِ وَالْإِحْسَانِ لِلْمُسْلِمِينَ ) .

وصالِحَ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ مِينَاءَ عَلَى رُبْعِ ثَمَارِهَا .

وَبَعَثَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَكْبَدِرٍ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ فِي أَرْبَعِمِائَةِ وَعِشْرِينَ فَارِسًا ، وَقَالَ لَهُ ﷺ : ( إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقْرَ ) : فَأَتَاهُ خَالِدٌ ؛ فَلَمَّا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ بِمَنْظَرِ الْعَيْنِ ، خَرَّتْ بَقْرَةٌ ، تَحَكُّ بِقُرُونِهَا بَابَ الْقَصْرِ ، فَخَرَجَ أَكْبَدِرٌ لِصَيْدِهِ ( وَكَانَتْ لَيْلَةً مُقَمَّرَةً ) ، فَتَلَقَّاهُ خَالِدٌ فِي خَيْلِهِ ، فَأَخَذَهُ وَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ ، فَحَقَنَ دَمَهُ ، وَصَالَحَهُ عَلَى أَلْفِي بَعِيرٍ ، وَثَمَانِمِائَةِ رَأْسٍ ، وَأَرْبَعِمِائَةِ دِرْعٍ ، وَأَرْبَعِمِائَةِ رُمْحٍ ، وَأَقْرَّ بِإِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ ، فَقَاضَاهُ ﷺ مَعَ يُوْحَنَّا عَلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ وَتَبُوكَ وَأَيْلَةَ وَتَيْمَاءَ .

وَأَيَقَنَتِ الْقَبَائِلُ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ لِحِسَابِ الرُّومَانِ أَنَّ اعْتِمَادَهَا عَلَى سَادَتِهَا الْأَقْدَمِينَ قَدْ فَاتَ أَوَانُهُ ، فَانْقَلَبَتْ لِصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَكَذَا تَوَسَّعَتْ حُدُودُ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَتَّى لَاقَتْ حُدُودَ الرُّومَانِ مُبَاشَرَةً ، وَشَهِدَ عُمَلَاءُ الرُّومَانِ نِهَائَتَهُمْ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ .

الرَّجُوعُ إِلَى الْمَدِينَةِ : ثُمَّ إِنَّ رَسُوْلَ اللَّهِ ﷺ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي مُجَاوَزَةِ تَبُوكَ إِلَى مَا هُوَ أْبَعَدُ مِنْهَا مِنْ دِيَارِ الشَّامِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُوْلَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ أَمَرْتُ بِالسَّيْرِ فَسِرْ ، فَقَالَ ﷺ : ( لَوْ كُنْتُ أَمَرْتُ بِالسَّيْرِ لَمْ أُسْتَشِرْ ) ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُوْلَ اللَّهِ إِنْ لِلرُّومِ جُمُوعًا كَثِيرَةً وَلَيْسَ بِالشَّامِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَقَدْ دَنَوْنَا ، وَقَدْ أَفْرَعَهُمْ دُنُوكَ ، فَلَوْ رَجَعْنَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ حَتَّى نَرَى أَوْ يُحْدِثَ اللَّهُ أَمْرًا ، فَتَبِعَ ﷺ مَشُورَتَهُ وَأَمَرَ الْجَيْشَ بِالرَّجُوعِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَفِي الطَّرِيقِ عِنْدَ عَقْبَةِ حَاوِلَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَتَلَ النَّبِيَّ ﷺ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ حِينَمَا كَانَ يَمُرُّ ﷺ بِتِلْكَ الْعَقْبَةِ كَانَ مَعَهُ عَمَّارٌ يَقُودُ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ ، وَحُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ يَسُوقُهَا ، وَأَخَذَ النَّاسُ بِبَطْنِ الْوَادِي ، فَانْتَهَزَ أَوْلِيكَ الْمُنَافِقُونَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ ؛ فَبَيْنَمَا رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَاهُ يَسِيرَانِ إِذْ سَمِعُوا وَكْرَةَ الْقَوْمِ مِنْ وِرَائِهِمْ ، قَدْ غَشَوْهُ وَهُمْ مُلْتَمُونَ ، فَبَعَثَ ﷺ حُدَيْفَةَ فَضْرَبَ وَجُوهُ



رَوَّاحِلِهِمْ بِمَحَجِّنٍ كَانَ مَعَهُ ﷺ ، فَأَرْعَبَهُمُ اللَّهُ ، فَاسْرَعُوا فِي الْفِرَارِ حَتَّى لَحِقُوا  
بِالْقَوْمِ ، وَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُدَيْفَةَ بِأَسْمَائِهِمْ ، وَبِمَا هُمُوا بِهِ ، فَلِذَلِكَ كَانَ  
حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُسَمَّى بِصَاحِبِ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ وَهُمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ (١)

مَسْجِدُ الضَّرَّارِ : وَلَمَّا كَانَ ﷺ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ بَلَغَهُ خَبَرُ مَسْجِدِ  
الضَّرَّارِ ( وَهُوَ مَسْجِدُ أَسَسَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مُعَارِضَةً لِمَسْجِدِ قُبَاءَ ) ؛  
لِيُفَرِّقُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَاءَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ طَالِبِينَ مِنْهُ أَنْ  
يُصَلِّيَ لَهُمْ فِيهِ ، فَسَأَلَهُمْ ﷺ عَنْ سَبَبِ بِنَائِهِ فَحَلَفُوا بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى  
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ .

فَأَمَرَ ﷺ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ مَالِكُ بْنُ الدَّخْشَمِ وَمَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ  
لِيَنْطَلِقُوا إِلَيْهِ وَيَهْدِمُوهُ ، فَفَعَلُوا ، بَعْدَ أَنْ نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ  
وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى  
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ● لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى  
التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ مُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا  
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ● أَفَمَنْ أُسِّسَ بُيْتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ  
وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُيْتَهُ عَلَى شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ  
جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ● لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا  
رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ● ﴾ (٢)

وَلَمَّا لَاحَتَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَعَالِمُ الْمَدِينَةِ مِنْ بَعِيدٍ ، قَالَ : ( هَذِهِ طَابَةٌ ، وَهَذَا أُحُدٌ  
جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ ) ، وَتَسَامَعَ النَّاسُ بِمَقْدَمِهِ ﷺ ، فَخَرَجَ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ  
وَالْوَلَاتُ يُقَابِلُنَ الْجَيْشَ بِحِفَاوَةٍ بِالْفَعَةِ وَيَقْلُنَ :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا \* مِنْ ثَنِيَاتِ الْوُدَاعِ  
 وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا \* مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعِي

وكان خروجه ﷺ إلى تبوك في رجب وعوده في رمضان ، واستغرقت هذه الغزوة خمسين يوماً : أقام منها ﷺ عشرين يوماً في تبوك ، والباقي في الطريق جيئةً وذهاباً ، وكانت هذه الغزوة آخر غزواته ﷺ .

وقال ﷺ : ( إنَّ حَيَّ الْمَدِينَةِ أَهْوَأُ مَا سِرْتُمْ سَهْرًا وَلَا تَطْلَعْتُمْ وَإِدْبَارًا إِلَّا كَانُوا بِكُمْ حَتَّى يَسْتَوْفُوا الْمُدْرُ )

دُخُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ : وَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ . ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ : فَجَاءَهُ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَمْتَدِحَكَ ، قَالَ ﷺ : ( قُلْ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكًا ) ، فَقَالَ قَصِيدَةً مِنْهَا :<sup>(١)</sup>

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَفْتَ الْأَرْضَ \* وَضَاعَتْ بِنُورِكَ الْأُفُقُ

فَتَعَنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ فِي النُّورِ \* وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

اعتذارُ المنافقين عن تخلفهم : هذا . ولما استقرَّ ﷺ بالمدينة جاءه جماعات من الذين تخلفوا ، فحلفوا له فقبل منهم ﷺ علانيتهم ، ووكل ضمائرهم وسرائرهم إلى الله واستغفر لهم ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ :

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ

نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۗ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ

إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ● سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ

لَكُمْ إِذَا أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۗ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ

وَمَا وَبَّيْهُمُ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ● سَيَحْلِفُونَ لَكُمْ لِنَرَضُوا

عَنْهُمْ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ● (٢)

ونزلت فيهم سورة (براءة) ، وسماها ابن عباس رضي الله عنهما الفاضحة ( والعياذ بالله

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ (الآيَات ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦) .

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي (المُشْتَرَكِ) .

تعالى ) . وقال : لَمْ يَزَلْ يَنْزِلُ فِيهِمْ : ( وَبَيْنَهُمْ ) ( وَبَيْنَهُمْ ) ( وَبَيْنَهُمْ ) .  
حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُا لَمْ تَبْقَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذَكَرْتَهُ .

حَدِيثُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُفُّوا : وَهُمْ : كَعْبُ بْنُ مَالِكِ الْخَزْرَجِيُّ . وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ  
الْأَوْسِيُّ ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَوْسِيُّ ، وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِمْ مَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ  
فِي ( صَحِيحَيْهِمَا ) : عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ ( تَبُوكَ ) ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَشْهَدْ ( بَدْرًا ) وَلَمْ  
يُعَاتِبِ اللَّهُ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا وَلَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ فِي  
تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا . فَقُلْتُ :

أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ بِيَوْمَيْنِ . فَلَمْ يَزَلْ يَتَبَاطَأُ بِي الْأَمْرَ حَتَّى تَبَاعَدَ الْغَزْوُ ، فَكُنْتُ  
إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ أَحْزَنِي أَنِّي لَا أَجِدُ إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ بِالنَّفَاقِ ( أَي :  
مُعِيرًا بِهِ ) ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ  
ﷺ قَفَلَ رَاجِعًا طَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ : بِمَاذَا أَخْرَجُ مِنْ سَخِطِهِ غَدًا ؟ ثُمَّ  
انزاح عَنِّي الْكَذِبُ وَعَرَفْتُ أَنِّي لَا أَخْرُجُ عَنْهُ بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ .

فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ . جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ  
وَيَحْلِفُونَ لَهُ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَّلَ سَرَاتِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ  
تَعَالَى ، فَجِئْتُهُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَتَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ . ثُمَّ قَالَ : ( مَا خَلَّفَكَ ؟ )  
فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخِطِهِ  
بِعُذْرٍ . وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا<sup>(١)</sup> وَلِكِنِّي وَاللَّهِ لَوِئِنَّ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى  
بِهِ عَنِّي ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يُسَخِطَكَ اللَّهُ عَلَيَّ . وَلَوِئِنَّ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ  
فِيهِ ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ ، لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ ، فَقَالَ رضي الله عنه : ( أَمَا  
هَذَا فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ ) فَقُمْتُ فَلَامَنِي رِجَالٌ مِنْ بَنِي  
سَلَمَةَ : أَنْ لَا أَكُونَ اعْتَذَرْتُ كَمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ . فَقُلْتُ هَلْ لَقِيَ مَعِيَ هَذَا  
أَحَدًا ؟ قَالُوا : نَعَمْ : مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِظِيُّ ،

(١) مَقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ .

فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ ، فَمَضَيْتُ حِينَ  
ذَكَرُوهُمَا لِي ، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا نَحْنُ الثَّلَاثَةُ  
مَخْصُوصِينَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ، فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا ، حَتَّى تَنَكَّرَتْ  
الْأَرْضُ ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً .

فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ ، وَأَنَا عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى (١) ، وَقَدْ ضَاقَتْ  
عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي ، سَمِعْتُ وَأَنَا جَالِسٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتِي  
صَارِخًا ، أَوْفَى عَلَيَّ (سَلْعُ) (٢) ؛ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أُبَشِّرُ ،  
فَخَرَرْتُ لِلَّهِ سَاجِدًا ، وَقَدْ آذَنَ رَسُولُ اللَّهِ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا ، فَذَهَبُوا يُبَشِّرُونَنَا  
فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ ، وَوَاللَّهِ مَا  
أَمَلْتُكَ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ ، وَاسْتَعْرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا ، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
فَيَتَلَمَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا ، فَلَمَّا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَسَلَّمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ  
لِي وَوَجْهُهُ ﷺ يَبْرُقُ مِنَ السُّرُورِ : (أُبَشِّرُ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ) .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ  
مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ● وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ  
خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ  
وَوَظَنُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ  
الَّتَوَّابُ الرَّحِيمُ ● يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ  
الصَّادِقِينَ ● (٣) .

فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ ، بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ ، أَعْظَمَ فِي  
نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ

(١) وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ  
عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ .

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ (الآيَاتُ ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩) .

(٣) سَلْعُ : جَبَلٌ مَعْرُوفٌ فِي الْمَدِينَةِ .

كذبوا .

وَقُوْدٌ ثَقِيْفٌ : وَعَقِبَ مَقْدَمِهِ ﷺ مِنْ تَبُوكَ وَفَدَّ عَلَيْهِ وَفَدَّ ثَقِيْفٍ ، وَكَانَ مِنْ خَبْرِهِمْ : أَنَّهُ لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مُحَاصِرَتِهِمْ تَبِعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ حَتَّى أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ الْمَدِيْنَةَ فَأَسْلَمَ ، وَسَأَلَهُ ﷺ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ لَهُ ﷺ : ( إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ ) ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْكَارِهِمْ ، فَخَرَجَ إِلَى قَوْمِهِ يَرْجُو مِنْهُمْ طَاعَتَهُ لِمَرَاتِبَتِهِ فِيهِمْ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُحِبِّياً مُطَاعاً ، فَلَمَّا جَاءَ الطَّائِفَ وَأَظْهَرَ لَهُمْ مَا جَاءَ بِهِ رَمَوْهُ بِالنَّبْلِ فَهَقَّتْهُ ؛ وَبَعْدَ شَهْرٍ مِنْ مَقْتَلِهِ اتْتَمَرُوا فِيْمَا بَيْنَهُمْ وَرَأَوْا أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبٍ مِنْ حَوْلِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ ، فَاجْتَمَعُوا أَمْرَهُمْ أَنْ يُرْسِلُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنْهُمْ يُكَلِّمُهُ وَيَطْلُبُوا مِنْ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَمْرٍو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَأَبَى وَقَالَ : لَسْتُ فَاعِلاً حَتَّى تُرْسِلُوا مَعِيَ رَجَالًا ، فَبَعَثُوا مَعَهُ خَمْسَةَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، فَخَرَجُوا مُتَوَجِّهِينَ إِلَى الْمَدِيْنَةِ ، وَلَمَّا قَابَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ لَهُمْ قُبَّةً فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ لِيَسْمَعُوا الْقُرْآنَ وَيَرَوْا النَّاسَ إِذَا صَلَّوْا ، وَكَانُوا يَغْدُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلَّ يَوْمٍ وَيُخَلِّفُونَ فِي رِحَالِهِمْ أَصْفَرَهُمْ سِنًا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ فَكَانَ إِذَا رَجَعُوا ذَهَبَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَاسْتَقْرَأَهُ الْقُرْآنَ ، وَإِذَا رَأَهُ نَائِمًا اسْتَقْرَأَ أَبَا بَكْرٍ ﷺ حَتَّى حَفِظَ شَيْئًا كَثِيْرًا مِنَ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ يَكْتُمُ ذَلِكَ عَنْ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ أَسْلَمَ الْقَوْمُ وَطَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُعَيِّنَ لَهُمْ مَنْ يُؤْمَهُمْ ، فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ لِمَا رَأَهُ مِنْ حِرْصِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَعَلُّمِ الدِّيْنِ .

كِتَابُ أَهْلِ الطَّائِفِ : ثُمَّ كَتَبَ لَهُمْ ﷺ كِتَابًا مِنْ جُمْلَتِهِ :

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ

(١) هُوَ عَبْدُ يَالِيلِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُمَيْرِ الثَّقَفِيُّ ، كَانَ وَجْهًا مِنْ وَجْهِ ثَقِيْفٍ .

(٢) امْتَنَعَ أَنْ يَذْهَبَ وَحْدَهُ ؛ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَفْعَلُوا بِهِ مَا فَعَلُوا بِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ .

(٣) عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، أَسْلَمَ فِي وَفْدِ ثَقِيْفٍ فَاسْتَمْلَأَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الطَّائِفِ وَأَقْرَأَهُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ ، ثُمَّ عَمَّرَ ، وَاسْتَمْلَأَهُ عُمَرُ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ ، سَكَنَ الْبَصْرَةَ حَتَّى تُوْفِيَ بِهَا ﷺ سَنَةَ ٥٥ هـ .

عِضَاهُ وَجٍ<sup>(١)</sup> وَصَيْدُهُ حَرَامٌ . لَا يُعْضَدُ شَجَرُهُ . وَمَنْ وُجِدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُجَلَّدُ وَتُقْرَعُ ثِيَابُهُ ) ، ثُمَّ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُوجَلَ صَنَمَهُمْ شَهْرًا حَتَّى يَدْخُلَ الْإِسْلَامُ فِي قُلُوبِ الْقَوْمِ وَلَا يَرْتَاعَ السُّفَهَاءُ مِنَ النِّسَاءِ مِنْ هَدْمِهِ ، فَرَضِيَ بِذَلِكَ ﷺ .

لَمَّا خَرَجَ الْوَفْدُ مِنْ عِنْدِهِ ﷺ : قَالَ لَهُمْ رَبِّيسُهُمْ : أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِتَقْيِيفٍ ، أَكْتُمُوا عَنْهُمْ إِسْلَامَكُمْ وَخَوْفُوهُمْ الْحَرْبَ وَالْقِتَالَ ، وَأَخْبِرُوهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا طَلَبَ أُمُورًا عَظِيمَةً أَيْنَاهَا عَلَيْهِ ، سَأَلْنَا أَنْ نَهْدِمَ الطَّاغِيَةَ وَأَنْ نَتْرِكَ الزَّنَى وَشُرْبَ الْخَمْرِ وَالرِّبَا . فَلَمَّا حَلُّوا بِلَادِهِمْ جَاءَتْهُمْ تَقْيِيفٌ ، فَقَالَ الْوَفْدُ : جِئْنَا رَجُلًا فَظًّا غَلِيظًا قَدْ ظَهَرَ بِالسَّيْفِ وَدَانَ النَّاسُ لَهُ ، فَعَرَضَ عَلَيْنَا أُمُورًا شَدِيدَةً ، وَذَكَرُوا مَا تَقَدَّمَ فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَا نُطِيعُهُ أَبَدًا ، فَقَالُوا لَهُمْ : أَصْلِحُوا سِلَاحَكُمْ وَرُمُوا حِصْنَكُمْ وَاسْتَعِدُّوا لِلْقِتَالِ ، فَأَجَابُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ، ثُمَّ أَلْقَى اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا لَنَا بِحَرْبِهِ مِنْ طَاقَةٍ ، ارْجِعُوا إِلَيْهِ وَأَعْطُوهُ مَا سَأَلَ . فَقَالَ الْوَفْدُ : قَدْ قَاضَيْنَاهُ وَأَسْلَمْنَا ، فَقَالُوا : لِمَ كَتَمْتُمْ عَلَيْنَا ذَلِكَ ؟ قَالُوا : حَتَّى تَذَهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةُ الشَّيْطَانِ ، فَاسْلَمُوا .

هَدْمُ اللَّاتِ : وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِسْلَامُ تَقْيِيفٍ أَرْسَلَ أَبَا سُفْيَانَ وَالْمُغِيرَةَ ابْنَ شُعْبَةَ التَّقْفِيَّ لِهَدْمِ اللَّاتِ ( صَنَمٌ تَقْيِيفٍ بِالطَّاغِيَةِ ) : فَتَوَجَّهُوا وَهَدَمُوهُ حَتَّى سَوَّاهُ بِالْأَرْضِ .

إِسْلَامُ تَقْيِيفٍ وَتَأْمَلَاتُ عِظَةٍ وَعِبرَةٌ : هَذِهِ تَقْيِيفٌ الَّتِي طَالَمَا أَرَادُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكَيْدَ وَشَقَّوْا بِإِيْدَائِهِ غَلِيلَ أَحْقَادِهِمْ عَلَيْهِ ، وَهُوَ ﷺ لَا يُرِيدُ بِهِمْ إِلَّا الْخَيْرَ وَالسَّعَادَةَ وَالرُّشْدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . طَالَمَا فَرِحُوا بِمَنْظَرِ النَّكْبَةِ وَالضَّرِّ يَرَى مُتَلَبِّسًا بِهَا ، وَلَكِنَّهُ ﷺ لَمْ يَفْرَحْ لَهُمْ إِلَّا بِنِعْمَةِ الْخَيْرِ وَالْإِسْلَامِ إِذْ أَكْرَمَهُمْ بِهِمَا اللَّهُ ! ...

(١) العِضَاهُ : كُلُّ شَجَرٍ لَهُ شَوْكٌ صَفَرٌ أَوْ كَبُرٌ ، وَوَجٍ : وَادٍ بِالطَّاغِيَةِ .

(٢) لَا يُعْضَدُ : لِاتِّقَاعِ فُرُوعِهِ وَقَضْبَانِهِ الْمَارِضَةَ الَّتِي تَقْبُتُ عَلَى سَوَاقِ الشَّجَرِ .

تُرَى ، أَهَذَا كُلُّهُ طَبِيعَةٌ بَشَرِيَّةٌ فِي إِنْسَانٍ ، يَدْعُو إِلَى مَبْدَأٍ يَرَاهُ أَوْ عَقِيدَةٍ قَدْ تَخَيَّرَهَا ؟

أَمْ إِنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا طَبِيعَةُ النَّبُوَّةِ .. وَلَيْسَتْ إِلَّا مِنْ أَثَرِ تَطَلُّعِهِ ﷺ إِلَى هَدَفٍ وَاحِدٍ فَقَطْ ، وَهُوَ أَنْ تُؤْتَى هَذِهِ الدَّعْوَةُ ثَمَارَهَا فَيَلْقَى رَبَّهُ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ .. وَمَا أَهْوَنَ الْآلَامِ وَالنَّكَابَاتِ كُلَّهَا فِي هَذَا السَّبِيلِ ، وَمَا أَعْظَمَ الْفَرْحَةَ إِذْ يَجْتَازُ الْإِنْسَانُ تِلْكَ الْمَفَاوِزَ كُلَّهَا وَيَسْتَقِرُّ عِنْدَ هَذَا الْهَدَفِ الْجَلِيلِ .

وَذَلِكَ هُوَ الْإِسْلَامُ : لَا يَعْرِفُ حَقْدًا وَلَا ضَمِيمَةً وَلَا يُرِيدُ شَرًّا بِإِنْسَانٍ .

يَأْمُرُ بِالْجِهَادِ ، وَلَكِنْ فِي غَيْرِ ضَغِينَةٍ وَحَقْدٍ .. يُعَلِّمُ الْقُوَّةَ ، وَلَكِنْ فِي غَيْرِ أَنَانِيَّةٍ وَكِبَرٍ .. يَدْعُو إِلَى الرَّحْمَةِ ، وَلَكِنْ فِي غَيْرِ مَهَانَةٍ أَوْ ضَعْفٍ ، وَيُعَلِّمُ الْحُبَّ ، وَلَكِنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَحْدَهُ .

إِذَنْ ، لَقَدْ كَانَ وَقَدْ تَقَيَّفَ ، وَالْوَفُودُ الْأُخْرَى الَّتِي تَلَاحَقَتْ مُتَّجِهَةً إِلَى الْمَدِينَةِ دَاخِلَةً فِي الْإِسْلَامِ ، كَانَ كُلُّ ذَلِكَ وَفَاءً بِوَعْدِ ( النَّصْرِ الْعَزِيزِ ) الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ .

أَحْدَاثٌ مُهِمَّةٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ :

\* تُوَفِّيتِ السَّيِّدَةُ أُمُّ كَلْثُومٍ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ وَزَوْجَهُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَحَزِنَ ﷺ عَلَيْهَا حُزْنًا شَدِيدًا ، وَقَالَ لِعُثْمَانَ : ( لَوْ كَانَتْ عِنْدِي ثَالِثَةٌ لَزَوَّجْتُهَا ) .

\* تُوَفِّي النَّجَاشِيُّ أَصْحَمَةَ ( مَلِكُ الْحَبَشَةِ ) ، وَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْغَائِبِ .

فَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) : أَنَّهُ ﷺ نَعَى لَهُمُ النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ الْحَبَشَةِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، وَقَالَ ﷺ ( اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ ) <sup>(١)</sup> ، وَصَفَ بِهِمْ ﷺ فِي الْمُصَلَّى فَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَكَبَّرَ أَرْبَعًا .

\* رُجِمَتِ الْمَرْأَةُ الْفَاطِمِيَّةُ الَّتِي جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَعْتَرَفَتْ عَلَى نَفْسِهَا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ ( أَبِي هُرَيْرَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

بِالْفَاحِشَةِ ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا فَطَمَتْ أَبْنَاهَا .

\* مَاتَ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولٍ بَعْدَ مَرْجِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ تَبُوكَ ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أَشَارَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِعَدَمِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ( وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُؤَافَقَةِ عُمَرَ ) ، وَشِيعَ ﷺ جَنَازَتُهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ﷺ ذَلِكَ تَطْيِيبًا لِقَلْبِ وَلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَتَأْلِيمًا لِقُلُوبِ الْخَزْرَجِ لِمَكَانَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فِيهِمْ ، وَقَدْ نَزَعَ رَبِيقَةُ النَّفَاقِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ لِمَا رَأَوْهُ مِنْ أَعْمَالِ السَّيِّدِ الْكَرِيمِ ﷺ وَقَدْ نَهَى اللَّهُ رَسُولُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ ، فَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ فِي سُورَةِ بَرَاءةَ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَأْتِيهِمْ عَلَيْهِ وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ قَبِّلَهُمْ إِلَّا هُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (١)

حَجَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَفِي أُخْرِيَاتِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ( السَّنَةِ التَّاسِعَةِ ) أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَحْجَّ بِالنَّاسِ ، فَخَرَجَ ﷺ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ الْهَدْيُ ( وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ هَمَّ أَنْ يَحْجَّ ، فَذَكَرَ مَا اعْتَادَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْجَهَالَاتِ فِي حَجِّهِمْ ، مَعَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْمُعَاهَدَةِ ، فَأَثَاهُ ذَلِكَ عَنِ الْحَجِّ ) وَأَمَرَ ﷺ أَبَا بَكْرَ عَلَى الْحَجِّ .

وَرَوَى ( الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَهُ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي أَمَرَهُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِي رَهْطٍ يُؤَدُّنَ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ : أَنْ لَا يَحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكًا ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْعَامِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ (٢)



بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصَدْرِ سُورَةِ بَرَاءةٍ :

وَبَعْدَ أَنْ تَحَرَّكَ وَفَدَّ الْحَجِيجَ نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوَائِلَ سُورَةِ (بَرَاءةٍ) فَأَرَدَفَ ﷺ بِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ بِهِ (بَرَاءةٍ) .

قَالَ ابْنُ اسْحَاقَ : (١) بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمِيرًا ، ثُمَّ بَعَثَ بَعْدَهُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَلَّى نَبْذَ الْعُهُودِ ، بِأَنْ يَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ صَدْرَ سُورَةِ (بَرَاءةٍ) ، لِئَلَّا يَبْقَى لِلْمُشْرِكِينَ عُدْرٌ ، إِذْ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَلَّا يَتَوَلَّى نَبْذَ الْعُقُودِ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى عَقْدَهَا وَهُوَ صَاحِبُهَا ، أَوْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ .

قَالَ ابْنُ اسْحَاقَ : فَلَمَّا أَدْرَكَ عَلِيٌّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : أَمِيرٌ أَمْ مَأْمُورٌ ؟ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : بَلْ مَأْمُورٌ .. ثُمَّ مَضَى ، فَكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُنَادِي بِهِ (مِنَى) أَنْ مَنْ كَانَ لَهُ أَجَلٌ فَلَهُ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ لَاعَهَدَ لَهُ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) (٢) .

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ لَنْ يُؤَدِّيَهَا (أَيَ : الْبَرَاءةِ) إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ (٣) .

وَكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُصَلِّي فِي هَذَا السَّفَرِ وَرَاءَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

إِزَاحَةٌ شُبْهَةٌ بِجَوَابِ حُجَّةٍ : وَهِيَ شُبْهَةٌ نَرَى لِيْزَامًا أَنْ نَعْرِضَ لَهَا ، وَنُبَيِّنَ الْحَقَّ فِيهَا ، وَهِيَ : لِمَ عَدَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ تَبْلِيغِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَدْرَ سُورَةِ (بَرَاءةٍ) وَوَكَّلَ ذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؟

وَالْجَوَابُ : أَنَّ صَدْرَ سُورَةِ (بَرَاءةٍ) تَضَمَّنَ نَقْضَ الْعُهُودِ الْمُطْلَقَةِ غَيْرِ الْمُقَيَّدَةِ بِوَقْتٍ ، أَوِ الَّتِي مُدَّتْهَا فَوْقَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فِيمَا زَادَ عَنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ الْعَرَبُ تَعَارَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي عَقْدِ الْعُقُودِ وَنَقْضِهَا أَلَّا يَتَوَلَّى ذَلِكَ إِلَّا سَيِّدُ الْقَبِيلَةِ ، أَوْ رَجُلٌ مِنْ رَهْطِهِ ، فَأَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ الْمُبْلَغُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ ، حَتَّى يَقْطَعَ أَلْسِنَةَ الْعَرَبِ بِالِاحْتِجَاجِ عَلَى أَمْرِ هُوَ مِنْ تَقَالِيدِهِمْ ، وَلَا سِيَّمَا

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ (وَمِنَ الْآيَةِ ٢) .

(١) سيرة ابن هشام .

(٣) وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ (عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ مُنَافَاةٌ لِلْإِسْلَامِ ، فَلِذَلِكَ تَدَارَكَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَمْرَ .

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ (بِرَأْيِهِ)   
مَعَ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، وَقَالَ : ( لَا يُنْبِئُنِي لِأَحَدٍ أَنْ يَبْلُغَ هَذَا إِلَّا   
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ) - كَمَا ذَكَرَ أَعْلَاهُ - أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الَّذِي قَالَ لِلنَّبِيِّ   
إِنَّهُ لَنْ يُؤَدِّيَهَا عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ :

فَهَذَا هُوَ السَّبَبُ ، لَا مَا زَعَمَتْهُ الرَّافِضَةُ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ   
الْحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَا أَدْرِي كَيْفَ غَضَلُوا أَوْ تَغَافَلُوا عَنْ قَوْلِ   
الصَّدِيقِ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَمِيرٌ أَمْ مَأْمُورٌ ؟ ، فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بَلْ مَأْمُورٌ ، وَكَيْفَ   
يَكُونُ الْمَأْمُورُ أَحَقَّ بِالْخِلَافَةِ مِنَ الْأَمِيرِ !! (١)

لُزُومُ التَّنْوِيهِ بِأَسْمَاءِ الْوُفُودِ فِي عَامِ الْوُفُودِ : لَقَدْ وَفَدَتْ قَبَائِلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ   
ﷺ قَبْلَ الْفَتْحِ ، وَلَكِنَّ عَامَّةَ الْقَبَائِلِ وَفَدَتْ بَعْدَ الْفَتْحِ إِلَّا أَنَّ الْكَمَّ الْأَعْظَمَ مِنْ   
الْوُفُودِ كَانَ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ حَتَّى سُمِّيَ هَذَا الْعَامُ بِعَامِ الْوُفُودِ   
وَعَالِبُ الْقَوْلِ فِي هَذِهِ الْوُفُودِ الَّتِي تَزِيدُ عَنِ السَّبْعِينَ وَفَدَّ لَيْسَ فِي سَرْدِ   
تَفَاصِيلِهَا مِنَ الْفَائِدَةِ الْكَثِيرِ إِلَّا أَنَّهَا وَفُودٌ قَدِمَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِمَّا وَفُودٌ تَعْلُنُ   
إِسْلَامَهَا وَتَدْخُلُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، وَإِمَّا وَفُودٌ صَالِحُوا النَّبِيِّ عَلَى الْأَمَانِ   
مُقَابِلِ الْحِزْبِيَّةِ ، وَمِنْ أَمَمَ هَذِهِ الْوُفُودِ الَّتِي قَدِمَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ   
الْمُنَوَّرَةِ :

وَفَدُّ بَنِي عَبْسٍ .. وَفَدُّ بَنِي مُرَّةٍ .. وَفَدُّ بَنِي كِلَابٍ .. وَفَدُّ بَنِي مَقْلَبَةَ .. وَفَدُّ بَنِي   
رُؤَاسِ بْنِ كِلَابٍ .. وَفَدُّ بَنِي عَقِيلِ بْنِ كَعْبٍ .. وَفَدُّ بَنِي بَشِيرِ بْنِ كَعْبٍ .. وَفَدُّ بَنِي   
الْبَكَاءِ .. وَفَدُّ كِنَانَةَ .. وَفَدُّ أَشْجَعَ .. وَفَدُّ مَاهِلَةَ .. وَفَدُّ بَنِي سُلَيْمٍ .. وَفَدُّ بَنِي   
هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ .. وَفَدُّ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ .. وَفَدُّ بَنِي تَغْلِبٍ .. وَفَادَاتُ أَهْلِ الْيَمَنِ   
وَفَدُّ الصَّدَفِ .. وَفَدُّ جَعْفَرَ .. وَفَدُّ الْأَزْدِ عَلَى .. وَفَدُّ خَوْلَانَ .. وَفَدُّ حُشَيْنَ .. وَفَدُّ   
بَنِي سَعْدٍ .. وَفَدُّ السَّبَاعِ .

## السَّنةُ العَاشِرَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ

سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه: فِي رَبِيعِ الثَّانِي أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي جَمْعٍ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ ( قَبِيلَةٌ بِنَجْرَانَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ ) وَهُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، وَأَمَرَهُ ﷺ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَإِنْ أَبَوْا قَاتَلَهُمْ .

فَلَمَّا قَدِمَ إِلَيْهِمْ بَعَثَ الرُّكْبَانَ فِي كُلِّ وَجْهِ يَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَقُولُونَ : أَسْلِمُوا تَسْلُمُوا ، فَاسْلُمُوا وَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا : فَأَقَامَ خَالِدٌ ﷺ بَيْنَهُمْ يَعْلَمُهُمُ الْإِسْلَامَ وَالْقُرْآنَ ، وَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ﷺ أَنْ يَقْبَلَ بِوَفْدِهِمْ فَقَبِلَ رضي الله عنه .. وَحِينَ اجْتَمَعُوا بِهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ بِمَ كُنْتُمْ تَقْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالُوا كُنَّا نَجْتَمِعُ وَلَا نَتَفَرَّقُ ، وَلَا نَبْدَأُ أَحَدًا بِظُلْمٍ ، قَالَ ﷺ : ( صَدَقْتُمْ ) ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ قَيْسَ بْنَ حُصَيْنٍ .<sup>(١)</sup>

سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه : وَفِي رَمَضَانَ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا رضي الله عنه فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ إِلَى بَنِي مَذْحِجٍ ( قَبِيلَةٌ يَمَانِيَّةٌ ) وَعَمَّمَهُ ﷺ بِيَدِهِ .

قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَبْعَثُنِي إِلَى قَوْمٍ أَسَنَّ مِنِّي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ لَا أَبْصُرُ الْقَضَاءَ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صَدْرِي . وَقَالَ :

( اللَّهُمَّ ثَبَّتْ لِسَانَهُ وَاهْدِ قَلْبَهُ ) ، وَقَالَ عليه السلام : ( يَا عَلِيُّ إِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ الْخَصْمَانِ فَلَا تَقْضُ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخِرِ ) ، وَقَالَ عليه السلام : ( سِرَّ حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَادْعُهُمْ إِلَى قَوْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنْ قَالُوا نَعَمْ فَمُرَّهُمْ بِالصَّلَاةِ وَلَا تَبْغِ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَئِنْ يَهْدَى اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، وَلَا تُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يُقَاتِلُوكَ ) .

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ رضي الله عنه لَقِيَ جُمُوعَهُمْ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا وَرَمَوْا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ ، فَصَفَّ عَلِيٌّ رضي الله عنه أَصْحَابَهُ وَأَمَرَهُمْ بِالْقِتَالِ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى هَزَمُوا عَدُوَّهُمْ ، فَكَفَّ عَنْ طَلِبِهِمْ قَلِيلًا ، ثُمَّ لَحِقَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ .

(١) الحُصَيْنُ وَالِدُ قَيْسٍ : رَأَى بَنِي الْحَارِثِ مِائَةَ سَنَةٍ .

فَأَجَابُوا وَبَايَعَهُ رُؤُوسُهُمْ وَقَالُوا : نَحْنُ عَلَى مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا وَهَذِهِ صَدَقَاتُنَا  
فَخُذْ مِنْهَا حَقَّ اللَّهِ ، فَفَعَلَ .. ثُمَّ رَجَعَ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَافَاهُ بِمَكَّةَ فِي  
حَجَّةِ الْوَدَاعِ .

## حَجَّةُ الْوَدَاعِ

### وَتُسَمَّى حَجَّةَ الْإِسْلَامِ وَحَجَّةَ الْبِلَاغِ

وَذَلِكَ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَدَعَ النَّاسَ فِيهَا ، وَقَالَ : ( خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ ، فَإِنِّي  
لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أُحُجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا ) (١) ، وَلَمْ يَحُجَّ ﷺ غَيْرَهَا بَعْدَ الْهِجْرَةِ .

أَعْلَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَصْدِهِ لِهَذِهِ الْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالَّتِي وَدَعَ فِيهَا  
الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَحُجَّ غَيْرَهَا ! فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بِشَرِّ كَثِيرٍ ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ  
بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . (٢)

وَخَرَجَ لَهَا ﷺ يَوْمَ السَّبْتِ لِخَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ  
لِلْهِجْرَةِ بَعْدَ أَنْ وُلِّيَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبِي دُجَانَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَبَعْدَ أَنْ آدَهْنَ وَلَبَسَ  
إِزَارَهُ وَرِدَاءَهُ وَقَلَّدَ بُدْنَهُ ، انْطَلَقَ ﷺ وَكَانَ نِسَاؤُهُ كُلُّهُنَّ مَعَهُ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنَ  
الصَّحَابَةِ وَالصَّحَابِيَّاتِ ﷺ وَعَنْهُنَّ يَبْلُغُ تِسْعِينَ أَلْفًا ، وَذَلِكَ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ ،  
حَتَّى إِذَا بَلَغَ ذَا الْحُلَيْفَةِ (٣) قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ الْعَصْرَ ، فَصَلَّاهَا رَكَعَتَيْنِ ، وَبَاتَ هُنَاكَ  
حَتَّى أَصْبَحَ فَلَمَّا أَصْبَحَ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَنَا نِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ : صَلِّ فِي  
هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ ، وَقُلْ : عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ (٤) .

وَقَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ الظُّهْرَ اغْتَسَلَ لِإِحْرَامِهِ ، ثُمَّ طَيَّبَتْهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا  
بِيَدِهَا بِذَرِيرَةٍ وَطِيبَ فِيهِ مَسْكٌ ، فِي بَدَنِهِ وَرَأْسِهِ حَتَّى كَانَ وَبِيضَ الطَّيْبِ يُرَى  
فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ، ثُمَّ اسْتَدَامَهُ وَلَمْ يَفْسَلْهُ ، ثُمَّ لَبَسَ إِزَارَهُ وَرِدَاءَهُ ، ثُمَّ  
صَلَّى ﷺ الظُّهْرَ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَهَلَ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فِي مَضَلَاهُ ، وَقَرَنَ بَيْنَهُمَا ،

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ ( جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ ( جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بِأَبِ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ . (٣) أَنَبِيَارْحَلِي .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ ( عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . (٥) نَوْعٌ مِنَ الطَّيْبِ .

ثُمَّ لَبَّىٰ رَبِّيَ ۖ فَاتَّخَذَ : ( لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ  
وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ ، لَا شَرِيكَ لَكَ ) .

ثُمَّ خَرَجَ ۖ فَركَبَ القَصْوَاءَ ، فَلَبَّىٰ أَيْضًا ، ثُمَّ لَبَّىٰ لَمَّا اسْتَقَلَّتْ بِهِ عَلَى  
البَيْدَاءِ .. وَلَمَّا مَرَّ بِوَادِي عُسْفَانَ قَالَ : ( يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَيُّ وَادٍ هَذَا ؟ ) ، قَالَ :  
وَادِي عُسْفَانَ ، قَالَ ۖ : ( لَقَدْ مَرَّ بِهِ هُوْدٌ وَصَالِحٌ عَلَىٰ بَكْرَيْنِ أَحْمَرَيْنِ  
خَطَامُهُمَا اللَّيْفُ وَأُزْرُهُمَا الْعَبَاءُ وَأُزْدِيَّتُهُمَا النَّمَارُ ، يُلْبُونُ بِالْحَجِّ يَعْجُونَ الْبَيْتَ  
الْعَتِيقَ ) (١) .

وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّىٰ قَرُبَ مِنْ ( مَكَّةَ ) فَبَاتَ بِ ( ذِي طُوًى ) ، ثُمَّ دَخَلَ مَكَّةَ  
ضَحَىٰ مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا ( وَهِيَ ثَنِيَّةُ كَدَاءَ ) بَعْدَ أَنْ صَلَّى الْفَجْرَ وَاغْتَسَلَ مِنْ  
صُبْحِ يَوْمِ الْأَحَدِ لِأَرْبَعِ خَلْوَنٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْهِجْرَةِ ، وَقَدْ  
قَضَىٰ فِي الطَّرِيقِ ثَمَانِ لَيَالٍ ، وَلَمَّا رَأَى الْبَيْتَ ، قَالَ : ( اللَّهُمَّ زِدْهُ تَشْرِيفًا  
وَتَعْظِيمًا وَمَهَابَةً وَبِرًّا وَزِدْ مَنْ شَرَّفَهُ وَعَظَّمَهُ مِمَّنْ حَجَّهَ وَاعْتَمَرَهُ تَشْرِيفًا  
وَتَعْظِيمًا وَمَهَابَةً وَبِرًّا ) ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ اسْتَلَمَ الْحَجَرَ وَطَافَ بِالْبَيْتِ  
سَبْعًا يَقُولُ بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا  
عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢) ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَرَأَ : ﴿ وَاتَّخِذُوا  
مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (٣) ، ثُمَّ سَعَى ۖ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعًا رَاكِبًا عَلَى  
نَاقَتِهِ ، وَبَدَأَ بِالصِّفَا قَائِلًا : ( نَبْدًا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ ) ، ثُمَّ صَعِدَ عَلَى الصِّفَا  
حَتَّىٰ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ كَبَّرَ ثُمَّ قَالَ : ( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ  
الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدُهُ  
وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَأَعَزَّ جُنْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ) ، وَكَانَ ۖ إِذَا اقْتَرَبَ مِنَ الصِّفَا  
وَالْمَرْوَةِ يَقْرَأُ : ﴿ إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ  
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۖ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ، وَالنَّمَارُ : جَمْعُ نَمْرَةٍ وَهِيَ بُرْدَةٌ مِنْ صُوفٍ تَلْبَسُهَا الْأَعْرَابُ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢٠١ ) .

(٣) الرُّكْنُ الْبَيْتَانِي وَرُكْنُ الْحَجَرِ الْأَمْوَدِ .

(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٥٨ ) .

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٢٥ ) .

ثُمَّ نَزَلَ ﷺ بِأَعْلَى مَكَّةَ عِنْدَ الْحَجُّونِ حَيْثُ قَبْرِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَقَامَ هُنَاكَ  
وَلَمْ يَعُدَّ ﷺ إِلَى الطَّلَافِ غَيْرَ طَوَافِ الْحَجِّ .

وَأَمَرَ ﷺ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَجْعَلُوا إِحْرَامَهُمْ عُمْرَةً ،  
فَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ . ثُمَّ يَحِلُّوا حَلَالًا تَامًا ، فَتَرَدَّدُوا ، فَقَالَ  
ﷺ : ( لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ ، وَلَوْلَا أَنْ مَعِيَ الْهَدْيُ  
لَأَحَلَّتْ ) : فَحَلَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ ، وَسَمِعُوا وَأَطَاعُوا .

وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ( وَهُوَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ ) وَكَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ ضَحَّى  
رَكِبَ ﷺ وَتَوَجَّهَ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى مَنَى وَقَدْ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ مَنْ كَانَ أَحَلَّ مِنْهُمْ ،  
فَصَلَّى ﷺ بِمَنَى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ ( خَمْسَ صَلَوَاتٍ ) ،  
ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، فَأَجَازَ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ فِي التَّاسِعِ مِنْ  
ذِي الْحِجَّةِ ، وَكَانَ يَوْمَ جُمُعَةٍ .

## خُطْبَةُ الْوَدَاعِ

وَفِي عَرَفَةَ وَجَدَ ﷺ الْقُبَّةَ ( الْخَيْمَةَ ) قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمْرَةٍ ، فَنَزَلَ بِهَا ، حَتَّى  
إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقِصَافِ فَرَحَّلَتْ لَهُ فَرَكِبَ ، فَاتَى بَطْنَ الْوَادِي . وَقَدْ  
اجْتَمَعَ حَوْلَهُ ﷺ مِائَةٌ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا مِنَ النَّاسِ . فَقَامَ فِيهِمْ خُطْبِيًّا ،  
وَأَلْقَى خُطْبَتَهُ الْجَامِعَةَ الَّتِي بَيْنَ فِيهَا الدِّينَ كُلَّهُ أَسَّهُ وَفَرَعَهُ ، وَهَاكَ نَصُّهَا :

( الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا  
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا .. مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَلَآ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ..  
أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَحْسَنُكُمْ عَلَى مَلَاعَتِهِ وَأَسْتَفْتِحُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ .. أَمَا  
بَعْدُ :

أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا مِنِّي أُبَيِّنُ لَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا  
فِي مَوْقِفِي هَذَا . أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ إِلَيَّ أَنْ تَلْقُوا

رَبِّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا . أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ  
فَاشْهَدْ .. فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا .

إِنَّ رَبَّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَإِنَّ أَوَّلَ رَبِّاً أَبْدَأُ بِهِ رَبِّاً عَمِّي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ،  
وَإِنَّ دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَأَوَّلُ دَمٍ أَبْدَأُ بِهِ دَمُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ ،  
وَإِنَّ مَآثِرَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ غَيْرَ السَّدَانَةِ وَالسَّقَايَةِ ، وَالْعَمْدَ قَوْدٌ ( قِصَاصٌ )  
وَشِبْهَ الْعَمْدِ مَا قُتِلَ بِالْعَصَا وَالْحَجَرِ وَفِيهِ مِائَةٌ بَعِيرٍ فَمَنْ زَادَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ  
الْجَاهِلِيَّةِ .. أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَسَّ أَنْ يُعْبِدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ وَلَكِنَّهُ  
قَدْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ .

أَيُّهَا النَّاسُ : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا خَلَوْا  
عَامًا وَتَحَرَّمُوا عَمَّا لِيُؤَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ (١) ، وَإِنَّ  
الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ . وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ  
عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا  
أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ، ثَلَاثُ مُتَوَالِيَاتٍ وَوَاحِدٌ فَرْدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ  
الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ أَلَّا يُؤْطِئَنَّ فُرُشَكُمْ غَيْرَكُمْ  
وَلَا يُدْخِلَنَّ أَحَدًا تَكَرُّهُنَّ بِيُوتِكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ، وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ؛ فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ  
اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ ، وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ  
مُبْرَحٍ (٢) ؛ فَإِنْ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ؛ وَإِنَّمَا النَّسَاءُ  
عِنْدَكُمْ عَوَانٌ (٤) وَلَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمُ  
فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ (٥) .. فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النَّسَاءِ وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا ، أَلَا هَلْ  
بَلَغْتُ ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ .

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢٧ ) . وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَحْرِمُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ : ثَلَاثَةَ مُتَوَالِيَاتٍ ( وَهِيَ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ )  
وَشَهْرَ رَجَبٍ . وَكَانُوا رَبِّمَا اسْتَطَالُوا هَذِهِ الْأَشْهُرَ الْمُتَوَالِيَةَ لِجَاحَتِهِمْ إِلَى الْعَرَبِ وَالْقِتَالِ . فَاجْتَلَوْا الْمُحَرَّمُ وَحَرَّمُوا صَفْرًا  
مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ . فَهَذَا هُوَ الَّذِي عَابَهُ الْقُرْآنُ عَلَيْهِمْ لِاتِّبَاعِهِمُ الْهَوَى فِي عَقِيدَتِهِمْ .

(٢) تَعْضُلُوهُنَّ وَتَضْرِبُوهُنَّ عَلَيْهِنَّ . (٣) غَيْرَ مُبْرَحٍ : غَيْرَ شَدِيدٍ وَلَا مُؤَلِّمٍ .

(٤) عَوَانٍ : جَمْعُ عَانِيَةٍ وَهِيَ الْأَمِيرَةُ . شَبَّهَهَا بِهَا لِضَعْفِهَا لِأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهَا شَيْئًا . (٥) عَقْدَ النَّكَاحِ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ وَلَا يَحِلُّ لَأَمْرِيءٍ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، فَلَا تَرْجِعَنَّ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ أَمَرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدِّعٌ مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ رَبِّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ لِأَدَمَ وَأَدَمٌ مِنْ تُرَابٍ ، إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ، لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ فَضْلٌ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ اللَّهُ قَدْ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ وَلَا تَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ ، وَلَا تَجُوزُ وَصِيَّةٌ فِي أَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ (١) . مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ (٢) .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَلَا أُمَّةَ بَعْدَكُمْ ، أَلَا فَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ، وَصَلُّوا خَمْسَتَكُمْ ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ ، طَيِّبَةً بِهَا أَنْفُسُكُمْ ، وَتَحُجُّوْنَ بَيْتَ رَبِّكُمْ ، وَأَطِيعُوا أَمْرَكُمْ ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ .

وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ ، قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ .

فَقَالَ ﷺ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكِتُهَا إِلَى النَّاسِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ( ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ) .

وَبَعْدَ أَنْ فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْقَاءِ الْخُطْبَةِ نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى :

( ١ ) أَيُّ لِلزَّانِي الْمُتَزَوِّجِ الْعَدُوِّ ، وَهُوَ أَنْ يُرْمَى بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ .

( ٢ ) الصَّرْفُ : التَّوْبَةُ وَقِيلَ الْجَيْلَةُ ، وَالْعَدْلُ : الْفِدَاءُ .



﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup>  
فَكَانَ نَزُولُهَا يَوْمَ عَرَفَةَ ، بَعْدَ الْعَصْرِ ، وَهُوَ ﷺ واقِفٌ بـ ( عَرَفَاتِ ) ، وَذَلِكَ يَوْمَ  
الْجُمُعَةِ .

وَلَمَّا سَمِعَهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَكَى ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : ( مَا يُبْكِيكَ ؟ ) ، قَالَ ﷺ : إِنَّهُ  
لَمْ يَكْمُلْ شَيْءٌ إِلَّا نَقَصَ ، قَالَ ﷺ : ( صَدَقْتَ )<sup>(٢)</sup> .  
فَعَاشَ بَعْدَهَا ﷺ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، وَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَهَا حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ وَلَا غَيْرُهُمَا  
مِنَ الْأَحْكَامِ .

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) أَنَّ أَنَسًا مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا : لَوْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا لَاتَّخَذْنَا  
ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : آيَةُ آيَةٍ هِيَ ؟ فَقَالُوا :

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾  
فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَاللَّهِ ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ مَكَانٍ أَنْزَلَتْ ، أَنْزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
واقِفٌ بـ ( عَرَفَةَ )<sup>(٢)</sup> .

فَلَا غَرَابَةَ أَنْ اتَّخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ عِيدًا وَيَوْمًا سَعِيدًا يُظْهِرُونَ فِيهِ شُكْرَ اللَّهِ عَلَى  
هَذِهِ النِّعْمَةِ الْكُبْرَى وَالشَّعِيرَةِ الْعُظْمَى .

مَا بَعْدَ الْخُطْبَةِ وَأَكْثَرَ دُعَائِهِ ﷺ : وَبَعْدَ الْخُطْبَةِ أَدْنِ بِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ أَقَامَ ، فَصَلَّى  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ ، ثُمَّ أَقَامَ بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَصَلَّى ﷺ بِالنَّاسِ الْعَصْرَ .  
وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، ثُمَّ رَكِبَ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ : فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقِصَواءِ  
إِلَى الصَّخْرَاتِ : وَجَعَلَ مَمْرَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ؟ ، فَلَمْ يَزَلْ واقِفًا  
حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَكَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ ﷺ :

( اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَالَّذِي نَقُولُ وَخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ ، اللَّهُمَّ لَكَ صَلَاتِي وَنُسُكِي  
وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي وَإِلَيْكَ مَأْبِي وَلَكَ رَبِّ تُرَائِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ

(١) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ٣ ) : وَمِنَّا خَطَاً مَشْهُورٌ وَهُوَ يَزْعُمُهُ الْبَيْضُ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَخْرَجَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ ،  
وَالْحَقُّ أَنَّ أَخْرَجَ آيَةَ نَزَلَتْ هِيَ ( وَالْقُرْآنُ يُرْوَى عَنْهُ ) أَمَّا الْمُرَادُ بِإِكْمَالِ الدِّينِ : هُوَ إِكْمَالُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ .  
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .  
(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

الْقَبْرِ وَوَسْوَسَةِ الصَّدْرِ وَشَتَاتِ الْأَمْرِ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَجِيءُ بِهِ  
الرِّيَّاحُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ (١) .

وفى الترمذي أيضاً : ( أَفْضَلُ الدُّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَأَفْضَلُ مَا قُلْتَهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ  
قَبْلِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ) .

وكان من دُعائه ﷺ فِي عَرَفَةَ أَيْضاً :

( اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرَى مَكَانِي وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعِلَانِيَّتِي ، لَا يَخْفَى عَلَيْكَ  
شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي ، أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ الْمُسْتَفْتِحُ الْمُسْتَجِيرُ الْوَجِلُ الْمُسْفِقُ الْمُقْرُ  
الْمُعْتَرِفُ بِذُنُوبِهِ ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ ، وَأَبْتَهَلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمُذْنِبِ الذَّلِيلِ  
وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ ، مَنْ خَضَعْتَ لَكَ رَقَبَتَهُ ، وَفَاضَتْ لَكَ عِبْرَتُهُ ،  
وَذَلَّ لَكَ جِسْمُهُ ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيئاً ، وَكُنْ بِي  
رَوْوفاً رَحِيماً : يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ ) (٢) .

وَأَتَاهُ ﷺ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَهُوَ بـ ( عَرَفَةَ ) فَسَأَلُوهُ : كَيْفَ الْحَجُّ ؟ فَأَمَرَ ﷺ  
مُنَادِياً يُنَادِي : ( الْحَجُّ عَرَفَةُ .. مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعٍ (٣) أَي قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَقَدْ  
أَدْرَكَ الْحَجَّ .. أَيَّامٌ مَنَى ثَلَاثَةٌ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا  
إِثْمَ عَلَيْهِ ) (٤) .

وفى رواية ( جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ) ( رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) عِنْدَ ( أَبِي دَاوُدَ ) قَالَ ﷺ بـ ( عَرَفَةَ ) :  
( وَقَفْتُ هَهُنَا وَعَرَفَةَ كُلُّهَا مَوْقِفٌ ، وَهَهُنَا أَنْزَلَ عَلَيَّ : ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ..  
الآيَةَ ) (٥) .

وَعَنْ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا لِأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِالْمَغْفِرَةِ  
فَأُجِيبَ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلَا الظَّالِمَ فَإِنِّي آخِذٌ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ ، قَالَ ﷺ :

(١) . (٢) . أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ( ابْنِ عَبَّاسٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنِ الْإِمَامِ ( عَلِيِّ ) كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ .

(٣) . وَجَمَعَ : هِيَ الْمَزْدَلِيَّةُ وَلَيْلَتُهَا لَيْلَةُ الْعِيدِ .

(٤) . أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

(٥) . أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ ( عُمَرَ بْنِ الْعَطَّابِ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

( أَيُّ رَبِّ إِنْ شِئْتَ أُعْطِيتَ الْمَظْلُومَ مِنَ الْجَنَّةِ وَغَفَرْتَ لِلظَّالِمِ ) فَلَمْ يُجِبْ عَشِيَّتَهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ ﷺ بِالْمُزْدَلِفَةِ أَعَادَ الدُّعَاءَ فَأُجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَ . قَالَ : فَضَحِكَ ﷺ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ هَذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنْتَ تَضْحَكُ فِيهَا . فَمَا الَّذِي أَضْحَكَكَ ؟ أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ . قَالَ ﷺ : ( إِنْ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدِ اسْتَجَابَ دُعَائِي وَغَفَرَ لِأُمَّتِي أَخَذَ التُّرَابَ فَجَعَلَ يَحْتُوهُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالتُّبُورِ . فَأَضْحَكَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ ) (١)

الإِفاضةُ مِنْ عَرَفاةٍ إِلَى المَشْعَرِ الحَرَامِ : ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفاةٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ )

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢)

وَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ بَحَيْثُ ذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلاً حِينَ غَابَ القُرْصُ أَفَاضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَرَفةَ وَأَرْدَفَ أُسامَةَ بنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَلْفَهُ حَتَّى آتَى مُزْدَلِفَةَ فَصَلَّى بِهَا المَغْرِبَ والعِشاءَ بِأَذَانٍ واحِدٍ وإِقامَتَيْنِ . وَتَرَكَ ﷺ قِيامَ اللَّيْلِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَنامَ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ . فَصَلَّى الفَجْرَ حَتَّى تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وإِقامَةٍ . - وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ : قَالَ ﷺ لِلْفَضْلِ بنِ العَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ غَدَاةَ النُّحْرِ وَهُوَ عَلى رَاحِلَتِهِ : ( هَاتِ القُطْلَ لِي ) . فَلَقَطَ حَصِياتٍ مِثْلَ حَصَى الخَذْفِ أَي الرَّمْيِ . وَالمُرَادُ الحَصَى الصَّفارُ . فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ . قَالَ ﷺ : ( بِأَمثالِ هؤُلاءِ وإِيّاكُمْ وَالفُلُوِّ فِي الدِّينِ . فَإِنما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلُكُمْ بِالْفُلُوِّ فِي الدِّينِ ) . -

ثُمَّ رَكِبَ ﷺ نَاقَتَهُ القِصْواءَ حَتَّى آتَى المَشْعَرَ الحَرَامَ فَراقَى عَلَيْهِ . فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَجَّهَهُ فَلَمْ يَزَلْ وإِفاةً حَتَّى أَسْفَرَ جِداً . فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ .

مِنَ المُزْدَلِفَةِ إِلَى مَنى : فِي رِوايَةٍ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ أُسامَةَ بنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ :

كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ ثُمَّ أَرَدَفَ الْفَضْلَ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى مَنَى ، فَكِلَاهُمَا قَالَ : لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ (١)

وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَلَمَّا أَتَى ﷺ بَطْنَ مُحَسَّرٍ حَرَّكَ نَاقَتَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ قَلِيلًا وَمُحَسَّرٌ مَوْضِعٌ بَيْنَ مُزْدَلِفَةَ وَمَنَى وَهُوَ مَكَانٌ نَزَلَ فِيهِ الْعَذَابُ عَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ ثُمَّ سَلَكَ ﷺ الطَّرِيقَ الْوَسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى ( وَتُسَمَّى بِجَمْرَةِ الْعَقَبَةِ وَبِالْجَمْرَةِ الْأُولَى ) حَتَّى أَتَاهَا ، فَرَمَاهَا ﷺ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَجَعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ وَمِنَى عَنْ يَمِينِهِ وَاسْتَقْبَلَ الْجَمْرَةَ . وَكَانَ رَمِيَهُ ﷺ ضُحَى (٢)

ثُمَّ انصَرَفَ ﷺ إِلَى الْمَنْحَرِ فَتَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً ، ثُمَّ أُعْطِيَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَتَحَرَ مَا بَقِيَ مِنَ الْبَدَنِ وَكَانَتْ مِائَةً ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ ﷺ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبِضْعَةٍ فَجَعَلَتْ فِي قَدْرِ فَطَبِخَتْ فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا .

ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلَهُ ب ( مَنَى ) ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلَّاقِ : ( خُذْ ) ، فَبَدَأَ بِالشَّقِّ الْأَيْمَنِ ، فَوَزَعَهُ ﷺ الشَّعْرَةَ وَالشَّعْرَتَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ قَالَ بِالْأَيْسَرِ فَصَنَعَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَالسَّحَابَةُ ﷺ حَوْلَهُ مَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلَّا فِي أَيْدِيهِمْ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ( اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ ) ، قَالُوا :

يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ ، قَالَ : ( اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ ) ، قَالُوا :

يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ ، قَالَ : ( اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ ) ، قَالُوا :

يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ ، قَالَ ( وَلِلْمُقَصِّرِينَ ) (٣)

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ بِمَنَى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ ، فَقَالَ ﷺ : ( اذْبَحْ وَلَا حَرَجَ ) ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَشْعُرْ فَتَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ ، فَقَالَ ﷺ : ( ارمِ وَلَا حَرَجَ ) ، قَالَ :

(٢) كَمَا قَالَهُ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ .

(١) أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ وَغَيْرُهُمَا .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

فَمَا سُئِلَ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ أَوْ أُخِّرَ إِلَّا قَالَ : ( افْعَلْ وَلَا حَرَجَ ) (١)

طَوَافُ الْإِفاضة : ثُمَّ رَكِبَ ﷺ قَبْلَ الظُّهْرِ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ ، فَطَافَ طَوَافَ الْإِفاضة ( وَهُوَ طَوَافُ الرُّكْنِ ) ، وَأَتَى ﷺ زَمْرَمَ فَنَاولُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ وَهُوَ قَائِمٌ ، وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ بِمَكَّةَ .

أَيَّامُ التَّشْرِيقِ : ثُمَّ رَجَعَ ﷺ إِلَى ( مِنْى ) فَمَكَثَ بِهَا لِيَالِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ، يَرْمِي الْجَمْرَةَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ كُلَّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ ، وَيَقِفُ عِنْدَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ فَيُطِيلُ الْقِيَامَ فِيهِمَا وَيَتَضَرَّعُ وَيَرْمِي الثَّالِثَةَ فَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا ﷺ (٢)

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ : كَانَ ﷺ إِذَا رَمَى الْجِمَارَ مَضَى إِلَيْهَا ذَاهِبًا وَرَاجِعًا .

وَقَدْ خَطَبَ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَيضًا : فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ سَرَاءِ بِنْتِ نُبَهَانَ ، قَالَتْ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : ( أَلَيْسَ هَذَا أَوْسَطُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ) ، وَكَانَتْ خُطْبَتُهُ ﷺ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِثْلَ خُطْبَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ ( عَاشِرُ ذِي الْحِجَّةِ ) .

نَفَرَتُهُ ﷺ مِنْ مِنْى : ثُمَّ نَفَرَ ﷺ بَعْدَ الظُّهْرِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ بَعْدَ أَنْ أَكْمَلَ رَمَى أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ( وَلَمْ يَتَعَجَّلْ فِي يَوْمَيْنِ ) إِلَى الْمُحَصَّبِ فَتَنَزَلَ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ مِنَ الْأَبْطَحِ . وَأَقَامَ هُنَاكَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ذَلِكَ وَلَيْلَتَهُ ، وَصَلَّى هُنَاكَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ ، ثُمَّ رَقَدَ رَقْدَةً ، ثُمَّ رَكِبَ ﷺ إِلَى الْبَيْتِ وَطَافَ بِهِ ﷺ وَهَذَا هُوَ طَوَافُ الْوَدَاعِ (٣)

غَدِيرُ خَمٍّ : وَذَلِكَ فِي مَرَجِهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ( اسْتَدْرَاكُهُ ص ٤١٦ ) . رُجُوعُهُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ : ثُمَّ ارْتَحَلَ ﷺ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ فَخَرَجَ مِنْ كُدَيْ وَهِيَ عِنْدَ بَابِ شَبِيكَةَ .. وَلَمَّا وَصَلَ ﷺ لِذِي الْحَلِيفَةِ ( عَلَى مَشَارِفِ الْمَدِينَةِ ) بَاتَ بِهَا لَيْلًا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ لَيْلًا ، فَلَمَّا رَأَى الْمَدِينَةَ : ( كَبَّرَ ثَلَاثًا ) ،

(١) أَخْرَجَهُ مُتَمِّمٌ . (٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ عَنِ السَّيِّدَةِ (عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . (٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقال: ( لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .. آيَاتُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ .. صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ) ، ثُمَّ دَخَلَ ﷺ الْمَدِينَةَ نَهَارًا .

الْوَفُودُ : فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا كَانَ وَفُودُ الْعَرَبِ يَجِيئُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُبَايِعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَكَانُوا يَقْدُمُونَ أَفْوَاجًا ، وَمِنْ هَذِهِ الْوَفُودِ :

وَفُودُ نَجْرَانَ : وَمِنَ الْوَفُودِ وَفْدُ نَصَارَى نَجْرَانَ وَكَانُوا سِتِّينَ رَاكِبًا ، دَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَعَلَيْهِمْ ثِيَابُ الْحَبْرَةِ وَأَرْدِيَةُ الْحَرِيرِ مُخْتَمِينَ بِالذَّهَبِ ، وَمَعَهُمْ بُسْطٌ فِيهَا تَمَاثِيلٌ وَمُسُوحٌ ( كِسَاءٌ مِنَ الشَّعْرِ ) جَاؤُوا بِهَا هَدِيَّةً لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ يَقْبَلِ الْبُسْطَ وَقَبِلَ الْمُسُوحَ ، وَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ صَلَاتِهِمْ صَلَّوْا فِي الْمَسْجِدِ مُسْتَقْبِلِينَ الْمَشْرِقَ ، وَلَمَّا أَتَمُّوا صَلَاتَهُمْ دَعَاهُمْ ﷺ لِلْإِسْلَامِ فَأَبَوْا وَقَالُوا : كُنَّا مُسْلِمِينَ قَبْلَكُمْ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( يَمْنَعُكُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ثَلَاثٌ : عِبَادَتُكُمْ الصَّلِيبَ ،

وَأَكْلُكُمْ لَحْمَ الْخَنزِيرِ ، وَزَعْمُكُمْ أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا ) ، قَالُوا : فَمَنْ مَثَلُ عِيسَى مِنْ غَيْرِ أَبِي ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : ﴿ إِنِّ مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ

كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ ﴿١﴾ وَيُظْهِرُ اللَّهُ لَهُمْ أَنَّهُمْ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِهِمْ لَمَّا حَاجُّوا النَّبِيَّ ﷺ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَنْزَلَ فِيهِمْ آيَةَ الْمُلَاعَنَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ۝ ﴿٢﴾

فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَأَبْنَتَهُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَمَشِي خَلْفَهُ

وَرُؤُوسَهُمَا عَلَى رِجْلَيْهِ يَمَشِي خَلْفَهُمَا ، فَلَمَّا رَأَوْهُمَ ، قَالَ حَبْرَانُ مِنْهُمَا ( السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ ) لِأَصْحَابِهِمَا : لَا تَفْعَلُوا ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ لَاعَنْتُمْ هَذِهِ الْوُجُوهُ لَا تَفْلِحُوا أَبَدًا .

فَلَمَّا دَعَاهُمْ ﷺ لِذَلِكَ اِمْتَنَعُوا وَرَضُوا بِإِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ ؛ وَهِيَ أَلْفُ حُلَّةٍ فِي صَفَرٍ

وَأَلْفَ حُلَّةٍ فِي رَجَبٍ مَعَ كُلِّ حُلَّةٍ أَوْقِيَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ .. ثُمَّ قَالُوا : أَرْسِلْ مَعَنَا أَمِينًا ،  
فَأَرْسَلَ مَعَهُمْ ﷺ أبا عُبَيْدَةَ عَامِرَ بْنَ الْجَرَّاحِ . وَكَانَ لِذَلِكَ يُسَمَّى أَمِينَ هَذِهِ  
الْأُمَّةِ .

وَفِي ( صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ) ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ قَالَ : جَاءَ  
السَّيِّدُ وَالْمَاقِبُ صَاحِبَا ( نَجْرَانَ ) إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ . فَقَالَ  
أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : لَا تَفْعَلْ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَا عِنْتَنَا لَا تَفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا  
مِنْ بَعْدِنَا ، ثُمَّ قَالَا : إِنَّا نَعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا ، وَابْتَعْتَ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا ، وَلَا تَبَعْتَ  
مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا ، فَقَالَ ﷺ : ( لَا بُعْثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ ) ، فَاسْتَشْرَفَ  
لَهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : ( قُمْ يَا أبا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ ) فَلَمَّا قَامَ  
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ( هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ) (١) .

وَفُودُ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ : وَمِنَ الْوَفُودِ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ  
أَصْحَابِهِ مُتَكِنًا جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ثَائِرَ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ  
مَا يَقُولُ ، فَأَنَاحَ جَمَلَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَدَلَّوهُ عَلَيْهِ  
فَدَنَا وَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَشَدَّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ ، فَلَا تَجِدُ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ .  
فَقَالَ ﷺ : ( سَلْ مَا بَدَا لَكَ ) ، فَقَالَ : أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ  
كُلِّهِمْ ؟ ، فَقَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ : اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ  
فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ ، قَالَ ﷺ : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، فَقَالَ : أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ : اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ  
تَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِ أَغْنِيَانِنَا فَتَرُدَّهُ عَلَى فُقَرَائِنَا ؟ ، قَالَ ﷺ : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، قَالَ :  
أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ : اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا ؟ ، قَالَ ﷺ :  
اللَّهُمَّ نَعَمْ ، قَالَ : أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ : اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ يَحُجَّ هَذَا الْبَيْتَ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ  
سَبِيلًا ؟ ، قَالَ ﷺ : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ آمَنْتُ وَصَدَّقْتُ ، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ  
ثَعْلَبَةَ (٢) .

(٢) أَي لَا تَنْظُب .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

(٢) هُوَ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ السَّمْعِيُّ ، أَمَلَمَ قَوْمَهُ كُلَّهُمْ عَلَى يَدَيْهِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، فَمَا سَمِعْنَا بِوَاهِدٍ قَطُّ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ .

وَلَمَّا وُلِّيَ ، قَالَ ﷺ : ( فِقَّةَ الرَّجُلِ ) .. ثُمَّ ذَهَبَ ضِمَامٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى قَوْمِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ فَأَسْلَمُوا كُلُّهُمْ .

وَقَدْ بَنَى حَنِيفَةَ : وَمِنَ الْوُفُودِ : وَقَدْ عَلَيْهِ ﷺ وَقَدْ بَنَى حَنِيفَةَ ، عَلَيْهِمْ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَابُ .

وَفِي ( صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ) ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَابُ فِي بَشِيرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ الْأَنْصَارِيُّ : وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةً مِنْ جَرِيدٍ ، حَتَّى وَقَفَ ﷺ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ ، فَجَعَلَ مُسَيْلِمَةُ يَقُولُ : إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا ، وَلَنْ تَعْدُوا أَمْرَ اللَّهِ هَيْكًا ، وَلَيْتَنِ أَدْبَرْتُ لَيَعْفِرَنَّكَ اللَّهُ ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرَيْتُ ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُحِبُّكَ عَنِّي ) ، ثُمَّ انْصَرَفَ ﷺ عَنْهُ (١) .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ( إِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرَيْتُ فِيهِ مَا أُرَيْتُ ) ٥ ، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ( بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا ، فَأَوْحَى إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْضَخْهُمَا ، فَانْضَخْتُهُمَا ، فَطَارَا ، فَأَوَلَّتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي ، أَحَدُهُمَا الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَابُ ) (٢) .

وَفِي رِوَايَةٍ : ( فَأَوَلَّتُهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا : صَاحِبَ صَنْعَاءَ وَصَاحِبَ الْيَمَامَةِ ) (٣) .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : ( الْعَنْسِيُّ : أَيُّ الَّذِي قَتَلَهُ فَيَرُوزُ بِالْيَمَنِ ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَابُ : أَيُّ الَّذِي قَتَلَهُ وَحْشِيُّ بْنُ حَرْبٍ الْحَبَشِيُّ قَاتِلُ حَمْزَةَ فِي قِتَالِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ لِأَهْلِ الرَّدَّةِ ) (٤) .

وُفُودٌ عَبْدُ الْقَيْسِ : وَمِنَ الْوُفُودِ عَبْدُ الْقَيْسِ ، وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِمْ ، أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .



كَانَ جَالِسًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ يَوْمًا فَقَالَ لَهُمْ : ( سَيَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هُنَا رَكْبٌ هُمْ خَيْرُ  
 أَهْلِ الْمَشْرِقِ ، لَمْ يُكْرَهُوا عَلَى الْإِسْلَامِ ، قَدْ أَنْصَوُا الرِّكَايِبَ وَأَهْتَوُوا الزَّادَ ،  
 اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ الْقَيْسِ ) .

فَلَمَّا أَتَوْا وَرَأَوْا النَّبِيَّ ﷺ رَمَوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَنِ الرِّكَايِبِ بِيَابِ الْمَسْجِدِ وَتَبَادَرُوا إِلَى  
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ . وَكَانَ فِيهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَوْفِ الْأَشْجِ ، وَكَانَ  
 أَصْفَرَهُمْ سِنًّا ، فَتَخَلَّفَ عِنْدَ الرِّكَايِبِ حَتَّى أَنْأَخَهَا وَجَمَعَ الْمَتَاعَ ، وَأَخْرَجَ ثَوْبَيْنِ  
 أَيْضَيْنِ فَلَبَسَهُمَا . ثُمَّ جَاءَ يَمْشِي هَوْنًا حَتَّى سَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ  
 عَبْدُ اللَّهِ رَجُلًا دَمِيمًا فَفَطِنَ لِنَظَرٍ مِنْ حَوْلِهِ إِلَى دِمَامَتِهِ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ :  
 إِنَّهُ لَا يُسْتَقَى فِي جُلُودِ الرِّجَالِ ، وَإِنَّمَا الرَّجُلُ بِأَصْفَرِيهِ : قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَقَالَ  
 ﷺ : ( إِنْ فِيكَ خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ : الْجَلْمُ وَالْأَنَاةُ ) .

وَقَدْ قَالَ ﷺ لِهَذَا الْوَفْدِ : مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ غَيْرِ خَزَايَا وَلَا نِدَامَى ، فَقَالُوا : يَا  
 رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ ، وَإِنَّهُ يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ  
 مُضَرَ . وَإِنَّا لَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي شَهْرِ حَرَامٍ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَضَّلَ ، فَقَالَ ﷺ :  
 ( أَمْرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ، أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ ؟ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ  
 مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تَعُطُوا  
 مِنَ الْمَغْتَمِ الْخُمْسَ ، وَأَنْهَاكُمُ عَنِ الدُّبَاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالنَّقِيرِ وَالْمُرْفَتِ (٦) ، وَالْمُرَادُ  
 بِذَلِكَ مَا يُنْبَذُ فِي هَذِهِ الْأَوَانِي وَيُعْتَقُ فِيهَا مِنَ الْخُمُورِ .. فَقَالَ الْأَشْجُ : يَا  
 رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ أَرْضُنَا ثَقِيلَةً وَخَمَةً ، وَإِنَّا إِذَا لَمْ نَشْرَبْ هَذِهِ الْأَشْرِبَةَ عَظُمَتْ  
 بُطُونُنَا فَرَحْصَ لَنَا فِي مِثْلِ هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى يَدِهِ . فَأَوْمَأَ ﷺ بِكَفِيهِ ، وَقَالَ : ( يَا  
 أَشْجُ : إِنْ رَحَّصْتُ لَكَ فِي مِثْلِ هَذِهِ شَرِبْتَهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ - وَفَرَّجَ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ

(١) أَنْصَوُا : أَهْرَلُوا ، وَذَلِكَ لِجَبِيهِمْ مِنْ مَسَافَاتٍ بَعِيدَةٍ .

(٢) لِأَنَّ دِيَارَهُمْ كَانَتْ بِسَاحِلِ الْغُلُجِ الْعَرَبِيِّ وَهِيَ دِيَارُ رَيْبَعَةٍ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحِجَازِ أَرْضُ نَجْدٍ .

(٣) وَهِيَ الْأَوَانِي الْمَصْنُوعَةُ مِنَ الْقَرَعِ الْيَابِسِ .

(٤) وَهِيَ الْأَوَانِي الْمَدْمُونَةُ بِدِهَانِ أَخْضَرٍ .

(٥) وَهِيَ الْأَوَانِي الْمَصْنُوعَةُ مِنْ أَصْلِ النَّخْلَةِ يَنْقَرُ فِيهَا .

(٦) وَهِيَ الْأَوَانِي الْمَخْلُوبَةُ بِالرُّفْتِ .

(٧) الْأَشْجُ : الَّذِي فِي جَبِينِهِ أَثَرُ الشَّجَّةِ وَاضِحٌ .

وَبَسَطَهَا - حَتَّى إِذَا لَمِلَ أَحَدُكُمْ مِنْ شَرَابِهِ قَامَ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ فَضَرَبَ سَاقَهُ  
بِالسَّيْفِ ) ، وَإِنَّمَا خَصَّ ﷺ نَهْيَهُمْ بِمَا ذَكَرَ لِكَثْرَةِ الْأَشْرَبَةِ بَيْنَهُمْ .  
وَفُؤُودٌ طَلِيءٌ : وَمِنْ الْوَفُودِ وَفَدُ طَلِيءٌ وَفِيهِمْ زَيْدُ الْخَيْلِ رَئِيسُهُمْ ، وَقَدْ قَالَ ﷺ فِي  
حَقِّهِ : ( مَا ذَكَرَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا قِيلَ فِيهِ إِلَّا زَيْدَ الْخَيْلِ ) .  
وَسَمَاءُ ﷺ زَيْدُ الْخَيْرِ .

وَفُؤُودٌ كِنْدَةٌ : وَمِنْهُمْ وَفَدُ كِنْدَةٌ وَفِيهِمْ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ ، وَكَانَ وَجِيهًا مُطَاعًا فِي  
قَوْمِهِ ، وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَبَأُوا شَيْئًا ، وَقَالُوا : أَخْبَرْنَا عَمَّا خَبَأْنَا  
لَكَ ؟ ، فَقَالَ ﷺ : ( سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّمَا يُفْعَلُ ذَلِكَ بِالْكَاهِنِ ، وَإِنَّ الْكَاهِنَ  
وَالْمُتَكَهِّنَ فِي النَّارِ ) ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : ( إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا لَا  
يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ) ، فَقَالُوا : أَسْمِعْنَا مِنْهُ ، فَتَلَا ﷺ :  
﴿ وَالصَّفَّاتِ صَفًّا • فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا • فَالتَّخْلِيَتِ ذِكْرًا • إِنَّ إِلَهَهُمُّ

لَوْ أَحَدٌ • رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾ (٢) .  
ثُمَّ سَكَتَ وَسَكَنَ وَدُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ ، فَقَالُوا : إِنَّا نَرَاكَ تَبْكِي ؟ أَأَفِينُ  
مَخَافَةَ مَنْ أَرْسَلَكَ تَبْكِي ؟ ، قَالَ ﷺ : ( إِنَّ خَشْيَتِي مِنْهُ أَبَكَّتْنِي ، بَعَثَنِي عَلَى  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فِي مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ ، إِنْ زِعْتُ عَنْهُ هَلَكْتُ ) ، ثُمَّ تَلَا ﷺ :

﴿ وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا •  
إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ • إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا • ﴾ (٣) .

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ ﷺ : أَلَمْ تَسْلِمُوا ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ ﷺ : ( مَا بَالُ هَذَا الْحَرِيرِ  
فِي أَعْنَاقِهِمْ ؟ ) ، فَعِنْدَ ذَلِكَ شَقُّوهُ وَالْقَوُّهُ .

وَفُؤُودٌ أَرْدٌ شَنْوَةٌ : وَمِنْهُمْ وَفَدُ أَرْدٌ شَنْوَةٌ ، وَرَئِيسُهُمْ صُرْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ ،  
وَأَمْرُهُ ﷺ عَلَيْهِمْ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يُجَاهِدَ بِمَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ .

(١) هُوَ زَيْدُ بْنُ مُهَلَّبِ بْنِ زَيْدِ الْكَلَابِيِّ ، أَبُو مَكْحَفٍ ، لَقِبُهُ زَيْدُ الْخَيْلِ لِكَثْرَتِهَا لَدَيْهِ ، كَانَ ﷺ فَارِسًا شَجَاعًا خَطِيبًا شَاعِرًا  
كَرِيمًا ، وَكَانَ جَيْهِيًّا مَوْضُوعًا بِالْحُسَيْنِ .  
(٢) سُورَةُ الصَّافَّاتِ (الآيَاتُ ١-٥) .  
(٣) سُورَةُ الْإِنشِرَاءِ (الآيَاتَانِ ٨٦ ، ٨٧) .

وَقُوْدُ رَسُوْلِ مُلُوْكِ حَمِيْرٍ ، وَكِتَابُهُ ﷺ إِلَيْهِمْ : وَمِنْهُمْ وَقَدْ رَسُوْلُ مُلُوْكِ حَمِيْرٍ وَهُمْ :

الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِكُلَالٍ ، وَنُعَيْمُ بْنُ عَبْدِكُلَالٍ ، وَالنُّعْمَانُ قَيْلٌ ذِي رُعَيْنٍ وَمُعَاوِرٍ وَهَمْدَانَ ، وَكَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا وَأَرْسَلُوا رَسُوْلَهُمْ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ :

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُوْلِ اللَّهِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِكُلَالٍ وَإِلَى نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِكُلَالٍ ، وَإِلَى النُّعْمَانِ قَيْلِ ذِي رُعَيْنٍ وَمُعَاوِرٍ وَهَمْدَانَ . أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؛ أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُوْلَكُمْ مَقْفَلَنَا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، فَلَقَيْنَاهُ بِالْمَدِيْنَةِ فَبَلَّغَ مَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ وَخَبَّرَ مَا قَبْلَكُمْ ، وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ يَهْدَاهُ إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ ، وَأَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ ، وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ، وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْفَنَائِمِ خُمْسَ اللَّهِ وَسَهْمَ النَّبِيِّ وَصَفِيَّهِ (٢) وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ مُحَمَّدًا النَّبِيَّ أَرْسَلَ إِلَى زُرْعَةَ بْنِ ذِي يَزِينَ إِذَا أَتَاكُمْ رُسُلِي فَأَوْصِيكُمْ بِهِمْ خَيْرًا : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ ، وَمَالِكُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَعُقَيْبَةُ بْنُ نَمِرٍ ، وَمَالِكُ بْنُ مُرَّةٍ ، وَأَصْحَابُهُمْ ، وَأَنْ أَجْمَعُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْجَزِيَّةِ مِنْ مَخَالِفِكُمْ وَأَبْلَغُوْهَا رُسُلِي . وَإِنْ أَمِيرُهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَلَا يَنْقَلِبَنَّ إِلَّا رَاضِيًا .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ مُحَمَّدًا يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ ، ثُمَّ إِنْ مَالِكُ بْنُ مُرَّةٍ الرَّهَاطِيُّ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّكَ قَدْ أَسْلَمْتَ مِنْ أَوْلِ حَمِيْرٍ وَقَتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَبَشِّرْ بِخَيْرٍ ، وَأْمُرْكَ بِحَمِيْرٍ خَيْرًا ، وَلَا تَخُونُوا وَلَا تَخَادَلُوا فَإِنَّ رَسُوْلَ اللَّهِ هُوَ مَوْلَى غَنِيَّتِكُمْ وَفَقِيْرِكُمْ ، وَإِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَجُلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِأَهْلِ بَيْتِهِ ، إِنَّمَا هِيَ زَكَاةٌ يُزَكَّى بِهَا عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَإِنْ مَالِكًا قَدْ بَلَغَ الْخَبَرَ وَحَفِظَ الْغَيْبَ ، وَأْمُرْكُمْ بِهِ خَيْرًا .. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ) .

(١) الْقَيْلُ : الرَّئِيسُ . وَهَذَا الْوَاحِدُ مِنْ مُلُوْكِ حَمِيْرٍ .

(٢) الصَّفِيُّ : مَا يُخْتَارُهُ الْقَائِدُ مِنَ الْفَنَائِمِ لِنَفْسِهِ قَبْلَ قِسْمَتِهَا عَلَى الْجُنُودِ .

(٣) مَخَالِفِكُمْ : جَمْعُ مَخْلَافٍ ، وَهِيَ الْكُوْرَةُ بِلُغَةِ الْيَمَنِ جَمْعُهَا أَكْوَارٌ : وَهِيَ النَّوَاحِي مِنْ كُلِّ بَلَدٍ .

وَفُودُ هَمْدَانَ: وَمِنْهَا وَفُودُ هَمْدَانَ، وَفِيهِمْ مَالِكُ بْنُ النَّمِطِ، وَكَانَ شَاعِرًا مُجِيداً  
 فَلَقُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِمْ مَقَطَّمَاتٌ مِنَ الْحَبْرَاتِ الِيمَنِيَّةِ وَالْعَمَائِمِ الْعَدِيَّةِ،  
 فَحَامَ مَالِكُ بْنُ النَّمِطِ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَصِيَّةٌ<sup>(٢)</sup> مِنْ هَمْدَانَ،  
 مِنْ كُلِّ حَاضِرٍ وَبَادٍ، أَتَوَكَّ عَلَى قُلُوصِ نَوَاجٍ<sup>(٣)</sup>، مُتَّصِلَةٌ بِحَبَائِلِ الْإِسْلَامِ، لَا  
 تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، مِنْ مَخْلَافٍ خَارِفٍ وَيَامٍ وَشَاكِرٍ<sup>(٤)</sup>، أَهْلُ السَّوْدِ  
 وَالْقَوْدِ، أَجَابُوا دَعْوَةَ الرَّسُولِ، وَفَارَقُوا الْأَلْهَابَ وَالْأَنْصَابَ، وَعَهْدُهُمْ لَا يُنْقَضُ  
 مَا أَقَامَتْ لَعَلَعٌ<sup>(٦)</sup>، وَمَا جَرَى الْيَعْفُورُ بِضَلَعٍ<sup>(٧)</sup>،<sup>(٨)</sup>  
 ثُمَّ أَنْشَدَ مَالِكٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنَى \* صَوَادِرَ بِالرُّكْبَانِ مِنْ هَضْبٍ قَرَدٍ<sup>(٩)</sup>  
 بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِيْنَا مُصَدِّقٌ \* رَسُولٌ أَنَّى مِنْ عُنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُهْتَدٍ  
 فَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا \* أَشَدَّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ

وَقَدْ أَمَرَهُ ﷺ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فِي حَقِّ هَمْدَانَ:  
 (نِعْمَ الْحَىُّ هَمْدَانُ، مَا أَسْرَعَهَا إِلَى النَّصْرِ وَأَصْبَرَهَا عَلَى الْجَهْدِ، وَفِيهِمْ  
 أَبْدَالٌ وَفِيهِمْ أَوْتَادٌ)<sup>(١٠)</sup>

وَفُودٌ تُحِيبُ: وَمِنْهَا وَقَدْ تُحِيبُ (قَبِيلَةٌ مِنْ كِنْدَةَ): وَقَدْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
 ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ: وَمَعَهُمْ صَدَقَاتُ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَسَرَّ  
 بِهِمْ ﷺ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُمْ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا سُقْنَا إِلَيْكَ حَقَّ اللَّهِ فِي  
 أَمْوَالِنَا، فَقَالَ ﷺ: (رُدُّوْهَا فَاقْسِمُوهَا عَلَى فُقَرَائِكُمْ)، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ  
 مَا قَدِمْنَا عَلَيْكَ إِلَّا بِمَا فَضَّلَ عَن فُقَرَائِنَا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا

(١) مَقَطَّمَاتٌ: لِيَابِ مَخْبِطَةٍ، وَالْحَبْرَاتُ: بَرُودٌ يَمْنِيَّةٌ.  
 (٢) النَّصِيَّةُ جِيَارُ الْقَوْمِ.  
 (٣) الْقُلُوصُ: الْإِبِلُ الْقَتِيَّةُ، نَوَاجٍ: مُسْرَعَةٌ.  
 (٤) خَارِفٍ وَيَامٍ وَشَاكِرٍ: حَبَائِلُ بِالْيَمَنِ.  
 (٥) الْيَعْفُورُ: وَكَلْدُ الطَّنْبِيَّةِ.  
 (٦) الرَّاقِصَاتُ: الْإِبِلُ، وَصَوَادِرُ: نَوَاجِعُ، وَالْقَرَدُ: مَا ارْتَقَعَ مِنَ الْأَرْضِ.  
 (٧) الْأَبْدَالُ وَالْأَوْتَادُ: رُتْبَةٌ وَدَرَجَةٌ مِنْ مَرَاتِبٍ وَدَرَجَاتِ الْأَوْلِيَاءِ. يَمْنَعُهَا اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَحَقِّقِ بِسَخَاوَةِ النَّفْسِ  
 وَسَلَامَةِ الْقَلْبِ.

قَدِمَ عَلَيْنَا وَفَدَّ مِنَ الْعَرَبِ مِثْلَ هَذَا الْوَفْدِ ، فَقَالَ ﷺ : ( إِنَّ الْهُدَى بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ  
 وَجَلَّ ، فَمَنْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا شَرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ ) ، وَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْقُرْآنِ  
 فَازْدَادَ ﷺ رَغْبَةً فِيهِمْ ، ثُمَّ أَرَادُوا الرَّجُوعَ إِلَى أَهْلِيهِمْ ، فَقِيلَ لَهُمْ : مَا يُعْجَلُكُمْ  
 قَالُوا : نَرْجِعُ إِلَى مَنْ وَرَاءَنَا فَتُنْخِبُهُمْ بِرُؤْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلِقَائِنَا إِيَّاهُ وَمَا رَدَّ عَلَيْنَا  
 ثُمَّ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَدَّعَوْهُ ، فَأَجَازَهُمْ بِأَفْضَلِ مَا كَانَ يُجِيزُهُ بِهِ الْوَفْدُ .  
 ثُمَّ قَالَ لَهُمْ ﷺ : هَلْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ ؟ قَالُوا : غُلَامٌ خَلَفْنَاهُ عَلَى رِحَالِنَا وَهُوَ  
 أَحَدُنَا سِنًا ، قَالَ ﷺ : فَأَرْسَلُوهُ إِلَيْنَا ، فَأَرْسَلُوهُ ، فَأَقْبَلَ الْغُلَامُ . وَقَالَ : يَا  
 رَسُولَ اللَّهِ أَنَا مِنَ الرَّهْطِ الَّذِينَ أَتَوْكَ أَنْفَاءً فَكَضَيْتَ حَوَائِجَهُمْ فَأَقْضِ حَاجَتِي .  
 قَالَ ﷺ وَمَا حَاجَتُكَ ؟ ، قَالَ : تَسْأَلُ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَيَرْحَمَنِي وَيَجْعَلَ غِنَايَ  
 فِي قَلْبِي ، فَقَالَ ﷺ : ( اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَاجْعَلْ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ) ، ثُمَّ أَمَرَ  
 لَهُ ﷺ بِمِثْلِ مَا أَمَرَ بِهِ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ .

وَفُودٌ ثَعْلَبِيَّةٌ : وَمِنْهَا وَفْدٌ ثَعْلَبِيَّةٌ : وَفَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ مُقَرَّرِينَ  
 بِالْإِسْلَامِ ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا رُسُلٌ مِنْ خَلْفِنَا مِنْ قَوْمِنَا ،  
 وَنَحْنُ مُقَرَّرُونَ بِالْإِسْلَامِ ، وَقَدْ قِيلَ لَنَا إِنَّكَ تَقُولُ : لَا إِسْلَامَ لِمَنْ لَا هِجْرَةَ لَهُ ،  
 فَقَالَ ﷺ : ( حَيْثُمَا كُنْتُمْ وَاتَّقَيْتُمُ اللَّهَ فَلَا يَضُرُّكُمْ ) ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : ( كَيْفَ  
 بِلَادِكُمْ ؟ ) ، فَقَالُوا : مُخَصَّبُونَ ، فَقَالَ ﷺ : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ ) ، ثُمَّ أَقَامُوا فِي  
 ضِيَاغَتِهِ أَيَّامًا ، وَحِينَ إِرَادَتِهِمُ الْإِنْصِرَافَ أَجَازَ ﷺ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِخَمْسِ أَوْاقٍ  
 مِنْ فِضَّةٍ .

وَفُودٌ بَنِي سَعْدِ هُدَيْمٍ : وَمِنْهَا وَفْدٌ بَنِي سَعْدِ هُدَيْمٍ مِنْ قُضَاعَةَ ، قَالَ النُّعْمَانُ وَهُوَ  
 مِنْهُمْ : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَافِدًا فِي نَعْرٍ مِنْ قَوْمِي ، وَقَدْ أَوْطَأَ  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبِلَادَ وَأَزَاحَ الْعَرَبَ ، وَالنَّاسُ صِنْفَانِ : إِمَّا دَاخِلٌ فِي الْإِسْلَامِ  
 رَاغِبٌ فِيهِ وَإِمَّا خَائِفٌ السَّيْفِ ، فَنَزَلْنَا نَاحِيَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ خَرَجْنَا نَوْمُ  
 الْمَسْجِدِ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى بَابِهِ ، فَوَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَى جَنَازَةٍ فِي

المَسْجِدِ ، فَقُمْنَا خَلْفَهُ نَاحِيَةً وَلَمْ نَدْخُلْ مَعَ النَّاسِ فِي صَلَاتِهِمْ ، وَقُلْنَا حَتَّى  
يُصَلِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنُبَايَعَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَنَظَّرَ إِلَيْنَا فَدَاعَبَنَا  
فَقَالَ : ( وَمَنْ أَنْتُمْ ؟ ) ، فَقُلْنَا : مِنْ بَنِي سَعْدِ هُدَيْمٍ ، فَقَالَ ﷺ : ( أَمْسِلْمُونَ  
أَنْتُمْ ؟ ) قُلْنَا : نَعَمْ ، فَقَالَ ﷺ : ( هَلَّا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ أَحْيَكُمْ ؟ ) ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ  
اللَّهِ ظَنَنَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ لَنَا حَتَّى نُبَايَعَكَ ، فَقَالَ ﷺ : ( أَيِنَّمَا أَسْلَمْتُمْ فَأَنْتُمْ  
مُسْلِمُونَ ) ، قَالَ : فَأَسْلَمْنَا وَبَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَيْدِينَا عَلَى الْإِسْلَامِ ثُمَّ  
انْصَرَفْنَا إِلَى رِحَالِنَا ، وَقَدْ كُنَّا خَلْفَنَا عَلَيْهَا أَصْغَرْنَا ، فَبَعَثَ ﷺ فِي طَلَبِنَا ،  
فَأَتَى بِنَا إِلَيْهِ ، فَتَقَدَّمَ صَاحِبُنَا فَبَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ  
إِنَّهُ أَصْغَرْنَا وَإِنَّهُ خَادِمُنَا ، فَقَالَ ﷺ : ( سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ ) .  
قَالَ النُّعْمَانُ : فَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرِنَا وَأَقْرَبَنَا لِلْقُرْآنِ لِدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ .. ثُمَّ  
أَجَازَهُمْ ﷺ وَانْصَرَفُوا .

وَفُودُ بَنِي فِزَارَةَ : وَمِنْهَا وَفَدُ بَنِي فِزَارَةَ : وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ  
مُقَرَّبِينَ بِالْإِسْلَامِ وَهُمْ مُسْتَبْتُونَ <sup>(١)</sup> ، فَسَأَلَهُمْ ﷺ عَنْ بِلَادِهِمْ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : يَا  
رَسُولَ اللَّهِ أَسُنَّتْ بِلَادُنَا ، وَهَلَكَتْ مَوَاشِينَا ، وَأَجْدَبَ أَجْنَابُنَا ، وَجَاعَتِ عِيَالُنَا ،  
فَادْعُ لَنَا رَبِّكَ يُغِيثْنَا ، وَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، وَلِيَشْفَعْ لَنَا رَبُّكَ إِلَيْكَ ، فَقَالَ ﷺ :  
( سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَيَلَكَ هَذَا ) أَنَا أَشْفَعُ إِلَى رَبِّي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ رَبُّنَا إِلَيْهِ ! لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهِيَ تَبْطُ <sup>(٢)</sup> مِنْ عَظَمَتِهِ  
وَجَلَالِهِ كَمَا يَبْطُ الرَّحْلُ <sup>(٤)</sup> . ( الْحَدِيثُ ) ، أَي مِنْ ثِقَلِ الْجَمَلِ ، ثُمَّ صَعِدَ ﷺ  
الْمَنْبِرَ وَدَعَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى أَغَاثَ بِلَادَ هَذَا الْوَفْدِ بِالْمَطَرِ الْغَزِيرِ وَالرَّحْمَةِ  
التَّامَّةِ .

وَفُودُ بَنِي أَسَدٍ : وَمِنْهَا وَفَدُ بَنِي أَسَدٍ ، وَفِيهِمْ ضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَرِ ، وَطَلِيحَةُ بْنُ  
خُوَيْلِدٍ الَّذِي ادَّعَى النَّبُوَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَاسْلَمُوا ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْنَاكَ

(١) مُسْتَبْتُونَ : أَي أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ مُجْدِبَةٌ قَلِيلَةُ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ . (٢) أَجْنَابُنَا : نَاحِيَتُنَا ، وَجَنْبُ كُلِّ شَيْءٍ نَاحِيَتُهُ .

(٣) أَبْطُ : صَوْتُ ، وَذَلِكَ مِنْ تَبُّ أَوْ ثِقَلِ جَمَلٍ أَوْ حَبْرٍ ، وَالصَّوْتُ مِنْهُ أَطْيَبُ .

(٤) الرَّحْلُ : مَا يُوَضَّعُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ لِلرُّكُوبِ .

تَدْرَعُ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ فِي سَنَةِ شَهْبَاءِ ( ذَاتِ فَحْطٍ وَجَدْبٍ ) ، وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْنَا بَعَثًا ،  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : ﴿ يَمُوتُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُوتُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ

بَلِ اللَّهُ يَمُوتُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾

وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْعِيَاةِ وَالْكَهَانَةِ

وَضَرْبِ الْحَصْبَاءِ (٢) فَهَاهُمْ ﷺ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنْ ضَرْبِ الرَّمْلِ ، فَقَالَ

ﷺ : ( عُلْمُهُ نَبِيٌّ ، فَمَنْ صَادَفَ مِثْلَ عِلْمِهِ فَذَكَ وَالْأَفْلَا ) .. ثُمَّ أَقَامُوا أَيَّامًا

يَتَعَلَّمُونَ الْفَرَائِضَ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ وَدَعُوا وَانصَرَفُوا بَعْدَ أَنْ أُجِيزُوا .

وُفُودُ بَنِي عُذْرَةَ : وَمِنْهَا وَفْدُ بَنِي عُذْرَةَ ، وَوَفْدُ بَنِي بِلْيَ ، وَوَفْدُ بَنِي مُرَّةَ ، وَوَفْدُ

خَوْلَانَ ( وَهِيَ قَبِيلَةٌ مِنَ الْيَمَنِ ) ، وَقَدْ أَمَرَهُمُ ﷺ بِالْوَفَاءِ بِالْمَعْهِدِ ، وَأَدَاءِ

الْأَمَانَةِ ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ لِمَنْ جَاوَزُوا ، وَالْأَيُّظْلُمُوا أَحَدًا فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ .

وُفُودُ بَنِي مُحَارِبٍ : وَمِنْهَا وَفْدُ بَنِي مُحَارِبٍ ، وَكَانُوا مِنَ الَّذِينَ رَدُّوا الرِّدَّ الْقَبِيحَ

حِينَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ب ( عُكَازٍ ) يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَى اللَّهِ .

فَمَا أَعْظَمَ مَنَّةَ اللَّهِ الَّذِي آتَى بِهِؤْلَاءِ ( وَكَانُوا أَلَدَّ الْأَعْدَاءِ ) مُسْلِمِينَ مُنْقَادِينَ .

وُفُودُ غَسَّانَ : وَمِنْهَا وَفْدُ غَسَّانَ ، وَوَفْدُ بَنِي عَبْسٍ ، وَوَفْدُ النَّخَعِ .

وَكَانَ ﷺ يُقَابِلُ هَذِهِ الْوُفُودَ بِمَا جَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَشَاشَةِ وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ ،

وَيُجِيزُهُمْ بِمَا يُرْضِيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْإِيمَانَ وَالشَّرَائِعَ لِيُعَلِّمُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ ، وَكَانَتْ

هَذِهِ الْوُفُودُ أَعْظَمَ وَصْلَةٍ لِإِظْهَارِ الدِّينِ بَيْنَ الْأَعْرَابِ فِي الْبُوَادِي .

وَفَاةُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ النَّبِيِّ ﷺ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوَفِّيَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

مِنَ السَّيِّدَةِ مَارِيَةَ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا ضَمْنَ أَحْدَاثِ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهَجْرَةِ عِنْدَ

الْحَدِيثِ عَنْ وِلَادَتِهِ حَدِيثًا مُسْتَفِيضًا حَوْلَ هَذَا الْحَدِيثِ .

( ١ ) سُورَةُ الْعُجْرَاتِ ( الْآيَةُ ١٧ ) .

( ٢ ) الْعِيَاةُ : هِيَ ذُجْرُ الطَّيْرِ وَالْتَعَاوُلُ بِأَسْمَائِهَا وَأَصْوَاتِهَا وَمَمَرُهَا وَالتَّخْرُصُ عَلَى الْغَيْبِ .

( ٤ ) رَمَى الْغَضَى لِمَعْرِفَةِ الْغَيْبِ أَدْعَاءَ .

( ٣ ) هِيَ الْإِخْبَارُ عَنِ الْكَائِنَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .

## السَّنةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ

سَرِيَّةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ : لِأَرْبَعِ بَعَيْنٍ مِنْ شَهْرِ صَفْرِ جَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا وَأَمَرَ عَلَيْهِ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ﷺ (١) لِيَغْزُوا أُبْنَى ( وَهِيَ قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ مُوتَةَ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ ) حَيْثُ قُتِلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَالِدُ أُسَامَةَ ، وَقَالَ لَهُ ﷺ :

( سِرُّ إِلَى مَوْضِعِ قَتْلِ أَبِيكَ ، فَأَوْطِئْتَهُمُ الْخَيْلَ ، فَقَدْ وَلَّيْتُكَ هَذَا الْجَيْشَ ، فَأَغْزُ صَبَاحًا عَلَى أَهْلِ أُبْنَى ، وَحَرِّقْ عَلَيْهِمْ ، وَأَسْرِعِ السَّيْرَ لِتَسْبِقَ الْأَخْبَارَ ، فَإِنْ أَظْفَرَكَ اللَّهُ فَأَقِلَّ اللَّبْثَ فِيهِمْ ، وَخُذِ الْأَدْلَاءَ وَقَدِّمِ الْعِيُونَ وَالطَّلَائِعَ مَعَكَ ) .

وَكَانَ مَعَ أُسَامَةَ فِي هَذَا الْجَيْشِ كِبَارُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﷺ .

ثُمَّ عَقَدَ ﷺ لِأُسَامَةَ اللَّوَاءَ ، وَقَالَ لَهُ : ( اغْزُ بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ) (٢) .

وَقَدْ انْتَمَدَ جَمَاعَةٌ عَلَى تَأْمِيرِ أُسَامَةَ وَهُوَ شَابٌّ لَمْ يَتَجَاوَزِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ عَلَى جَيْشٍ فِيهِ كِبَارُ الْمُهَاجِرِينَ ، فَأُبْلِغَ الرَّسُولُ ﷺ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَخَرَجَ وَقَالَ : ( إِنْ تَطَلَعْنَا فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْمَعُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَإِيْمُ اللَّهِ ، إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَإِنَّ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ ) (٣) .

وَلَمْ يَتِمَّ لِهَذَا الْجَيْشِ الْخُرُوجُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لِأَنَّ الْمَرَضَ بَدَأَهُ ، فَأَقَامُوا بِالْجُرْفِ ( عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ) يَنْتَظِرُونَ مَا اللَّهُ قَاضٍ فِي رَسُولِهِ .

تَذَكُّرَةٌ وَذِكْرَى : وَلَا يَخْفَى مِنْ تَأْمِيرِ أُسَامَةَ ﷺ مِنْ حِكْمَةٍ بِالْعِغَةِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ إِذْ فِيهِ قَضَاءٌ عَلَى الْمُنْجِهِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالتَّفَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ وَالْأَحْسَابِ ؛ فَقَدْ كَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَفِيقًا وَهُوَ وَالِدُ أُسَامَةَ هَذَا ، وَهُوَ فِي أَصْلِهِ مَوْلَى ، وَكَانَ أُسَامَةُ هَتَّى صَغِيرًا ، فَلَا الصِّغَرُ وَلَا الرَّقُّ الْقَدِيمُ مَنَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَنْ يَجْعَلَهُ

(١) هُوَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ . مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجِبَّةُ وَابْنُ جِبَّةٍ . وَأُمَةٌ أُمَّ أَيْمَنَ (بِرَكَّة) مَوْلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَاضِنَتُهُ تُوْفَى ﷺ فِي سَنَةِ ٤٤ هـ وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ .



أَمِيرًا عَلَى عَامَّةِ الصَّحَابَةِ فِي غَزْوَةِ مُهِمَّةٍ كُبْرَى .

وَفِي ذَلِكَ تَرْسِيخُ مَبْدَأِ أَنَّ أَفْضَلِيَّةَ الْإِنْسَانِ وَفَقَّ كِفَاءَتِهِ وَمَا يَمْتَلِكُهُ مِنْ أَسْبَابٍ ..  
وَفِيهِ أَيْضًا تَقْرِيرُ عَمَلِيٍّ لِمَبْدَأِ الْمُسَاوَاةِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَفِيهِ أَيْضًا تَهْيِئَةُ الْفُرْصِ  
لِلشَّبَابِ الصَّالِحِ ، وَإِثَارَةُ عَزَائِمِهِمْ وَهَمَمِهِمْ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ ، وَتَعْوِيدُهُمْ  
الاضْطِلَاعَ بِالتَّبَعَاتِ الْجِسَامِ ، وَالْمَهَامِ الْعِظَامِ .

وَأَمَامَ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ وَهَذَا الْمِعْيَارِ فَلَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِلَّا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَإِنْ  
أَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ أَوَّلُ عَمَلٍ قَامَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فِي خِلَافَتِهِ هُوَ  
إِنْفَادُ جَيْشِ أُسَامَةَ ، وَخَرَجَ رضي الله عنه فَشَبَّعَ جَيْشَهُ بِنَفْسِهِ مَا شَاءَ وَأُسَامَةُ رَاكِبٌ ، فَقَالَ  
لَهُ أُسَامَةُ رضي الله عنه : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، لَتَرْكَبَنَّ أَوْ لَأَنْزَلَنَّ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه :

وَاللَّهِ لَا نَزَلْتُ وَلَا رَكِبْتُ ، وَمَا عَلَيَّ أَنْ أُغَبَّرَ قَدَمَيَّ سَاعَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ .

وَلَقَدْ رَجَعَ أُسَامَةُ رضي الله عنه مِنْ هَذِهِ الْغَزْوَةِ مَنْصُورًا ظَافِرًا وَكَانَ فِي تَسْيِيرِ ذَلِكَ  
الْجَيْشِ نَفْعٌ عَظِيمٌ لِلْمُسْلِمِينَ .<sup>(١)</sup>

مَرَضُ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه :

وَقَدْ بَدَأَهُ صلوات الله عليه مَرَضُهُ فِي أَوَاخِرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي  
بَيْتِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ رضي الله عنها ، وَاسْتَمَرَ صلوات الله عليه مَرِيضًا ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا كَانَ فِي  
خِلَالِهَا يَنْتَقِلُ إِلَى بَيْوتِ أَزْوَاجِهِ .

اسْتِدَادُ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه :

وَلَمَّا اسْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ اسْتَأْذَنَ مِنْهُنَّ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ  
الصَّدِيقَةَ رضي الله عنها فَأُذِنَ لَهُ .. وَلَمَّا دَخَلَ بَيْتَهَا وَاسْتَدَّ عَلَيْهِ وَجَعَهُ ، قَالَ صلوات الله عليه :

( هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرِيبٍ لَمْ تُحَلَّلْ أَوْ كَيْتِهِنَّ <sup>(٢)</sup> لِعَلِّيْ أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ ) ، فَأَجْلَسَ  
فِي مَخْضَبٍ وَصَبَّ عَلَيْهِ الْمَاءُ حَتَّى أَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتَنَّ ، وَكَانَ هَذَا  
الْمَاءُ لَتَخْفِيفِ حَرَارَةِ الْحُمَى الَّتِي كَانَتْ تُصِيبُ مَنْ يَضَعُ يَدَهُ فَوْقَ نَوْبِهِ صلوات الله عليه .

(١) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ .

(٢) أَوْكَيْتِهِنَّ : جَمْعُ وَكَاءٍ . وَهُوَ الْعَيْطُ أَوْ مَا يُشَدُّ بِهِ رَأْسُ الْجَزْيَةِ أَوْ الْكَيْسِ أَوْ الصَّرَةِ .

(٣) الْمَخْضَبُ : وَعَاءٌ مِنْ خَشَبٍ أَوْ حَجَرٍ يُضَلُّ فِيهِ الشَّبَابُ ( طَبْتُ ) .

وَفِي (صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ) ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه فِي مَرَضِهِ ، وَهُوَ يُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا ، فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا ، قَالَ : ( أَجَلٌ ، إِنِّي لِأُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ ) ، قُلْتُ : ذَلِكَ ، بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ ؟ ، قَالَ : ( أَجَلٌ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى ، شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا ، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ ، كَمَا تَحَاتُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا ) (١)

أَمْرُ النَّبِيِّ صلوات الله عليه أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ :

وَفِي (الصَّحِيحَيْنِ) ، عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : ثَقُلَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه فَقَالَ : ( ضَعُفُوا لِي مَاءٌ فِي الْمِخْضَبِ ) ، فَمَعَلْنَا ، فَاغْتَسَلَ ، فَأَعْمَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ بِصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، فَقَالَ : ( أَصَلَّى النَّاسُ ؟ ) قُلْنَا : لَا ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ ، فَقَالَ : ( مُرُوا أَبِي بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ ) (٢)

قَالَتْ : فَرَأَجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه فِي ذَلِكَ ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَمَعْ فِي قَلْبِي : أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلًا قَامَ مَقَامَهُ أَبَدًا ، وَلَا كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ أَحَدٌ إِلَّا تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَعِدِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه عَنْ أَبِي بَكْرٍ (٣)

فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه إِلَيَّ أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِالنَّاسِ تِلْكَ الْأَيَّامَ وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ .

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه ( أَي : بَعْدَ أَيَّامٍ ) وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً ، فَخَرَجَ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلوات الله عليه بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ ، وَقَالَ : ( أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ ) ، فَأَجْلَسَاهُ ، فَجَمَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتُمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه ، وَالنَّاسُ يَأْتُمُونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ ( أَي : كَالْمُبَلِّغِ لَهُمْ ) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، وَالْوَعَكُ : الْعُمَى ، حَاتَتْ تَسَاقَطَتْ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

## خُطْبَتُهُ ﷺ فِي النَّاسِ :

وَلَمَّا رَأَتْ الْأَنْصَارُ اشْتِدَادَ وَجَعِ الرَّسُولِ ﷺ أَطَافُوا بِالْمَسْجِدِ ، فَدَخَلَ الْعَبَّاسُ  
 ﷺ وَأَعْلَمَهُ بِمَكَانِهِمْ وَإِسْفَاقِهِمْ ، فَخَرَجَ ﷺ مُتَوَكِّئاً عَلَى عَلِيٍّ وَالْفَضْلِ ﷺ ،  
 وَتَقَدَّمَ الْعَبَّاسُ ﷺ أَمَامَهُمْ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعْصُوبُ الرَّأْسِ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ ، حَتَّى  
 جَلَسَ فِي أَسْفَلِ مِرْقَاةٍ مِنَ الْمِنْبَرِ ، فَتَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ  
 قَالَ : ( إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدٍ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ) .  
 - قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ( رَاوِيَ الْحَدِيثِ ) فِي نَفْسِهِ : مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ ؟ أَنْ  
 يَكُونَ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدٍ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،  
 فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ - .

سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ : ( يَا أَيُّهَا بَكْرٌ لَا تَبْكُوا ، إِنَّ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ نَكْرًا وَمِنْ مُسْخَرِيهِ وَمَالِهِ  
 أَيُّهَا بَكْرٌ ، وَلَوْ كُنْتُمْ مُتَعَدِّينَ خَيْرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَبْكُونَ ، وَأَكْبَرُ أَسْوَأِ الْإِسْلَامِ  
 مَسْخَرَتُهُ ، لَا يَنْهَوْنَ مِنَ الْمَسْخَرِ حَوْجَةُ إِلَّا مُدَّتْ الْأَحْوَجَةُ لَيْسَ بَشَرٌ ) (١)

( الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) . كَرَّرَ ذَلِكَ مِرَارًا .

ثُمَّ قَالَ ﷺ : ( فَأَوْصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْرًا ، وَأَوْصِي الْمُهَاجِرِينَ فِيمَا  
 بَيْنَهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَالْعَصْرِ ● إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ حَكِيمٌ ● إِلَّا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ● ﴾ (٢) .  
 وَإِنَّ الْأُمُورَ تَجْرِي بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ أَمْرٍ عَلَى اسْتِعْجَالِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ  
 عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعْجَلُ بِعَجَلَةٍ أَحَدٍ ، وَمَنْ غَالَبَ اللَّهَ غَلْبَهُ ، وَمَنْ خَادَعَ اللَّهَ خَدَعَهُ :  
 ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ● ﴾ (٣) .  
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ الدُّنُوبَ تُغَيِّرُ النِّعَمَ وَتُبَدِّلُ الْقِسْمَ فَإِذَا بَرَّ النَّاسُ بَرَّهُمْ  
 أَيْمَتُهُمْ وَإِذَا فَجَرُوا عَقُوبَهُمْ .

وَأَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُمْ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ ، حَوْجَةٌ : الْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْبَابُ .

(٢) سُورَةُ الْعَصْرِ . (٣) سُورَةُ مُحَمَّدٍ (الآيَةُ ٢٢) .

تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ ، أَلَمْ يُشَاطِرُواكُمْ فِي الثَّمَارِ ؟ أَلَمْ يُوسِّعُوا لَكُمْ فِي الدِّيَارِ ؟ أَلَمْ يُؤْثِرُواكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِهِمُ الْخِصَاصَةُ ؟ .. أَلَا فَمَنْ وَلِيٌّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَلَيقِلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَلِيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ، أَلَا وَلَا تَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ ، أَلَا وَإِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَاحِقُونَ بِي ، أَلَا فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ ، أَلَا فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِدَهُ عَلَى غَدَاً فَلْيَكْفُفْ يَدَهُ وَلِسَانَهُ إِلَّا فِيمَا يَنْبَغِي ) .

نَعَى النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ إِلَى فَاطِمَةَ ﷺ وَبِشَارَتَهُ لَهَا :

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، أَنَّهُ ﷺ دَعَا ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ ﷺ ، فِي شَكْوَاهُ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا ، فَسَارَهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ ، ثُمَّ دَعَاها فَسَارَهَا بِشَيْءٍ فَضَحِكَتْ .

قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ﷺ : فَسَأَلْتُهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : أَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبِضُ فِي وَجَعِهِ ذَلِكَ فَبَكَتْ ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ يَتَّبِعُهُ فَضَحِكْتُ .<sup>(٢)</sup>  
فَتَوَفَّيْتُ ﷺ بَعْدَهُ ﷺ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ .

وَيُبَشِّرُ النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ ﷺ بِأَنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ .  
وَدَعَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَبِلَهُمَا ، وَأَوْصَى بِهِمَا خَيْرًا ، وَدَعَا أَزْوَاجَهُ فَوَعَّظَهُنَّ وَذَكَرَهُنَّ .

كَثْرَةُ نَزُولِ الْوَحْيِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّنَةِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا :

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ ﷺ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَابَعَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ نَزُولَ الْوَحْيِ حِينَ تَوَفَّاهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ ، ثُمَّ تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ .<sup>(٣)</sup>  
قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ الْوَفُودِ وَسُؤَالِهِمْ عَنِ الْأَحْكَامِ .

تَأَثَّرُ فَاطِمَةَ ﷺ لِمَا أَلَمَّ بِأَبِيهَا :

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، أَنَّهُ لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَفَشَّاهُ الْكَرْبُ ، فَقَالَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ ﷺ : وَكَرَبَ أَبَاهُ ، فَقَالَ ﷺ : ( لَيْسَ عَلَيَّ أَيْبُكَ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ ) .<sup>(٤)</sup>

(١) الْفَرَطُ : الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْوَارِدَةَ إِلَى الْحَوْضِ وَيُهَيِّئُ لَهُمُ الدَّلَاءَ وَيَسْتَقْبِلُ لَهُمْ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ ﷺ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ ﷺ .

## تَخْيِيرُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ قَبْضِهِ :

وفى ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ صَاحِبُ يَقُولٍ : ( إِنَّهُ لَنْ يُقْبِضَ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَيُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) ، فَسَمِعْتُهُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ يَقُولُ ، وَقَدْ أَخَذَتْهُ بُحَّةٌ :  
﴿ مَعَ الَّذِينَ اتَّعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١) .

وفى رِوَايَةٍ : ثُمَّ شَخَّصَ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : ( اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى ) .  
فَقُلْتُ : إِذَا لَا يُخْتَارُنَا ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَاحِبُ (٢) .

وفى رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ : ( اللَّهُمَّ اغْضُرْ لِي وَارْحَمْنِي ، وَالْحَقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى ) (٣) .  
ظُهُورُ النَّبِيِّ ﷺ صَبِيحَةَ يَوْمِ وِفَاتِهِ :

وفى ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَمَا هُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُصَلِّي بِهِمْ ، لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَتَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ ، فَتَبَسَّمَ يَضْحَكُ ، فَتَكَصَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقْبِيهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَقَالَ أَنَسٌ : وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتَبُوا فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ : ( أَنْ أَتَمُّوا صَلَاتَكُمْ ) ، وَدَخَلَ الْحُجْرَةَ ، وَأَرَخَى السِّتْرَ ، وَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤) .

## مُعَالَجَةُ النَّبِيِّ ﷺ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ :

وفى ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ عِنْدَهُ رَكُوعَةٌ فِيهَا مَاءٌ ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِيهَا ، وَيَمْسَحُ بِهَا وَجْهَهُ ، وَيَقُولُ : ( أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ) ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : ( فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ) ، حَتَّى قَبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥) .

(٢) . (٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(١) سُورَةُ النَّسَاءِ ( مِنَ الْآيَةِ ٦٩ ) .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي الصَّلَاةِ .

اسْتِفَادَةٌ مِنْ حُبِّ الرَّسُولِ ﷺ لِقَاءِ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى :

قَالَ الْعُلَمَاءُ : إِنَّمَا لَمْ يَزَنْ ﷺ يُكْرَرُهَا لِأَنَّ التَّخْيِيرَ لَمْ يَزَنْ يُعَادُ عَلَيْهِ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَتَضَمَّنُ حُبَّ لِقَاءِ اللَّهِ ؛ الَّذِي هُوَ لُبَابُ التَّوْحِيدِ ، وَسِرُّ الذِّكْرِ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ . وَوَنَّهُ يُسْتَفَادُ أَنَّهُ لَا يَشْتَرِكُ فِي نَجَاةِ الْمُحْتَطِرِ أَنْ يَتَّقَطَّ بِ ( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) ، إِذَا مَاتَ وَقَلْبُهُ مُخْلِصًا بِالْإِيمَانِ

عُمَرُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ قُبُضٍ : وَفِي (صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ) . عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ يُعِثُّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَمَكَتُ بِ ( مَكَّةَ ) ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ ، فَهَاجَرَ إِلَى ( الْمَدِينَةِ ) عَشْرَ سِنِينَ ، وَتُوفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً . (١)

دَهْشَةُ الْمُسْلِمِينَ لَوَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ : وَلَمَّا قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَاخْتَارَ لَهُ مَا عِنْدَهُ ؛ دَهْشَ أَصْحَابُهُ ﷺ دَهْشَةً عَظِيمَةً ، وَطَاشَتْ أَحْلَامُهُمْ لِعِظَمِ الْمُصِيبَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَثْبَتُ مِنَ الْعَبَّاسِ وَأَبِي بَكْرٍ ﷺ .

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي ( السَّمَائِلِ النَّبَوِيَّةِ ) ، وَابْنُ مَاجَهَ فِي ( السُّنَنِ ) عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ ( الْمَدِينَةَ ) أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ . (٢)

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو سُوْفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : (٣)

أَرِقْتُ فَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ \* وَلَيْلُ أَخِي الْمُصِيبَةِ فِيهِ طُولُ  
وَأَسْعَدَنِي الْبُكَاءُ وَذَلِكَ فِيمَا \* أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ  
لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ \* عَشِيَّةَ قَيْلٍ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ  
وَأَضْحَتْ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَاهَا \* تَكَادُ بِنَا جَوَانِبُهَا تَعْمِيلُ  
فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فِيِنَا \* يَرُوحُ بِهِ وَيَعْدُو جِبْرَائِيلُ  
وَذَلِكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتُ عَلَيْهِ \* نُفُوسُ النَّاسِ أَوْ كَادَتْ تَسِيلُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ .

(٣) الْبِدَائَةُ وَالنَّهَائَةُ ، لـ ( ابْنِ كَيْسِرٍ ) .

نَبِيٌّ كَانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنَّا \* بِمَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ  
 وَيَهْدِينَا فَمَا نَخْشَى ضَلَالًا \* عَلَيْنَا وَالرَّسُولُ لَنَا دَلِيلٌ  
 أَفَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فَذَاكَ عُدْرٌ \* وَإِنْ لَمْ تَجْزَعِي ذَاكَ السَّبِيلُ  
 فَقَبْرِ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ \* وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ

مَوْفِقُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه مِنْ وَفَاةِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه :

وَلَمَّا انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى كَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ب ( الْعَالِيَةِ ) ،  
 فَقَامَ عُمَرُ رضي الله عنه وَسَلَّ سَيْفَهُ وَتَوَعَّدَ مَنْ يَقُولُ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَقَالَ : إِنَّمَا أُرْسِلَ  
 إِلَيْهِ كَمَا أُرْسِلَ إِلَى مُوسَى فَلَبِثَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، وَلِيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ ، فَلْيَقْطَعَنَّ  
 أَيْدِي رِجَالِ وَأَرْجُلَهُمْ .. فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِ  
 رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فَجَثَا يُقْبَلُهُ وَيَبْكِي ، وَيَقُولُ : تُوْفِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، صَلَوَاتُ  
 اللَّهِ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَطْيَبَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ  
 مَوْتَيْنِ ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مَتَّهَا .

ثُمَّ خَرَجَ رضي الله عنه إِلَى النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثَمَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا مَنْ كَانَ يَعْْبُدُ  
 مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، ثُمَّ تَلَا  
 قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> وَقَوْلُهُ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾  
 قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ  
 يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنِ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
 فَنَشَّحَ النَّاسُ بِالْبَكَاءِ حِينَئِذٍ ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى  
 تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ يَتْلُوها ، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : وَاللَّهِ مَا  
 هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَمَّرْتُ <sup>(٤)</sup> ، وَعَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه قَدْ مَاتَ <sup>(٥)</sup> .

زَمَنُ وَفَاةِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه : وَكَانَتْ وَفَاةُ صلوات الله عليه ضُحَى يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ، ثَالِثَ عَشَرَ رَبِيعِ

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( الْآيَةُ ١٤٤ ) .

(١) سُورَةُ الزُّمَرِ ( الْآيَةُ ٢٠ ) .

(٣) النَّشِيْجُ : صَوْتٌ مَعَهُ تَوَجُّعٌ وَبُكَاءٌ ، كَمَا يُرَدُّ الصَّبِيُّ بُكَاءَهُ فِي صَدْرِهِ .

(٤) عَمَّرْتُ : أَنَهَارْتُ فَوَائِي وَسَقَطْتُ .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

الأوّل ( ٨ يونيو سنة ٦٢٢ م ) ، ودُفِنَ ﷺ لَيْلَةَ الأَرْبَعَاءِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ .  
 دَفِنَ النَّبِيُّ ﷺ : وَإِنَّمَا تَأَخَّرَ دَفْنُهُ ﷺ لِاِخْتِلَافِهِمْ فِي مَوْتِهِ ، حَتَّى أزالَ الشُّكَّ  
 عَنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَحَتَّى انْتَهَى المُسْلِمُونَ مِنْ إِقَامَةِ خَلِيفَةٍ عَلَيْهِمْ .  
 ثُمَّ اخْتَلَفُوا أَيضاً أَيَّن يُدْفَنُ ؟ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : فِي ( مَسْجِدِهِ ) ، وَمِنْهُمْ مَنْ  
 قَالَ : فِي ( البَقِيعِ ) حَيْثُ دُفِنَ ابْنُهُ إِبرَاهِيمُ وَأَصْحَابُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : يُحْمَلُ  
 إِلَى ( القُدْسِ ) عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى أزالَ الشُّكَّ أَبُو بَكْرٍ  
 الصِّدِّيقُ أَيضاً ، فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : ( مَا دُفِنَ نَبِيٌّ إِلَّا  
 حَيْثُ يَمُوتُ ) (١) .

ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَكَانَ الَّذِي يُفَسِّلُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَيُسَاعِدُهُ العَبَّاسُ  
 وَابْنَاهُ الفَضْلُ وَهَتَمٌ . وَمَعَهُمَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَشُقْرَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،  
 وَكُنَّ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بَيْضٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ .  
 وَلَمَّا فَرَعُوا مِنْ تَجْهِيْزِهِ ﷺ وَضَعَ عَلَى سَرِيْرِهِ فِي بَيْتِهِ ، وَدَخَلَ النَّاسُ أَرْسَالاً  
 ( أَي جَمَاعَاتٍ ) عَشْرَةَ فَعَشْرَةَ ، مُتَّبَاعِينَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ ﷺ وَلَمْ يَوْمَهُمْ أَحَدٌ ؛  
 وَصَلَّى عَلَيْهِ أَوْلَا أَهْلِ عَشِيْرَتِهِ ، ثُمَّ المُهَاجِرُونَ ، ثُمَّ الأَنْصَارُ ، وَصَلَّتْ عَلَيْهِ  
 النِّسَاءُ بَعْدَ الرِّجَالِ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ الصِّبْيَانُ .  
 ثُمَّ حَفَرَ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِحْدًا فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حَيْثُ تُوْفِيَ ﷺ ، وَأَنْزَلَهُ  
 القَبْرَ عَلَى وَالعَبَّاسُ وَوَلَدَاهُ الفَضْلُ وَهَتَمٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَرَسَّ قَبْرَهُ بِبِلَالٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالمَاءِ ، وَرَفَعَ  
 قَبْرَهُ ﷺ عَنِ الأَرْضِ قَدْرَ شِبْرٍ .  
 أَمْرٌ سَقِيْفَةٌ بَنِي سَاعِدَةَ :

أَرَادَ الأَنْصَارُ أَنْ يَتَمَيَّزُوا عَنِ المُهَاجِرِينَ ، وَأَنْ يَعْقِدُوا الخِلَافَةَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ  
 رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَأَطْفَأَ اللَّهُ نَارَ الفِتْنَةِ عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ بِأَنَّ الأُمَّةَ مِنْ  
 قُرَيْشٍ ؛ وَلِهَذَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ( لَوْلَا أَبُو بَكْرٍ لَهَلَكَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ ) .

(١) أَخْرَجَهُ مالِكٌ فِي ( المَوْمِئَاتِ ) . وَابْنُ ماجَةٍ فِي ( السُّنَنِ ) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .



## مُبَايَعَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَفِي ( صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ) ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَظَبَ النَّاسَ فِي خِلَافَتِهِ ( فَذَكَرَ حَدِيثَ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ ) . فَقَالَ : إِنَّهُ كَانَ مِنْ خَيْرِنَا حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَهُ ﷺ ، إِلَّا أَنَّ الْأَنْصَارَ خَالَفُونَا ، وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَاَنْطَلِقْنَا حَتَّى آتَيْنَاهُمْ ، فَقَالَ قَاتِلُهُمْ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَكِتَابَةُ الْإِسْلَامِ ( أَيِ الَّتِي اجْتَمَعَ إِلَيْهَا آحَادُ النَّاسِ ) فِيمَنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ ، وَلَنْ يُعْرِفَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا . وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، فَبَايَعُوا أَيُّهُمَا شِئْتُمْ ، وَأَخَذَ بِيَدِي وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا ، فَلَمْ أَكْرَهُ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا ، كَانَ وَاللَّهِ أَنْ أَقْدَمَ فَيُضْرَبَ عُنُقِي ، لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِيَّامِ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَثُرَ اللَّفْطُ <sup>(١)</sup> ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ ، حَتَّى خِفْتُ مِنَ الْاِخْتِلَافِ ، مَا وَجَدْنَا فِيهَا حَضْرَنَا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ ، خَشِينَا إِنْ فَارَقْتَاهُمْ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةً أَنْ يُبَايَعُوا رَجُلًا مِنْهُمْ بَعْدَنَا ، فَإِنَّمَا أَنْ يُبَايَعَهُمْ عَلَى مَا لَا نَرْضَى . وَإِنَّمَا أَنْ نُخَالَفَهُمْ فَيَقَعَ الْفَسَادُ ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ : ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ ، ثُمَّ بَايَعْتَهُ الْأَنْصَارُ ، ثُمَّ كَانَتْ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ مِنَ الْغَدِ .

رُؤُوسُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اللَّائِي تُوَفِّي عَنْهُنَّ : وَتُوَفِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ تِسْعِ زَوَاجَاتٍ وَهُنَّ : عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، وَحَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ ، وَجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْمُصْطَلِقِيَّةُ ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ الْأُمَوِيَّةُ ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ الْأَسَدِيَّةُ ، وَسَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ الْعَامِرِيَّةُ ، وَصَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ بْنِ أَخْطَبِ النَّضْرِيَّةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ الْهَارُونِيَّةِ ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةُ ، وَأُمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ بِنْتُ أُمِّيَّةِ الْمَخْزُومِيَّةِ .. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ وَعَنْ سَائِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ .

(١) اللَّفْطُ : الصَّوْتُ وَالصَّجِيحُ .

تَوْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَ لِلْمُسْلِمِينَ مَا إِنْ اتَّبَعُوهُ لَمْ يَضُرَّهُمْ شَيْءٌ : كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ، وَسُنَّتَهُ الَّتِي هِيَ نُورٌ وَمِنْهَا حَيَاةٌ وَبَيَانٌ لِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَعِثْرَتُهُ أَهْلَ بَيْتِهِ الَّذِينَ هُمْ قَبَسٌ مِنْ نُورِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَتَرَكَ ﷺ أَصْحَابَهُ الْبِرَّةَ الْكِرَامَ يُوَضِّحُونَ الدِّينَ ، وَيَتَمَمُونَ فَتْحَ الْبِلَادِ ، وَيُظْهِرُونَ فِي الدُّنْيَا شَمْسَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْقَوِيمِ حَتَّى يُتِمَّ اللَّهُ كَلِمَتَهُ وَيُحَقِّقَ وَعْدَهُ ، وَقَدْ فَعَلَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

اسْتَدْرَاكُ : ( غَدِيرِخُمْ ) ، وَخُطْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ :

وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، قَالَ : لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَنَزَلَ غَدِيرِخُمْ ، قَالَ :

( كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَّهِ ، وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا ، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ) . ثُمَّ قَالَ ﷺ : ( اللَّهُ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ ) ، ثُمَّ أَخَذَ ﷺ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ : ( مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ) فَالْمُرَادُ مِنَ الْمَوْلَاةِ : النَّصْرَةُ فِي الدِّينِ : فَإِنَّ لَفْظَ ( مَوْلَى ) قَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرًا بِمَعْنَى ( الْمَوْلَاةِ فِي الدِّينِ وَالنُّصْرَةَ فِيهِ ) :

( ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ) <sup>(١)</sup> ، ( فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ

وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ ) <sup>(٢)</sup> ، ( وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ) <sup>(٣)</sup>

( وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ) <sup>(٤)</sup>

وَلَا حُجْمَةَ لِمَنْ جَعَلَ فِي حَدِيثِ الْغَدِيرِ قَائِمَةً بِأَنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ بِالنَّصِّ وَالتَّعْيِينِ لَا بِالتَّجَرُّدِ وَالتَّيَسُّرِ وَالِاخْتِيَارِ ، وَقَدْ رَأَى الْإِمَامُ عَلِيُّ الصَّادِقُ فِي الدَّيْمِ النَّازِي لِتَبِعَهُ سَتِيفَةَ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَأَمَّا مَا يُقَالُ : إِنْ رِيئَتَهُ كَانَتْ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَجْدِيدًا لِتَبِعِهِ وَتَرْثِيمًا لَهَا . <sup>(٥)</sup>

(١) سُورَةُ مُحَمَّدٍ ( مِنْ الْآيَةِ ١١ ) . (٢) سُورَةُ التَّحْرِيمِ ( مِنْ الْآيَةِ ٤ ) . (٣) سُورَةُ التَّوْبَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ٧١ ) .  
(٤) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ٥٦ ) . (٥) الْبِدَايَةُ وَالتَّهْمَاةُ .

ذَكَرُ بَعْضِ مَا اشْتَهَرَ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ .. وَظَهَرَ مِنْ عِلَامَاتِ نُبُوَّتِهِ

وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ صَحَّةِ إِيْمَانٍ لِمَنْ اعْتَقَدَ ذَلِكَ مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ

تَوْبِهِ .. وَتَبْيِيهِ : وَمَا دَفَعْنَا إِلَى التَّذْكِيرِ بِمَا جَاءَ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَّا الْوَاجِبُ الْإِيْمَانِيُّ تَجَاهَ كُلِّ مُسْلِمٍ لِيَكُونَ عَلَى حَذَرٍ مِنَ الْأَنْسِلَاحِ عَنِ الدِّينِ إِذَا هُوَ أَنْجَرَ فِي تِيَارٍ مَنْ يَحْمِلُ رَايَةَ الْمُعَاصِرَةِ وَالتَّطْوِيرِ وَالحَدَاثَةِ وَالتَّوْوِيرِ فَلَا يُقِيمُ وَزْنَاً لِلْمُعْجَزَاتِ الَّتِي وَقَعَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَسَاسٍ أَنَّ الْمُعْجَزَةَ الَّتِي يَنْبَغِي الْحَدِيثُ عَنْهَا فَقَطْ هِيَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ، وَلَمْ يَتَوَرَّعُوا وَسَمَ الْحَدِيثِ عَنْهَا أَنَّهُ ضَرْبٌ مِنَ التَّخْلُفِ وَالجَهْلِ .

فَبَدَأَتْ تَنْتَشِرُ كُتُبٌ وَكِتَابَاتٌ فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، تَسْتَبْدِلُ بِمِيزَانِ الرِّوَايَةِ وَالسَّنَدِ وَقَوَاعِدِ التَّحْدِيثِ وَشُرُوطِهِ ، طَرِيقَةَ الْأَسْتِنْتَاكِجِ الشَّخْصِيِّ ، وَمِيزَانَ الرِّضَا النَّفْسِيِّ ، وَمَنْهَجَ التَّوَسُّمِ الَّذِي لَا يَضْبِطُهُ شَيْءٌ إِلَّا دَوَافِعُ الرِّغْبَةِ ، وَكَوَامِنُ الْأَغْرَاضِ وَالمَذَاهِبِ الَّتِي يُضْمِرُهَا الْمُؤَلِّفُ .

وَاعْتِمَاداً عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَخَذَ يَسْتَبْعِدُ هَؤُلَاءِ الْكَاتِبُونَ كُلَّ مَا قَدْ يُخَالِفُ المَأْلُوفَ ، مِمَّا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْمُعْجَزَاتِ وَالخَوَارِقِ مِنْ سَيْرَتِهِ ﷺ ، وَرَاحُوا يَرُوجُونَ لَهُ صِفَةَ العَبْقَرِيَّةِ وَالعَظْمَةِ وَالبُطُولَةِ وَمَا شَاكَلَهَا ، شَغْلًا لِلْقَارِيءِ بِهَا عَنْ صِفَاتٍ قَدْ تَجَرَّهَ إِلَى غَيْرِ المَأْلُوفِ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَنَحْوِهَا مِمَّا يُشَكِّلُ المَقَوْمَاتِ الْأُولَى لِشَخْصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَيُعَدُّ كِتَابُ ( حَيَاةُ مُحَمَّدٍ ) لِحَسَنِ هَيْكَلٍ أَبْرَزُ نَمُودَجٍ لِهَذَا الْإِتِّجَاهِ فِي كِتَابَةِ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَيُعَبَّرُ مُؤَلِّفُهُ عَنِ اتِّجَاهِهِ هَذَا بِصِرَاحَةٍ وَفَخَّرَ عِنْدَمَا يَقُولُ : ( إِنِّي لَمْ أَخْذُ بِمَا سَجَلْتُهُ كُتُبُ السَّيْرَةِ وَالحَدِيثِ ، لِأَنِّي فَضَّلْتُ أَنْ أُجْرِيَ فِي هَذَا الْبَحْثِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْعِلْمِيَّةِ )

وَمِنْ نَمَازِجِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْحَدِيثِيَّةِ فِي كِتَابَةِ السَّيْرَةِ وَفَهْمِهَا ، تِلْكَ المَقَالَاتُ الْمُتَتَابِعَةُ الَّتِي نَشَرَهَا مُحَمَّدُ فَرِيدٌ وَجَدِي فِي مَجَلَّةِ نُورِ الْإِسْلَامِ تَحْتَ عُنْوَانِ :

( السيرة المحمديّة تحت ضوء العلم والفلسفة ) والتي يقولُ في بعضٍ منها :  
( وقد لاحظ قُرأونا أننا نحرصُ فيما نكتبه في هذه السيرة ، على ألاّ نسرفَ في  
كلِّ ناحيةٍ إلى ناحية الإعجاز ، مادامَ يُمكنُ تعليلها بالأسبابِ العاديّةِ حتّى ولو  
بشيءٍ من التكلّف ) .

ومن نماذج هذه الطريقتة أيضاً تلك الكتابات الكثيرة التي ظهرت لطائفة من  
المُستشرقين عن حياة سيّدنا محمد ﷺ في نطاق أعمالهم وكتاباتهم التاريخيّة  
التي قامت على المنهج الذاتي الذي يقبله العقل بدعوى سلطان العلم .

وبعد ، فقد كانت هذه الطريقتة في دراسة السيرة النبويّة خصوصاً ، والتاريخ  
الإسلاميِّ عموماً ، مكيدة خطيرة عشيبت عن رؤيتها أعين البسطاء من بعض  
المُسلمين وصادفت هوى وقبولاً حسناً عند طائفة أخرى من المنافقين  
وأصحاب الأهواء .

لقد غاب عن أعين أولئك البسطاء ، أن ذلك الهمس الشيطاني الذي يدعو  
المُسلمين إلى ما أسموه بثورة إصلاحية في شؤون العقيدة الإسلاميّة ، إنما  
قصده في الحقيقة نفس هذه العقيدة من جذورها .

وغاب عنهم أن تفريع الإسلام من حقائقه الغيبية ، إنما يعني حشوه بمنجزات  
ناسفة تحيله أثراً بعد عين ؛ ذلك أن الوحي الإلهي ( وهو ينبوع الإسلام  
ومصدره ) يعدّ قِمة الخوارق والحقائق الغيبية كلها . ولا ريب أن الذي يُسرّع إلى  
رفض ما قد جاء في السيرة النبويّة من خوارق العادات ، بحجة اختلافها عن  
مقتضى سنن الطبيعة ومدارك العلم الحديث ، يكون أسرع إلى رفض الوحي  
الإلهيِّ كلّهُ بما يتبعه ويتضمّنه من إخباراته عن النُشور والحساب والجنّة والنار  
بالحجة الطبيعيّة ذاتها .

كما غاب عنهم أن الدين الصالح في ذاته لا يحتاج في عصرٍ ما إلى مُصلح  
يتدرك شأنه ، أو إصلاح يُغيّر من جوهره .

نُعَوِّدُ إِلَى ذِكْرِ بَعْضِ مَا اشْتَهَرَ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ ، فَمِنْ ذَلِكَ : انشِطَاقُ الْقَمَرِ ،  
 وَرُدُّ الشَّمْسِ وَحَبْسُهَا لَهُ ، وَنَبْخُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، وَتَكَثِيرُ الطَّعَامِ الْيَسِيرِ  
 بِبَرَكَتِهِ ، وَكَلَامُ الشَّجَرِ وَالْحَجَرِ وَشَهَادَاتُهَا لَهُ بِالنُّبُوَّةِ ، وَشَهَادَةُ الْحَيَوَانَاتِ لَهُ  
 بِالرِّسَالَةِ ، وَشِفَاءُ الْعَالِ بِرِيضِهِ وَكُفُّهُ الْمُبَارَكَةِ ، وَإِجَابَةُ سُعَائِهِ لِمَنْ دَعَا لَهُ  
 وَصَلَّاحُ مَا كَانَ فَاسِدًا بِأَمْرِهِ ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْمُؤَمِّينَاتِ وَمَا كَانَ وَوَمَا هُوَ أَنْ  
 مَا عَظَّمَهَا مُعْجَزَةٌ : الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ

فَهَذِهِ عَشْرَةٌ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، وَالآيَاتِ الظَّاهِرَةِ ، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا  
 مُنْطَوٍ عَلَى مَا لَا يَحْضُرُهُ عَدٌ ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ حَدٌ ، وَلَكِنَّا نُشِيرُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا إِلَى  
 شَيْءٍ مِنْهُ : ﴿ لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيْمَانًا ﴾ (١) ،  
 فَتَقُولُ :

أَوَّلُ النَّوْعِ الْأَوَّلِ : وَهُوَ انشِطَاقُ الْقَمَرِ ، وَرُدُّ الشَّمْسِ وَحَبْسُهَا لَهُ ﷺ ، فَقَدْ قَالَ  
 اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (٢) .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي ( صَحِيحِهِ ) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : انشَقَّ  
 الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ ، وَفِرْقَةٌ دُونَهُ ، فَقَالَ  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَي لِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : ( اشْهَدُوا ) (٣) ، وَفِي رِوَايَةٍ : ( حَتَّى  
 رَأَيْتُ الْجَبَلَ بَيْنَ فِرْقَتَيْ الْقَمَرِ ) (٤) .

فَقَالَ كُفَّارُ فَرِيضٍ : سَحَرَكُمُ مُحَمَّدٌ .. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : إِنْ مُحَمَّدًا إِنْ كَانَ  
 سَحَرَكُمُ ، فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُ مِنْ سِحْرِهِ أَنْ يَسْحَرَ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلِّهَا . فَاسْأَلُوا مَنْ  
 يَأْتِيكُمْ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ : هَلْ رَأَوْا مِثْلَ هَذَا ؟ فَاتَّوَا فَسَأَلُوهُمْ ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْا  
 مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَذَا سِحْرٌ مُسْتَهْرٌ .

وَخَرَجَ الطَّلْحَاوِيُّ فِي ( مُشْكَلِ الْحَدِيثِ ) بِإِسْنَادَيْنِ صَحِيحَيْنِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ  
 كَانَ يُوحَى إِلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي جِجْرِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلَمَّ يُصَلِّ عَلَى الْعَصْرِ حَتَّى غَرَبَتْ

(١) سُورَةُ الْمُنَادِرِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢١ ) .  
 (٢) سُورَةُ الْقَمَرِ ( الْآيَةُ ١ ) .  
 (٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .  
 (٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

الشَّمْسُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( أَصَلَيْتَ الْعَصْرَ يَا عَلِيُّ ؟ قَالَ : لَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ) ( اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ فِي طَاعَتِكَ ، وَطَاعَةِ رَسُولِكَ ، فَارْدُدْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ ) (١) فَطَلَعَتِ الشَّمْسُ بَعْدَمَا غَرَبَتْ ، وَأَشْرَقَتْ عَلَى الْجِبَالِ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِ ( الصَّهْبَاءِ ) فِي غَزْوَةِ ( خَيْبَرَ ) .

وَرَوَى الْحَافِظُ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ . أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ ، وَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِالرُّفْقَةِ الَّتِي وَجَدَهُمْ فِي طَرِيقِ ( الشَّامِ ) ، فِي الْعِيرِ الْآتِيَةِ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ : مَتَى تَحِيءُ الْعَيْرُ ؟ فَقَالَ ﷺ : ( يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ) . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ احْتَبَسَتِ الْعَيْرُ . وَأَشْرَفَتْ قُرَيْشٌ يَنْتَظِرُونَ . وَدَنَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ ، فَحَبَسَ اللَّهُ الشَّمْسَ سَاعَةً . حَتَّى قَدِمَتِ الْعَيْرُ ، بَعْدَ أَنْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ أَنْ يَحْبِسَهَا لَهُ (٢) وَأَمَّا الْمَنْعُ الثَّانِي : وَهُوَ نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ . فَالْأَحَادِيثُ فِيهِ كَثِيرَةٌ :

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ حَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ ، فَانْتَمَسَ النَّاسُ الْوُضُوءَ (٣) فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِوَضُوءٍ ، ( وَفِي رِوَايَةٍ : بِإِنَاءٍ لَا يَكَادُ يَغْمُرُ أَصَابِعَهُ ) فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ .

قَالَ : فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبِعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، حَتَّى تَوَضَّؤُوا عَنْ آخِرِهِمْ (٤) .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( اظْلُبُوا مِنْ مَعَهُ فَضْلُ مَاءٍ ) . فَأَتَى بِقَلِيلِ مَاءٍ فَصَبَّهُ فِي إِنَاءٍ . ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبِعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ .

فَائِدَةٌ .. بِكُلِّ خَيْرٍ عَائِدَةٌ :

قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَإِنَّمَا طَلَبَ ﷺ فَضْلَ الْمَاءِ لِيَكُونَ مِنْ بَابِ تَكْثِيرِ الْقَلِيلِ ، لَا مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّحَاوِيُّ فِي مُشْكَلِ الْأَنْبَاءِ .

(٢) ذَكَرَهُ الرَّيْهَنِيُّ فِي ( الْإِنْعَافِ ) ، وَمِزَاهُ لِابْنِ بُكَيْرٍ فِي ( زِيَادَةِ الْمَنَافِي ) عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

(٣) الْوُضُوءُ : الْمَاءُ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ . (٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

بَابُ الْإِجَادِ مِنَ الْعَدَمِ ، لِثَلَا يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ أَنَّهُ الْمَوْجِدُ لِلْمَاءِ .

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) أَيْضاً ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ، قَالَ : عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ ( الْحُدَيْبِيَّةِ ) ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ <sup>(١)</sup> ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ ، فَقَالُوا : لَيْسَ لَنَا مَاءٌ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ هَذِهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرُّكْوَةِ ، فَجَعَلَ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ صلى الله عليه وسلم ، كَأَمْثَالِ الْعِيُونِ .

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ : وَسَلِمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه ، أَنَّهُمْ نَزَحُوا بِئْرَ ( الْحُدَيْبِيَّةِ ) فَلَمْ يَتْرُكُوا فِيهَا قَطْرَةً ، وَكَانَتْ قَلِيلَةَ الْمَاءِ ، لَا تَرَوِي خَمْسِينَ شَاةً ، فَفَزَحَ صلى الله عليه وسلم مِنْهَا دَلْوًا وَبَصَقَ فِيهِ ، وَأَعَادَهُ إِلَيْهَا ، فَجَاشَتْ بِالْمَاءِ الْغَزِيرِ ، حَتَّى أَرَوَى الْجَيْشَ أَنْفُسَهُمْ وَرِكَابَهُمْ .

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه ، قَالَ : أَصَابَ النَّاسَ عَطَشٌ شَدِيدٌ ، وَهُمْ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَوَجَّهَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَهُمَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ، وَأَعْلَمَهُمَا أَنَّهُمَا يَجِدَانِ امْرَأَةً بِمَكَانٍ كَذَا ، مَعَهَا بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ ، فَوَجَدَاهَا ، فَاتَيَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَجَعَلَ فِي إِيَّاهُ مِنْ مَزَادَتَيْهَا <sup>(٢)</sup> ، وَقَالَ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ، ثُمَّ أَعَادَ الْمَاءَ فِي الْمَزَادَتَيْنِ ، ثُمَّ فُتِحَتْ عَزَالِيهِمَا <sup>(٣)</sup> ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْ مَزَادَتَيْهَا ، فَمَلُّوْا أَسْقِيَتَهُمْ حَتَّى لَمْ يَدْعُوا سِقَاءً إِلَّا مَلُؤُوهُ ، قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ : ثُمَّ أَوْكَيْتَهُمَا <sup>(٤)</sup> ، وَتَخَيَّلَ لِي أَنَّهُمَا لَمْ يَزِدَادَا إِلَّا امْتِلَاءً ، ثُمَّ أَمَرَ فَجَمَعَ لَهَا مِنَ الْأَزْوَادِ حَتَّى مَلَأَ ثَوْبَهَا ، قَالَ : ( اذْهَبِي فَإِنَّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مَائِكَ شَيْئًا ) : أَي : لَمْ نَنْقُصْهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَقَانَا ) .

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي جَيْشِ الْمُسْرَةِ ، فَعَطَشَ النَّاسُ عَطَشًا شَدِيدًا ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنَّا لَيَنْحَرُّ

(١) الرُّكْوَةُ : إِيَّاهُ مِنْ جِلْدٍ .

(٢) الْمَزَادَةُ : إِيَّاهُ مِنْ جِلْدٍ كَالرَّأْيَةِ لَهَا فَمِ ، تَمْلَأُ مَاءً لِلشَّرْبِ ، فَالْمَزَادَةُ وَالرَّأْيَةُ وَالْقَرْبَةُ كُلُّهَا تُضَعُّ مِنَ الْجِلْدِ ، وَلَكِنْ بَعْضُهَا أَكْبَرُ مِنْ بَعْضٍ ، وَأَكْبَرُهَا الرَّأْيَةُ .

(٣) الْعَزَالِي : مُفْرَدُهَا عَزَالَةٌ ؛ وَهِيَ مَصْبُ الْمَاءِ مِنَ الْقَرْبَةِ .

(٤) أَوْكَا : رَبَطَ . أَوْ شَدَّ بِالْوِكَاءِ ، وَهُوَ مَا يُشَدُّ بِهِ رَأْسُ الْقَرْبَةِ .

بَعِيرُهُ ، فَيَعْصِرُ فَرْتَهُ <sup>(١)</sup> فَيَشْرِبُهُ ، فَرَعِبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّعَاءِ ،  
فَرَفَعَ يَدَيْهِ ، فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ <sup>(٢)</sup> ، فَاَنْسَكَبَتْ ، فَمَلُّوْا مَا مَعَهُمْ مِنْ  
الْأَسْقِيَةِ <sup>(٣)</sup> ، وَلَمْ يُجَاوِزِ الْمَطْرُ الْعَسْكَرَ .

وَفِي ( صَحِيحِ مُسْلِمٍ ) عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ ،  
فَقَالَ : ( يَا جَابِرُ نَادِ الْوُضُوءَ ) ، فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً إِلَّا قَطْرَةً فِي فَمِ مَزَادَةٍ ، فَقَالَ  
( ائْتِنِي بِجَفْنَةِ الرَّايِبِ ) ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ كَفَّهُ فِيهَا ، وَصَبَّ عَلَيْهِ  
ذَلِكَ الْمَاءِ ، فَقَالَ : ( بِاسْمِ اللَّهِ ) ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يُفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، حَتَّى  
امْتَلَأَتِ الْجَفْنَةُ ، وَاسْتَدَارَتْ ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالِاسْتِقْيَاءِ مِنْهَا ، فَاسْتَقَوْا ، وَأَسْقَوْا  
رِكَابَهُمْ ، فَرَفَعَ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ <sup>(٤)</sup> ، وَإِنَّا لَمَلَأَى .

وَرَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي ( الْمَوْطَأِ ) ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ  
ﷺ فِي غَزْوَةِ ( تَبُوكَ ) ، فَوَرَدْنَا الْعَيْنَ ، فَوَجَدْنَاهَا تَبِيضٌ <sup>(٥)</sup> بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ مِثْلَ  
الشَّرَاكِ <sup>(٦)</sup> ، فَغَرَفُوا مِنْهَا شَيْئًا فِي إِنَاءٍ ، فَفَسَلَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ، وَأَعَادَهُ  
فِيهَا ، فَجَرَتْ بِمَاءٍ كَثِيرٍ ، لَهُ جِسٌّ كَجِسِّ الصَّوَاعِقِ ، ثُمَّ قَالَ : ( يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ  
مَا هَاهُنَا جَنَانًا ) - أَي : بِسَاتِينَ - فَكَانَ كَذَلِكَ .

وَأَمَّا الذُّوْعُ الثَّلَاثُ : وَهُوَ تَكْثِيرُ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ بِبِرْكَتِهِ ﷺ فَكَثِيرٌ أَيْضًا ، فَمِنْ ذَلِكَ :  
حَدِيثُ أَنَسٍ رضي الله عنه ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ بَعَثَهُ بِأَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ ، تَحْتَ إِبْطِهِ ، فَفَتَّهَا  
ﷺ وَأَشْبَعَ مِنْهَا ثَمَانِينَ رَجُلًا <sup>(٧)</sup> .

وَحَدِيثُ جَابِرٍ رضي الله عنه ، أَنَّهُ صَنَعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ وَعِنَاقًا <sup>(٨)</sup> ، وَطَلَبَ خَامِسَ  
خَمْسَةٍ ، فَتَنَادَى فِي أَهْلِ ( الْخَنْدَقِ ) وَكَانُوا أَفْأَ جِيَاعًا ، فَأَكَلُوا مِنْ ذَلِكَ كُلُّهُمْ ،  
حَتَّى انْصَرَفُوا ، قَالَ جَابِرٌ : وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنْ بُرْمَتْنَا لَتَغَطُّ <sup>(٩)</sup> كَمَا هِيَ ، وَإِنْ عَجِينَنَا

(١) فَرْتُهُ : مَا فِي كِرْبَتِهِ .

(٢) الْأَسْقِيَةُ : مُفْرَدُهَا مِيقَاءٌ ؛ وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ يَكُونُ لِلْمَاءِ وَاللَّبَنِ .

(٣) تَبِيضٌ : تَبْيِيلٌ .

(٤) مُتَّقٍ عَلَيْهِ : أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

(٥) الْبُرْمَةُ : الْقَدْرُ .

(٦) بُرْمَتْنَا لَتَغَطُّ : إِنْ قَدَرْنَا لَيْتَلِي وَيَفُورُ مِنَ الْاِمْتَلَاءِ ، فَيَسْمَعُ غَطْبَطُهَا ؛ صَوْتُ غَلْيَانِهَا .. وَالغَطْبِطُ : صَوْتُ النَّائِمِ أَيْضًا .

(٧) عِنَاقًا : مَاءٌ قَلِيلٌ جَدًّا .

(٨) عِنَاقٍ : الْأَنْثَى مِنْ وَلَدِ الْعَمَزِ .



لِيُخْبِرَ (١)

وَحَدِيثُ جَابِرٍ أَيْضاً ( الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ ) ، أَنَّهُ حِينَ مَاتَ أَبُوهُ أَبِي غُرْمَاوُهُ أَنْ يَقْبَلُوا ثَمْرَةَ نَخِيلِهِ بِدَيْنِهِ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَلَسَ عَلَى بَيْدِرٍ وَاحِدٍ مِنْهَا ، فَكَانَ لَهُمْ حَتَّى أَوْفَاهُمْ مِنْهُ ، وَسَلِمَتْ لَهُ مِنْهُ بَقِيَّةٌ مَعَ سَائِرِ الْبَيَادِرِ . (٢)

وَحَدِيثُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا بِي بَكْرٍ عِنْدَ قُدُومِهِمَا فِي الْهَجْرَةِ مَا يَكْفِيهِمَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : ( أَدْعُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ ) ، فَدَعَاهُمْ ، فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ . فَقَالَ ﷺ : ( أَدْعُ سِتِينَ ) ، فَدَعَاهُمْ ، فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ ، فَقَالَ ﷺ : ( أَدْعُ سَبْعِينَ ) ، فَدَعَاهُمْ ، فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ ، قَالَ أَبُو أَيُّوبَ : فَأَكَلَ مِنْ طَعَامِي ثَمَانُونَ وَمِئَةَ رَجُلٍ ، وَمَا خَرَجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى أَسْلَمَ وَبَايَعَ . (٣)

وَحَدِيثُ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ ابْتَدَى بِزَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُو لَهُ كُلَّ مَنْ لَقِيَ ، حَتَّى أَمْتَلَأَ الْبَيْتَ ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ مِدًّا مِنْ تَمْرٍ ، قَدْ جُعِلَ حَيْسًا ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَتَفَذُّونَ وَيَخْرُجُونَ ، وَيَبْقَى التَّمْرُ كَمَا هُوَ . (٤)

وَحَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثِينَ وَمِئَةً ، فَجَعَلَ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، وَذُبِحَتْ شَاةٌ ، فَشَوِيَ سَوَادُ بَطْنِهَا ( أَي : كَبِدُهَا ) ، وَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَحْزَّ لَهُمْ مِنْهَا ، قَالَ : وَابْتِئْتُ اللَّهُ مَا مِنْ الثَّلَاثِينَ وَالْمِئَةِ إِلَّا وَقَدْ حَزَّ لَهُ حُزَّةٌ مِنْ كَبِدِهَا ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا الطَّعَامَ وَاللَّحْمَ قَصْعَتَيْنِ ، فَأَكَلْنَا مِنْهُمَا أَجْمَعُونَ ، وَفَضَلَ مِنْهُمَا فَضْلَةٌ ، فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ . (٥)

وَحَدِيثُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : أَصَابَتِ النَّاسَ مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ فِي بَعْضِ مَغَازِي النَّبِيِّ ﷺ ، فَدَعَا بِبَقِيَّةِ الْأَزْوَادِ ، فَجَاءَ الرَّجُلُ بِالْحَثِيَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَفَوْقَ ذَلِكَ ، وَأَعْلَاهُمْ الَّذِي أَتَى بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ ، فَجَمَعُوهُ عَلَى نَطْعٍ ( زَادَ مُسْلِمٌ :

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . (٢) الْغَرِيمُ : صَاحِبُ الدَّيْنِ .. وَالْحَدِيثُ وَإِنْ كَانَ مُعْجَزَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ .

فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ فَتْرِهِمْ ، وَيَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ رَحْمَتِهِ ﷺ يَوْمَ وَمَوَاسَاتِهِ إِيَّاهُمْ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي الدَّلَائِلِ . (٤) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، حَيْسًا : تَمْرٌ خُلِطَ بِسَمْنٍ أَوْ دَقِيقٍ .

(٥) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَالْحَزَّةُ : قِطْمَةٌ مِنَ اللَّحْمِ قِيلِمَتْ مَوْلَا .

قَالَ سَلَمَةُ : فَحَزَّرْتُهُ كَرَبِضَةَ الْعَنْزِ ) ، قَالَ : ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَتِهِمْ ، فَمَا بَقِيَ  
فِي الْجَيْشِ وَعَاءٌ إِلَّا مَلْؤُوهُ ، وَبَقِيَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ (١) .

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : أَصَابَنِي جُوعٌ شَدِيدٌ ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنَ  
الْمَسْجِدِ تَبِعْتُهُ ، فَوَجَدَ عِنْدَ أَهْلِهِ قَدَحَ لَبَنٍ قَدْ أَهْدَى لَهُ ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَدْعُو لَهُ  
أَهْلَ الصُّفَّةِ ، وَكَانُوا سَبْعِينَ ، فَدَعَوْتُهُمْ ، فَأَمَرَنِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ أَسْقِيَهُمْ مِنْهُ ،  
فَجَعَلْتُ أُعْطِي الرَّجُلَ الْقَدَحَ ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى : حَتَّى رَوُوا جَمِيعُهُمْ ، فَقَالَ  
النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : ( بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ فَاشْرَبْ ) ، فَشَرِبْتُ حَتَّى رَوَيْتُ ، فَقَالَ : ( اشْرَبْ )  
فَشَرِبْتُ ، فَمَا زَالَ يَقُولُ : ( اشْرَبْ ) ، فَشَرِبْتُ ، حَتَّى قُلْتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ  
نَبِيًّا لَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ (٢) .

وَأَمَّا النَّوْحُ الرَّايُّ : وَهُوَ كَلَامُ الشَّجَرِ وَالْحَجَرِ ، وَشَهَادَتُهُمَا لَهُ بِالنَّبِوَةِ صلى الله عليه وسلم ، فَمِنْ  
ذَلِكَ :

حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ ، فَدَنَا مِنْهُ أَعْرَابِيٌّ  
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ( يَا أَعْرَابِيُّ أَيْنَ تُرِيدُ ؟ ) ، قَالَ إِلَى أَهْلِي ، قَالَ صلى الله عليه وسلم  
( هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ ؟ ) ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : ( تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا  
شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ) ، قَالَ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى مَا تَقُولُ ؟ قَالَ :  
( هَذِهِ السَّمْرَةُ ) وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي ، فَأَقْبَلْتُ تَخُدُّ الْأَرْضَ حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ  
يَدَيْهِ ، فَاسْتَشْهَدَهَا ، فَشَهِدَتْ الشَّهَادَتَيْنِ ، ثُمَّ أَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا (٣) .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رضي الله عنه ، قَالَ : سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم آيَةً ( أَي : عَلَامَةً  
عَلَى نُبُوَّتِهِ ) ، فَقَالَ لَهُ : ( قُلْ لِيَتْلِكَ الشَّجَرَةَ ، رَسُولُ اللَّهِ يَدْعُوكَ ) ، فَفَعَلَ ،  
فَمَالَتِ الشَّجَرَةُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَتَقَطَّعَتْ عُرُوقَهَا ، ثُمَّ جَاءَتْ تَجْرُ عُرُوقَهَا ، حَتَّى  
وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ :  
أُذِّنْ لِي أَسْجُدَ لَكَ ، قَالَ صلى الله عليه وسلم : ( لَا يَنْبَغِي السُّجُودُ إِلَّا لِلَّهِ ) ، قَالَ : أُذِّنْ لِي

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، حَزَّرْتُهُ : قَدَّرْتُهُ بِطَرِيقِ التَّخْمِينِ ، رَبِضَةُ الْعَنْزِ : مَبْرَكُهَا .

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . (٣) الشَّجَرَةُ . (٤) أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ ، تَخُدُّ الْأَرْضَ : تَشْعُرُهَا .

أَقْبَلُ يَدَيْكَ وَرَجْلَيْكَ ، فَأَذِنَ لَهُ . (١)

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ رضي الله عنه ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه قَاعِدًا ، فَأَتَتْ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ فَأَطَافَتْ بِهِ . ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبِتِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه : ( إِنَّهَا اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ ) (٢) .

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ فُورَكٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه كَانَ يَسِيرُ لَيْلًا فِي غَزْوَةِ ( الطَّائِفِ ) وَهُوَ وَسِينُ ( أَي : بِهِنَّ سِنَّةٌ نَوْمٌ ) ، فَأَعْتَرَضَتْهُ شَجَرَةٌ سِدْرٍ ، فَأَنْفَرَجَتْ نِصْفَيْنِ حَتَّى مَرَّ بَيْنَهُمَا ، قَالَ : وَبَقِيَتْ عَلَيَّ سَاقَتَيْنِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا . قَالَ : وَهِيَ هُنَاكَ مَعْرُوفَةٌ مُعَظَّمَةٌ . (٣)

وَمِنْ ذَلِكَ : حَدِيثُ الْجِدْعِ الْمَشْهُورِ فِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم قَالُوا : كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا بِجُدُوعِ النَّخْلِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِدْعٍ مِنْهَا ، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمَنْبَرُ سَمِعْنَا لَهُ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ مِنَ الْإِبِلِ (٤) ، وَفِي رِوَايَةٍ : حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ لِشِدَّةِ خُورِهِ (٥) ، وَفِي رِوَايَةٍ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ : وَكَثُرَ بُكَاءُ النَّاسِ ، وَفِي رِوَايَةِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ : حَتَّى انشَقَّ الْجِدْعُ وَجَاءَهُ النَّبِيُّ صلوات الله عليه فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَتَ . (٦)

زَادَ غَيْرُهُ : فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه : ( إِنْ هَذَا بَكَى لِمَا فَهَدَهُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ) (٧) ، وَقَالَ : ( وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمْ يَزَلْ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ) ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ صلوات الله عليه فَدُفِنَ تَحْتَ الْمَنْبَرِ . (٨)

وَفِي رِوَايَةٍ بَرِيدَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه قَالَ لَهُ : ( إِنْ شِئْتَ أَنْ أُرَدِّكَ إِلَى الْبُسْتَانِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ ، تَبَّتْ لَكَ عُرُوقُكَ ، وَيَكْمُلُ خَلْقُكَ ، وَيُجَدِّدُ لَكَ خُوصَ وَثْمَرًا ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَغْرِسَكَ فِي الْجَنَّةِ لِيَأْكُلَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ ثَمَرِكَ ) ، فَقَالَ : بَلْ تَغْرِسْنِي فِي

(١) أَخْرَجَهُ الْبِرَّازُ . انْظُرْ ( كَشَفَ الْأَسْتَارَ ) .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي ( شَرْحِ السُّنَّةِ ) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي ( الدَّلَائِلِ ) . (٣) الشُّفَا ، ج ( الْقَاضِي عِيَّاض ) .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه . الْعِشَارُ : النَّاقَةُ الَّتِي آتَى عَلَيْهَا الْفَعْلُ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ وَزَالَ عَنْهَا اسْمُ الْمَخَاضِ وَالْمُرَادُ هُنَا : خُورَاهَا عِنْدَ وَضْعِهَا .

(٥) أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ ، الضَّوَارُ : صَوْتُ الْبَقْرِ ، ثُمَّ تَوَسَّعَتِ الْعَرَبُ فِيهِ عَلَى أَصْوَابِ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ .

(٦) الشُّفَا . (٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ . (٨) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ . عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه .

الْجَنَّةَ ، لِأَكُونَ فِي مَكَانٍ لَا أُبَلَى فِيهِ ، فَسَمِعَهُ الْحَاضِرُونَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ( قَدْ  
فَعَلْتُ ) ثُمَّ قَالَ ﷺ : ( إِنَّهُ اخْتَارَ دَارَ الْبَقَاءِ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ ) (١)  
وكان ( الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ) إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَكَى ، وَقَالَ : يَا عِبَادَ اللَّهِ ..  
الْخَشْبَةُ تَحِنُّ شَوْقاً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا فَارَقَهَا ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَيَّ  
لِقَائِهِ . (٢)

وفى ( صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ  
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُؤْكَلُ .

وفى ( الصَّحِيحَيْنِ ) عَنِ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ جَبَلًا ( أُحُدٌ ) وَمَعَهُ  
أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ ، فَقَالَ ﷺ : ( اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا  
عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ ) .

وفيهما ( أَي : الصَّحِيحَيْنِ ) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كَانَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ  
لِقْرِيشٍ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا ، مُثَبَّتَةٌ عَلَى الرَّخَامِ بِالرِّصَاصِ ، فَلَمَّا دَخَلَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ ، جَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهَا بِقَضِيْبٍ كَانَ فِي يَدِهِ ، وَيَقُولُ :  
﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٣) أَي : ذَاهِبًا ، فَمَا أَشَارَ  
لِوَجْهِ صَنَمٍ إِلَّا وَقَعَ لِقْفَاهُ ، وَلَا لِقْفَاهُ إِلَّا وَقَعَ لِوَجْهِهِ ، حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهَا صَنَمٌ .  
فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهَا .

وَأَمَّا النَّوعُ الْخَامِسُ : وَهُوَ شَهَادَةُ الْحَيَوَانَاتِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ ﷺ ، فَمِنْ ذَلِكَ :  
حَدِيثُ الضَّبِّ :

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَالِسًا فِي مَحْضَلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ  
إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ مَعَهُ ضَبٌّ قَدْ صَادَهُ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَامَ ، فَقَالَ :  
وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا أَمْنُ بِكَ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنَ بِكَ هَذَا الضَّبُّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :  
( يَا ضَبُّ ) ، فَأَجَابَهُ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ سَمِعَهُ الْقَوْمُ جَمِيعًا : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا زَيْنَ

(٢) الثُّمَّا ، لِلْفَاضِي عِيَّاض .

(١) أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ ، الْغُصُصُ : وَاحِدُهُ حُوصَةٌ : وَهِيَ رَقُّ النَّخْلِ .

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ( مِنْ الْآيَةِ ٨١ ) .

مَنْ وَافَى الْقِيَامَةَ ، قَالَ : ( مَنْ تَعَبُدُ ؟ ) قَالَ : اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ ،  
وَفِي الْأَرْضِ سُلْطَانُهُ ، وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ ، وَفِي النَّارِ عَذَابُهُ ، قَالَ : ( فَمَنْ أَنَا ؟ )  
قَالَ : : أَنْتَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَقَكَ ، وَخَابَ  
مَنْ كَذَبَكَ <sup>(١)</sup> . فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ .

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الذَّنْبِ : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما ، قَالَا :  
بَيْنَمَا رَاعٍ يَرْعَى غَنَمًا لَهُ ، إِذْ عَرَضَ الذَّنْبُ لِشَاةٍ مِنْهَا فَأَخَذَهَا ، فَأَدْرَكَهُ الرَّاعِي  
فَاسْتَرَدَّهَا مِنْهُ ، فَأَقَمَى الذَّنْبَ <sup>(٢)</sup> ، فَقَالَ : أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ تَعَالَى ، حُلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ  
رِزْقِي ؟ ، فَقَالَ الرَّاعِي : عَجَبٌ لِي لِمَا يَتَكَلَّمُ ؟ فَقَالَ الذَّنْبُ : أَنْتَ أَعْجَبُ مِنِّي ،  
وَاقِفٌ عَلَى غَنَمِكَ وَتَرَكْتَ نَبِيًّا لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهُ قَدْرًا عِنْدَهُ ، قَدْ  
فَتَحْتَ لَهُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ ، وَأَشْرَفْتَ الْخُورُ الْعَيْنُ عَلَى أَصْحَابِهِ ، يَنْظُرُونَ قِتَالَهُمْ ،  
وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلَّا هَذَا الشُّعْبُ ، فَتَصِيرُ فِي جُنُودِ اللَّهِ تَعَالَى ( وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ  
أُحُدٍ ) ، قَالَ الرَّاعِي : فَمَنْ لِي بِغَنَمِي ؟ قَالَ الذَّنْبُ : أَنَا أَرَعَاهَا حَتَّى تَرَجَعَ ،  
فَمَضَى الرَّجُلُ وَوَجَدَ النَّبِيَّ صلوات الله عليه يُقَاتِلُ ، فَأَسْلَمَ ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ  
صلوات الله عليه : ( فَمُ فَحَدِّثْهُمْ ) ، ثُمَّ قَالَ لَهُ ( عُدْ إِلَى غَنَمِكَ تَجِدْهَا بِوَفْرِهَا ) ، فَرَجَعَ  
فَوَجَدَهَا كَذَلِكَ ، فَذَبَحَ لِلذَّنْبِ شَاةً <sup>(٣)</sup> .

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الْغَنَمِ : عَنْ أَنَسِ رضي الله عنه قَالَ : دَخَلَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه حَائِطًا لِبَعْضِ  
الْأَنْصَارِ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَفِي الْحَائِطِ غَنَمٌ ، فَسَجَدَتْ لَهُ صلوات الله عليه ، فَقَالَ  
أَبُو بَكْرٍ : نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ لَكَ مِنْهَا ، فَقَالَ صلوات الله عليه : ( إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي السُّجُودَ إِلَّا  
لِلَّهِ تَعَالَى ) <sup>(٤)</sup> .

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الْبَعِيرِ : عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ، قَالُوا : دَخَلَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه  
حَائِطًا وَكَانَ فِيهِ جَمَلٌ لَا يَدْعُ أَحَدًا يَدْخُلُ الْحَائِطَ إِلَّا صَالَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي (الدَّلَائِلِ) . (٢) أَقَمَى : جَلَسَ عَلَى إِلْتِبَاقِهِ وَنَصَبَ سَاقِيَهُ وَفَخَذَبَهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي (الدَّلَائِلِ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي (الدَّلَائِلِ) . وَالْهَيْثَمِيُّ فِي (كَشْفِ الْأَسْتَارِ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه . الْحَائِطُ : بُسْتَانٌ مِنَ النَّخْلِ .

النَّبِيُّ ﷺ دَعَاهُ فَجَاءَهُ ، وَوَضَعَ مِشْفَرَهُ فِي الْأَرْضِ ، وَبَرَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَخَطَمَهُ ، وَقَالَ لِلْحَاضِرِينَ : ( وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا مِنْ شَيْءٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، مَا خَلَا عَصَاةَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ) (١) : فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِ الْجَمَلِ ؟ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا ذَبْحَهُ .

وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّهُ ﷺ قَالَ لَهُمْ : ( إِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ ، وَقِلَّةَ الْعَلْفِ ، وَأَنَّكُمْ أَرَدْتُمْ ذَبْحَهُ بَعْدَ أَنْ اسْتَعْمَلْتُمُوهُ فِي الْعَمَلِ الشَّاقِّ مِنْ صِغَرِهِ ) ، فَقَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ (٢) .

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الظَّبْيَةِ : عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الصَّحْرَاءِ ، فَنَادَتْهُ ظَبْيَةٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : ( مَا حَاجْتُكَ ؟ ) ، قَالَتْ : صَادَنِي هَذَا الْأَعْرَابِيُّ ، وَلِي خُشْفَانٍ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ ، وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ نَائِمًا ، فَأَمَّا لَهَا النَّبِيُّ ﷺ ، فَذَهَبَتْ وَرَجَعَتْ ، فَانْتَبَهَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ : ( نَعَمْ ، تُطَلِّقُ هَذِهِ الظَّبْيَةَ ) ، فَأَمَّا لَهَا ، فَذَهَبَتْ تَعْدُو فِي الصَّحْرَاءِ ، وَتَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّكَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ (٣) .

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الدَّرَاعِ الْمَشْهُورِ فِي الصَّحِيحَيْنِ : عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : أَنَّ يَهُودِيَّةً (٤) أَيَّامَ فَتْحِ ( خَيْبَرَ ) أَهَدَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةً مَصْلِيَّةً ( أَي : مَشْوِيَّةً ) سَمَّيْتُهَا ، فَأَكَلَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ لِلْقَوْمِ : ( ارْهَقُوا أَيْدِيَكُمْ ، فَإِنَّهَا أَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ ) (٥) .

وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ : ( أَخْبَرْتَنِي هَذِهِ الدَّرَاعُ ) ، وَقَالَ لِلْيَهُودِيَّةِ : ( مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ ؟ ) ، فَقَالَتْ : ( إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا لَمْ تَضُرَّكَ ، وَإِنْ كُنْتُ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ ) .

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ . عَنْ ( جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . الْمِشْفَرُ : كَالشَّفَةِ فِي الْإِنْسَانِ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ . عَنْ ( يَمَلَى بْنِ مَرَّةٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي ( الدَّلَائِلِ ) ، وَأَبُو نَعِيمٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْعَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، خُشْفَانٌ : الْخُشْفُ هُوَ الظَّبْيُ الصَّغِيرُ أَوَّلُ مَا يُولَدُ .

(٤) وَهِيَ : زَيْنَبُ بِنْتُ الْعَارِثِ امْرَأَةُ سَلَامِ بْنِ مِشْكَمٍ .

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

مِنْكَ ، فَعَفَا عَنْهَا ، فَمَاتَ بِشَرِّ بَنِ الْبِرَاءِ مِنَ السَّمِّ . فَقَتَلَهَا بِهِ قِصَاصاً .<sup>(١)</sup>

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ : فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .<sup>(٢)</sup>

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ :

( مَا زَالَتْ أَكْلَةُ خَيْبَرَ تُعَادُنِي - أَي : تُعَاوِدُنِي - فَالآنَ قَطَعْتَ أَبْهَرِي )<sup>(٣)</sup>

وَعِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ : إِنْ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيَرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَاتَ شَهِيداً ، مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّبُوءَةِ .<sup>(٤)</sup>

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الْأَسَدِ مَعَ سَفِينَةَ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ : وَكَانَ أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ

بِرِسَالَةٍ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ إِلَى ( الْيَمَنِ ) ، فَضَلَّ الطَّرِيقَ ، فَاعْتَرَضَهُ الْأَسَدُ

فَقَالَ لَهُ سَفِينَةُ : يَا أَبَا الْحَارِثِ ، أَنَا مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ، وَمَعِيَ كِتَابُهُ ، فَهَمِّمْ

وَتَحَيَّ عَنْ طَرِيقِهِ ، وَجَعَلَ يَغْمِزُهُ بِمَنْكَبِيهِ حَتَّى أَدَلَّهُ الطَّرِيقَ .<sup>(٥)</sup>

وَأَمَّا النَّوْحُ السَّادِسُ : وَهُوَ شِفَاءُ الْعِلَلِ بِرِيقِهِ وَكَفِّهِ الْمُبَارَكَةِ ﷺ : فَمِنْ ذَلِكَ :

مَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، أَنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانَ أُصِيبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ ( أُحُدٍ ) حَتَّى وَقَعَتْ

عَلَى وَجْنَتِهِ ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُهُ :<sup>(٦)</sup>

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَأَلَتْ عَلَى الْخَدِّ عَيْنُهُ

فَرَدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، أَنَّهُ ﷺ تَفَلَّ فِي عَيْنِي ( عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ) كَرَّمَ اللَّهُ

وَجْهَهُ يَوْمَ ( خَيْبَرَ ) وَكَانَ رَمِداً ، فَبِرّاً كَانَ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ .<sup>(٧)</sup>

وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ : أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَطَعَ يَدَ مُعَوِذِ بْنِ عَفْرَاءَ يَوْمَ ( بَدْرٍ ) ، فَجَاءَ يَحْمِلُ

يَدَهُ ، فَبَصَقَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَلْصَقَهَا ، فَالْصَقَتْ .<sup>(٨)</sup>

وَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمٍ بِصَبِيٍّ لَا يَتَكَلَّمُ ، فَتَمَضَّمُضَ بِمَاءٍ وَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، فَسَقَتْهُ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ . فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا : أَيِ الْعَلَامَةِ ، كَأَنَّهُ بَعَثَ لِلِسَّمِّ عِلَامَةً : لَهَوَاتِ : اللَّحْمَةُ الْمُعَلَّقَةُ فِي أَعْلَى الْعُنُقِ .

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ . أَبْهَرِي : أَيِ عِرْقِ الظُّهْرِ الْمُتَعَلِّقُ بِالْقَلْبِ .

(٤) الشُّفَا . الْقَاضِي عِيَاضُ .

(٥) أَخْرَجَهُ الْبِيهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ . أَبُو الْحَارِثِ : اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ .

(٦) دَلَائِلُ النَّبُوءَةِ . ( الْبِيهَقِيُّ ) .

(٧) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . عَنْ ( سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٨) الشُّفَا .

إِيَّاهُ ، فَتَنَقَّ وَعَقَلَ عَمَلًا يَفْضَلُ عُقُولَ الرَّجَالِ (١)

وَسَأَلَتْهُ جَارِيَةٌ وَهُوَ يَأْكُلُ طَعَامًا ( وَكَانَتْ قَلِيلَةَ الْحَيَاءِ ) أَنْ يُطْعِمَهَا مِنَ الَّذِي فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَآوَلَهَا الَّذِي فِيهِ ( وَلَمْ يَكُنْ يَمْنَعُ شَيْئًا يُسْأَلُهُ ) ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي جَوْفِهَا ، أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهَا الْحَيَاءَ ، حَتَّى لَمْ يَكُنْ بِ ( الْمَدِينَةِ ) أَشَدَّ حَيَاءً مِنْهَا (٢)

وَأَمَّا النَّوْعُ السَّابِعُ : وَهُوَ إِجَابَةُ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ دَعَا لَهُ :

فَمِنْهُ : مَا رَوَاهُ حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَعَا لِرَجُلٍ أَدْرَكَتِ الدَّعْوَةُ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ (٣)

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ( السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ ( الْمَدِينَةَ ) وَهِيَ أَوْبًا أَرْضٍ ، فَقَالَ : ( اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ ، كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ؟ وَصَحَّحْنَا لَنَا ، وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَي الْجُحْفَةِ ) .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي ( صَحِيحِهِ ) ، عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَتْ أُمِّي : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَادِمُكَ أَنَسُ ادْعُ اللَّهُ لَهُ ، فَقَالَ : ( اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ ) (٤)

قَالَ أَنَسُ : ( فَوَاللَّهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ ، وَمَا أَعْلَمُ أَنْ أَحَدًا أَصَابَ مِنْ رِخَاءِ الْعَيْشِ مَا أَصَبْتُ ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُونَ الْيَوْمَ عَلَى نَحْوِ الْمِئَةِ ، وَلَقَدْ دَفَنْتُ إِلَى الْيَوْمِ مِئَةً مِنْ وَلَدِي ، لَا أَقُولُ سِقْطًا ، وَلَا وَلَدَ وَوَلَدٍ ) (٥)

وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْبَرَكَاتِ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَلَوْ رَفَعْتُ حَجْرًا لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ تَحْتَهُ ذَهَبًا .

وَلَا يَخْفَى كَثْرَةُ أَمْوَالِهِ وَصَدَقَاتِهِ الْجَزِيلَةَ ، حَتَّى إِنَّهُ أَعْتَقَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَلَاثِينَ عَبْدًا ، وَتَصَدَّقَ مَرَّةً بِعَبِيرٍ (٦) قَدِمَتْ مِنَ ( الشَّامِ ) تَحْمِلُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَكَانَ النَّاسُ فِي مَجَاعَةٍ ، فَارْتَجَبَ ( الْمَدِينَةَ ) لِقُدُومِهَا ، فَتَصَدَّقَ بِهَا وَبِمَا عَلَيْهَا ، حَتَّى بِأَقْتَابِهَا (٧)

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

(٦) الْعَبِيرُ : الْقَافِلَةُ .

(١) أَخْرَجَهُ التَّيْمِيُّ فِي ( الدَّلَالِ ) .

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ .

(٥) الشُّمَّا ، ل ( الْقَاضِي عِيَّاضِ ) .

(٧) الْقَتَبُ : رَجُلٌ صَغِيرٌ عَلَى قَدْرِ سِنَامِ الْبَيْتِ .



وأحلاسها<sup>(١)</sup> ، وكانت سَبْعَ مِئَةِ جَمَلٍ ، عَلَيْهَا سَبْعُ مِئَةِ جَمَلٍ ، وَلَمَّا مَاتَ أَخَذَتْ كُلُّ رَوْحَةٍ ثَمَانِينَ أَلْفًا ، وَكُنَّ أَرْبَعًا ، بَعْدَ أَنْ أَوْصَى بِخَمْسِينَ أَلْفًا<sup>(٢)</sup> .

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخُطُبُ ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْقَحْطَ ، فَدَعَا اللَّهَ فَسُقُوا ، وَلَمْ يَرَوْا الشَّمْسَ إِلَى الْجُمُعَةِ الْآخَرَى ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَخُطُبُ ، فَشَكَا كَثْرَةَ الْمَطَرِ ، فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَانْكَشَفَ السَّحَابُ .

وَفِيهِمَا ( أَي : الصَّحِيحَيْنِ ) ، أَنَّهُ دَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حِينَ حَنَكَهُ ، وَهُوَ مَوْلُودٌ : أَنْ يُفْقَهُهُ اللَّهُ فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ<sup>(٣)</sup> ، فَكَانَ يُسَمَّى الْحَبْرَ وَالْبَحْرَ<sup>(٤)</sup> لِسَعَةِ عِلْمِهِ .

وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنْ يَكْفِيَهُ اللَّهُ الْحَرَّ وَالْقُرَّ ، فَكَانَ فِي الشِّتَاءِ يَلْبَسُ ثِيَابَ الصَّيْفِ ، وَفِي الصَّيْفِ يَلْبَسُ ثِيَابَ الشِّتَاءِ ، وَلَا يُصِيبُهُ حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ<sup>(٥)</sup> .

وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفاطمةَ الزَّهراءِ ابْنَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنْ لَا يُجِيعَهَا اللَّهُ ، فَمَا وَجَدَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْجُوعِ الْمَاءَ<sup>(٦)</sup> .

وَأَنشدهُ النَّابِغَةُ أَيْبَاتًا ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكًا ) ، فَمَا سَقَطَتْ لَهُ سِنَّ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ تَفَرًّا ، وَعَاشَ مِئَةَ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ : كَانَ إِذَا سَقَطَتْ لَهُ سِنَّ نَبَتَتْ فِي مَكَانِهَا سِنَّ أُخْرَى<sup>(٧)</sup> .

وَأَمَّا دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، فَمِنْهُ : مَا فِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) ، أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَلَى كِسْرَى حِينَ مَزَّقَ كِتَابَهُ : ( أَنْ يُمَزَّقَ اللَّهُ مُلْكُهُ كُلُّ مُمَزَّقٍ )<sup>(٨)</sup> ، فَتَمَزَّقُوا حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُمْ بَاقِيَةٌ ، وَلَا بَقِيَتْ لِلْفُرْسِ رِئَاسَةٌ فِي جَمِيعِ أَهْطَارِ الدُّنْيَا .

وَدَعَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُتَيْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ ، أَنْ يُسَلِّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِهِ ، فَجَاءَهُ

(١) العُلْسُ : كِسَاءٌ يَلِي ظَهْرَ الْبَعِيرِ تَحْتَ الْقَتَبِ . (٢) الشُّفَا : ل ( الْقَاضِي عِيَّاض ) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ بِلَفْظٍ : ( اللَّهُمَّ فَفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ ) ، وَلَفْظَةً : ( وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ ) ، أَخْرَجَهَا أَحْمَدُ .

(٤) الْحَبْرُ : الْعَالِمُ . (٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ . عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٦) الشُّفَا . (٧) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . (٨) .

الأسد ، وأخذه من وسط أصحابه (١) .

ودعا ﷺ على رجل آخر (معلم بن جثامة) فأصبح ميتاً ، فدفنوه ، فلفظته الأرض ، فدفنوه مراراً ، فلفظته الأرض ، فألقوه بين جبين وكوموا عليه بالحجارة (٢) .

وهذا الباب أكثر من أن يُحصَر .

وقال لرجل آخر (بشر بن راعي العير) يأكل بشماله : (كل يمينك) ، قال : لا أستطيع ، قال : (لا استطعت) (٣) ما منعه إلا الكبر ، فما رفعها إلى فيه .

وأما النوع الثامن : وهو صلاح ما كان فاسداً بلمسه ﷺ :

فمنه : ما روى البخاري في (صحيحه) ، أن أهل (المدينة) فرغوا مرة ، فركب النبي ﷺ فرساً لأبي طلحة ، بطيء السير ، فلما رجع ، قال : وجدناه بحرأ ، فكان بعد ذلك لا يجاربه فرس (٤) .

وفي (الصحيحين) ، أنه ﷺ نخس جملاً لجابر ، قد أعيا ، فتشط حتى كان ما يملك زمامه (٥) .

وكان في دار أنس ﷺ بئر ملحّة ، فبزق ﷺ فيها ، فلم يكن في (المدينة) أعذب منها (٦) .

(٧) ومع ﷺ في دلو من بئر ، ثم أعاده إليها ، فكانت أبدأ يفوح منها رائحة المسك وكتب سلمان الفارسي موابيه على ثلاث مئة وديّة (أي : ولد من أولاد النخل) يفرسها لهم كلها حتى تعلق وتثمر ، وعلى أربعين أوقية من ذهب ، كل أوقية أربعون درهماً . فقام ﷺ وخرسها له بيده ، فعلق كلها ، وأثمرت لعامها . وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه ، فوزن منها

(١) . (٢) الشفا . (٣) أخرجه مسلم .

(٤) أخرجه البخاري عن أنس ﷺ . بحرأ : واسع العري . سريع العدو .

(٥) أخرجه البخاري عن جابر بن عبدالله ﷺ . نخس الدابة : طعن مؤخرها أو جنبها بمنزلة لتشط وتتهبج . والمنزدة :

رُح فصب أولول من الفصا .

(٧) أخرجه ابن ماجه . عن وائل الحضرمي ﷺ .

(٦) الشفا .

لِمَوَالِيهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَةً ، وَبَقِيَ لَهُ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ (١)  
 وَانْكَسَرَ سَيْفُ عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ يَوْمَ ( بَدْرٍ ) ، فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عُدُودًا مِنْ  
 حَظَبٍ ، فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا صَارِمًا ، يَشْهَدُ بِهِ الْمَوَاقِفَ ، وَكَانَ هَذَا السَّيْفُ  
 يُسَمَّى : الْعَوْنُ (٢) .

وَبَعَثَ ﷺ سَرِيَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ زَادًا ، فَأَعْطَاهُمْ سِقَاءً مِنْ مَاءِ  
 أَوْكَاهُ بِيَدِهِ ، فَلَمَّا فَتَحُوهُ وَجَدُوهُ لَبَنًا خَالِصًا ، وَزُبْدَةً فِي فَمِ السَّقَاءِ (٣)  
 وَسَلَّتْ ﷺ الدَّمَ عَنْ وَجْهِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ( عَائِذُ بْنُ عَمْرٍو ) ، فَكَانَتْ لَهُ غُرَّةٌ فِي  
 وَجْهِهِ كَفُرَّةِ الْفَرَسِ ، فَكَانَ يُدْعَى الْأَغْرَ (٤) .

وَمَسَحَ ﷺ وَجْهَهُ آخَرَ ( قَتَادَةُ بْنُ مِلْحَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) ، فَمَا زَالَ عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ ، حَتَّى  
 كَانَ يُنْظَرُ فِي وَجْهِهِ كَمَا يُنْظَرُ فِي الْمِرْآةِ الصَّقِيلَةِ (٥) .  
 وَمَسَحَ ﷺ عَلَى سَاقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ لَمَّا انْكَسَرَتْ عِنْدَ قَتْلِ أَبِي رَافِعٍ ، فَصَامَ  
 وَمَا بِهِ قَلْبَةً (٦) .

وَأَخَذَ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ بِهِ الْكُدْيَةَ الَّتِي اعْتَرَضَتْ لَهُمْ فِي حَضْرِ الخُنْدُقِ ، وَقَالَ  
 ( بِاسْمِ اللَّهِ ) ، فَانْهَأَتْ (٧) .

وَمَسَحَ ﷺ عَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْمَرْضَى وَالْمَجَانِينِ ، فَشَفَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .  
 وَأَخَذَ ﷺ يَوْمَ ( بَدْرٍ ) وَيَوْمَ ( حُنَيْنٍ ) قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ ، وَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ  
 الْكُفَّارِ فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَدَخَلَ فِي عَيْنِهِ مِنْهَا الْقَدَى ، وَانْهَزَمُوا (٨) .  
 وَكَانَتْ شَعْرَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ ﷺ فِي قَلْبِ نُسُوءِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا  
 قِتَالًا إِلَّا رُزِقَ النَّصْرَ ، فَسَقَطَتْ مِنْهُ فِي بَعْضِ الْمَعَارِكِ ، فَشَدَّ عَلَيْهَا شِدَّةً وَقَعَ

(١) الشُّفَا .  
 (٢) الشُّفَا ، أَوْكَاهُ : رِبَطُهُ بِيَدِهِ ، وَهُوَ حَبِيطٌ يُشَدُّ بِهِ الْوِعَاءَ .  
 (٣) الشُّفَا ، سَلَّتْ : مَسَحَ مَا عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدَّمِ ، الْغُرَّةُ : بَيَاضٌ مُنْتَشِرٌ طَوِيلًا وَعَرَضًا فِي الْوَجْهِ .  
 (٤) الشُّفَا .  
 (٥) الشُّفَا .  
 (٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، الْقَلْبَةُ : الْإِصَابَةُ .  
 (٧) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، الْكُدْيَةُ : الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ أَوْ الصُّلْبَةُ الَّتِي لَا تَعْمَلُ فِيهَا النَّفْسُ ، أَوِ الْعَجْرُ الْكَبِيرُ الْقَاسِي .  
 (٨) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

بِسَبَبِهَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : خِفْتُ أَنْ يَفُوتِي  
النَّصْرُ ، وَأَنْ تَقَعَ فِي أَيْدِي الْكُفَّارِ ، وَفِيهَا جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .<sup>(١)</sup>  
وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذَا النَّوْعَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ .

وَأَمَّا النَّوْعُ النَّاسِعُ : وَهُوَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ مِنَ الْمُغِيبَاتِ ، مِمَّا كَانَ وَمِمَّا هُوَ آتٍ ،  
فَمِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ سُنَّتِهِ ﷺ .  
أَمَّا مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ مِنَ الْمُغِيبَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ وُجُوهِ  
الإعجاز .

فَمِنْ ذَلِكَ : إِخْبَارُهُ ﷺ بِعَجْزِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَنْ أَنْ ﴿يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ  
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ إِخْبَارُهُمْ بِأَنَّهُمْ لَنْ  
يَفْعَلُوا ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾<sup>(٣)</sup> .

وَإِخْبَارُهُ ﷺ أَنَّهُ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّا خَنُ نَزَّلْنَا  
الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ، مَعَ كَثْرَةِ الْمَلَاحِدَةِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ  
أَحَدٌ عَلَى تَشْكِيكِ الْمُسْلِمِينَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ حُرُوفِهِ ،  
بِخِلَافِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِهِمَا ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّى حِفْظَ الْقُرْآنِ بِنَفْسِهِ ،  
وَوَكَّلَ حِفْظَ غَيْرِهِ مِنْ كِتَابِهِ إِلَى أَهْلِهَا ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿بِمَا أَسْتُحْفِظُوا مِنْ  
كِتَابِ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup> ، بَلْ : ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهَا  
مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٦)</sup> .

وَمِنْ ذَلِكَ : وَقُوعُ مَا وَعَدَهُ اللَّهُ فِيهِ : مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٧)</sup>  
وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾<sup>(٨)</sup> .

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ( مِنْ الْآيَةِ ٨٨ ) .

(٤) سُورَةُ الْبُجُرْجِ ( الْآيَةُ ٩ ) .

(٦) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ٧٥ ) .

(٨) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ( مِنْ الْآيَةِ ٧ ) .

(١) الشُّمَّا ، الْقُلُوبُ : لِيَأْسَ لِلرَّأْسِ مُخْتَلِفِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَشْكَالِ .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢٤ ) .

(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ٤٤ ) .

(٧) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ٦٧ ) .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (١)

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (٢)

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مَخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ (٣)

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ (٤)

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ● وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ●﴾ (٥)

فَوَقَعَ جَمِيعُ ذَلِكَ ، وَنَصَرَ اللَّهُ عَبْدَهُ ، وَصَدَقَ وَعْدَهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ .

هَذَا مَعَ مَا كَشَفَ فِيهِ مِنْ أَسْرَارِ الْمُنَافِقِينَ وَإِضْمَارِ الْمُعَانِدِينَ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿تُخْفُونَ فِي أَنفُسِكُمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكُمْ﴾ (٦)

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَحْبَابِكُمْ﴾ (٧)

وَأَمَّا مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ مِنَ الْمُنْغِيبَاتِ فِي سُنَّتِهِ :

فَمِنْ ذَلِكَ : مَا هُوَ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، أَوْ فِي أَحَدِهِمَا ، أَوْ فِي غَيْرِهِمَا ، صَوِّحًا وَحَسَنًا .

فَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ : ( زُوِيَ لِي الْأَرْضُ فَأَرَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيَبُلُغُ مُلْكُ

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ (مِنَ الْآيَةِ ٥٥) .

(٤) سُورَةُ الْقَمَرِ (الْآيَةُ ٤٥) .

(٦) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ (مِنَ الْآيَةِ ١٥٤) .

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ (مِنَ الْآيَةِ ٣٣) .

(٣) سُورَةُ الْفَتْحِ (مِنَ الْآيَةِ ٢٧) .

(٥) سُورَةُ النَّصْرِ (الْآيَاتَانِ ٢٠ ، ١) .

(٧) سُورَةُ التَّوْبَةِ (مِنَ الْآيَةِ ٩٤) .

أُمَّتِي مَارُؤِي لِي مِنْهَا (١).

وَإِخْبَارُهُ ﷺ أَنَّ الطَّاعُونَ لَا يَدْخُلُ ( الْمَدِينَةَ ) ، وَلَا يَدْخُلُهَا رُعْبُ الدَّجَالِ ، وَأَنَّهَا لَا يُرِيدُهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ ذُوبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ (٢).

وَإِخْبَارُهُ ﷺ بِفَتْحِ ( بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ ) ، وَظُهُورِ الْأَمْنِ ، حَتَّى تَظْعَنَ الْمَرْأَةُ مِنْ ( الْحِيْرَةِ إِلَى مَكَّةَ ) لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ (٣).

وَإِخْبَارُهُ ﷺ بِذَهَابِ فَارِسَ ( دَوْلَةِ الْفُرسِ ) حَتَّى لَا فَارِسَ بَعْدَهُ ، وَذَهَابِ قَيْصَرَ ( دَوْلَةِ الرُّومِ ) حَتَّى لَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وَأَنَّ الرُّومَ ذَاتَ قُرُونٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ (٤).

وَإِخْبَارُهُ ﷺ بِمَا يَفْتَحُهُ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا ، وَقَسَمَتِهِمْ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، حَتَّى يَرُوحَ أَحَدُهُمْ فِي حُلَّةٍ ، وَيَغْدُو فِي حُلَّةٍ أُخْرَى ، وَيُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَصْعَةٌ وَتُرْفَعُ أُخْرَى (٥).

وَإِخْبَارُهُ ﷺ بِمَا يَحْدُثُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْاِخْتِلَافِ وَالْفِتَنِ ، وَالْفُرْقَةِ ، وَسُلُوكِ سَبِيلِ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (٦).

وَإِخْبَارُهُ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ إِذَا فَشَا فِيهِمُ الزُّنَا وَالرِّبَا وَسُرِبَ الْخَمْرُ رَدَّ اللَّهُ بِأَسْمِهِمْ بَيْنَهُمْ ، وَسَلَطَ عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ (٧).

وَإِخْبَارُهُ ﷺ بِظُهُورِ الْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، وَكَثْرَةِ الْهَرَجِ ( وَهُوَ الْقَتْلُ ) ، وَقَبْضِ الْعِلْمِ ، وَظُهُورِ الْجَهْلِ ، وَمَوْتِ الْأُمَمِلِ فَالْأُمَمِلِ ، وَأَنَّهُ لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِهِ دَجَالُونَ ، كُلُّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، آخِرُهُمُ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ .

وَإِخْبَارُهُ ﷺ بِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ (٨).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ قُرْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، نُورِثَ لِي الْأَرْضَ جُمِعَتْ فِي زَاوِيَةِ . (٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَيُّ نَسَافِرِ الْمَرْأَةِ مِنَ النَّجَفِ بِالْمِزَابِ إِلَى مَكَّةَ . (٤) الشُّفَا . وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنُسخِهِ .

(٥) الشُّفَا . الْقُرُونُ : جَمْعُ قُرْنٍ ؛ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ فِي عَصْرِ وَاجِدٍ . أَيُّ كَلِمَا مَضَى قُرْنٌ خَلْفَهُ قُرْنٌ مَكَانَهُ .

(٦) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ . عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . (٧) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٨) أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي ( الْمَوْطَأِ ) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . (٩) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَإِخْبَارُهُ ﷺ بِخُرُوجِ الْمَهْدِيِّ ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .  
إِلَى مَا لَا يُحْصَى وَلَا يُسْتَقْصَى .

حَتَّى قَالَ حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَاماً فَمَا تَرَكَ شَيْئاً  
يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَهُ ، حَفِظَهُ مِنْ حَفِظَهُ ، وَنَسِيَهُ مِنْ نَسِيَهُ ، وَإِنَّهُ  
يَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيْتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ  
عَنْهُ ، ثُمَّ إِذَا رَأَاهُ عَرَفَهُ .<sup>(١)</sup>

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْهُ ، قَالَ : وَاللَّهِ ، مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَائِدٍ فَتَنَةٍ إِلَى أَنْ  
تَتَقَضَى الدُّنْيَا ، إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ .<sup>(٢)</sup>

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُحْرِكُ طَائِرٌ جَنَاحِيهِ فِي السَّمَاءِ  
إِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْماً ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ سُنْرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ .<sup>(٣)</sup>

وَفِي ( الصَّحِيحَيْنِ ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( وَالَّذِي  
نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ،  
وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ( أَي : فَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ ) ،  
وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ، وَحَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا  
وَمَا فِيهَا ) .

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ  
بِهِ ، قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ .<sup>(٤)</sup>

وَأَمَّا النَّوْعُ الْعَاشِرُ مِنْهُ : وَهُوَ الْمُعْجِزَةُ الْعُظْمَى ، وَالآيَةُ الْكُبْرَى : مُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ  
الْعَظِيمِ ، الْمُسْتَمِرَّةُ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ، الْمُسْتَمِلَةُ عَلَى وُجُوهِ مِنَ الْإِعْجَازِ .  
فَمِنْهَا : الْبِلَاغَةُ الَّتِي أَعْجَزَ بِهَا الْجِنُّ وَالْإِنْسَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . (٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ . عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) سُورَةُ النَّسَاءِ (الآيَةُ ١٥٩) .

(٣) سُورَةُ فَصَّلَتْ (مِنَ الْآيَةِ ٥٢) .

﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١)

قال القاضي عياض : ( ووجه إعجازه بحسن نظمه ، وفصاحة كليمه الخارقة عادة العرب العرباء ، وهم القوم اللد الفصحاء ، لأنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان هذا الميدان ، قد خُصوا من البلاغة والحكم بما لم يُخص به غيرهم من الأمم ، وأتوا من ذرابة اللسان ما لم يُوت إنسان ، ومن فصل الخطاب ما يُقيد الألباب ، جعل الله البلاغة لهم طبعا وخلقة ، وركبهم فيها جبلة وقوة ، يأتون من ذلك على البديهة بالمعجب ، ويرتجلون في المحافل القصائد والخطب ويرتجلون به في الحرب ، بين الطعن والضرب ، فيرفعون من مدحوه ، ويضعون من قدحوه ، ويجعلون الناقص كاملا ، والنبيه خاملا ، ويتغزلون فيأتون بالسحر الحلال ، ويتمثلون بما يُزري على عقيد اللال ، ويخدعون الألباب إن سألوا ، ويدللون الصعاب إن شفعوا . لهم في فنون البلاغة الحجة البالغة ، والقوة الدامغة ، لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم ، وأن البلاغة ملك قيادهم ، قد حووا فنونها ، واستنبطوا عيونها ، ودخلوا فيها من كل باب ، وتمسكوا فيها بأوثق الأسباب ، فما راعهم إلا رسول كريم ، قد جاءهم بكتاب حكيم :

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤)  
قد أحكمت آياته ، وفصلت كلماته ، وبهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، صارخا بهم في كل حين ، ومقرعا لهم على مر السنين ، قائلا لهم : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٥)  
ولم يزل يقرعهم به أشد التقريع ، ويوبخهم به غاية التوبيخ ، ويسفه أحلامهم ،

(١) سورة الإبراء ( الآية ٨٨ ) .

(٢) الذرابة : أصل منها جده السيف والسنان ، ويوصف بها اللسان إذا كان صاجبه سليطا صخاها فيكون ذمًا .

(٣) عقد اللال : اللاليه . (٤) سورة فصلت ( الآية ٤٢ ) . (٥) سورة البقرة ( الآية ٢٣ ) .



وَيَحْطُّ أَعْلَامَهُمْ ، وَهُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ نَاكِصُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ ، مُعْتَرِفُونَ بِالْعَجْزِ  
عَنْ مُمَاتَلَّتِهِ ، حَتَّى أَعْرَضُوا عَنِ الْمُعَارَضَةِ بِالْحُرُوفِ ، إِلَى الْمُقَارَعَةِ بِالسُّيُوفِ ،  
وَقَالُوا عَلَى سَبِيلِ الْمُبَاهَاةِ <sup>(١)</sup> وَالرَّضَى بِالِدَنِيَّةِ : ﴿ قَلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا  
إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ <sup>(٢)</sup> ، وَ : ﴿ لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْءَانَ  
وَالْعَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ <sup>(٣)</sup> .

وَلَمَّا سَمِعَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ  
وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ  
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ <sup>(٤)</sup> ، قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً <sup>(٥)</sup> ، وَإِنَّ  
أَسْفَلَهُ لَمُعْدِقٌ <sup>(٦)</sup> ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُورِقٌ ، وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ <sup>(٧)</sup> .

فَاعْتَرَفَ بِعَجْزِ الْبَشَرِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ ، وَقُصُورِهِمْ عَنْ مُمَاتَلَّتِهِ ، وَأَصْرَ مَعَ ذَلِكَ  
عَلَى الْعِنَادِ ، وَأَضْلَهُ اللَّهُ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، وَكَانَ يَقُولُ لِقُرَيْشٍ إِذَا قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ  
إِنَّهُ كَاهِنٌ ، أَوْ شَاعِرٌ ، أَوْ سَاجِرٌ ، وَاللَّهِ ، مَا أَنْتُمْ بِعَاقِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا ، إِلَّا  
وَأَنَا أَعْلَمُ إِنَّهُ لِبَاطِلٌ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ ، وَلَا يَقُولُهُ بَشَرٌ .  
وَمِنْ وَجْهِهِ إِعْجَازِهِ مَا أَنْبَأَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ ، وَالْأَمَمِ الْخَالِيَةِ . مِمَّا  
كَانَ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ الْقِصَّةَ الْوَاحِدَةَ إِلَّا الْفُضُّ مِنْ أَحْبَابِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ  
ﷺ لا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ ، حَتَّى كَانَ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا  
يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَيُورِدُهُ لَهُمْ عَلَى وَجْهِهِ ، وَيَأْتِي بِهِ عَلَى نَصِّهِ ، فَيَعْتَرِفُ الْعَالِمُ  
مِنْهُمْ بِذَلِكَ لَهُ بِصِدْقِهِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ  
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ <sup>(٨)</sup> .

وَيَقْطَعُ الْمُوَافِقُ وَالْمُخَالِفُ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَنْلِ ذَلِكَ بِتَعْلِيمٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ بِإِعْلَامِ الْعَزِيزِ

(٢) سُورَةُ فَصَّلَتْ (مِنَ الْآيَةِ ٥) .

(٤) سُورَةُ النُّحْلِ (الْآيَةُ ٩٠) .

(٦) الْمُعْدِقُ : كَثِيرُ الْمَاءِ .

(٨) سُورَةُ النَّمْلِ (الْآيَةُ ٧٦) .

(١) الْمُبَاهَاةُ : الْقَدْفُ بِالْبِاطِلِ .

(٣) سُورَةُ فَصَّلَتْ (مِنَ الْآيَةِ ٣٦) .

(٥) الطَّلَاوَةُ : الرَّوْتِقُ وَالْحُسْنُ الْفَائِقُ .

(٧) الشُّفَا .

العَلِيمِ ، حَتَّى لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مَعَ شِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ لَهُ عَلَى تَكْذِيبِهِ  
 فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ، وَذِي الْقَرْنَيْنِ ، وَمُوسَى وَالخَضِرِ ،  
 وَلُقْمَانَ وَآيِنِهِ ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ ، مَعَ أَنَّ أَقْرَبَ قِصَّةٍ كَانَتْ بَيْنَهُ ﷺ وَبَيْنَ عِيسَى  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ فِيهَا ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
 ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا  
 بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ : فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
 ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ  
 مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (١) .

فَاعْتَرَفُوا لَهُ بِالصِّدْقِ ، وَأَقْرَبُوا لَهُ بِالْحَقِّ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُهُمْ فِي أَقْرَبِ  
 الْقِصَصِ إِلَى عَصْرِهِمْ ، فَمَا ظَنُّنَا بِقِصَّةِ آدَمَ وَإِبْلِيسَ ، وَابْنِي آدَمَ ، وَادْرِيسَ ،  
 وَنُوحَ وَأَصْحَابِ السَّفِينَةِ ، وَعَادٍ وَثَمُودَ ، وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ،  
 وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ؟

وَكَانُوا إِذَا نَارَعُوهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ ﷺ ( كَحُكْمِ الرَّجْمِ ، وَمَا حَرَّمَ  
 إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ) اِحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
 وَالْإِنْجِيلِ ، وَقَالَ : ﴿ قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَآتَلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ●  
 فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ● ﴾ (٢)  
 ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِمْ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٣)

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْبُوصِيرِيِّ ( صَاحِبِ الْبُرْدَةِ ) فِي شَرْفِ الْقُرْآنِ وَمَدْحِهِ :

دَعْنِي وَوَضْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ \* ظُهُورَ نَارِ الْقِرَى لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ (٤)

فَالدَّرُ يَزِدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ \* وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظَمٍ (٥)

(١) سُورَةُ الْكَهْفِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢٢ ) .

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ( مِنْ الْآيَةِ ٩٣ .. وَالْآيَةِ ٩٤ ) .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ( مِنْ الْآيَةِ ٨٩ ) .

(٤) آيَاتٍ : مُعْجَزَاتٍ ، نَارِ الْقِرَى : النَّارُ الَّتِي كَانَتْ تُوقَدُ لِلضِّيَافَةِ ، النَّارُ : الْجَبَلُ .

(٥) مُنْتَظَمٌ : مُرْتَّبٌ وَمُنَسَّقٌ فِي الْعَقْدِ .

- فَمَا تَطَاوُلُ آمَالِ الْمَدِيحِ إِلَى \* مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالسَّيَمِ (١)
- آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ \* قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمُوصُوفِ بِالْقَدَمِ (٢)
- لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا \* عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ (٣)
- دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ \* مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمْ \* مُحْكَمَاتٌ فَمَا تُثَبِّينَ مِنْ شُبِّهِ (٤)
- مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبِ \* أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقَى السَّلَامِ
- رَدَّتْ بِلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا \* رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ
- لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدِ \* وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ
- فَمَا تَعُدُّ وَلَا تُحْصِي عَجَائِبُهَا \* وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْتَارِ بِالسَّامِ (٥)
- قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ \* لَقَدْ ظَلَمْتَ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاغْتَصِمِ
- إِنْ تَتَلَّهَا خَيْفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَطْفِي \* أَطْفَأَتْ حَرَّ لَطْفِي مِنْ وَرْدِهَا الشَّبْمِ (٦)
- كَانَتْهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الْوَجُوهَ بِهِ \* مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُوهُ كَالْحَمَمِ (٧)
- وَكَالصَّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةٌ \* فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ (٨)
- لَا تَعْجِبَنَّ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا \* تَجَاهِلًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَادِقِ الْفِهْمِ (٩)
- قَدْ تَنَكَّرَ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ \* وَيُنْكِرُ الرَّمَّ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ (١٠)

ثُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ أَدْنَى مُمَارَسَةٍ بِالْعِلْمِ أَنَّ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا وَسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْثَرُ وَأَشْهَرُ مِنْ مُعْجَزَاتِ سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَجْمَعِينَ ( كَمَا ذَكَرْنَا بَعْضَهَا ) وَأَنَّهَا أَبْلَغُ وَأَتَمُّ فِي بَابِ الْإِعْجَازِ .

- (١) السَّيَمُ : جَمْعُ سَيْمَةٍ : الْعَرِيضَةُ وَالطَّبِيئَةُ وَالجَبَلَةُ ، وَهِيَ الَّتِي خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَلَيْهَا .
- (٢) مُحَدَّثَةٌ : حَدِيثَةُ النَّزُولِ عَلَيْهِ ﷺ . قَدِيمَةٌ : قَدِيمَةُ الْوُجُودِ بِقَدَمِ اللَّهِ تَعَالَى . لِأَنَّ الصَّفَةَ تَتَّبِعُ الْمُوصُوفَ .
- (٣) عَادٌ وَإِرَمٌ : مِنَ الْأَقْوَامِ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ تَعَالَى . وَهُمْ قَوْمٌ هُودٍ الْعَبِيدُ .
- (٤) مُحْكَمَاتٌ : مُتَقَنَاتٌ وَبَيِّنَاتٌ ، شُبِّهِ : لَمْ يَبْقَ لِمَنْ تَتَّبِعُهَا مَجَالٌ لِلشُّبْهِةِ فِي تَوْجِيهِاتِهَا وَأَحْكَامِهَا .
- (٥) تُسَامُ بِالسَّامِ : تُصَابُ بِالْمَلَلِ لِكَثْرَةِ قِرَائَتِهَا . (٦) الشَّبْمِ : الْبَارِدُ . (٧) الْحَمَمُ : الْفَحْمُ .
- (٨) الْقِسْطُ : الْعَدْلُ . (٩) الْحَادِقُ : الْمَارِفُ الْغَيْبِ . (١٠) الرَّمَدُ : مَرَضٌ يُصِيبُ الْعَيْنَ ، السَّقَمُ : الْمَرَضُ .

إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ انْفِجَارَ الْأَصَابِعِ بِالْمَاءِ الْغَزِيرِ أُبْلَغُ فِي بَابِ الْإِعْجَازِ مِنْ  
انْفِجَارِهِ مِنَ الْحَجَرِ ، لِأَنَّهُ شَيْءٌ مَا شُوهِدَ مِثْلُهُ قَطُّ وَلَا عَهْدٌ ، بِخِلَافِ انْفِجَارِ  
الْحَجَرِ بِالْمَاءِ ، فَإِنَّهُ بِالْجُمْلَةِ مَعْهُودٌ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي شُوهِدَ فِي  
عَهْدِ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَكَذَلِكَ إِشْبَاعُ الْجَيْشِ الْكَثِيرِ مِنْ أَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ ، أْتَمَّ فِي بَابِ الْإِعْجَازِ مِنْ  
إِنْزَالِ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى ، وَالْمَائِدَةِ عَلَى سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ .

وَكَذَلِكَ رَدُّ الْعَيْنِ السَّائِلَةِ وَإِعَادَتُهَا فِي الْحَالِ إِلَى صِحَّتِهَا حَتَّى كَانَتْ أَحْسَنَ مِنْ  
الْأُخْرَى الصَّحِيحَةِ أَعْجَبُ مِنْ إِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ .

وَكَذَلِكَ نُطْقُ مَا لَمْ يُعْهَدِ نُطْقُهُ أَصْلًا ( كَالجِدْعِ ، وَالْحَجَرِ ، وَالشَّجَرِ ، وَالضَّبِّ ،  
وَالذَّبِّ ، وَالذَّرَاعِ ) أَغْرَبُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ قَدْ كَانَ يَنْطِقُ ، فَقَدْ  
عُهِدَ مِنْهُ الْحَيَاةَ وَالنُّطْقَ فِي الْجُمْلَةِ ، وَلَمْ يُعْهَدِ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ نُطْقُ شَيْءٍ  
مِنْ تِلْكَ الْأَجْنَاسِ .

عَلَى أَنْ جَمِيعَ مُعْجَزَاتِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ مُعْجَزَةً لِنَبِيِّنَا  
وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْمُعْجَزَةِ مَا دَلَّ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ ، وَكُلٌّ مِنَ الْمُرْسَلِينَ قَدْ  
بَشَّرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمُعْجَزَاتُهُمُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِهِمْ : مُعْجَزَاتُ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِهِ ،  
وَبِرَاهِينُ شَاهِدَةٌ بِصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ إِنَّ مُعْجَزَاتِ سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ انْقَرَضَتْ وَانْعَدَمَتْ  
بِانْتِقَالِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَى رِحَابِ رَبِّهِمْ .

وَأَمَّا نَبِينَا وَسَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْظَمُ مُعْجَزَاتِهِ : الْقُرْآنُ ، وَهُوَ مُعْجَزَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ  
عَلَى مَرِّ الْأَزْمَانِ ، لَا تَبِيدُ وَلَا تَقْطَعُ ، وَلَا تَذْهَبُ وَلَا تَضْمَحِلُّ ، بَلْ هِيَ ثَابِتَةٌ إِلَى  
الْأَبَدِ ، وَاضِحَةٌ الْحُجَّةُ لِكُلِّ قَرْنٍ ، فَلَا يَمُرُّ عَصْرٌ ، وَلَا يَظْهَرُ قَرْنٌ ، إِلَّا وَهُمْ  
مُسْتَدِلُّونَ عَلَى الْخَصْمِ بِوُجُوهِ إِعْجَازِهِ ، مُحْتَجُّونَ عَلَيْهِ بِمَا احْتَجَّ مِنْ قَبْلِهِمْ عَلَى  
الْخَصْمِ مِنْ قَبْلِهِ . قَائِلِينَ : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا |

بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ» (١)

يَقُولُ الْحَبِيبُ الْأَعْظَمُ ﷺ : ( إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ أَمْرًا وَزَاجِرًا ، وَسُنَّةً خَالِيَةً ، وَمَثَلًا مَضْرُوبًا ، فِيهِ نَبُوءُكُمْ وَخَبْرٌ مِّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَنَبَأٌ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ ، لَا يُخْلِقُهُ طَوْلُ الرَّدِّ وَلَا تَنْقِضِي عَجَائِبُهُ ، هُوَ الْحَقُّ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَن قَالِ بِهِ صَدَقَ ، وَمَن حَكَمَ بِهِ عَدَلَ ، وَمَن خَاصَمَ بِهِ فَالَجَ ، وَمَن قَسَمَ بِهِ أَقْسَطَ ، وَمَن عَمِلَ بِهِ أُجِرَ ، وَمَن تَمَسَّكَ بِهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَمَن طَلَبَ الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ ، وَمَن حَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ اللَّهُ ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَحَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَن تَمَسَّكَ بِهِ ، وَنَجَاةٌ لِمَن اتَّبَعَهُ ، لَا يَبْغُوحُ فَيُقْوَمُ ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَنْتَبَ ) .

أَقْوَالٌ مُخْتَصِرَةٌ .. فِي التَّفْرِيقَةِ بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ وَالْكَرَامَةِ وَفِعْلِ السَّحَرَةِ :  
أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ حَقٌّ .

قَالَ الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ فِي ( شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ) ، فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ جُرَيْجِ الرَّاهِبِ : ( فِيهِ إِثْبَاتُ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَأَنَّهَا تَكُونُ بِجَمِيعِ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ ، وَأَنَّ كُلَّ مَا جَازَ أَنْ يَكُونَ مُعْجِزَةً لِلْأَنْبِيَاءِ ، جَازَ أَنْ يَكُونَ كَرَامَةً لِلْأَوْلِيَاءِ ، وَأَنَّ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ يَجُوزُ أَنْ تَقَعَ بِاخْتِيَارِهِمْ وَطَلَبِهِمْ وَبِغَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ لِأَنَّ جُرَيْجًا تَوَضَّأَ ، وَصَلَّى ، وَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى ، وَقَالَ لِلْعَلَامِ : مَنْ أَبُوكَ ؟ فَقَالَ : فَلَانَ الرَّاعِي ) .

ثُمَّ إِنَّ خَرَقَ الْعَادَةِ لَا يُجِيلُهُ الْعَقْلُ ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَدِلَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ الَّتِي مَلَأَتْ الْأَفَاقَ ، وَضَاقَتْ عَنْ حَصْرِهَا الْأَوْرَاقُ : عَلَى وَقُوعِ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي مَرْيَمَ : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْمَرِمُ أَيُّ لَيْكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ <sup>(١)</sup>، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهَزَيْتَنِي بِحِذْقِ النَّخْلَةِ﴾ <sup>(٢)</sup>، وَقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ <sup>(٣)</sup>، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ

أَنَا أَنَا آتِيكَ بِهِ، قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ <sup>(٤)</sup>.

وَكَحَدِيثِ جُرَيْجٍ، وَأَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ، وَكَذَا حَدِيثُ بَرَكَةِ قِصْعَةَ (أَبِي بَكْرٍ

الصَّدِيقِ) رضي الله عنه فِي تَكْثِيرِ الطَّعَامِ مَعَ أَضْيَافِهِ، وَحَدِيثِ نِدَاءِ الْفَارُوقِ (عُمَرَ)

رضي الله عنه وَهُوَ عَلَى مَنَبَرِ الْمَدِينَةِ: يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ الْجَبَلِ، وَقِصَّةِ الشَّهِيدِ (عُثْمَانَ)

رضي الله عنه، مَعَ الرَّجُلِ الَّذِي دَخَلَ عَلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُ عَمَّا أَحَدَثَ فِي طَرِيقِهِ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى

الْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ، وَحَدِيثِ سَمَاعِ الْإِمَامِ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) رضي الله عنه كَلَامَ الْمَوْتَى

وَكَذَا مَشَى الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ عَلَى الْمَاءِ، وَتَسْبِيحُ قِصْعَةَ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَسَلْمَانَ

رضي الله عنه، وَتَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا قَوْلُهُ صلوات الله عليه: (إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ) <sup>(٥)</sup>

لَكَفَى.

وَسُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: مَا بَالُ الصَّحَابَةِ لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُمْ مِنَ الْكِرَامَاتِ مَا

نُقِلَ عَمَّنْ بَعْدَهُمْ؟ فَقَالَ: لِقُوَّةِ إِيْمَانِهِمْ.

وَسُئِلَ النَّوَوِيُّ: مَا بَالُ الْعُلَمَاءِ لَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مَا يَظْهَرُ عَلَى الْعُبَادِ؟ فَقَالَ: لِعِزَّةِ

الْإِخْلَاصِ فِي الْعِلْمِ دُونَ الْعِبَادَةِ.

وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْكِرَامَةِ وَالْمُعْجِزَةِ إِلَّا اقْتِرَانُ الْمُعْجِزَةِ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ.

نَعَمْ.. قَدْ تَلْتَبَسَ الْكِرَامَةُ بِالسَّحْرِ، فَإِنَّهُ أَيْضًا أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ، وَإِنَّمَا الْفَرْقُ

بَيْنَ الْكِرَامَةِ وَالسَّحْرِ بِاتِّبَاعِ الْوَلِيِّ لِلرَّسُولِ، وَمُخَالَفَةِ السَّاحِرِ لَهُ.

فَالْكِرَامَةُ الَّتِي لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا تَلْبِيسٌ <sup>(٦)</sup> هِيَ الْاسْتِقَامَةُ.

ثُمَّ إِنَّ الْوَلِيَّ لَا يَسْكُنُ إِلَى الْكِرَامَةِ، وَلَا يَتَفَاخَرُ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ الْعَلَامَةُ فَخْرُ

(٢) سُورَةُ مَرْيَمَ (مِنَ الْآيَةِ ٢٥).

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ (مِنَ الْآيَةِ ٢٧).

(٤) سُورَةُ النَّعْلِ (مِنَ الْآيَةِ ٤٠).

(٣) سُورَةُ مَرْيَمَ (مِنَ الْآيَةِ ١٧).

(٦) تَلْبِيسٌ: اخْتِلَافٌ أَوْ شُبُهَةٌ.

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

الدِّينِ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ الْكَبِيرِ : ( إِنَّ صَاحِبَ الْكِرَامَةِ لَا يَسْتَأْنِسُ بِتِلْكَ الْكِرَامَةِ ، بَلْ عِنْدَ ظُهُورِ الْكِرَامَةِ يَصِيرُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَشَدَّ ، وَحَذَرُهُ مِنْ قَهْرِ اللَّهِ أَقْوَى ، فَإِنَّهُ يَخَافُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْاسْتِدْرَاجِ ، وَأَمَّا صَاحِبُ الْاسْتِدْرَاجِ : فَإِنَّهُ يَسْتَأْنِسُ بِذَلِكَ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَيْهِ . وَيُظَنُّ أَنَّهُ إِنَّمَا وَجَدَ تِلْكَ الْكِرَامَةَ لِأَنَّهُ كَانَ مُسْتَحِقًّا لَهَا ، وَحِينَئِذٍ يَحْتَقِرُ غَيْرَهُ ، وَيَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ . وَيَحْصُلُ لَهُ أَمْنٌ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ ، وَلَا يَخَافُ سُوءَ الْعَاقِبَةِ ، فَإِذَا ظَهَرَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ عَلَى صَاحِبِ الْكِرَامَةِ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ اسْتِدْرَاجًا لَا كِرَامَةً ، فَهَذَا قَالَ الْمُحَقِّقُونَ : وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْاسْتِئْتِنَاسَ بِالْكَرَامَةِ قَاطِعٌ عَنِ الطَّرِيقِ وَجُوهٌ ، ثُمَّ ذَكَرَهَا حَتَّى عَدَّ إِحْدَى عَشْرَةَ حُجَّةً ، نَذَرْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً : ( إِنَّ مَنْ اعْتَقَدَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ صَارَ مُسْتَحِقًّا لِكِرَامَةٍ بِسَبَبِ عَمَلِهِ ، حَصَلَ لِعَمَلِهِ وَقَعَ عَظِيمٌ فِي قَلْبِهِ ، وَمَنْ كَانَ لِعَمَلِهِ وَقَعَ عِنْدَهُ كَانَ جَاهِلًا وَلَوْ عَرَفَ رَبَّهُ لَعَلِمَ أَنَّ كُلَّ طَاعَاتِ الْخَلْقِ فِي جَنْبِ جَلَالِ اللَّهِ تَقْصِيرٌ ، وَكُلُّ شُكْرِهِمْ فِي جَنْبِ آلَائِهِ وَنِعْمَائِهِ قُصُورٌ ، وَكُلُّ مَعَارِفِهِمْ وَعُلُومِهِمْ فِي مُقَابَلَةِ عِزَّتِهِ حَيْرَةٌ وَجَهْلٌ ، رَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّهُ قَرَأَ الْمُقْرِيءُ فِي مَجْلِسِ الْأُسْتَاذِ ( أَبِي عَلِيِّ الدَّقَاقِ ) قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (١) ، قَالَ عَلَامَةٌ أَنَّ الْحَقَّ رَفَعَ عَمَلَكَ أَنْ لَا يَبْقَى عِنْدَكَ ( أَي عَمَلُكَ ) فَإِنَّ بَقِيَّ عَمَلِكَ فِي نَظَرِكَ فَهُوَ مَدْفُوعٌ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مَعَكَ فَهُوَ مَرْفُوعٌ (٢) .

وَعَلَى هَذَا فَإِنَّا حِينَ نَرَى أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَأْتِي بِخَوَارِقِ الْعَادَاتِ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكُمَ عَلَيْهِ بِالْوَلَايَةِ ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نَعْتَبِرَ عَمَلَهُ هَذَا كِرَامَةً حَتَّى نَرَى سُلُوكَهُ وَتَمَسُّكَهُ بِشَرِيعَةِ اللَّهِ ، قَالَ أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ : ( لَوْ أَنَّ رَجُلًا بَسَطَ مُصَلَّاهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَتَرَبَّعَ فِي الْهَوَاءِ ، فَلَا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّى تَنْظُرُوا كَيْفَ تَجِدُونَهُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ) (٣) .

(٢) تفسیر الرّازی ج ٥ ص ٦٩٢ .

(١) سُورَةُ فَاطِر ( مِنَ الْآيَةِ ١٠ ) .

(٣) الْمُنْعُ . ل ( الطُّوسِي ) ص ٤٠٠ .

## إِزَالَةُ الشُّبُهَاتِ عَنِ آيَاتِ وَرَدَتْ فِي حَقِّهِ ﷺ مُتَشَابِهَاتٍ

\* قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (١):

فَإِنَّ الضَّلَالَ قَدْ يُرَادُ مِنْهُ ضَلَالُ الْمَعْصِيَةِ ، وَهُوَ الضَّلَالُ عَنِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الْمُخْتَلِفَةِ ، حَسَبَ الْمُنَاسَبَةِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا ، كَمَا سَيَبْضُحُ مَعْنَا قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَأَمَّا الضَّلَالُ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّلَاحِ فَهُوَ غَيْرُ مُرَادٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَطْعًا ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَى (٢) فَتَفَى سُبْحَانَهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الضَّلَالَةَ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْهُدَى وَالْغَوَايَةِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الرَّشَادِ ، وَنَزَّهَهُ عَنِ ذَلِكَ بَعْدَ التَّأَكُّيدِ بِالقَسَمِ ، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ شَهَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ بِالْهُدَى وَالرَّشَادِ فِي عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ ، وَقَالَهُ وَحَالِهِ ﷺ ، فَهُوَ ﷺ لَيْسَ بِضَالٍّ ، بَلْ هُوَ عَلَى هُدًى وَعِلْمٍ بِالْحَقِّ ، وَلَيْسَ بِغَاوٍ بَلْ هُوَ رَاشِدٌ فِي عِلْمِهِ وَقَصْدِهِ ، لَمْ يَلْتَفِتْ لِسُنَى سِوَى الْهُدَى وَالْحَقِّ .

فَإِنَّ الضَّالَّ هُوَ الْجَاهِلُ الَّذِي يَمْشِي عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ فَلَا يَهْتَدِي السَّبِيلَ ، وَالْغَاوِي هُوَ الَّذِي عِلْمَ الْحَقِّ فَكَّمَهُ وَقَصَدَ غَيْرَهُ .

فَالْهُدَى وَالرَّشَادُ هُمَا أَصْلُ الْكَمَالِ فِي الْإِنْسَانِ .

وَلَقَدْ أَمَتَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ آتَاهُ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلِ النُّبُوَّةِ ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٣) ، فَإِذَا كَانَ الْخَلِيلُ كَذَلِكَ ، فَالْحَبِيبُ الْأَكْرَمُ أَوْلَى وَأَجْدَرُ بِذَلِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى آتَاهُ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلِ النُّبُوَّةِ ، وَلِذَا نَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمَهُ الَّذِينَ عَانَدُوهُ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبِكُمْ﴾ ، أَي: مُحَمَّدٌ ﷺ الَّذِي تَرَبَّى بَيْنَكُمْ ، وَنَشَأَ فِيكُمْ ، فَانْتُمْ أَعْرَفُ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ ، لَمْ تَعْتَرُوا لَهُ عَلَى ضَلَالَةٍ وَلَا غَوَايَةٍ بَلْ أُمُورُهُ كُلُّهَا سِدَادٌ وَرَشَادٌ .

(١) سُورَةُ الضُّحَى (الآيَةُ ٧) . (٢) سُورَةُ النُّجْمِ (الآيَتَانِ ١ ، ٢) . (٣) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ (مِنَ الْآيَةِ ٥١) .



فَلَيْسَ الضَّلَالُ الْوَارِدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾: لَيْسَ هُوَ الضَّلَالُ عَنِ الْحَقِّ، وَالْمَيْلُ إِلَى الْفَسَادِ وَالشَّرِّ، فَإِنَّهُ مَنْفَى عَنْهُ ﷺ نَصًّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾: وَلِذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمْ تَكُنْ لَهُ ضَلَالَةٌ مَعْصِيَةً.

إِذَا: فَقَدْ يَقُولُ الْقَائِلُ: فَمَا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾؟ قُلْنَا فِي الْجَوَابِ: قَدْ ذَكَرَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ وَجُوهًا مِنَ الْمَعَانِي لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾، أَي وَجَدَكَ غَيْرَ عَالِمٍ بِالنَّبُوءِ وَعُلُومِهَا، وَالكِتَابِ الْمُبِينِ وَمَا حَوَاهُ، فَهَدَاكَ لِذَلِكَ، وَعَلَّمَكَ جَمِيعَ مَا هُنَاكَ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرَّءْيَا تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ● نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِينَ الْغَافِلِينَ ● (٢) فَلَيْسَتْ هَذِهِ الْغَفْلَةُ غَفْلَةً مُطْلَقَةً، وَلَا غَفْلَةً ضَلَالَةٍ أَوْ غَوَايَةٍ وَإِنَّمَا هِيَ عَدَمُ دِرَايَةِ بِنَفَاصِلِ الْكِتَابِ وَعُلُومِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّنْ أَمَرْنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (٣) أَي: مَا كُنْتَ تَدْرِي بِنَفَاصِلِ الْإِيمَانِ الْعَمَلِيِّ وَوَجِبَاتِهِ، حَتَّى عَلَّمْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (٤)

الْوَجْهُ الثَّانِي: مَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا كَانَ صَغِيرًا عِنْدَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ضَلَّ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، فَرَأَاهُ أَبُو جَهْلٍ مُنْصَرِفًا مِنْ أَغْنَامِهِ،

(١) الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ سِرَاجُ الدِّينِ فِي كِتَابِهِ (سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ).

(٢) سُورَةُ يُوسُفَ (الْآيَاتُ ١-٢٠٢).

(٣) سُورَةُ الشُّورَى (مِنَ الْآيَةِ ٥٢).

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ (مِنَ الْآيَةِ ١١٣).

(٥) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ وَابْنُ إِسْحَاقَ، كَمَا فِي شَرْحِ الزُّرْقَانِيِّ عَلَى السَّوَابِغِ اللَّذِيئَةِ.

فَرَدَّهُ إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَهُوَ مُتَمَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ يَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ  
يُرَدَّ إِلَيْهِ مُحَمَّدًا ﷺ .

وَلِذَا قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ إِرْجَاعَهُ ﷺ إِلَى جَدِّهِ عَلَى يَدِ أَبِي جَهْلٍ : فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ  
يُشْبِهُهُ إِرْجَاعُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أُمِّهِ عَلَى يَدِ فِرْعَوْنَ .

وَقِيلَ : ضَلَّ مَرَّةً أُخْرَى فِي شِعَابِ مَكَّةَ ، فَطَلَبُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَطَافَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ  
سَبْعًا ، وَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَسَمِعُوا مُنَادِيًا : يَا مَعْشَرَ النَّاسِ لَا تَضِجُوا ،  
فَإِنَّ لِمُحَمَّدٍ رَبًّا لَا يَخْذُلُهُ وَلَا يُضِيعُهُ ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا بَوَادِي تِهَامَةَ ، عِنْدَ شَجَرَةِ  
السَّمْرِ ، فَسَارَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ قَائِمًا تَحْتَ الشَّجَرَةِ .

فَيَكُونُ مِنْ بَابِ قَوْلِهِمْ : ضَلَّ فُلَانٌ فِي طَرِيقِهِ ، إِذَا سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِهِ الْمَقْصُودَةِ  
وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ فِي بَيَانِ حُقُوقِ الطَّرِيقِ : ( وَأَنْ تُغَيِّثُوا الْمَلْهُوفَ ، وَأَنْ تَهْدُوا  
الضَّالَّ ..... ) الْحَدِيثُ .

وَهَذَا الْقَوْلُ حَوْلَ الْآيَةِ يَتَنَاسَبُ مَعَ سِيَاقِ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى :  
( أَلَمْ نَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى ) حَيْثُ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ يُعَدِّدُ نِعْمَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ،  
وَعِنَايَتَهُ بِهِ مِنْذُ حَدَاثَةِ سِنِّهِ إِلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ .

الْوَجْهُ الثَّلَاثُ : أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : ( وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ) يُشِيرُ إِلَى الْحَالَةِ  
الَّتِي مَرَّتْ عَلَيْهِ ﷺ قَبْلَ الْبِعْتَةِ ؛ وَهِيَ بِالسَّمْرِ ، كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ ، فَحَفِظَهُ  
اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ وَأَلْقَى عَلَيْهِ النَّوْمَ (١) .

فَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : ( مَا هَمَمْتُ  
بِشَيْءٍ وَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ ، كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ بَيْنِي  
وَبَيْنَ ذَلِكَ . ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا بِشَيْءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ ) .  
قَالَ الْحَافِظُ الْهَيْثَمِيُّ : رَوَاهُ الْبَزَّازُ ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ .

وَقَدْ مَرَّ بِنَا هَذَا أَتَاءَ الْحَدِيثِ عَنْ سِيرَتِهِ قَبْلَ بَعْتِهِ ﷺ .

(١) وَهَذَا الْقَوْلُ عَزَاهُ الْقَسْطَلَانِيُّ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ كَرِيمِ اللَّهِ وَجْهَهُ ، وَذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَّاشُ فِي ( الشُّفَا ) ، كَمَا  
فِي ( شَرْحِ ) الْقَارِي وَالغَنَاجِي .

الْوَجْهَ الرَّابِعُ : أَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ أَي : وَجَدَكَ هَائِمًا فِي مَحَبَّتِهِ تَعَالَى ، فَهَدَاكَ إِلَى نُبُوتِهِ وَرِسَالَتِهِ ، فَهُوَ ضَلَالُ الْهَيْامِ وَالاسْتِغْرَاقِ فِي الْمَحَبَّةِ الْإِلَهِيَّةِ .

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَوْلَادِ سَيِّدِنَا يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حِينَ قَالُوا عَنْ أَبِيهِمْ : ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَحَنَّ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (١) فَإِنَّهُمْ أَرَادُوا بِضَلَالِهِ : هَيْامَهُ فِي يُوسُفَ وَأَخِيهِ ، وَشَفَفَهُ بِهِمَا ، وَلَمْ يُرِيدُوا بِذَلِكَ ضَلَالِ الْإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ قَطْعًا ، لِأَنَّ السِّيَاقَ يَنْفِي ذَلِكَ ، لِأَنََّّهُمْ لَوْ أَرَادُوا بِذَلِكَ ضَلَالِ الْمَعْصِيَةِ أَوْ الْإِثْمِ لَكَفَرُوا ، لِأَنَّهُ طَعَنُ فِي يَعْقُوبَ ( الَّذِي هُوَ نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ) بِالْفُسُوقِ وَالْمَعْصِيَةِ وَذَلِكَ يُوجِبُ الْكُفْرَ .

وَهَذَا مَا أَكَّدُوهُ عِنْدَمَا وَجَدُوا أَنَّ أَخَاهُمْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَى حَوَاسِّ أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْتِنُونَا ﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٢) .

وَهُنَاكَ أَجُوبَةٌ أُخْرَى عَنْ مَعْنَى آيَةِ : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ مَذْكُورَةٌ فِي التَّفَاسِيرِ ، وَ ( شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ) وَ ( شَرْحِ الشُّفَا ) .

\* وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ (٣) : فَالْمَعْنَى : وَجَدَكَ ذَا عَيْلَةٍ ( أَي : إِفْلَالٍ أَوْ ذَا عِيَالٍ ) فَأَغْنَاكَ رَبُّكَ عَمَّنْ سِوَاهُ ، وَفَتَحَ عَلَيْكَ أَبْوَابَ الرِّزْقِ وَالْخَيْرِ الْكَثِيرِ .

قَالَ الْإِمَامُ الْقَسْطَلَانِيُّ فِي ( الْمَوَاهِبِ ) : قَالَ الْحَلِيمِيُّ فِي ( شُعْبِ الْإِيمَانِ ) : مِنْ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِمَا هُوَ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ أَوْصَافِ الضَّعْفِ : أَي : النِّقْصِ ، فَلَا يُقَالُ : كَانَ فَقِيرًا .

وَنَقَلَ الْقَسْطَلَانِيُّ ، عَنِ الشَّيْخِ تَمِيمِ الدِّينِ السُّبْكِيِّ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَقِيرًا مِنَ الْمَالِ قَطُّ وَلَا حَالُهُ حَالُ فَقِيرٍ ، بَلْ كَانَ ﷺ أَغْنَى النَّاسِ ، فَقَدْ

(٢) سُورَةُ يُوسُفَ ( الْآيَاتَانِ ٩٤ ، ٩٥ ) .

(١) سُورَةُ يُوسُفَ ( الْآيَةُ ٨ ) .

(٣) سُورَةُ الضُّحَى ( الْآيَةُ ٨ ) .

كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ فِي نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ .

وكان الشَّيْخُ السُّبْكِيُّ يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا :  
( اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَسْكِينًا ، وَتَوَفَّنِي مَسْكِينًا ، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ ) :

المرادُ بِهِ اسْتِكَانَةُ الْقَلْبِ .

قال الزُّرْقَانِي : أَي تَوَاضَعُ الْقَلْبِ وَانْكِسَارُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، لَا الْمَسْكَنَةَ الَّتِي هِيَ  
أَنْ لَا يَجِدَ مَا يَقَعُ مَوْقِعًا مِنْ كِفَايَتِهِ .

وكان يُشَدِّدُ النِّكِيْرَ عَلَيَّ مَنْ يَعْتَقِدُ خِلَافَ ذَلِكَ . أ هـ .

قال الزُّرْقَانِي : وَهُوَ حَسَنٌ نَفِيسٌ ؛ وَحَاصِلُهُ أَنَّ الْمَنْفَى سُؤَالُ مَسْكَنَةٍ تَرْجِعُ إِلَى  
الْقَلَّةِ وَعَدَمِ الْكِفَايَةِ . أ هـ .

وقَدْ سَبَقَ إِلَى ذَلِكَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ حَيْثُ قَالَ : إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْأَلْ مَسْكَنَةً تَرْجِعُ إِلَى  
الْقَلَّةِ ، بَلْ إِلَى الْإِخْبَاتِ وَالتَّوَضُّعِ .

قال الْعَلَمَةُ الزُّرْقَانِي : وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

اسْتِعَاذَتُهُ مِنَ الْفَقْرِ لَا تُنَافِي الْمَسْكَنَةَ ، لِأَنَّ الْفَقْرَ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ مَعْنَيْنِ :  
الْأَوَّلُ : الْاِفْتِقَارُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْاِعْتِرَافُ بِالذُّلِّ وَالْمَسْكَنَةِ لَهُ .

والتَّانِي : فَقرُ الاضْطِرَّارِ ، وَهُوَ فَقْدُ الْمَالِ الْمُضْطَرِّ إِلَيْهِ ، كَجَائِعٍ فَقَدَ الْخُبْزَ ،  
فَهَذَا الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْأَوَّلُ ( أَي : الْاِفْتِقَارُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ) هُوَ الَّذِي

سَأَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أ هـ .<sup>(١)</sup>

قال عَبْدُ اللَّهِ سِرَاجُ الدِّينِ : وَكَيْفَ يَكُونُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيرًا فَقرُ اضْطِرَّارٍ وَقَدَّ مَالٍ ،  
وَالْحَالُ قَدْ عَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ بَطْحاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا فَأَبَى ذَلِكَ ؛  
وقَدْ خَيْرَهُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا ، أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا ، فَقَالَ : ( بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا ) .

فَمَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ( عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحاءَ  
مَكَّةَ ذَهَبًا ، قُلْتُ : لَا يَأْرَبُّ ، وَلَكِنْ أَشْبِعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا ، فَإِذَا جِئْتُ نَضَّرَعْتُ

(٢) فِي كِتَابِهِ ( سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ) .

(١) شَرْحُ الْمَوَاهِبِ الدُّنْيَا ، لِلزُّرْقَانِي .

إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ ، وَإِذَا سَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ (١) )  
 وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ( أَتَيْتُ بِمَقَالِيدِ الدُّنْيَا  
 عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ ، جَاءَنِي بِهِ جِبْرِيلُ ) (٢)  
 فَقَدْ تَرَفَّعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِنَفْسِهِ عَنْ حُطَامِ الدُّنْيَا وَأَمْوَالِهَا ، وَذَهَبِهَا وَفِضَّتِهَا ،  
 وَلَمْ يَرْكَنْ إِلَى نَعِيمِهَا ، وَلَا إِلَى تَرْفِ عَيْشِهَا ، مَعَ تَيْسُرِ ذَلِكَ لَهُ ، بَلْ كَانَتْ هِمَّتُهُ  
 أَشْرَفَ مِنْ ذَلِكَ وَأَسْمَى ، وَأَمَّجَدَ وَأَعْلَى .  
 قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى حَصِيرٍ ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَرَ فِي  
 جَنْبِهِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً - أَي : فِرَاشًا وَطِيئًا لَيْنًا - ،  
 فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : ( مَا لِي وَالدُّنْيَا ؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ .  
 ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا ) (٣)

وَعَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ : ( دَخَلْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَرَأَتْ  
 فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَطِيفَةً مَثْبِيَّةً ، فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِفِرَاشٍ حَشْوُهُ صُوفٌ ، فَدَخَلَ  
 عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : ( مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ ؟ ) ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فُلَانَةٌ  
 الْأَنْصَارِيَّةُ ، دَخَلَتْ فَرَأَتْ فِرَاشَكَ ، فَذَهَبَتْ فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِهَذَا ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : ( رُدِّيهِ  
 يَا عَائِشَةُ ، فَوَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَأَجْرَى اللَّهُ مَعِيَ جِبَالَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ) (٤)  
 فَلَيْسَ فَقْرُهُ صلى الله عليه وسلم فَقْرَ اضْطِرَارٍ .. وَإِنَّمَا هُوَ افْتِقَارٌ وَاخْتِيَارٌ (٥)

وَلَيْسَ غِنَاهُ غِنَى جَمْعٍ وَمَنْعٍ وَاسْتِثْنَاءٍ ، بَلْ غِنَاهُ صلى الله عليه وسلم فَيَاضٌ بِالْمَعْطَاءِ وَالْجُودِ  
 وَالْإِثَارِ .. فَكَانَ يَأْتِيهِ السَّائِلُونَ ، وَيَقْصِدُهُ الْمُحْتَاجُونَ ، فَيُعْطِيهِمْ مَا يُعْطِيهِمْ ،  
 ثُمَّ يَأْتِيهِ السَّائِلُونَ ، فَيُعْطِيهِمْ مَا يُعْطِيهِمْ ، ثُمَّ يَسْأَلُونَهُ فَيُعْطِيهِمْ ، حَتَّى لَا يَبْقَى  
 شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ ، بَلْ وَلَا مِنَ الطَّلَعِ قُوْتُ إِنْسَانٍ ، فَيَطْوِي هُوَ صلى الله عليه وسلم وَأَهْلُهُ وَهُمْ جِيَاعٌ .  
 وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَهُمْ : ( مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أُدْخِرَهُ عَنْكُمْ ) .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَمُسْنَدُ ابْنِ جِبَانَ .

(٤) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ .

(٥) بِمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ افْتِقَارٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتِثْنَاءٌ لَهُ ، وَاخْتِيَارٌ لِعَظِيمِ الْأَجْرِ ، وَرِفْعَةٌ الْمَقَامِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَّمَ نَبِيَهُ ﷺ أَنْ يُقَابِلَ تِلْكَ النِّعَمَ السَّابِقَ ذِكْرُهَا فِي آيَاتِ سُورَةِ الضُّحَى ، بِمَا يَلِيْقُ بِهَا مِنَ الْحَقُوقِ وَالاعْتِرَافِ وَالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾ (١) : فَأَمَّا الْيَتِيمَ : فَلَا تُذَلِّهِ وَلَا تَحْقِرْهُ ، بَلْ أَكْرِمْهُ وَبِرِّهُ .

وَأَمَّا السَّائِلَ ( أَي : سَائِلٌ بُغِيَّتِهِ وَحَاجَتِهِ ، عِلْمًا كَانَ أَوْ مَالًا ) : فَلَا تَزَجِرْهُ ، وَلَكِنْ أَكْرِمْهُ بِمَا سَأَلَهُ ، أَوْ رُدَّهُ بِقَوْلٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ .

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ : لِأَنَّ فِي التَّحَدُّثِ بِهَا شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَنْعَمَ بِهَا .

وَمِنْ ثَمَّ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَيَتَحَدَّثُ بِمَا أَعْطَاهُ مِنَ الْمَقَامَاتِ ، وَمَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْخُصُوصِيَّاتِ ، شُكْرًا غَيْرَ فَخْرٍ .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ : ( أَنَا سَيِّدٌ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ) أَي : يَقُولُ ذَلِكَ ﷺ مِنْ بَابِ الشُّكْرِ لَا مِنْ بَابِ الْكِبْرِ .

وقوله ﷺ : ( أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ ، لِأَدَمَ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِيَاوِي وَلَا فَخْرَ )

وقوله ﷺ : ( إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُنْتُ أَنَا إِمَامَ النَّبِيِّينَ ، وَخَطِيبَهُمْ ، وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ ) .

إِلَى مَا هُنَاكَ مِمَّا حَدَّثَ بِهِ ﷺ .

فَسُورَةُ ( الضُّحَى ) تَدُلُّ عَلَى وُجُوهٍ مِنَ الْعِنَايَاتِ الْإِلَهِيَّةِ بِرَسُولِهِ ﷺ ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ تَوَلَّى رَسُولَهُ ﷺ وَتَمَهَّدَهُ فِي جَمِيعِ أَطْوَارِهِ ، وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ .

\* وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝ ﴾ (٢) :

فَقَدْ اخْتَلَفَ فِي تَفْسِيرِهِ : فَمَقِيلُ الْمُرَادُ مِنْهُ تَخْفِيفُ أَعْيَاءِ النَّبُوءَةِ الَّتِي يُثْقَلُ الظَّهْرُ الْقِيَامُ بِأَمْرِهَا وَحِفْظُ مُوجِبَاتِهَا وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى حُقُوقِهَا فَسَهَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَحَصَّنَ عَنْهُ ثِقَلَهَا بِأَنْ يَسْرَهَا عَلَيْهِ حَتَّى تَيْسَّرَتْ لَهُ ، وَقِيلَ الْوِزْرُ مَا كَانَ يَكْرَهُهُ

عَلَيْهِمْ مِنَ تَغْيِيرِهِمْ لِسُنَّةِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مَنَعِهِمْ إِلَى أَنْ قَوَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ لَهُ: ﴿اتَّبِعْ مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾، وَمَعْنَى أَنْقَضَ: أَعْيَى وَأَثْقَلَ.

\* وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (١):

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَيِ إِنَّكَ مَغْفُورٌ لَكَ غَيْرُ مُؤَاخَذٍ بِذَنْبٍ أَنْ لَوْ كَانَ، وَقِيلَ الْمُرَادُ أُمَّتُهُ رضي الله عنه، وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالذَّنْبِ تَرْكُ الْأَوْلَى كَمَا قِيلَ حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقْرَبِينَ.

وَقَالَ الشُّبَكِيُّ: قَدْ تَأَمَّلْتُهَا (يَعْنِي الْآيَةَ) مَعَ مَا قَبِلَهَا وَمَا بَعَدَهَا فَوَجَدْتُهَا لَا تَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا وَهُوَ تَشْرِيفُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ذَنْبٌ.

وَقَدْ سَبَقَهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ فَقَالَ: وَإِنَّمَا الْمَعْنَى التَّشْرِيفُ بِهَذَا الْحُكْمِ وَلَمْ تَكُنْ ذُنُوبٌ أَلْبَتَّةَ، وَكَيْفَ يُتَخَيَّلُ خِلَافَ ذَلِكَ وَأَحْوَالُهُ صلى الله عليه وسلم مُنْقَسِمَةٌ إِلَى قَوْلٍ وَفِعْلٍ: أَمَّا الْقَوْلُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٢)، وَأَمَّا الْفِعْلُ فَاجْتِمَاعُ الصَّحَابَةِ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَالتَّأْسِي بِهِ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ فِي ذَلِكَ تَوَقُّفٌ وَلَا بَحْثٌ حَتَّى أَعْمَالُهُ فِي السِّرِّ وَالخُلُوةِ يَحْرُصُونَ عَلَى الْعِلْمِ بِهَا وَعَلَى اتِّبَاعِهَا، وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ مَعَهُ صلى الله عليه وسلم اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِهِ خِلَافَ ذَلِكَ.

وَنَحَلْصُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ بِنَتِيجَةٍ يَقْتَضِيهَا النَّظْمُ، وَهِيَ: أَنَّ الذَّنْبَ الَّذِي أُضِيفَ إِلَيْهِ صلى الله عليه وسلم فِي هَذِهِ الْآيَةِ، لَيْسَ ذَنْبًا ارْتِكَبَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ ذَنْبٌ ارْتِكَبَهُ قَوْمُهُ فِي حَقِّهِ: فَأُضِيفَ إِلَيْهِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى مَفْعُولِهِ مَعْنَى:

وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَصْدَرَ قَدْ يُضَافُ إِلَى فَاعِلِهِ، وَقَدْ يُضَافُ إِلَى مَفْعُولِهِ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَرْبَابِ اللُّسَانِ مِنَ الْعَرَبِ. وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلُ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣)، فَالْمَصْدَرُ هُنَا وَهُوَ (الظُّلْمُ) قَدْ أُضِيفَ إِلَى فَاعِلِهِ:

(٢) سُورَةُ النَّجْمِ (الآيَاتَانِ ٢، ٤).

(١) سُورَةُ الْفَتْحِ (مِنَ الْآيَةِ ٢).

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ (الآيَةُ ٣٩).

وَبِذَلِكَ يُكُونُ تَحْقِيقُ الْقَوْلِ فِي الْآيَةِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ، أَي ( فَمَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمَ ) .

أَمَّا إِضَافَةُ الْمَصْدَرِ إِلَى مَفْعُولِهِ مَعْنَى ، فَهِيَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (١) ، فَالْمَصْدَرُ هُنَا وَهُوَ ( الظُّلْمُ ) أَيْضًا قَدْ أُضِيفَ إِلَى مَفْعُولِهِ مَعْنَى ؛ وَبِذَلِكَ يُكُونُ تَحْقِيقُ الْقَوْلِ فِي الْآيَةِ ( وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ مَا ظَلَمَ ) .

وَعَلَيْهِ تَكُونُ إِضَافَةُ الدَّنْبِ إِلَيْهِ ﷺ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى مَفْعُولِهِ لَا إِلَى فَاعِلِهِ ، كَمَا تَقُولُ أَنْتَ عِنْدَمَا تَرَى ثَارَكَ فَيَمْنُ ظَلَمَكَ ( لَقَدْ أَخَذَ فُلَانٌ بِذَنْبِي ) وَأَنْتَ بِالتَّأَكِيدِ لَا تُرِيدُ إِلَّا الْمَعْنَى الثَّانِي ؛ وَهُوَ إِضَافَةُ الْمَصْدَرِ إِلَى مَفْعُولِهِ لَا إِلَى فَاعِلِهِ .

وَبِذَلِكَ يَسْتَقِيمُ النَّظْمُ فِي السِّيَاقِ مِنْ حَيْثُ مَقَطَعِ السُّورَةِ السَّابِقَةِ ، وَهِيَ سُورَةُ ( مُحَمَّدٌ ) وَمَطَّلَعِ سُورَةِ ( الْفَتْحِ ) ، فَقَدْ خَتَمَ اللَّهُ سُورَةَ ( مُحَمَّدٌ ) بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ (٢) ، وَهُوَ الْمَعْنَى الَّذِي يَنْتَظَمُ مَعَ مَا بَشَّرَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ فِي مَطَّلَعِ سُورَةِ الْفَتْحِ مِنْ قَوْلِهِ :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ (٣) ، وَالْمُرَادُ بِهِ : فَتْحُ مَكَّةَ ، الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ (٤) ، أَي : لِأَجْلِكَ ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٥) ، يُرِيدُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ قَبْلَ قَوْمِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَا تَأَخَّرَ مِنْ تَعَسُّفِهِمْ مَعَهُ ﷺ فِي صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَهُوَ الْمَعْنَى الَّذِي يَنْتَظَمُ أَيْضًا مَعَ قَوْلِهِ فِي آخِرِ السُّورَةِ :

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّعُوهُمْ فَتَصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَعِيرٌ عَلِمَ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ

(٢) سُورَةُ مُحَمَّدٌ ( مِنْ الْآيَةِ ٢٨ ) .

(١) سُورَةُ الشُّورَى ( الْآيَةُ ٤١ ) .

(٤) ، (٥) سُورَةُ الْفَتْحِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢ ) .

(٣) سُورَةُ الْفَتْحِ ( الْآيَةُ ١ ) .



يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١﴾ ، فَقَوْلُهُ :

﴿ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، جَاءَ مُؤَكَّدًا لِمَا يَفْتَضِيهِ النَّظْمُ فِي

السِّيَاقِ ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يَتَّفِقُ مَعَ قَوْلِهِ ﷺ لِقَوْمِهِ بَعْدَ أَنْ أَمَكَنَ مِنْهُمْ إِبَانَ الْفَتْحِ

( مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ ) ، قَالُوا : أَخَ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخِ كَرِيمٍ ، فَقَالَ لَهُمْ ﷺ

( اذْهَبُوا فَانْتُمُ الطَّلَقَاءُ ) ، فَجَاءَتْ مَغْفِرَةٌ لِلَّهِ لَهُمْ ، مَوَاجِبَةٌ لِعَفْوِهِ ﷺ عَنْهُمْ ،

وَهُوَ مَا يَتَّفِقُ أَيْضًا مَعَ امْتِنَانِ الْحَقِّ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ فِي قَوْلِهِ :

﴿ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ (٢) ، بِجَعْلِكَ رَحْمَةً كَلِيَّةً ، تَكْتَبُفُ الْخَلْقَ بِأَعْطَافِهَا ،

وَتَحْتَوِشُهُمْ مِنْ أَيْدِي الْهَلَكَاتِ بِنَسَائِمِ لُطْفِهَا ، فَيُؤْمِنُونَ لَكَ بَعْدَ انْكَارٍ ، وَيُقْبِلُونَ

عَلَيْكَ بَعْدَ إِدْبَارٍ ، وَيَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ؛ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ مَغْفِرَةٍ

اللَّهِ لَهُمْ مَا يَتَعَلَّقُ بِدَنْبِهِ ﷺ قَبْلَهُمْ لِلَّهِ ، بَعْدَ أَنْ سَلَكَوا فِي تَيْهِ الضَّلَالِ سُبُلًا

فِجَاجًا ، ﴿ وَهَدَيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (٣) ، أَيِ فِي سَبِيلِ إِقَالَتِهِمْ مِنْ وَهْدَةِ الْكُفْرِ ،

وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الشُّرْكِ .

\* وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ

يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (٤) :

فَقَالَ قَوْمُ الْمُخَاطَبِ بِهِ غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَالَ آخَرُونَ الْمُخَاطَبُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ

فِي الظَّاهِرِ وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَتَأَيُّبُ النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ (٥) ،

وَأَمْثَالُهُ كَثِيرَةٌ أَوْ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ لَا إِمْكَانِ وَقُوعِ الشَّكِّ لَهُ ،

وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ : ( وَاللَّهُ لَا أَشْكَ وَلَا أَسْأَلُ ) .

\* وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٦) :

فَإِنَّ افْتِرَاضَ الْمُسْتَجِيلِ لَيْسَ فَرْعًا عَنِ تَصَوُّرِ إِمْكَانِهِ أَوْ حُدُوثِهِ ، وَمِمَّا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ

أَنَّ الْحَقَّ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ قَدِ افْتَرَضَ فِي جَانِبِ ذَاتِهِ ( الْمُقَدَّسَةِ عَنْ سِمَاتِ

(١) سُورَةُ الْفَتْحِ ( الْآيَةُ ٢٥ ) .

(٢) سُورَةُ الْفَتْحِ ( مِنْ الْآيَةِ ٢ ) .

(٣) سُورَةُ الطَّلَاقِ ( مِنْ الْآيَةِ ١ ) .

(٤) سُورَةُ الْفَتْحِ ( الْآيَةُ ٢٥ ) .

(٥) سُورَةُ يُونُسَ ( مِنْ الْآيَةِ ٩٤ ) .

(٦) سُورَةُ الزُّمَرِ ( مِنْ الْآيَةِ ٦٥ ) .

(الْحَوَادِثِ) مَا يَسْتَحِيلُ تَصَوُّرُهُ أَوْ اعْتِقَادُ شَيْءٍ مِنْهُ فِي حَقِّهِ جَلٌّ وَعَلَا :

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

سُبْحَانَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝﴾ (١) ، وَهِيَ فِي صَدْرِ سُورَةِ ( الزُّمَر ) وَالَّتِي

وَرَدَتْ فِيهَا الْآيَةُ ( مَوْضُوعُ الْإِشْكَالِ ) .

فَرَأَهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَدْ افْتَرَضَ مَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ ، ثُمَّ أَبْطَلَهُ بِالْعُدُولِ

( فِي الْجَوَابِ ) عَنِ الْاِتِّخَاذِ إِلَى الْاِصْطِفَاءِ ، إِيْذَانًا بِفَسَادِ الْاِفْتِرَاضِ فِي جَانِبِ

الْأَوَّلِ ( وَهُوَ الْحَقُّ ) ، وَقِيَامِهِ فِي جَانِبِ الثَّانِي ( وَهُمْ الْخَلْقُ ) ، ثُمَّ أَعْقَبَ ذَلِكَ

بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ .

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَوًا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا

فَاعِلِينَ ۝﴾ (٢) ، وَهُوَ أَيْضًا مِنْ صُورِ افْتِرَاضِ الْمُسْتَحِيلِ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وَقَدْ قَضَى الْحَقُّ بِفَسَادِهِ فِي نَفْسِ السِّيَاقِ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ

عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۝﴾ (٣) ، ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ بِمَا يُبْرِزُ الْعِلَّةَ فِي

اِفْتِرَاضِ الْمُسْتَحِيلِ مَعَ تَنْزِهِهِ سُبْحَانَهُ عَنْهُ ، وَهِيَ دَفْعُ الشُّبْهَةِ عِنْدَ مَنْ يَعْتَقِدُهَا

حَيْثُ النَّقَتْ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى مُخَاطَبَةِ مَنْ تَقُومُ عِنْدَهُمُ الشُّبْهَةُ ، فَقَالَ :

﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝﴾ (٤)

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ۝﴾ (٥) ، وَقَدْ

أَعْقَبَهُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ

عَمَّا يَصِفُونَ ۝﴾ (٦)

وَنَقِيسُ أَمْرِ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِ رَبِّهِ جَلٌّ فِي عُلَاهُ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَا رُشِّحَ لَهُ

وَأَقِيمَ فِيهِ مِنْ أَدْوَارِ النُّبُوَّةِ أَوْ الْبِلَاجِ عَنِ اللَّهِ ، يَمْنَعُ مِنَ التَّخَلُّفِ عَنِ الْقِيَامِ فِي

أَسْبَابِ التَّحْمُلِ بِأَعْبَاءِ مَا قُلِدَهُ مِنْ مَرَاتِبِ الْاِصْطِفَاءِ .

(٢) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ( الْآيَةُ ١٧ ) .

(١) سُورَةُ الزُّمَرِ ( مِنَ الْآيَةِ ٤ ) .

(٥) ، (٦) سُورَةُ الزُّخُرُفِ ( الْآيَتَانِ ٨١ ، ٨٢ ) .

(٣) ، (٤) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ( الْآيَةُ ١٨ ) .

﴿وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١)﴾

فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا مَا عَلَيْهِ جُمُهورُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ التَّمَنَّى الْمُرَادُ بِهِ هُنَا التَّلَاوَةُ وَالْقَاءَ الشَّيْطَانُ فِيهَا إِشغَالُهُ بِخَوَاطِرَ وَأَذْكَارٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا لِلتَّالِي حَتَّى يُدْخِلَ عَلَيْهِ الْوَهْمَ وَالتَّنْسِيَانَ فِيمَا تَلَاهُ أَوْ يُدْخِلَ غَيْرَ ذَلِكَ عَلَى أَفْهَامِ السَّامِعِينَ مِنْ التَّحْرِيفِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ مَا يُزِيلُهُ اللَّهُ وَيَنْسَخُهُ وَيَكْشِفُ لَبْسَهُ وَيُحْكِمُ آيَاتِهِ .  
وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ تَكَلَّمَ عَلَى الْآيَةِ بِمَا يَنْدَفِعُ بِهِ الْإِشْكَالُ فِيهَا ، وَأَجْمَلَ الْقَوْلَ فِي بَضْعَةِ أَوْجُهٍ : (٢)

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ : أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ، تُعْتَبَرُ مِنْ قَبِيلِ الْعَامِ الْمَخْصُوصِ ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ أَبُو حَيَّانَ فِي تَفْسِيرِهِ : ( وَهَذِهِ الْآيَةُ لَيْسَ فِيهَا إِسْنَادُ شَيْءٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا تَضَمَّنَتْ حَالَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ إِذَا تَمَنَّى ) ، وَهُوَ وَجْهُ صَحِيحٌ مُعْتَبَرٌ .

الْوَجْهُ الثَّانِي : وَهُوَ مَا اخْتَارَهُ أَبُو حَيَّانَ فِي تَفْسِيرِهِ ، قَالَ : لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَأَنَّهُ تَعَالَى أذِنَ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْقِتَالِ وَأَنَّهُمْ كَانُوا أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَذَكَرَ مَسْأَلَةَ لِرَسُولِهِ ﷺ بِتَكْذِيبِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأُمَّمِ لِأَنْبِيَائِهِمْ ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ مِنَ الْإِهْلَاكِ إِثْرَ التَّكْذِيبِ وَبَعْدَ الْإِمْهَالِ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يُنَادِيَ النَّاسَ وَيُخْبِرَهُمْ أَنَّهُ نَذِيرٌ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ اسْتَعْجَلُوا بِالْعَذَابِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ تَقْدِيمُ الْعَذَابِ وَلَا تَأْخِيرُهُ ، ذَكَرَ لَهُ مَسْأَلَةٌ ثَانِيَةٌ بِاعْتِبَارِ مَنْ مَضَى مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ ، وَهُوَ أَنَّهُمْ كَانُوا حَرِيصِينَ عَلَى إِيمَانِ قَوْمِهِمْ مُتَمَنِّينَ لِذَلِكَ مُثَابِرِينَ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَكَانَ الشَّيْطَانُ يُرَاعِمُهُ بِتَزْيِينِ الْكُفْرِ لِقَوْمِهِ وَبِثِّ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ وَالْقَائِيهِ فِي نَفْسِهِمْ ، كَمَا أَنَّهُ ﷺ مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى هُدَى قَوْمِهِ ، وَكَانَ

(١) سُورَةُ الْحَجِّ ( الْآيَةُ ٥٢ ) .

(٢) ذَكَرَهُ مُحَمَّدٌ عَبْدُ الْبَاعِثِ فِي ( رَدِّ الْمُنْتَابِهَاتِ إِلَى الْمُحْكَمَاتِ فِي جَانِبِ خَاتَمِ النَّبَوَاتِ ) .

فِيهِمْ شَيَاطِينٌ كَالنَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ ، يُلقُونَ لِقَوْمِهِ وَلِلْوَافِدِينَ عَلَيْهِ شُبُهًا يَبْطُلُونَ  
بِهَا عَنِ الْإِسْلَامِ ؛ وَلِذَلِكَ جَاءَ قَبْلَ الْآيَةِ : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝ (١) ، وَسَعَيْهِمْ بِإِقَاءِ الشُّبُهَةِ فِي قُلُوبٍ مَنِ اسْتَمَالُوهُ ،  
وُنُسِبَ ذَلِكَ إِلَى الشَّيْطَانِ ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمُغْوِي الْمُحَرِّكُ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ لِلْإِغْوَاءِ .  
وَقِيلَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ هُنَا هُوَ جِنْسٌ ، يُرَادُ بِهِ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ .  
الْوَجْهُ الثَّلَاثُ : هُوَ أَنَّ إِقَاءَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّمَا كَانَ عَلَى أَلْسِنَةِ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ ،  
وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أُمُورٌ :

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ : أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ طَبْعِهِمْ ، بَلْ وَمِنْ خُطَّتِهِمْ فِي التَّشْوِيشِ وَالتَّهْوِيشِ  
وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي أَكَّدَهُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيمَا حَكَاهُ عَنْهُمْ :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝ (٢) ﴾  
الْأَمْرُ الثَّانِي : وَهُوَ مَا أَكَّدَهُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴾ (٢)

وَهُوَ اسْتِنْفَاهُمْ إِنْكَارِي . وَقَعَ فِي سِيَاقِ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا ذِكْرُ ( اللَّاتِ وَالْعُزَّى  
وَمَنَاةَ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَى ) ، وَالَّتِي هِيَ مَوْضِعُ إِقَاءِ الشَّيْطَانِ .

فَجَاءَتِ الْآيَةُ مُؤَكَّدَةً عَلَى بُطْلَانِ مَا زَعَمُوا مِنْ حِكَايَةِ الْغَرَانِيقِ ، الَّتِي افْتَرَاهَا  
سُفَهَاؤُهُمْ ، عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ : ( تَمَنَّى ) فِي الْآيَةِ ، مَعْنَاهُ : تَلَا ، وَ ( الْإِنْسَانُ ) هُوَ  
الْجَاحِدُ الْمُكَذِّبُ .

وَيَكُونُ تَوْجِيهُهُ الْآيَةَ : أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا قَرَأَ هُوَ ( افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ) وَيَدُلُّ عَلَيْهِ :

الْأَمْرُ الثَّلَاثُ : وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سِيَاقِ الْآيَاتِ الَّتِي فِي سُورَةِ الْحَجِّ :

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ  
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ (٤) ﴾ أَي لِيَجْعَلَ اللَّهُ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ مَا يُلْقِي  
الشَّيْطَانُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُشْرِكِينَ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ  
وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ .

(٢) سُورَةُ فَصَّلَتْ (الآيَةُ ٢٦) .

(٤) سُورَةُ الْحَجِّ (الآيَةُ ٥٣) .

(١) سُورَةُ الْحَجِّ (الآيَةُ ٥١) .

(٣) سُورَةُ النَّجْمِ (الآيَةُ ٢٤) .

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا هُوَ جَوَابُكُمْ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ دَلَالَةُ الْاسْتِثْنَاءِ فِي قَوْلِهِ :  
 ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمَّيَّتِهِ﴾ ، وَالَّذِي يَبْدُو لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ أَنَّهُ قَيْدٌ فِي  
 إِرْسَالِ اللَّهِ لِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ ؛ وَذَلِكَ بِمُقْتَضَى التَّوْقِيفِ الظَّاهِرِ مِنَ السِّيَاقِ ١٩ .  
 وَنَقُولُ دَفْعاً لِهَذَا الْإِشْكَالِ :

لَا يُمَكِّنُ الْقَوْلُ بِتَوْقِيفِ إِرْسَالِ اللَّهِ لِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْعِلَّةِ الْمُتَوَهَّمَةِ ،  
 وَالَّتِي لَا تُؤْمَنُ مَعَهَا الظَّنُّ أَوْ التُّهْمَةُ فِي جَانِبِ الرُّسُلِ فِيمَا بَلَّغُوا مِنْ رِسَالَاتِ  
 رَبِّهِمْ .

بَلْ وَكَيْفَ يُطَاعُ الرُّسُلُ فِيمَا هُوَ ظَنِّيُّ الثَّبُوتِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَتَعَارَضُ مَعَ الْحِكْمَةِ  
 الَّتِي أَكَّدَهَا الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ  
 بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (١) .

\* وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿ ٢ ﴾ . . . الْآيَاتِ :

فَلَيْسَ فِيهَا إِثْبَاتُ ذَنْبٍ لَهُ ﷺ ، وَفَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَا فَعَلَ وَتَصَدَّقَ بِهِ لِذَلِكَ الْكَافِرِ  
 كَانَ طَاعَةً لِلَّهِ وَتَبْلِيغاً عَنْهُ وَاسْتِثْلَافاً لَهُ كَمَا شَرَعَهُ اللَّهُ لَا مَعْصِيَةَ وَلَا مُخَالَفَةَ لَهُ  
 تَعَالَى ، وَمَا قَصَّه اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِعْلَامٌ بِحَالِ الرَّجُلَيْنِ وَتَوْهِينٌ أَمْرَ الْكَافِرِ  
 عِنْدَهُ وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَتَزَكَّى ﴾ (٣) ؛ أَي لَيْسَ  
 عَلَيْكَ بَأْسٌ فِي أَنْ لَا يَتَزَكَّى بِالْإِسْلَامِ أَي لَا يُبَلِّغَنَّ بِكَ الْحَرَضَ عَلَى إِسْلَامِهِمْ أَنْ  
 تُعْرِضَ عَنْهُمْ أَسْلَمَ بِالِاسْتِغْثَالِ بِدَعْوَتِهِمْ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ .

وَأَجَابَ ابْنُ حَزْمٍ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ الْآيَاتِ ؛ فَإِنَّهُ  
 كَانَ ﷺ قَدْ جَلَسَ إِلَيْهِ عَظِيمٌ مِنْ عُظَمَاءِ قُرَيْشٍ وَرَجَا إِسْلَامَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَوْ  
 أَسْلَمَ لَأَسْلَمَ بِإِسْلَامِهِ نَاسٌ كَثِيرٌ وَأَظْهَرَ الدِّينَ ، وَعَلِمَ ﷺ أَنَّ هَذَا الْأَعْمَى الَّذِي  
 يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ لَا يَفُوتُهُ وَهُوَ حَاضِرٌ مَعَهُ ، فَاسْتَفَلَ عَنْهُ ﷺ بِمَا  
 خَافَ فُوتَهُ مِنْ عَظِيمِ الْخَيْرِ ، عَمَّا لَا يَخَافُ فُوتَهُ ، وَهَذَا غَايَةُ النَّظَرِ فِي الدِّينِ

(٢) سُورَةُ عَبَسَ (الْآيَاتَانِ ٢٠١) .

(١) سُورَةُ النَّسَاءِ (مِنَ الْآيَةِ ٦٤) .

(٣) سُورَةُ عَبَسَ (الْآيَةُ ٧) .

والاجْتِهَادِ فِي نُصْرَةِ الْقُرْآنِ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ ، وَنَهَايَةِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ ، الَّذِي لَوْ  
فَعَلَهُ الْيَوْمَ مِنَّا فَاعِلٌ لِأَجْرٍ ، فَعَاتِبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى ذَلِكَ ، إِذْ كَانَ الْأَوْلَى عِنْدَ  
اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُقْبَلَ عَلَى ذَلِكَ الْأَعْمَى الْفَاضِلِ الْبَرِّ النَّقِيِّ <sup>أ هـ</sup> .

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْمُنْصِفَ لَا يَجِدُ كَزَاةً أَوْ غَضَاةً فِي عَتَبِ الْحَبِيبِ لِحَبِيبِهِ  
وَإِنَّمَا يَجِدُهَا فِي عَتَبِ الثَّالِبِ لِمَعِيبِهِ ، وَلَوْمِ الشَّانِيءِ لِضَرْبِهِ .

إِلَّا أَنْ مَا نَسْتَهْجِنُهُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ حَوْلَ تَفْسِيرِ هَذِهِ  
الآيَاتِ مِنْ تَفَقُّهَاتٍ بَاطِلَةٍ ، وَافْتِتَاتٍ عَنْ حَلِيَّةِ الْحَقِّ عَاطِلَةٍ ، فِي جَانِبِ  
الْمَعْصُومِ <sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> ، لَا يُسَلِّمُهَا صَاحِبُ ذَوْقِ سَلِيمٍ ، أَوْ طَبَعِ كَرِيمٍ .

وَلِلَّهِ دَرُّ الْأَتُوسِيِّ ، إِذْ قَالَ : وَفِي التَّعْبِيرِ عَنْهُ <sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> بِضَمِيرِ الْغَيْبَةِ إِجْلَالٌ لَهُ  
لِإِيهَامِ أَنَّ مَنْ صَدَرَ عَنْهُ ذَلِكَ غَيْرُهُ : لِأَنَّهُ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ <sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> مِثْلُهُ ، كَمَا أَنَّ فِي  
التَّعْبِيرِ عَنْهُ <sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> بِضَمِيرِ الْخَطَابِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ ذَلِكَ : لِمَا  
فِيهِ مِنَ الْإِيْنَسِ بَعْدَ الْإِيْحَاشِ ، وَالْإِقْبَالِ بَعْدَ الْإِعْرَاضِ .

\* وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ

الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكٰذِبِينَ ﴾ <sup>(١)</sup>

فَرَوَى ابْنُ حَاتِمٍ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ عَوْنٍ قَالَ : هَلْ سَمِعْتُمْ بِمُعَاتِبَةٍ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا :  
بَدَأَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ الْمُعَاتِبَةِ .. وَكَذَا قَالَ غَيْرُهُ .

وَقَالَ قَتَادَةُ عَاتِبَهُ اللَّهُ كَمَا تَسْمَعُونَ ثُمَّ أَنْزَلَ الَّتِي فِي سُورَةِ ( النُّورِ ) فَرَخَّصَ لَهُ  
فِي أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ إِنْ شَاءَ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا اسْتَعْذَرْتُكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ  
لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فَفَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى رَأْيِهِ <sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ اثْنَتَانِ فَعَلَهُمَا الرَّسُولُ <sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِمَا بِشَيْءٍ :  
إِذْنُهُ لِلْمُنَافِقِينَ وَأَخْذُهُ الْفِدَاءَ مِنَ الْأَسْرَى ، فَعَاتِبَهُ اللَّهُ كَمَا تَسْمَعُونَ وَذَلِكَ يَدُلُّ  
عَلَى مُبَالَغَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ : كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِغَيْرِهِ إِذَا كَانَ

(٢) سُورَةُ النُّورِ ( مِنْ الْآيَةِ ٦٢ ) .

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ ( الْآيَةُ ٤٢ ) .

عَظِيمًا عِنْدَهُ عَفا اللهُ عَنْكَ ما جَوابُكَ عَن كَلامي ، وَعَفاكَ اللهُ أَلّا عَرَفَتَ حَقِّي  
فَلا يَكُونُ عَرَضُهُ مَن هَذا الكَلامِ إِلاَّ زِيادةَ التَّبَجُّيلِ والتَّعْظِيمِ .

وَأَمَّا الجَوابُ عَن قَولِهِ تَعالَى : ﴿ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ ، فَذَهَبَ ناسٌ إِلى أَنَّ النَّبِيَّ  
ﷺ مُعَاتَبٌ بِهَذِهِ الآيَةِ وحاشاهُ مَن ذَلكَ ، بَلْ كانَ ﷺ مُخَيَّرًا فَلَمَّا أَذِنَ لَهُمْ  
أَعَلَمَهُ اللهُ أَنَّهُ لو لَمْ يَأذِنْ لَهُمْ لَقَعَدُوا لِنِفاقِهِمْ وَأَنَّهُ لا حَرَجَ عَلَيهِ في الإِذِنِ لَهُمْ .  
\* وَأَمَّا هَوِيلُهُ تَعالَى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيهِ أَمْسِكْ  
عَلَيْكَ زَواجِكَ وَاتَّقِ اللهُ وَخَفِيَ في نَفْسِكَ ما اللهُ مُبَدِّئِهِ وَخَشِيَ النَّاسُ وَاللهُ  
أَحَقُّ أَن يَخْشَهُ ﴾ (١) :

لَقَد أَشْكَلتُ هَذِهِ الآيَةَ عَلى ما نَسِبَ إِليه ﷺ مَن إِخفاءِ حُبِّهِ لِزَيْنَبَ بِنْتِ جَعشِ  
ﷺ ، مَعَ أَنَّها كانَتْ في ذَلكَ الوَقْتِ تَحْتَ زَيدِ بنِ حارِثَةَ ﷺ ، وَالَّذي كانَ  
رَسولُ اللهِ ﷺ قَد تَبَنَّاهُ في الجاهِلِيَّةِ .  
وَدَفَعُما لِهَذا الإِشْكالِ نَقولُ : (٢)

لا يَخْفَى عَلى ذِي بَصِيرَةٍ ما في هَذا القَولِ مَن شَنَعَةٍ في جَانِبِ مَن كانَ مَفْطُورًا  
عَلى الكَمالاتِ ، وَهَجَنَةٍ في حَقِّ مَن كانَ لا تُنتَى في مَجْلِسِهِ الفَلاتاتُ ، فَضلاً عَن  
أَن يُنَسَبَ إِليه أَمثالُ هَذِهِ الهِناتِ .

وَكَيفَ لا ، وَهُوَ المُثَنَّى عَلَيهِ مَن قَبِلَ رَبَّهُ بِقَولِهِ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣) .  
وَنَحْنُ نُجِيبُ عَلى هَذِهِ الشُّبُهَةِ ، بِما ثَبِتَ لَدِينا مَن مَنقُولٍ وَمَعقولٍ :

أَمَّا النِّقْلُ : فَقد قالَ زَينُ العابِدِينِ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ ﷺ : كانَ قَد أوحَى اللهُ إِلى  
رَسولِهِ ﷺ أَن زَيدًا سَيُطَلَّقُها ، وَأَنَّهُ ﷺ يَتَزَوَّجُها بِتَزَويجِ اللهِ إِياها ، فَلَمَّا شَكا  
زَيدٌ خُلُقَها ، وَأَنَّها لا تُطِيعُهُ ، وَأَعَلَمَهُ بِأَنَّهُ يُريدُ طَلاقَها ، قالَ لَهُ : أَمْسِكْ عَلَيكَ  
زَواجَكَ ، وَاتَّقِ اللهُ . عَلى طَريقَةِ الأدبِ وَالوَصِيَّةِ ، وَهُوَ يَعَلَمُ أَنَّهُ سَيُطَلَّقُها ، وَهَذا  
هُوَ الَّذي أَحْفَى في نَفْسِهِ ﷺ ، وَلَمْ يَرِدْ أَن يَأمرَهُ بِالطَّلاقِ : لِما عَلِمَ مِنْهُ أَنَّهُ

(٢) رَدُّ المُتَشابِهاتِ إِلى المُخْصَماتِ ، لـ (مُحمد عبد الباعث) .

(١) سُورَةُ الأَحزابِ ( مَن الآيَةِ ٢٧ ) .

(٢) سُورَةُ القَلمِ ( مَن الآيَةِ ٤ ) .

سَيُطَلَّقُهَا ، وَخَشِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَلْحَقَهُ قَوْلٌ مِنَ النَّاسِ ، فِي أَنْ يَتَزَوَّجَ زَيْنَبَ بَعْدَ زَيْدٍ ، وَهُوَ مَوْلَاهُ ، وَقَدْ أَمَرَهُ بِطُلَاقِهَا ، فَمَاتَبَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ فِي شَيْءٍ قَدْ أَبَاحَهُ اللَّهُ بِأَنْ قَالَ : أَمْسِكْ ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ يُطَلَّقُ ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْخَشْيَةِ ، أَي فِي كُلِّ حَالٍ (١) .

وَأَمَّا الْعَقْلُ : فَإِنَّ تَسْلِيمَنَا بِتَوَجُّهِ الْعِتَابِ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، لَا يَصْدُقُ إِلَّا عَلَى مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ مِنْ دَفْعِ الظَّنِّ أَوْ التُّهْمَةِ عَنْهُ ﷺ ، وَالتِّي لَمْ تَتَّحَقَّقْ فِي جَانِبِ أَمْرِهِ ﷺ لِزَيْدٍ بِتَطْلِيْقِ زَيْنَبَ ، وَإِنَّمَا تَحَقَّقَتْ فِي جَانِبِ كِتْمَانِهِ لِمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَأَنَحَى اللَّهُ بِاللَّائِمَةِ : لِيُفْهَمَ قَوْمًا آخَرِينَ .

وَلِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْحَافِظِ التَّجَانِي كَلَامٌ نَفِيسٌ حَوْلَ زَوَاجِهِ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، هَذَا نَصُّهُ : أَمَّا مَا طَنَطَنَ بِهِ مَنْ طَنَطَنَ فِي زَوَاجِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ( فَتِلْكَ شِكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارُهَا ) ، فَهُوَ ﷺ وَوَلِيَّ أَمْرِهَا ، وَزَوَّجَهَا لِزَيْدٍ مَوْلَاهُ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَنْفُرُ مِنْ زَوَاجِ مَنْ كَانَتْ تَحْتَ مَوْلَى ، وَإِذَا تَبَنَّى أَحَدُهُمْ غَيْرَ وَلَدِهِ اعْتَبَرُوهُ وَلَدَهُ يَرْتَهُ ، وَيَحْرُمُ مِنْهُ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْإِبْنِ ، فَإِذَا تَرَكَ زَوْجَتَهُ حُرِّمَتْ عَلَى أَبِيهِ الَّذِي تَبَنَّى ، فَأَرَادَ اللَّهُ رَدَّ الْأَمْرِ إِلَى حَقِيقَتِهِ ( وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَنْفُرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ النَّفُورِ ) ، فَبَدَأَ بِرَسُولِهِ ﷺ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ زَوْجَةَ زَيْدٍ ؛ لِيَعْرِفَ الْمَلَأُ أَنَّ تَحْرِيمَ زَوْجَةِ الْمُتَبَنَّى لَا وَجْهَ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِإِبْنٍ صَحِيحٍ .

وَإِذَا فَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ ذَلِكَ ، فَلَا تَشْمِزُ مِنْهُ بَعْدَ نَفُوسٍ مِنْ نَشَأَتْ عَلَى تَحْرِيمِهِ كَمَا أَنَّهَا لَا تَنْظُرُ إِلَى الْمَوَالِي نَظْرَةَ احْتِقَارٍ ، فَتَسْتَقْدِرُ زَوْجَةَ الْمَوْلَى ، فَقَدْ أَعْلَنَ الْإِسْلَامُ أَنَّ لَا فَضْلَ لِإِنْسَانٍ عَلَى إِنْسَانٍ إِلَّا بِمَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ .

وَلَيْسَ مِنَ الْمُتَعَارَفِ فِي طَبِيعَةٍ مَنْ يُرِيدُ الِاسْتِمْتَاعَ ، أَنْ تَكُونَ فِي مُتَنَاوَلِ يَدِهِ وَهِيَ بَكْرٌ عَذْرَاءٌ ، ثُمَّ يَتْرُكُهَا حَتَّى يَسْتَمْتَعَ بِهَا مِنْ يَسْتَمْتَعُ بِهَا ، ثُمَّ يَصْبُو إِلَيْهَا بَعْدَ أَنْ زَالَتْ بَهْجَتُهَا الْفِطْرِيَّةُ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ لَمْ يَنْلُهَا أَحَدٌ أَحْطَى لِنَفْسِ مَنْ

(١) قَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي تَسْبِيْرِهِ : وَهَذَا الْمَرْوِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ . هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ التَّحْقِيقِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ كَالزُّهْرِيِّ وَبَكْرِ بْنِ الْمَلَاءِ . وَالْقَشْبِيرِيُّ ، وَالْفَاضِي أَبِي بَكْرٍ بَيْنَ الْعَرَبِيِّ وَغَيْرِهِمْ .



يُرِيدُ الشَّهْوَةَ مِمَّنْ جَرَّبَتِ الرَّجَالَ .

وَقَدْ تَعَرَّضَ ﷺ لِأَلْسِنَةِ الْجَاهِلِينَ فِي عَصْرِهِ الشَّرِيفِ ، لِأَنَّهُ ﷺ خَرَجَ عَلَى عُرْفِهِمْ ، وَخَالَفَ مَا أَوْحَى إِلَيْهِمُ الْكِبْرُ ، وَلَمْ يَنْتَقِدْ نَفْسَ خُصُومِهِ الْمُعَاصِرِينَ لَهُ إِلَّا مُخَالَفَتَهُ لِلتَّقَالِيدِ ، وَمَا جَاءَ إِلَّا لِإِصْلَاحِهَا ، وَقَدْ كَانَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَجْمَلُ وَأَجْمَلُ مِنْ زَيْنَبَ ، وَلَيْسَ فِيهِ تَعَرُّضٌ لِمُخَالَفَةِ الْمُجْتَمَعِ فِي تَقَالِيدِهِ ، وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَحْرِضُ عَلَى مُصَاهَرَتِهِ ﷺ ١٩ .

وَلَكِنَّهُ ﷺ كَانَ فِي ذَلِكَ مُتَطَوِّعًا لِإِنْقَادِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ أُمُورٍ : ادِّعَاءُ الْبُنُوَّةِ وَلَيْسَتْ بِبُنُوَّةٍ ، وَتَحْرِيمُ زَوْجَةِ الْمُتَبَنَّى وَهِيَ حَلَالٌ ، وَإِعْلَانُ الْمُسَاوَاةِ بَيْنَ الْأَخْرَارِ وَالْمَوَالِي ، وَأَنَّ مِعْيَارَ التَّفَاضُلِ إِنَّمَا هُوَ مَا فِيهِمْ مِنْ مَكَارِمٍ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، وَأَنَّ اسْتِغْذَارَ زَوْجَةِ الْمَوْلَى مِنَ الْكِبْرِ الْمَمْقُوتِ ، الَّذِي لَا يَنْبَغُ بِهِ الصَّالِحُونَ ، فَإِنَّ هِيَ الشَّهْوَةُ ١٩ .

\* وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَادَقْنٰكَ ضِعْفَ الْحَيٰوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾<sup>(٢)</sup> ... الْآيَةُ :  
فَالْمَعْنَى لَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَارَبْتَ أَنْ تَمِيلَ إِلَى اتِّبَاعِ مُرَادِهِمْ ، لَكِنْ أَدْرَكْتَكَ عِصْمَتُنَا فَمُنِعْتَ أَنْ تَقْرُبَ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَرُكْنَ إِلَيْهِمْ ؛ وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ ﷺ مَا هَمَّ بِإِجَابَتِهِمْ مَعَ قُوَّةِ الدَّوَاعِي إِلَيْهَا فَالْعِصْمَةُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَحِفْظِهِ .

\* وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ● لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ● ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ● ﴾<sup>(٣)</sup> : فَالْمَعْنَى لَوْ افْتَرَى عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ وَقَطَعْنَا نِيَابَ قَلْبِهِ وَأَهْلَكْنَاهُ وَقَدْ أَعَادَهُ اللَّهُ مِنَ التَّقْوَلِ عَلَيْهِ . وَهَذِهِ سِيرَةُ الْحَبِيبِ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ رَبِّهِ الْمُجِيبِ ؛ اِرْحَمِ اللَّهُمَّ مَنْ قَرَأَهَا وَنَشَرَهَا وَبَعَثَ حُبَّ نَظَرِهَا يَا سَبِيعُ يَا قَرِيبُ .

(١) سُورَةُ الْحُجْرَاتِ ( مِنْ الْآيَةِ ١٣ ) . (٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ( ٧٤ ، ٧٥ ) . (٣) سُورَةُ الْعَاقَةِ ( ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ) .

## تَبَّتْ بِأَهَمِّ مَرَاجِعِ الْكِتَابِ

\* الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

\* التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ ، لـ ( فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي )

\* الْبَحْرُ الْمَدِيدُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، لـ ( ابْنِ عَجِيبَةَ )

\* الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ ، لـ ( أَبِي حَيَّانَ الْأَنْدَلُسِيِّ )

\* تَفَاسِيرُ : ابْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ ، وَالزَّمَخْشَرِيِّ ، وَالْبَغَوِيِّ ، وَالْقُرْطُبِيِّ ، وَالْأَلُوسِيِّ

وَأَسْبَابُ النُّزُولِ لِلشُّيُوطِيِّ . \* تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ

\* الصَّحِيحَانُ : صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ .

\* اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانُ ، لـ ( مُحَمَّدُ فَوَّادُ عَبْدِ الْبَاقِي )

\* الْمَوْطَأُ ، لِلْإِمَامِ ( مَالِكِ ) \* الْأُمَّمُ ، لِلْإِمَامِ ( الشَّافِعِيِّ )

\* مُسْنَدُ الْإِمَامِ ( أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ) \* التَّذَكِرَةُ ، لـ ( الْقُرْطُبِيِّ )

\* سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيِّ ، وَالنَّسَائِيِّ ، وَابْنِ مَاجَةَ .

\* الْمُسْتَدْرَكُ لِلْحَاكِمِ \* السُّنَنُ لِلْبَيْهَقِيِّ

\* الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبْرَانِيِّ \* سُنَنُ الدَّارِ قُطْنِي

\* مُسْنَدُ الدَّارِمِيِّ \* الْأَشْبَاهُ وَالنِّظَائِرُ ، لـ ( الشُّيُوطِيِّ )

\* دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ ، لـ ( الْبَيْهَقِيِّ ) \* رِيَاضُ الصَّالِحِينَ ، لـ ( النَّوَوِيِّ )

\* الشِّفَا فِي التَّعْرِيفِ بِحُقُوقِ الْمُصْطَفَى ، لـ ( الْقَاضِي عِيَاضِ )

\* إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ ، لِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ ( الْغَزَالِيِّ )

\* وَفَاءُ الْوَفَا ، لـ ( السَّمْهُودِيِّ ) \* الْعَرَفُ الْوَرْدِيُّ ، لـ ( الشُّيُوطِيِّ )

\* فَتْحُ الْبَارِي بِشَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، لـ ( ابْنِ حَجَرَ الْعَسْقَلَانِيِّ )

\* بَهْجَةُ النُّفُوسِ ( شَرْحُ مُخْتَصَرِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ) لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَمْرَةَ .

\* الدُّرُّ الْمَنْثُورُ ، لـ ( الشُّيُوطِيِّ ) \* كَنْزُ الْعَمَالِ ، لـ ( الْمُتَّقِيِّ الْهِنْدِيِّ )

- \* مَجْمَعُ الزَّوَائِد ، لـ ( الهَيْثَمِيُّ )
- \* مَشْكَاتُ الْمَصَابِيح ، لـ ( التَّبْرِيذِيُّ )
- \* مَرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ شَرْحُ مَشْكَاتِ الْمَصَابِيح ، لـ ( مُلَّا عَلِي قَارِي )
- \* حَاشِيَةُ الطَّحَاوِيِّ عَلَى مَرَاقِي الْفَلَاحِ \* اللَّمَعُ ، لـ ( الطُّوسِي )
- \* نِهَائَةُ الْمُحْتَاجِ ، لـ ( الرَّمْلِيُّ )
- \* النَّارِخُ ، لـ ( الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ )
- \* السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ ، لـ ( ابْنُ هِشَامٍ )
- \* الرِّسَالَةُ ، لِإِمَامِ ( الشَّافِعِيِّ )
- \* الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى ، لـ ( ابْنُ سَعْدٍ )
- \* السَّيْرَةُ ، لـ ( عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ خَلْفِ الدَّمِيَّاطِيِّ )
- \* عُيُونُ الْأَثَرِ فِي فُنُونِ الْمَغَازِي وَالشَّمَائِلِ وَالسَّيْرِ ، لـ ( ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ )
- \* مُخْتَصَرُ السَّيْرَةِ ، لـ ( ابْنُ حَجَرَ الْعَسْقَلَانِيِّ )
- \* الْمَوَاهِبُ اللَّدْنِيَّةُ بِالْمِنْحِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، لـ ( الْقَسْطَلَانِيُّ )
- \* شَرْحُ الْمَوَاهِبِ اللَّدْنِيَّةِ ، لـ ( الزُّرْقَانِيُّ )
- \* الْأَنْوَارُ الْمُحَمَّدِيَّةُ مِنَ الْمَوَاهِبِ اللَّدْنِيَّةِ ، لـ ( يُوسُفُ النَّبَهَانِيُّ )
- \* نُورُ الْبَاقِينَ فِي سِيْرَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، لـ ( مُحَمَّدُ الْخَضْرِيُّ )
- \* سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ فِي سِيْرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ ( السَّيْرَةُ الشَّامِيَّةُ ) ،
- لـ ( مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الصَّالِحِيِّ )
- \* إِنْسَانُ الْعِيُونِ فِي سِيْرَةِ الْأَمِينِ الْمَأْمُونِ ( السَّيْرَةُ الْحَلَبِيَّةُ ) ،
- لـ ( عَلِيُّ بْنُ بُرْهَانَ الدِّينِ الْحَلَبِيِّ )
- \* حَدَائِقُ الْأَنْوَارِ وَمَطَالِعُ الْأَسْرَارِ فِي سِيْرَةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ،
- لـ ( مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بَعْرَقِ )
- \* رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ، لـ ( الْمَنْصُورُ فُورِي )
- \* السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ ، لـ ( زَيْنِي دَحْلَانِ )
- \* الرَّحِيقُ الْمَخْتُومُ فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، لـ ( صَفِيُّ الرَّحْمَنِ الْمُبَارَكْمُورِي )
- \* السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ، لـ ( مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو شَهْبَةَ )

\* دَائِرَةُ مَعَارِفٍ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، لـ (شَبْلَى التُّعْمَانِي ، سَيِّدُ سُلَيْمَانَ النَّدَوِي)

\* الرَّوْضُ الْأَنْفُ ( وَهُوَ شَرْحٌ لِسِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ) ، لِلْسُّهَيْلِي

\* فِقْهُ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، لـ ( د. مُحَمَّدٌ سَعِيدٌ رَمَضَانَ الْبُوطِي )

\* السَّيْرَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ لِحَيَاةِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ ، لـ ( مُحَمَّدٌ عَارِفٌ عَطِيَّة )

\* مُذَكَّرَاتٌ فِي فِقْهِ السَّيْرَةِ ، لـ ( د. مُصْطَفَى السَّبَاعِي )

\* سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، لـ ( عَبْدِ اللَّهِ سِرَاجُ الدِّينِ )

\* تَارِيخُ الْأُمَمِ وَالْمُلُوكِ ، لـ ( مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ )

\* الرِّيَاضُ النَّضْرَةُ فِي مَنَاقِبِ الْعَشْرَةِ ، لـ ( الطَّبْرِيِّ )

\* مُرُوجُ الذَّهَبِ ، لـ ( عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَسْعُودِيِّ )

\* الْإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ ، لـ ( ابْنِ حَجَرَ الْعَسْقَلَانِيِّ )

\* الْاِسْتِيعَابُ فِي تَارِيخِ الْأَصْحَابِ ، لـ ( ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ )

\* زَادُ الْمَعَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ الْعِبَادِ ، لـ ( ابْنِ قِيَمِ الْجَوْزِيِّ )

\* الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ، لـ ( ابْنِ كَثِيرٍ )

\* الْخَصَائِصُ الْكُبْرَى ، لِلْحَافِظِ ( السُّيُوطِيِّ )

\* أَسْدُ الْغَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ ، لـ ( ابْنِ الْأَثِيرِ )

\* مَعَارِفُ ابْنِ قُتَيْبَةَ \* الْأَعْلَامُ ، لـ ( خَيْرُ الدِّينِ الزُّرْكَانِيِّ )

\* تَلْقِيحُ فَهْمِ أَهْلِ الْأَثَرِ ، لـ ( ابْنِ الْجَوْزِيِّ )

\* تَارِيخُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، لـ ( ابْنِ الْجَوْزِيِّ )

\* إِتْمَامُ الْوَفَاءِ فِي سِيرَةِ الْخُلَفَاءِ ، لـ ( مُحَمَّدُ الْخَضْرِيُّ )

\* مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ ، لـ ( يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ ) \* الْأَصْنَافُ ، لـ ( ابْنِ الْكَلْبِيِّ )

\* جَالِيَّةُ الْكَدَرِ بِذِكْرِ أَسْمَاءِ أَهْلِ بَدْرِ وَشُهَدَائِهِ أَحْدِ السَّادَةِ الْفَرَرِ ، لـ ( جَعْفَرُ الْبَرْزَنْجِيِّ )

\* مَوْلِدُ الْبَرْزَنْجِيِّ

\* بُرْدَةُ الْمَدِيحِ الْمُبَارَكَةِ ، لـ (البُوصَيْرِي)  
\* رَدُّ الْمُتَشَابِهَاتِ إِلَى الْمُحْكَمَاتِ فِي جَانِبِ خَاتَمِ النُّبُوتِ ،

لـ (محمد عبد الباعث)

\* نَتَائِجُ الْأَفْهَامِ فِي تَقْوِيمِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، لـ (محمود باشا الفلكي)

\* نِهَائَةُ الْأَرَبِ فِي مَعْرِفَةِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، لـ (الْقَلْقَشْنَدِي).

\* كُتُبُ اللَّفَّةِ : الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ ، وَالْمِضْبَاحُ الْمُنِيرُ



## الفهرس الموضوعي للكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	تَصْرِيحُ الْأَزْهَرِ .....
٥	اسْتِيفْتَا ح .....
٩	حَالَةُ الْإِنْسَانِ .. الْمُتَقَدِّمَةُ عَلَى ظُهُورِ نَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ ﷺ .....
١٩	ذِكْرُ مَنْ حَازَ سَبَقَ الْفَضْلِ .. وَبَشَّرَ بِالنَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ فَضْلٌ .....
٢٦	عَامُ الْفِيلِ .. مَوَاقِبُ لِمِيلَادِ مُحَمَّدٍ الرَّسُولِ ﷺ .....
٢٨	فَضْلُ مَكَّةَ حَمَاهَا اللَّهُ .. حَيْثُ مَوْلِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .....
٣٠	النَّسَبُ الشَّرِيفُ .. وَالْقَدْرُ الْعَلِيُّ الْمُنِيفُ .....
٣٣	إِشْرَاقَاتُ مَوْلِدِهِ وَرِضَاعَتِهِ وَنَشَأَتِهِ إِلَى أَوَانِ بَعْثِهِ ﷺ .....
٣٣	مُقَدِّمَةٌ مِهْمَةٌ حَوْلَ زَوَاجِ وَالِدِي الْمُصْطَفَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَمْنَةٍ .....
٣٦	الْحَمْلُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا صَاحِبُهُ لِأَمْنَةٍ وَأَهْلِ مَكَّةَ .....
٣٧	مَوْلِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .....
٣٧	تَارِيخُ الْمِيلَادِ وَمَكَانُ وِلَادَتِهِ .....
٣٨	رِضَاعَتُهُ ﷺ .....
٣٩	رِضَاعَتُهُ ﷺ مِنْ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ .....
٤١	حَادِثَةُ شَقِّ صَدْرِهِ ﷺ .....
٤٢	مَزِيدُ إِظْهَارِ اللَّسْرِ مَعَ تَكَرُّرِ شَقِّ الصِّدْرِ .....
٤٣	وَفَاةُ السَّيِّدَةِ أَمْنَةٍ .....
٤٥	الْحَبِيبُ ﷺ فِي كَفَالَةِ الْعَمِّ الشَّفِيقِ .....
٤٥	يُسْتَسْقَى الْفَمَامُ بِوَجْهِهِ ﷺ .....

- ٤٦ ..... السَّفَرُ إِلَى الشَّامِ
- ٤٧ ..... شُهُودُ النَّبِيِّ ﷺ حَرْبَ الْفِجَارِ
- ٤٧ ..... شُهُودُ النَّبِيِّ ﷺ حِلْفَ الْفُضُولِ
- ٤٨ ..... رَعِيَهُ ﷺ الْغَنَمَ
- ٤٩ ..... رِحْلَتُهُ ﷺ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ إِلَى الشَّامِ
- ٤٩ ..... زَوَاجُهُ ﷺ مِنَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ
- ٥٠ ..... خُطْبَةُ أَبِي طَالِبٍ فِي حَفْلِ الزَّوْجِ
- ٥٣ ..... بُنْيَانُ الْكَعْبَةِ وَمُشَارَكَةُ النَّبِيِّ ﷺ
- ٥٦ ..... بَيْنَ يَدَيِ الرَّسَالَةِ
- ٥٧ ..... سِيرَتُهُ ﷺ فِي قَوْمِهِ قَبْلَ الْبِعْثَةِ
- ٥٨ ..... تَرَادُفُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ عَلَيْهِ ﷺ
- ٥٩ ..... خَلْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَارِ حِرَاءَ
- ٦١ ..... الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ
- ٦٢ ..... الْفَتْرَةُ بَيْنَ سَيِّدِنَا عِيسَى وَبِعْثَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
- ٦٣ ..... بَدْءُ الْوَحْيِ
- ٦٤ ..... فَتْرَةُ الْوَحْيِ
- ٦٥ ..... عَوْدُ الْوَحْيِ
- ٦٥ ..... إِضْحَاحُ مَهْمٌ حَوْلَ الْوَحْيِ وَأَقْسَامِهِ
- ٦٧ ..... دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ سِرًّا
- ٧٦ ..... الْجَهْرُ بِالِدَّعْوَةِ
- ٨٠ ..... حَشْدُ أَبِي طَالِبٍ مُؤَيِّدِيهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

- ٨٢ ..... ما لَقِيَهُ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ .. مِنْ صُنُوفِ الْإِيذَاءِ وَالْأَسْتَهْزَاءِ
- ٨٩ ..... ما لَقِيَهُ أَصْحَابُ الْحَبِيبِ .. مِنْ صُنُوفِ الْإِيذَاءِ وَالْتَعَذِيبِ
- ٩٣ ..... الْعِظَةُ وَالْإِعْتِبَارُ وَالتَّأَمِّي بِالسَّابِقِينَ الْأَخْيَارِ
- ٩٦ ..... إِسْلَامُ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه
- ٩٦ ..... اضْطِرَارُ قُرَيْشٍ لِلْمُنَاوَرَاتِ وَالْمُفَاوِضَاتِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
- ١٠٢ ..... الْهَجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الْحَبْشَةِ
- ١٠٢ ..... إِسْلَامُ عُمَرَ رضي الله عنه
- ١٠٣ ..... عَوْدَةُ مُهَاجِرِي الْحَبْشَةِ .. وَحَدِيثُ الْغَرَانِيقِ الْمُفْتَرَى
- ١٠٦ ..... صَحِيفَةُ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَقِمَّةُ غَوَايَةِ الْإِنْسَانِ
- ١٠٧ ..... هَجْرَةُ الْحَبْشَةِ الثَّانِيَةِ
- ١٠٧ ..... مَكِيدَةُ قُرَيْشٍ بِمُهَاجِرِي الْحَبْشَةِ
- ١١٠ ..... ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ
- ١١١ ..... نَقْضُ الصَّحِيفَةِ
- ١١٢ ..... وَفُودُ نَجْرَانَ
- ١١٣ ..... آخِرُ وَفْدِ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ
- ١١٥ ..... عَامُ الْحُزْنِ
- ١١٦ ..... الْمِنْحَةُ فِي طَيِّ الْمِحْنَةِ
- ١٢١ ..... خُرُوجُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَى الطَّائِفِ
- ١٢٣ ..... اسْتِمَاعُ الْجَنِّ لِلْقُرْآنِ .. وَإِيْمَانُهُمْ بِنَبِيِّ آخِرِ الزَّمَانِ
- ١٢٤ ..... دُخُولُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَكَّةَ فِي جَوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ
- ١٢٥ ..... إِمْعَانُ نَظَرٍ .. وَاسْتِخْلَاصُ عِبَرٍ



- النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ وَالْإِسْلَامَ عَلَى الْقَبَائِلِ ..... ١٢٧
- مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَرَضَ عَلَيْهَا ﷺ الْإِسْلَامَ ..... ١٢٨
- عَرَضُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأَفْرَادِ ..... ١٢٩
- أَبْتِدَاءُ أَمْرِ الْأَنْصَارِ ..... ١٣٢
- زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) ..... ١٣٣
- بَيْعَةُ الْعَقِيبَةِ الْأُولَى ..... ١٣٤
- بَعَثُ مُصْعَبِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى الْمَدِينَةِ وَانْتِشَارُ الْإِسْلَامِ فِيهَا ..... ١٣٥
- مُعْجِزَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ ..... ١٣٧
- قِرَاءَةٌ فِي بَعْضِ دَقَائِقِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ ..... ١٤١
- تَذَكُّرٌ وَتَدْبِيرٌ ..... ١٥١
- بَيْعَةُ الْعَقِيبَةِ الثَّانِيَةِ ..... ١٥٤
- إِذْنُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ..... ١٥٦
- اجْتِمَاعُ قُرَيْشٍ بِدَارِ النَّدْوَةِ وَخَوْفُهُمْ مِنْ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ ..... ١٦٠
- الْإِذْنُ بِالْهَجْرَةِ وَالْإِسْرَارُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِهَا ..... ١٦١
- تَطْوِيقُ مَنْزِلِ الرَّسُولِ ﷺ ..... ١٦٢
- مِنَ الدَّارِ إِلَى الْغَارِ وَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ..... ١٦٣
- إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ..... ١٦٤
- فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدِينَةِ ..... ١٦٦
- تَنْوِيهِ لَزِمَ ذِكْرُهُ ..... ١٧١
- النُّزُولُ بِقُبَاءَ ..... ١٧٣
- مَسْجِدُ قُبَاءَ ..... ١٧٤

- الوصولُ إِلَى المَدِينَةِ ..... ١٧٥
- نُزْلُ المُهَاجِرِينَ ..... ١٧٧
- أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ .. وَمَحَبَّةُ سَيِّدِ الأَنَامِ ( عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام ) ..... ١٧٧
- مِنْ مَظَاهِرِ الأُخُوَّةِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ..... ١٧٩
- هِجْرَةُ أَهْلِ البَيْتِ ..... ١٨١
- حُمَى المَدِينَةِ ..... ١٨٢
- مَنْعُ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الهِجْرَةِ ..... ١٨٢
- فَضْلُ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ ..... ١٨٣
- السَّنَةُ الأُولَى مِنَ هِجْرَتِهِ صلوات الله وسلاماته عليه ..... ١٨٤
- مَزِيدُ بَيَانٍ عَنِ النَّاسِخِ وَالمَنْسُوخِ بِنَصِّ القُرْآنِ ..... ١٨٨
- تَأْسِيسُ مُجْتَمَعِ المَدِينَةِ ..... ١٨٩
- بِنَاءُ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ..... ١٨٩
- إِخْبَارُهُ صلوات الله وسلاماته عليه عَمَّاراً بِقَتْلِهِ عَلَى يَدِ الفِئَةِ البَاغِيَةِ ..... ١٩٠
- مَشْرُوعِيَّةُ وَبَدَأُ الأَذَانِ ..... ١٩٠
- بُنُودُ الوَثِيقَةِ الَّتِي عَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ صلوات الله وسلاماته عليه لِلْمُسْلِمِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ..... ١٩٢
- بُنُودُ الوَثِيقَةِ الَّتِي عَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ صلوات الله وسلاماته عليه بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ ..... ١٩٣
- بِنَاؤُهُ صلوات الله وسلاماته عليه بِعَائِشَةَ رضي الله عنها ..... ١٩٤
- الإِذْنُ بِالقِتَالِ وَفَرَضُ الجِهَادِ ..... ١٩٤
- بَدَأُ القِتَالِ ..... ١٩٨
- سَرِيَّةُ عَمِّه حَمْزَةَ رضي الله عنه ( سَرِيَّةُ سَيْفِ البَحْرِ ) ..... ١٩٨
- سَرِيَّةُ رَايغِ ..... ١٩٩

الموضوع

الصفحة

- ١٩٩ ..... سَرِيَّةُ الْحَرَّارِ
- ١٩٩ ..... وَفَيَاتُ
- ٢٠١ ..... السَّنَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ
- ٢٠١ ..... غَزْوَةُ وَدَّانِ ( الْأَبْوَاءِ )
- ٢٠١ ..... غَزْوَةُ بُوَاطِ
- ٢٠١ ..... غَزْوَةُ سَفْوَانَ ( غَزْوَةُ بَدْرِ الْأُولَى )
- ٢٠٢ ..... غَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ
- ٢٠٢ ..... سَرِيَّةُ نَخْلَةَ
- ٢٠٣ ..... تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ
- ٢٠٥ ..... فَرَضُ صِيَامِ رَمَضَانَ
- ٢٠٥ ..... فَرَضُ صَدَقَةِ الْفِطْرِ
- ٢٠٥ ..... زَكَاةُ الْمَالِ
- ٢٠٦ ..... غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى
- ٢١٣ ..... مُنَاشِدَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَبَّهُ النَّصْرَ
- ٢١٤ ..... عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ .. فِي تَضَرُّعٍ وَعِبْرَةٍ
- ٢١٧ ..... إِبْلِيسُ يَنْسَحِبُ عَنْ مَيْدَانِ الْقِتَالِ
- ٢١٨ ..... مَضْرَعُ أَبِي جَهْلٍ
- ٢٢٠ ..... رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَاطِبُ قَتْلَى الْمُشْرِكِينَ
- ٢٢١ ..... الْمَدِينَةُ وَبُشْرِيَاتُ النَّصْرِ
- ٢٢٢ ..... رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَحْبُهُ ﷺ يَتَحَرَّكُونَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ
- ٢٢٣ ..... أَسْرَى بَدْرِ

- ٢٢٤ ..... الفداء
- ٢٢٧ ..... العتابُ فِي الفِداءِ
- ٢٢٩ ..... فَضْلُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
- ٢٢٩ ..... صَلَاةُ الْعِيدِ
- ٢٣١ ..... غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعَ
- ٢٣٣ ..... الدَّرْسُ الْمُسْتَفَادُ فِي مُعَامَلَةِ الْمُنَافِقِينَ وَمَا أَكْثَرَهُمْ الْيَوْمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ..
- ٢٣٤ ..... غَزْوَةُ السَّوِيقِ
- ٢٣٥ ..... زَوَاجُ عَلِيٍّ بِفَاطِمَةَ رضي الله عنهما
- ٢٣٦ ..... السَّنَةُ الثَّلَاثَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ صلوات الله عليه
- ٢٣٦ ..... غَزْوَةُ غَطَفَانَ
- ٢٣٦ ..... قَتْلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيِّ
- ٢٣٨ ..... غَزْوَةُ بُحْرَانَ
- ٢٣٨ ..... سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى الْقَرْدَةِ مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ
- ٢٣٨ ..... غَزْوَةُ أُحُدٍ
- ٢٤٤ ..... الْإِبْتِلَاءُ بَعْدَ النَّصْرِ
- ٢٤٥ ..... مَصْرَعُ أَسَدِ اللَّهِ وَأَسَدِ رَسُولِهِ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه
- ٢٤٦ ..... الْمُسْلِمُونَ يَسْتَبْسِلُونَ
- ٢٤٧ ..... إِشَاعَةُ مَقْتَلِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وَمَا لَقِيَهُ مِنَ الْأَذَى
- ٢٤٨ ..... ثَبَاتُ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه
- ٢٥٠ ..... تَتَّبَعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ
- ٢٥٠ ..... شُهَدَاءُ أُحُدٍ

- ٢٥٢ ..... إنسانية الإيمان وحقيقة الحب والتفاني
- ٢٥٣ ..... غزوة حمراء الأسد
- ٢٥٤ ..... ذكريات أحدٍ عظمت وإشراقات
- ٢٥٦ ..... أحداثٌ متعددةٌ في السنة الثالثة
- ٢٥٨ ..... السنة الرابعة من هجرته ﷺ
- ٢٥٨ ..... سرية أبي سلمة إلى قطن
- ٢٥٨ ..... بعث عبد الله بن أنيس
- ٢٥٩ ..... بعث الرجيع
- ٢٦٠ ..... وقعة بئر معونة
- ٢٦٢ ..... خلاصة عبر ومعونة من بعث الرجيع وبئر معونة
- ٢٦٥ ..... غزوة بني النضير وإجلالهم
- ٢٦٨ ..... مولد الحسين بن علي سبط النبي
- ٢٦٩ ..... وفاة أم المساكين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها
- ٢٦٩ ..... زواج النبي ﷺ من أم سلمة رضي الله عنها
- ٢٦٩ ..... أمر النبي ﷺ بتعلم اللغة العبرية
- ٢٧٠ ..... السنة الخامسة من هجرته ﷺ: غزوة دومة الجندل والمرسيع
- ٢٧٣ ..... حديث الإفك
- ٢٧٨ ..... غزوة الخندق ( الأحزاب )
- ٢٨٢ ..... نقض بني قريظة العهد
- ٢٨٥ ..... هزيمة الأحزاب

- ٢٨٦ ..... غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ
- ٢٨٨ ..... حُكْمُ سَعْدِ بْنِ رِزْوَانَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ
- ٢٨٨ ..... وَفَاةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ رِزْوَانَ
- ٢٨٨ ..... زَوَاجُ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشِ بْنِ رِزْوَانَ
- ٢٨٩ ..... تَحْرِيمُ التَّبَنِيِّ
- ٢٨٩ ..... الْحِجَابُ
- ٢٩٢ ..... فَرَضُ الْحَجِّ
- ٢٩٢ ..... التَّيْمُّمُ ، صَلَاةُ الْخَوْفِ
- ٢٩٢ ..... السَّنَةُ السَّادِسَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ
- ٢٩٢ ..... سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ
- ٢٩٤ ..... غَزْوَةُ بَنِي لَحْيَانَ
- ٢٩٤ ..... غَزْوَةُ الْغَابَةِ
- ٢٩٥ ..... سَرِيَّةُ عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنِ الْأَسَدِيِّ
- ٢٩٥ ..... سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ
- ٢٩٦ ..... سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ
- ٢٩٦ ..... سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ
- ٢٩٧ ..... سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ
- ٢٩٧ ..... سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ إِلَى وَادِي الْقُرَى
- ٢٩٧ ..... سَرِيَّةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ
- ٢٩٨ ..... سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى فَدَكِ
- ٢٩٨ ..... قَتْلُ أَبِي رَافِعٍ

- ٢٠٠ ..... سرية عبد الله بن رواحة
- ٢٠٠ ..... قصة عكل وعرينة
- ٢٠١ ..... سرية عمرو بن أمية الضمري
- ٢٠٢ ..... صلح الحديبية
- ٢٠٥ ..... بيعة الرضوان
- ٢٠٥ ..... عقد صلح الحديبية وكتابة على بنودة
- ٢٠٧ ..... موقف عمر بن الخطاب من شروط الصلح
- ٢٠٧ ..... فائدة في أن مقام الصديقية فوق مقام أهل الإلهام
- ٢٠٨ ..... النحر والحلق للحل من العمرة
- ٢٠٨ ..... العودة إلى المدينة
- ٢١٠ ..... إسلام أبطال قريش
- ٢١١ ..... مكاتبة الملوك
- ٢١٢ ..... كتاب قيصر
- ٢١٤ ..... كتاب أمير بصرى
- ٢١٥ ..... كتاب الحارث بن أبي شمر
- ٢١٥ ..... كتاب المقوقس
- ٢١٦ ..... كتاب النجاشي
- ٢١٧ ..... كتاب كسرى
- ٢١٨ ..... كتاب المنذر بن ساوي
- ٢١٨ ..... كتاب ملكي عمان
- ٢١٩ ..... كتاب هوذة بن علي

- ٣٢٠ ..... سُورُ النَّبِيِّ بِخَفِيدَتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ عَلِيٍّ
- ٣٢١ ..... السَّنَةُ السَّابِعَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ
- ٣٢١ ..... غَزْوَةُ خَيْبَرَ
- ٣٢٦ ..... قِسْمَةُ غَنَائِمِ خَيْبَرَ
- ٣٢٧ ..... قُدُومُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْأَشْعَرِيِّينَ
- ٣٢٧ ..... خَبْرُ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ
- ٣٢٨ ..... زَوَاجُهُ ﷺ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٣٢٨ ..... النَّهْيُ عَنِ نِكَاحِ الْمُتَعَةِ
- ٣٢٨ ..... صَلُحُ تَيْمَاءَ
- ٣٢٨ ..... فَتْحُ وَادِي الْقُرَى
- ٣٢٨ ..... مَقَالَةُ الشَّفِيعِ ﷺ تُدْرِكُ بِالذَّوْقِ الرَّفِيعِ
- ٣٢٩ ..... غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ
- ٣٢٩ ..... خَبْرُ غَوْرَثِ بْنِ الْحَارِثِ
- ٣٣٠ ..... سَرِيَّةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٣٣٠ ..... سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٣٣٠ ..... سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٣٣١ ..... سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضاً
- ٣٣١ ..... عُمَرَةُ الْقَضَاءِ
- ٣٣٢ ..... زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٣٣٢ ..... السَّنَةُ الثَّامِنَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ
- ٣٣٣ ..... سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



- ٢٣٢ ..... سَرِيَّةُ غَالِبٍ أَيْضاً
- ٢٣٢ ..... سَرِيَّةُ كَعْبِ بْنِ عُمَيْرِ الْفِجَارِيِّ رضي الله عنه
- ٢٣٤ ..... سَرِيَّةُ مُؤْتَةَ
- ٢٣٥ ..... ابْتِدَاءُ الْقِتَالِ وَاسْتِشْهَادُ الْأَمْرَاءِ الثَّلَاثَةِ
- ٢٣٦ ..... تَوْلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه قِيَادَةَ الْجَيْشِ
- ٢٣٦ ..... نَعْيُ النَّبِيِّ صلوات الله عليه زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ رضي الله عنه
- ٢٣٧ ..... عَوْدَةُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ
- ٢٣٧ ..... سَرِيَّةُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه
- ٢٣٨ ..... سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه
- ٢٣٩ ..... سَرِيَّةُ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه
- ٢٣٩ ..... فَتْحُ مَكَّةَ
- ٢٤٢ ..... خُرُوجُ النَّبِيِّ صلوات الله عليه لِفَتْحِ مَكَّةَ
- ٢٤٤ ..... إِسْلَامُ أَبِي سُفْيَانَ
- ٢٤٥ ..... دُخُولُ النَّبِيِّ صلوات الله عليه مَكَّةَ
- ٢٤٥ ..... دُخُولُ الْمُسْلِمِينَ مَكَّةَ
- ٢٤٦ ..... طَوَافُ النَّبِيِّ صلوات الله عليه بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَتَطْهِيرُهُ الْمَسْجِدَ مِنَ الْأَصْنَامِ
- ٢٤٦ ..... دُخُولُهُ صلوات الله عليه الْكَعْبَةَ وَكَسْرُ الْأَوْثَانِ وَطَمْسُ الصُّورِ
- ٢٤٦ ..... إِعْطَاءُ النَّبِيِّ صلوات الله عليه مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ إِلَى أَهْلِهِ
- ٢٤٦ ..... الْعَفْوُ شِيمَتُهُ صلوات الله عليه
- ٢٤٧ ..... الْحُطْبَةُ الْجَامِعَةُ
- ٢٤٨ ..... النَّبِيُّ صلوات الله عليه يُطْمِئِنُّ الْأَنْصَارَ

- ٢٤٨ ..... بَيْعَةُ الرَّجَالِ
- ٢٥١ ..... بَيْعَةُ النِّسَاءِ
- ٢٥١ ..... بِلَالٌ يُؤَدِّنُ عَلَى ظَهْرِ الكَمْبَةِ
- ٢٥١ ..... هَدْمُ العُزَى
- ٢٥١ ..... هَدْمُ سُوَاعٍ
- ٢٥٢ ..... هَدْمُ مَنَاةَ
- ٢٥٢ ..... غَزْوَةُ حُنَيْنٍ
- ٢٥٤ ..... سَرِيَّةُ أُوطَاسٍ
- ٢٥٤ ..... مَا نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ
- ٢٥٥ ..... غَزْوَةُ الصَّائِفِ
- ٢٥٦ ..... نَزْوُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَمْرَانَةِ وَقَسَمُ الفَنَائِمِ
- ٢٥٧ ..... العَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ يَسْتَزِيدُ العَطَاءَ
- ٢٥٧ ..... تَوْزِيْعُ الفَنَائِمِ عَلَى سَائِرِ المُسْلِمِينَ
- ٢٥٨ ..... أَمْرُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيِّ
- ٢٥٨ ..... مَقَالَةُ الأَنْصَارِ بِشَأْنِ الفَنَائِمِ وَخُطْبَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ
- ٢٥٩ ..... قُدُومُ وَفْدِ هَوَازِنِ مُسْلِمِينَ ، وَرُدُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَايَاهُمْ
- ٢٦٠ ..... عُمْرَةُ الجَمْرَانَةِ وَاسْتِخْلَافُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَتَابًا عَلَى الحَجِّ
- ٢٦٠ ..... خَبْرُ وِلَادَةِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ
- ٢٦١ ..... لَمْحَةٌ فِي عَظَمَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- ٢٦١ ..... سَرِيَّةُ فَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
- ٢٦٢ ..... السَّنَةُ التَّاسِعَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( عَامُ الوُفُودِ )

- ٣٦٢ ..... سَرِيَّةُ عِيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ
- ٣٦٢ ..... وَفْدُ تَمِيمٍ
- ٣٦٣ ..... وَفْدُ أَهْلِ الْيَمَنِ
- ٣٦٥ ..... سَرِيَّةُ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ
- ٣٦٥ ..... سَرِيَّةُ عَلْقَمَةَ بْنِ مُجَرِّزِ الْمُدَلِجِيِّ
- ٣٦٦ ..... سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
- ٣٦٧ ..... وَفُودُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ
- ٣٦٧ ..... غَزْوَةُ تَبُوكَ ( جَيْشُ الْعُسْرَةِ )
- ٣٦٩ ..... شَأْنُ الْمُعْذِرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ وَالْبَكَائِنِ
- ٣٦٩ ..... شَأْنُ الْمُتَخَلِّفِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
- ٣٧٠ ..... أَمْرُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفُوا
- ٣٧١ ..... الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ إِلَى تَبُوكَ
- ٣٧١ ..... مَرُورُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ بِالْحِجْرِ
- ٣٧٢ ..... أَحْدَاثٌ وَقَعَتْ أَثْنَاءَ الطَّرِيقِ
- ٣٧٢ ..... الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ بِتَبُوكَ
- ٣٧٢ ..... وَفُودُ صَاحِبِ أَيْلَةَ
- ٣٧٢ ..... كِتَابُ أَهْلِ أَدْرَجٍ وَجَرَبَاءَ
- ٣٧٤ ..... الرَّجُوعُ إِلَى الْمَدِينَةِ
- ٣٧٥ ..... مَسْجِدُ الضَّرَارِ
- ٣٧٦ ..... دُخُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ
- ٣٧٦ ..... اعْتِذَارُ الْمُنَافِقِينَ عَنِ تَخَلُّفِهِمْ

- ٣٧٧ ..... حَدِيثُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفُوا
- ٣٧٩ ..... وَفُودٌ ثَقِيفٌ
- ٣٧٩ ..... كِتَابُ أَهْلِ الطَّائِفِ
- ٣٨٠ ..... هَدْمُ اللَّاتِ
- ٣٨٠ ..... إِسْلَامُ ثَقِيفٍ وَتَأْمَلَاتُ عِظَةٍ وَعِبرَةٌ
- ٣٨١ ..... أَحْدَاثٌ مُهِمَّةٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ
- ٣٨٢ ..... حَجَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه
- ٣٨٣ ..... بَعَثَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِصَدْرِ سُورَةِ (بَرَاءَةٌ)
- ٣٨٣ ..... إِزَاحَةٌ شُبْهَةٌ بِجَوَابِ حُجَّةٍ
- ٣٨٤ ..... لُزُومُ التَّنْوِيهِ بِأَسْمَاءِ الْوُفُودِ فِي عَامِ الْوُفُودِ
- ٣٨٥ ..... السَّنَةُ الْعَاشِرَةُ مِنْ هِجْرَتِهِ صلوات الله عليه
- ٣٨٥ ..... سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه
- ٣٨٥ ..... سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه
- ٣٨٦ ..... حَجَّةُ الْوَدَاعِ
- ٣٨٨ ..... خُطْبَةُ الْوَدَاعِ
- ٣٩١ ..... مَا بَعْدَ الْخُطْبَةِ وَأَكْثَرُ دُعَائِهِ صلوات الله عليه
- ٣٩٣ ..... الْإِفَاضَةُ مِنْ عَرَفَاتٍ إِلَى الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ
- ٣٩٣ ..... مِنَ الْمُرْذَلِفَةِ إِلَى مَنَى
- ٣٩٥ ..... نَفَرْتَهُ صلوات الله عليه مِنْ مَنَى
- ٣٩٥ ..... رُجُوعُهُ صلوات الله عليه إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ
- ٣٩٦ ..... وَفُودُ نَجْرَانَ

- ٣٩٧ ..... وَفُودُ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ
- ٣٩٨ ..... وَفُودُ بَنِي حَنِيْفَةَ
- ٣٩٨ ..... وَفُودُ عَبْدِ الْقَيْسِ
- ٤٠٠ ..... وَفُودُ طَلِيٍّ
- ٤٠٠ ..... وَفُودُ كِنْدَةَ
- ٤٠٠ ..... وَفُودُ أَزْدِ شَنْوَةَ
- ٤٠١ ..... وَفُودُ رَسُولِ مُلُوكِ حَمِيرٍ وَكِتَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ
- ٤٠٢ ..... وَفُودُ هَمْدَانَ
- ٤٠٢ ..... وَفُودُ تَجِيبِ
- ٤٠٣ ..... وَفُودُ ثَعْلَبَةَ
- ٤٠٣ ..... وَفُودُ بَنِي سَعْدِ هُدَيْمِ
- ٤٠٤ ..... وَفُودُ بَنِي فَزَارَةَ
- ٤٠٤ ..... وَفُودُ بَنِي أَسَدِ
- ٤٠٥ ..... وَفُودُ بَنِي عُدْرَةَ
- ٤٠٥ ..... وَفُودُ بَنِي مُحَارِبِ
- ٤٠٥ ..... وَفُودُ غَسَّانِ
- ٤٠٥ ..... وَفَاةُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- ٤٠٦ ..... السَّنَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ هِجْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- ٤٠٦ ..... سَرِيَّةُ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدِ
- ٤٠٦ ..... تَذْكَرَةٌ وَذِكْرَى
- ٤٠٧ ..... مَرَضُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- ٤٠٧ ..... اشتداد مرض رسول الله ﷺ
- ٤٠٨ ..... أمر النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس
- ٤٠٩ ..... خطبته ﷺ في الناس
- ٤١٠ ..... نعى النبي ﷺ نفسه إلى فاطمة رضي الله عنها وبشارته لها
- ٤١٠ ..... كثرة نزول الوحي على النبي ﷺ في السنة التي قبض فيها
- ٤١٠ ..... تأثر فاطمة رضي الله عنها لما ألمّ بابيها
- ٤١١ ..... تخيير النبي ﷺ عند قبضه
- ٤١١ ..... ظهور النبي ﷺ صبيحة يوم وفاته
- ٤١١ ..... معالجة النبي ﷺ سكرات الموت
- ٤١٢ ..... استفادة من حب الرسول ﷺ لقاء الرفيق الأعلى
- ٤١٢ ..... عمر النبي ﷺ يوم قبض
- ٤١٢ ..... دهشة المسلمين لوفاة النبي ﷺ
- ٤١٣ ..... موقف أبي بكر رضي الله عنه من وفاة النبي ﷺ
- ٤١٣ ..... زمن وفاة النبي ﷺ
- ٤١٤ ..... أمر سقيفة بني ساعدة
- ٤١٥ ..... مبايعة أبي بكر رضي الله عنه
- ٤١٥ ..... زوجاته ﷺ اللاواتي توفى عنهن
- ٤١٦ ..... استدراك: ( غدير خم ) ، وخطبة النبي ﷺ
- ذكر بعض ما اشتهر من معجزاته .. وظهر من علامات نبوته
- ٤١٧ ..... وفي ذلك دليل صحة إيمان لمن اعتقد ذلك من أمته ﷺ
- ٤١٩ ..... انشقاق القمر ، ورد الشمس وحبسها له ﷺ

- ٤٢٠ ..... نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ
- ٤٢٢ ..... تَكْثِيرُ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ بِبِرْكَتِهِ ﷺ
- ٤٢٤ ..... كَلَامُ الشَّجَرِ وَالْحَجَرِ ، وَشَهَادَتُهُمَا لَهُ بِالنُّبُوَّةِ ﷺ
- ٤٢٦ ..... شَهَادَةُ الْحَيَوَانَاتِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ ﷺ
- ٤٢٩ ..... شِفَاءُ الْعِلَلِ بِرِيقِهِ وَكَفِّهِ الْمُبَارَكَةِ ﷺ
- ٤٣٠ ..... إِجَابَةُ دُعَائِهِ ﷺ لِمَنْ دَعَا لَهُ
- ٤٣٢ ..... صَلاَحُ مَا كَانَ فَاسِداً بِلَمْسِهِ ﷺ
- ٤٣٤ ..... مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ مِنَ الْمُغْيِبَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى
- ٤٣٥ ..... مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ مِنَ الْمُغْيِبَاتِ فِي سُنَّتِهِ
- ٤٣٧ ..... مُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ
- ٤٤٣ ..... أَقْوَالٌ مُخْتَصِرَةٌ .. فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ وَالْكَرَامَةِ وَفِعْلِ السَّحَرَةِ
- ٤٤٦ ..... إِزَالَةُ الشُّبُهَاتِ عَنِ آيَاتِ وَرَدَتْ فِي حَقِّهِ ﷺ مُتَشَابِهَاتٍ

